جَامِع البَيان عَن تأويل آي القرآن

تفسير الطبري

تأليف

الإمام الكبير والمحدث الشهير من أطبقت

الأمة على تقدمه في التفاسير

الإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري

الجزء التاسع

ضبط وتعليق

محمود شاكر الحرستاني

تصحيح

علي عاشور

دار احياء التراث العربي

بيروت - لبنان

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

دار إحياء التراث العربي
للطباعة والنشر والتوزيع

DAR EHIA AL-TOURATH AL-ARABI
Publishing & Distributing

بيروت ـ لبنان ـ شارع دكاش ـ هاتف: ٢٧٢٦٥٢ ـ ٢٧٢٦٥٥ ـ ٢٧٢٧٨٢ ـ ٢٧٢٧٨٣ فاكس: ٨٥٠٧١٧ ـ ٨٥٠٦٢٣ ص.ب: ١١/٧٩٥٧

Beyrouth - Liban - Rue Dakkache - Tel. 272652 - 272655 - 272782 - 272783 Fax: 850717 - 850623 P.O.Box; 7957/11

٧ ـ سورة الأعراف

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿قالَ المَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ يَعني بالملأ: الجماعة من الرجال، ويعني بالذين استكبروا: الذين تكبروا عن الإيمان بالله والانتهاء إلى أمره واتباع رسوله شعيب لما حذّرهم شعيب بأس الله على خلافهم أمر ربهم، وكفرهم به. ﴿لَنُخْرِجَنَّك يا شُعَيْبُ﴾ ومن تبعك وصدّقك وآمن بك، وبما جئت به معك من قريتنا. ﴿أو لَتَعُودُنَّ في مِلَّتِنا﴾ يقول: لترجعَنّ أنت وهم في ديننا وما نحن عليه. قال شعيب مجيباً لهم: ﴿أَوَ لَوْ كُنَّا كارِهِين﴾؟.

ومعنى الكلام: أن شعيباً قال لقومه: أتخرجوننا من قريتكم، وتصدُّوننا عن سبيل الله، ولو كنا كارهين لذلك؟ ثم أدخلت ألف الاستفهام على واو «أوَ لَوْ».

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾﴾.

يقول جلّ ثناؤه: قال شعيب لقومه، إذ دعوه إلى العود إلى ملتهم والدخول فيها، وتوعدوه بطرده ومن تبعه من قريتهم إن لم يفعل ذلك هو وهم: ﴿قَدِ افْتَرَيْنا على اللَّهِ كَذِباً﴾ يقول: قد اختلقنا على الله كذباً، وتخرّصنا عليه من القول باطلاً إن نحن عدنا في ملتكم، فرجعنا فيها بعد إذ أنقذنا الله منها، بأن بصّرنا خطأها وصواب الهدى الذي نحن عليه، وما يكون لنا أن نرجع فيها فندينَ بها ونترك الحقّ الذي نحن عليه. ﴿إلاَّ أنْ يَشاءَ اللَّهُ رَبُّنا﴾: إلا أن يكون سبق لنا في علم الله أنا نعود فيها، فيمضيَ فينا حينئذ قضاء الله، فينفذ مشيئته علينا. ﴿وَسِعَ رَبُّنا كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً﴾

يقول: فإن علمَ ربنا وسع كل شيء فأحاط به، فلا يخفى عليه شيء كان ولا شيء هو كائن فإن يكن سبق لنا في علمه أنا نعود في ملتكم ولا يخفى عليه شيء كان ولا شيء هو كائن، فلا بد من أن يكون ما قد سبق في علمه، وإلا فإنا غير عائدين في ملتكم.

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: **﴿قَدِ افْتَرَيْنا على اللَّهِ كَذِباً إنْ عُدْنا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إذْ نَجَّانا اللَّهُ مِنها وَما يَكُونُ لَنا أنْ نَعُودَ فِيها إلاَّ أنْ يَشاءَ اللَّهُ رَبُّنا وَسِعَ رَبُّنا كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً على اللَّهِ تَوَكَّلْنا رَبَّنا افْتَحْ بَيْنَنا وبينَ قَوْمِنا بالحَقّ﴾** يقول: ما ينبغي لنا أن نعود في شرككم بعد إذ نجانا الله منها إلا أن يشاء الله ربنا، فالله لا يشاء الشرك، ولكن يقول: إلا أن يكون الله قد علم شيئاً، فإنه وسع كلّ شيء علماً.

وقوله: **﴿على اللَّهِ تَوَكَّلْنا﴾** يقول: على الله نعتمد في أمورنا وإليه نستند فيما تَعِدوننا به من شرككم أيها القوم، فإنه الكافي من توكل عليه. ثم فزع صلوات الله عليه إلى ربه بالدعاء على قومه، إذ أيس من فلاحهم، وانقطع رجاؤه من إذعانهم لله بالطاعة والإقرار له بالرسالة، وخاف على نفسه وعلى من اتبعه من مؤمني قومه من فَسَقِتهم العطب والهلكة بتعجيل النقمة، فقال: **﴿رَبَّنا افْتَحْ بَيْنَنا وبينَ قَوْمِنا بالحَقّ﴾** يقول: احكم بيننا وبينهم بحكمك الحقّ الذي لا جور فيه ولا حيف ولا ظلم، ولكنه عدل وحقّ **﴿وأنْتَ خَيْرُ الفاتِحِينَ﴾** يعني: خير الحاكمين. ذكر الفراء أن أهل عمان يسمون القاضي: الفاتح والفتّاح. وذكر غيره من أهل العلم بكلام العرب أنه من لغة مراد، وأنشد لبعضهم بيتاً وهو:

ألا أبْلِغْ بَنِي عُصْمٍ رَسُولاً ... فإنِّي عَنْ فُتاحَتِكُمْ غَنِيُّ(١)

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن مسعر، عن قتادة، عن ابن عباس، قال: ما كنت

(١) البيت في «اللسان»: فتح منسوباً للأشعر الجعفي، شاهداً على أن الفتاحة بكسر الفاء وضمها بمعنى الحكم بين خصمين. وقال الأزهري: الفتح أن تحكم بين قوم يختصمون إليك، كما قال سبحانه مخبراً عن شعيب: «ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين». قال: والفتاح: الحكومة. وأهل اليمن يقولون للقاضي: الفتاح، ويقول أحدهم لصاحبه: تعال حتى أفاتحك إلى الفتاح. ويقول: افتح بيننا: أي احكم. والرواية في الشطر الأول: «ألا من مبلغ عمراً رسولاً».

أدري ما قوله: ﴿رَبَّنا افْتَحْ بَيْنَنا وبينَ قَوْمِنا بالحَقّ﴾ حتى سمعت ابنة ذي يزن تقول: تعال أُفاتِحْكَ، يعني: أقاضيك.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿رَبَّنا افْتَحْ بَيْنَنا وبينَ قَوْمِنا بالحَقّ﴾ يقول: اقض بيننا وبين قومنا.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو دكين، قال: ثنا مِسعر، قال: سمعت قتادة يقول: قال ابن عباس: ما كنت أدري ما قوله: ﴿رَبَّنا افْتَحْ بَيْنَنا وبينَ قَوْمِنا بالحَقّ﴾ حتى سمعت ابنة ذي يزن تقول: تعال أفاتحك.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿افْتَحْ بَيْنَنا وبينَ قَوْمِنا بالحَقّ﴾: أي اقض بيننا وبين قومنا بالحقّ.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، قال: ثنا معمر، عن قتادة: ﴿افْتَحْ بَيْنَنا وبينَ قَوْمِنا بالحَقّ﴾: اقض بيننا وبين قومنا بالحقّ.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، أما قوله: ﴿افْتَحْ بَيْنَنا﴾ فيقول: احكم بيننا.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال الحسن البصري: ﴿افتح﴾: احكم بيننا وبين قومنا، ﴿وإنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً﴾: حكمنا لك حكماً مبيناً.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس: افتح: اقض.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو أحمد محمد بن عبد الله بن الزبير، قال: ثنا مسعر، عن قتادة، عن ابن عباس، قال: لم أكن أدري ما ﴿افْتَحْ بَيْنَنا وبينَ قَوْمِنا بالحَقّ﴾ حتى سمعت ابنة ذي يزن تقول لزوجها: انطلق أفاتحك.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وقالت الجماعة من كَفَرَةِ رجال قوم شعيب، وهم المَلأُ الذين جحدوا آيات الله وكذّبوا رسوله وتمادوا في غيهم، لآخرين منهم: لئن أنتم اتبعتم شعيباً على ما يقول

وأجبتموه إلى ما يدعوكم إليه من توحيد الله والانتهاء إلى أمره ونهيه وأقررتم بنبوّته، ﴿**إِنَّكُمْ إذاً لخَاسِرُونَ**﴾ يقول: لمغبونون في فعلكم، وترككم ملتكم التي أنتم عليها مقيمون إلى دينه الذي يدعوكم إليه، وهالكون بذلك من فعلكم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾﴾.

يقول: فأخذت الذين كفروا من قوم شعيب الرجفة، وقد بينت معنى الرجفة قبل، وأنها الزلزلة المحرّكة لعذاب الله. ﴿**فأصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جاثِمِينَ**﴾ على ركبهم موتى هلكى.

وكانت صفة العذاب الذي أهلكهم الله به كما:

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿**وَإلى مَدْيَنَ أخاهُمْ شُعَيباً**﴾ قال: إن الله بعث شعيباً إلى مَدْينَ، وإلى أصحاب الأيكة والأيكة: هي الغيضة من الشجر وكانوا مع كفرهم يبخَسُون الكيل والميزان، فدعاهم فكذّبوه، فقال لهم ما ذكر الله في القرآن، وما ردّوا عليه، فلما عتوا وكذّبوه، سألوه العذاب، ففتح الله عليهم باباً من أبواب جهنم، فأهلكهم الحرّ منه، فلم ينفعهم ظلّ ولا ماء، ثم إنه بعث سحابة فيها ريح طيبة، فوجدوا برد الريح وطيبها، فتنادوا: الظلة، عليكم بها فلما اجتمعوا تحت السحابة رجالهم ونساؤهم وصبيانهم، انطبقت عليهم، فأهلكتهم، فهو قوله: ﴿**فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمَ الظُّلَّةِ**﴾.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: كان من خبر قصة شعيب وخبر قومه، ما ذكر الله في القرآن، كانوا أهلَ بخْس للناس في مكاييلهم وموازينهم، مع كفرهم بالله وتكذيبهم نبيهم وكان يدعوهم إلى الله وعبادته وترك ظلم الناس وبخسهم في مكاييلهم وموازينهم فقال نُصْحاً لهم وكان صادقاً: ﴿**ما أُرِيدُ أنْ أُخالِفَكُمْ إلى ما أنهاكُمْ عَنْهُ إنْ أُرِيدُ إلاَّ الإصْلاحَ ما اسْتَطَعْتُ وَما تَوْفِيقي إلا باللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإلَيْهِ أُنِيبُ**﴾ قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ فيما ذكر لي يعقوب بن أبي سلمة إذا ذكر شعيباً، قال: «ذَاكَ خَطِيبُ الأَنْبِياءِ» لحسن مراجعته قومه فيما يراد بهم، فلما كذبوه وتوعدوه بالرجم والنفي من بلادهم، وعتوا على الله، أخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم، فبلغني أن رجلاً من أهل مدين يقال له عمرو بن جلهاء لما رآها قال:

يا قَوْمِ إنَّ شُعَيْباً مُرْسَلٌ فَذَرُوا ... عَنْكُمْ سَمِيراً وعِمْرَانَ بْنَ شَدّادِ
إنِّي أرَى غَيْمَةً يا قومِ قد طَلَعَتْ ... تَدْعُو بصَوْتٍ على صَمَّانَةِ الوَادِي

وإنَّكـم إنْ تَـرَوْا فِـيـهـا ضَـحـاةَ غَـدِ إلاَّ الـرَّقِـيـمَ يُـمَـشِّـي بـيـنَ أنـجـادِ[1]

وسمير وعمران: كاهناهم، والرقيم: كلبهم.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثني ابن إسحاق، قال: فبلغني والله أعلم أن الله سلط عليهم الحرّ حتى أنضجهم، ثم أنشأ لهم الظلة كالسحابة السوداء، فلما رأوها ابتدروها يستغيثون ببردها مما هم فيه من الحرّ، حتى إذا دخلوا تحتها أُطبقت عليهم، فهلكوا جميعاً، ونجى الله شعيباً والذين آمنوا معه برحمته.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: حدثني أبو عبد الله البجلي، قال: أبو جاد، وهوّز، وحُطي، وسعفص، وقرشت: أسماء ملوك مدين، وكان ملكهم يوم الظلة في زمان شعيب كلمون، فقالت أخت كلمون تبكيه:

كَـلَـمُـونُ هَـدَّ رُكْـنِـي هُـلْـكُـهُ وَسْـطَ الـمَـحِـلَّـهْ
سَـيِّـدُ الـقَـوْمِ أتـاهُ الْـ ـحَـتْـفُ: نـاراً وَسْـطَ ظُـلَّـهْ
جُـعِـلَـتْ نـاراً عَـلَـيْـهِـمْ دَارُهُـمْ كـالـمُـضْـمَـحِـلَّـهْ[2]

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فأهلك الذين كذّبوا شعيباً فلم يؤمنوا به، فأبادهم، فصارت قريتهم منهم خاوية خلاء **﴿كأنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيها﴾** يقول: كأن لم ينزلوا قطّ، ولم يعيشوا بها حين هلكوا، يقال: غَنِيَ فلان بمكان كذا فهو يَغْنَى به غِنىً وغُنِيّاً: إذا نزل به وكان به، كما قال الشاعر:

---

(١) الأبيات الثلاثة أوردها الثعلبي في كتابه: «**عرائس المجالس**» المعروف «بقصص الأنبياء»، وفيها «شمير» بالتصغير وبالشين، في موضع «سمير» بالسين، و«حنانة» في موضع: «صمانة». ورواية البيت الثاني في (ص ـ ١٦٦) طبعة الحلبي، في قصة شعيب عليه السلام:

فَـإنـهُ لَـنْ يَـرَى فـيـهَـا ضُـحَـاءَ غَـدٍ إلاَّ الـرَّقِـيـمَ يُـمَـشِّـى بـيـنَ أنـجَـادِ

وقوله: «إنه» الضمير فيه راجع إلى شعيب. يريد أنه سيصيبهم الزلزال، وقد لاحت أماراته، وستصبح ديارهم مدمرة لا يرى فيها شعيب إلا الرقيم.... الخ.

(٢) وهذه الأبيات الثلاثة أيضاً رواها الثعلبي في «**عرائس المجالس**» (ص ـ ١٦٦) في قصة شعيب عليه السلام». وفي روايته: «كلمن هدد ركني». ونسبها إلى أخت كلمون تبكيه.

وَلَقَدْ يَغْنَى بِهِ جِيرانُكِ الْـ مُمِسْكُو مِنْكِ بِعَهْدٍ وَوِصَالِ[(١)]

وقال رُؤْبة:

وَعَهْدُ مَغْنَى دِمْنَةٍ بِضَلْفَعا[(٢)]

إنما هو مَفْعَل من غَنِي. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، قال: ثنا معمر، عن قتادة: ﴿**كأن لَمْ يَغْنَوْا فِيها**﴾: كأن لم يعيشوا، كأن لم ينعموا.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس: ﴿**كأنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيها**﴾ يقول: كأن لم يعيشوا فيها.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**كأنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيها**﴾ كأن لم يكونوا فيها قطّ.

وقوله: ﴿**الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْباً كانُوا هُمُ الخاسِرِينَ**﴾ يقول تعالى ذكره: لم يكن الذين اتبعوا شعيباً الخاسرين، بل الذين كذبوه كانوا هم الخاسرين الهالكين، لأنه أخبر عنهم جلّ ثناؤه أن الذين كذّبوا شعيباً قالوا للذين أرادوا اتباعه: ﴿**لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْباً إنَّكُمْ إذاً لخَاسِرُونَ**﴾ فكذّبهم الله بما أحلّ بهم من عاجل نكاله، ثم قال لنبيه محمد ﷺ: ما خسر تُبّاع شعيب، بل كان الذين كذّبوا شعيباً لما جاءت عقوبة الله هم الخاسرين دون الذين صدّقوا وآمنوا به.

---

(١) البيت لعبيد بن الأبرص ديوانه طبعة ليدن سنة ١٩١٣ (ص ـ ٥٨). وروايته بأسباب الوصال و«أصحابك» في مكان: «جيرانك». وهو من شواهد النحويين «**الخزانة**» (٣/ ٢٣٧ ـ ٢٣٨) من قصيدة له. قال: وهو شاهد على أن الخليل استدل على أن حرف التعريف (أل) لا اللام وحدها، بفصل الشاعر إياها من المعرف بها؛ ولو كانت اللام وحدها حرف تعريف، لما جاز، فصلها من المعرف لا سيما واللام ساكنة. قال: وقد تقدم بيانه ونقضه في البيت قبله.... والممسكو: أصله الممسكون، حذفت نونه تخفيفا. قال ابن جنيفي المنصف: قوله الممسكو: أراد الممسكون، ولكنه حذف النون لطول الاسم، لا للإضافة. ا هـ.
وفي «**اللسان**»: غنا وغنى القوم بالدار غنى: أقاموا. وتقول: غنى بالمكان يغني. والمغنى: المنزل الذي غنى به أهله. ولم ينقل صاحب «**اللسان**» من مصادره غير الغنى والمغنى، وقال المؤلف: غنى وغنيا.

(٢) البيت من مشطور الرجز، وهو الرابع في أرجوزة له مطولة (٢١٣ بيتا) وفي ديوانه (طبع ليبسك سنة ١٩٠٣ ص ـ ٨٧) وعهد: مرفوع عطفاً على حمامة في قوله قبله: «هاجت حمامة» والدمنة: ما بقي من آثار الديار كالنؤى والطلل والأثافي... الخ وضلفع: بوزن جعفر: قارة ببلاد بني أسد. وفي «**معجم من استعجم**» للبكري في رسم «لبني»: ضلفع: ماء لبني عبس ا هـ.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فأدبر شعيب عنهم شاخصا من بين أظهرهم حين أتاهم عذاب الله، وقال لما أيقن بنزول نقمة الله بقومه الذين كذّبوه حزناً عليهم: **﴿يا قوم لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسالاتِ رَبي﴾** وأدّيت إليكم ما بعثني به إليكم من تحذيركم غضبه على إقامتكم على الكفر به وظلم الناس أشياءهم. **﴿وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾** بأمري إياكم بطاعة الله ونهيكم عن معصيته. **﴿فَكَيْفَ آسَى﴾** يقول: فكيف أحزن على قومٍ جحدوا وحدانية الله وكذّبوا رسوله وأتوجع لهلاكهم؟ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: **﴿فَكَيْفَ آسَى﴾** يعني: فكيف أحزن.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: **﴿فَكَيْفَ آسَى﴾** يقول: فكيف أحزن؟

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: أصاب شعيباً على قومه حزن لما يرى بهم من نقمة الله، ثم قال يعزّي نفسه فيما ذكر الله عنه: **﴿يا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسالاتِ رَبي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلى قَوْمٍ كافِرِينَ﴾**.

القول في تأويل قوله تعالى﴾:

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ معرّفه سنته في الأمم التي قد خلت من قبل أمته، ومذكِّرَ من كفر به من قريش لينزجروا عما كانوا عليه مقيمين من الشرك بالله والتكذيب لنبيه محمد ﷺ: **﴿وَما أرْسَلْنا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ﴾** قبلك، **﴿إلاّ أخَذْنا أهْلَها بالبَأْساءِ والضَّراءِ﴾** وهو البؤس وشظف المعيشة وضيقها والضرّاء: وهي الضر وسوء الحال في أسباب دنياهم. **﴿لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾**: يقول: فعلنا ذلك ليتضرّعوا إلى ربهم، ويستكينوا إليه، وينيبوا بالإقلاع عن كفرهم، والتوبة من تكذيب أنبيائهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿**أَخَذْنا أَهْلَها بالبَأْساءِ والضَّرَّاءِ**﴾ يقول: بالفقر والجوع.

وقد ذكرنا فيما مضى الشواهد على صحة القول بما قلنا في معنى البأساء والضرّاء بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. وقيل: يضرّعون، والمعنى: يتضرّعون، ولكن أدغمت التاء في الضاد، لتقارب مخرجهما.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا وَّقَالُوا قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ثم بدّلنا أهل القرية التي أخذنا أهلها بالبأساء والضرّاء، مكان السيئة، وهي البأساء والضرّاء. وإنما جعل ذلك سيئة، لأنه مما يسوء الناس، ولا تسوؤهم الحسنة، وهي الرخاء والنعمة والسعة في المعيشة. ﴿**حتى عَفَوْا**﴾ يقول: حتى كثروا، وكذلك كلّ شيء كثر، فإنه يقال فيه: قد عفا، كما قال الشاعر:

ولكِنَّا نُعِضُّ السَّيْفَ مِنْها ... بأَسْوُقِ عافِياتِ الشَّحْمِ كُومِ[1]

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: ﴿**مَكانَ السَّيِّئَةِ الحَسَنَةَ**﴾ قال: مكان الشدّة رخاء ﴿**حتى عَفَوْا**﴾.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: ﴿**مَكانَ السَّيِّئَةِ الحَسَنَةَ**﴾ قال: السيئة: الشرّ، والحسنة: الرخاء والمال والولد.

حدثنا المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد:

---

(١) نعض: نجعل السيف يعض... الخ. والبيت قد تقدم إنشاده وشرحه في (ص ـ ٣٦٦) من الجزء الثاني.

* إلى هنا جاء بآخر صفحة ١٤١ من المجلد العاشر من المخطوطة رقم ١٠٠ المحفوظة بدار الكتب المصرية. وتبتدىء (ص ـ ١٤٢) منها بالقول في تأويل قوله تعالى: ﴿أفامنوا مكر الله﴾، وسقط من الناسخ تأويل الآيات الثلاث التي قبلها.

﴿مَكانَ السَّيِّئَةِ الحَسَنَةَ﴾ قال: السيئة: الشرّ، والحسنة: الخير.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿ثُمَّ بَدَّلْنا مَكانَ السَّيِّئَةِ الحَسَنَةَ﴾ يقول: مكان الشدة الرخاء.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿ثُمَّ بدَّلْنا مَكانَ السَّيِّئَةِ الحَسَنَةَ حتى عَفَوْا﴾ قال: بدلنا مكان ما كرهوا ما أحبوا في الدنيا، حتى عفوا من ذلك العذاب ﴿وَقالُوا قَدْ مَسَّ آباءَنا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ﴾.

واختلفوا في تأويل قوله ﴿حتى عَفَوْا﴾ فقال بعضهم نحو الذي قلنا فيه.

ذكر من قال ذلك.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿حتى عَفَوْا﴾ يقول: حتى كثروا وكثرت أموالهم.

حدثني القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس: ﴿حتى عَفَوْا﴾ قال: جمّوا.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿حتى عَفَوْا﴾ قال: كثرت أموالهم وأولادهم.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿حتى عَفَوْا﴾ حتى كثروا.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا جرير، عن مغيرة، عن إبراهيم: ﴿حتى عَفَوْا﴾ قال: حتى جموا وكثروا.

قال: ثنا جابر بن نوح، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس: ﴿حتى عَفَوْا﴾ قال: حتى جموا.

قال: ثنا المحاربي، عن جويبر، عن الضحاك: ﴿حتى عَفَوْا﴾ يعني جموا وكثروا.

قال: ثنا عبد الله بن رجاء، عن ابن جريج، عن مجاهد: ﴿حتى عَفَوْا﴾ قال: حتى كثرت أموالهم وأولادهم.

حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿حتى عَفَوْا﴾ كثروا كما يكثر النبات والريش، ثم أخذهم عند ذلك بغتة وهم لا يشعرون.

وقال آخرون: معنى ذلك: حتى سُرّوا.

ذكر من قال ذلك.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: ﴿حتى عَفَوْا﴾ يقول: حتى سرّوا بذلك.

وهذا الذي قاله قتادة في معنى ﴿عفوا﴾ تأويل لا وجه له في كلام العرب، لأنه لا يعرف العفو بمعنى السرور في شيء من كلامها إلاّ أن يكون أراد حتى سُرّوا بكثرتهم وكثرة أموالهم، فيكون ذلك وجهاً وإن بعُد.

وأما قوله: ﴿وَقالُوا قَدْ مَسَّ آباءَنا الضَّرَّاءُ والسَّرَّاءُ﴾ فإنه خبر من الله عن هؤلاء القوم الذين أبدلهم الحسنة السيئة التي كانوا فيها استدراجاً وابتلاءً أنهم قالوا إذ فعل ذلك بهم: هذه أحوال قد أصابت مَن قبلنا من آبائنا ونالت أسلافنا، ونحن لا نعدو أن نكون أمثالهم يصيبنا ما أصابهم من الشدّة في المعايش والرخاء فيها، وهي السرّاء، لأنها تسرّ أهلها. وجهل المساكين شكر نعمة الله، وأغفلوا من جهلهم استدامة فضله بالإنابة إلى طاعته، والمسارعة إلى الإقلاع عما يكرهه بالتوبة، حتى أتاهم أمره وهم لا يشعرون. يقول جلّ جلاله: ﴿فَأَخَذْناهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾ يقول: فأخذناهم بالهلاك والعذاب فجأة، أتاهم على غرّة منهم بمجيئه، وهم لا يدرون، ولا يعلمون أنه يجيئهم، بل هم بأنه آتيهم مكذّبون حتى يعاينوه ويروه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾﴾.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: أفأمن يا محمد هؤلاء الذين يكذّبون الله ورسوله ويجحدون آياته، استدراج الله إياهم بما أنعم به عليهم في دنياهم من صحة الأبدان ورخاء العيش، كما استدرج

الذين قصّ عليهم قصصهم من الأمم قبلهم، فإن مكر الله لا يأمنه، يقول: لا يأمن ذلك أن يكون استدراجاً مع مقامهم على كفرهم وإصرارهم على معصيتهم ﴿إلاَّ القوم الخاسرون﴾ وهم الهالكون.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾.

يقول: أو لم يبين للذين يستخلفون في الأرض بعد هلاك آخرين قبلهم كانوا أهلها، فساروا سيرتهم وعملوا أعمالهم، وعتوا عن أمر ربهم ﴿أنْ لَوْ نَشاءُ أصَبْناهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾ يقول: أن لو نشاء فعلنا بهم كما فعلنا بمن قبلهم، فأخذناهم بذنوبهم، وعجّلنا لهم بأسنا كما عجلناه لمن كان قبلهم ممن ورثوا عنه الأرض، فأهلكناهم بذنوبهم. ﴿وَنَطْبَعُ على قُلُوبِهِمْ﴾ يقول: ونختم على قلوبهم فهم ﴿لا يَسْمَعونَ﴾ موعظة ولا تذكيراً سماع منتفع بهما.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك.

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿أوَ لَمْ يَهْدِ﴾ قال: يبيِّن.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿أوَ لَمْ يَهْدِ﴾ أو لم يبيِّن.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: ﴿أو لَمْ يَهْدِ للَّذِينَ يَرِثُونَ الأرْضَ مِنْ بَعْدِ أهْلِها﴾ يقول: أو لم يبين لهم؟

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿أوَ لَمْ يَهْدِ للَّذِينَ يَرِثُونَ الأرْضَ مِنْ بَعْدِ أهْلِها﴾ يقول: أو لم يتبين للذين يرثون الأرض من بعد أهلها هم المشركون؟

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿أوَ لَمْ يَهْدِ للَّذِينَ

يَرِثُونَ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِها﴾ أو لم نبين لهم؟ **﴿أَنْ لَوْ نَشاءُ أَصَبْناهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾** قالوا: والهدى: البيان الذي بعث هادياً لهم مبيناً لهم، حتى يعرفوا، ولولا البيان لم يعرفوا.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَائِهَا ۚ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ (١٠١)﴾

يقول تعالى ذكره: هذه القرى التي ذكرت لك يا محمد أمرها وأمر أهلها، يعني: قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وشعيب **﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِها﴾** فنخبرك عنها وعن أخبار أهلها، وما كان من أمرهم، وأمر رسل الله التي أرسلت إليهم، لتعلم أنا ننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا على أعدائنا وأهل الكفر بنا، ويعلم مكذّبوك من قومك ما عاقبة أمر من كذّب رسل الله، فيرتدعوا عن تكذيبك، وينيبوا إلى توحيد الله وطاعته. **﴿وَلَقَدْ جاءَتْهُمْ رُسُلُهم بالبيِّناتِ﴾** يقول: ولقد جاءت أهل القرى التي قصصت عليك نبأها رسلهم بالبينات يعني بالحجج: البينات. **﴿فَمَا كانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذّبُوا مِنْ قَبْلُ﴾**.

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معناه: فما كان هؤلاء المشركون الذين أهلكناهم من أهل القرى ليؤمنوا عند إرسالنا إليهم بما كذّبوا من قبل ذلك، وذلك يوم أخذ ميثاقهم حين أخرجهم من ظهر آدم عليه السلام.

ذكر من قال ذلك.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: **﴿فَمَا كانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذّبُوا مِنْ قَبْلُ﴾** قال: ذلك يوم أخذ منهم الميثاق فآمنوا كُرْهاً.

وقال آخرون: معنى ذلك: فما كانوا ليؤمنوا عند مجيء الرسل بما سبق في علم الله أنهم يكذّبون به يوم أخرجهم من صلب آدم عليه السلام.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن أبي جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية، عن أبيّ بن كعب: **﴿فَمَا كانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذّبُوا مِنْ قَبْلُ﴾** قال: كان في علمه يوم أقرّوا له بالميثاق.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع بن أنس، قال: يحقّ على العباد أن يأخذوا من العلم ما أبدى لهم ربهم والأنبياء ويدَعوا

علم ما أخفى الله عليهم، فإن علمه نافذ فيما كان وفيما يكون، وفي ذلك قال: ﴿وَلَقَدْ جاءَتْهُمْ رُسُلُهمْ بالبَيِّناتِ فَمَا كانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كذلكَ يَطْبَعُ اللَّهُ على قُلُوبِ الكافِرِينَ﴾ قال: نفذ علمه فيهم أيهم المطيع من العاصي حيث خلقهم في زمان آدم، وتصديق ذلك حيث قال لنوح: ﴿اهْبِطْ بِسَلامٍ مِنَّا وَبَرَكاتٍ عَلَيْكَ وَعلى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذابٌ ألِيمٌ﴾، وقال في ذلك: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإنَّهُمْ لَكاذِبُونَ﴾، وفي ذلك قال: ﴿وَما كُنَّا مُعَذِّبِينَ حتى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ وفي ذلك قال: ﴿لِئَلاَّ يَكُونَ للنَّاسِ على اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ ولا حجة لأحد على الله.

وقال آخرون: معنى ذلك: فما كانوا لو أحييناهم بعد هلاكهم ومعاينتهم ما عاينوا من عذاب الله ليؤمنوا بما كذّبوا من قبل هلاكهم، كما قال جلّ ثناؤه: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: ﴿بِمَا كَذَّبوا مِنْ قَبْلُ﴾ قال: كقوله: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾.

قال أبو جعفر: وأشبه هذه الأقوال بتأويل الآية وأولاها بالصواب، القول الذي ذكرناه عن أبيّ بن كعب والربيع، وذلك أن من سبق في علم الله تبارك وتعالى أنه لا يؤمن به، فلن يؤمن أبداً، وقد كان سبق في علم الله تعالى لمن هلك من الأمم التي قصّ نبأهم في هذه السورة أنه لا يؤمن أبداً، فأخبر جلّ ثناؤه عنهم، أنهم لم يكونوا ليؤمنوا بما هم به مكذّبون في سابق علمه قبل مجيء الرسل وعند مجيئهم إليهم. ولو قيل تأويله: فما كان هؤلاء الذين ورثوا الأرض يا محمد من مشركي قومك من بعد أهلها الذين كانوا بها من عاد وثمود، ليؤمنوا بما كذّب به الذين ورثوها عنهم من توحيد الله ووعده ووعيده، كان وجهاً ومذهباً، غير أني لا أعلم قائلاً قاله ممن يعتمد على علمه بتأويل القرآن. وأما الذي قاله مجاهد من أن معناه: لو ردّوا ما كانوا ليؤمنوا، فتأويل لا دلالة عليه من ظاهر التنزيل، ولا من خبر عن الرسول صحيح. وإذ كان ذلك كذلك، فأولى منه بالصواب ما كان عليه من ظاهر التنزيل دليل.

وأما قوله: ﴿كذلكَ يَطْبَعُ اللَّهُ على قُلُوبِ الكافِرِينَ﴾ فإنه يقول تعالى ذكره: كما طبع الله على قلوب هؤلاء الذين كفروا بربهم وعصوا رسله من هذه الأمم التي قصصنا عليك نبأهم يا محمد في هذه السورة حتى جاءهم بأس الله فهلكوا به، كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين الذين كُتب عليهم أنهم لا يؤمنون أبداً من قومك.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ (١٠٢)﴾.

يقول تعالى ذكره: ولم نجد لأكثر أهل هذه القرى التي أهلكناها واقتصصنا عليك يا محمد نبأها من عهد، يقول: من وفاء بما وصيناهم به من توحيد الله، واتباع رسله، والعمل بطاعته، واجتناب معاصيه وهجر عبادة الأوثان والأصنام. والعهد: هو الوصية، وقد بينا ذلك فيما مضى بما أغنى عن إعادته. ﴿**وَإِنْ وَجَدْنا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ**﴾ يقول: وما وجدنا أكثرهم إلا فسقة عن طاعة ربهم، تاركين عهده ووصيته. وقد بيَّنا معنى الفسق قبل.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله تعالى: ﴿**وَإِنْ وَجَدْنا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ**﴾ قال: القرون الماضية.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله: ﴿**وَما وَجَدْنا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ**﴾... الآية، قال: القرون الماضية وعهده الذي أخذه من بني آدم في ظهر آدم ولم يفوا به.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن أبي جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية، عن أُبيّ بن كعب: ﴿**وَما وَجَدْنا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ**﴾ قال: في الميثاق الذي أخذه في ظهر آدم عليه السلام.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿**وَما وَجَدْنا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ**﴾ وذلك أن الله إنما أهلك القُرى لأنهم لم يكونوا حفظوا ما أوصاهم به.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ (١٠٣)﴾.

يقول تعالى ذكره: ثم بعثنا من بعد نوح وهود وصالح ولوط وشعيب موسى بن عمران.

والهاء والميم اللتان في قوله: ﴿مِنۢ بَعۡدِهِم﴾ هي كناية ذكر الأنبياء عليهم السلام التي ذكرت من أوّل هذه السورة إلى هذا الموضع. ﴿بِآيَاتِنَا﴾ يقول: بحججنا وأدلتنا ﴿إلى فرعون وملائه﴾، يعني: إلى جماعة فرعون من الرجال. ﴿فَظَلَمُوا بِها﴾ يقول: فكفروا بها. والهاء والألف اللتان في قوله: ﴿بها﴾ عائدتان على الآيات. ومعنى ذلك: فظلموا بآياتنا التي بعثنا بها موسى إليهم. وإنما جاز أن يقال: فظلموا بها، بمعنى: كفروا بها، لأن الظلم: وضع الشيء في غير موضعه، وقد دللت فيما مضى على أن ذلك معناه بما أغنى عن إعادته. والكفر بآيات الله: وضع لها في غير موضعها، وصرف لها إلى غير وجهها الذي عنيت به. ﴿فانْظُرْ كَيْف كانَ عاقِبَةُ المُفْسِدِينَ﴾ يقول جلّ ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: فانظر يا محمد بعين قلبك كيف كان عاقبة هؤلاء الذين أفسدوا في الأرض، يعني فرعون وملأه، إذ ظلموا بآيات الله التي جاءهم بها موسى عليه السلام، وكان عاقبتهم أنهم أغرقوا جميعاً في البحر.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرۡعَوۡنُ إِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠٤﴾.

يقول جلّ ثناؤه: وقال موسى لفرعون: يا فرعون إني رسول من ربّ العالمين.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ قَدۡ جِئۡتُكُم بِبَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَرۡسِلۡ مَعِيَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ١٠٥ قَالَ إِن كُنتَ جِئۡتَ بِـَٔايَةٖ فَأۡتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١٠٦﴾

اختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿حَقِيقٌ عَلى أن لا أقُولَ على اللّهِ إلاّ الحَقَّ﴾ فقرأه جماعة من قرّاء المكيين والمدنيين والبصرة والكوفة: ﴿حَقِيقٌ على أن لا أقُولَ﴾ بإرسال الياء من «على» وترك تشديدها، بمعنى: أنا حقيق بأن لا أقول على الله إلا الحقّ، فوجهوا معنى على إلى معنى الباء، كما يقال: رميت بالقوس وعلى القوس، وجئت على حال حسنة، وبحال حسنة. وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يقول: إذا قرىء ذلك كذلك، فمعناه: حريص على أن لا أقول إلا بحق. وقرأ ذلك جماعة من أهل المدينة: «حَقِيقٌ عَليَّ أنْ لا أقُولَ» بمعنى: واجب عليّ أن لا أقول، وحُقّ عليّ أن لا أقول.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى، قد قرأ بكلّ واحدة منهما أئمة من القرّاء، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب في قراءته الصواب.

وقوله: ﴿قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ يقول: قال موسى لفرعون وملئه: قد جئتكم ببرهان من ربكم يشهد أيها القوم على صحة ما أقول وصدق ما أذكر لكم من إرسال الله إياي إليكم

رسولاً، فأرسل يا فرعون معي بني إسرائيل، فقال له فرعون: إن كنت جئت بآية، يقول: بحجة وعلامة شاهدة على صدق ما تقول. فأت بها إن كنت من الصادقين.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾

يقول جلّ ثناؤه: ﴿**فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فإِذَا هِيَ ثُعْبانٌ مُبِينٌ**﴾ قال حية، ﴿**مُبِينٌ**﴾ يقول: تتبين لمن يراها أنها حية.

وبما قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: ﴿**فإذَا هِيَ ثُعْبانٌ مُبِينٌ**﴾ قال: تحوّلت حية عظيمة. وقال غيره: مثل المدينة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**فإذَا هِيَ ثُعْبانٌ مُبِينٌ**﴾ يقول: فإذا هي حية كادت تتسوّره، يعني كادت تثب عليه.

حدثني موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿**فإذَا هِيَ ثُعْبانٌ مُبِينٌ**﴾ والثعبان: الذكر من الحيات، فاتحة فاها، واضعة لحيها الأسفل في الأرض، والأعلى على سور القصر. ثم توجهت نحو فرعون لتأخذه، فلما رآها ذعر منها، ووثب فأحدث، ولم يكن يُحدث قبل ذلك، وصاح: يا موسى خذها وأنا مؤمن بك وأرسل معك بني إسرائيل، فأخذها موسى فعادت عصاً.

حدثني عبد الكريم بن الهيثم، قال: ثنا إبراهيم بن بشار، قال: ثنا سفيان بن عيينة، قال: ثنا أبو سعد، عن عكرمة، عن ابن عباس: ﴿**فإذَا هِيَ ثُعْبانٌ مُبِينٌ**﴾ قال: ألقى العصا فصارت حية، فوضعت فَقْماً لها أسفل القبة، وفقماً لها أعلى القبة قال عبد الكريم: قال إبراهيم: وأشار سفيان بإصبعه الإبهام والسبابة هكذا شبه الطاق فلما أرادت أن تأخذه، قال فرعون: يا موسى خذها فأخذها موسى بيده، فعادت عصا كما كانت أوّل مرّة.

حدثنا العباس بن الوليد، قال: ثنا يزيد بن هارون، قال: أخبرنا الأصبغ بن زيد، عن القاسم بن أبي أيوب، قال: ثني سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: ألقى عصاه، فتحوّلت حيَّة عظيمة فاغرة فاها، مسرعة إلى فرعون فلما رأى فرعون أنها قاصدة إليه، اقتحم عن سريره، فاستغاث بموسى أن يكفها عنه، ففعل.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿ثُعْبانٌ مُبِينٌ﴾ قال: الحية الذكر.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا إسماعيل بن عبد الكريم، قال: ثني عبد الصمد بن معقل أنه سمع وهب بن منبه يقول: لما دخل موسى على فرعون، قال له موسى: أعرفك؟ قال: نعم، قال: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينا وَلِيداً﴾؟ قال: فردّ إليه موسى الذي ردّ، فقال فرعون: خذوه فبادره موسى فألقى عصاه، فإذا هي ثعبان مبين، فحملت على الناس فانهزموا، فمات منهم خمسة وعشرون ألفاً، قتل بعضهم بعضاً، وقام فرعون منهزماً حتى دخل البيت.

حدثني الحارث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا أبو سعد، قال: سمعت مجاهداً يقول في قوله: ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فإذَا هِيَ ثُعْبانٌ مُبِينٌ﴾ قال: ما بين لَحييها أربعون ذراعاً.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عبدة بن سليمان، عن جويبر، عن الضحاك: ﴿فإذَا هِيَ ثُعْبانٌ مُبِينٌ﴾ قال: الحية الذكر.

قال أبو جعفر: وأما قوله: ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فإذَا هِيَ بَيْضَاءُ للنَّاظِرِينَ﴾ فإنه يقول: وأخرج يده فإذا هي بيضاء تلوح لمن نظر إليها من الناس، وكان موسى فيما ذكر لنا آدم، فجعل الله تحوّل يده بيضاء من غير برص له آية وعلى صدق قوله: ﴿إنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ العالَمِينَ﴾ حُجَّة.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا العباس، قال: أخبرنا يزيد، قال: ثنا الأصبغ بن زيد، عن القاسم بن أبي أيوب، قال: ثني سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: أخرج يده من جيبه فرآها بيضاء من غير سوء يعني: من غير برص ثم أعادها إلى كمه، فعادت إلى لونها الأوّل.

حدثني المثنى، قال: قال: عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: ﴿بَيْضَاءُ للنَّاظِرِينَ﴾ يقول: من غير برص.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فإذَا هِيَ بَيْضَاءُ للنَّاظِرِينَ﴾ قال: نزع يده من جيبه بيضاء من غير برص.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

حدثني موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ﴾ أخرجها من جيبه، ﴿فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾.

حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا أبو سعد، قال: سمعت مجاهداً يقول في قوله: ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ﴾ قال: نزع يده من جيبه، ﴿فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾ وكان موسى رجلا آدم، فأخرج يده، فإذا هي بيضاء أشدّ بياضاً من اللبن مِنْ غَيْرِ سُوءٍ، قال: من غير برص آية لفرعون.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: قالت الجماعة من رجال قوم فرعون والأشراف منهم: إن هذا، يعنون موسى صلوات الله عليه، ﴿لَساحِرٌ عَلِيمٌ﴾ يعنون: أنه يأخذ بأعين الناس بخداعه إياهم حتى يخيل إليهم العصا حية، والآدم: أبيض، والشيء بخلاف ما هو به. ومنه قيل: سحر المطر الأرض: إذا جادها فقطع نباتها من أصوله، وقلب الأرض ظهراً لبطن، فهو يسحرها سحراً، والأرض مسحورة إذا أصابها ذلك. فشبه سحر الساحر بذلك لتخييله إلى من سحره أنه يرى الشيء بخلاف ما هو به ومنه قول ذي الرمّة في صفة السراب:

وَساحِرَةُ العُيُونِ مِنَ المَوَامِي تَرَقَّصُ في نَوَاشِزِها الأُرُومُ[١]

وقوله ﴿عَليمٌ﴾ يقول: ساحر عليم بالسحر، يريد أن يخرجكم من أرضكم أرض مصر معشر القبط السحرة. وقال فرعون للملإ: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ يقول: فأيّ شيء تأمرون أن نفعل في أمره، بأيّ شيء تشيرون فيه؟ وقيل: ﴿فماذا تأمرون﴾ والخبر بذلك عن فرعون، ولم يذكر فرعون، وقلّما يجيء مثل ذلك في الكلام، وذلك نظير قوله: ﴿قالَتِ امْرأةُ العَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الحَقُّ أنا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ذلكَ لِيَعْلَمَ أنّي لَمْ أخُنْهُ بالغَيْبِ﴾ فقيل: ﴿ذلك لِيَعلَم أنّي لم أَخُنْهُ بالغَيْبِ﴾ من قول يوسف، ولم يذكر يوسف. ومن ذلك أن يقول: قلت لزيد: قم فإني قائم، وهو يريد: فقال زيد: إني قائم.

---

(١) البيت في «اللسان»: أرم قال ابن سيده: الإرم (بكسر ففتح) والأرم (بفتح فكسر): الحجارة، والآرام: الأعلام، وخص به بعضهم أعلام عاد. والأروم أيضاً الأعلام، وقيل: هي قبور عاد، وعم به أبو عبيدة في تفسير قول ذي الرمة.... البيت، فقال: هي الأعلام. ومعنى ترقص: ترتفع وتنخفض، وفي بيت للراعي: «ترقصت المفازة»: أي ارتفعت وانخفضت، وإنما يرفعها ويخفضها السراب. ا هـ. وفي «اللسان» سحر: قال الأزهري: وأصل السحر: صرف الشيء عن حقيقته إلى غيره.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: قال الملأ من قوم فرعون لفرعون: أرجئه: أي أخره. وقال بعضهم: معناه: احبس. والإرجاء في كلام العرب: التأخير، يقال منه: أرجيت هذا الأمر وأرجأته إذا أخرته، ومنه قول الله تعالى: ﴿تُرْجِي مَنْ تَشاءُ مِنهُنَّ﴾: تؤخر، فالهمز من كلام بعض قبائل قيس يقولون: أرجأت هذا الأمر، وترك الهمز من لغة تميم وأسد يقولون: أرجيته.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء المدينة وبعض العراقيين: «أرْجِهِ» بغير الهمز وبجرّ الهاء. وقرأه بعض قرّاء الكوفيين: ﴿أرْجِهْ﴾ بترك الهمز وتسكين الهاء على لغة من يقف على الهاء في المكنيّ في الوصل إذا تحرّك ما قبلها، كما قال الراجز:

أنْحَى عليَّ الدَّهْرُ رِجْلا وَيَدَا ... يُقْسِمُ لا يُصْلِحُ إلاَّ أفْسَدَا
فَيُصْلِحُ اليَومَ ويُفْسِدُهْ غَدَا[1]

وقد يفعلون مثل هذا بهاء التأنيث فيقولون: هذه طلحه قد أقبلت، كما قال الراجز:

لَمَّا رأى أنْ لا دَعَهْ وَلا شِبَعْ ... مالَ إلى أرطاةِ حِقْفٍ فاضْطَجَعْ[2]

وقرأه بعض البصريين: «أرْجِئْهُ» بالهمز وضمّ الهاء، على لغة من ذكرت من قيس.

وأولى القراءات في ذلك بالصواب أشهرها وأفصحها في كلام العرب، وذلك ترك الهمز

---

(١) الأبيات الثلاثة لدريد بن زيد بن نهد، أحد المعمرين (ابن قتيبة: كتاب الشعر والشعراء ص ـ ٣٦ طبعة ليدن سنة ١٩٠٢) وأمالي السيد المرتضى (١/ ١٧٢) والبيت الأول والثاني فيهما:

ألْقَى عَلَيَّ الدَّهْرُ رِجْلاً وَيَدَا ... والدَّهْرُ ما أصْلَحَ يَوْماً أفْسَدَا

والبيت الثالث في الشعر والشعراء:

يُصْلِحُهُ اليَوْمَ ويُفْسِدُهُ غَدَا

يُصْلِحُ ما أفْسَدَهُ اليَوْمَ غدا

وفي أمالي السيد المرتضى:

(٢) البيت في «اللسان» ضجع ونسبه للراجز. وروايته فيه: «فالطجع» أراد: فاضطجع، فأبدل الضاد لاما، وهو شاذ. وقد روى: فاضطجع، ويروى: فاطجع، على إبدال الضاد طاء، ثم إدغامها في الطاء، ويروى أيضاً: فاضجع، بتشديد الضاد. أدغم الضاد في التاء، فجعلهما ضاداً شديدة على لغة من قال: مصبر في مصطبر، وقيل: لا يقال: اطجع، لأنهم لا يدغمون الضاد في الطاء. وقال المازني: إن بعض العرب يكره الجمع بين حرفين مطبقين، فيقول: الطجع، ويبدل مكان الضاد أقرب الحروف إليها، وهو اللام، وهو نادر. واستشهد المؤلف بقوله: (لادعه) على إجراء الوصل مجرى الوقف، بقلب تاء التأنيث هاء وإسكانها، وأصله: (لادعة).

وجرّ الهاء، وإن كانت الأخرى جائزة، غير أن الذي اخترنا أفصح اللغات وأكثرها على ألسن فصحاء العرب.

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿أرْجِهْ﴾ فقال بعضهم: معناه: أخره.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جريج: أخبرني عطاء الخراساني عن ابن عباس، قوله: ﴿أرْجِهْ وأخاهُ﴾ قال: أخره.

وقال آخرون: معناه احبسه.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿أرْجِهْ وأخاهُ﴾: أي احبسه وأخاه.

وأما قوله: ﴿وأرْسِلْ فِي المَدَائِنِ حاشِرِينَ﴾ يقول: من يحشر السحرة فيجمعهم إليك، وقيل: هم الشُّرَط.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عباس بن أبي طالب، قال: ثنا مسلم بن إبراهيم، قال: ثنا الحكم بن ظهير، عن السديّ، عن ابن عباس: ﴿وأرْسِلْ فِي المَدَائِنِ حاشِرِينَ﴾ قال: الشرط.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر، عن أبيه، عن مجاهد: ﴿وأرْسِلْ فِي المَدَائِنِ حاشِرِينَ﴾ قال: الشرط.

قال: ثنا حميد، عن قيس، عن السديّ: ﴿وأرْسِلْ فِي المَدَائِنِ حاشِرِينَ﴾ قال: الشرط.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو نعيم، قال: ثنا إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر، عن أبيه، عن مجاهد، عن ابن عباس، في قوله: ﴿فِي المَدَائِنِ حاشِرِينَ﴾ قال: الشرط.

حدثني عبد الكريم بن الهيثم، قال: ثنا إبراهيم بن بشار، قال: ثنا سفيان، قال: ثنا أبو سعد، عن عكرمة، عن ابن عباس: ﴿وأرْسِلْ فِي المَدَائِنِ حاشِرِينَ﴾ قال: الشرط.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٣﴾﴾.

وهذا خبر من الله جلّ ثناؤه عن مَشْوَرَةِ الملإ من قوم فرعون على فرعون، أن يرسل في المدائن حاشرين، يحشرون كلّ ساحر عليم. وفي الكلام محذوف اكتفي بدلالة الظاهر من إظهاره، وهو: فأرسل في المدائن حاشرين يحشرون السحرة، فجاء السحرة فرعون ﴿**قالُوا إِنَّ لَنَا لأجْراً**﴾ يقول: إن لنا لثواباً على غلبتنا موسى عندك، ﴿**إِنْ كُنَّا**﴾ يا فرعون ﴿**نَحْنُ الغَالِبِينَ**﴾.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا العباس، قال: أخبرنا يزيد، قال: أخبرنا الأصبغ بن زيد، عن القاسم بن أبي أيوب، قال: ثني سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: فأرسل في المدائن حاشرين، فحشر له كلّ ساحر متعالم فلما أتوا فرعون، قالوا: بم يعمل هذا الساحر؟ قالوا: يعمل بالحيات، قالوا: والله ما في الأرض قوم يعملون بالسحر والحيات والحبال والعصيّ أعلم منّا، فما أجرنا إن غلبنا؟ فقال لهم: أنتم قرابتي وحامّتي(١)، وأنا صانع إليكم كلّ شيء أحببتم.

حدثني عبد الكريم بن الهيثم قال: ثنا إبراهيم بن بشار، قال: ثنا سفيان، قال: ثنا أبو سعد، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: قال فرعون: لا نغالبه يعني موسى إلا بمن هو منه. فأعدّ علماء من بني إسرائيل، فبعث بهم إلى قرية بمصر يقال لها الفرما، يعلّمونهم السحر، كما يعلّم الصبيان الكتاب في الكتاب. قال: فعلموهم سحراً كثيراً. قال: وواعد موسى فرعون موعداً فلما كان في ذلك الموعد بعث فرعون، فجاء بهم وجاء بمعلمهم معهم، فقال له: ماذا صنعت؟ قال: قد علمتهم من السحر سحراً لا يطيقه سحر أهل الأرض، إلا أن يكون أمراً من السماء، فإنه لا طاقة لهم به، فأما سحر أهل الأرض فإنه لن يغلبهم فلما جاءت السحرة قالوا لفرعون: ﴿**إِنَّ لَنَا لأجْراً إنْ كُنَّا نَحْنُ الغالِبِينَ**﴾ قال: نعم ﴿**وَإِنَّكُمْ إذَنْ لَمِنَ المُقَرَّبِينَ**﴾.

حدثني موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿**فَأرْسِلَ فِرْعَوْنُ فِي المَدَائِنِ حاشِرِينَ**﴾ فحشروا عليه السحرة، فلما جاء السحرة فرعون ﴿**قالُوا إنَّ لَنا لأجْراً إنْ كُنَّا نَحْنُ الغالِبِينَ**﴾ يقول: عطية تعطينا ﴿**إنْ كُنَّا نَحْنُ الغالِبِينَ قالَ نَعَمْ وَإنَّكُمْ لَمِنَ المُقَرَّبِينَ**﴾.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿**أرْجِهْ وأخاهُ وأرْسِلْ فِي المَدَائِنِ حاشِرِينَ يَأْتُوكَ بِكُلِّ ساحِرٍ عَلِيمٌ**﴾: أي كاثره بالسحرة لعلك أن تجد في السحرة من يأتي بمثل ما

(١) في «اللسان»: الحامة: خاصة الرجل من أهله وولده وذوي قرابته. وفي الأصل: حاميي. تحريف.

جاء به، وقد كان موسى وهارون خرجا من عنده حين أراهم من سلطانه، وبعث فرعون في مملكته، فلم يترك في سلطانه ساحر إلا أتى به. فذكر لي والله أعلم أنه جمع له خمسة عشر ألف ساحر فلما اجتمعوا إليه أمرهم أمره، وقال لهم: قد جاءنا ساحر ما رأينا مثله قطّ، وإنكم إن غلبتموه أكرمتكم وفضلتكم، وقرّبتكم على أهل مملكتي، قالوا: وإن لنا ذلك إن غلبناه؟ قال: نعم.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا الحسين، عن يزيد، عن عكرمة، قال: السحرة كانوا سبعين. قال أبو جعفر: أحسبه أنه قال: ألفاً.

قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا موسى بن عبيدة، عن ابن المنذر، قال: كان السحرة ثمانين ألفاً.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا جرير، عن عبد العزيز بن رفيع، عن خيثمة، عن أبي سودة، عن كعب، قال: كان سحرة فرعون اثني عشر ألفاً.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾﴾.

يقول جلّ ثناؤه: قال فرعون للسحرة إذ قالوا له: إن لنا عندك ثواباً إن نحن غلبنا موسى قال: نعم، لكم ذلك، وإنكم لممن أقرّبه وأدنيه مني. ﴿**قَالُوا يَا مُوسَى**﴾ يقول: قالت السحرة لموسى: يا موسى اختر أن تلقي عصاك، أو نلقي نحن عصينا ولذلك أدخلت «أن» مع «إما» في الكلام لأنها في موضع أمر بالاختيار، فإن «أنْ» في موضع نصب لما وصفت من المعنى، لأن معنى الكلام: اختر أن تلقي أنت، أو نلقي نحن، والكلام مع «إما» إذا كان على وجه الأمر، فلا بدّ من أن يكون فيه «أن» كقولك للرجل إما أن تمضيَ، وإما أن تقعد، بمعنى الأمر: امض أو اقعد، فإذا كان على وجه الخبر لم يكن فيه أن كقوله: ﴿**وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ**﴾ وهذا هو الذي يسمى التخيير، وكذلك كلّ ما كان على وجه الخبر، و«إما» في جميع ذلك مكسورة.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: قال موسى للسحرة: ﴿أَلْقُوا﴾ ما أنتم ملقون، فألقت السحرة ما معهم. ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا﴾ ذلك ﴿سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ﴾ خيلوا إلى أعين الناس بما أحدثوا من التخييل والخدع أنها تسعى. ﴿وَاسْتَرْهَبُوهُمْ﴾ يقول: واسترهبوا الناس بما سحروا في أعينهم، حتى خافوا من العصيّ والحبال، ظناً منهم أنها حيات. ﴿وَجاءُوا﴾ كما قاله الله ﴿بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾: بتخييل عظيم كثير، من التخييل والخداع.

وذلك كالذي:

حدثنا موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قال: قال لهم موسى: ألقوا ما أنتم ملقون فألقوا حبالهم وعصيهم، وكانوا بضعة وثلاثين ألف رجل، ليس منهم رجل إلا معه حبل وعصا. ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ﴾ يقول: فَرّقوهم فأوجس في نفسه خيفة موسى.

حدثني عبد الكريم، قال: ثنا إبراهيم بن بشار، قال: ثنا سفيان، قال: ثنا أبو سعد، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: ألقوا حبالاً غلاظاً وخشباً طوالاً، قال: فأقبلت تخيل إليه من سحرهم أنها تسعى.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: صفّ خمسة عشر ألف ساحر، مع كلّ ساحر حباله وعصيه، وخرج موسى معه أخوه يتكىء على عصاه حتى أتى الجمع وفرعون في مجلسه مع أشراف مملكته، ثم قالت السحرة: ﴿يا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نكونَ أَوّلَ مَنْ أَلقى قَالَ بَلْ أَلْقُوا فإذا حِبَالُهُمْ وعِصِيُّهُمْ﴾ فكان أوّل ما اختطفوا بسحرهم بصر موسى وبصر فرعون، ثم أبصار الناس بعد، ثم ألقى كلّ رجل منهم ما في يده من العصيّ والحبال، فإذا هي حيات كأمثال الحبال، قد ملأت الوادي يركب بعضها بعضاً. ﴿فأَوْجَسَ في نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾ وقال: والله إن كانت لعصياً في أيديهم، ولقد عادت حيات، وما تعدو هذه أو كما حدّث نفسه.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، عن هشام الدستوائي، قال: ثنا القاسم بن أبي بزّة، قال: جمع فرعون سبعين ألف ساحر، وألقوا سبعين ألف حبل وسبعين ألف عصا، حتى جعل يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك، فألقاها فإذا هي تلقم وتبتلع ما يسحرون كذباً وباطلاً، يقال منه: لقفت الشيء فأنا ألْقَفُه لَقْفاً ولَقَفَاناً. وذلك كالذي:

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: ﴿**وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك**﴾، فألقى موسى عصاه، فتحولت حية، فأكلت سحرهم كله.

حدثنا عبد الكريم بن الهيثم، قال: ثنا إبراهيم بن بشار، قال: ثنا سفيان، قال: ثنا أبو سعد، عن عكرمة، عن ابن عباس: فألقى عصاه فإذا هي حية تلقف ما يأفكون، لا تمرّ بشيء من حبالهم وخشبهم التي ألقوها إلا التقمته، فعرفت السحرة أن هذا أمر من السماء، وليس هذا بسحر، فخرّوا سجداً وقالوا: ﴿**آمَنَّا بِرَبِّ العالَمِينَ رَبِّ مُوسَى وهارُونَ**﴾.

حدثني موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قال: أوحى الله إلى موسى: لا تخَف، وألقِ ما فيَ يمِينِك تَلْقَفْ ما يَأفِكونَ. فألقَى عَصَاهُ فأكلت كلّ حية لهم، فلما رأوا ذلك سجدوا، وقالوا: ﴿**آمَنَّا بِرَبِّ العالَمِينَ رَبِّ مُوسَى وهارُونَ**﴾.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: : أوحى الله إليه أن ألق ما في يمينك فألقى عصاه من يده، فاستعرضت ما ألقوا من حبالهم وعصيهم، وهي حيات، في عين فرعون وأعين الناس تسعى، فجعلت تلقفها: تبتلعها حية حية، حتى ما يرى بالوادي قليل ولا كثير مما ألقوه. ثم أخذها موسى فإذا هي عصاه في يده كما كانت، ووقع السحرة سجداً، قالوا: ﴿**آمَنَّا بِرَبِّ العالَمِينَ رَبِّ مُوسَى وهارُونَ**﴾ لو كان هذا سحراً ما غلبنا.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، عن هشام الدستوائي، قال: ثنا القاسم بن أبي بزّة، قال: أوحى الله إليه أن ألق عصاك، فألقى عصاه فإذا هي ثعبان فاغرٌ فاه، فابتلع حبالهم وعصيهم، فألقي السحرة عند ذلك سجداً، فما رفعوا رؤوسهم حتى رأوا الجنة والنار وثواب أهلها.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: ﴿**يَأْفِكُونَ**﴾ قال: يكذبون.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد: ﴿**فإذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ**﴾ قال: يكذبون.

حدثنا إبراهيم بن المستمر، قال: ثنا عثمان بن عمر، قال: ثنا قرة بن خالد السدوسيّ، عن الحسن: ﴿**تَلْقَفُ ماَ يَأْفِكُونَ**﴾ قال: حبالهم وعصيهم تسترطها استراطاً.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فظهر الحقّ وتبين لمن شهده وحضره في أمر موسى، وأنه لله رسول يدعو إلى الحقّ ﴿وَبَطَلَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من إفك السحر وكذبه ومخايله.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿فَوَقَعَ الحَقُّ﴾ قال: ظهر.

حدثني الحارث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر، عن أبيه، عن مجاهد في قوله: ﴿فَوَقَعَ الحَقُّ وَبَطَلَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾ قال: ظهر الحقّ وذهب الإفك الذي كانوا يعملون.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، في قوله: ﴿فَوَقَعَ الحَقُّ﴾ قال: ظهر الحقّ.

حدثنا المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿فَوَقَعَ الحَقُّ﴾ ظهر موسى.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فغَلَب موسى فرعونَ وجموعه ﴿هُنالِكَ﴾ عند ذلك، ﴿وَانقَلَبُوا صَاغِرِينَ﴾ يقول: وانصرفوا عن موطنهم ذلك بصُغرْ مقهورين، يقال منه: صَغُر الرجل يصغُر صِغْراً وصُغْراً وصَغَاراً.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وألقي السحرة عندما عاينوا من عظيم قدرة الله، ساقطين على وجوههم،

سجداً لربهم، يقولون: آمنا بربّ العالمين، يقولون صدّقنا بما جاءنا به موسى، وأن الذي علينا عبادته هو الذي يملك الجنّ والإنس وجميع الأشياء، وغير ذلك، ويدبّر ذلك كله، رب موسى وهارون، لا فرعونُ. كالذي:

حدثني عبد الكريم، قال: ثنا إبراهيم بن بشار، قال: ثنا سفيان، قال: ثنا أبو سعد، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: لما رأت السَّحَرة ما رأت، عرفت أن ذلك أمر من السماء وليس بسحر، خرّوا سجداً، وقالوا: آمنا بربّ العالمين ربّ موسى وهارون.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿**قال فرعون**﴾ للسحرة إذ آمنوا بالله، يعني صدّقوا رسوله موسى عليه السلام لما عاينوا من عظيم قدرة الله وسلطانه: ﴿**آمنتم**﴾ يقول: أصدقتم بموسى وأقررتم بنبوّته، ﴿**قبل أن أذن لكم**﴾ بالإيمان به. ﴿**إن هذا**﴾ يقول: تصديقكم إياه، وإقراركم بنبوّته، ﴿**لمكرٌ مكرتمُوهُ في المَدينةِ**﴾ يقول لخُدْعة خدعتم بها من في مدينتنا لتخرجوهم منها. ﴿**فَسَوْفَ تَعْلَمونَ**﴾ ما أفعل بكم، وتلقون من عقابي إياكم على صنيعهم هذا. وكان مكرهم ذلك فيما:

حدثني موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في حديث ذكره عن أبي مالك وعليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، وعن مُرّة، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب رسول الله ﷺ: التقى موسى وأمير السَّحَرة، فقال له موسى: أرأيتك إن غلبتك أتؤمن بي وتشهد أن ما جئتُ به حق؟ قال السَّاحر: لآتينّ غداً بسحر لا يغلبه سحر، فوالله لئن غلبتني لأومننّ بك ولأشهدنّ أنك حقّ وفرعون ينظر إليهم فهو قول فرعون: ﴿**إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي المَدِينَةِ**﴾ إذ التقيتما لتظاهرا فتخرجا منها أهلها.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قِيل فرعون للسحرة إذ آمنوا بالله وصدّقوا رسوله موسى: ﴿**لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وأَرْجُلَكُم مِنْ خِلافٍ**﴾ وذلك أن يقطع من أحدهم يده اليمنى ورجله اليسرى، أو يقطع يده اليسرى ورجله اليمنى، فيخالف بين العضوين في القطع، فمخالفته في ذلك بينهما هو القطع من خلاف.

ويقال: إن أوّل من سنّ هذا القطع فرعون. ﴿ثم لأُصَلِّبَنَّكُمْ أجمَعِينَ﴾ وإنما قال هذا فرعون، لما رأى من خذلان الله إياه وغلبة موسى عليه السلام وقهره له.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبو داود الحَفَرِيّ وحَبُوية الرازيّ[١]، عن يعقوب القميّ، عن جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ﴿لأُقَطِّعَنَّ أيدِيَكُمْ وأرْجُلَكُمْ مِنْ خِلاف ثُمّ لأُصَلِّبَنَّكُمْ أجمَعِينَ﴾ قال: أوّل من صلب وأوّل من قطع الأيدي والأرجل من خلاف فرعونُ.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ١٢٥ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ١٢٦﴾

يقول تعالى ذكره: قال السحرة مجيبة لفرعون، إذ توعدهم بقطع الأيدي والأرجل من خلاف، والصلب: ﴿إنَّا إلى رَبِّنا مُنْقَلِبُونَ﴾ يعني بالانقلاب إلى الله الرجوع إليه والمصير. وقوله: ﴿وَما تَنْقِمُ مِنَّا إلاَّ أنْ آمَنَّا بآياتِ رَبِّنا﴾ يقول: ما تنكر منا يا فرعون وما تجد علينا، إلا من أجل أن آمنا: أي صدّقنا بآيات ربنا، يقول: بحجج ربنا وأعلامه وأدلته التي لا يقدر على مثلها أنت، ولا أحد سوى الله، الذي له ملك السماوات والأرض. ثم فزعوا إلى الله، بمسألته الصبر على عذاب فرعون، وقبض أرواحهم على الإسلام، فقالوا: ﴿رَبَّنا أفْرِغْ عَلَيْنا صَبْراً﴾ يعنون بقولهم: أفرغ: أنزل علينا حبساً يحبسنا عن الكفر بك عند تعذيب فرعون إيانا. ﴿وَتَوَفَّنا مُسْلِمِينَ﴾ يقول: واقبضنا إليك على الإسلام، دين خليلك إبراهيم ﷺ، لا على الشرك بك.

فحدثني موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو بن حماد، قال: ثنا أسباط عن السديّ: ﴿لأُقَطِّعَنَّ أيْدِيَكُمْ وأرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ﴾ فقتلهم وصَلَبهم، كما قال عبد الله بن عباس حين قالوا: ﴿رَبَّنا أفْرِغْ عَلَيْنا صَبْراً وَتَوَفَّنا مُسْلِمِينَ﴾ قال: كانوا في أوّل النهار سحرة، وفي آخر النهار شهداء.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن إسرائيل، عن عبد العزيز بن رفيع، عن عبيد بن عمير، قال: كانت السحرة أوّل النهار سحرة، وآخر النهار شهداء.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وأُلْقِيَ السَّحَرَةُ ساجِدِينَ﴾ قال: ذكر لنا أنهم كانوا في أوّل النهار سحرة، وآخره شهداء.

---

(١) في خلاصة الخزرجي: إبراهيم بن المختار التميمي، أبو إسماعيل الرازي، حبويه.. صالح الحديث.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد: ﴿**رَبَّنا أَفْرِغْ عَلَيْنا صَبْراً وَتَوَفَّنا مُسْلِمِينَ**﴾ قال: كانوا أوّل النهار سحرة، وآخره شهداء.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وقالت جماعة رجال من قوم فرعون لفرعون: أتدع موسى وقومه من بني إسرائيل ليفسدوا في الأرض، يقول: كي يفسدوا خدمك وعبيدك عليك في أرضك من مصر، ﴿**وَيَذَرَكَ وآلِهَتَكَ**﴾ يقول: ويذرك: ويدع خدمتك موسى، وعبادتك وعبادة آلهتك.

وفي قوله: ﴿**وَيَذَرَكَ وآلِهَتَكَ**﴾ وجهان من التأويل: أحدهما أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض وقد تركك وترك عبادتك وعبادة آلهتك؟ وإذا وجه الكلام إلى هذا الوجه من التأويل كان النصب في قوله: ﴿**وَيَذَرَكَ**﴾ على الصرف، لا على العطف به على قوله «ليفسدوا». والثاني: أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض وليذرك وآلهتك كالتوبيخ منهم لفرعون على ترك موسى ليفعل هذين الفعلين. وإذا وجه الكلام إلى هذا الوجه كان نصب: ﴿**وَيَذَرَكَ**﴾ على العطف على ﴿**لِيُفْسِدُوا**﴾.

والوجه الأوّل أولى الوجهين بالصواب، وهو أن يكون نصب: ﴿**وَيَذَرَكَ**﴾ على الصرف، لأن التأويل من أهل التأويل به جاء.

وبعد، فإن في قراءة أُبيّ بن كعب الذي:

حدثنا أحمد بن يوسف، قال: ثنا القاسم، قال: ثنا حجاج عن هارون، قال: في حرف أبيّ بن كعب: وقد تركوك أن يعبدوك وآلهتك.

دلالة واضحة على أن نصب ذلك على الصرف.

وقد روى عن الحسن البصريّ أنه كان يقرأ ذلك: ﴿**وَيَذَرَكَ وآلِهَتَكَ**﴾ عطفاً بقوله: ﴿**وَيَذَرَكَ**﴾ على قوله: ﴿**أَتَذَرُ مُوسَى**﴾ كأنه وجَّه تأويله إلى: أتذرُ موسى وقومه ويذرك وآلهتك ليفسدوا في الأرض؟ وقد تحتمل قراءة الحسن هذه أن يكون معناها: أتذرُ موسى وقومه ليفسدوا في الأرض وهو يذرُك وآلهتك؟ فيكون «يذرُك» مرفوعاً على ابتداء الكلام.

وأما قوله: ﴿**وآلِهَتَكَ**﴾ فإن قرّاء الأمصار على فتح الألف منها ومدّها، بمعنى: وقد ترك موسى عبادتك وعبادة آلهتك التي تعبدها. وقد ذكر عن ابن عباس أنه كان له بقرةٌ يعبدوها. وقد

رُوى عن ابن عباس ومجاهد أنهما كانا يقرآنها: «وَيَذَرَكَ وإلا هَتَكَ» بكسر الألف، بمعنى: ويذرك وعبُودتك.

والقراءة التي لا نرى القراءة بغيرها، هي القراءة التي عليها قرّاء الأمصار لإجماع الحجة من القراء عليها.

ذكر من قال: كان فرعون يعبُد آلهة على قراءة من قرأ: ﴿وَيَذَرَكَ وآلِهَتَكَ﴾:

حدثني موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿وَيَذَرَكَ وآلِهَتَكَ﴾ وآلهته فيما زعم ابن عباس، كانت البقرة كانوا إذا رأوا بقرة حسناء أمرهم أن يعبدوها، فلذلك أخرج لهم عجلاً وبقرة.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو سفيان، عن عمرو، عن الحسن، قال: كان لفرعون جُمَانة معلقة في نحره يعبدها ويسجد لها.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن بن مهدي، قال: ثنا أبان بن خالد، قال: سمعت الحسن يقول: بلغني أن فرعون كان يعبد إلهاً في السرّ. وقرأ: «وَيَذَرَكَ وآلِهَتَكَ».

حدثنا محمد بن سنان، قال: ثنا أبو عاصم، عن أبي بكر، عن الحسن، قال: كان لفرعون إله يعبده في السرّ.

ذكر من قال معنى ذلك: ويذرك وعبادتك، على قراءة من قرأ: «وإلهتك»:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن محمد بن عمرو، عن الحسن، عن ابن عباس: «وَيَذَرَكَ وإلِهَتَكَ» قال: إنما كان فرعون يُعبد ولا يَعبد.

قال: ثنا أبي، عن نافع، عن ابن عمر، عن عمرو بن دينار، عن ابن عباس أنه قرأ: «وَيَذَرَكَ وإلِهَتَكَ» قال: وعبادتك، ويقول إنه كان يُعبد ولا يَعبد.

حدثنا المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: «وَيَذَرَكَ وإلِهَتَكَ» قال: يترك عبادتك.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل عن عمرو بن دينار، عن ابن عباس أنه كان يقرأ: «وإلِهَتَكَ» يقول: وعبادتك.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: «وَيَذَرَكَ وإلِهَتَكَ» قال: عبادتك.

حدثنا سعيد بن الربيع الرازي، قال: ثنا سفيان، عن عمرو بن دينار، عن محمد بن عمرو بن حسين، عن ابن عباس، أنه كان يقرأ: «وَيَذَرَكَ وإلهَتَكَ» وقال: إنما كان فرعون يُعبد ولا يَعبد.

وقد زعم بعضهم: أن من قرأ: «وإلهَتَكَ» إنما يقصد إلى نحو معنى قراءة من قرأ: ﴿وآلِهَتَكَ﴾ غير أنه أنث وهو يريد إلهاً واحداً، كأنه يريد «وَيَذَرَكَ وإلاهَكَ» ثم أنث الإله فقال: «وإلاهتك».

وذكر بعض البصريين أن أعرابياً سُئِل عن الإلهة فقال: «هي عَلَمة» يريد علماً، فأنث «العلم»، فكأنه شيء نصب للعبادة يُعبد. وقد قالت بنت عتيبة بن الحارث اليربوعي:

تَرَوَّحْنا مِنَ اللَّعْباءِ عَصْراً ... وأعْجَلْنا الإلاهَةَ أنْ تَئُوبا(١)

يعني بالإلاهة في هذا الموضع: الشمس. وكأن هذا المتأوّل هذا التأويل، وجّه الإلاهة إذا أدخلت فيها هاء التأنيث، وهو يريد واحد الآلهة، إلى نحو إدخالهم الهاء في وِلْدَتِي وكَوْكَبَتِي ومَاءَتي، وهو أَهْلَة ذاك، وكما قال الراجز:

يا مُضَرُ الحَمْرَاءِ أنتِ أُسْرَتِي ... وَأنتِ مَلْجاتِي وأنتِ ظَهْرَتي(٢)

يريد: ظهري. وقد بين ابن عباس ومجاهد ما أرادا من المعنى في قراءتهما ذلك على ما

---

(١) البيت في «اللسان»: لعب، وأله والمخصص: (١٧/ ١٣٧) و «معجم ما استعجم» للبكري (ص - ١١٥٦) وبعده في «اللسان» بيت آخر، وهو:

عَلَى مِثْلِ ابنِ مَيَّةَ فانْعَياهُ ... تَشُقُّ نَوَاعِمُ البَشَرِ الجُيُوبا

ومعنى تروحنا: سرنا بعد الزوال، أي عصرا، ويروى: قصرا، ويروى قسرا. واللعباء، كما قال ابن السكيت: موضع بين الربذة وأرض بني سليم، وهي لفزارة وبني ثعلبة وبنى أنمار بن بغيض. وقيل: أرض تنبت العضاه لبني أبي بكر بن كلاب. وإلاهة والإلاهة: بكسر الهمزة: اسم للشمس. ويروى الألاهة بالفتح عن ابن الأعرابي. يريد أنهم مضوا مسرعين من اللعباء عند العصر، لما علموا بوفاة هذا الرجل، فأدركوا غرضهم قبل مغيب الشمس. واختلف في قائل البيت. قاب ابن بري: هو لمية بنت أم عتبة بن الحارث. وقيل: هو لبنت عبد الحارث اليربوعي، ويقال: لنائحة عتيبة بن الحارث. وقال أبو عبيدة: هو لأم البنين بنت عتيبة ابن الحارث ترثيه. وفي «معجم ما استعجم» للبكري: وقالت مية، ويقال آمنة بنت عتيبة بن الحارث بن شهاب: تروحنا... البيت.

(٢) مضر بن نزار في عمود النسب النبوي، ويقال فيه «مضر الحمراء» بالإضافة، لأنه أعطى الذهب من ميراث أبيه، والحمراء: الذهب، يذكر ويؤنث. والأسرة: عشيرة الرجل، وأهل بيته. وملجاتي: يريد ملجئي، زاد فيه تاء التأنيث. وظهرتي قال المؤلف: هو مؤنث الظهر، وهذا يقتضي أنه بفتح الظاء. وفي «اللسان» الظهرة (بالضم)، والظهرة (بالكسرة) عن كراع كالظهر. وهم ظهرة واحدة: أي يتظاهرون على الأعداء. ولم أجد الظهرة بالفتح إلا في قول المؤلف.

قرآ، فلا وجه لقول هذا القائل ما قال مع بيانهما عن أنفسهما ما ذهبا إليه من معنى ذلك.

وقوله: ﴿قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْناءَهُمْ﴾ يقول: قال فرعون: سنقتل أبناءهم الذكور من أولاد بني إسرائيل. ﴿وَنَسْتَحِيي نساءَهُمْ﴾ يقول: ونستبقي إناثهم. ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قاهِرُونَ﴾ يقول: وإنا عالون عليهم بالقهر، يعني بقهر الملك والسلطان. وقد بينا أن كلّ شيء عال بقهر وغلبة على شيء، فإن العرب تقول: هو فوقه.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: قال موسى لقومه من بني إسرائيل لما قال فرعون للملإ من قومه سنقتل أبناء بني إسرائيل ونستحيي نساءهم: ﴿اسْتَعِينُوا بَاللَّهِ﴾ على فرعون وقومه فيما ينوبكم من أمركم، واصبروا على ما نالكم من المكاره في أنفسكم وأبنائكم من فرعون.

وكان قد تبع موسى من بني إسرائيل على ما:

حدثني عبد الكريم، قال: ثنا إبراهيم بن بشار، قال: ثنا سفيان، قال: ثنا أبو سعد، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: لما آمنت السحرة، اتبع موسى ستمائة ألف من بني إسرائيل.

وقوله: ﴿إِنَّ الأرْضَ لِلَّهِ يُورِثُها مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِه﴾ يقول: إن الأرض لله، لعلّ الله أن يُورِثَكم إن صَبَرتم على ما نالكم من مكروه في أنفسكم وأولادكم من فرعون، واحتسبتم ذلك، واستقمتم على السداد أرضَ فرعون وقومه، بأن يهلكهم ويستخلفكم فيها، فإن الله يورث أرضه من يشاء من عباده. ﴿والعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ يقول: والعاقبة المحمودة لمن اتقى الله وراقبه، فخافه باجتناب معاصيه وأدّى فرائضه.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: قال قوم موسى لموسى حين قال لهم استعينوا بالله واصبروا: ﴿أُوذِينا﴾ بقتل أبنائنا ﴿مِنْ قبلِ أنْ تأْتِيَنا﴾ يقول: من قبل أن تأتينا برسالة الله إلينا لأن فرعون كان يقتل أولادهم الذكور حين أظله زمان موسى على ما قد بينت فيما مضى من كتابنا هذا. وقوله: ﴿وَمِنْ بَعْدِ ما جِئْتَنا﴾ يقول: ومن بعد ما جئتنا برسالة الله، لأن فرعون لما غُلبت سحرته وقال للملإ من

قومه ما قال، أراد تجديد العذاب عليهم بقتل أبنائهم واستحياء نسائهم. وقيل: إن قوم موسى قالوا لموسى ذلك حين خافوا أن يدركهم فرعون وهم منه هاربون، وقد تراءى الجمعان، فـ ﴿قالوا﴾ له يا موسى ﴿أُوذِينا مِنْ قَبْلِ أنْ تَأْتِيَنا﴾ كانوا يذبحون أبناءنا ويستحيون نساءنا، ﴿وَمِنْ بَعْدِ ما جِئْتَنا﴾ اليوم يدركنا فرعون فيقتلنا.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل االتأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: ﴿مِنْ قَبْلِ أنْ تَأْتِيَنا﴾ من قبل إرسال الله إياك وبعده.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي: فلما تراءى الجمعان فنظرت بنو إسرائيل إلى فرعون قد ردفهم، قالوا: إنَّا لَمُدْرَكُونَ وقالوا: ﴿أُوذِينا مِنْ قَبْلِ أنْ تَأْتِيَنا﴾. كانوا يذبحون أبناءنا ويستحيون نساءنا. ﴿ومِنْ بَعْدِ ما جِئْتَنا﴾ اليوم يدركنا فرعون فيقتلنا، إنَّا لَمُدْرَكُونَ.

حدثني عبد الكريم، قال: ثنا إبراهيم، قال: ثنا سفيان، قال: ثنا أبو سعد، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: سار موسى ببني إسرائيل حتى هجموا على البحر، فالتفتوا فإذا هم برَهْج دوابِّ فرعون، فقالوا: يا موسى أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا، هذا البحر أمامنا وهذا فرعون بمن معه ﴿قال عَسَى رَبُّكُمْ أنْ يَهلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَستَخْلِفَكُمْ في الأرْضِ فَيَنْظُرَ كَيفَ تَعْمَلُونَ﴾.

وقوله: ﴿قالَ عَسَى رَبُّكُمْ أنْ يُهْلكَ عَدُوَّكُمْ﴾ يقول جلّ ثناؤه: قال موسى لقومه: لعلّ ربكم أن يهلك عدوّكم: فرعون وقومه، ﴿ويَسْتَخْلِفَكُمْ﴾ يقول: يجعلكم تخلفونهم في أرضهم بعد هلاكهم، لا تخافونهم ولا أحداً من الناس غيرهم ﴿فَيَنْظُرَ كَيفَ تَعْمَلُونَ﴾ يقول: فيرى ربكم ما تعملون بعدهم من مسارعتكم في طاعته وتثاقلكم عنها.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ولقد اختبرنا قوم فرعون وأتباعه على ما هم عليه من الضلالة بالسِّنين،

يقول: بالجدوب سنة بعد سنة والقحوط. يقال منه: أسْنَتَ القوم: إذا أجدبوا. ﴿**وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمراتِ**﴾ يقول: واختبرناهم مع الجدوب بذهاب ثمارهم وغلاتهم إلا القليل. ﴿**لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ**﴾ يقول: عظة لهم وتذكيراً لهم، ليتزجروا عن ضلالتهم ويفزعوا إلى ربهم بالتوبة.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا يحيى بن آدم، عن شريك، عن أبي إسحاق، عن أبي عبيدة، عن عبد الله: ﴿**وَلَقَدْ أَخَذْنا آلَ فِرْعَوْنَ بالسِّنِينَ**﴾ قال: سني الجوع.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: ﴿**بالسِّنِينَ**﴾ الجائحة. ﴿**وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ**﴾ دون ذلك.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

حدثني القاسم بن دينار، قال: ثنا عبيد الله بن موسى، عن شيبان، عن أبي إسحاق، عن رجاء بن حيوة في قوله: ﴿**وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ**﴾ قال: حيث لا تحمل النخلة إلا تمرة واحدة.

حدثني ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن رجاء بن حيوة، عن كعب قال: يأتي على الناس زمان لا تحمل النخلة إلا تمرة.

حدثني المثنى، قال: ثنا الحماني، قال: ثنا شريك، عن أبي إسحاق، عن رجاء بن حيوة: ﴿**وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ**﴾ قال: يأتي على الناس زمان لا تحمل النخلة إلا تمرة.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وَلَقَدْ أَخَذْنا آلَ فِرْعَوْنَ بالسِّنِينَ**﴾: أخذهم الله بالسنين بالجوع عاماً فعاماً. ﴿**وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ**﴾ فأما السنين فكان ذلك في باديتهم وأهل مواشيهم، وأما بنقص من الثمرات فكان ذلك في أمصارهم وقراهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٣١)﴾.

يقول تعالى ذكره: فإذا جاءت آل فرعون العافية والخصب والرخاء وكثرة الثمار، ورأوا ما يحبون في دنياهم ﴿قالُوا لَنا هَذِهِ﴾ نحن أولى بها. ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ يعني جدوب وقُحوط وبلاء، ﴿يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ﴾ يقول: يتشاءموا بهم ويقولوا: ذهبت حظوظنا وأنصباؤنا من الرخاء والخصب والعافية، مذ جاءنا موسى عليه السلام.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿فإذَا جاءَتْهُمُ الحَسَنَةُ﴾ العافية والرخاء، ﴿قالُوا لَنا هَذِهِ﴾ نحن أحقّ بها. ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ بلاء وعقوبة، ﴿يَطَّيَّرُوا﴾ يتشاءموا ﴿بِمُوسَى﴾.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد بنحوه.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿فإذَا جاءَتْهُمُ الحَسَنَةُ قالُوا لَنا هَذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ﴾ قالوا: ما أصابنا هذا إلا بك يا موسى وبمن معك، ما رأينا شرّاً ولا أصابنا حتى رأيناك. وقوله: ﴿فإذَا جاءَتْهُمُ الحَسَنَةُ قالُوا لَنا هَذِهِ﴾ قال: الحسنة: ما يحبون وإذا كان ما يكرهون، قالوا: ما أصابنا هذا إلا بشؤم هؤلاء الذين ظلموا قال قوم صالح: ﴿اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ﴾ فقال الله: ﴿إنَّمَا طائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾.

القول في تأويل قوله: ﴿ألاَ إنَّما طائِرُهُمْ عندَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾.

يقول تعالى ذكره: ألا ما طائر آل فرعون وغيرهم، وذلك أنصباؤهم من الرخاء والخصب وغير ذلك من أنصباء الخير والشرّ إلا عند الله. ولكن أكثرهم لا يعلمون أن ذلك كذلك، فلجهلهم بذلك كانوا يطَّيرون بموسى ومن معه.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس: ﴿ألاَ إنَّمَا طائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ يقول: مصائبهم عند الله، قال الله: ﴿وَلَكِنَّ أكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾.

حدثني القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج قال: قال ابن عباس: ﴿**أَلاَ إِنَّمَا طائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ**﴾ قال: الأمر من قِبَل الله.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وقال آل فرعون لموسى: يا موسى مهما تأتنا به من علامة ودلالة لتسحرنا، يقول: لتلفتنا بها عما نحن عليه من دين فرعون، ﴿**فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ**﴾ يقول: فما نحن لك في ذلك بمصدّقين على أنك محقّ فيما تدعونا إليه. وقد دللنا فيما مضى على معنى السحر بما أغنى عن إعادته.

وكان ابن زيد يقول في معنى: ﴿**مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ**﴾ ما:

حدثني يونس، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿**مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ**﴾ قال: إن ما تأتنا به من آية، وهذه فيها زيادة «ما».

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾﴾.

اختلف أهل التأويل في معنى الطوفان، فقال بعضهم: هو الماء.

ذكر من قال ذلك:

حدثني ابن وكيع، قال: ثنا حَبَوية الرازي، عن يعقوب القُمي، عن جعفر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: لما جاء موسى بالآيات، كان أوّل الآيات الطوفان، فأرسل الله عليهم السماء.

حدثنا أبو هشام الرفاعي، قال: ثنا ابن يمان، قال: ثنا سفيان، عن إسماعيل، عن أبي مالك، قال: الطوفان: الماء.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا المحاربي، عن جويبر، عن الضحاك، قال: الطُّوفان: الماء.

قال: ثنا جابر بن نوح، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس، قال: الطوفان: الغرق.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قال: الطوفان الماء والطاعون على كلّ حال.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: الطوفان الموت على كلّ حال.

حدثنا محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: الطوفان: الماء.

وقال آخرون: بل هو الموت.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو هشام الرفاعي، قال: ثنا يحيى بن يمان، قال: ثنا المنهال بن خليفة، عن الحجاج، عن الحَكَم بن ميناء، عن عائشة، قالت: قال رسول الله ﷺ «**الطُّوفانُ المَوْتُ**».

حدثني عباس بن محمد، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، قال: سألت عطاء ما الطوفان؟ قال: الموت.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عبد الله بن رجاء، عن ابن جريج، عن عطاء عمن حدّثه، عن مجاهد، قال: الطوفان: الموت.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن عبد الله بن كثير: ﴿**فَأَرْسَلْنا عَلَيهِمُ الطوفانَ**﴾ قال: الموت. قال ابن جريج: وسألت عطاء عن الطوفان، قال: الموت. قال ابن جريج: وقال مجاهد: الموت على كلّ حال[1].

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا يحيى بن يمان، عن المنهال بن خليفة، عن حجاج، عن رجل، عن عائشة، عن النبيّ ﷺ قال: «**الطوفانُ المَوْتُ**».

وقال آخرون: بل ذلك كان أمراً من الله طاف بهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا جرير، عن قابوس بن أبي ظَبْيان، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿**فَأَرْسَلْنا عَلَيهِمُ الطوفانَ**﴾ قال: أمر الله الطوفان، ثم قال: ﴿**فَطافَ عَلَيْها طائفٌ مِن رَبِّكَ وَهُمْ نائمُونَ**﴾.

---

(١) المراد بقوله «على كل حال»: أي بالغرق أو الوباء أو نحوهما مما يعمهم.

وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة، يزعم أن الطوفان من السيل البُعاق والدُّباش، وهو الشديد، ومن الموت المتتابع الذريع السريع. وقال بعضهم: هو كثرة المطر والريح. وكان بعض نحويّي الكوفيين يقول: الطوفان مصدر مثل الرُّجْحان والنُّقْصان لا يجمع. وكان بعض نحويي البصرة يقول: هو جمع، واحدها في القياس: الطوفانة.

والصواب من القول في ذلك عندي، ما قاله ابن عباس على ما رواه عنه أبو ظَبْيان أنه أمر من الله طاف بهم، وأنه مصدر من قول القائل: طاف بهم أمر الله يطوف طوفاناً، كما يقال: نقص هذا الشيء ينقص نُقْصاناً. وإذا كان ذلك كذلك، جاز أن يكون الذي طاف بهم المطر الشديد، وجاز أن يكون الموت الذريع. ومن الدلالة على أن المطر الشديد قد يسمى طوفاناً قول الحسن بن عرفطة:

غَيَّرَ الجِدَّةَ مِنْ آياتِهَا خُرُقُ الرِّيحِ وَطُوفانُ المَطَرْ[1]

ويروى: «خُرُق الريح بطوفان المطر» وقول الراعي:

تُضْحِي إذا العِيسُ أدْرَكنا نَكائِثَها خَرْقاءَ يَعْتادُها الطوفانُ والزُّؤُدُ[2]

وقول أبي النجم:

قَدْ مَدَّ طُوفانٌ فَبَثَّ مَدَدَا شَهْراً شَآبِيبَ وشَهْراً بَرَدَا[3]

وأما القُمَّل، فإن أهل التأويل اختلفوا في معناه، فقال بعضهم: هو السوس الذي يخرج من الحنطة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا جرير، عن يعقوب القُمّي، عن جعفر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: القُمَّل: هو السوس الذي يخرج من الحنطة.

---

(١) البيت في «اللسان»: طوف ولم ينسبه، وخرق الريح: اشتداد هبوبها، يقال: خرقت الريح من بابي ظرف وفرح، فهي خرقاء. والخرق بضمتين: ضد الرفق، وأصله بسكون الراء: اسم من خرق يخرق خرقاً فهو أخرق: إذا حمق وجهل وطوفان المطر: المطر الغالب، الذي يغرق من كثرته. يريد أن الذي غير معالم هذه الدار ومحاها شيئان: شدة هبوب الريح، ثم دوام تهطال المطر عليها.

(٢) البيت في «اللسان»: (زأد) كرواية المؤلف. وفي (نكث) ونسبه للراعي في وصف ناقته. وفيه: «مسى» في مكان «تضحى» قال: ويقال: بلغت نكيثة البعير: أي أقصى مجهوده في السير. والخرقاء هنا: التي لا تحسن السير أو لا قدرة لها عليه. والطوفان: لعله هنا العرق الكثير. والزؤد بسكون الهمزة وضمها مع ضم الزاي: الفزع. يريد أن ناقته تضحى أو تمسك غير قادرة على السير، يغمرها العرق والفزع، على حين أن غيرها من الإبل قد اشتد في سيره، وبلغنا أقصى مجهوده.

(٣) الطوفان: المطر الغزير المغرق. والشآبيب: جمع شؤبوب، وهو الدفقة من المطر. والبرد بالتحريك: ما جمد من المطر، ويسمى حب الغمام.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب، عن جعفر، عن سعيد بنحوه.

وقال آخرون: بل هو الدبى، وهو صغار الجراد الذي لا أجنحة له.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قال: القمل: الدَّبى.

حدثني موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو بن حماد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قال: الدَّبي: القُمَّل.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: القمل: هو الدبى.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: القمل: الدَّبى.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، قال: ثنا معمر، عن قتادة، قال: القمل: هي الدَّبَى، وهي أولاد الجراد.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا جابر بن نوح، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس، قال: القمل: الدبى.

قال: ثنا يحيى بن آدم، عن قيس عمن ذكره، عن عكرمة، قال: القمل: بنات الجراد.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي عن أبيه، عن ابن عباس، قال: القمل: الدّبى.

وقال آخرون: بل القمل: البراغيث.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**فأَرْسَلْنا عَلَيهِمْ الطوفانَ والجَرَادَ والقُمَّلَ**﴾ قال: زعم بعض الناس في القمل أنها البراغيث.

وقال بعضهم: هي دوابّ سود صغار.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن أبي بكر، قال: سمعت سعيد بن جبير والحسن قالا: القمل: دوابّ سود صغار.

وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يزعم أن القمل عند العرب: الحمنان، والحمنان: ضرب من القردان واحدتها: حنانة فوق القمقامة.

والقمل جمع واحدتها قُملة، وهي دابّة تشبه القمل تأكلها الإبل فيما بلغني، وهي التي عناها الأعشىٰ في قوله:

قـوم يـعـالـج قـمـلاً أبـنـاؤهـم ... وسـلاسـلاً أجـداً وبـابـا مـؤصـداً[1]

وكان الفرّاء يقول: لم أسمع فيه شيئاً، فإن لم يكن جمعاً فواحده قامل، مثل ساجد وراكع، وإن يكن اسماً على معنى جمع، فواحدته: قمّلة.

ذكر المعاني التي حدثت في قوم فرعون بحدوث هذه الآيات والسبب الذي من أجله أحدثها الله فيهم

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب القُمي، عن جعفر بن المغيرة، عن سعيد بن جبير، قال: لما أتى موسى فرعون، قال له: أرسل معي بني إسرائيل فأبى عليه، فأرسل الله عليهم الطوفان، وهو المطر، فصبّ عليهم منه شيئاً، فخافوا أن يكون عذاباً، فقالوا لموسى: ادع لنا ربك، لئن كشفت عنا الرجز لنؤمننّ لك، ولنرسلنّ معك بني إسرائيل فدعا ربه، فلم يؤمنوا، ولم يرسلوا معه بني إسرائيل. فأنبت لهم في تلك السنة شيئاً لم ينبته قبل ذلك من الزرع والثمر والكلإ، فقالوا: هذا ما كنا نتمنى فأرسل الله عليهم الجراد، فسلّطه على الكلإ. فلما رأوا أثره في الكلإ عرفوا أنه لا يبقى الزرع، فقالوا: يا موسى ادع لنا ربك فيكشف عنا الجراد، فنؤمن لك، ونرسل معك بني إسرائيل فدعا ربه، فكشف عنهم الجراد، فلم يؤمنوا، ولم يرسلوا معه بني إسرائيل، فداسوا وأحرزوا في البيوت، فقالوا: قد أحرزنا. فأرسل الله عليهم القمل، وهو السوس الذي يخرج منه، فكان الرجل يخرج عشرة أجربة إلى الرحى، فلا يردّ منها ثلاثة أقفزة، فقالوا: يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا القمل، فنؤمَن لك، ونرسل معك بني إسرائيل فدعا ربه، فكشف عنهم، فأبوا أن يرسلوا معه بني إسرائيل. فبينا هو جالس عند فرعون إذ سمع نقيق ضفدع، فقال

---

(١) البيت في ديوان الأعشى أبي بصير طبعة القاهرة بشرح الدكتور محمد حسني (ص ـ ٢٣١)، وفي «**لسان العرب**»: قمل. والرواية فيهما بنصب «قوما». وقبل البيت:

لَـسْـنَـا كَـمَـنْ جَـعَـلَـتْ إيَـادٌ دَارَهـا ... تَـكْـرِيـتَ تَـنْـظُـر حَـبَّـهـا أنْ يُـحْـصَـدَا

الكاف هنا بمعنى مثل، وقوما بالنصب بدل منها، أو خبر بعد خبر لليس. يريد بهذا البيت: لسنا كإياد حرائين أذلاء، قد اتخذوا تكريت مقاما لهم، فهم لاصقون بأرضهم ينتظرون حصاد الحب. وينشأ أبناؤهم خاملين، يتشاغلون بقتل القمل المنتشر في أبدانهم، وقد أوثقوا بالسلاسل المتينة الغليظة، وغلقت دونهم أبواب مدينتهم، من خوف أعدائهم، يعتز ببداوته وأنه لا يعاني ما يعانيه أهل الحضر من الزراعة وما يتبعها.

لفرعون: ما تلقى أنت وقومك من هذا؟ فقال: وما عسى أن يكون كيد هذا؟ فما أمسوا حتى كان الرجل يجلس إلى ذقنه في الضفادع، ويهمّ أن يتكلم فتثب الضفادع في فيه، فقالوا لموسى: ادع لنا ربك يكشف عنا هذه الضفادع، فنؤمن لك، ونرسل معك بني إسرائيل فكشف عنهم فلم يؤمنوا فأرسل الله عليهم الدم، فكان ما استقوا من الأنهار والآبار، أو ما كان في أوعيتهم وجدوه دماً عبيطاً، فشكوا إلى فرعون فقالوا: إنا قد ابتلينا بالدم، وليس لنا شراب. فقال: إنه قد سحركم. فقالوا: من أين سحرنا ونحن لا نجد في أوعيتنا شيئاً من الماء إلاّ وجدناه دماً عبيطاً؟ فأتوه فقالوا: يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا هذا الدم، فنؤمن لك، ونرسل معك بني إسرائيل فدعا ربه، فكشف عنهم، فلم يؤمنوا، ولم يرسلوا معه بني إسرائيل.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا حبوية الرازي، عن يعقوب القمي، عن جعفر، عن ابن عباس، قال: لما خافوا الغرق، قال فرعون: يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا هذا المطر فنؤمن لك، ثم ذكر نحو حديث ابن حميد، عن يعقوب.

حدثنا موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو بن حماد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قال: ثم إن الله أرسل عليهم، يعني على قوم فرعون الطوفان، وهو المطر، فغرق كلّ شيء لهم، فقالوا: يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا، ونحن نؤمن لك، ونرسل معك بني إسرائيل فكشف الله عنهم ونبتت به زروعهم، فقالوا: ما يسرّنا أنا لم نمطرَ. فبعث الله عليهم الجراد، فأكل حروثهم، فسألوا موسى أن يدعوَ ربه فيكشفه ويؤمنوا به. فدعا فكشفه، وقد بقي من زروعهم بقية، فقالوا: لِمَ تؤمنون وقد بقي من زرعنا بقيّة تكفينا؟ فبعث الله عليهم الدَّبَى، وهو القمل، فلحس الأرض كلها، وكان يدخل بين ثوب أحدهم وبين جلده فيعضّه، وكان لأحدهم الطعام فيمتلىء دبى، حتى إن أحدهم ليبني الإسطوانة بالجصّ فيزلقها، حتى لا يرتقي فوقها شيء، يرفع فوقها الطعام، فإذا صعد إليه ليأكله وجده ملآن دبى، فلم يصابوا ببلاء كان أشدّ عليهم من الدبى، وهو الرجز الذي ذكر الله في القرآن أنه وقع عليهم. فسألوا موسى أن يدعو ربه، فيكشف عنهم، ويؤمنوا به. فلما كشف عنهم أبوا أن يؤمنوا، فأرسل الله عليهم الدم، فكان الإسرائيلي يأتي هو والقبطي يستقيان من ماء واحد، فيخرج ماء هذا القبطي دماً، ويخرج للإسرائيلي ماء. فلما اشتدّ ذلك عليهم سألوا موسى أن يكشفه ويؤمنوا به، فكشف ذلك، فأبوا أن يؤمنوا، وذلك حين يقول الله: فَلَمَّا كَشَفْنا عَنْهُمُ العَذَابَ إذَا هُمْ يَنْكُثُونَ.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: **﴿فَأرْسَلْنا عَلَيْهِمُ الطُّوفانَ﴾** قال: أرسل الله عليهم الماء حتى قاموا فيه قياماً. ثم كشف عنهم، فلم يؤمنوا، وأخصبت بلادهم خصباً لم تخصب مثله. فأرسل الله عليه الجراد فأكله إلاّ قليلاً، فلم يؤمنوا

أيضاً. فأرسل الله القُمّل وهي الدبى، وهي أولاد الجراد، فأكلت ما بقي من زروعهم، فلم يؤمنوا. فأرسل عليهم الضفادع، فدخلت عليهم بيوتهم، ووقعت في آنيتهم وفرشهم، فلم يؤمنوا. ثم أرسل الله عليهم الدم، فكان أحدهم إذا أراد أن يشرب تحوّل ذلك الماء دماً، قال الله: ﴿آياتٍ مُفَصَّلاتٍ﴾.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد بن زريع، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمُ الطُّوفانَ﴾ حتى بلغ: ﴿مُجْرِمِينَ﴾ قال: أرسل الله عليهم الماء حتى قاموا فيه قياماً، فدعوا موسى فدعا ربه، فكشف عنهم، ثم عادوا بشرّ ما يحضر بهم، ثم أنبتت أرضهم. ثم أرسل الله عليهم الجراد، فأكل عامة حروثهم وثمارهم، ثم دعوا موسى فدعا ربه فكشف عنهم. ثم عادوا بشرّ ما يحضر بهم، فأرسل الله عليهم القُمّل، هذا الدبى الذي رأيتم، فأكل ما أبقى الجراد من حروثهم، فلحسه. فدعوا موسى، فدعا ربه، فكشفه عنهم، ثم عادوا بشرّ ما يحضر بهم. ثم أرسل الله عليهم الضفادع، حتى ملأت بيوتهم وأفنيتهم، فدعوا موسى، فدعا ربه فكشف عنهم. ثم عادوا بشرّ ما يحضر بهم، فأرسل الله عليهم الدم، فكانوا لا يغترفون من مائهم إلاّ دماً أحمر، حتى لقد ذكر أن عدوّ الله فرعون كان يجمع بين الرجلين على الإناء الواحد، القبطي والإسرائيلي، فيكون مما يلي الإسرائيلي ماء، ومما يلي القبطي دماً. فدعوا موسى، فدعا ربه، فكشفه عنهم في تسع آيات: السنين، ونقص من الثمرات، وأراهم يد موسى عليه السلام وعصاه.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس: ﴿فأَرْسَلْنا عَلَيْهِمُ الطُّوفانَ﴾ وهو المطر حتى خافوا الهلاك، فأتوْا موسى، فقالوا: يا موسى ادع لنا ربك أن يكشف عنا المطر، فإنا نؤمن لك، ونرسل معك بني إسرائيل فدعا ربه، فكشف عنهم المطر، فأنبت الله به حرثهم، وأخصب به بلادهم، فقالوا: ما نحبّ أنا لم نمطر بترك ديننا، فلن نؤمن لك ولن نرسل معك بني إسرائيل فأرسل الله عليهم الجراد، فأسرع في فساد ثمارهم وزروعهم، فقالوا: يا موسى ادع لنا ربك أن يكشف عنا الجراد، فإنا سنؤمن لك ونرسل معك بني إسرائيل فدعا ربه، فكشف عنهم الجراد، وكان قد بقي من زروعهم ومعاشهم بقايا، فقالوا: قد بقي لنا ما هو كافينا، فلن نؤمن لك ولن نرسل معك بني إسرائيل فأرسل الله عليهم القُمَّل، وهو الدبى، فتتبع ما كان ترك الجراد، فجزعوا وأحسوا بالهلاك، فقالوا: يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا الدبى، فإنا سنؤمن لك، ونرسل معك بني إسرائيل فدعا ربه، فكشف عنهم الدبى، فقالوا: ما نحن لك بمؤمنين ولا مرسلين معك بني إسرائيل. فأرسل الله عليهم الضفادع، فملأ بيوتهم منها، ولقوا منها أذى شديداً لم يلقوا مثله فيما كان قبله، إنها كانت تثب في قدورهم، فتفسد عليهم

طعامهم، وتطفىء نيرانهم، قالوا: يا موسى ادع لنا ربك أن يكشف عنا الضفادع، فقد لقينا منها بلاء وأذى، فإنا سنؤمن لك، ونرسل معك بني إسرائيل فدعا ربه، فكشف عنهم الضفادع، فقالوا: لا نؤمن لك، ولا نرسل معك بني إسرائيل. فأرسل الله عليهم الدم، فجعلوا لا يأكلون إلاَّ الدم، ولا يشربون إلاَّ الدم، فقالوا: يا موسى ادع لنا ربك أن يكشف عنا الدم، فإنا سنؤمن لك، ونرسل معك بني إسرائيل فدعا ربه فكشف عنهم الدم، فقالوا: يا موسى لن نؤمن لك ولن نرسل معك بني إسرائيل، فكانت آيات مفصَّلات بعضها على إثر بعض، ليكون لله عليهم الحجة، فأخذهم الله بذنوبهم، فأغرقهم في اليم.

حدثني عبد الكريم، قال: ثنا إبراهيم، قال: ثنا سفيان، قال: ثنا أبو سعد، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: أرسل على قوم فرعون الآيات: الجراد، والقُمَّل، والضفادع، والدم ﴿**آياتٍ مُفَصَّلاتٍ**﴾. قال: فكان الرجل من بني إسرائيل يركب مع الرجل من قوم فرعون في السفينة، فيغترف الإسرائيلي ماء، ويغترف الفرعوني دماً. قال: وكان الرجل من قوم فرعون ينام في جانب، فيكثر عليه القُمَّل والضفادع حتى لا يقدر أن ينقلب على الجانب الآخر. فلم يزالوا كذلك، حتى أوحى الله إلى موسى: أَنْ أَسْرِ بِعِبادِي إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قال: لما أتى موسى فرعون بالرسالة أبى أن يؤمن وأن يرسل معه بني إسرائيل، فاستكبر، قال: لن نرسل معك بني إسرائيل فأرسل الله عليهم الطوفان، وهو الماء، أمطر عليهم السماء حتى كادوا يهلكون وامتنع منهم كلّ شيء، فقالوا: يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا هذا لنؤمننّ لك، ولنرسلنّ معك بني إسرائيل، فدعا الله فكشف عنهم المطر، فأنبت الله لهم حروثهم، وأحيا بذلك المطر كلّ شيء من بلادهم، فقالوا: والله ما نحبّ أنا لم نكن أمطرنا هذا المطر، ولقد كان خيراً لنا، فلن نرسل معك بني إسرائيل، ولن نؤمن لك يا موسى. فبعث الله عليهم الجراد، فأكل عامَّة حروثهم، فأسرع الجراد في فسادها، فقالوا: يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا الجراد، فإنا مؤمنون لك، ومرسلون معك بني إسرائيل فكشف الله عنهم الجراد، وكان الجراد قد أبقى لهم من حروثهم بقية، فقالوا: قد بقي لنا من حروثنا ما كان كافينا، فما نحن بتاركي ديننا، ولن نؤمن لك، ولن نرسل معك بني إسرائيل فأرسل الله عليهم القُمَّل، والقمل: الدبى، وهو الجراد الذي ليست له أجنحة، فتتبع ما بقي من حروثهم وشجرهم وكلّ نبات كان لهم، فكان القمل أشدّ عليهم من الجراد. فلم يستطيعوا للقمل حيلة، وجزعوا من ذلك وأتوا موسى، فقالوا: يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا القمل، فإنه لم يُبْق لنا شيئاً، قد أكل ما بقي من حروثنا، ولئن كشفت عنا القُمَّل لنؤمننّ لك، ولنرسلنّ معك بني إسرائيل فكشف الله

عنهم القُمَّل فنكثوا، وقالوا: لن نؤمن لك، ولن نرسل معك بني إسرائيل. فأرسل الله عليهم الضفادع، فامتلأت منها البيوت، فلم يبق لهم طعام ولا شراب إلاَّ وفيه الضفادع، فلقوا منها شيئاً لم يلقوه فيما مضى، فقالوا: يا موسى ادع لنا ربك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمننّ لك، ولنرسلنّ معك بني إسرائيل قال: فكشف الله عنهم فلم يفعلوا، فأنزل الله: **﴿فَلَمَّا كَشَفْنا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلى أَجَلٍ هُمْ بالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾**... إلى: **﴿وكانُوا عَنْها غافِلِينَ﴾**.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا أبو تميلة، قال: ثنا الحسن بن واقد، عن زيد، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: كانت الضفادع برّية، فلما أرسلها الله على آل فرعون سمعت وأطاعت، فجعلت تغرق أنفسها في القدور وهي تغلي، وفي التنانير وهي تفور، فأثابها الله بحسن طاعتها بردَ الماء.

قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: فرجع عدوّ الله، يعني فرعون، حين آمنت السحرة مغلوباً مفلولاً، ثم أبى إلا الإقامة على الكفر والتماديَ في الشرّ، فتابع الله عليه بالآيات، وأخذه بالسنين، فأرسل عليه الطُّوفان، ثم الجراد، ثم القُمَّل، ثم الضفادع، ثم الدم **﴿آياتٍ مُفَصَّلاتٍ﴾**، فأرسل الطوفان، وهو الماء، ففاض على وجه الأرض، ثم ركد، لا يقدرون على أن يحرثوا، ولا يعملوا شيئاً، حتى جهدوا جوعاً فلما بلغهم ذلك، قالوا: يا موسى ادع لنا ربك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمننّ لك، ولنرسلنّ معك بني إسرائيل فدعا موسى ربه، فكشفه عنهم، فلم يفوا له بشيء مما قالوا. فأرسل الله عليهم الجراد، فأكل الشجر فيما بلغني، حتى إن كان ليأكل مسامير الأبواب من الحديد حتى تقع دورهم ومساكنهم، فقالوا مثل ما قالوا، فدعا ربه، فكشفه عنهم، فلم يفوا له بشيء مما قالوا. فأرسل الله عليهم القُمَّل، فذكر لي أن موسى أمر أن يمشي إلى كثيب حتى يضربه بعصاه، فمضى إلى كثيب أهيل عظيم، فضربه بها، فانثال عليهم قملاً حتى غلب على البيوت والأطعمة، ومنعهم النوم والقرار فلما جهدهم قالوا له مثل ما قالوا، فدعا ربه فكشفه عنهم، فلم يفوا له بشيء مما قالوا. فأرسل الله عليهم الضفادع، فملأت البيوت والأطعمة والآنية، فلا يكشف أحد ثوباً ولا طعاماً ولا إناءً إلاَّ وجد فيه الضفادع قد غلبت عليه. فلما جهدهم ذلك قالوا له مثل ما قالوا، فدعا ربه فكشفه عنهم، فلم يفوا له بشيء مما قالوا، فأرسل الله عليهم الدم، فصارت مياه آل فرعون دماً، لا يستقون من بئر ولا نهر، ولا يغترفون من إناء إلاَّ عاد دماً عبيطاً.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثنا محمد بن إسحاق، عن محمد بن كعب القرظي، أنه حدّث: أن المرأة من آل فرعون كانت تأتي المرأة من بني إسرائيل حين جهدهم العطش، فتقول: اسقيني من مائك فتغرف لها من جرتها، أو تصبّ لها من قربتها، فيعود في

الإناء دماً، حتى إن كانت لتقول لها: اجعليه في فيك ثم مجّيه في فيّ فتأخذ في فيها ماء، فإذا مجّته في فيها صار دماً، فمكثوا في ذلك سبعة أيام.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: الجراد يأكل زروعهم ونباتهم، والضفادع تسقط على فرشهم وأطعمتهم، والدم يكون في بيوتهم وثيابهم ومائهم وطعامهم.

قال: ثنا شبل، عن عبد الله بن كثير، عن مجاهد، قال: لما سال النيل دماً، فكان الإسرائيلي يستقي ماء طيباً، ويستقي الفرعوني دماً ويشتركان في إناء واحد، فيكون ما يلي الإسرائيلي ماء طيباً وما يلي الفرعوني دماً.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن أبي بكر، قال: ثني سعيد بن جبير: أن موسى لما عالج فرعون بالآيات الأربع: العصا، واليد، ونقص من الثمرات، والسنين، قال: يا ربّ إن عبدك هذا قد علا في الأرض، وعتا في الأرض، وبغى عليّ، وعلا عليك، وعالى بقومه، ربّ خذ عبدك بعقوبة تجعلها له ولقومه نقمة، وتجعلها لقومي عظة ولمن بعدي آية في الأمم الباقية فبعث الله عليهم الطوفان، وهو الماء، وبيوت بني إسرائيل وبيوت القبط مشتبكة مختلطة بعضها في بعض، فامتلأت بيوت القبط ماء، حتى قاموا في الماء إلى تراقيهم، من جلس منهم غرق، ولم يدخل في بيوت بني إسرائيل قطرة، فجعلت القبط تنادي: موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك، لئن كشفت عنا الرجز لنؤمننّ لك، ولنرسلنّ معك بني إسرائيل قال: فواثقوا موسى ميثاقاً أخذ عليهم به عهودهم، وكان الماء أخذهم يوم السبت، فأقام عليهم سبعة أيام إلى السبت الآخر، فدعا موسى ربه، فرفع عنهم الماء، فأعشبت بلادهم من ذلك الماء، فأقاموا شهراً في عافية، ثم جحدوا وقالوا: ما كان هذا الماء إلاّ نعمة علينا وخصباً لبلادنا، ما نحبّ أنه لم يكن قال: وقد قال قائل لابن عباس: إني سألت ابن عمر عن الطُّوفان، فقال: ما أدري موتاً كان أو ماء. فقال ابن عباس: أما يقرأ ابن عمر سورة العنكبوت حين ذكر الله قوم نوح فقال: فَأَخَذَهُمُ الطوفانُ وَهُمْ ظالِمُونَ أرأيت لو ماتوا إلى من جاء موسى عليه السلام بالآيات الأربع بعد الطوفان؟ قال: فقال موسى: يا ربّ إن عبادك قد نقضوا عهدك، وأخلفوا وعدي، ربّ خذهم بعقوبة تجعلها لهم نقمة، ولقومي عظة، ولمن بعدهم آية في الأمم الباقية قال: فبعث الله عليهم الجراد فلم يدع لهم ورقة ولا شجرة ولا زهرة ولا ثمرة إلاّ أكلها، حتى لم يُبق جَنىً. حتى إذا أفنى الخضر كلها أكل الخشب، حتى أكل الأبواب، وسقوف البيوت وابتلى الجراد بالجوع، فجعل لا يشبع، غير أنه لا يدخل بيوت بني إسرائيل. فعجوا وصاحوا إلى موسى، فقالوا: يا موسى هذه المرّة ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز، لنؤمننّ لك، ولنرسلنّ معك بني إسرائيل

فأعطوه عهد الله وميثاقه، فدعا لهم ربه، فكشف الله عنهم الجراد بعد ما أقام عليهم سبعة أيام، من السبت إلى السبت. ثم أقاموا شهراً في عافية، ثم عادوا لتكذيبهم ولإنكارهم، ولأعمالهم أعمال السوء، قال: فقال موسى: يا ربّ عبادك قد نقضوا عهدي وأخلفوا موعدي، فخذهم بعقوبة تجعلها لهم نقمة، ولقومي عظة، ولمن بعدي آية في الأمم الباقية فأرسل الله عليهم القُمَّل قال أبو بكر: سمعت سعيد بن جبير والحسن يقولان: كان إلى جنبهم كثيب أعفر بقرية من قُرى مصر تدعى عين شمس، فمشى موسى إلى ذلك الكثيب، فضربه بعصاه ضربة صار قملاً تدبّ إليهم، وهي دوابّ سود صغار، فدبّ إليهم القُمَّل، فأخذ أشعارهم وأبشارهم وأشفار عيونهم وحواجبهم، ولزم جلودهم، كأنه الجدريّ عليهم، فصرخوا وصاحوا إلى موسى: إنا نتوب ولا نعود، فادع لنا ربك فدعا ربه فرفع عنهم القُمَّل بعد ما أقام عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت، فأقاموا شهراً في عافية، ثم عادوا وقالوا: ما كنا قطّ أحقّ أن نستيقن أنه ساحر منا اليوم، جعل الرمل دوابّ، وعزّة فرعون لا نصدّقه أبداً ولا نتبعه فعادوا لتكذيبهم وإنكارهم، فدعا موسى عليهم، فقال: يا ربّ إن عبادك نقضوا عهدي، وأخلفوا وعدي، فخذهم بعقوبة تجعلها لهم نقمة، ولقومي عظة، ولمن بعدي آية في الأمم الباقية فأرسل الله عليهم الضفادع، فكان أحدهم يضطجع، فتركبه الضفادع، فتكون عليه ركاماً، حتى ما يستطيع أن ينصرف إلى الشقّ الآخر، ويفتح فاه لأكلته، فيسبق الضفدع أكلته إلى فيه، ولا يعجن عجيناً إلاّ تشدّخت فيه، ولا يطبخ قدراً إلاّ امتلأت ضفادع. فعذّبوا بها أشدّ العذاب، فشكوا إلى موسى عليه السلام، وقالوا: هذه المرّة نتوب ولا نعود. فأخذ عهدهم وميثاقهم، ثم دعا ربه، فكشف الله عنهم الضفادع بعد ما أقام عليهم سبعاً من السبت إلى السبت، فأقاموا شهراً في عافية ثم عادوا لتكذيبهم وإنكارهم، وقالوا: قد تبين لكم سحره، ويجعل التراب دوابّ، ويجيء بالضفادع في غير ماء فآذوا موسى عليه السلام، فقال موسى: يا ربّ إن عبادك نقضوا عهدي، وأخلفوا وعدي، فخذهم بعقوبة تجعلها لهم عقوبة، ولقومي عظة، ولمن بعدي آية في الأمم الباقية فابتلاهم الله بالدم، فأفسد عليهم معايشهم، فكان الإسرائيلي والقبطي يأتيان النيل فيستقيان، فيخرج للإسرائيلي ماء، ويخرج للقبطي دماً، ويقومان إلى الحُبّ فيه الماء، فيخرج للإسرائيلي في إنائه ماء، وللقبطي دماً.

حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا ابن سعد، قال: سمعت مجاهداً، في قوله: ﴿**فأرْسَلْنا عَلَيْهِمُ الطوفانَ**﴾ قال: الموت والجراد. قال: الجراد يأكل أمتعتهم وثيابهم ومسامير أبوابهم، والقُمَّل هو الدبى، سلطه الله عليهم بعد الجراد. قال: والضفادع تسقط في أطعمتهم التي في بيوتهم وفي أشربتهم.

وقال بعضهم: الدم الذي أرسله الله عليهم كان رُعافاً.

ذكر من قال ذلك.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا أحمد بن خالد، قال: ثنا يحيى بن أبي بكير، قال: ثنا زهير، قال: قال زيد بن أسلم: أما القُمَّل فالقَمْل وأما الدم: فسلط عليهم الرعاف.

وأما قوله: ﴿آياتٍ مُفَصَّلاتٍ﴾ فإن معناه: علامات ودلالات على صحة نبوّة موسى، وحقية ما دعاهم إليه مفصلات، قد فُصِل بينها، فجعل بعضها يتلو بعضاً، وبعضها في إثر بعض.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قال: فكانت آيات مفصلات بعضها في إثر بعض، ليكون لله الحجة عليهم، فأخذهم الله بذنوبهم فأغرقهم في اليم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قوله: ﴿آياتٍ مُفَصَّلاتٍ﴾ قال: يتبع بعضها بعضاً ليكون لله الحجة عليهم، فينتقم منهم بعد ذلك. وكانت الآية تمكث فيهم من السبت إلى السبت، وترتفع عنه شهراً، قال الله عزّ وجلّ: ﴿فانْتَقَمْنا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْناهُمْ فِي اليَمّ...﴾ الآية.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: قال ابن إسحاق: ﴿آياتٍ مُفَصَّلاتٍ﴾: أي آية بعد آية يتبع بعضها بعضاً.

وكان مجاهد يقول فيما ذكر عنه في معنى المفصَّلات، ما:

حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا أبو سعد، قال: سمعت مجاهداً يقول في ﴿آيات مفصلات﴾، قال: معلومات.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فاسْتَكْبَرُوا وكانُوا قَوْماً مُجْرِمِينَ﴾.

يقول تعالى ذكره: فاستكبر هؤلاء الذين أرسل الله عليهم ما ذكر في هذه الآيات من الآيات والحجج عن الإيمان بالله، وتصديق رسوله موسى ﷺ، واتباعه على ما دعاهم إليه، وتعظموا على الله وعتوا عليه ﴿وكانُوا قَوْماً مُجْرِمِينَ﴾ يقول: كانوا قوماً يعملون بما يكرهه الله من المعاصي والفسق عتوّاً وتمرّداً.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَٰمُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ولما وقع عليهم الرجز، ولما نزل بهم عذاب الله، وحلّ بهم سخطه.

ثم اختلف أهل التأويل في ذلك الرجز الذي أخبر الله أنه وقع بهؤلاء القوم، فقال بعضهم: كان ذلك طاعوناً.

ذكر من قال ذلك.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب القمي، عن جعفر بن المغيرة، عن سعيد بن جبير، قال: وأمر موسى قومه من بني إسرائيل، وذلك بعد ما جاء قومَ فرعون بالآيات الخمس الطوفان، وما ذكر الله في هذه الآية، فلم يؤمنوا ولم يرسلوا معه بني إسرائيل، فقال: ليذبح كلّ رجل منكم كبشاً، ثم ليخضب كفه في دمه، ثم ليضرب به على بابه، فقالت القبط لبني إسرائيل: لم تجعلون هذا الدم على أبوابكم؟ فقالوا: إن الله يرسل عليكم عذاباً فنسلم وتهلكون، فقالت القبط: فما يعرفكم الله إلاّ بهذه العلامات؟ فقالوا: هكذا أمرنا به نبينا. فأصبحوا وقد طعن من قوم فرعون سبعون ألفاً، فأمسوا وهم لا يتدافنون، فقال فرعون عند ذلك: **﴿ادْعُ لَنا رَبَّكَ بِما عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجزَ﴾** وهو الطاعون، **﴿لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إسْرَائِيلَ﴾** فدعا ربه فكشفه عنهم، فكان أوفاهم كلهم فرعون، فقال لموسى: اذهب ببني إسرائيل حيث شئت

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا حبّويه الرازي، وأبو داود الحفري، عن يعقوب، عن جعفر، عن سعيد بن جبير قال حبويه: عن ابن عباس: **﴿لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ﴾** قال: الطاعون.

وقال آخرون: هو العذاب.

ذكر من قال ذلك.

حدثني محمد بن عمرو قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: الرجز العذاب.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثني بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿فَلَمَّا كَشَفْنا عَنْهُمُ الرِّجْزَ﴾** أي العذاب.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، قال: ثنا معمر، عن قتادة: ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ﴾ يقول: العذاب.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ﴾ قال: الرجز: العذاب الذي سلّطه الله عليهم من الجراد والقُمّل وغير ذلك، وكلّ ذلك يعاهدونه ثم ينكثون.

وقد بيّنا معنى الرجز فيما مضى من كتابنا هذا بشواهده المغنية عن إعادتها.

وأولى القولين بالصواب في هذا الموضع أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر عن فرعون وقومه أنهم لما وقع عليهم الرجز، وهو العذاب والسخط من الله عليهم، فزعوا إلى موسى بمسألته ربه كشف ذلك عنهم وجائز أن يكون ذلك الرجز كان الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم، لأن كل ذلك كان عذاباً عليهم، وجائز أن يكون ذلك الرجز كان طاعوناً. ولم يخبرنا الله أيّ ذلك كان، ولا صحّ عن رسول الله ﷺ بأيّ ذلك كان خبر فنسلم له.

فالصواب أن نقول فيه كما قال جلّ ثناؤه: ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ﴾ ولا نتعدّاه إلاّ بالبيان الذي لا تمانع فيه بين أهل التأويل، وهو لما حلّ بهم عذاب الله وسخطه، ﴿قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ﴾ يقول: بما أوصاك وأمرك به، وقد بينا معنى العهد فيما مضى ﴿لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ﴾ يقول: لئن رفعت عنا العذاب الذي نحن فيه، ﴿لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ﴾ يقول: لنصدقنّ بما جئت به ودعوت إليه ولنقرّنّ به لك، ﴿وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ يقول: ولنخلينّ معك بني إسرائيل فلا نمنعهم أن يذهبوا حيث شاءوا.

القول في تأويل قوله تعالى﴾:

﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُم بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فدعا موسى ربه، فأجابه، فلما رفع الله عنهم العذاب الذي أنزله بهم ﴿إِلَى أَجَلٍ هُمْ بالِغُوهُ﴾ ليستوفوا عذاب أيامهم التي جعلها الله لهم من الحياة أجلاً إلى وقت هلاكهم، ﴿إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾ يقول: إذا هم ينقضون عهودهم التي عاهدوا ربهم وموسى، ويقيمون على كفرهم وضلالهم.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله تعالى: ﴿إِلَى أَجَلٍ هُمْ بالِغُوهُ﴾ قال: عدد مسمى لهم من أيامهم.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، نحوه.

حدثني موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو بن حماد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: **﴿فَلَمَّا كَشَفْنا عَنهُمُ الرِّجْزَ إلى أجَلٍ هُمْ بالِغُوهُ إذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾** قال: ما أُعطُوا من العهود، وهو حين يقول الله: **﴿وَلَقَدْ أخَذْنا آلَ فِرْعَوْنَ بالسِّنِينَ﴾** وهو الجوع، **﴿وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَراتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾**.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فلما نكثوا عهودهم، انتقمنا منهم، يقول: انتصرنا منهم بإحلال نقمتنا بهم وذلك عذابه فأغرقناهم في اليمّ، وهو البحر، كما قال ذو الرُّمَّة:

داوِيَّةٌ وَدُجَى لَيْلٍ كأَنَّهُما ... يَمٌّ تَراطَنُ فِي حافاتِهِ الرُّومُ[(١)]

وكما قال الراجز:

كَباذِخِ اليَمّ سَقاهُ اليَمّ[(٢)]

﴿بأنَّهُمْ كَذَّبُوا بآياتِنا﴾ يقول: فعلنا ذلك بهم، بتكذيبهم بحججنا وأعلامنا التي أريناهموها. **﴿وكانُوا عَنها غافِلِينَ﴾** يقول: وكانوا عن النقمة التي أحللناها بهم غافلين قبل حلولها بهم أنها بهم حالة. والهاء والألف في قوله: «عَنها» كناية من ذكر النقمة، فلو قال قائل: هي كناية من ذكر الآيات، ووجه تأويل الكلام إلى: وكانوا عنها معرضين فجعل إعراضهم عنها غفولاً منهم إذ لم يقبلوها، كان مذهباً يقال من الغفلة، غَفَل الرجل عن كذا يَغْفُل عنه غَفْلة وغُفُولاً وغَفلاً.

---

(١) هذا البيت الخامس والثلاثون في قصيدة ذي الرمة المشهورة التي مطلعها: «أأن توسمت من خرقاء منزلة». والداوية، ويروى الدوية: الفلاة. و اليم: البحر. والدجى: جمع دجية، وهي الظلمة. والرطانة: كلام العجم والروم وما ليس بعربي من اللغات. وحافاته: جوانبه، شبه البرية وما تراكم عليه من سواد الليل بالبحر وأمواجه.

(٢) هذا البيت للعجاج، هو الرابع والعشرون من أرجوزة له يذكر فيها مسعود بن عمر العتكي من الأزد (ديوانه طبع ليبسج سنة ١٩٠٣ ص ـ ٦٣) والباذخ: العالي، يقال: شرف باذخ واليم: يطلق على البحر الملح، كما يطلق على النهر الكبير العذب، كنهر النيل.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وأورثنا القوم الذين كان فرعون وقومه يستضعفونهم، فيذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم، ويستخدمونهم تسخيراً واستعباداً من بني إسرائيل، مشارق الأرض الشأم، وذلك ما يلي الشرق منها، ومغاربها التي باركنا فيها، يقول: التي جعلنا فيها الخير ثابتاً دائماً لأهلها. وإنما قال جلّ ثناؤه: ﴿وأوْرَثْنا﴾ لأنه أورث ذلك بني إسرائيل، بمهلك من كان فيها من العمالقة.

وبمثل الذي قلنا في قوله: ﴿مَشارِقَ الأرْضِ وَمَغارِبَها﴾ قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا يحيى بن يمان، عن إسرائيل، عن فُرات القزّاز، عن الحسن، في قوله: ﴿وأوْرَثْنا القَوْمَ الَّذِينَ كانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشارِقَ الأرْضِ ومَغارِبَها التي بارَكْنا فِيها﴾ قال: الشأم.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا إسرائيل، عن فُرات القزاز، قال: سمعت الحسن يقول، فذكر نحوه.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا قبيصة، عن سفيان، عن فُرات القزاز، عن الحسن: الأرض التي باركنا فيها، قال: الشأم.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد بن زريع، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وأوْرَثْنا القَوْمَ الَّذِينَ كانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشارِقَ الأرْضِ ومَغارِبَها التي بارَكْنا فِيها﴾ هي أرض الشأم.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة، قوله: ﴿مَشارِقَ الأرْضِ وَمَغارِبَها التي بارَكْنا فيها﴾ قال: التي بارك فيها: الشأم.

وكان بعض أهل العربية يزعم أن مشارق الأرض ومغاربها نصب على المحلّ، يعني: وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون في مشارق الأرض ومغاربها، وأن قوله: ﴿وأوْرَثْنا﴾ إنما وقع على قوله: ﴿التي بارَكْنا فِيها﴾ وذلك قول لا معنى له، لأن بني إسرائيل لم يكن يستضعفهم أيام

فرعون غير فرعون وقومه، ولم يكن له سلطان إلاَّ بمصر، فغير جائز والأمر كذلك أن يقال: الذين يستضعفون في مشارق الأرض ومغاربها.

فإن قال قائل: فإن معناه: في مشارق أرض مصر ومغاربها فإن ذلك بعيد من المفهوم في الخطاب: مع خروجه عن أقوال أهل التأويل والعلماء بالتفسير.

وأما قوله: ﴿وَتمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الحُسْنَى﴾ فإنه يقول: وفي وعد الله الذي وعد بني إسرائيل بتمامه، على ما وعدهم من تمكينهم في الأرض، ونصره إياهم على عدوّهم فرعونَ. وكلمته الحسنى قوله جلّ ثناؤه: ﴿ونُرِيدُ أنْ نَمُنَّ على الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أئمَّةً وَنجْعَلَهُمُ الوَارِثِينَ ونُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهامانَ وَجُنُودَهُما مِنْهُمْ ما كانُوا يَحْذَرُونَ﴾.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك.

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: ﴿وَتمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الحُسْنَى عَلى بَنِي إسْرائِيلَ﴾ قال: ظهور قوم موسى على فرعون. و«تمكين الله لهم في الأرض»: وما ورّثهم منها.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد بنحوه.

وأما قوله: ﴿وَدَمَّرْنَا ما كانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ﴾ فإنه يقول: وأهلكنا ما كان فرعون وقومه يصنعونه من العمارات والمزارع. ﴿وما كانُوا يَعْرِشُونَ﴾ يقول: وما كانوا يبنون من الأبنية والقصور، وأخرجناهم من ذلك كله، وخرّبنا جميع ذلك. وقد بيّنا معنى التعريش فيما مضى بشواهده.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَما كانُوا يَعْرِشُونَ﴾ يقول: يبنون.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿يَعْرِشُونَ﴾ يبنون البيوت والمساكن ما بلغت، وكان عنبهم غير معروش.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

واختلفت القرأة في قراءة ذلك، فقرأته عامّة قرّاء الحجاز والعراق ﴿**يَعْرِشُونَ**﴾ بكسر الراء، سوى عاصم بن أبي النجود، فإنه قرأه بضمها. وهما لغتان مشهورتان في العرب، يقال: عرَش يعرِش ويعرُش، فإذا كان ذلك كذلك، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب لاتفاق معنى ذلك، وأنهما معروفان من كلام العرب، وكذلك تفعل العرب في فعَل إذا ردّته إلى الاستقبال، تضمّ العين منه أحياناً، وتكسره أحياناً. غير أن أحبّ القراءتين إليّ كسر الراء لشهرتها في العامّة وكثرة القراءة بها وأنها أصحّ اللغتين.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وقطعنا ببني إسرائيل البحر بعد الآيات التي أريناهموها والعبر التي عاينوها على يدي نبيّ الله موسى، فلم تزجرهم تلك الآيات ولم تعظهم تلك العبر والبينات حتى قالوا مع معاينتهم من الحجج ما يحقّ أن يذكر معها البهائم، إذ مرّوا على قوم يعكفون على أصنام لهم، يقومون على مثل لهم يعبدونها من دون الله، اجعل لنا يا موسى إلهاً، يقول: مثالاً نعبده وصنماً نتخذه إلهاً، كما لهؤلاء القوم أصنام يعبدونها، ولا تنبغي العبادة لشيء سوى الله الواحد القهار. وقال موسى صلوات الله عليه: إنكم أيها القوم قوم تجهلون عظمة الله وواجب حقه عليكم، ولا تعلمون أنه لا تجوز العبادة لشيء سوى الله الذي له ملك السماوات والأرض.

وذكر عن ابن جريج في ذلك ما:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج: ﴿**وَجاوَزْنا بِبَنِي إسْرَائِيلَ البَحْرَ فأتَوْا على قَوْمٍ يَعْكُفُونَ على أصْنام لَهُمْ**﴾ قال ابن جريج: ﴿**على أصنام لهم**﴾ قال: تماثيل بقر، فلما كان عجل السامريّ شبه لهم أنه من تلك البقر، فذلك كان أوّل شأن العجل ﴿**قالُوا يا مُوسَى اجْعَلْ لَنا إلَهاً كمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قال إنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ**﴾.

وقيل: إن القوْم الذين كانوا عكوفا على أصنام لهم، الذين ذكرهم الله في هذه الآية، قوم كانوا من لخم.

ذكر من قال ذلك.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا بشر بن عمرو، قال: ثنا العباس بن المفضل، عن أبي

العوّام، عن قتادة: ﴿فَأَتَوْا عَلى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ على أَصْنامٍ لَهُمْ﴾ قال: على لخم، وقيل: إنهم كانوا من الكنعانيين الذين أُمر موسى عليه السلام بقتالهم.

وقد حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن الزهري أن أبا واقد الليثي، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ قِبَل حنين، فمررنا بِسْدرَة، قلت: يا نبيّ الله اجعل لنا هذه ذات أنواط كما للكفار ذات أنواط وكان الكفار ينوطون سلاحهم بسدرة يعكفون حولها. فقال النبيّ ﷺ: «اللّهُ أَكْبَرُ هَذَا كَمَا قالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: ﴿اجْعَلْ لَنا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾، إنَّكُم سَتَرْكَبُونَ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ».

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن الزهريّ، عن سنان بن أبي سنان، عن واقد الليثي، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ قبل حنين، فمررنا بسدرة، فقلنا: يا نبيّ الله اجعل لنا هذه ذات أنواط، فذكر نحوه.

حدثني المثنى، قال: ثنا الحجاج، قال: ثنا حماد، عن محمد بن إسحاق، عن الزهري، عن سنان ابن أبي سنان، عن أبي واقد الليثي، عن رسول الله ﷺ نحوه.

حدثنا ابن صالح، قال: ثني الليث، قال: ثني عقيل، عن ابن شهاب، قال: أخبرني سنان بن أبي سنان الديلي، عن أبي واقد الليثي: أنهم خرجوا من مكة مع رسول الله ﷺ إلى حنين، قال: وكان للكفار سدرة يعكفون عندها ويعلقون بها أسلحتهم، يقال لها ذات أنواط قال: فمررنا بسدرة خضراء عظيمة، قال: فقلنا يا رسول الله: اجعل لنا ذات أنواط قال: «قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ما قالَ قَوْمُ مِوسَى: اجْعَلْ لَنا إلَها كمَا لَهُمْ آلِهَةٌ، قالَ إنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ أنَّها السُّنَنُ لَتَرْكَبُنَّ سُنَنَ مَنْ كانَ قَبْلَكُمْ».

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾﴾.

وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن قيل موسى لقومه من بني إسرائيل، يقول تعالى ذكره قال لهم موسى: إن هؤلاء العكوف على هذه الأصنام، الله مهلك ما هم فيه من العمل ومفسده، ومخسرهم فيه بإثابته إياهم عليه العذاب المهين، وباطل ما كانوا يعملون من عبادتهم إياها فمضمحلّ لأنه غير نافع عند مجيء أمر الله وحلوله بساحتهم، ولا مدافع عنهم بأس الله إذا نزل بهم، ولا منقذهم من عذابه إذا عذّبهم في القيامة، فهو في معنى ما لم يكن.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، وحدثني موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو بن حماد، قالا جميعاً: حدثنا أسباط، عن السديّ: **﴿إنَّ هَؤُلاءِ مُتَبَّرٌ ما هُمْ فِيهِ﴾** يقول: مهلك ما هم فيه.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: **﴿إنَّ هَؤُلاءِ مُتَبَّرٌ ما هُمْ فِيهِ﴾** يقول: خسران.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿إنَّ هَؤُلاءِ مُتَبَّرٌ ما هُمْ فِيهِ وبَاطِلٌ ما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾** قال: هذا كله واحد، كهيئة «غفور رحيم»، «عفوّ غفور». قال: والعرب تقول: إنه البائس المتبر، وإنه البائس المخسر.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: قال موسى لقومه: أسوى الله ألتمسكم إلهاً وأجعل لكم معبوداً تعبدونه، والله الذي هو خالقكم، فضّلكم على عالمي دهركم وزمانكم يقول: أفأبغيكم معبوداً لا ينفعكم ولا يضرّكم تعبدونه وتتركون عبادة من فضلكم على الخلق؟ إن هذا منكم لجهل.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لليهود من بني إسرائيل الذين كانوا بين ظهراني مهاجَر رسول الله ﷺ: واذكروا مع قيلكم هذا الذي قلتموه لموسى بعد رؤيتكم من الآيات والعبر، وبعد النعم التي سلفت مني إليكم، والأيادي التي تقدمت فعلكم ما فعلتم. **﴿إذْ أنْجَيناكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾** وهم الذين كانوا على منهاجه وطريقته في الكفر بالله من قومه. **﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ العَذَابِ﴾** يقول: إذ يحملونكم أقبح العذاب وسيئه. وقد بينا فيما مضى من كتابنا هذا ما كان العذاب الذي كان يسومهم سيئه. **﴿يُقَتِّلُونَ أبْناءَكُمْ﴾** الذكور من أولادهم، **﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِساءَكُمْ﴾** يقول: يستبقون إناثهم. **﴿وفِي ذَلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾** يقول: وفي سومهم إياكم سوء العذاب، اختبار من الله لكم وتعمد عظيم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وواعدنا موسى لمناجاتنا ثلاثين ليلة وقيل: إنها ثلاثون ليلة من ذي القعدة. ﴿**وأتمَمْناها بِعَشْرٍ**﴾ يقول: وأتممنا الثلاثين الليلة بعشر ليال تتمة أربعين ليلة. وقيل: إن العشر التي أتمها به أربعين، عشر ذي الحجة.

ذكر من قال ذلك.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن ليث، عن مجاهد: ﴿**وَوَاعَدْنا مُوسَى ثَلاثِينَ لَيلَةً وأتمَمْناها بِعَشْرٍ**﴾ قال: ذو القعدة وعشر ذي الحجة.

قال: ثنا جرير، عن ليث، عن مجاهد: ﴿**وَوَاعَدْنا مُوسَى ثَلاثِينَ لَيلَةً وأتمَمْناها بِعَشْرٍ**﴾ قال: ذو القعدة وعشر ذي الحجة، ففي ذلك اختلفوا.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿**وَوَاعَدْنا مُوسَى ثَلاثِينَ لَيلَةً**﴾ هو ذو القعدة وعشر من ذي الحجة، فذلك قوله: ﴿**فَتَمَّ مِيقاتُ رَبِّهِ أرْبَعِينَ لَيلَةً**﴾.

حدثني محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا المعتمر بن سليمان، عن أبيه، قال: زعم حضرميّ أن الثلاثين التي كان واعد موسى ربه كانت ذا القعدة والعشر من ذي الحجة التي تمم الله بها الأربعين.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد: ﴿**وَوَاعَدْنا مُوسَى ثَلاثِينَ لَيلَةً**﴾ قال: ذو القعدة. ﴿**وأتمَمْناها بِعَشْرٍ**﴾ قال: عشر ذي الحجة. قال ابن جريج: قال ابن عباس مثله.

حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا أبو سعد، قال: سمعت مجاهداً يقول في قوله: ﴿**وَوَاعَدْنا مِوسَى ثَلاثِينَ لَيلَةً وأتمَمْناها بِعَشْرٍ**﴾ قال: ذو القعدة، والعشر الأُوَل من ذي الحجة.

قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن مسروق: ﴿**وأتمَمْناها بِعَشْرٍ**﴾ قال: عشر الأضحى.

وأما قوله: ﴿فَتَمَّ مِيقاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيلَةً﴾ فإنه يعني: فكمل الوقت الذي واعد الله موسى أربعين ليلة وبلغها. كما:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج: ﴿فَتَمَّ مِيقاتُ رَبِّهِ﴾ قال: فبلغ ميقات ربه أربعين ليلة.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقالَ مُوسَى لأَخِيهِ هارُونَ اخْلُفْنِي في قَوْمي وأَصْلِحْ وَلا تَتَّبِعْ سَبِيلَ المُفْسِدِينَ﴾.

يقول تعالى ذكره: لما مضى لموعد ربه، قال لأخيه هارون: ﴿اخْلُفْنِي فِي قَوْمي﴾ يقول: كن خليفتي فيهم إلى أن أرجع، يقال منه: خَلَفه يخلُفُه خلافة. ﴿وأَصْلِحْ﴾ يقول: وأصلحهم بحملك إياهم على طاعة الله وعبادته. كما:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال موسى لأخيه هارون: ﴿اخْلُفْنِي فِي قَومي وأَصْلِحْ﴾ وكان من إصلاحه أن لا يدع العجل يُعبد.

وقوله: ﴿وَلا تَتَّبِعْ سَبِيلَ المُفْسِدِينَ﴾ يقول: ولا تسلك طريق الذين يفسدون في الأرض بمعصيتهم ربهم، ومعونتهم أهل المعاصي على عصيانهم ربهم، ولكن اسلك سبيل المطيعين ربهم. فكانت مواعدة الله موسى عليه السلام بعد أن أهلك فرعون ونجى من بني إسرائيل فيما قال أهل العلم، كما:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني الحجاج، عن ابن جريج، قوله: ﴿وَواعَدْنا مُوسَى ثَلاثِينَ لَيلَةً..﴾. الآية، قال: يقول: إن ذلك بعد ما فرغ من فرعون، وقبل الطور لما نجى الله موسى عليه السلام من البحر وغرق آل فرعون وخلص إلى الأرض الطيبة، أنزل الله عليهم فيها المنّ والسلوى وأمره ربه أن يلقاه، فلما أراد لقاء ربه استخلف هارون على قومه، وواعدهم أن يأتيهم إلى ثلاثين ليلة ميعاداً من قِبله من غير أمر ربه ولا ميعاده فتوجّه ليلقى ربه، فلما تمت ثلاثون ليلة، قال عدوّ الله السّامريّ: ليس يأتيكم موسى، وما يصلحكم إلاّ إله تعبدونه فناشدهم هارون وقال: لا تفعلوا انظروا ليلتكم هذه ويومكم هذا، فإن جاء وإلاّ فعلتم ما بدا لكم فقالوا: نعم. فلما أصبحوا من غد ولم يروا موسى عاد السامريّ لمثل قوله بالأمس، قال: وأحدث الله الأجل بعد الأجل الذي جعله بينهم عشراً، فتمّ ميقات ربه أربعين ليلة، فعاد هارون فناشدهم، إلا ما نظروا يومهم ذلك أيضاً، فإن جاء وإلاّ فعلتم ما بدا لكم. ثم عاد السامريّ الثالثة لمثل قوله لهم، وعاد هارون فناشدهم أن ينتظروا. فلما لم يروه....

قال القاسم: قال الحسن: حدثني حجاج، قال: ثني أبو بكر بن عبد الله الهذليّ، قال: قام السامريّ إلى هارون حين انطلق موسى، فقال: يا نبيّ الله إنا استعرنا يوم خرجنا من القبط حليّاً كثيراً من زينتهم، وإن الذين معك قد أسرعوا في الحليّ يبيعونه وينفقونه، وإنما كان عاريَة من آل فرعون فليسوا بأحياء فنردّها عليهم، ولا ندري لعلّ أخاك نبيّ الله موسى إذا جاء يكون له فيها رأي، إما يقربها قرباناً فتأكلها النار، وإما يجعلها للفقراء دون الأغنياء. فقال له هارون: نعم ما رأيت وما قلت فأمر منادياً فنادى: من كان عنده شيء من حليّ آل فرعون فليأتنا به فأتوه به، فقال هارون: يا سامريّ أنت أحقّ من كانت عنده هذه الخزانة. فقبضها السامريّ، وكان عدوّ الله الخبيث صائغاً، فصاغ منه عجلاً جسداً، ثم قذف في جوفه تربة من القبضة التي قبض من أثر فرس جبريل عليه السلام إذ رآه في البحر، فجعل يخور، ولم يخر إلاّ مرّة واحدة، وقال لبني إسرائيل: إنما تخلف موسى بعد الثلاثين ليلة يلتمس هذا ﴿**هَذَا إلهُكُم وإلهُ مُوسَى فَنَسِيَ**﴾ يقول: إن موسى عليه السلام نسي ربه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ولما جاء موسى للوقت الذي وعدنا أن يلقانا فيه، وكلّمه ربه وناجاه، قال موسى لربه: ﴿**أرِني أنْظُرْ إلَيْكَ**﴾ قال الله له مجيباً: ﴿**لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إلى الجَبَلِ**﴾.

وكان سبب مسألة موسى ربه النظر إليه، ما:

حدثني به موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قال: إن موسى عليه السلام لما كلّمه ربه أحبّ أن ينظر إليه، ﴿**قالَ رَبِّ أرِني أنْظُرْ إلَيْكَ قالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إلى الجَبَلِ فإنِ اسْتَقَرَّ مَكانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي**﴾. فحفّ حول الجبل، وحفّ حول الملائكة بنار، وحفّ حول النار بملائكة، وحفّ حول الملائكة بنار، ثم تجلى ربه للجبل.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، في قوله: ﴿**وَقَرَّبْناهُ نَجِيًّا**﴾ قال: ثني من لقي أصحاب النبيّ ﷺ أنه قرّبه الربّ حتى سمع صريف

(١) كذا في المخطوطة رقم ١٠٠ بدار الكتب. والذي في عرائس المجالس للثعلبي من رواية السدي: فحفّ حول الجبل بالملائكة.

القلم، فقال عند ذلك من الشوق إليه: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الجَبَلِ﴾.

حدثنا القاسم، قال: ثني الحسين، قال: ثني حجاج، عن أبي بكر الهذليّ، قال: لما تخلف موسى عليه السلام بعد الثلاثين، حتى سمع كلام الله اشتاق إلى النظر إليه، فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي﴾ وليس لبشر أن يطيق أن ينظر إليّ في الدنيا، من نظر إليّ مات. قال: إلهي سمعت منطقك واشتقت إلى النظر إليك، ولأن أنظر إليك ثم أموت أحبّ إليّ من أن أعيش ولا أراك قال: فانظر إلى الجبل فإن استقرّ مكانه فسوف تراني.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ قال: أعطني.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: استخلف موسى هارون على بني إسرائيل، وقال: إني متعجل إلى ربي، فاخلفني في قومي، ولا تتبع سبيل المفسدين فخرج موسى إلى ربه متعجلاً للقيّه شوقاً إليه، وأقام هارون في بني إسرائيل، ومعه السامريّ يسير بهم على أثر موسى ليلحقهم به. فلما كلم الله موسى، طمع في رؤيته، فسأل ربه أن ينظر إليه، فقال الله لموسى: ﴿إِنَّكَ لَنْ تَرَانِي ولكن انظر إلى الجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي...﴾ الآية: قال ابن إسحاق: فهذا ما وصل إلينا في كتاب الله عن خبر موسى لما طلب النظر إلى ربه. وأهل الكتاب يزعمون وأهل التوراة، أن قد كان لذلك تفسير وقصة وأمور كثيرة ومراجعة لم تأتنا في كتاب الله، والله أعلم. قال ابن إسحاق عن بعض أهل العلم الأوّل بأحاديث أهل الكتاب: إنهم يجدون في تفسير ما عندهم من خبر موسى حين طلب ذلك إلى ربه أنه كان من كلامه إياه حين طمع في رؤيته، وطلب ذلك منه، وردّ عليه ربه منه ما ردّ، أن موسى كان تطهَّر وطهَّر ثيابه وصام للقاء ربه فلما أتى طور سيناء، ودنا الله له في الغمام فكلمه، سبحه وحمده وكبره وقدّسه، مع تضرّع وبكاء حزين، ثم أخذ في مدحته، فقال: ربّ ما أعظمك وأعظم شأنك كله، من عظمتك أنه لم يكن شيء من قبلك، فأنت الواحد القهار، كان عرشك تحت عظمتك نار توقد لك، وجعلت سرادق من دونه سرادق من نور، فما أعظمك ربّ، وأعظم ملكك، جعلت بينك وبين ملائكتك مسيرة خمسمائة عام، فما أعظمك ربّ وأعظم ملكك في سلطانك، فإذا أردت شيئاً تقضيه في جنودك الذين في السماء، أو الذين في الأرض، وجنودك الذين في البحر، بعثت الريح من عندك لا يراها شيء من خلقك إلاّ أنت إن شئت، فدخلت في جوف من شئت من أنبيائك، فبلغوا لما أردت من عبادك، وليس أحد من ملائكتك يستطيع شيئاً من عظمتك، ولا من عرشك، ولا يسمع صوتك، فقد أنعمت عليّ، وأعظمت عليّ في الفضل، وأحسنت إليّ كلّ الإحسان،

عظمتني في أمم الأرض، وعظمتني عند ملائكتك، وأسمعتني صوتك، وبذلت لي كلامك، وآتيتني حكمتك، فإن أعدّ نعماك لا أحصيها، وإن أردت شكرك لا أستطيعها. دعوتك ربّ على فرعون بالآيات العظام، والعقوبة الشديدة، فضربت بعصاي التي في يدي البحر، فانفلق لي ولمن معي، ودعوتك حين جزت البحر، فأغرقت عدوّك وعدوّي، وسألتك الماء لي ولأمتي، فضربت بعصاي التي في يدي الحجر، فمنه أرويتني وأمتي، وسألتك لأمتي طعاماً لم يأكله أحد كان قبلهم، فأمرتني أن أدعوك من قِبَل المشرق، ومن قِبَل المغرب. فناديتك من شرقي أمتي، فأعطيتهم المنّ من مشرقي لنفسي، وآتيتهم السلوى من غربيهم من قِبَل البحر، واشتكيت الحرّ فناديتك، فظللت عليهم بالغمام، فما أطيق نعماك عليّ أن أعدّها ولا أحصيها، وإن أردت شكرها لا أستطيعها. فجئتك اليوم راغباً طالباً سائلاً متضرّعاً، لتعطيني ما منعت غيري، أطلب إليك وأسألك يا ذا العظمة والعزّة والسلطان أن تريني أنظر إليك، فإني قد أحببت أن أرى وجهك الذي لم يره شيء من خلقك. قال له ربّ العزّة: فلا ترى يا ابن عمران ما تقول؟ تكلمت بكلام هو أعظم من سائر الخلق، لا يراني أحد فيحيا، أليس في السماوات معمري، فإنهن قد ضعفن أن يحملن عظمتي، وليس في الأرض معمري، فإنها قد ضعفت أن تسع بجندي، فلست في مكان واحد فأتجلى لعين تنظر إليّ. قال موسى: يا ربّ أن أراك وأموت، أحبّ إليّ من أن لا أراك وأحيا، قال له ربّ العزّة: يا ابن عمران تكلّمت بكلام هو أعظم من سائر الخلق، لا يراني أحد فيحيا. قال: ربّ تمم عليّ نعماك، وتمم عليّ فضلك، وتمم عليّ إحسانك هذا الذي سألتك ليس لي أن أراك فأقبض، ولكن أحبّ أن أراك فيطمئن قلبي. قال له: يا ابن عمران لن يراني أحد فيحيا. قال: موسى ربّ تمم عليّ نعماك وتمم عليّ فضلك، وتمم عليّ إحسانك هذا الذي سألتك ليس لي أن أراك فأموت على أثر ذلك أحبّ إليّ من الحياة، فقال الرحمن المترحم على خلقه: قد طلبت يا موسى، وأعطيتك سؤلك إن استطعت أن تنظر إليّ، فاذهب فاتخذ لوحين، ثم انظر إلى الحجر الأكبر في رأس الجبل، فإن ما وراءه وما دونه مضيق لا يسع إلاّ مجلسك يا ابن عمران، ثم انظر فإني أهبط إليك وجنودي من قليل وكثير. ففعل موسى كما أمره ربه، نحت لوحين ثم صعد بهما إلى الجبل، فجلس على الحجر: فلما استوى عليه، أمر الله جنوده الذين في السماء الدنيا، فقال: ضعي أكنافك حول الجبل، فسمعت ما قال الربّ ففعلت أمره، ثم أرسل الله الصواعق والظلمة والضباب على ما كان يلي الجبل الذي يلي موسى أربعة فراسخ من كل ناحية، ثم أمر الله ملائكة الدنيا أن يمرّوا بموسى، فاعترضوا عليه، فمروا به طيران النغر[1] تنبع

(١) في «اللسان»: النغر: فراخ العصافير، واحدته نغرة (بضم ففتح) وقيل ضرب من الحمر، حمر المناقير وأصول الأحناك. وجمعها: نغران. وهو البلبل عند أهل المدينة.

أفواههم بالتقديس والتسبيح بأصوات عظيمة كصوت الرعد الشديد، فقال موسى بن عمران عليه السلام: ربّ إني كنت عن هذا غنياً، ما ترى عيناي شيئاً قد ذهب بصرهما من شعاع النور المتصفف على ملائكة ربي. ثم أمر الله ملائكة السماء الثانية أن اهبطوا على موسى، فاعترضوا عليه، فهبطوا أمثال الأسْد، لهم لَجَبٌ بالتسبيح والتقديس، ففزع العبد الضعيف ابن عمران مما رأى ومما سمع، فاقشعرّت كلّ شعرة في رأسه وجلده، ثم قال: ندمت على مسألتي إياك، فهل ينجيني من مكاني الذي أنا فيه شيء؟ فقال له خير الملائكة ورأسهم: يا موسى اصبر لما سألت، فقليل من كثير ما رأيت ثم أمر الله ملائكة السماء الثالثة أن اهبطوا على موسى، فاعترضوا عليه، فأقبلوا أمثال النسور لهم قصْف[1] ورجف ولجب شديد، وأفواههم تنبع بالتسبيح والتقديس كلجب الجيش العظيم أو كلهب النار، ففزع موسى، وأيست نفسه، وأساء ظنه، وأيس من الحياة، فقال له خير الملائكة ورأسهم: مكانك يا ابن عمران، حتى ترى ما لا تصبر عليه؟ ثم أمر الله ملائكة السماء الرابعة أن اهبطوا فاعترِضوا على موسى بن عمران. فأقبلوا وهبطوا عليه لا يشبههم شيء من الذين مرّوا به قبلهم، ألوانهم كلهب النار، وسائر خلقهم كالثلج الأبيض، أصواتهم عالية بالتسبيح والتقديس، لا يقاربهم شيء من أصوات الذين مرّوا به قبلهم. فاصطكت ركبتاه، وأرعد قلبه، واشتدّ بكاؤه، فقال خير الملائكة ورأسهم: يا ابن عمران اصبر لما سألت، فقليل من كثير ما رأيت، ثم أمر الله ملائكة السماء الخامسة أن اهبطوا فاعترِضوا على موسى، فهبطوا عليه سبعة ألوان، فلم يستطع موسى أن يتبعهم طرفه، ولم ير مثلهم ولم يسمع مثل أصواتهم، وامتلأ جوفه خوفاً، واشتدّ حزنه، وكثر بكاؤه، فقال له خير الملائكة ورأسهم: يا ابن عمران مكانك حتى ترى ما لا تصبر عليه، ثم أمر الله ملائكة السماء السادسة أن اهبطوا على عبدي الذي طلب أن يراني موسى بن عمران واعترِضوا عليه. فهبطوا عليه في يد كلّ ملك مثل النخلة الطويلة ناراً أشدّ ضوءاً من الشمس، ولباسهم كلهب النار، إذا سبحوا وقدّسوا جاوبهم من كان قبلهم من ملائكة السماوات كلهم، يقولون بشدة أصواتهم: سبوح قدّوس ربّ العزّة أبداً لا يموت، في رأس كلّ ملك منهم أربعة أوجه. فلما رآهم موسى رفع صوته يسبّح معهم حين سبحوا، وهو يبكي ويقول: ربّ اذكرني، ولا تنس عبدك لا أدري أنقلب مما أنا فيه أم لا، إن خرجت أحرقت، وإن مكثت متّ. فقال له كبير الملائكة ورئيسهم: قد أوشكت يا ابن عمران أن يمتلىء جوفك، وينخلع قلبك، ويشتدّ بكاؤك فاصبر للذي جلست لتنظر إليه يا ابن عمران وكان جبل موسى جبلاً عظيماً، فأمر الله أن يحمل عرشه، ثم قال: مرّوا بي على عبدي ليراني، فقليل

---

(١) قصف: أي صوت، كذا في «**عرائس المجالس**» للثعلبي، وفي المخطوطة رقم ١٠٠ (١٠/ ١٧٢ ظ). وفي المطبوعة الثانية: نخف، وهو الصوت من الأنف.

من كثير ما رأى فانفرج الجبل من عظمة الربّ، وغشي ضوء عرش الرحمن جبل موسى، ورفعت ملائكة السماوات أصواتها جميعاً، فارتجّ الجبل فاندكّ، وكلّ شجرة كانت فيه، وخرّ العبد الضعيف موسى بن عمران صعقاً على وجهه ليس معه روحه، فأرسل الله الحياة برحمته، فتغشاه برحمته وقلب الحجر الذي كان عليه وجعله كالمعدة، كهيئة القبة لئلا يحترق موسى، فأقامه الروح مثل الأم أقامت جنينها حين يصرع، قال: فقام موسى يسبح الله ويقول: آمنت أنك ربي، وصدّقت أنه لا يراك أحد فيحيا، ومن نظر إلى ملائكتك انخلع قلبه، فما أعظمك ربّ وأعظم ملائكتك، أنت ربّ الأرباب وإله الآلهة وملك الملوك، تأمر الجنود الذين عندك فيطيعونك، وتأمر السماء وما فيها فتطيعك، لا تستنكف من ذلك، ولا يعدلك شيء ولا يقوم لك شيء، ربّ تبت إليك، الحمد لله الذي لا شريك له، ما أعظمك وأجلك ربّ العالمين

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ مِوسَى صَعِقاً﴾.

يقول تعالى ذكره: فما اطلع الربّ للجبل جعل الله الجبل دكّاً: أي مستوياً بالأرض. ﴿وخَرَّ مُوسَى صَعِقاً﴾ أي مغشيّاً عليه.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك.

حدثني الحسين بن محمد بن عمرو العنقزي، قال: ثني أبي، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، عن عكرمة، عن ابن عباس، في قول الله: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً﴾ قال: ما تجلى منه إلا قدر الخنصر. ﴿جَعَلَهُ دَكّاً﴾ قال: تراباً. ﴿وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً﴾ قال: مغشيّاً عليه.

حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، قال: زعم السديّ، عن عكرمة، عن ابن عباس أنه قال: تجلى منه مثل الخنصر، فجعل الجبل دكّاً، وخرّ موسى صعقاً، فلم يزل صعقاً ما شاء الله.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً﴾ قال: مغشيّاً عليه.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً﴾ قال: انقعر بعضه على بعض. ﴿وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً﴾: أي ميتاً.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج: **﴿وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً﴾**: أي ميتاً.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: **﴿دَكّاً﴾** قال: دكّ بَعْضُه بعضاً.

حدثني المثنى، قال: ثنا سويد، قال: أخبرنا ابن المبارك، قال: سمعت سفيان يقول في قوله: **﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً﴾** قال: ساخ الجبل في الأرض حتى وقع في البحر، فهو يذهب معه.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، عن حجاج، عن أبي بكر الهذليّ: **﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً﴾**: انقعر فدخل تحت الأرض فلا يظهر إلى يوم القيامة.

حدثنا أحمد بن سهيل الواسطي، قال: ثنا قرة بن عيسى، قال: ثنا الأعمش، عن رجل، عن أنس عن النبيّ ﷺ، قال: «لَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ أشارَ بأُصْبُعَيْهِ فَجَعَلَهُ دَكّاً». وأرانا أبو إسماعيل بإصبعه السبّابة.

حدثني المثنى، قال: ثني الحجاج بن المنهال، قال: ثنا حماد، عن ثابت، عن أنس: أن النبيّ ﷺ قرأ هذه الآية: **﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً﴾** قال: «هكذا» بأصبعه ووضع النبيّ ﷺ الإبهام على المفصل الأعلى من الخنصر، «فَساخَ الجَبَلُ».

حدثني المثنى، قال: ثنا هدبة بن خالد، قال: ثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس بن مالك، قال: قرأ رسول الله ﷺ: **﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً﴾** قال: وضع الإبهام قريباً من طرف خنصره، قال: «فَساخَ الجَبَلُ» فقال حميد لثابت: تقول هذا؟ قال: فرفع ثابت يده فضرب صدر حميد، وقال: يقوله رسول الله ﷺ ويقوله أنس وأنا أكتمه

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع **﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً﴾** وذلك أن الجبل حين كشف الغطاء ورأى النور صار مثل دك من الدكات.

حدثنا الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا أبو سعد، عن مجاهد: **﴿وَلَمَّا جاءَ مُوسَى لِمِيقاتِنا وكَلَّمَهُ رَبُّهُ قالَ رَبِّ أرِنِي أنْظُرْ إلَيْكَ قالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إلى الجَبَلِ فإنِ اسْتَقَرَّ مَكانَهُ﴾** فإنه أكبر منك وأشد خلقاً. **﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾** فنظر إلى الجبل لا يتمالك، وأقبل الجبل يندّك على أوّله فلما رأى موسى ما يصنع الجبل خرّ صعقاً.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿دَكًّا﴾. فقرأته عامّة قرّاء أهل المدينة والبصرة: ﴿دَكًّا﴾ مقصوراً بالتنوين، بمعنى: دك الله الجبل دكّاً أي فَتّته، واعتباراً بقول الله: ﴿كَلاَّ إذَا دُكَّتِ الأرْضُ دَكّاً دَكّاً﴾، وقوله: ﴿وحُمِلَتِ الأرْضُ والجِبالُ فَدُكَّتا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾. واستشهد بعضهم على ذلك بقول حميد:

يَــدُكُّ أرْكــانَ الــجِــبــالِ هَــزَمُــهْ تَـخْـطِـرُ بـالـبِـيضِ الـرقـاقُ بُـهَـمُـهْ[١]

وقرأته عامّة قرّاء الكوفيين: «جَعَلَهُ دَكَّاءَ» بالمدّ وترك الجرّ والتنوين، مثل حمراء وسوداء. وكان ممن يقرؤه كذلك عكرمة، ويقول فيه ما:

حدثني به أحمد بن يوسف، قال: ثنا القاسم بن سلام، قال: ثنا عباد بن عباد، عن يزيد بن حازم، عن عكرمة، قال: دكّاء من الدكّاوات. وقال: لما نظر الله تبارك وتعالى إلى الجبل صار صخره تراباً.

واختلف أهل العربية في معناه إذا قرىء كذلك. فقال بعض نحويي البصرة: العرب تقول: ناقة دكاء: ليس لها سنام، وقال: الجبل مذكر، فلا يشبه أن يكون منه إلا أن يكون جعله «مثل دكاء» حذف «مثل» وأجراه مجرى: ﴿واسألِ القَرْيَةَ﴾. وكان بعض نحويي الكوفة يقول: معنى ذلك: جعل الجبل أرضاً دكّاء، ثم حذفت الأرض وأقيمت الدكاء مقامها إذ أدّت عنها.

وأولى القراءتين في ذلك بالصواب عندي قراءة من قرأ: «جعله دكاء» بالمدّ، وترك الجرّ لدلالة الخبر الذي رويناه عن رسول الله ﷺ على صحته وذلك أنه رُوي عنه ﷺ أنه قال: «فَساخَ الجَبَلُ» ولم يقل: فتفتَّت، ولا تحوّل تراباً. ولا شكّ أنه إذا ساخ فذهب ظهر وجه الأرض، فصار بمنزلة الناقة التي قد ذهب سنامها، وصارت دكاء بلا سنام. وأما إذا دكّ بعضه فإنما يكسر بعضه بعضاً ويتفتَّت ولا يسوخ. وأما الدكاء فإنها خَلَفٌ من الأرض، فلذلك أتت على ما قد بينت. فمعنى الكلام إذن: فلما تجلى ربه للجبل ساخ، فجعل مكانه أرضاً دكاء.

وقد بيَّنا معنى الصعِق بشواهده فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أفاقَ قالَ سُبْحانَكَ تُبْتُ إلَيْكَ وأنا أوَّلُ المُؤْمِنِينَ﴾.

يقول تعالى ذكره: فلما ثاب إلى موسى عليه السلام فهمه من غشيته، وذلك هو الإفاقة من الصعقة التي خرّ لها موسى ﷺ، قال: ﴿سُبْحانَكَ﴾ تنزيهاً لك يا ربّ وتبرئة أن يراك أحد في

---

(١) لم أجد البيتين في ديوان حميد بن ثور الهلالي طبعة دار الكتب المصرية. ولم أجدهما في اللسان ولا في التاج. والهزم والاهتزام والتهزم: الصوت. ولعله يريد أصوات الأبطال في الحرب، والكلام في وصف جيش. وتخطر: تتمايل وتمشي مشية العجب وسيوفهم تهتز، وفي البيض الرقاق. والبهم: جمع بهمة، جمع بهمة، بضم الباء وفتح الهاء، وهم الأبطال الذين لا يدري طالبهم من أين يصيبهم.

الدنيا ثم يعيش. ﴿**تُبْتُ إِلَيْكَ**﴾ من مسألتي إياك ما سألتك من الرؤية. ﴿**وأنا أوَّلُ المُؤْمِنِينَ**﴾ بك من قومي أن لا يراك في الدنيا أحد إلا هلك.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عبد الله بن موسى، عن أبي جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، في قوله: ﴿**تُبْتُ إِلَيْكَ وأنا أوَّلُ المُؤْمِنِينَ**﴾ قال: كان قبله مؤمنون، ولكن يقول: أنا أوّل من آمن بأنه لا يراك أحد من خلقك إلى يوم القيامة.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، قال: لما رأى موسى ذلك وأفاق، عرف أنه قد سأل أمراً لا ينبغي له، فقال: ﴿**سُبْحانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وأنا أوَّلُ المُؤْمِنِينَ**﴾ قال أبو العالية: عنى أنى أوّل من آمن بك أنه لن يراك أحد قبل يوم القيامة.

حدثني عبد الكريم بن الهيثم، قال: ثنا إبراهيم بن بشار، قال: قال سفيان: قال أبو سعد، عن عكرمة عن ابن عباس: ﴿**وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً**﴾ فمرّت به الملائكة وقد صعق، فقالت: يا ابن النساء الحيَّض لقد سألت ربك أمراً عظيماً. فلما أفاق قال: سبحانك لا إله إلا أنت، تبت إليك، وأنا أوّل المؤمنين قال: أنا أوّل من آمن أنه لا يراك أحد من خلقك، يعني في الدنيا.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**قالَ سُبْحانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وأنا أوَّلُ المُؤْمِنِينَ**﴾ يقول: أنا أوّل من يؤمن أنه لا يراك شيء من خلقك.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن رجل، عن مجاهد: ﴿**سُبْحانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ**﴾ قال: من مسألتي الرؤية.

حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا أبو سعد، عن مجاهد: ﴿**قالَ سُبْحانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ**﴾ أن أسألك الرؤية.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبو نعيم، عن سفيان، عن عيسى بن ميمون، عن رجل، عن مجاهد: ﴿**سُبْحانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ**﴾ أن أسألك الرؤية.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا ابن عيينة، عن عيسى بن ميمون، عن مجاهد، في قوله: ﴿**سُبْحانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ**﴾ قال: تبت إليك من أن أسألك الرؤية.

وقال آخرون: معناه قوله: ﴿وأنا أوَّلُ المُؤمِنِينَ﴾ بك من بني إسرائيل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني الحسين بن عمرو بن محمد العنقزي، قال: ثنا أبي، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، عن عكرمة، عن ابن عباس: ﴿وأنا أوَّلُ المُؤمِنِينَ﴾ قال: أوّل من آمن بك من بني إسرائيل.

حدثني موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو بن حماد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، عن عكرمة، عن ابن عباس: ﴿وأنا أوَّلُ المُؤمِنِينَ﴾ يعني: أوّل المؤمنين من بني إسرائيل.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: ﴿وأنا أوَّلُ المُؤمِنِينَ﴾ أنا أوّل قومي إيماناً.

حدثنا ابن وكيع والمثنى، قالا: ثنا أبو نعيم، عن سفيان، عن عيسى بن ميمون، عن رجل، عن مجاهد: ﴿وأنا أوَّلُ المُؤمِنِينَ﴾ يقول: أوّل قومي إيماناً.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿وأنا أوَّلُ المُؤمِنِينَ﴾ قال: أنا أوّل قومي إيماناً.

حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا أبو سعد، قال: سمعت مجاهداً يقول في قوله: ﴿وأنا أوَّلُ المُؤمِنِينَ﴾ قال: أوّل قومي آمن.

وإنما اخترنا القول الذي اخترناه في قوله: ﴿وأنا أوَّلُ المُؤمِنِينَ﴾ على قول من قال: معناه: أنا أوّل المؤمنين من بني إسرائيل لأنه قد كان قبله في بني إسرائيل مؤمنون وأنبياء، منهم ولد إسرائيل لصلبه، وكانوا مؤمنين وأنبياء، فلذلك اخترنا القول الذي قلناه قبل.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٤﴾.

يقول تعالى ذكره: قال الله لموسى: ﴿يا مُوسَى إنّي اصْطَفَيْتُكَ على النَّاسِ﴾ يقول: اخترتك على الناس ﴿بِرَسالاتِي﴾ إلى خلقي، أرسلتك بها إليهم. ﴿وَبِكَلامي﴾ كلمتك وناجيتك دون غيرك من خلقي. ﴿فَخُذْ ما آتَيْتُكَ﴾ يقول: فخذ ما أعطيتك من أمري ونهيي وتمسك به، واعمل به، يريد ﴿وكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ لله على ما آتاك من رسالته، وحصل به من النجوى بطاعته في أمره ونهيه والمسارعة إلى رضاه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وكتبنا لموسى في ألواحه. وأدخلت الألف واللام في «الألواح» بدلاً من الإضافة، كما قال الشاعر:

والأحْـــلامُ غَــيْـــرُ عَـــوَازِبُ[١]

وكما قال جلّ ثناؤه ﴿فإنَّ الجَنَّةَ هِيَ المَأْوَى﴾ يعني: هي مأواه.

وقوله: ﴿مِنْ كُلّ شَيْءٍ﴾ يقول من التذكير والتنبيه على عظمة الله وعزّ سلطانه. ﴿مَوْعِظَةً﴾ لقومه ومن أمر بالعمل بما كتب في الألواح. ﴿وتَفْصِيلاً لِكُلّ شَيْءٍ﴾ يقول: وتبيينا لكلّ شيء من أمر الله ونهيه.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد أو سعيد بن جبير وهو في أصل كتابي، عن سعيد بن جبير في قول الله: ﴿وتَفْصِيلاً لِكُلّ شَيْءٍ﴾ قال: ما أمروا به ونهوا عنه.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، بنحوه.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿وكَتَبْنا لَهُ فِي الألْوَاحِ مِنْ كُلّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلّ شَيْءٍ﴾ من الحلال والحرام.

حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا أبو سعد، قال: سمعت مجاهداً يقول في قوله: ﴿وَتَفْصِيلاً لِكُلّ شَيْءٍ﴾ قال: ما أمروا به ونُهوا عنه.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن

---

(١) يريد: وأحلامهم غير عوازب. وهذا جزء من بيت للنابغة الذبياني، من قصيدة له يمدح آل جفنة من غساسنة الشام. والبيت بتمامه في «مختار الشعر الجاهلي» (ص ـ ١٦٢).

لَهُمْ شِيمَةٌ لَمْ يُعْطِهَا اللَّهُ غَيْرَهُمْ مِنَ الجُودِ والأحْلامُ غَيْرُ عَوَازِبِ

ابن عباس قوله: ﴿وكَتَبْنا لَهُ فِي الألْوَاحِ مِنْ كُلّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلّ شَيْءٍ﴾ قال عطية: أخبرني ابن عباس أن موسى ﷺ لما كربه الموت قال: هذا من أجل آدم، قد كان الله جعلنا في دار مثوى لا نموت، فخطأ آدم أنزلنا ههنا فقال الله لموسى: أبعث إليك آدم فتخاصمه؟ قال: نعم. فلما بعث الله آدم، سأله موسى، فقال أبونا آدم عليهما السلام: يا موسى سألت الله أن يبعثني لك قال موسى: لولا أنت لم نكن ههنا. قال له آدم: أليس قد أتاك الله من كلّ شيء موعظة وتفصيلاً؟ أفلست تعلم أنه ما أَصَابَ في الأرْضِ من مُصِيبَةٍ ولا في أَنْفُسِكُمْ إلا في كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أنْ نَبْرَأَهَا؟ قال موسى: بلى. فخصمه آدم صلى الله عليهما.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن عبد الصمد بن معقل، أنه سمع وهباً يقول في قوله: ﴿وكَتَبْنا لَهُ فِي الألْوَاحِ مِنْ كُلّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلّ شَيْءٍ﴾ قال: كتب له لا تشرك بي شيئاً من أهل السماء ولا من أهل الأرض فإن كلّ ذلك خلقي، ولا تحلف باسمي كاذباً، فإن من حلف باسمي كاذباً فلا أزكيه، ووقّر والديك.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾.

يقول تعالى ذكره: وقلنا لموسى إذ كتبنا له في الألواح من كلّ شيء موعظة وتفصيلاً لكلّ شيء: خذ الألواح بقوّة. وأخرج الخبر عن الألواح والمراد ما فيها.

واختلف أهل التأويل في معنى القوّة في هذا الموضع، فقال بعضهم: معناها بجدّ.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عبد الكريم، قال: ثنا إبراهيم بن بشار، قال: ثنا ابن عيينة، قال: قال أبو سعد، عن عكرمة عن ابن عباس: ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾ قال: بجدّ.

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو بن حماد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾ قال: بجدّ واجتهاد.

وقال آخرون: معنى ذلك: فخذها بالطاعة لله.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الرحمن بن سعد، قال: أخبرنا أبو جعفر، عن الربيع بن أنس، في قوله: ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾ قال: بالطاعة.

وقد بيَّنا معنى ذلك بشواهده واختلاف أهل التأويل فيه في سورة البقرة عند قوله: ﴿خُذُوا ما آتَيناكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بأَحْسَنِها﴾.

يقول تعالى ذكره: قلنا لموسى: وأمر قومك بني إسرائيل يأخذوا بأحسنها. يقول: يعملوا بأحسن ما يجدون فيها كما:

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿**وأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بأَحْسَنِها**﴾ بأحسن ما يجدون فيها.

حدثني عبد الكريم، قال: ثنا إبراهيم، قال: ثنا سفيان، قال: ثنا أبو سعد، عن عكرمة، عن ابن عباس: ﴿**وأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بأَحْسَنِها**﴾ قال: أمر موسى أن يأخذها بأشدّ مما أمر به قومه.

فإن قال قائل: وما معنى قوله: ﴿**وأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بأَحْسَنِها**﴾ أكان من خصالهم ترك بعض ما فيها من الحسن؟ قيل: لا ولكن كان فيها أمر ونهي، فأمرهم الله أن يعملوا بما أمرهم بعمله ويتركوا ما نهاهم عنه، فالعمل بالمأمور به أحسن من العمل بالمَنْهيّ عنه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿سأُرِيكُمْ دَارَ الفاسِقِينَ﴾.

يقول تعالى ذكره لموسى إذ كتب في الألواح من كلّ شيء: خذها بجدّ في العمل بما فيها واجتهاد، وأمر قومك يأخذوا بأحسن ما فيها، وانههم عن تضييعها وتضييع العمل بما فيها والشرك بي، فإن من أشرك بي منهم ومن غيرهم، فإني سأريه في الآخرة عند مصيره إليّ دار الفاسقين، وهي نار الله التي أعدّها لأعدائه. وإنما قال: ﴿**سأُرِيكُمْ دَارَ الفاسِقِينَ**﴾ كما يقول القائل لمن يخاطبه: سأريك غداً إلام يصير إليه حال من خالف أمري على وجه التهديد والوعيد لمن عصاه وخالف أمره.

وقد اختلف أهل التأويل في معنى ذلك، فقال بعضهم بنحو ما قلنا في ذلك.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثني عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿**سأُرِيكُمْ دَارَ الفاسِقِينَ**﴾ قال: مصيرهم في الآخرة.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

حدثني المثنى، قال: ثنا مسلم، قال: ثنا مبارك، عن الحسن، في قوله: ﴿**سأُرِيكُمْ دَارَ الفاسِقِينَ**﴾ قال: جهنم.

وقال آخرون: معنى ذلك: سأدخلكم أرض الشأم، فأريكم منازل الكافرين الذين هم سكانها من الجبابرة والعمالقة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿**سأُرِيكُمْ دَارَ الفاسِقِينَ**﴾: منازلهم.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: ﴿**دَارَ الفاسِقِينَ**﴾ قال: منازلهم.

وقال آخرون: معنى ذلك: سأريكم دار قوم فرعون، وهي مصر.

ذكر من قال ذلك[1]: ....

وإنما اخترنا القول الذي اخترناه في تأويل ذلك، لأن الذي قبل قوله جلّ ثناؤه: ﴿**سأُرِيكُمْ دَارَ الفاسِقِينَ**﴾ أمر من الله لموسى وقومه بالعمل بما في التوراة، فأولى الأمور بحكمة الله تعالى أن يختم ذلك بالوعيد على من ضيعه وفرّط في العمل لله وحاد عن سبيله، دون الخبر عما قد انقطع الخبر عنه أو عما لم يجر له ذكر.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾﴾.

اختلف أهل التأويل في معنى ذلك، فقال بعضهم: معناه: سأنزع عنهم فهم الكتاب.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أحمد بن منصور المروزي، قال: ثني محمد بن عبد الله بن بكر، قال: سمعت ابن عيينة يقول في قول الله: ﴿**سأصْرِفُ عَنْ آياتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأرْضِ بغيرِ الحَقّ**﴾ قال: يقول: أنزع عنهم فهم القرآن، وأصرفهم عن أياتي.

وتأويل ابن عيينة هذا يدلّ على أن هذا الكلام كان عنده من الله وعيداً لأهل الكفر بالله ممن

---

(١) هكذا بياض بالأصل بمقدار خمسة أسطر في النسخة رقم ١٠٠، والذي في الدر عن قتادة: دار الفاسقين، قال مصر ا هـ. قال العراقي: إنه تصحيف.

بعث إليه نبينا ﷺ دون قوم موسى، لأن القرآن إنما أنزل على نبينا محمد ﷺ دون موسى عليه السلام.

وقال آخرون في ذلك: معناه: سأصرفهم عن الاعتبار بالحجج.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج: ﴿**سأصْرِفُ عَنْ أياتِيَ**﴾ عن خلق السماوات والأرض والآيات فيها، سأصرفهم عن أن يتفكروا فيها ويعتبروا.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله أخبر أنه سيصرف عن آياته، وهي أدلته وأعلامه على حقية ما أمر به عباده وفرض عليهم من طاعته في توحيده وعدله وغير ذلك من فرائضه، والسماوات والأرض، وكلّ موجود من خلقه فمن آياته، والقرآن أيضاً من آياته. وقد عمّ بالخبر أنه يصرف عن آياته المتكبرين في الأرض بغير الحقّ، وهم الذين حقَّت عليهم كلمة الله أنهم لا يؤمنون، فهم عن فهم جميع آياته والاعتبار والأدّكار بها مصروفون لأنهم لو وفقوا لفهم بعض ذلك فهدوا للاعتبار به اتعظوا وأنابوا إلى الحقّ، وذلك غير كائن منهم، لأنه جلّ ثناؤه قال: ﴿**وَإنْ يَرَوْا كُلّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِها**﴾ فلا تبديل لكلمات الله.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿وَإنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِها وَإنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإنْ يَرَوْا سَبِيلَ الغَيّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذلكَ بأنَّهُمْ كَذَّبُوا بآياتِنا وكانُوا عَنْها غافِلِينَ﴾.

يقول تعالى ذكره: وإن ير هؤلاء يتكبرون في الأرض بغير الحقّ. وتكبرهم فيها بغير الحقّ: تجبرهم فيها، واستكبارهم عن الإيمان بالله ورسوله والإذعان لأمره ونهيه، وهم لله عبيد يغذوهم بنعمته ويريح عليهم رزقه بكرة وعشياً. ﴿**كلَّ آيَةٍ**﴾ يقول: كلّ حجة لله على وحدانيته وربوبيته، وكلّ دلالة على أنه لا تنبغي العبادة إلا له خالصة دون غيره. ﴿**لا يُؤْمِنُوا بِها**﴾ يقول: لا يصدّقوا بتلك الآية أنها دالة على ما هي فيه حجة، ولكنهم يقولون: هي سحر وكذب. ﴿**وَإنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً**﴾ يقول: وإن ير هؤلاء الذين وصف صفتهم طريق الهدى والسداد الذي إن سلكوه نجوا من الهلكة والعطب وصاروا إلى نعيم الأبد لا يسلكوه ولا يتخذوه لأنفسهم طريقاً، جهلاً منهم وحيرة. ﴿**وإنْ يَرَوْا سَبِيلَ الغَيّ**﴾ يقول: وإن يروا طريق الهلاك الذي إن سلكوه ضلوا وهلكوا. وقد بيّنا معنى الغيّ فيما مضى قبل بما أغنى عن إعادته. ﴿**يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً**﴾ يقول: يسلكوه ويجعلوه لأنفسهم طريقاً لصرف الله إياهم عن آياته وطبعه على قلوبهم، فهم لا يفلحون ولا ينجحون. ﴿**ذلكَ بأنَّهُمْ كَذَّبُوا بآياتِنا وكانُوا عَنْها غافِلِينَ**﴾ يقول تعالى ذكره: صرفناهم عن آياتنا أن يعقلوها ويفهموها، فيعتبروا بها ويذكروا فينيبوا عقوبة منا لهم على تكذيبهم بآياتنا، ﴿**وكَانُوا عَنْها غافِلِينَ**﴾ يقول: وكانوا عن آياتنا وأدلتنا الشاهدة على حقية ما

أمرناهم به ونهيناهم عنه غافلين لا يتفكَّرون فيها، لاهين عنها لا يعتبرون بها، فحقّ عليهم حينئذ قول ربنا، فعطبوا.

واختلف القرّاء في قراءة قوله: ﴿الرُّشْد﴾ فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة وبعض المكيين وبعض البصريين: ﴿الرُّشْد﴾ بضم الراء وتسكين الشين. وقرأ ذلك عامة قرّاء أهل الكوفة وبعض المكيين: «الرَّشَد» بفتح الراء والشين.

ثم اختلف أهل المعرفة بكلام العرب في معنى ذلك إذا ضمت راؤه وسكنت شينه، وفيه إذا فتحتا جميعاً. فذُكر عن أبي عمرو بن العلاء أنه كان يقول: معناه إذا ضمت راؤه وسكنت شينه: الصلاح، كما قال الله: ﴿فإنْ آنَسْتُمْ مِنهُمْ رُشْداً﴾ بمعنى: صلاحاً وكذلك كان يقرؤه هو ومعناه إذا فتحت راؤه وشينه: الرَّشَد في الدين، كما قال جلّ ثناؤه: ﴿تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلِّمْتَ رَشَداً﴾ بمعنى الاستقامة والصواب في الدين. وكان الكسائي يقول: هما لغتان بمعنى واحد، مثل: السُّقم والسَّقَم، والحُزْن والحَزَن، وكذلك الرُّشْد والرَّشَد.

والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إنهما قراءتان مستفيضة القراءة بهما في قراءة الأمصار متفقتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب الصواب بها.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: هؤلاء المستكبرون في الأرض بغير الحقّ، وكلّ مكذّب حجج الله ورسله وآياته، وجاحد أنه يوم القيامة مبعوث بعد مماته، ومنكر لقاء الله في آخرته، ذهبت أعمالهم فبطلت، وحصلت لهم أوزارها فثبتت، لأنهم عملوا لغير الله وأتعبوا أنفسهم في غير ما يرضى الله، فصارت أعمالهم عليهم وبالاً، يقول الله جلّ ثناؤه: ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إلاّ ما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾ يقول: هل ينالون إلا ثواب ما كانوا يعملون، فصار ثواب أعمالهم الخلود في نار أحاط بهم سرادقها، إذ كانت أعمالهم في طاعة الشيطان دون طاعة الرحمن نعوذ بالله من غضبه. وقد بيّنا معنى الحبوط والجزاء والآخرة فيما مضى بما أغنى عن إعادته.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَـٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: واتخذ بنو إسرائيل قوم موسى من بعد ما فارقهم موسى ماضياً إلى ربه لمناجاته ووفاء للوعد الذي كان ربه وعده من حليهم عجلاً، وهو ولد البقرة، فعبدوه. ثم بين تعالى ذكره ما ذلك العجل فقال: ﴿جَسَداً لَهُ خُوَارٌ﴾ والخوار: صوت البقر. يخبر جلّ ذكره عنهم أنهم ضلوا بما لا يضلّ بمثله أهل العقل، وذلك أن الربّ جلّ جلاله الذي له ملك السماوات والأرض ومدبِّر ذلك، لا يجوز أن يكون جسداً له خوار، لا يكلم أحداً ولا يرشد إلى خير. وقال هؤلاء الذين قصّ الله قصصهم لذلك هذا إلهنا وإله موسى، فعكفوا عليه يعبدونه جهلاً منهم وذهاباً عن الله وضلالاً. وقد بيَّنا سبب عبادتهم إياه وكيف كان اتخاذ من اتخذ منهم العجل فيما مضى بما أغنى عن إعادته.

وفي الحُليّ لغتان: ضمّ الحاء وهو الأصل، وكسرها، وكذلك ذلك في كلّ ما شاكله من مثل صليّ وجثيّ وعتيّ. وبأيتهما قرأ القارىء فمصيب الصواب، لاستفاضة القراءة بهما في القرأة، لا تفارق بين معنييهما.

وقوله: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لا يُكَلِّمُهُمْ وَلا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً﴾ يقول: ألم ير الذين عكفوا على العجل الذي اتخذوه من حليهم يعبدونه أن العجل ﴿لا يُكَلِّمُهُمْ ولا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً﴾ يقول: ولا يرشدهم إلى طريق. وليس ذلك من صفة ربهم الذي له العبادة حقاً، بل صفته أنه يكلم أنبياءه ورسله، ويرشد خلقه إلى سبيل الخير وينهاهم عن سبيل المهالك والردى. يقول الله جلّ ثناؤه: ﴿اتَّخَذُوهُ﴾: أي اتخذوا العجل إلهاً. ﴿وكانُوا﴾ باتخاذهم إياه ربا معبوداً ﴿ظالِمِينَ﴾ لأنفسهم، لعبادتهم غير من له العبادة، وإضافتهم الألوهة إلى غير الذي له الألوهة. وقد بيَّنا معنى الظلم فيما مضى بما أغنى عن إعادته.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾﴾.

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿ولَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾: ولما ندم الذين عبدوا العجل الذي وصف جلّ ثناؤه صفته عند رجوع موسى إليهم، واستسلموا لموسى وحكمه فيهم. وكذلك تقول العرب لكلّ نادم على أمر فات منه أو سلف وعاجز عن شيء: «قد سقط في يديه» و«أسقط» لغتان فصيحتان، وأصله من الاستئسار، وذلك أن يضرب الرجل الرجل أو يصرعه، فيرمي به من يديه إلى الأرض ليأسره فيكتفه، فالمرميّ به مسقوط في يدي الساقط به، فقيل لكلّ عاجز عن شيء ومصارع لعجزه متندم على ما فاته: سقط في يديه وأسقط. وعنى بقوله: ﴿وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا﴾ ورأوا أنهم قد جاروا عن قصد السبيل وذهبوا عن دين الله، وكفروا بربهم، قالوا تائبين إلى الله

منيبين إليه من كفرهم به: ﴿لَئِن لَمْ يَرْحَمْنا رَبُّنا وَيَغْفِرْ لَنا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخاسِرِينَ﴾.

ثم اختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأه بعض قرّاء أهل المدينة ومكة والكوفة والبصرة: ﴿لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنا رَبُّنا﴾ بالرفع على وجه الخبر. وقرأ ذلك عامة قرّاء أهل الكوفة: «لَئِنْ لَمْ تَرْحَمْنا رَبَّنا» بالنصب بتأويل لئن لم ترحمنا يا ربنا، على وجه الخطاب منهم لربهم. واعتلّ قارئو ذلك كذلك بأنه في إحدى القراءتين: «قالوا لَئِنْ لَمْ تَرْحَمْنا رَبَّنا وَتَغْفِرْ لَنا»، وذلك دليل على الخطاب.

والذي هو أولى بالصواب من القراءة في ذلك القراءة على وجه الخبر بالياء في «يرحمنا» وبالرفع في قوله «ربُّنا»، لأنه لم يتقدّم ذلك ما يوجب أن يكون موجهاً إلى الخطاب. والقراءة التي حكيت على ما ذكرنا من قراءتها: «قالوا لَئِنْ لَمْ تَرْحَمْنا رَبَّنا» لا نعرف صحتها من الوجه الذي يجب التسليم إليه. ومعنى قوله: ﴿لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنا رَبُّنا وَيَغْفِرْ لَنا﴾: لئن لم يتعطف علينا ربنا بالتوبة برحمته، ويتغمد بها ذنوبنا، لنكوننّ من الهالكين الذين حبطت أعمالهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ولما رجع موسى إلى قومه من بني إسرائيل، رجع غضبان أسفاً، لأن الله كان قد أخبره أنه قد فتن قومه، وأن السامريّ قد أضلهم، فكان رجوعه غضبان أسفاً لذلك. والأسف: شدّة الغضب والتغيظ به على من أغضبه. كما:

حدثني عمران بن بكار الكُلاعي، قال: ثنا عبد السلام بن محمد الحضرمي، قال: ثني شريح بن يزيد، قال: سمعت نصر بن علقمة، يقول: قال أبو الدرداء: قول الله: ﴿غَضْبانَ أسِفاً﴾، قال: الأسف: منزلة وراء الغضب أشدّ من ذلك، وتفسير ذلك في كتاب الله: ذهب إلى قومه غضبان، وذهب أسفاً.

وقال آخرون في ذلك ما:

حدثني موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿أسِفاً﴾ قال: حزيناً.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن

ابن عباس: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلى قَوْمِهِ غَضْبانَ أَسِفاً﴾ يقول: أسفاً حزيناً. وقال في الزخرف ﴿فلمَّا آسَفُونَا﴾ يقول: أغضبونا. والأسف على وجهين: الغضب والحزن.

حدثنا نصر بن عليّ، قال: ثنا سليمان بن سليمان، قال: ثنا مالك بن دينار، قال: سمعت الحسن يقول في قوله: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلى قَوْمِهِ غَضْبانَ أَسِفاً﴾ قال: غضبان حزيناً.

وقوله قال: ﴿بِئْسَما خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي﴾ يقول: بئس الفعل فعلتم بعد فراقي إياكم وأوليتموني فيمن خلفت من ورائي من قومي فيكم وديني الذي أمركم به ربكم. يقال منه: خلفه بخير وخلفه بشرّ إذا أولاه في أهله أو قومه ومن كان منه بسبيل من بعد شخوصه عنهم خيراً أو شرّاً. وقوله: ﴿أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾ يقول: أسبقتم أمر ربكم في نفوسكم، وذهبتم عنه؟ يقال منه: عجل فلان هذا الأمر: إذا سبقه، وعجل فلانٌ فلاناً إذا سبقه، ولا تعجَلني يا فلان: لا تذهب عني وتدعني، وأعجلته: استحثثته.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وأَلْقَى الألْوَاحَ وأَخَذَ بِرأْسِ أخِيهِ يَجُرُّهُ إلَيْهِ قالَ ابْنَ أُمَّ إنَّ القَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وكادُوا يَقْتُلُونَنِي﴾.

يقول تعالى ذكره: وألقى موسى الألواح. ثم اختلف أهل العلم في سبب إلقائه إياها، فقال بعضهم: ألقاها غضباً على قومه الذين عبدوا العجل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا تميم بن المنتصر، قال: أخبرنا يزيد، قال: أخبرنا الأصبغ بن زيد، عن القاسم بن أبي أيوب قال: ثني سعيد بن جبير، قال: قال ابن عباس: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلى قَوْمِهِ غَضْبانَ أَسِفاً﴾ فأخذ برأس أخيه يجرّه إليه، وألقى الألواح من الغضب.

وحدثني عبد الكريم، قال: ثنا إبراهيم بن بشار، قال: ثنا ابن عيينة، قال: قال أبو سعد، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: لما رجع موسى إلى قومه، وكان قريباً منهم، سمع أصواتهم فقال: إني لأسمع أصوات قوم لاهين. فلما عاينهم وقد عكفوا على العجل ألقى الألواح فكسرها، وأخذ برأس أخيه يجرّه إليه.

حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قال: أخذ موسى الألواح ثم رجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً، فقال: ﴿يا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْداً حَسَناً﴾. إلى قوله: فكذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ فـ﴿أَلْقَى مُوسَى الألْوَاحَ وأَخَذَ برأْسِ أخِيهِ يَجُرُّهُ إلَيْهِ﴾ قال ﴿يا ابْنَ أُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرأْسِي﴾.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: لما انتهى موسى إلى قومه فرأى ما هم عليه من عبادة العجل، ألقى الألواح من يده، ثم أخذ برأس أخيه ولحيته يقول: **﴿ما مَنَعَكَ إذْ رأيْتَهُمْ ضَلُّوا ألاَّ تَتَّبِعَنِ أفَعَصَيْتَ أمْرِي﴾**؟.

وقال آخرون: إنما ألقى موسى الألواح لفضائل أصابها فيها لغير قومه، فاشتدّ ذلك عليه.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيدُ، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿أخَذَ الألْوَاحَ﴾** قال: رَبّ إني أجد في الألواح أمة خير أمة أخرجت للناس، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فاجعلهم أمتي قال: تلك أمة أحمد. قال: ربّ إني أجد في الألواح أمة هم الآخرون السابقون: أي آخرون في الخلق، سابقون في دخول الجنة، ربّ اجعلهم أمتي قال: تلك أمة أحمد. قال: ربّ إني أجد في الألواح أمة أناجيلهم في صدورهم يقرءونها، وكان مَن قبلَهم يقرأون كتابهم نظراً حتى إذا رفعوها لم يحفظوا شيئاً ولم يعرفوه قال قتادة: وإن الله أعطاكم أيتها الأمة من الحفظ شيئاً لم يعطه أحداً من الأمم قال: ربّ اجعلهم أمتي قال: تلك أمة أحمد. قال: ربّ إني أجد في الألواح أمة يؤمنون بالكتاب الأوّل وبالكتاب الآخِر، ويقاتلون فصول الضلالة حتى يقاتلوا الأعور الكذاب، فاجعلهم أمتي قال: تلك أمة أحمد. قال: ربّ إني أجد في الألواح أمة صدقاتهم يأكلونها في بطونهم ثم يؤجرون عليها، وكان مَن قبلهم من الأمم إذا تصدّق بصدقة فقبلت منه، بعث الله عليهم ناراً فأكلتها، وإن ردّت عليه تركت تأكلها الطير والسباع، قال: وإن الله أخذ صدقاتكم من غنيكم لفقيركم، قال: ربّ اجعلهم أمتي قال: تلك أمة أحمد. قال: ربّ إني أجد في الألواح أمة إذا همّ أحدهم بحسنة ثم لم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشر أمثالها إلى سبعمائة، ربّ اجعلهم أمتي قال: تلك أمة أحمد. قال: ربّ إني أجد في الألواح أمة إذا هم أحدهم بسيئة لم تكتب عليه حتى يعملها، فإذا عملها كتبت عليه سيئة واحدة، فاجعلهم أمتي قال: تلك أمة أحمد. قال: ربّ إني أجد في الألواح أمة هم المستجيبون والمستجاب لهم فاجعلهم أمتي قال: تلك أمة أحمد. قال: ربّ إني أجد في الألواح أمة هم المشفَّعون والمشفوع لهم، فاجعلهم أمتي قال: تلك أمة أحمد. قال: وذكر لنا أن نبيّ الله موسى عليه السلام نبذ الألواح وقال: اللهمّ اجعلني من أمة أحمد قال: فأُعطي نبيّ الله موسى عليه السلام ثنتين لم يعطهما نبيّ، قال الله: **﴿يا مُوسَى إنّي اصْطَفَيْتُكَ عَلى النَّاسِ بِرِسالاتي وبِكَلامي﴾** قال: فرضي نبي الله. ثم أُعطي الثانية: **﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بالحَقّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾** قال: فرضي نبيّ الله ﷺ كلّ الرضا.

حدثني محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة، قال:

لما أخذ موسى الألواح، قال: يا ربّ إني أجد في الألواح أمة هم خير الأمم، يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، فاجعلهم أمتي قال: تلك أمة أحمد. قال: يا ربّ إني أجد في الألواح أمة هم الآخرون السابقون يوم القيامة، فاجعلهم أمتي قال: تلك أمة أحمد، ثم ذكر نحو حديث بشر بن معاذ، إلا أنه قال في حديثه: فألقى موسى عليه السلام الألواح وقال: اللهمّ اجعلني من أمة محمد ﷺ.

والذي هو أولى بالصواب من القول في ذلك أن يكون سبب إلقاء موسى الألواح كان من أجل غضبه على قومه لعبادتهم العجلَ لأن الله جلّ ثناؤه بذلك أخبر في كتابه، فقال: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إلى قَوْمِهِ غَضْبانَ أسِفاً قالَ بِئْسَما خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أعَجِلْتُمْ أمْرَ رَبِّكُمْ وألْقَى الألْوَاحَ وأخَذَ بِرأسِ أخِيهِ يَجُرُّهُ إلَيْهِ﴾ وذلك أن الله لما كتب لموسى عليه السلام في الألواح التوراة، أدناه منه حتى سمع صريف القلم.

ذكر من قال ذلك:

حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا إسرائيل، عن السديّ، عن أبي عمارة، عن عليّ عليه السلام قال: كتب الله الألواح لموسى عليه السلام وهو يسمع صريف الأقلام في الألواح.

قال: ثنا إسرائيل، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، قال: أدناه حتى سمع صريف الأقلام.

وقيل: إن التوراة كانت سبعة أسباع فلما ألقى موسى الألواح تكسرت، فرفع منها ستة أسباعها، وكان فيما رفع تفصيل كلّ شيء الذي قال الله: ﴿وكَتَبْنا لَهُ فِي الألْوَاحِ مِنْ كُلّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وتَفْصِيلاً لِكُلّ شَيْءٍ﴾ وبقي الهدى والرحمة في السبع الباقي، وهو الذي قال الله: ﴿أخَذَ الألْوَاحَ وفي نُسخَتِها هُدىً وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾. وكانت التوراة فيما ذكر سبعين وِقر بعير يقرأ منها الجزء في سنة كما:

حدثني المثنى، قال: ثنا محمد بن خالد المكفوف، قال: ثنا عبد الرحمن، عن أبي جعفر، عن الربيع بن أنس، قال: أنزلت التوراة وهي سبعون وقر بعير، يقرأ منها الجزء في سنة، لم يقرأها إلا أربعة نفر: موسى بن عمران، وعيسى، وعُزير، ويوشع بن نون صلوات الله عليهم.

واختلفوا في الألواح، فقال بعضهم: كانت من زمرّد أخضر. وقال بعضهم: كانت من ياقوت. وقال بعضهم: كانت من برَد. ذكر الرواية بما ذكرنا من ذلك:

حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي، قال: ثنا حجاج بن محمد، عن ابن جريج، قال:

أخبرني يعلى بن مسلم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: ألقى موسى الألواح فتكسرت، فرفعت إلا سدسها. قال: ابن جريج: وأخبرني أن الألواح من زبرجد وزمرّد من الجنة.

وحدثني موسى بن سهل الرملي وعليّ بن داود وعبد الله بن أحمد بن شبويه وأحمد بن الحسن الترمذي، قالوا: أخبرنا آدم العسقلاني، قال: ثنا أبو جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية، قال: كانت ألواح موسى عليه السلام من بَرَد.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن أبي الجنيد، عن جعفر بن أبي المغيرة، قال: سألت سعيد بن جبير عن الألواح من أيّ شيء كانت؟ قال: كانت من ياقوتة كتابة الذهب كتبها الرحمن بيده، فسمع أهل السماوات صريف القلم وهو يكتبها.

حدثني الحرث، قال: ثنا القاسم، قال: حدثنا عبد الرحمن، عن محمد بن أبي الوضاح، عن خصِيف، عن مجاهد أو سعيد بن جبير قال: كانت الألواح زمرّداً، فلما ألقى موسى الألواح بقي الهدى والرحمة، وذهب التفصيل.

قال: ثنا القاسم، قال: ثنا الأشجعي، عن محمد بن مسلم، عن خَصيف، عن مجاهد، قال: كانت الألواح من زمرّد أخضر.

وزعم بعضهم أن الألواح كانت لوحين، فإن كان الذي قال كما قال، فإنه قيل: ﴿**وكَتَبْنا لَهُ فِي الألوَاحِ**﴾ وهما لوحان، كما قيل: ﴿**فإنْ كانَ لَهُ إخْوَةٌ**﴾ وهما أخوان.

وأما قوله: ﴿**وأخَذَ بِرأسِ أخِيهِ يَجُرُّهُ إلَيْهِ**﴾ فإن ذلك من فعل نبيّ الله ﷺ كان لموجدته على أخيه هارون في تركه اتباعه وإقامته مع بني إسرائيل في الموضع الذي تركهم فيه، كما قال جلّ ثناؤه مخبراً عن قيل موسى عليه السلام له: ﴿**ما مَنَعَكَ إذْ رأيْتَهُمْ ضَلُّوا ألاَّ تَتَّبِعَنِي أفَعَصَيْتَ أمْرِي**﴾؟ حين أخبره هارون بعذره، فقبل عذره، وذلك قيله لموسى: ﴿**لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرأسِي إنِّي خَشِيتُ أنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بينَ بَنِي إسْرَائِيلَ وَلمْ تَرْقُبْ قَوْلِي**﴾ وقال: ﴿**يا ابْنَ أُمَّ إنَّ القَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وكادُوا يَقْتُلُونني فَلا تُشْمِتْ بِيَ الأعْدَاء...**﴾ الآية.

واختلفت القرّاء في قراء ة قوله «يا ابْنَ أُمَّ» فقرأ ذلك عامّة قرّاء المدينة وبعض أهل البصرة: «يا ابْنَ أُمَّ» بفتح الميم من الأمّ. وقرأ ذلك عامّة قرّاء أهل الكوفة: «يا ابْنَ أُمِّ» بكسر الميم من الأم.

واختلف أهل العربية في فتح ذلك وكسره، مع إجماع جميعهم على أنهما لغتان مستعملتان في العرب. فقال بعض نحويي البصرة: قيل ذلك بالفتح على أنهما اسمان جعلا اسماً واحداً،

كما قيل: يا ابن عمّ، وقال: هذا شاذّ لا يقاس عليه، وقال: من قرأ ذلك: «يا ابن أمِّ»، فهو على لغة الذين يقولون: هذا غلام قد جاء، جعله اسماً واحداً آخره مكسور، مثل قوله خازِ بازِ. وقال بعض نحويي الكوفة: قيل: يا ابن أمَّ ويا ابن عمّ، فنصب كما ينصب المعرب في بعض الحالات، فيقال: يا حسرتا، يا ويلتا، قال: فكأنهم قالوا: يا أماه ويا عماه ولم يقولوا ذلك في أخ، ولو قيل ذلك لكان صواباً. قال: والذين خفضوا ذلك فإنه كثر في كلامهم حتى حذفوا الياء. قال: ولا تكاد العرب تحذف الياء إلا من الاسم المنادى يضيفه المنادِي إلى نفسه، إلا قولهم: يا ابن أمّ، ويا ابن عمِّ وذلك أنهما يكثر استعمالهما في كلامهم، فإذا جاء ما لا يستعمل أثبتوا الياء، فقالوا: يا ابن أبي، ويا ابن أختي وأخي، ويا ابن خالتي، ويا ابن خالي.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إذا فُتحت الميم من «ابن أمَّ»، فمراد به الندبة: يا ابن أماه، وكذلك من ابن عمّ فإذا كُسرت، فمراد به الإضافة، ثم حذفت الياء التي هي كناية اسم المخبِر عن نفسه. وكأن بعض من أنكر نسبته كسر ذلك إذا كسر، ككسر الزاي من خازِ بازِ، لأن خازِ بازِ لا يعرف الثاني إلا بالأوّل ولا الأوّل إلا بالثاني، فصار كالأصوات. وحُكي عن يونس النحوي تأنيث أمّ وتأنيث عمّ، وقال: لا يجعل اسماً واحداً إلا مع ابن المذكر. قالوا: وأما اللغة الجيدة والقياس الصحيح فلغة من قال: «يا ابن أمي» بإثبات الياء، كما قال أبو زُبيد:

يـا بْـنَ أُمِّـي ويـا شُـقَيِّـقَ نَـفْـسِـي ... أنـتَ خَـلَّـفْـتَـنِـي لِـدَهْـرٍ شَـدِيـدِ[1]

وكما قال الآخر:

يـا بْـنَ أُمِّـي وَلَـوْ شَـهِـدْتُـكَ إذْ تَـدْ ... عُـو تَـمِـيـمـاً وأنْـتَ غـيـرُ مُـجَـابِ[2]

وإنما أثبت هؤلاء الياء في الأم لأنها غير مناداة، وإنما المنادي هو الابن دونها، وإنما تسقط العرب الياء من المنادى إذا أضافته إلى نفسها، لا إذا أضافته إلى غير نفسها، كما قد بينا. وقيل: إن هارون إنما قال لموسى عليه السلام: «يا ابن أمّ»، ولم يقل: «يا ابن أبي»، وهما لأب واحد وأم واحدة، استعطافاً له على نفسه برحِم الأم. وقوله: ﴿**إنَّ القَوْمَ اسْتَضْعَفُوني وكادُوا يَقْتُلُونَنِي**﴾ يعني بالقوم الذين عكفوا على عبادة العجل، وقالوا هذا إلهنا وإله موسى، وخالفوا

---

(١) يونس النحوي: هو ابن حبيب الضبي مولاهم، وهو من شيوخ سيبويه. مات سنة ١٨٣ هـ. والجرمي: تحريف.

البيت لأبي زبيد الطائي حرملة بن المنذر في مرثية أخيه شرح التصريح على التوضيح للشيخ خالد بن عبد الله الأزهري (٢/ ٢٢٦) وهو شاهد على أن العرب لا يكادون يثبتون ياء الضمير في (يابن أمي) ولا الألف المنقلبة عنهما في (يابن أما) إلا في الضرورة، كقول أبي زبيد هذا. وقول أبي النجم الفضل بن قدامة العجلي:

يـابْـنَـةَ عَـمَّـا لا تَـلُـومِـي واهْـجَـعِـي ... لا يَـخْـرِقِ الـلَّـوْمُ حِـجـابَ مِـسْـمَـعِـي

(٢) هذا الشاهد كالذي قبله، ولم نقف على قائله.

هارون. وكان استضعافهم إياه، تركهم طاعته واتباع أمره. ﴿وكَادُوا يَقْتُلُونَني﴾ يقول: قاربوا ولم يفعلوا.

واختلفت القراء في قراءة قوله: ﴿فَلا تُشمِتْ﴾ فقرأ قرّاء الأمصار ذلك: ﴿فَلاَ تُشْمِتْ بِيَ الأَعْدَاءَ﴾ بضمّ التاء من تُشمت وكسر الميم منها، من قولهم: أشمت فلان فلاناً بفلان، إذا سرّه فيه بما يكرهه المُشمَت به. ورُوي عن مجاهد أنه قرأ ذلك: «فلا تَشْمُتْ بِيَ الأَعْدَاءُ».

حدثني بذلك عبد الكريم، قال: ثنا إبراهيم بن بشار، قال: ثنا سفيان، قال: قال حميد بن قيس قرأ مجاهد: «فَلا تَشْمُتْ بِيَ الأَعْدَاءَ».

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله بن الزبير، عن ابن عيينة، عن حميد، قال: قرأ مجاهد: «فَلا تَشْمُتْ بِيَ الأَعْدَاءُ».

حُدثت عن يحيى بن زياد الفرّاء، قال: ثنا سفيان بن عيينة، عن رجل[1]، عن مجاهد أنه قال: ﴿لا تَشْمُتْ﴾.

وقال الفرّاء: قال الكسائي: ما أدري، فلعلهم أرادوا: ﴿فَلاَ تُشْمِتْ بِيَ الأَعْدَاءَ﴾ فإن تكن صحيحة فلها نظائر. العرب تقول: فَرِغْتُ وَفَرَغْتُ، فمن قال: فَرِغْتُ قال: أنا أفْرَغُ، ومن قال: فَرَغْتَ قال: أنا أفْرُغُ، وكذلك رَكِبْت وَرَكَنْتُ وشَمِلَهم أمر وشَمَلَهم، في كثير من الكلام. قال: «والأعداء» رَفْع لأن الفعل لهم لمن قال تَشْمَتُ أو تَشْمُت.

والقراءة التي لا أستجيز القراءة إلا بها قراءة من قرأ: ﴿فَلا تُشمِتْ﴾ بضم التاء الأولى وكسر الميم من أشمتُّ به عدوّه أشْمِته به، ونصب الأعداء لإجماع الحجة من قراء الأمصار عليها وشذوذ ما خالفها من القراءة، وكفى بذلك شاهداً على ما خالفها. هذا مع إنكار معرفة عامة أهل العلم بكلام العرب: شمَتَ فلان فلاناً بفلان، وشمَت فلان بفلان يشمُت به، وإنما المعروف من كلامهم إذا أخبروا عن شماتة الرجل بعدوّه شَمِتَ به بكسر الميم يَشْمَتُ به بفتحها في الاستقبال[2].

---

(١) في «**معاني القرآن**» (مصورة الجامعة رقم ٢٤٠٥٩ الورقة ١١٥) أظنه الأعرج.

(٢) الخلاصة: أن الوارد في المعاجم من أفعال الشماتة، وهو: شميت به يشمت (بكسر الميم في الماضي وفتحها في المضارع) ويعدي بالهمزة وحدها، لا بالتضعيف، فيقال: أشمته به إشماتا إذا جعل عدوه يشمت به، وعليه قراءة الجمهور، أما شمت به يشمت (بفتح الميم في الماضي، وضمها في المستقبل) فلم يسمع عن العرب، ولكن أثبته الكسائي في تعليقه على قراءة مجاهد التي بهذا الضبط، قياساً على نظائره (فرغ، وركن، وشمل) في كثير من نظائرها، من بابي علم ونصر والقراءة المنسوبة إلى مجاهد في هذا الحرف، ثلاث أو أربع، وبعضها لا وجه له في العربية انظر تفسيري القرطبي والشوكاني، و «**معاني القرآن**» للفراء، و «**لسان العرب**».

وأما قوله: ﴿وَلا تَجْعَلْنِي مَعَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ فإنه قول هارون لأخيه موسى، يقول: لا تجعلني في موجدتك عليّ وعقوبتك لي ولم أخالف أمرك محلّ من عصاك فخالف أمرك وعبد العجل بعدك فظلم نفسه وعبد غير من له العبادة، ولم أشايعهم على شيء من ذلك. كما:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿وَلا تَجْعَلْنِي مَعَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ قال: أصحاب العجل.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد. بمثله.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: قال موسى لما تبين له عذر أخيه، وعلم أنه لم يفرّط في الواجب الذي كان عليه من أمر الله في ارتكاب ما فعله الجهلة من عبدة العجل: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لي﴾ مستغفراً من فعله بأخيه، ولأخيه من سالف له بينه وبين الله، تغمد ذنوبنا بستر منك تسترها به. ﴿وأَدْخِلْنا فِي رَحْمَتِكَ﴾ يقول: وارحمنا برحمتك الواسعة عبادك المؤمنين، فإنك أنت أرحم بعبادك من كلّ من رحم شيئاً.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿إنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا العِجْلَ﴾ إلهاً، ﴿سَيَنالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ بتعجيل الله لهم ذلك، ﴿وَذِلَّةٌ﴾ وهي الهوان، لعقوبة الله إياهم على كفرهم بربهم ﴿في الحَياةِ الدُّنْيا﴾ في عاجل الدنيا قبل آجل الآخرة. وكان ابن جريج يقول في ذلك بما:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قوله: ﴿إنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا العِجْلَ سَيَنالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الحَياةِ الدُّنْيا وكذلكَ نَجْزِي المُفْتَرِينَ﴾ قال: هذا لمن مات ممن اتخذ العجل قبل أن يرجع موسى عليه السلام، ومن فرّ منهم حين أمرهم موسى أن يقتل بعضهم بعضاً.

وهذا الذي قاله ابن جريج، وإن كان قولاً له وجه، فإن ظاهر كتاب الله مع تأويل أكثر أهل التأويل بخلافه وذلك أن الله عمّ بالخبر عمن اتخذ العجل أنه سينالهم غضب من ربهم وذلة في

الحياة الدنيا. وتظاهرت الأخبار عن أهل التأويل من الصحابة والتابعين بأن الله، إذ رجع إلى بني إسرائيل موسى عليه السلام، تاب على عَبَدة العجل من فعلهم، بما أخبر به عن قيل موسى عليه السلام في كتابه، وذلك قوله: ﴿**وَإِذْ قالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ باتِّخاذِكُمُ العِجْلَ فَتُوبُوا إلى بارِئِكُمْ فاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ**﴾ ففعلوا ما أمرهم به نبيهم ﷺ، فكان أمر الله إياهم بما أمرهم به من قتل بعضهم أنفس بعض، عن غضب منه عليهم بعبادتهم العجل، فكان قتل بعضهم بعضاً هواناً لهم وذلة أذلّهم الله بها في الحياة الدنيا، وتوبة منهم إلى الله قِبَلها. وليس لأحد أن يجعل خبراً جاء الكتاب بعمومه في خاصّ مما عمه الظاهر بغير برهان من حجة خبر أو عقل، ولا نعلم خبراً جاء بوجوب نقل ظاهر قوله: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا العِجْلَ سَيَنالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ**﴾ إلى باطن خاصّ، ولا من العقل عليه دليل، فيجب إحالة ظاهره إلى باطنه.

ويعني بقوله: ﴿**وكذلكَ نَجْزِي المُفْتَرِينَ**﴾ وكما جزيتُ هؤلاء الذين اتخذوا العجل إلهاً من إحلال الغضب بهم، والإذلال في الحياة الدنيا على كفرهم ربهم، وردتهم عن دينهم بعد إيمانهم بالله، وكذلك نجزي كلّ من افترى على الله فكذب عليه وأقرّ بإلوهية غيره وعبد شيئاً سواه من الأوثان بعد إقراره بوحدانية الله، وبعد إيمانه به وبأنبيائه ورسله وقيلِ ذلك، إذا لم يتب من كفره قبل قتله.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن أيوب، قال: تلا أبو قِلابة: ﴿**سَيَنالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الحَياةِ الدُّنْيا...**﴾ الآية، قال: فهو جزاء كلّ مفتر يكون إلى يوم القيامة، أن يذله الله عزّ وجلّ.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو النعمان عارم، قال: ثنا حماد بن زيد، عن أيوب، قال: قرأ أبو قلابة يوماً هذه الآية: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا العِجْلَ سَيَنالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الحَياةِ الدُّنْيا وكذلكَ نَجْزِي المُفْتَرِينَ**﴾ قال: هي والله لكلّ مفتر إلى يوم القيامة.

قال: ثنا حجاج، قال: ثنا حماد، عن ثابت وحميد: أن قيس بن عباد وجارية بن قدامة دخلا على عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، فقالا: أرأيت هذا الأمر الذي أنت فيه وتدعو إليه، أعهد عهده إليك رسول الله ﷺ أم رأي رأيته؟ قال: مالكما ولهذا؟ أعرضا عن هذا فقالا: والله لا نعرض عنه حتى تخبرنا. فقال: ما عهد إليّ رسول الله ﷺ إلا كتاباً في قراب سيفي هذا. فاستلّه فأخرج الكتاب من قراب سيفه، وإذا فيه: «إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيّ إلاَّ لَهُ حَرَمٌ، وإِنِّي حَرَّمْتُ المَدِينَةَ كَمَا حَرَّمَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلامُ مَكَّةَ، لا يُحْمَلُ فِيها السِّلاحُ لِقِتالٍ، مَنْ أَحْدَثَ حَدَثاً أَوْ آوَى مُحْدِثاً فَعَلَيْهِ

لَعْنَةُ اللَّهِ وَالمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمعِينَ، لا يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلا عَدْلٌ» فلما خرجا قال أحدهما لصاحبه: أما ترى هذا الكتاب؟ فرجعا وتركاه، وقالا: إنا سمعنا الله يقول: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا العِجْلَ سَيَنالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ**...﴾ الآية، وإن القوم قد افتروا فرية، ولا أدري إلا سينزل بهم ذلة.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله بن الزبير، عن ابن عيينة: في قوله: ﴿**وكذلكَ نَجْزِي المُفْتَرِينَ**﴾. قال: كل صاحب بدعة ذليل.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَءَامَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٥٣)﴾.

وهذا خبر من الله تعالى ذكره أنه قابل من كلّ تائب إليه من ذنب أتاه صغيرة كانت معصيته أو كبيرة، كفراً كانت أو غير كفر، كما قبل من عَبدة العجل توبتهم بعد كفرهم به بعبادتهم العجل وارتدادهم عن دينهم. يقول جلّ ثناؤه: والذين عملوا الأعمال السيئة ثم رجعوا إلى طلب رضا الله بإنابتهم إلى ما يحبّ مما يكره وإلى ما يرضى مما يسخط من بعد سيء أعمالهم، وصدّقوا بأن الله قابل توبة المذنبين وتائب على المنيبين بإخلاص قلوبهم ويقين منهم بذلك، ﴿**لَغَفُورٌ**﴾ لهم، يقول: لساتر عليهم أعمالهم السيئة، وغير فاضحهم بها، رحيم بهم، وبكلّ من كان مثلهم من التائبين.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ (١٥٤)﴾.

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿**وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الغَضَبُ**﴾ ولما كفّ موسى عن الغضب، وكذلك كلّ كافَ عن شيء ساكت عنه. وإنما قيل للساكت عن الكلام ساكت: لكفه عنه. وقد ذكر عن يونس النحويّ[1] أنه قال: يقال سكت عنه الحزن وكلّ شيء فيما زعم ومنه قول أبي النجم:

(١) هو يونس النحوي الضبي (مولاهم) لا الجرمي، كما تكرر تحريفه بأيدي النساخ في هذا التفسير. توفي سنة ١٨٣ هـ.

وَهَـمَّـتِ الأفْـعَـى بِـأَنْ تَـسِـيـحَـا ... وَسَـكَـتَ الـمُـكَّـاءُ أنْ يَـصِـيـحَـا[1]

﴿أَخَذَا الأَلْوَاحَ﴾ يقول: أخذها بعد ما ألقاها، وقد ذهب منها ما ذهب. ﴿وفِي نُسْخَتِها هُدىً وَرَحْمَةٌ﴾ يقول: وفيما نسخ فيها: أي منها هدى بيان للحقّ ورحمة. ﴿لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ يقول: للذين يخافون الله، ويخشون عقابه على معاصيه.

واختلف أهل العربية في وجه دخول اللام في قوله: ﴿لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ مع استقباح العرب أن يقال في الكلام: رهبت لك: بمعنى رهبتك، وأكرمت لك: بمعنى أكرمتك، فقال بعضهم: ذلك كما قال جلّ ثناؤه: ﴿إنْ كُنْتُمْ للرُّؤْيا تَعْبُرُونَ﴾ أوصل الفعل باللام. وقال بعضهم: من أجل ربهم يرهبون. وقال بعضهم: إنما دخلت عقب الإضافة الذين هم راهبون لربهم وراهبو ربهم ثم أدخلت اللام على هذا المعنى لأنها عقيب الإضافة لا على التعليق. وقال بعضهم: إنما فعل ذلك لأن الاسم تقدّم الفعل، فحسن إدخال اللام. وقال آخرون: قد جاء مثله في تأخير الاسم في قوله: ﴿رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾. وذكر عن عيسى بن عمر أنه قال: سمعت الفرزدق يقول: نقدت له مائة درهم، يريد نقدته مائة درهم. قال: والكلام واسع.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ (١٥٥)﴾.

يقول تعالى ذكره: واختار موسى من قومه سبعين رجلاً للوقت والأجل الذي وعده الله أن يلقاه فيه بهم للتوبة مما كان من فعل سفهائهم في أمر العجل. كما:

حدثني موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو بن حماد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قال: إن الله أمر موسى عليه السلام أن يأتيه في ناس من بني إسرائيل يعتذرون إليه من عبادة العجل، ووعدهم موعداً. فاختار موسى قومه سبعين رجلاً على عينه، ثم ذهب بهم ليعتذروا،

---

(١) سكت الشيء يسكت سكوتاً: سكنت حركته. والمكاء: طائر شبه القنبرة، إلا أن في جناحيه بلقا، سمي بذلك لأنه يجمع يديه ثم يصفر فيهما صفيراً حسناً. وهو طائر يألف الريف، وجمعه المكاكي، وهو فعال من مكا: إذا صفر. وضبح: بتشديد الباء صاح بأقصى طاقته. ولعله محرف عن «صيحا». إذ لا وجود لضبح بالتشديد في «معاجم اللغة».

فلما أتوا ذلك المكان، قالوا: لن نؤمن لك يا موسى حتى نرى الله جهرة، فإنك قد كلمته فأرناه فأخذتهم الصاعقة فماتوا. فقام موسى يبكي ويدعو الله ويقول: ربّ ماذا أقول لبني إسرائيل إذا أتيتهم وقد أهلكت خيارهم، لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: اختار موسى من بني إسرائيل سبعين رجلاً الخَيِّر فالخير، وقال: انطلقوا إلى الله فتوبوا إليه مما صنعتم، واسألوه التوبة على من تركتم وراءكم من قومكم، صوموا، وتطهَّروا، وطهِّروا ثيابكم فخرج بهم إلى طور سيناء لميقات وقَّته له ربه، وكان لا يأتيه إلا بإذن منه وعلم، فقال السبعون فيما ذكر لي حين صنعوا ما أمرهم به، وخرجوا معه للقاء ربه لموسى: اطلب لنا نسمع كلام ربنا فقال: أفعل. فلما دنا موسى من الجبل، وقع عليه عمود الغمام حتى تغشى الجبل كله، ودنا موسى فدخل فيه، وقال للقوم: ادنوا وكان موسى إذا كلمه الله، وقع على جبهته نور ساطع، لا يستطيع أحد من بني آدم أن ينظر إليه. فضُرب دونه بالحجاب، ودنا القوم حتى إذا دخلوا في الغمام وقعوا سجوداً، فسمعوه وهو يكلم موسى، يأمره وينهاه افعل ولا تفعل، فلما فرغ الله من أمره، وانكشف عن موسى الغمام، أقبل إليهم، فقالوا لموسى: **﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حتى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً، فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾** وهي الصاعقة، فالتقت أرواحهم فماتوا جميعاً، وقام موسى عليه السلام يناشد ربه ويدعوه ويرغب إليه، ويقول: ربّ لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي، قد سفهوا أفتهلك من ورائي من بني إسرائيل؟

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: **﴿وَاخْتارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِمِيقاتِنا﴾** قال: كان الله أمره أن يختار من قومه سبعين رجلاً، فاختار سبعين رجلاً، فبرز بهم ليدعوا ربهم، فكان فيما دعوا الله أن قالوا: اللهمّ أعطنا ما لم تعط أحداً بعدنا، فكره الله ذلك من دعائهم، فأخذتهم الرجفة. قال موسى: **﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وإيَّايَ﴾**.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا خالد بن حيان، عن جعفر، عن ميمون: **﴿وَاخْتارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِمِيقاتِنا﴾** قال: لموعدهم الذي وعدهم.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: **﴿سَبْعِينَ رَجُلاً لِمِيقاتِنا﴾** قال: اختارهم لتمام الوعد.

وقال آخرون: إنما أخذتهم الرجفة من أجل دعواهم على موسى قتل هارون.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار وابن وكيع، قالا: ثنا يحيى بن يمان، قال: ثنا سفيان، قال: ثني أبو إسحاق، عن عمارة بن عبد السلولي، عن عليّ رضي الله عنه، قال: انطلق موسى وهارون وشَبر وشَبِير، فانطلقوا إلى سفح جبل، فنام هارون على سرير، فتوفاه الله. فلما رجع موسى إلى بني إسرائيل قالوا له: أين هارون؟ قال: توفاه الله. قالوا: أنت قتلته، حسدتنا على خلقه ولينه أو كلمة نحوها قال: فاختاروا من شئتم قال: فاختاروا سبعين رجلاً. قال: فذلك قوله: ﴿**وَاخْتارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِمِيقاتِنا**﴾. قال: فلما انتهوا إليه قالوا: يا هارون من قتلك؟ قال: ما قتلني أحد، ولكنني توفاني الله. قالوا: يا موسى لن نعصيَ بعد اليوم قال: فأخذتهم الرجفة. قال: فجعل موسى يرجع يميناً وشمالاً، وقال: يا ﴿**رَبِّ لَوْ شِئْتَ أهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وإيَّايَ أتُهْلِكُنا بِمَا فَعَلَ السُّفَهاءُ مِنَّا إنْ هِيَ إلاَّ فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِها مَنْ تَشاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشاءُ**﴾ قال: فأحياهم الله وجعلهم أنبياء كلهم.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن أبي إسحاق، عن رجل من بني سلول، أنه سمع علياً رضي الله عنه يقول في هذه الآية: ﴿**وَاخْتارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِمِيقاتِنا**﴾ قال: كان هارون حسن الخلق محبباً في بني إسرائيل. قال: فلما مات دفنه موسى. قال: فلما أتى بني إسرائيل، قالوا له: أين هاون؟ قال: مات. فقالوا: قتلته قال: فاختار منهم سبعين رجلاً. قال: فلما أتوا القبر، قال موسى: أُقتلت أو متّ؟ قال: متّ. قال: فأصعقوا، فقال موسى: ربّ ما أقول لبني إسرائيل إذا رجعت؟ يقولون: أنت قتلتهم قال: فأحيوا وجعلوا أنبياء.

حدثني عبد الله بن الحجاج بن المنهال، قال: ثنا أبي، قال: ثنا الربيع بن حبيب، قال: سمعت أبا سعيد، يعني الرقاشيّ، وقرأ هذه الآية: ﴿**وَاخْتارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِمِيقاتِنا**﴾ فقال: كانوا أبناء ما عدا عشرين ولم يتجاوزوا الأربعين، وذلك أن ابن عشرين قد ذهب جهله وصباه، وأن من لم يتجاوز الأربعين لم يفقد من عقله شيئاً.

وقال آخرون: إنما أخذت القوم الرجفة لتركهم فراق عبدة العجل، لا لأنهم كانوا من عبَدته.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وَاخْتارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِمِيقاتِنا**﴾ فقرأ حتى بلغ: ﴿**السُّفَهاءُ مِنا**﴾ ذكر لنا أن ابن عباس كان يقول: إنما

تناولتهم الرجفة لأنهم لم يزايلوا القوم حين نصبوا العجل، وقد كرهوا أن يجامعوهم عليه.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قوله: ﴿**وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِمِيقَاتِنَا**﴾ ممن لم يكن قال ذلك القول على أنهم لم يجامعوهم عليه، فأخذتهم الرجفة من أجل أنهم لم يكونوا باينوا قومهم حين اتخذوا العجل. فلما خرجوا ودعوا، أماتهم الله ثم أحياهم. ﴿**فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا**﴾.

حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا أبو سعد، قال: قال مجاهد: ﴿**وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِمِيقَاتِنَا**﴾ والميقات: الموعد. فلما أخذتهم الرجفة بعد أن خرج موسى بالسبعين من قومه يدعون الله ويسألونه أن يكشف عنهم البلاء، فلم يستجب لهم علم موسى أنهم قد أصابوا من المعصية ما أصابه قومهم. قال ابن سعد: فحدثني محمد بن كعب القرظي، قال: لم يستجب لهم من أجل أنهم لم ينهوهم عن المنكر ويأمروهم بالمعروف. قال: فأخذتهم الرجفة فماتوا، ثم أحياهم الله.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبو أسامة، عن عون، عن سعيد بن حيان، عن ابن عباس: إن السبعين الذين اختارهم موسى من قومه، إنما أخذتهم الرجفة أنهم لم يرضوا ولم ينهوا عن العجل.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا عون، قال: ثنا سعيد بن حيان، عن ابن عباس، بنحوه.

واختلف أهل العربية في وجه نصب قوله: ﴿**قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِمِيقَاتِنَا**﴾ فقال بعض نحويي البصرة: معناه: واختار موسى من قومه سبعين رجلاً، فلما نزع «مِن» أعمل الفعل، كما قال الفرزدق:

وَمِنَّا الَّذِي اخْتِيرَ الرِّجَالَ سَمَاحَةً ... وَجُوداً إذَا هَبَّ الرِّيَاحُ الزَّعَازِعُ[1]

---

(١) هذا البيت للفرزدق، وهو من شواهد النحويين على أن الرجال منصوب بنزع الخافض، والأصل من الرجال، وهو المفعول الثاني المقيد بحرف الجر لاختار، فإنه يتعدى إلى الأول بنفسه وإلى الثاني بحرف الجر. والمفعول الأول هنا هو نائب الفاعل، وهو الضمير العائد إلى الذي. وهذا الحذف كثير الاستعمال انظر «**خزانة الأدب**» للبغدادي (٣/٦٧٣). ويقال: سمح بكذا يسمح سموحاً وسماحاً وسماحة: جاد وأعطى، أو وافق على ما أريد منه. والجود: الكرم. والزعازع: جمع زعزع كجعفر، وهي الريح التي تهب بشدة، وعنى بذلك الشتاء. وفيه تقل الألبان، وتعدم الأزواد، ويبخل الجواد اهـ عن «**الخزانة**».

وكما قال الآخر:

أَمَرْتُكَ الخَيْرَ فافْعَلْ ما أُمِرْتَ بِه ... فَقَدْ تَرَكْتُكَ ذَا مالٍ وَذَا نَشَبِ[(١)]

وقال الراعي:

اخْتَرْتُكَ النَّاسَ إذْ غَثَّتْ خَلائِقُهُمْ ... واعْتَلَّ مَن كانَ يُرْجَى عندَهُ السُّولُ[(٢)]

وقال بعض نحوِّيي الكوفة: إنما استجيز وقوع الفعل عليهم إذا طرحت مِن، لأنه مأخوذ من قولك: هؤلاء خير القوم، وخير من القوم، فإذا جازت الإضافة مكان «من» ولم يتغير المعنى، استجازوا أن يقولوا: اخترتكم رجلاً، واخترت منكم رجلاً، وقد قال الشاعر:

لَهُ اخْتَرْها قَلُوصاً سَمِينَةً[(٣)]

---

(١) البيت لعمرو بن معدي كرب الزبيدي «**الخزانة**» (٣/ ٦٧٣) وهو شاهد على أن «أمرتك الخير» أصله «أمرتك بالخير» ثم حذف منه حرف التعدية فنصب الاسم على المفعولية. والنشب: المال الأصيل الثابت، أي العقار كالدور والضياع. ورواه أبو علي الهجري في نوادره «ذا نسب» بالسين المهملة؛ يقول: تركتك غنياً حسيباً.

وينسب البيت لأعشى طرود، ولعباس بن مرداس، ولزرعة بن السائب، ولخفاف بن ندبة.

(٢) وهذا البيت كالشاهدين قبله وأصل الكلام: اخترتك من الناس، فحذف حرف التعدية، ونصب الاسم بسقوط الخافض غثت: فسدت. وفي المخطوطة ١٠٠: عثت، بالعين. يريد: أنني اخترتك من الناس، لأنك سمح كريم، سهل الخليقة، وتركت كل من حالت طبيعته وحرصه دون كرمه. وأنشد القرطبي في تفسيره البيت (٧/ ٢٩٤) وفيه: «رثت» في مكان «عنت»، و «اختل» في مكان: «اعتل».

(٣) هذا صدر بيت من قصيدة للراعي النميري، قالها وقد نزل به رجل من بني كلاب في ركب معه ليلاً، في سنة مجدبة، وقد عزبت عن الراعي إبله، فنحر لهم ناقة من رواحلهم، وصبحت الراعي إبله، فأعطى رب الناب ناباً مثلها، وزادها ناقة ثنية. ورواية المؤلف للبيت نقلها عن «**معاني القرآن**» للفراء، وهي تختلف عن رواية أبي تمام لها في باب الهجاء: (٤/ ٣٧) من شرح التبريزي للحماسة طبعة الأميرية والبيت بتمامه في الحماسة كما يأتي:

فَقُلْتُ لِرَبِّ النَّابِ خُذْها ثَنِيَّةً ... ونابٌ علينا مِثْلَ نابِكِ في الحَيَا

والناب: الناقة المسنة. والحيا: الشحم والسمن، وهم يسمون النبت حياً لأنه بالمطر يكون، ثم تسمى الشحم حياً لأنه بالنبت يكون ومعناه: قلت لرب الناب: خذها ثنية فضلاً عن نابك، وناب علينا واجب مثل نابك في السمن عوضاً عما نحرناها، فخذها مع الثنية. وعلى هذه الرواية لا شاهد في البيت. أما رواية البيت في «**معاني القرآن**» للفراء فهي:

فَقُلْتُ لَه اخْتَرْها قَلُوصاً سَمِينَةً ... ونابا عَلَيْنا مِثْلَ نابِكِ في الحيا

ولا نجد في هذه الرواية على فرض صحتها شاهداً للمؤلف، لأن كلمة «قلوصا» منصوبة على الحال من (ها) في اخترها، وليس أصلها «من قلوص» ثم أسقط الجار.

وقال الراجز:

تَحْتَ الـتـي اخْـتـارَ لَـهُ الـلَّـهُ الـشَّـجَـرْ[1]

بمعنى: اختارها له الله من الشجر.

وهذا القول الثاني أولى عندي في ذلك بالصواب لدلالة الاختيار على طلب «من» التي بمعنى التبعيض، ومن شأن العرب أن تحذف الشيء من حشو الكلام إذا عرف موضعه، وكان فيما أظهرت دلالة على ما حذفت، فهذا من ذلك إن شاء الله.

وقد بيّنا معنى الرجفة فيما مضى بشواهدها، وأنها ما رجف بالقوم وأرعبهم وحرّكهم وأهلكهم بعد، فأماتهم أو أصعقهم، فسلب أفهامهم. وقد ذكرنا الرواية في غير هذا الموضع، وقول من قال: إنها كانت صاعقة أماتتهم.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿**فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ**﴾ ماتوا ثم أحياهم.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿**سَبْعِينَ رَجُلاً لِمِيقاتِنا**﴾ اختارهم موسى لتمام الموعد. ﴿**فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ**﴾ ماتوا ثم أحياهم الله.

حدثني عبد الكريم، قال: ثنا إبراهيم، قال: ثنا سفيان، قال: قال أبو سعد، عن عكرمة، عن ابن عباس: ﴿**فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ**﴾ قال: رجف بهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَتُهلِكُنا بِمَا فَعَلَ السُّفَهاءُ مِنَّا إنْ هِيَ إلاَّ فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِها مَنْ تَشاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشاءُ أَنْتَ وَلِيُّنا فاغْفِرْ لَنا وَارْحَمْنا وأَنْتَ خَيْرُ الغافِرِينَ﴾.

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معنى ذلك: أتهلك هؤلاء الذين أهلكتهم بما فعل السفهاء منا: أي بعبادة من عبد العجل. قالوا: وكان الله إنما أهلكهم لأنهم كانوا ممن يعبد العجل، وقال موسى ما قال ولا علم عنده بما كان منهم من ذلك.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿**أَتُهلِكُنا بِمَا**

---

(١) البيت للعجاج ديوانه (ص - ١٥) من أرجوزة يمدح بها عمر بن عبد الله بن معمر. يريد بيعة الرضوان تحت الشجرة المباركة.

فَعَلَ السُّفَهاءُ مِنَّا﴾ فأوحى الله إلى موسى: أنّ هؤلاء السبعين ممن اتخذ العجل، فذلك حين يقول موسى: **﴿إِنْ هِيَ إلاَّ فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِها مَنْ تَشاءُ وَتَهدي مَنْ تَشاءُ﴾**.

وقال آخرون: معنى ذلك: أن إهلاكك هؤلاء الذين أهلكتهم هلاك لمن وراءهم من بني إسرائيل إذا انصرفتُ إليهم، وليسوا معي، والسفهاء على هذا القول كانوا المهلكين الذين سألوا موسى أن يريهم ربهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: لما أخذت الرجفة السبعين فماتوا جميعاً، قام موسى يناشد ربه ويدعوه، ويرغب إليه يقول: ربّ لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي قد سفهوا أفتهلك من ورائي من بني إسرائيل بما فعل السفهاء منا؟ أي إن هذا لهم هلاك، قد اخترت منهم سبعين رجلاً الخير فالخير، أرجع إليهم وليس معي رجل واحد؟ فما الذي يصدّقونني به أو يأمنونني عليه بعد هذا؟

وقال آخرون في ذلك بما:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿أتهلِكُنا بِمَا فَعَلَ السُّفَهاءُ مِنَّا﴾**: أتؤاخذنا وليس منا رجل واحد ترك عبادتك ولا استبدل بك غيرك؟

وأولى القولين بتأويل الآية، قول من قال: إن موسى إنما حزن على هلاك السبعين بقوله: **﴿أتُهلِكُنا بِمَا فَعَلَ السُّفَهاءُ مِنَّا﴾** وأنه إنما عنى بالسفهاء: عبدة العجل وذلك أنه محال أن يكون موسى ﷺ كان تخير من قومه لمسألة ربه ما أراه أن يسأل لهم إلا الأفضل فالأفضل منهم، ومحال أن يكون الأفضل كان عنده من أشرك في عبادة العجل واتخذه دون الله إلهاً.

قال: فإن قال قائل: فجائز أن يكون موسى عليه السلام كان معتقداً أن الله سبحانه يعاقب قوماً بذنوب غيرهم، فيقول: أتهلكنا بذنوب من عبد العجل، ونحن من ذلك برآء؟ قيل: جائز أن يكون معنى الإهلاك: قبض الأرواح على غير وجه العقوبة، كما قال جلّ ثناؤه: **﴿إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ﴾** يعني: مات، فيقول: أتميتنا بما فعل السفهاء منا.

وأما قوله: **﴿إِنْ هِيَ إلاَّ فِتْنَتُكَ﴾** فإنه يقول جلّ ثناؤه: ما هذه الفعلة التي فعلها قومي من عبادتهم ما عبدوا دونك، إلا فتنة منك أصابتهم. ويعني بالفتنة: الابتلاء والاختبار. يقول: ابتليتهم بها ليتبين الذي يضلّ عن الحقّ بعبادته إياه والذي يهتدي بترك عبادته. وأضاف إضلالهم وهدايتهم إلى الله، إذ كان ما كان منهم من ذلك عن سبب منه جلّ ثناؤه.

وبنحو ما قلنا في الفتنة قال جماعة من أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن أبي جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية: ﴿**إنْ هِيَ إلاَّ فِتْنَتُكَ**﴾ قال: بليتك.

قال: ثنا حبويه الرازي، عن يعقوب، عن جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد بن جبير: ﴿**إلاَّ فِتْنَتُكَ**﴾: إلا بليتك.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الرحمن بن سعد، قال: أخبرنا ابن جعفر، عن الربيع بن أنس: ﴿**إنْ هِيَ إلاَّ فِتْنَتُكَ**﴾ قال: بليتك.

قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿**إنْ هِيَ إلاَّ فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِها مَنْ تَشاءُ**﴾ إن هو إلا عذابك تصيب به من تشاء، وتصرفه عمن تشاء.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**إنْ هِيَ إلاَّ فِتْنَتُكَ**﴾ أنت فتنتهم.

وقوله: ﴿**أنْتَ وَلِيُّنا**﴾ يقول: أنت ناصرنا. ﴿**فاغْفِرْ لَنا**﴾ يقول: فاستر علينا ذنوبنا بتركك عقابنا عليها. ﴿**وَارْحَمْنا**﴾: تعطَّف علينا برحمتك. ﴿**وأنْتَ خَيْرُ الغافِرِينَ**﴾ يقول: خير من صفح عن جُرم وستر على ذنب.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿۞ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره مخبراً عن دعاء نبيه موسى عليه السلام أنه قال فيه: ﴿**وَاكْتُبْ لَنا**﴾: أي اجعلنا ممن كتبت له ﴿**فِي هَذِهِ الدُّنْيا حَسَنَةً**﴾ وهي الصالحات من الأعمال، ﴿**وَفي الآخِرَةِ**﴾ ممن كتبت له المغفرة لذنوبه. كما:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قوله: ﴿**وَاكْتُبْ لَنا فِي هَذِهِ الدُّنْيا حَسَنَةً**﴾ قال: مغفرة.

وقوله: ﴿**إنَّا هُدْنا إلَيْكَ**﴾ يقول: إنا تبنا إليك.

وبنحو ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا جرير وابن فضيل وعمران بن عيينة، عن عطاء، عن سعيد بن جبير وقال عمران، عن ابن عباس: ﴿إِنَّا هُدْنا إِلَيكَ﴾ قال: إنا تبنا إليك.

قال: ثنا زيد بن حباب، عن حماد بن سلمة، عن عطاء، عن سعيد بن جبير، قال: تبنا إليك.

قال: ثنا جابر بن نوح، عن أبي رَوْق عن الضحاك، عن ابن عباس قال: تبنا إليك.

قال: ثنا عبد الله بن بكر، عن حاتم بن أبي مغيرة، عن سِماك: أن ابن عباس قال في هذه الآية: ﴿إِنَّا هُدْنا إِلَيكَ﴾ قال: تبنا إليك.

حدثني المثنى، قال: ثنا الحجاج، قال: ثنا حماد، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، قال: أحسبه عن ابن عباس: ﴿إِنَّا هُدْنا إِلَيكَ﴾ قال: تبنا إليك.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿إِنَّا هُدْنا إِلَيكَ﴾ يقول: تبنا إليك.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثني يحيى بن سعيد، قال: ثنا سفيان، قال: ثنا عبد الرحمن بن الأصبهانيّ عن سعيد بن جبير، في قوله: ﴿إِنَّا هُدْنا إِلَيكَ﴾ قال: تبنا إليك.

قال: ثنا عبد الرحمن ووكيع بن الجراح، قالا: ثنا سفيان عن عبد الرحمن بن الأصبهانيّ، عن سعيد بن جبير بمثله.

حدثني ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن ابن الأصبهاني، عن سعيد بن جبير، مثله.

قال: ثنا جرير، عن مغيرة، عن إبراهيم، قال: تبنا إليك.

قال: ثنا محمد بن زيد، عن العوام، عن إبراهيم التيميّ، قال: تبنا إليك.

حدثني المثنى، قال: ثنا عمرو بن عون، قال: أخبرنا هشيم، عن العوّام، عن إبراهيم التيمي مثله.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿إِنَّا هُدْنا إِلَيكَ﴾ أي إنا تبنا إليك.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿هُدْنا إلَيكَ﴾ قال: تبنا.

حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿إنَّا هُدْنا إلَيكَ﴾ يقول: تبنا إليك.

قال: حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿إنَّا هُدْنا إلَيكَ﴾ يقول: تبنا إليك.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن أبي جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، قال: ﴿هُدْنا إلَيكَ﴾ قال: تبنا إليك.

قال: ثنا أبي، عن أبي جحير، عن الضحاك، قال: تبنا إليك.

قال: ثنا المحاربي، عن جويبر، عن الضحاك، قال: تبنا إليك.

وحُدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول، فذكر مثله.

قال: ثنا أبي وعبيد الله، عن شريك، عن جابر، عن مجاهد، قال: تبنا إليك.

قال: ثنا حبوية أبو يزيد، عن يعقوب، عن جعفر، عن سعيد بن جبير، مثله.

قال: ثنا أبي، عن شريك، عن جابر، عن عبد الله بن يحيى، عن عليّ عليه السلام، قال: إنما سميت اليهود لأنهم قالوا ﴿هُدْنا إلَيكَ﴾.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس: ﴿إنَّا هُدْنا إلَيكَ﴾ يعني: تبنا إليك.

حدثنا ابن البرقي، قال: ثنا عمرو، قال: سمعت رجلاً يسأل سعيداً: ﴿إنَّا هُدْنا إلَيكَ﴾ قال: إنا تبنا إليك.

وقد بيَّنا معنى ذلك بشواهده فيما مضى قبل بما أغنى عن إعادته.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أشاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسأَكْتُبُها لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ والَّذِينَ هُمْ بِآياتِنا يُؤْمِنُونَ﴾.

يقول تعالى ذكره: **﴿قالَ﴾** الله لموسى: هذا الذي أصبت به قومك من الرجفة **﴿عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أشاءُ﴾** من خلقي، كما أصيب به هؤلاء الذين أصبتهم به من قومك. **﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾** يقول: ورحمتي عمت خلقي كلهم.

وقد اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم مخرجه عامّ ومعناه خاصّ، والمراد به: ورحمتي وسعت المؤمنين بي من أمة محمد ﷺ. واستشهد بالذي بعده من الكلام، وهو قوله: **﴿فَسأَكْتُبُها لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ...﴾** الآية.

ذكر من قال ذلك.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو سلمة المنقري، قال: ثنا حماد بن سلمة، قال: أخبرنا عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس أنه قرأ: **﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسأَكْتُبُها لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾** قال: جعلها الله لهذه الأمة.

حدثني عبد الكريم، قال: ثنا إبراهيم بن بشار، قال: قال سفيان، قال أبو بكر الهذليّ: فلما نزلت: **﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾** قال إبليس: أنا من الشيء. فنزعها الله من إبليس، قال: **﴿فَسأَكْتُبُها لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآياتِنا يُؤْمِنُونَ﴾** فقال اليهود: نحن نتقي ونؤتي الزكاة، ونؤمن بآيات ربنا. فنزعها الله من اليهود، فقال: **﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ...﴾** الآيات كلها. قال: فنزعها الله من إبليس ومن اليهود وجعلها لهذه الأمة.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: لما نزلت: **﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾** قال إبليس: أنا من كلّ شيء، قال الله: **﴿فَسأَكْتُبُها لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآياتِنا يُؤْمِنُونَ...﴾** الآية. فقالت اليهود: ونحن نتقي ونؤتي الزكاة. فأنزل الله: **﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ﴾** قال: نزعها الله عن إبليس وعن اليهود، وجعلها لأمة محمد، سأكتبها للذين يتقون من قومك.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أشاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾** فقال إبليس: أنا من ذلك الشيء، فأنزل الله: **﴿فَسأَكْتُبُها لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾** معاصي الله، **﴿والَّذِينَ هُمْ بِآياتِنا يُؤْمِنُونَ﴾**. فتمنتها اليهود والنصارى. فأنزل الله شرطاً وثيقاً بيناً، فقال: **﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ﴾** فهو نبيكم كان أمياً لا يكتب ﷺ.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، قال: أخبرنا خالد الحذاء، عن أنيس بن أبي العريان، عن ابن عباس، في قوله: ﴿**وَاكْتُبْ لَنا فِي الدُّنْيا حَسَنَةً وفِي الآخِرَةِ إنَّا هُدْنا إلَيْكَ**﴾ قال: فلم يعطها، فقال: ﴿**عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أشاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسأكْتُبُها للَّذِينَ يَتَّقُونَ**﴾ إلى قوله: ﴿**الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ**﴾.

حدثني ابن وكيع، قال: ثنا ابن علية وعبد الأعلى، عن خالد، عن أنيس بن أبي العربان قال عبد الأعلى: عن أنيس أبي العريان وقال: قال ابن عباس: ﴿**وَاكْتُبْ لَنا فِي هَذِهِ الدُّنْيا حَسَنَةً وفِي الآخِرَةِ إنَّا هُدْنا إلَيْكَ**﴾ قال: فلم يعطها موسى. ﴿**قالَ عَذَابِي أصيبُ بِهِ مَنْ أشاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسأكْتُبُها. . .**﴾ إلى آخر الآية.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قال: كان الله كتب في الألواح ذكر محمد وذكر أمته وما ادخر لهم عنده وما يسّر عليهم في دينهم وما وسّع عليهم فيما أحلّ لهم، فقال: ﴿**عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أشاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسأكْتُبُها للَّذِينَ يَتَّقُونَ**﴾ ـ يعني الشرك ـ الآية.

وقال آخرون: بل ذلك على العموم في الدنيا وعلى الخصوص في الآخرة.

ذكر من قال ذلك.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن الحسن وقتادة، في قوله: ﴿**وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ**﴾ قالا: وسعت في الدنيا البرّ والفاجر، وهي يوم القيامة للذين اتقوا خاصة.

وقال آخرون: هي على العموم، وهي التوبة.

ذكر من قال ذلك.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**أنْتَ وَلِيُّنا فاغْفِرْ لَنا وَارْحَمْنا وأنْتَ خَيْرُ الغافِرِينَ وَاكْتُبْ لَنا فِي هَذِهِ الدُّنْيا حَسَنَةً وفِي الآخِرَةِ إنَّا هُدْنا إلَيْكَ**﴾ فقال: سأل موسى هذا، فقال الله: ﴿**عَذَابِي أُصِيبُ به مَنْ أَشاءُ**﴾ العذاب الذي ذكر ﴿**ورَحْمتي**﴾ التوبةُ ﴿**وَسِعَتْ كُلَّ شَيءٍ فَسأَكْتُبُها للَّذِينَ يَتَّقُونَ**﴾. قال: فرحمته: التوبة التي سأل موسى عليه السلام كتبها الله لنا.

وأما قوله: ﴿**فَسأَكْتُبُها للَّذِينَ يَتَّقُونَ**﴾ فإنه يقول: فسأكتب رحمتي التي وسعت كلّ شيء. ومعنى «أكتب» في هذا الموضع: أكتب في اللوح الذي كتب فيه التوراة ﴿**للَّذِين يَتَّقُونَ**﴾ يقول:

للقوم الذين يخافون الله ويخشون عقابه على الكفر به والمعصية له في أمره ونهيه، فيؤدون فرائضه، ويجتنبون معاصيه.

وقد اختلف أهل التأويل في المعنى الذي وصف الله هؤلاء القوم بأنهم يتقونه، فقال بعضهم: هو الشرك.

ذكر من قال ذلك.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس: **﴿فسأكتبها للذين يتقون﴾** يعني الشرك.

وقال آخرون: بل هو المعاصي كلها.

ذكر من قال ذلك.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: **﴿فسأكتبها للذين يتقون﴾** معاصي الله.

وأما الزكاة وإيتاؤها، فقد بيّنا صفتها فيما مضى بما أغنى عن إعادته.

وقد ذُكر عن ابن عباس في هذا الموضع أنه قال في ذلك ما:

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله، قال ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس: **﴿ويؤتون الزكاة﴾** قال: يطيعون الله ورسوله.

فكان ابن عباس تأوّل ذلك بمعنى أنه العمل بما يزكي النفس ويطهّرها من صالحات الأعمال.

وأما قوله: **﴿والذين هم بآياتنا يؤمنون﴾** فإنه يقول: وللقوم الذين هم بأعلامنا وأدلتنا يصدّقون ويقرّون.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٥٧)﴾.

وهذا القول إبانة من الله جلّ ثناؤه عن أن الذين وعد موسى نبيه عليه السلام أن يكتب لهم

الرحمة التي وصفها جلّ ثناؤه بقوله: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ هم أمة محمد ﷺ، لأنه لا يعلم لله رسول وصف بهذه الصفة ـ أعني الأميّ ـ غير نبينا محمد ﷺ، وبذلك جاءت الروايات عن أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عمران بن عيينة، عن عطاء، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ قال: أمة محمد ﷺ.

قال: ثنا زيد بن حُباب، عن حماد بن سلمة، عن عطاء، عن ابن عباس، قال: أمة محمد ﷺ.

حدثنا أبو كريب وابن وكيع، قالا: ثنا يحيى بن يمان، عن أشعث، عن جعفر، عن سعيد، في قوله: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ قال: أمة محمد ﷺ، فقال موسى عليه السلام: ليتني خُلقت في أمة محمد

حدثنا ابن حميد وابن وكيع، قالا: ثنا جرير، عن عطاء، عن سعيد بن جبير: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ قال: الذين يتبعون محمداً ﷺ.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا جرير، عن ليث، عن شهر بن حَوْشَب، عن نَوْف الحميريّ، قال: لما اختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقات ربه قال الله لموسى: أجعل لكم الأرض مسجداً وطَهُوراً، وأجعل السكينة معكم في بيوتكم، وأجعلكم تقرأون التوراة عن ظهور قلوبكم، يقرؤها الرجل منكم والمرأة والحرّ والعبد والصغير والكبير. فقال موسى لقومه: إن الله قد يجعل لكم الأرض طَهُوراً ومسجداً. قالوا: لا نريد أن نصلي إلاً في الكنائس. قال: ويجعل السكينة معكم في بيوتكم. قالوا: لا نريد إلاً أن تكون كما كانت في التابوت. قال: ويجعلكم تقرأون التوراة عن ظهور قلوبكم، ويقرؤها الرجل منكم والمرأة والحرَ والعبد الصغير والكبير. قالوا: لا نريد أن نقرأها إلاً نظراً. فقال الله: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ...﴾ إلى قوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن يحيى بن أبي كثير، عن نوف البِكاليّ، قال: لما انطلق موسى بوفد بني إسرائيل كلمه الله، فقال: إني قد بسطت لهم الأرض طَهوراً ومساجد يصلون فيها حيث أدركتهم الصلاة إلاً عند مرحاض أو قبر أو حمام، وجعلت السكينة في قلوبهم، وجعلتهم يقرأون التوراة عن ظهر ألسنتهم. قال: فذكر ذلك موسى لبني إسرائيل، فقالوا: لا نستطيع حمْل السكينة في قلوبنا، فاجعلها لنا في تابوت، ولا

نقرأ التوراة إلاَّ نظراً، ولا نصلي إلاَّ في الكنيسة فقال الله: ﴿**فَسأَكْتُبُها للَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتَونَ الزَّكاةَ...**﴾ حتى بلغ: ﴿**أُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ**﴾. قال: فقال موسى عليه السلام: يا رب اجعلني نبيهم قال: نبيهم منهم. قال: ربّ اجعلني منهم قال: لن تدركهم. قال: يا ربّ أتيتك بوفد بني إسرائيل، فجعلت وفادتنا لغيرنا فأنزل الله: ﴿**وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بالحَقِّ وبِهِ يَعْدِلُونَ**﴾. قال نوف البِكالي: فاحمدوا الله الذي حفظ غيبتكم، وأخذ لكم بسهمكم، وجعل وفادة بني إسرائيل لكم.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا معاذ بن هشام، قال: ثني أبي، عن يحيى بن أبي كثير، عن نوف البِكالي بنحوه، إلاَّ أنه قال: فإني أنزل عليكم التوراة تقرأونها عن ظهر ألسنتكم، رجالكم ونساؤكم وصبيانكم. قالوا: لا نصلي إلاَّ في كنيسة، ثم ذكر سائر الحديث نحوه.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا إسحاق بن إسماعيل، عن يعقوب، عن جعفر، عن سعيد بن جبير: ﴿**فَسأَكْتُبُها للَّذِينَ يَتَّقُونَ**﴾ قال: أمة محمد ﷺ.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿**فَسأَكْتُبُها للَّذِينَ يَتَّقُونَ**﴾ قال: هؤلاء أمة محمد ﷺ.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: لما قيل: ﴿**فَسأَكْتُبُها للَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بآياتِنا يُؤْمِنُونَ**﴾ تمنتها اليهود والنصارى، فأنزل الله شرطاً بَيِّناً وثيقاً، فقال: ﴿**الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ**﴾ وهو نبيكم ﷺ كان أميّاً لا يكتب.

وقد بيَّنا معنى الأميّ فيما مضى بما أغنى عن إعادته.

وأما قوله: ﴿**الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ والإنْجِيلِ**﴾ فإن الهاء في قوله: ﴿**يَجِدُونَهُ**﴾ عائدة على الرسول، وهو محمد ﷺ. كالذي:

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قوله: ﴿**الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ**﴾ هذا محمد ﷺ.

حدثني ابن المثنى، قال: ثنا عثمان بن عمر، قال: ثنا فليح عن هلال بن عليّ، عن عطاء بن يسار، قال: لقيت عبد الله بن عمرو، فقلت: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة قال: أجل والله إنه لموصوف في التوراة كصفته في القرآن: ﴿**يا أيُّهَا النَّبِيُّ إنَّا أرْسلناكَ شاهِداً ومبشِّراً ونذِيراً**﴾ وحرزاً للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظّ ولا غليظ ولا صخَّاب في الأسواق، ولا يَجْزِي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح ولن نقبضه حتى نقيم به

الملة العوجاء، بأن يقولوا: لا إله إلاَّ الله، فنفتح به قلوباً غُلْفاً وآذانا صُمّاً، وأعينا عُمْياً. قال عطاء: ثم لقيت كعباً فسألته عن ذلك، فما اختلفا حرفاً، إلاَّ أن كعباً قال بلغته: قلوباً غُلُوفِيَا. وآذاناً صموميّاً، وأعيناً عموميَا.

حدثني أبو كريب، قال: ثنا موسى بن داود، قال: ثنا فليح بن سليمان، عن هلال بن عليّ، قال: ثني عطاء، قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص، فذكر نحوه. إلاَّ أنه قال في كلام كعب: أعيناً عُمُومَا، وآذاناً صُمُومَا، وقلوباً غُلُوفَا.

قال: ثنا موسى، قال: ثنا عبد العزيز بن سلمة، عن هلال بن عليّ، عن عطاء بن يسار، عن عبد الله بنحوه، وليس فيه كلام كعب.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال الله: ﴿**الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ**﴾ يقول: يجدون نعته وأمره ونبوّته مكتوباً عندهم.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿يَأْمُرُهُمْ بالمَعْرُوفِ ويَنهاهُمْ عَنِ المُنْكَرِ ويُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِباتِ ويُحَرِّمُ عَلَيهِمُ الخَبائِثَ وَيَضَعُ عَنهُمْ إصْرَهُمْ والأغْلالَ التي كانَتْ عَلَيهِمْ﴾.

يقول تعالى ذكره: يأمر هذا النبيّ الأميّ أتباعه بالمعروف، وهو الإيمان بالله ولزوم طاعته فيما أمر ونهى، فذلك المعروف الذي يأمرهم به، وينهاهم عن المنكر وهو الشرك بالله، والانتهاء عما نهاهم الله عنه.

وقوله: ﴿**ويُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّباتِ**﴾ وذلك ما كانت الجاهلية تحرّمه من البحائر والسوائب والوصائل والحوامي. ﴿**ويُحَرِّمُ عَلَيهِمُ الخبَائِثَ**﴾ وذلك لحم الخنزير والربا، وما كانوا يستحلونه من المطاعم والمشارب التي حرّمها الله. كما:

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس: ﴿**ويُحَرِّمُ عَلَيهِمُ الخَبائِثَ**﴾ وهو لحم الخنزير والربا، وما كانوا يستحلونه من المحرّمات من المآكل التي حرّمها الله.

وأما قوله: ﴿**وَيَضَعُ عَنهُمْ إصْرَهُمْ والأغْلالَ الَّتِي كانَتْ عَلَيهِمْ**﴾ فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله، فقال بعضهم: يعني بالإصر: العهد والميثاق الذي كان أخذه على بني إسرائيل بالعمل بما في التوراة.

ذكر من قال ذلك.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا جابر بن نوح، عن أبي رَوْق، عن الضحاك، عن ابن عباس: ﴿**وَيَضَعُ عَنهُمْ إصْرَهُمْ**﴾ قال: عهدهم.

قال: ثنا المحاربي، عن جويبر، عن الضحاك، قال: عهدهم.

حدثني المثنى، قال: ثنا عمرو بن عليّ، قال: أخبرنا هشيم، عن جويبر، عن الضحاك، مثله.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا يحيى بن يمان، عن مبارك، عن الحسن: **﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾** قال: العهود التي أعطوها من أنفسهم.

قال: ثنا ابن نمير، عن موسى بن قيس، عن مجاهد: **﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾** قال: عهدهم.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: **﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ والأغلالَ التي كانَتْ عَلَيهِمْ﴾** يقول: يضع عنهم عهودهم ومواثيقهم التي أخذت عليهم في التوراة والإنجيل.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس: **﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ والأغلالَ التي كانَتْ عَلَيهِمْ﴾** ما كان الله أخذ عليهم من الميثاق فيما حرّم عليهم، يقول: يضع ذلك عنهم.

وقال بعضهم: عني بذلك أنه يضع عمن اتبع نبيّ الله ﷺ التشديد الذي كان على بني إسرائيل في دينهم.

ذكر من قال ذلك.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: **﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ والأغلالَ التي كانَتْ عَلَيهِمْ﴾** فجاء محمد ﷺ بإقالة منه وتجاوز عنه.

حدثني المثنى، قال: ثنا الحماني، قال: ثنا شريك، عن سالم، عن سعيد: **﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾** قال: البول ونحوه مما غلظ على بني إسرائيل.

قال: ثنا الحِمّاني، قال: ثنا يعقوب، عن جعفر، عن سعيد، قال: شدّة العمل.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال مجاهد، قوله: **﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ والأغلالَ التي كانَتْ عَلَيهِمْ﴾** قال: من اتبع محمداً ودينه من أهل الكتاب، وضع عنهم ما كان عليهم من التشديد في دينهم.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن فضيل، عن أشعث، عن ابن سيرين، قال: قال أبو هريرة لابن عباس: ما علينا في الدين من حرج أن نزني ونسرق؟ قال: بلى، ولكن الإصر الذي كان على بني إسرائيل وُضع عنكم.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾** قال: إحدهم الذي جعله عليهم.

حدثني قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إنّ الإصر: هو العهد، وقد بينا ذلك بشواهده في موضع غير هذا بما فيه الكفاية. وإن معنى الكلام: ويضع النبيّ الأُميّ: العهد الذي كان الله أخذ على بني إسرائيل من إقامة التوراة والعمل بما فيها من الأعمال الشديدة كقطع الجلد من البول، وتحريم الغنائم، ونحو ذلك من الأعمال التي كانت عليهم مفروضة، فنسخها حكم القرآن.

وأما الأغلال التي كانت عليهم، فكان ابن زيد يقول بما:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب عنه في قوله: **﴿والأغْلالَ التي كانَتْ عَلَيهِمْ﴾** قال: الأغلال. وقرأ **﴿غُلَّتْ أيْدِيهِمْ﴾** قال: تلك الأغلال، قال: ودعاهم إلى أن يؤمنوا بالنبيّ، فيضع ذلك عنهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ﴾.

يقول تعالى ذكره: فالذين صدّقوا بالنبيّ الأميّ، وأقرّوا بنبوّته، **﴿وعَزَّرُوهُ﴾** يقول: وَقَّروه وعظّموه وحموه من الناس. كما:

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس: **﴿وعَزَّروه﴾** يقول: حَموه ووقروه.

حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثني موسى بن قيس، عن مجاهد: **﴿وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ﴾** قال: عزّروه: سدّدوا أمره، وأعانوا رسوله ونصروه.

وقوله **﴿نَصَرُوهُ﴾** يقول: وأعانوه على أعداء الله وأعدائه بجهادهم ونصب الحرب لهم. **﴿وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ﴾** يعني القرآن والإسلام. **﴿أُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ﴾** يقول: الذين يفعلون هذه الأفعال التي وصف بها جلّ ثناؤه أتباع محمد ﷺ هم المنجحون. المدركون ما طلبوا ورجوا بفعلهم ذلك.

حدثني بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: فما نقموا، يعني اليهود إلاَّ أن حسدوا نبيّ الله، فقال الله: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ**﴾ فأما نصره وتعزيره فقد سُبقتم به، ولكن خياركم من آمن بالله واتبع النور الذي أنزل معه.

يريد قتادة بقوله: «فما نقموا إلاَّ أن حسدوا نبيّ الله» أن اليهود كان محمد ﷺ بما جاء به من عند الله رحمة عليهم لو اتبعوه، لأنه جاء بوضع الإصر والأغلال عنهم، فحملهم الحسد على الكفر به وترك قبول التخفيف لغلبة خذلان الله عليهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد للناس كلهم: ﴿**إِنِّي رَسولُ الله إِلَيْكُمْ جَمِيعاً**﴾ لا إلى بعضكم دون بعض، كما كان من قبلي من الرسل، مرسلاً إلى بعض الناس دون بعض، فمن كان منهم أرسل كذلك، فإن رسالتي ليست إلى بعضكم دون بعض ولكنها إلى جميعكم. وقوله: ﴿**الَّذِي**﴾ من نعت اسم الله. وإنما معنى الكلام: قل يا أيها الناس، إني رسول الله الذي له ملك السماوات والأرض إليكم.

ويعني جل ثناؤه بقوله: ﴿**الَّذِي لَه مُلْكُ السَّمٰوَاتِ والأرْضِ**﴾: الذي له سلطان السماوات والأرض وما فيهما، وتدبير ذلك وتصريفه. ﴿**لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ**﴾ يقول: لا ينبغي أن تكون الألوهة والعبادة إلاَّ له جلّ ثناؤه دون سائر الأشياء غيره من الأنداد والأوثان، إلاَّ لمن له سلطان كلّ شيء والقادر على إنشاء خلق كل ما شاء وإحيائه وإفنائه إذا شاء إماتته. ﴿**فآمِنُوا باللَّهِ وَرَسُولِهِ**﴾ يقول جلّ ثناؤه: قل لهم: فصدّقوا بآيات الله الذي هذه صفته، وأقرّوا بوحدانيته، وأنه الذي له الألوهة والعبادة، وصدّقوا برسوله محمد ﷺ أنه مبعوث إلى خلقه داع إلى توحيده وطاعته.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿النَّبِيّ الأُمّيّ الَّذِي يُؤْمِنُ باللّهِ وكَلِماتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

وأما قوله: ﴿**النَّبِيّ الأُمّيّ**﴾ فإنه من نعت رسول الله ﷺ، وقد بينت معنى النبيّ فيما مضى بما أغنى عن إعادته. ومعنى قوله: ﴿**الأُمّيّ الذي يؤمنُ باللّهِ**﴾ يقول: الذي يصدّق بالله وكلماته. ثم اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿**وكَلِماتِهِ**﴾ فقال بعضهم: معناه: وآياته.

ذكر من قال ذلك.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ**﴾ يقول: آياته.

وقال آخرون: بل عني بذلك عيسى ابن مريم عليه السلام.

ذكر من قال ذلك.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال مجاهد، قوله: ﴿**الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ**﴾ قال: عيسى ابن مريم.

وحدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿**الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ**﴾ فهو عيسى ابن مريم.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك عندنا أن الله تعالى ذكره أمر عباده أن يصدّقوا بنبوّة النبيّ الأميّ الذي يؤمن بالله وكلماته. ولم يخصص الخبر جلّ ثناؤه عن إيمانه من كلمات الله ببعض دون بعض، بل أخبرهم عن جميع الكلمات، فالحقّ في ذلك أن يعمّ القول، فإن رسول الله ﷺ كان يؤمن بكلمات الله كلها على ما جاء به ظاهر كتاب الله.

وأما قوله: ﴿**وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾ فاهتدوا به أيها الناس، واعملوا بما أمركم أن تعملوا به من طاعة الله ﴿**لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾ يقول: لكي تهتدوا فَترشُدوا، وتصيبوا الحقّ في اتباعكم إياه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿**وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى**﴾ يعني بني إسرائيل، ﴿**أُمَّةٌ**﴾ يقول: جماعة، ﴿**يَهْدُونَ بِالحَقِّ**﴾ يقول: يهتدون بالحقّ: أي يستقيمون عليه ويعملون، ﴿**وَبِهِ يَعْدِلُونَ**﴾: أي وبالحق يعطون ويأخذون، وينصفون من أنفسهم فلا يجورون. وقد قال في صفة هذه الأمة التي ذكرها الله في الآية جماعة أقوالاً نحن ذاكرو ما حضَرَنا منها:

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله بن الزبير، عن ابن عيينة، عن صدقة أبي الهذيل، عن السديّ: ﴿**وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ**﴾ قال: قوم بينكم وبينهم نهر من شهد[1].

---

(١) قوله «نهر من شهد» كذا بالأصل، وابن كثير، وفي الدر: «نهر من سهل»: أي من رمل يجري؛ وفي روح المعاني «بينكم وبينهم نهر من رمل يجري» وقال: ولا أظنك تجد لهذه الحكاية سنداً يعول عليه، إلى آخر ما قال.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قوله: ﴿**وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ**﴾ قال: بلغني أن بني إسرائيل لما قتلوا أنبياءهم كفروا، وكانوا اثني عشر سبطاً، تبرأ سبط منهم مما صنعوا، واعتذروا، وسألوا الله أن يفرّق بينهم وبينهم، ففتح الله لهم نَفَقاً في الأرض، فساروا فيه حتى خرجوا من وراء الصين، فهم هنالك حنفاء مسلمون، يستقبلون قبلتنا. قال ابن جريج: قال ابن عباس: فذلك قوله: ﴿**وَقُلْنا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الأرْضَ فإذَا جاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ جِئْنا بِكُمْ لَفِيفاً**﴾ ووعد الآخرة عيسى ابن مريم يخرجون معه. قال ابن جريج: قال ابن عباس: ساروا في السَّرَب سنة ونصفاً.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فرقناهم، يعني قوم موسى من بني إسرائيل، فرّقهم الله فجعلهم قبائل شتى، اثنتي عشرة قبيلة. وقد بيَّنا معنى الأسباط فيما مضى ومن هم.

واختلف أهل العربية في وجه تأنيث الاثنتي عشرة والأسباط جمع مذكر، فقال بعض نحويي البصرة: أراد اثنتي عشرة فرقة، ثم أخبر أن الفِرَق أسباط، ولم يجعل العدد على أسباط. وكان بعضهم يَسْتَخِلُّ هذا التأويل ويقول: لا يخرج العدد على عين الثاني، ولكن الفِرق قبل الاثنتي عشرة حتى تكون الاثنتا عشرة مؤنثة على ما قبلها، ويكون الكلام: وقطعناهم فِرَقاً اثنتي عشرة أسباطاً، فيصحّ التأنيث لما تقدّم. وقال بعض نحويي الكوفة، إنما قال اثنتي عشرة بالتأنيث والسبط مذكر، لأن الكلام ذهب إلى الأمم فغلَّب التأنيث وإن كان السبط ذكراً، وهو مثل قول الشاعر:

وَإنَّ كِلاباً هَذِهِ عَشْرُ أبْطُنٍ ... وأنْتَ بَرِيءٌ مِنْ قَبائِلِها العَشْرِ[1]

---

(١) البيت في «**اللسان**» بطن قال: البطن دون القبيلة. وقيل: هو دون الفخذ، وفوق العمارة، مذكر. والجمع: أبطن وبطون. فأما قوله: وإن كلابا.. الخ، فإنه أنث على معنى القبيلة، وأبان ذلك بقوله: «من قبائلها العشر».

وفي خاتمة المصباح: البطن مذكر ولا يؤنث. وفي «**نهاية الإرب**» للنويري (٢/٣٣٨) وما كلاب بن ربيعة بن عامر فأعقب من عشر أبطن. قال الشاعر: =

ذهب بالبطن إلى القبيلة والفصيلة، فلذلك جمع البطن بالتأنيث.

وكان آخرون من نحويي الكوفة يقولون: إنما أنث «الاثنتا عشرة» و «السبط» ذَكر، لذكر «الأمم».

والصواب من القول في ذلك عندي أن الاثنتي عشرة انثت لتأنيث القطعة. ومعنى الكلام: وقطعناهم قطعاً اثنتي عشرة، ثم ترجم عن القطع بالأسباط. وغير جائز أن تكون الأسباط مفسرة عن الاثنتي عشرة وهي جمع، لأن التفسير فيما فوق العشر إلى العشرين بالتوحيد لا بالجمع، والأسباط جمع لا واحد، وذلك كقولهم: عندي اثنتا عشرة امرأة، ولا يقال: عندي اثنتا عشرة نسوة، ففي ذلك أن الأسباط ليست بتفسير للاثنتي عشرة، وإن القول في ذلك على ما قلنا. وأما الأمم فالجماعات، والسبط في بني إسرائيل نحو القرن. وقيل: إنما فرّقوا أسباطاً لاختلافهم في دينهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وأوْحَينا إلى مُوسَى إذِ اسْتَسْقاهُ قَوْمُهُ أنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الحَجَرَ فانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلّ أُناسٍ مَشْرَبَهُمْ وَظَلّلْنا عَلَيهِمُ الغمامَ وأنْزَلْنا عَلَيهِمُ المَنّ والسّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيّباتِ ما رَزَقْناكُمْ وَما ظَلَمُونا وَلَكِنْ كانُوا أنْفُسَهُمْ يَظْلِمونَ.

يقول تعالى ذكره: وأوحينا إلى موسى إذ فرّقنا بني إسرائيل قومه اثنتي عشرة فرقة، وتيهناهم في التيه فاستسقوا موسى من العطش وغور الماء **﴿أنِ اضْرِبْ بعَصَاكَ الحَجَرَ﴾** وقد بينا السبب الذي كان قومه استسقوه، وبيّنا معنى الوحي بشواهده. **﴿فانْبَجَسَتْ﴾** فانصبت وانفجرت من الحجر **﴿اثْنَتا عَشْرَةَ عَيْناً﴾** من الماء، **﴿قَدْ عَلِمَ كُلّ أُناسٍ﴾** يعني: كلّ أناس من الأسباط الاثنتي عشرة **﴿مَشْرَبَهُمْ﴾** لا يدخل سبط على غيره في شربه. **﴿وَظَلّلْنا عَلَيهِمُ الغَمامَ﴾** يُكِنُّهم من حرّ الشمس وأذاها. وقد بيّنا معنى الغمام فيما مضى قبل، وكذلك المنّ والسلوى. **﴿وأنْزَلْنا عَلَيهِمُ المَنّ والسّلْوَى﴾** طعاماً لهم. **﴿كُلُوا مِنْ طَيّباتِ ما رَزَقْناكُمْ﴾** يقول: وقلنا لهم: كلوا من حلال ما رزقناكم أيها الناس وطيّبناه لكم. **﴿وَما ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كانُوا أنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾**، وفي الكلام محذوف ترك ذكره استغناء بما ظهر عما ترك، وهو: فأجمعوا ذلك وقالوا: لن نصبر على

= وإن كلابا .... السبيت.

يعني شمر بن ذي الجوشن الضبابي، والعشر أبطن لصلب كلاب، وهم عفر وأبو بكر واسمه عبيد، ومعاوية، وهو الضباب بن كلاب، وعامر، وربيعة، والأضبط، وعمرو، وعبد الله، ورؤاس (قيل بالفتح وواو بدل الهمز)، وكعب.

وقال العيني في شرح شواهد شروح الألفية (هامش ج ٤ من «**خزانة الأدب**» للبغدادي) قائله رجل من بني كلاب، يسمى النواح والشاهد في قوله «عشر أبطن». وكان القياس «عشرة أبطن»، لأن البطن مذكر، لكنه كنى عن الأبطن بالقبائل، بدليل قوله «من قبائلها العشر».

طعام واحد، فاستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير. ﴿وَما ظَلَمُونا﴾ يقول: وما أدخلوا علينا نقصا في ملكنا وسلطاننا بمسألتهم ما سألوا، وفعلهم ما فعلوا. ﴿وَلَكِنْ كانُوا أنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾: أي ينقصونها حظوظها باستبدالهم الأدنى بالخير والأرذل بالأفضل.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ (١٦١)﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: واذكر أيضاً يا محمد من خطإ فعل هؤلاء القوم وخلافهم على ربهم وعصيانهم نبيهم موسى عليه السلام وتبديلهم القول الذي أمروا أن يقولوه حين قال الله لهم: ﴿اسْكُنُوا هَذِهِ القَرْيَةَ﴾ وهي قرية بيت المقدس، ﴿وكُلُوا مِنها﴾ يقول: من ثمارها وحبوبها ونباتها، ﴿حَيْثُ شِئْتُمْ﴾ منها يقول: أنى شئتم منها، ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ يقول: وقولوا: هذه الفعلة حطة تحطّ ذنوبنا، ﴿نَغْفِرْ لَكُمْ﴾: يتغمد لكم ربكم ذنوبكم التي سلفت منكم، فيعفو لكم عنها، فلا يؤاخذكم بها. ﴿سَنزِيدُ المُحْسِنِينَ﴾ منكم، وهم المطيعون لله، على ما وعدتكم من غفران الخطايا. وقد ذكرنا الروايات في كل ذلك باختلاف المختلفين والصحيح من القول لدينا فيه فيما مضى بما أغنى عن إعادته.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ (١٦٢)﴾.

يقول تعالى ذكره: فغير الذين كفروا بالله منهم ما أمرهم الله به من القول، فقالوا: وقد قيل لهم قولوا هذه حطة: حنطة في شعيرة وقولهم ذلك كذلك هو غير القول الذي قيل لهم قولوه. يقول الله تعالى: ﴿فَأرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِجْزاً مِنَ السَّماءِ﴾: بعثنا عليهم عذاباً أهلكناهم بما كانوا يغيِّرون ما يُؤمرون به، فيفعلون خلاف ما أمرهم الله بفعله ويقولون غير الذي أمرهم الله بقيله. وقد بيَّنا معنى الرجز فيما مضى.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ (١٦٣)﴾.

يقول تعالى ذكره: واسأل يا محمد هؤلاء اليهود وهم مجاوروك، عن أمر القرية التي كانت حاضرة البحر، يقول: كانت بحضرة البحر أي بقرب البحر وعلى شاطئه.

واختلف أهل التأويل فيها، فقال بعضهم: هي أيلة.

ذكر من قال ذلك.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن إدريس، عن محمد بن إسحاق، عن داود بن حصين، عن عكرمة عن ابن عباس: ﴿**وَاسْئَلْهُمْ عَنِ القَرْيَةِ التي كانَتْ حاضِرَةَ البَحْرِ**﴾ قال: هي قرية يقال لها أيلة، بين مدين والطور.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عبد الله بن كثير، في قوله: ﴿**وَاسْئَلْهُمْ عَنِ القَرْيَةِ التي كانَتْ حاضِرَةَ البَحْرِ**﴾ قال: سمعنا أنها أيلة.

حدثني سلام بن سالم الخزاعيّ، قال: ثنا يحيى بن سليم الطائفيّ، قال: ثنا ابن جريج، عن عكرمة، قال: دخلت على ابن عباس والمصحف في حجره، وهو يبكي، فقلت: ما يبكيك جعلني الله فداك؟ فقال: ويلك، وتعرف القرية التي كانت حاضرة البحر؟ فقلت: تلك أيلة.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن أبي بكر الهذليّ، عن عكرمة، عن ابن عباس: ﴿**وَاسْئَلْهُمْ عَنِ القَرْيَةِ التي كانَتْ حاضِرَةَ**﴾ قال: هي أيلة.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قال: هي قرية على شاطىء البحر بين مصر والمدينة يقال لها أيلة.

حدثنا موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قال: هم أهل أيلة، القرية التي كانت حاضرة البحر.

حدثني الحرث، قال: ثنا أبو سعد، عن مجاهد، في قوله: ﴿**وَاسْئَلْهُمْ عَنِ القَرْيَةِ التي كانَتْ حاضِرَةَ البَحْرِ**﴾ قال أيلة.

وقال آخرون: معناه: ساحل مدين.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿**وَاسْئَلْهُمْ عَنِ القَرْيَةِ التي كانَتْ حاضِرَةَ البَحْرِ...**﴾ الآية، ذكر لنا أنها كانت قرية على ساحل البحر يقال لها أيلة.

وقال آخرون: هي مقنا.

ذكر من قال ذلك.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن يزيد، في قوله: ﴿**وَاسْئَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ**﴾ قال: هي قرية يقال لها مقنا بين مدين وعينونى[١].

وقال آخرون: هي مدين.

ذكر من قال ذلك.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثني محمد بن إسحاق، عن داود بن الحصين، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: هي قرية بين أيلة والطور يقال لها مدين.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: هي قرية حاضرة البحر، وجائز أن يكون أيلة، وجائز أن تكون مدين، وجائز أن تكون مقنا[٢] لأن كلّ ذلك حاضرة البحر. ولا خبر عن رسول الله ﷺ يقطع العذر بأن ذلك من أيّ، والاختلاف فيه على ما وصفت، ولا يوصل إلى علم ما قد كان فمضى مما لم نعاينه، إلاّ بخبر يوجب العلم ولا خبر كذلك في ذلك.

وقوله: ﴿**إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ**﴾ يعني به أهله: إذ يعتدون في السبت أمر الله، ويتجاوزونه إلى ما حرّمه الله عليهم، يقال منه: عدا فلان أمري واعتدى: إذا تجاوزه. وكان اعتداؤهم في السبت أن الله كان حرّم عليهم السبت، فكانوا يصطادون فيه السمك. ﴿**إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً**﴾: يقول: إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم الذي نهوا فيه عن العمل شرّعاً، يقول: شارعة ظاهرة على الماء من كلّ طريق وناحية كشوارع الطرق. كالذي:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا عثمان بن سعد، عن بشر بن عمارة، عن أبي روق، عن الضحاك عن ابن عباس: ﴿**إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً**﴾ يقول: ظاهرة على الماء.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس ﴿**شُرَّعاً**﴾ يقول: من كلّ مكان.

وقوله: ﴿**وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ**﴾ يقول: ويوم لا يعظمونه تعظيمهم السبت، وذلك سائر الأيام غير يوم السبت ﴿**لا تأتيهم**﴾ الحيتان. ﴿**كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ**﴾ يقول: كما وصفنا لكم

---

(١) في «**معجم ما استعجم**»: عيون. وفي التاج: عنيون، ويقال عينوني.

(٢) في تفسير القرطبي (٧/ ٣٠٥) مقناة.

من الاختبار والابتلاء الذي ذكرنا بإظهار السمك لهم على ظهر الماء في اليوم المحرّم عليهم صيده، وإخفائها عنه في اليوم المحلل صيده، كذلك نبلوهم ونختبرهم ﴿بما كَانُوا يَفسُقُونَ﴾ يقول: بفسقهم عن طاعة الله وخروجهم عنها.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿وَيَوْمَ لا يَسْبِتُونَ﴾ فقُرىء بفتح الياء من «يسبتون» من قول القائل: سَبَتَ فلان يَسْبِتُ سَبْتاً وسُبُوتاً: إذا عظَّم السبت. وذُكر عن الحسن البصري أنه كان يقرؤه: «وَيَوْمَ لا يُسْبِتُونَ» بضم الياء، من أسْبَتَ القوم يسبتون: إذا دخلوا في السبت، كما يقال: أجمعنا مرّت بنا جمعة، وأشهرنا مرّ بنا شهر، وأسبتنا مرّ بنا سبت. ونصب «يوم» من قوله: ﴿وَيَوْمَ لا يَسْبِتُونَ﴾ بقوله: ﴿لا تَأْتِيهِمْ﴾، لأن معنى الكلام: لا تأتيهم يوم لا يسبتون.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: واذكر أيضاً يا محمد، إذ قالت أمة منهم، جماعة منهم لجماعة كانت تعظ المعتدين في السبت وتنهاهم عن معصية الله فيه: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ في الدنيا بمعصيتهم إياه، وخلافهم أمره، واستحلالهم ما حرّم عليهم. ﴿أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً﴾ في الآخرة، قال الذين كانوا ينهونهم عن معصية الله مجيبيهم عن قولهم: عظتنا إياهم ﴿مَعْذِرَةً إلى رَبِّكُمْ﴾ نؤدّي فرضه علينا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ يقول: ولعلهم أن يتقوا الله فيخافوه، فينيبوا إلى طاعته ويتوبوا من معصيتهم إياه وتعدّيه على ما حرّم عليهم من اعتدائهم في السبت. كما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن داود بن الحصين، عن عكرمة، عن ابن عباس: ﴿قالُوا مَعْذِرَةً إلى رَبِّكُمْ﴾ لسخطنا أعمالهم. ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾: أي ينزعون عما هم عليه.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَلَعلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ قال: يتركون هذا العمل الذي هم عليه.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿قالُوا مَعْذِرَةٌ﴾ فقرأ ذلك عامة قرّاء الحجاز والكوفة والبصرة: «مَعْذِرَةٌ» بالرفع على ما وصفت من معناها. وقرأ ذلك بعض أهل الكوفة: ﴿مَعْذِرَةً﴾ نصباً، بمعنى: إعذاراً وعظناهم وفعلنا ذلك.

واختلف أهل العلم في هذه الفرقة التي قالت: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ هل كانت من الناجية، أم من الهالكة؟ فقال بعضهم: كانت من الناجية، لأنها كانت من الناهية الفرقةَ الهالكة عن الاعتداء في السبت.

ذكر من قال ذلك.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَإِذْ قالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللّهُ مُهْلِكُهُمْ أوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذاباً شَدِيداً﴾ هي قرية على شاطىء البحر بين مكة والمدينة يقال لها أيلة، فحرّم الله عليهم الحيتان يوم سبتهم، فكانت الحيتان تأتيهم يوم سبتهم شرّعاً في ساحل البحر، فإذا مضى يوم السبت لم يقدروا عليها، فمكثوا بذلك ما شاء الله. ثم إن طائفة منهم أخذوا الحيتان يوم سبتهم، فنهتهم طائفة وقالوا: تأخذونها وقد حرّمها الله عليكم يوم سبتكم فلم يزدادوا إلاَّ غيّاً وعتوّاً، وجعلت طائفة أخرى تنهاهم. فلما طال ذلك عليهم قالت طائفة من النهاة: تعلمون أن هؤلاء قوم قد حقّ عليهم العذاب ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللّهُ مُهْلِكهُمْ﴾؟ وكانوا أشدّ غضباً لله من الطائفة الأخرى، فقالوا: ﴿معذِرَةً إلى رَبِّكُمْ وَلَعلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ وكلّ قد كانوا ينهون. فلما وقع عليهم غضب الله، نجت الطائفتان اللتان قالوا: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾، والذين قالوا: ﴿مَعْذِرَةً إلى رَبِّكُمْ﴾، وأهلك الله أهل معصيته الذين أخذوا الحيتان، فجعلهم قردة وخنازير.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿وَاسْئَلْهُمْ عَنِ القَرْيَةِ التي كانَتْ حاضِرَةَ البَحْرِ...﴾ إلى قوله: ﴿وَيَوْمَ لا يَسْبِتُونَ لا تَأْتِيهِم﴾ وذلك أن أهل قرية كانت حاضرة البحر كانت تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم، يقول: إذا كانوا يوم يسبتون تأتيهم شرّعاً، يعني من كلّ مكان، ﴿ويَوْمَ لا يَسْبِتُونَ لا تَأْتِيهِمْ﴾. وأنهم قالوا: لو أنا أخذنا من هذه الحيتان يوم تجيء ما يكفينا فيما سوى ذلك من الأيام. فوعظهم قوم مؤمنون ونهوهم. وقالت طائفة من المؤمنين: إن هؤلاء قوم قد هموا بأمر ليسوا بمنتهين دونه، والله مخزيهم ومعذّبهم عذاباً شديداً. قال المؤمنون بعضهم لبعض: ﴿مَعْذِرَةً إلى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ إن كان هلاكٌ فلعلنا ننجو وإما أن ينتهوا فيكون لنا أجراً. وقد كان الله جعل على بني إسرائيل يوماً يعبدونه ويتفرّغون له فيه، وهو يوم الاثنين، فتعدّى الخبثاء من الاثنين إلى السبت، وقالوا: هو يوم السبت. فنهاهم موسى، فاختلفوا فيه، فجعل عليهم السبت، ونهاهم أن يعملوا فيه وأن يعتدوا فيه. وإن رجلاً منهم ذهب ليحتطب، فأخذه موسى عليه السلام، فسأله: هل أمرك بهذا أحد؟ فلم يجد أحداً أمره، فرجمه أصحابه.

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: قال بعض الذين نهوهم

لبعض: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً﴾؟ يقول: لم تعظونهم وقد وعظتموهم فلم يطيعوكم؟ فقال بعضهم: ﴿مَعْذِرَةً إِلى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا معاذ بن هانيء، قال: ثنا حماد، عن داود، عن عكرمة، عن ابن عباس: ﴿وَإِذْ قالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً﴾ قال: ما أدري أنجا الذين قالوا: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ أم لا؟ قال: فلم أزل به حتى عرّفته أنهم قد نجوا، فكساني حُلّة.

حدثني المثنى، قال: ثنا حماد، عن داود، عن عكرمة، قال: قرأ ابن عباس هذه الآية، فذكر نحوه، إلا أنه قال في حديثه: فما زلت أبصّره حتى عرف أنهم قد نجوا.

حدثني سلام بن سالم الخزاعي، قال: ثنا يحيى بن سليم الطائفي، قال: ثنا ابن جريج، عن عكرمة، قال: دخلت على ابن عباس والمصحف في حجره وهو يبكي، فقلت: ما يبكيك جعلني الله فداءك؟ قال: فقرأ: ﴿وَاسْئَلْهُمْ عَنِ القَرْيَةِ التي كانَتْ حاضِرَةَ البَحْرِ...﴾ إلى قوله: ﴿بِمَا كانُوا يَفْسُقُونَ﴾ قال ابن عباس: لا أسمع الفرقة الثالثة ذكرت نخاف أن نكون مثلهم. فقلت: أما تسمع الله يقول: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَمَّا نُهوا عَنْه﴾؟ فسرّي عنه وكساني حُلّة.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا ابن جريج، قال: ثني رجل، عن عكرمة، قال: جئت ابن عباس يوماً وهو يبكي، وإذا المصحف في حجره، فأعظمت أن أدنو، ثم لم أزل على ذلك حتى تقدمت فجلست، فقلت: ما يبكيك يا ابن عباس جعلني الله فداءك؟ فقال: هؤلاء الورقات. قال: وإذا هو في سورة الأعراف. قال: تعرف أيلة؟ قلت: نعم. قال: فإنه كان حيّ من يهود سيقت الحيتان إليهم يوم السبت ثم غاصت لا يقدرون عليها حتى يغوصوا بعد كدّ ومؤنة شديدة، كانت تأتيهم يوم السبت شرّعاً بيضاً سماناً كأنها الماخض، تنتطح ظهورها لبطونها بأفنيتهم وأبنيتهم. فكانوا كذلك برهة من الدهر، ثم إن الشيطان أوحى إليهم، فقال: إنما نهيتم عن أكلها يوم السبت، فخذوها فيه وكلوها في غيره من الأيام فقالت ذلك طائفة منهم، وقالت طائفة منهم: بل نهيتم عن أكلها وأخذها وصيدها في يوم السبت. وكانوا كذلك حتى جاءت الجمعة المقبلة، فعدت طائفة بأنفسها وأبنائها ونسائها، واعتزلت طائفة ذات اليمين وتنحت، واعتزلت طائفة ذات اليسار وسكتت، وقال الأيمنون: الله ينهاكم عن أن تعترضوا لعقوبة الله، وقال الأيسرون: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً﴾؟ قال الأيمنون: ﴿مَعْذِرَةً إِلى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ أي ينتهون، فهو أحبّ إلينا أن لا يصابوا ولا يهلكوا، وإن لم ينتهوا فمعذرة إلى ربكم. فمضوا على الخطيئة، فقال الأيمنون: قد فعلتم يا أعداء الله، والله لا نبايتكم الليلة في مدينتكم، والله ما نراكم تصبحون حتى يصيبكم الله بخسف أو قذف أو بعض ما

عنده بالعذاب فلما أصبحوا ضربوا عليهم الباب ونادوا، فلم يجابوا، فوضعوا سلماً وأعلوا سور المدينة رجلاً، فالتفت إليهم فقال: أي عباد الله قردة والله تعاوى لها أذناب قال: ففتحوا فدخلوا عليهم، فعرفت القردة أنسابها من الإنس، ولا تعرف الإنس أنسابها من القردة، فجعلت القرود تأتي نسيبها من الإنس، فتشمّ ثيابه وتبكي، فتقول لهم: ألم ننهكم عن كذا؟ فتقول برأسها نعم. ثم قرأ ابن عباس: **﴿فَلَمَّا نَسُوا ما ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنا الَّذِينَ يَنهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وأَخَذْنا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كانُوا يَفسُقُونَ﴾** قال: فأرى اليهود الذين نهوا قد نجوا، ولا أرى الآخرين ذكروا، ونحن نرى أشياء ننكرها، فلا نقول فيها، قال: قلت: أي جعلني الله فداك، ألا ترى أنهم قد كرهوا ما هم عليه وخالفوهم وقالوا: **﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوماً اللَّهُ مُهلِكُهُمْ أَوْ مَعَذِّبُهُمْ﴾**؟ قال: فأمر بي فكسيت بردين غليظين.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: **﴿وَاسْئَلْهُمْ عَنِ القَرْيَةِ التي كانَتْ حاضِرَةَ البَحرِ﴾** ذكر لنا أنه إذا كان يوم السبت أقبلت الحيتان حتى تنتطح على سواحلهم وأفنيتهم لما بلغها من أمر الله في الماء، فإذا كان في غير يوم السبت بعُدت في الماء حتى يطلبها طالبهم، فأتاهم الشيطان، فقال: إنما حرم عليكم أكلها يوم السبت، فاصطادوها يوم السبت وكلوها فيما بعد... قوله: **﴿وَإِذْ قالَتْ أُمَّةٌ مِنهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوماً اللَّهُ مُهلِكُهُمْ أَوْ مَعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً قالُوا مَعْذِرَةً إلى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾** فصار القوم ثلاثة أصناف: أما صنف، فأمسكوا عن حرمة الله ونهوا عن معصية الله. وأما صنف فأمسك عن حرمة الله هيبة لله. وأما صنف فانتهك الحرمة ووقع في الخطيئة.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس في قول الله: **﴿حاضِرَةَ البَحْرِ﴾** قال: حرمت عليهم الحيتان يوم السبت، وكانت تأتيهم يوم السبت شرّعاً، بلاء ابتلوا به، ولا تأتيهم في غيره إلا أن يطلبوها، بلاء أيضاً بما كانوا يفسقون. فأخذوها يوم السبت استحلالاً ومعصية، فقال الله لهم: كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ إلا طائفة منهم لم يعتدوا ونهوهم، فقال بعضهم لبعض: **﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوماً﴾**.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿وَإِذْ قالَتْ أُمَّةٌ مِنهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوماً اللَّهُ مُهلِكُهُمْ...﴾** حتى بلغ: **﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾** لعلهم يتركون ما هم عليه. قال: كانوا قد بلوا بكفّ الحيتان عنهم، وكانوا يسبتون في يوم السبت، ولا يعملون فيه شيئاً، فإذا كان يوم السبت أتتهم الحيتان شرّعاً، وإذا كان غير يوم السبت لم يأت حوت واحد. قال: وكانوا قوماً قد قرنوا بحبّ الحيتان، ولقوا منه بلاء، فأخذ رجل منهم حوتاً، فربط في ذنبه خيطاً، ثم ربطه إلى خَشَفَة، ثم تركه في الماء، حتى إذا غربت الشمس من يوم الأحد اجترّه بالخيط، ثم

شواه. فوجد جار له ريح حوت، فقال: يا فلان إني أجد في بيتك ريح نون فقال: لا. قال: فتطلع في تنوره فإذا هو فيه فأخبره حينئذ الخبر، فقال: إني أرى الله سيعذّبك. قال: فلما لم يره عجل عذاباً، فلما أتى السبت الآخر أخذ اثنين فربطهما، ثم اطلع جار له عليه. فلما رآه لم يعجل عذاباً جعلوا يصيدونه، فاطلع أهل القرية عليهم، فنهاهم الذين ينهون عن المنكر، فكانوا فرقتين: فرقة تنهاهم وتكفّ، وفرقة تنهاهم ولا تكفّ، فقال الذين نهوا وكفوا للذين ينهون ولا يكفون: **﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً﴾** فقال الآخرون: **﴿مَعْذِرَةً إلى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾** فقال الله: **﴿فَلَمَّا نَسُوا ما ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ...﴾** إلى قوله: **﴿بِمَا كانُوا يَفْسُقُونَ﴾** قال الله: فَلَمَّا عَتَوْا عَمَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خاسِئِينَ وقال لهم أهل تلك القرية: عملتم بعمل سوّء، من كان يريد يعتزل ويتطهر فليعتزل هؤلاء قال: فاعتزل هؤلاء وهؤلاء في مدينتهم، وضربوا بينهم سوراً، فجعلوا في ذلك السور أبواباً يخرج بعضهم إلى بعض. قال: فلما كان الليل طرقهم الله بعذابه، فأصبح أولئك المؤمنون لا يرون منهم أحداً، فدخلوا عليهم، فإذا هم قردة، الرجل وأزواجه وأولاده. فجعلوا يدخلون على الرجل يعرفونه، فيقولون: يا فلان ألم نحذّرك سطوات الله؟ ألم نحذرك نقِمات الله؟ ونحذّرك ونحذرك! قال: فليس إلا بكاء. قال: وإنما عذّب الله الذين ظلموا الذين أقاموا على ذلك. قال: وأما الذين نهوا فكلهم قد نَهَى، ولكن بعضهم أفضل من بعض فقرأ: **﴿أنْجَيْنا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وأَخَذْنا الَّذِين ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كانُوا يَفْسُقُونَ﴾**.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا المحاربي، عن داود، عن عكرمة، قال: قرأ ابن عباس هذه الآية: **﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً﴾** قال: لا أدري أنجا القوم أو هلكوا؟ فما زلت أبصّره حتى عرف أنهم نجوا، وكساني حُلّة.

حدثني يونس، قال: أخبرني أشهب بن عبد العزيز، عن مالك، قال: زعم ابن رومان أن قوله: **﴿تَأْتِيهِمْ حِيتانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً وَيَوْمَ لا يَسْبِتُونَ لا تَأْتِيهِمْ﴾** قال: كانت تأتيهم يوم السبت، فإذا كان المساء ذهبت فلا يرى منها شيء إلى السبت، فاتخذ لذلك رجل منهم خيطاً ووتداً، فربط حوتاً منها في الماء يوم السبت، حتى إذا أمسوا ليلة الأحد أخذه فاشتواه، فوجد الناس ريحه، فأتوه فسألوه عن ذلك، فجحدهم، فلم يزالوا به حتى قال لهم: فإنه جلد حوت وجدناه فلما كان السبت الآخر فعل مثل ذلك، ولا أدري لعله قال: ربط حوتين، فلما أمسى من ليلة الأحد أخذه فاشتواه، فوجدوا ريحه، فجاءوا فسألوه، فقال لهم: لو شئتم صنعتم كما أصنع، فقالوا له: وما صنعت؟ فأخبرهم، ففعلوا مثل ما فعل، حتى كثر ذلك. وكانت لهم مدينة لها رَبَض، فغلّقوها عليهم، فأصابهم من المسخ ما أصابهم، فغدا إليهم جيرانهم ممن كان يكون

حولهم، يطلبون منهم ما يطلب الناس، فوجدوا المدينة مغلقة عليهم، فنادوا فلم يجيبوهم، فتسوّروا عليهم، فإذا هم قردة، فجعل القرد يدنو يتمسح بمن كان يعرف قبل ذلك ويدنو منه ويتمسح به.

وقال آخرون: بل الفرقة التي قالت: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ كانت من الفرقة الهالكة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن إدريس، عن محمد بن إسحاق، عن داود بن حصين، عن عكرمة، عن ابن عباس: ﴿وَاسْئَلْهُمْ عَنِ القَرْيَةِ التي كانَتْ حاضِرَةَ البَحْرِ...﴾ إلى قوله: ﴿شُرَّعاً﴾ قال: قال ابن عباس: ابتدعوا السبت، فابتلوا فيه، فحرّمت عليهم فيه الحيتان، فكانوا إذا كان يوم السبت شرّعت لهم الحيتان ينظرون إليها في البحر، فإذا انقضى السبت ذهبت، فلم تر حتى السبت المقبل، فإذا جاء السبت جاءت شرّعاً. فمكثوا ما شاء الله أن يمكثوا كذلك، ثم إن رجلاً منهم أخذ حوتاً فخزم أنفه، ثم ضرب له وتداً في الساحل وربطه وتركه في الماء، فلما كان الغد أخذه فشواه فأكله. ففعل ذلك وهم ينظرون ولا ينكرون، ولا ينهاه منهم أحد إلا عصبة منهم نهوه، حتى ظهر ذلك في الأسواق وفعل علانية، قال: فقالت طائفة للذين ينهون: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أوْ مَعَذِّبُهُمْ عَذاباً شَدِيداً قالُوا مَعْذِرَةً إلى رَبِّكُمْ﴾ في سخطنا أعمالهم ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ فَلَمَّا نَسُوا ما ذُكِّرُوا بِهِ...﴾ إلى قوله: ﴿قُلْنا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خاسِئِينَ﴾. قال ابن عباس: كانوا أثلاثاً: ثلث نهوا، وثلث قالوا: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾، وثلث أصحاب الخطيئة. فما نجا إلا الذين نهوا، وهلك سائرهم، فأصبح الذين نهوا عن السوء ذات يوم في مجالسهم يتفقدون الناس لا يرونهم، فغلقوا عليهم دورهم، فجعلوا يقولون: إن للناس لشأناً، فانظروا ما شأنهم فاطلعوا في دورهم، فإذا القوم قد مسخوا في ديارهم قردة، يعرفون الرجل بعينه وإنه لقرد، ويعرفون المرأة بعينها وإنها لقردة، قال الله: ﴿فَجَعَلْناها نَكالاً لِمَا بينَ يَدَيْها وما خَلْفَها وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن أبي بكر الهذليّ، عن عكرمة، عن ابن عباس: ﴿أنْجَينا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُوءِ...﴾ الآية، قال ابن عباس: نجا الناهون، وهلك الفاعلون، ولا أدري ما صنع بالساكتين.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة، عن ابن عباس: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ قال: هم ثلاث فرق: الفرقة التي وعظت، والموعوظة التي وُعِظت، والله أعلم ما فعلت الفرقة الثالثة، وهم الذين قالوا: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾.

وقال الكلبي: هما فرقتان: الفرقة التي وعظت، والفرقة التي قالت: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ قال: هي الموعوظة.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عمران بن عيينة، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: لأن أكون علمتُ مَنْ هؤلاء الذين قالوا: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مَعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً﴾ أحبّ إليّ مما عدل به.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن عطاء، قال: قال ابن عباس: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ قال: أسمع الله يقول: ﴿أَنْجَيْنا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وأَخَذْنا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾ فليت شعري ما فعل بهؤلاء الذين قالوا: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب، عن جعفر، عن ماهان الحنفيّ أبي صالح، في قوله: ﴿تَأْتِيهِمْ حِيتانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً وَيَوْمَ لا يَسْبِتُونَ لا تَأْتِيهِمْ﴾ قال: كانوا في المدينة التي على ساحل البحر، وكانت الأيام ستة، الأحد إلى الجمعة، فوضعت اليهود يوم السبت، وسَبَتوه على أنفسهم، فسبته الله عليهم، ولم يكن السبت قبل ذلك، فوكّده الله عليهم، وابتلاهم فيه بالحيتان، فجعلت تشرع يوم السبت، فيتقون أن يصيبوا منها، حتى قال رجل منهم: والله ما السبت بيوم وكّده الله علينا، ونحن وكدناه على أنفسنا، فلو تناولت من هذا السمك فتناول حوتاً من الحيتان، فسمع بذلك جاره، فخاف العقوبة فهرب من منزله. فلما مكث ما شاء الله ولم تصبه عقوبة تناول غيره أيضاً في يوم السبت. فلما لم تصبهم العقوبة كثر من تناول في يوم السبت، واتخذوا يوم السبت وليلة السبت عيداً يشربون فيه الخمور ويلعبون فيه بالمعازف، فقال لهم خيارهم وصلحاؤهم: ويحكم، انتهوا عما تفعلون، إن الله مهلككم أو معذّبكم عذاباً شديداً أفلا تعقلون؟ ولا تعدوا في السبت فأبوا، فقال خيارهم: نضرب بيننا وبينهم حائطاً ففعلوا. وكان إذا كان ليلة السبت تأذّوا بما يسمعون من أصواتهم وأصوات المعازف. حتى إذا كانت الليلة التي مسخوا فيها، سكنت أصواتهم أوّل الليل، فقال خيارهم: ما شأن قومكم قد سكنت أصواتهم الليلة؟ فقال بعضهم: لعلّ الخمر غلبتهم فناموا. فلما أصبحوا لم يسمعوا لهم حسّاً، فقال بعضهم لبعض: ما لنا لا نسمع من قومكم حسّاً؟ فقالوا لرجل: اصعد الحائط وانظر ما شأنهم فصعد الحائط فرآهم يموج بعضهم في بعض، قد مسخوا قردة، فقال لقومه: تعالوا فانظروا إلى قومكم ما لقوا فصعدوا، فجعلوا ينظرون إلى الرجل، فيتوسمون فيه، فيقولون: أي فلان أنت فلان؟ فيومىء بيده إلى صدره: أي نعم بما كسبت يداي.

حدثني يعقوب وابن وكيع، قالا: ثنا ابن علية، عن أيوب قال: تلا الحسن ذات يوم: ﴿وَاسْئَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ التي كانَتْ حاضِرَةَ الْبَحْرِ إذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إذْ تَأْتِيهِمْ حِيتانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ

شُرَّعاً وَيَوْمَ لا يَسْبِتُونَ لا تَأْتِيهِمْ كذلكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كانُوا يَفْسُقُونَ﴾ فقال: كان حوتاً حرّمه الله عليهم في يوم وأحله لهم فيما سوى ذلك، فكان يأتيهم في اليوم الذي حرّمه الله عليهم كأنه المخاض لا يمتنع من أحد، وقلّما رأيت أحداً يكثر الاهتمام بالذنب إلا واقعه. قال: فجعلوا يهمون ويمسكون حتى أخذوه، فأكلوا أوخم أكلة أكلها قوم قطّ، أثقله خزياً في الدنيا وأشدّه عقوبة في الآخرة، وايمُ الله ما حوت أخذه قوم فأكلوه أعظم عند الله من قتل رجل مؤمن، وللمؤمن أعظم حرمة عند الله من حوت، ولكن الله جعل موعد قوم الساعة **﴿والسَّاعَةُ أدْهَى وأَمَرُّ﴾**.

حدثني يونس، قال: أخبرنا سفيان، عن أبي موسى، عن الحسن، قال: جاءتهم الحيتان تشرع في حياضهم كأنها المخاض، فأكلوا والله أوخم أكلة أكلها قوم قطّ، أسوأه عقوبة في الدنيا وأشدّه عذاباً في الآخرة. وقال الحسن: وقتل المؤمن والله أعظم من أكل الحيتان.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن عطاء، قال: كنت جالساً في المسجد، فإذا شيخ قد جاء وجلس الناس إليه، فقالوا: هذا من أصحاب عبد الله بن مسعود، فقال: قال ابن مسعود: **﴿وَاسْئَلْهُمْ عَنِ القَرْيَةِ التي كانَتْ حاضِرَةَ البَحْرِ. . .﴾** الآية، قال: لما حرّم عليهم السبت كانت الحيتان تأتي يوم السبت، وتأمن وتجيء فلا يستطيعون أن يمسُّوها، وكان إذا ذهب السبت ذهبت، فكانوا يتصيَّدُونَ كما يتصيَّد الناس. فلما أرادوا أن يعدوا في السبت، اصطادوا، فنهاهم قوم من صالحيهم، فأبوا، وكثَّرهم الفجار، فأراد الفجار قتالهم، فكان فيهم من لا يشتهون قتاله، أبو أحدهم وأخوه أو قريبه. فلما نهوهم وأبوا، قال الصالحون: إنا نباينهم، وإنا نجعل بيننا وبينهم حائطاً ففعلوا، فلما فقدوا أصواتهم، قالوا: لو نظرتم إلى إخوانكم ما فعلوا فنظروا فإذا هم قد مسخوا قردة، يعرفون الكبير بكبره والصغير بصغره، فجعلوا يبكون إليهم. وكان هذا بعد موسى ﷺ.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فلما تركت الطائفة التي اعتدت في السبت ما أمرها الله به من ترك الاعتداء فيه وضيعت ما وعظتها الطائفة الواعظة وذكرتها ما ذكرتها به من تحذيرها عقوبة الله على معصيتها فتقدمت على استحلال ما حرّم الله عليها، أنجى الله الذين ينهون منهم عن السوء، يعني عن معصية الله، واستحلال حرمه. **﴿وأخَذْنا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾** يقول: وأخذ الله الذين اعتدوا في

السبت فاستحلوا فيه ما حرّم الله من صيد السمك وأكله، فأحلّ بهم بأسه وأهلكهم. ﴿بِعَذَابٍ﴾ شديد ﴿بِئِيسٍ بِمَا كانُوا يَفْسُقونَ﴾ يخالفون أمر الله، فيخرجون من طاعته إلى معصيته، وذلك هو الفسق.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا ابن جريج، في قوله: ﴿فَلَمَّا نَسُوا ما ذُكِّرُوا بِهِ أنْجَينا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ﴾ قال: فلما نسوا موعظة المؤمنين إياهم، الذين قالوا: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً﴾.

حدثني محمد بن المثنى، قال: ثنا حرميّ، قال: ثني شعبة، قال: أخبرني عمارة، عن عكرمة، عن ابن عباس: ﴿أنْجَينا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ﴾ قال: يا ليت شعري ما السوء الذي نهوا عنه.

وأما قوله: ﴿بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾ فإن القرّاء اختلفت في قراءته، فقرأته عامة قرّاء أهل المدينة: «بِعَذَابٍ بِيسٍ» بكسر الباء وتخفيف الياء بغير همز، على مثال «فِعْل». وقرأ ذلك بعض قرّاء الكوفة والبصرة: ﴿بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾ على مثل «فعيل» من البؤس، بنصب الباء وكسر الهمزة ومدّها. وقرأ ذلك كذلك بعض المكيين، غير أنه كسر باء: «بِئِيسٍ» على مثال «فِعِيل». وقرأه بعض الكوفيين: «بَيْئِسٍ» بفتح الباء، وتسكين الياء، وهمزة بعدها مكسورة على مثال «فَيْعِلٍ». وذلك شاذّ عند أهل العربية، لأن «فيعل» إذا لم يكن من ذوات الياء والواو، فالفتح في عينه الفصيح في كلام العرب، وذلك مثل قولهم في نظيره من السالم: صيقل، ونيرب، وإنما تكسر العين من ذلك في ذوات الياء والواو، كقولهم: سيد، وميت. وقد أنشد بعضهم قول امرىء القيس بن عابس الكنديّ:

كِلاهُما كانَ رَئِيساً بَيْئِسَا يَضْرِبُ فِي يَوْمِ الهِياجِ القَوْنَسا[1]

بكسر العين من «فَيْعِل»، وهي الهمزة من بيئس. فلعلّ الذي قرأ ذلك كذلك قرأه على هذه. وذكر عن آخر من الكوفيين أيضاً أنه قرأه: ﴿بَيْئَسٍ﴾ نحو القراءة التي ذكرناها قبل هذه، وذلك

(١) في «تاج العروس»: البيأس كفيعل: الشديد. والأسد، كالبيهس لشدته، وعذاب بئس بالكسر (للهمزة)، وبئيس كأمير، وبيأس: كجيأل: شديد. وفي التنزيل العزيز: «بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون»، قرأ أبو عمرو وعاصم والكسائي وحمزة: «بعذاب بئيس» كأمير. وقرأ ابن كثير «بئيس» على فعيل بالكسر. وكذلك قرأها شبل وأهل مكة. وقرأها ابن عامر: «بئس» على «فعل» بالهمزة والكسر. وقرأها نافع وأهل المدينة «بيس» بغير همزة، ونقل القرطبي فيها (٧/ ٣٠٨) إحدى عشرة قراءة.

يفتح الباء وتسكين الياء وفتح الهمزة بعد الياء على مثال «فَيْعَل» مثل «صَيْقَل». وروي عن بعض البصريين أنه قرأه: «بَئِس» بفتح الباء وكسر الهمزة على مثال «فَعِل»، كما قال ابن قيس الرقيات:

لَيْتَنِي أَلْقَى رُقَيَّةَ فِي ... خَلْوَةٍ مِنْ غَيْرِ ما بَئِسِ[1]

وروى عن آخر منهم أنه قرأ: «بِئْسَ» بكسر الباء وفتح السين على معنى بئس العذاب.

وأولى هذه القراءات عندي بالصواب قراءة من قرأه: ﴿بَئِيس﴾ بفتح الباء وكسر الهمزة ومدّها على مثال فَعِيل، كما قال ذو الإصبع العدواني:

حَنَقاً عَلَيَّ وَلَنْ تَرَى ... لِي فِيهِمُ أَثَراً بَئِيسا[2]

لأن أهل التأويل أجمعوا على أن معناه شديد، فدلّ ذلك على صحة ما اخترنا.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا ابن جريج، قال: أخبرني رجل عن عكرمة، عن ابن عباس، في قوله: ﴿وأَخَذْنا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾: أليم وجيع.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾ قال: شديد.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾: أليم شديد.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: ﴿بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾ قال: موجع.

---

(١) البيت أورده العيني في شواهده الكبرى «هامش «**خزانة الأدب**» للبغدادي (٤/ ٣٧٩)» ولم يشرحه، وبعده بيت آخر من شواهد النحويين، وهو قوله:

كَيْ لِتَقْضِينِي رُقَيَّةُ مَا ... وَعَدَتْنِي غَيْرَ مُخْتَلَسِ

ولم أجد في ديوانه غير مطلع القصيدة (ص ـ ٢٦٧). وأوردهما البغدادي في «**خزانة الأدب**» (٣/ ٥٨٧) وفي روايته: «من غير ما أنس» والأنس بالتحريك لغة في الإنس بكسر الهمزة وسكون النون، والأنس أيضاً: الحي المقيمون. وأما رواية المؤلف: «من غير ما بئس» بفتح الباء وكسر الهمزة فهي لغة في البأس، بفتح الباء وسكون الهمزة، بمعنى الشدة، كما في «**لسان العرب**».

(٢) الحنق: الغيظ. والبئيس: الشديد. وانظر تفسير القرطبي (٧/ ٣٠٨) فقد نقل فيها إحدى عشرة قراءة.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: ﴿بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾ قال: بعذاب شديد.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٦٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فلما تمرّدوا فيما نهوا عنه من اعتدائهم في السبت، واستحلالهم ما حرّم الله عليهم من صيد السمك وأكله وتمادوا فيه ﴿قُلْنا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خاسِئِينَ﴾: أي بُعداء من الخير.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَمَّا نُهُوا عَنْهُ﴾ يقول: لما مرد القوم على المعصية. ﴿قُلْنا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خاسِئِينَ﴾ فصاروا قردة لها أذناب تَعَاوَى بعد ما كانوا رجالاً ونساء.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَمَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خاسِئِينَ﴾ فجعل الله منهم القردة والخنازير. فزعم أن شباب القوم صاروا قردة، وأن المشيخة صاروا خنازير.

حدثني المثنى، قال: ثنا الحمانيّ، قال: ثنا شريك، عن السديّ، عن أبي مالك أو سعيد بن جبير، قال: رأى موسى عليه السلام رجلاً يحمل قصباً يوم السبت، فضرب عنقه.
؟(١)؟

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾﴾.

يعني جلّ ثناؤه بقوله: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ﴾ واذكر يا محمد إذ آذن ربك فأعلم. وهو تفعل من الإيذان، كما قال الأعشى ميمون بن قيس:

---

(١) المشيخة: جمع شيخ، وهو الطاعن في السن.

آذَنَ الـيَـوْمَ جِـيـرَتِـي بِـخُـفُـوفِ صَـرَمُـوا حَـبْـلَ آلِـفٍ مَـأْلُـوفِ[١]

يعني بقوله آذن: أعلم، وقد بينا ذلك بشواهده في غير هذا الموضع.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: ﴿**وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ**﴾ قال: أمر ربك.

حدثنا الحرث، قال: ثنا عبد العزيز. قال: ثنا أبو سعد، عن مجاهد: ﴿**وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ**﴾ قال: أمر ربك.

وقوله: ﴿**لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ**﴾ يعني: أعلم ربك ليبعثنّ على اليهود من يسومهم سوء العذاب، قيل: إن ذلك العرب بعثهم الله على اليهود يقاتلون من لم يسلم منهم ولم يعط الجزية، ومن أعطى منهم الجزية كان ذلك له صَغَاراً وذلة.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى بن إبراهيم وعليّ بن داود قالا: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ العَذَابِ**﴾ قال: هي الجزية، والذين يسومونهم: محمد ﷺ وأمته إلى يوم القيامة.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ العَذَابِ**﴾ فهي المسكنة، وأخذ الجزية منهم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جريج، قال ابن عباس: ﴿**وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ العَذَابِ**﴾ قال: يهود، وما ضرب عليهم من الذلة والمسكنة.

---

(١) البيت للأعشى ميمون أبي بصير ديوانه طبع القاهرة، بشرح الدكتور محمد حسين (ص ـ ٣١٣) وآذن بالشيء: أعلم به، ومنه قول الحارث بن حلزة: «آذنتنا ببينها أسماء» أي أعلمتنا والخفوف: سرعة الذهاب في الرحيل. وصرموا: قطعوا، وآلف مألوف: محب محبوب.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلى يَوْمِ القِيامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ العَذَابِ﴾ قال: فبعث الله عليهم هذا الحيّ من العرب، فهم في عذاب منهم إلى يوم القيامة.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: ﴿لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلى يَوْمِ القِيامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ﴾ قال: بعث عليهم هذا الحيّ من العرب، فهم في عذاب منهم إلى يوم القيامة. وقال عبد الكريم الجزري: يُستحبّ أن تبعث الأنباط في الجزية.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا إسحاق بن إسماعيل، عن يعقوب، عن جعفر، عن سعيد: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلى يَوْمِ القِيامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ﴾ قال: العرب. ﴿سُوءَ العَذَابِ﴾ قال: الخراج. وأوّل من وضع الخراج موسى عليه السلام، فجبى الخراج سبع سنين.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب، عن جعفر، عن سعيد: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلى يَوْمِ القِيامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ﴾ قال: العرب. ﴿سُوءَ العَذَابِ﴾ قال: الخراج. قال: وأوّل من وضع الخراج موسى، فجبى الخراج سبع سنين.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب، عن جعفر، عن سعيد: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلى يَوْمِ القِيامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ العَذَابِ﴾ قال: هم أهل الكتاب، بعث الله عليهم العرب يجبونهم الخراج إلى يوم القيامة، فهو سوء العذاب، ولم يجب نبيّ الخراج قطّ إلا موسى ﷺ ثلاث عشرة سنة ثم أمسك، وإلا النبيّ ﷺ.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلى يَوْمِ القِيامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ العَذَابِ﴾ قال: يبعث عليهم هذا الحيّ من العرب، فهم في عذاب منهم إلى يوم القيامة.

قال: أخبرنا معمر، قال: أخبرني عبد الكريم، عن ابن المسيب، قال: يستحبّ أن تبعث الأنباط في الجزية.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلى يَوْمِ القِيامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ العَذَابِ﴾ يقول: إن ربك يبعث على بني إسرائيل العرب، فيسومونهم سوء العذاب: يأخذون منهم الجزية ويقتلونهم.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلى يَوْمِ القِيامَةِ﴾ ليبعثنّ على يهود.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ العِقابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

يقول تعالى ذكره: إن ربك يا محمد لسريع عقابه إلى من استوجب منه العقوبة على كفره به ومعصيته له. ﴿وإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ يقول: وإنه لذو صفح عن ذنوب من تاب من ذنوبه فأناب وراجع طاعته، يستر عليها بعفوه عنها، رحيم له أن يعاقبه على جرمه بعد توبته منها، لأنه يقبل التوبة ويُقيل العثرة.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَقَطَّعۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُمَمٗاۖ مِّنۡهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنۡهُمۡ دُونَ ذَٰلِكَۖ وَبَلَوۡنَٰهُم بِٱلۡحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ١٦٨﴾.

يقول تعالى ذكره: وفرّقنا بني إسرائيل في الأرض أمماً، يعني جماعات شتى متفرّقين. كما:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا إسحاق بن إسماعيل، عن يعقوب، عن جعفر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ﴿وَقَطَّعناهُمْ فِي الأرْضِ أُمَماً﴾ قال: في كلّ أرض يدخلها قوم من اليهود.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿وَقَطَّعناهُمْ فِي الأرْضِ أُمَماً﴾ قال: يهود.

وقوله: ﴿مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ﴾ يقول: من هؤلاء القوم الذين وصفهم الله من بني إسرائيل الصالحون، يعني: من يؤمن بالله ورسله. ﴿وَمِنْهُمْ دُونَ ذلكَ﴾ يعني: دون الصالح. وإنما وصفهم الله جلّ ثناؤه بأنهم كانوا كذلك قبل ارتدادهم عن دينهم وقبل كفرهم بربهم، وذلك قبل أن يُبعث فيهم عيسى ابن مريم صلوات الله عليه.

وقوله: ﴿وَبَلَوْناهُمْ بالحَسَناتِ وَالسَّيِّئاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ يقول: واختبرناهم بالرخاء في العيش، والخفض في الدنيا، والدعة والسعة في الرزق، وهي الحسنات التي ذكرها جلّ ثناؤه. ويعني بالسيئات: الشدّة في العيش، والشظف فيه، والمصائب والرزايا في الأموال. ﴿لَعلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ يقول: ليرجعوا إلى طاعة ربهم، وينيبوا إليها، ويتوبوا من معاصيه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا وَإِن يَأۡتِهِمۡ عَرَضٞ مِّثۡلُهُۥ يَأۡخُذُوهُۚ أَلَمۡ يُؤۡخَذۡ عَلَيۡهِم مِّيثَٰقُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِۗ وَٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٦٩﴾.

يقول تعالى ذكره: فخلف من بعد هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم خلْف يعني خلف سَوْء، يقول: حدث بعدهم وخلافهم، وتبدّل منهم بدل سوء، يقال منه: هو خَلَفُ صدق، وخَلْفُ سَوْءٍ، وأكثر ما جاء في المدح بفتح اللام وفي الذمّ بتسكينها، وقد تحرّك في الذمّ وتسكن في المدح، ومن ذلك في تسكينها في المدح قول حسان:

لَنا القَدَمُ الأُولى إليكَ وخَلْفُنا ... لِأَوَّلِنا في طاعَةِ اللّهِ تابِعُ(١)

وأحسب أنه إذا وجه إلى الفساد مأخوذ من قولهم: خلف اللبن: إذا حمض من طول تركه في السقاء حتى يفسد، فكأنَّ الرجل الفاسد مشبَّه به، وقد يجوز أن يكون منه قولهم: خَلَف فم الصائم: إذا تغيرت ريحه. وأما في تسكين اللام في الذمّ، فقول لبيد:

ذَهَبَ الَّذِينَ يُعاشُ في أكْنافِهِمْ ... وبَقِيتُ في خَلْفٍ كَجِلْدِ الأَجْرَبِ(٢)

وقيل: إن الخلْف الذي ذكر الله في هذه الآية أنهم خلَفوا من قبلهم هم النصارى.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: ﴿**فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ**﴾ قال: النصارى.

والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله تعالى إنما وصف أنه خلَف القوم الذي قصّ قصصهم في الآيات التي مضت خلف سوْء رديء، ولم يذكر لنا أنهم نصارى في كتابه، وقصتهم بقصص اليهود أشبه منها بقصص النصارى. وبعدُ، فإن ما قبل ذلك خبر عن بني إسرائيل وما بعده كذلك، فما بينهما بأن يكون خبراً عنهم أشبه، إذ لم يكن في الآية دليل على صرف الخبر عنهم إلى غيرهم، ولا جاء بذلك دليل يوجب صحة القول به.

فتأويل الكلام إذن: فتبدّل من بعدهم بَدَلُ سوْء، ورثوا كتاب الله: تعلموه، وضيعوا العمل به فخالفوا حكمه، يُرْشَوْنَ في حكم الله، فيأخذون الرشوة فيه من عرض هذا العاجل الأدنى، يعني بالأدنى: الأقرب من الآجل الأبعد، ويقولون إذا فعلوا ذلك: إن الله سيغفر لنا ذنوبنا تمنياً على الله الأباطيل، كما قال جلّ ثناؤه فيهم: ﴿**فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الكِتابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذا**

---

(١) البيت لحسان بن ثابت، أنشده صاحب «اللسان» في «خلف» شاهداً على أن الخلف بسكون اللام بمعنى الباقي بعد الهالك، قال: ويكون محموداً ومذموماً، فشاهد المحمود قول حسان: لنا القدم... البيت فالخلف ههنا: هو التابع لمن مضى، وليس من معنى الخلف، الذي هو البدل. قال: وقيل الخلف هنا: المتخلفون عن الأولين: أي الباقون. وعليه قوله عز وجل: ﴿فخلف من بعدهم خلف﴾ فسمي بالمصدر. فهذا قول ثعلب. قال: وهو الصحيح. قال: وشاهد المذموم قول لبيد: «وبقيت في خلف كجلد الأجرب».

(٢) البيت للبيد بن ربيعة «اللسان» خلف، وقد سبقت الإشارة إليه في شرح بيت حسان بن ثابت. ولم أجده في ديوان لبيد طبع ليدن سنة ١٨٩١ م، ولا في ملحقاته.

مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبونَ﴾. ﴿وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُه يأخُذُوهُ﴾ يقول: وإن شرع لهم ذنب حرام مثله من الرشوة بعد ذلك أخذوه واستحلوه، ولم يرتدعوا عنه. يخبر جلّ ثناؤه عنهم أنهم أهل إصرار على ذنوبهم، وليسوا بأهل إنابة ولا توبة.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل وإن اختلفت عنه عباراتهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أحمد بن المقدام، قال: ثنا فضيل بن عياض، عن منصور، عن سعيد بن جبير، في قوله: ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنا وَإنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُه يأخُذُوهُ﴾. قال: يعملون الذنب ثم يستغفرون الله، فإن عرض ذلك الذنب أخذوه.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن سعيد بن جبير: ﴿وَإنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُه يأخُذُوهُ﴾ قال: من الذنوب.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن سعيد بن جبير: ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنا﴾ قال: يعملون بالذنوب. ﴿وَإنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُه يأخُذُوهُ﴾: قال: ذنب آخر يعملون به.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن منصور، عن سعيد بن جبير: ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأدْنَى﴾ قال: الذنوب. ﴿وَإنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُه يأخُذُوهُ﴾ قال: الذنوب.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأدْنَى﴾ قال: ما أشرف لهم من شيء في اليوم من الدنيا حلال أو حرام يشتهونه أخذوه، ويبتغون المغفرة، فإن يجدوا الغد مثله يأخذوه.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، بنحوه، إلا أنه قال: يتمنون المغفرة.

حدثنا الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا أبو سعد، عن مجاهد: ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأدْنَى﴾ قال: لا يشرف لهم شيء من الدنيا إلا أخذوه حلالاً كان أو حراماً، ويتمنون المغفرة، ﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنا﴾ وإن يجدوا عرضاً مثله يأخذوه.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾: أي والله لخلف سَوْء ورثوا الكتاب بعد أنبيائهم ورسلهم، ورّثهم الله وعهد

إليهم، وقال الله في آية أخرى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ﴾ قال: ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنا﴾ تمنوا على الله أماني وغرّة يغترّون بها. ﴿وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُه﴾ لا يشغلهم شيء عن شيء ولا ينهاهم عن ذلك، كلما أشرف لهم شيء من الدنيا أكلوه لا يبالون حلالاً كان أو حراماً.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأَدْنَى﴾ قال: يأخذونه إن كان حلالاً وإن كان حراماً. ﴿وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُه﴾ قال: إن جاءهم حلال أو حرام أخذوه.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قوله: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ...﴾ إلى قوله: ﴿وَدَرَسُوا ما فِيهِ﴾ قال: كانت بنو إسرائيل لا يستقضون قاضياً إلا ارتشى في الحكم. وإن خيارهم اجتمعوا فأخذ بعضهم على بعض العهود أن لا يفعلوا ولا يرتشوا، فجعل الرجل منهم إذا استُقْضِي ارتشى، فقال له: ما شأنك ترتشي في الحكم؟ فيقول: سيغفر لي فيطعن عليه البقية الآخرون من بني إسرائيل فيما صنع. فإذا مات أو نُزِع، وجُعل مكانه رجل ممن كان يطعن عليه فيرتشي، يقول: وإن يأت الآخرين عرض الدنيا يأخذوه. وأما عَرَض الأدنى، فعرض الدنيا من المال.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الكِتابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنا﴾ يقول: يأخذون ما أصابوا، ويتركون ما شاءوا من حلال أو حرام، ويقولون: سيغفر لنا.

وحدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأَدْنَى﴾ قال: الكتاب الذي كتبوه، ويقولون: ﴿سَيُغْفَرُ لَنا﴾ لا نشرك بالله شيئاً. ﴿وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُه يأخُذُوهُ﴾ يأتهم المحقّ برشوة، فيخرجوا له كتاب الله ثم يحكموا له بالرشوة. وكان الظالم إذا جاءهم برشوة أخرجوا له المثناة، وهو الكتاب الذي كتبوه، فحكموا له بما في المثناة بالرشوة، فهو فيها محقّ، وهو في التوراة ظالم، فقال الله: ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيهِمْ مِيثاقُ الكِتابِ ألاَّ يَقُولُوا عَلى اللَّهِ إلاَّ الحَقَّ وَدَرَسوا ما فِيهِ﴾.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن سعيد بن جبير، قوله: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ ورِثُوا الكِتابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأَدْنَى﴾ قال: يعملون بالذنوب، ﴿ويقولون سيغفر لنا وإن يأتيهم عرض مثله يأخذوه﴾ قال: الذنوب.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيهِمْ مِيثاقُ الكِتابِ ألاَّ يَقُولُوا على اللَّهِ إلاَّ الحَقّ وَدَرَسُوا ما فِيهِ والدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ للَّذِينَ يَتَّقُونَ أفَلا تَعْقِلُونَ﴾.

يقول تعالى ذكره: ألم يؤخذ على هؤلاء المرتشين في أحكامهم، القائلين: سيغفر الله لنا فعلنا هذا، إذا عوتبوا على ذلك ميثاقُ الكتاب، وهو أخذ الله العهود على بني إسرائيل بإقامة التوراة والعمل بما فيها. فقال جلّ ثناؤه لهؤلاء الذين قصّ قصتهم في هذه الآية موبخاً لهم على خلافهم أمره ونقضهم عهده وميثاقه: ألم يأخذ الله عليهم ميثاق كتابه **﴿ألاَّ يَقُولُوا على اللَّهِ إلاَّ الحَقّ﴾** ولا يضيفوا إليه إلا ما أنزله على رسوله موسى ﷺ في التوراة، وأن لا يكذبوا عليه؟ كما:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس: **﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيهِمْ مِيثاقُ الكِتابِ ألاَّ يَقُولُوا على اللَّهِ إلاَّ الحَقّ﴾** قال: فيما يوجبون على الله من غفران ذنوبهم التي لا يزالون يعودون فيها ولا يتوبون منها.

وأما قوله: **﴿وَدَرَسُوا ما فِيهِ﴾** فإنه معطوف على قوله: **﴿وَرِثُوا الكِتابَ﴾** ومعناه: فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب، ودرسوا ما فيه. ويعني بقوله: **﴿وَدَرَسُوا ما فِيهِ﴾** قرأوا ما فيه. يقول: ورثوا الكتاب فعلموا ما فيه ودرسوه، فضيعوه وتركوا العمل به، وخالفوا عهد الله إليهم في ذلك. كما:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿وَدَرَسُوا ما فِيهِ﴾** قال: علموه وعلموا ما في الكتاب الذي ذكر الله وقرأ: **﴿بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الكِتابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾**.

﴿والدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ للَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ يقول جلّ ثناؤه: وما في الدار الآخرة، وهو ما في المعاد عند الله مما أعدّ لأوليائه والعاملين بما أنزل في كتابه المحافظين على حدوده، خير للذين يتقون الله ويخافون عقابه، فيراقبونه في أمره ونهيه، ويطيعونه في ذلك كله في دنياهم. **﴿أفَلا تَعْقِلُونَ﴾** يقول: أفلا يعقل هؤلاء الذين يأخذون عرض هذا الأدنى على أحكامهم، ويقولون سيغفر لنا، أن ما عند الله في الدار الآخرة للمتقين العادلين بين الناس في أحكامهم، خير من هذا العرض القليل الذي يستعجلونه في الدنيا على خلاف أمر الله والقضاء بين الناس بالجور؟

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ الصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾﴾.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأه بعضهم: «يُمْسِكُونَ» بتخفيف الميم وتسكينها، من أمسك يمسك. وقرأه آخرون: **﴿يُمَسِّكُونَ﴾** بفتح الميم وتشديد السين، من مسَّك يمسِّك. ويعني

بذلك: والذين يعملون بما في كتاب الله، وأقاموا الصلاة بحدودها، ولم يضيعوا أوقاتها ﴿**إنَّا لا نُضِيعُ أجرَ المُصْلِحِينَ**﴾ يقول تعالى ذكره: فمن فعل ذلك من خلقي، فإني لا أضيع أجر عمله الصالح. كما:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: ﴿**وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بالكِتابِ**﴾ قال: كتاب الله الذي جاء به موسى ﷺ.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال مجاهد، قوله: ﴿**والَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بالكِتابِ**﴾ من يهود أو نصارى ﴿**إنَّا لا نُضِيعُ أجْرَ المُصْلِحِينَ**﴾.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: واذكر يا محمد إذ اقتلعنا الجبل، فرفعناه فوق بني إسرائيل، كأنه ظلة غمام من الظلام، وقلنا لهم: خذوا ما آتيناكم بقوّة من فرائضنا، وألزمناكم من أحكام كتابنا، فاقبلوه، واعملوا باجتهاد منكم في أدائه من غير تقصير ولا توان. ﴿**واذْكُرُوا ما فِيهِ**﴾ يقول ما في كتابنا من العهود والمواثيق التي أخذنا عليكم بالعمل بما فيه. ﴿**لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ يقول: كي تتقوا ربكم، فتخافوا عقابه بترككم العمل به إذا ذكرتم ما أخذ عليكم فيه من المواثيق.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**وَإذْ نَتَقْنا الجَبَلَ فَوْقَهُمْ كأنَّهُ ظُلَّةٌ**﴾ فقال لهم موسى: خذوا ما آتيناكم بقوّة يقول: من العمل بالكتاب وإلا خرّ عليكم الجبل، فأهلككم فقالوا: بل نأخذ ما آتانا الله بقوّة ثم نكثوا بعد ذلك.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ عن ابن عباس، قوله: ﴿**وَإذْ نَتَقْنا الجَبَلَ فَوْقَهُمْ كأنَّهُ ظُلَّةٌ**﴾ فهو قوله: ﴿**وَرَفَعْنا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثاقِهِمْ**﴾ فقال: ﴿**خُذُوا ما آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ**﴾، وإلا أرسلته عليكم.

حدثني إسحاق بن شاهين، قال: ثنا خالد بن عبد الله، عن داود، عن عامر، عن ابن عباس، قال: إني لأعلمُ خلق الله لأيّ شيء سجدت اليهود على حرف وجوههم، لما رفع الجبل

فوقهم سجدوا وجعلوا ينظرون إلى الجبل مخافة أن يقع عليهم، قال: فكانت سجدة رضيها الله، فاتخذوها سنة.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا عبد الأعلى، قال: ثنا داود، عن عامر، عن ابن عباس، مثله.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وَإِذْ نَتَقْنَا الجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا ما آتيناكُمْ بِقُوَّةٍ**﴾: أي بجدّ. ﴿**واذْكُرُوا ما فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ جبل نزعه الله من أصله ثم جعله فوق رءوسهم، فقال: لتأخذنّ أمري، أو لأرمينّكم به

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جريج، قال مجاهد: ﴿**وَإِذْ نَتَقْنا الجَبَلَ**﴾ قال: كما تنتق الزّبدة. قال ابن جريج: كانوا أبوا التوراة أن يقبلوها أو يؤمنوا بها. ﴿**خُذُوا ما آتَيناكُمْ بِقُوَّةٍ**﴾ قال: يقول: لتؤمننّ بالتوراة ولتقبلنها، أو ليقعن عليكم

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن أبي بكر بن عبد الله، قال: هذا كتاب الله أتقبلونه بما فيه، فإن فيه بيان ما أحلّ لكم وما حرّم عليكم وما أمركم وما نهاكم. قالوا: انشر علينا ما فيها، فإن كانت فرائضها يسيرة وحدودها خفيفة قبلناها قال: اقبلوها بما فيها قالوا: لا، حتى نعلم ما فيها كيف حدودها وفرائضها. فراجعوا موسى مراراً، فأوحى الله إلى الجبل، فانقلع فارتفع في السماء حتى إذا كان بين رؤوسهم وبين السماء قال لهم موسى: ألا ترون ما يقول ربي؟ لئن لم تقبلوا التوراة بما فيها لأرمينكم بهذا الجبل قال: فحدثني الحسن البصري، قال: لما نظروا إلى الجبل خرّ كلّ رجل ساجداً على حاجبه الأيسر، ونظر بعينه اليمنى إلى الجبل، فرَقاً من أن يسقط عليه فلذلك ليس في الأرض يهوديّ يسجد إلا على حاجبه الأيسر، يقولون: هذه السجدة التي رفُعت عنا بها العقوبة. قال أبو بكر: فلما نشَرَ الألواح فيها كتاب الله كتبه بيده، لم يبق على وجه الأرض جبل ولا شجر ولا حجر إلا اهتزّ، فليس اليوم يهوديّ على وجه الأرض صغير ولا كبير تقرأ عليه التوراة إلا اهتزّ ونغض لها رأسه.

واختلف أهل العلم بكلام العرب في معنى قوله: ﴿**نَتَقْنا**﴾ فقال بعض البصريين: معنى نتقنا: رفعنا واستشهد بقول العجّاج:

يَنْتُقُ أَقْتادَ الشَّلِيلِ نَتْقا[1]

---

(١) البيت للعجاج ديوانه طبع ليبسك سنة ١٩٠٣ (ص ـ ٤٠) وروايته فيه: «يقتاد رحلى والشليل نتقا». وفي «**لسان العرب**»: النتق: الزعزعة والهز والجذب والنقض. وفي التنزيل: «وإذ نتقنا الجبل فوقهم» أي زعزعناه ورفعناه وجاء في الخبر أنه اقتلع من مكانه. ونتقت الدابة راكبها، وبراكبها تنتق (بضم التاء وكسرها) نتقا ونتوقا: إذا=

وقال: يعني بقوله: «ينتق» يرفعها عن ظهره. وبقول الآخر:

وَنَـتَـقُـوا أَحْـلامَـنَـا الأثَـاقِـلا[١]

وقد حُكي عن قائل هذه المقالة قول آخر، وهو أن أصل النتق والنتوق كلّ شيء قلعته من موضعه فرميت به، يقال منه: نتقت نتقاً. قال: ولهذا قيل للمرأة الكبيرة ناتق لأنها ترمي بأولادها رمياً، واستشهد ببيت النابغة:

لَمْ يُحْرَمُوا حُسْنَ الغِذَاءِ وأُمُّهُمْ ... دَحَقَتْ عَلَيْكَ بِنَاتِقٍ مِذْكَارِ[٢]

وقال آخر: معناه في هذا الموضع: رفعناه. وقال: قالوا: نتقني السير: حرّكني. وقال: قالوا: ما نتق برجله لا يركض، والنتق: نتق الدابة صاحبها حين تعدو به وتتعبه حتى يربو، فذلك النتق والنتوق، ونتقتني الدابة، ونتقت المرأة تنتق نتوقاً: كثر ولدها. وقال بعض الكوفيين: نتقنا الجبل: علقنا الجبل فوقهم فرفعناه ننتقه نتقاً، وامرأة منتاق: كثيرة الولد، قال: وسمعت أخذ الجراب ونَتَقَ ما فيه: إذا نثر ما فيه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: واذكر يا محمد ربك إذ استخرج ولد آدم من أصلاب

= نزته وألعبته، حتى يأخذه لذلك ربو. ثم قال: وكان نتق الجبل أن قطع منه شيء على قدر عسكر موسى، فأظل عليهم، قال لهم موسى: إما أن تقبلوا التوراة، وإما أن يسقط عليكم. والقتد: خشب الرحل؛ وقيل: هو من أدوات الرحل. وقيل: بجميع أداته. والجمع: أقتاد وأقتد وقتود. والشليل والشلل: الدرع، أو غلالة تلبس فوق الدرع. وقيل: ما يلبس تحت الدرع من درع صغيرة أو ثوب. وقيل: هي الذرع ما كانت.

(١) البيت أحد أبيات ثلاثة أنشدها في «**اللسان**»: نتق من مشطور الرجز قالها شاعر، وهي:

قَدْ جَرَّبُوا أَخْلاقَنَا الجَلائِلا ... ونَتَقُوا أَحْلامَنَا الأثَاقِلا

فَلَمْ يَرَ النَّاسُ لَنَا مُعَادِلا

وهو شاهد على أن معنى النتق كما في الشاهد السابق.

قال: وقال الفراء في ذلك: رفع الجبل على عسكرهم فرسخاً في فرسخ. ونتقنا: رفعنا:

(٢) البيت في ديوانه شعر النابغة مختار الشعر الجاهلي طبعة الحلبي (ص ـ ١٦٨)، وفي «**لسان العرب**»: نتق وفي روايتهما: «طفحت» في مكان» «دحقت»، وأنشده أيضاً في «**اللسان**» دحق كرواية المؤلف. والواو في «لم يحرموا» راجعة إلى الأقوام الذين ذكرهم في أبيات القصيدة (بني جذيمة، والغاضريين). ودحقت المرأة بولدها: ولدت بعضهم في إثر بعض. والدحوق من النساء: ضد المقاليت، وهن المتئمات. والناتق: التي أخرجت ما عندها من الولد. ومذكار: تلد الذكور. يقول: إنهم غذوا غذاء حسنا، فنموا وكثروا.

آبائهم، فقرّرهم بتوحيده، وأشهد بعضهم على بعض شهادتهم بذلك، وإقرارهم به. كما:

حدثني أحمد بن محمد الطوسي، قال: ثنا الحسين بن محمد، قال: ثنا جرير بن حازم، عن كلثوم بن جبير، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن النبيّ ﷺ، قال: «أخَذَ اللَّهُ المِيثاقَ مِنْ ظَهْرِ آدَمَ بِنَعْمانَ» يعني عرفة «فَأخْرَجَ مِنْ صُلْبِهِ كُلَّ ذُرِّيَّةٍ ذرأها، فَنَثَرَهُمْ بَينَ يَدَيْهِ كالذَّرّ، ثُمَّ كَلَّمَهُمْ فَتَلا فَقالَ: ﴿**ألَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلى شَهِدْنا أنْ تَقُولُوا...**﴾ الآية إلى ﴿**ما فَعَلَ المُبْطِلونَ**﴾».

حدثنا عمران بن موسى، قال: ثنا عبد الوارث، قال: ثنا كلثوم بن جبر، قال: سألت سعيد بن جبير عن قوله: ﴿**وَإذْ أخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرّيَّاتِهِمْ**﴾ قال: سألت عنها ابن عباس، فقال: مسح ربك ظهر آدم، فخرجت كلّ نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة بنعمان هذا، وأشار بيده، فأخذ مواثيقهم، وأشهدهم على أنفسهم ﴿**ألَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلى**﴾.

حدثنا ابن وكيع ويعقوب قالا: ثنا ابن علية، قال: ثنا كلثوم بن جبر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، في قوله: ﴿**وَإذْ أخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرّيَّاتِهِمْ وأشْهَدَهُمْ على أنْفُسِهِمْ ألَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلى شَهِدْنا**﴾ قال: مسح ربك ظهر آدم، فخرجت كلّ نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة بنعمان هذا الذي وراء عرفة، وأخذ ميثاقهم ﴿**ألَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلى شَهِدْنا**﴾ اللفظ لحديث يعقوب.

وحدثني يعقوب قال: ثنا ابن علية، قال ربيعة بن كلثوم، عن أبيه في هذا الحديث: ﴿**قالُوا بَلى شَهِدْنا أنْ تَقُولُوا يَوْمَ القِيامَةِ إنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غافِلِينَ**﴾.

حدثنا عمرو، قال: ثنا عمران بن عيينة، قال: أخبرنا عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: أوّل ما أهبط الله آدم، أهبطه بدجني[1]، أرض بالهند، فمسح الله ظهره، فأخرج منه كلّ نسمة هو بارئها إلى أن تقوم الساعة، ثم أخذ عليهم الميثاق: ﴿**وأشْهَدَهُمْ على أنْفُسِهِمْ ألَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلى شَهِدْنا أنْ تَقُولُوا يَوْمَ القِيامَةِ إنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غافِلِينَ**﴾.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عمران بن عيينة، عن عطاء، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: أُهبِط آدم حين أهبط، فمسح الله ظهره، فأخرج منه كلّ نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة، ثم قال ﴿**ألَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلى**﴾، ثم تلا: ﴿**وَإذْ أخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرّيَّاتِهِمْ**﴾ فجفّ القلم من يومئذ بما هو كائن إلى يوم القيامة.

(١) لعل المقصود بهذه الكلمة: هضبة الدكن من بلاد الهند.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا يحيى بن عيسى، عن الأعمش، عن حبيب بن أبي ثابت، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ**﴾ قال: لما خلق الله آدم، أخذ ذرّيته من ظهره مثل الذرّ، فقبض قبضتين، فقال لأصحاب اليمين ادخلوا الجنة بسلام، وقال للآخرين: ادخلوا النار ولا أبالي.

حدثنا ابن وكيع،قال: ثنا أبي، عن الأعمش، عن حبيب، عن ابن عباس، قال: مسح الله ظهر آدم، فأخرج كلّ طيب في يمينه، وأخرج كلّ خبيث في الأخرى.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن علية، عن شريك، عن عطاء، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: مسح الله ظهر آدم، فاستخرج منه كلّ نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، قال: ثنا عمرو بن أبي قيس، عن عطاء، عن سعيد، عن ابن عباس: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ**﴾ قال: لما خلق الله آدم مسح ظهره بدجني، وأخرج من ظهره كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة، فقال: ﴿**أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى**﴾ قال: فيرون يومئذ جفّ القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن المسعودي، عن عليّ بن بذيمة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: لما خلق الله آدم عليه السلام أخذ ميثاقه، فمسح ظهره، فأخذ ذرّيته كهيئة الذرّ، فكتب آجالهم وأرزاقهم ومصائبهم، وأشهدهم على أنفسهم ﴿**أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى**﴾.

قال: ثنا يزيد بن هارون، عن المسعودي، عن عليّ بن بذيمة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ**﴾ قال: لما خلق الله آدم، أخذ ميثاقه أنه ربه، وكتب أجله ومصائبه، واستخرج ذرّيته كالذرّ، وأخذ ميثاقهم، وكتب آجالهم وأرزاقهم ومصائبهم.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن ربيعة بن كلثوم بن جبر، عن أبيه سعيد بن جبير، عن ابن عباس، في قوله: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ**﴾ قال: مسح الله ظهر آدم عليه السلام وهو ببطن نعمان، واد إلى جنب عرفة، وأخرج ذرّيته من ظهره كهيئة الذرّ، ثم أشهدهم على أنفسهم ﴿**أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا**﴾.

قال: ثنا أبي، عن أبي هلال، عن أبي حمزة الضُّبَعي، عن ابن عباس، قال: أخرج الله ذرّية آدم عليه السلام من ظهره كهيئة الذرّ، وهو في آذيّ من الماء.

حدثني عليّ بن سهل، قال: ثنا ضمرة بن ربيعة، قال: ثنا أبو مسعود، عن جويبر، قال: مات ابن للضحاك بن مزاحم ابن ستة أيام، قال: فقال: يا جابر إذا أنت وضعت ابني في لحده، فأبرز وجهه، وحلّ عنه عقده، فإن ابني مُجْلَس ومسؤول، ففعلت به الذي أمرني، فلما فرغت، قلت: يرحمك الله، عمّ يُسئل ابنك؟ قال: يُسأل عن الميثاق الذي أقرّ به في صلب آدم عليه السلام. قلت: يا أبا القاسم، وما هذا الميثاق الذي أقرّ به في صلب آدم؟ قال: ثني ابن عباس أن الله مسح صلب آدم، فاستخرج منه كلّ نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة، وأخذ منهم الميثاق أن يعبدوه، ولا يشتركوا به شيئاً، فلن تقوم الساعة حتى يولد من أعطى الميثاق يومئذ، فمن أدرك منهم الميثاق الآخر فوفى به نفعه الميثاق الأوّل، ومن أدرك الميثاق الآخر فلم يف به لم ينفعه الميثاق الأوّل، ومن مات صغيراً قبل أن يدرك الميثاق الآخر مات على الميثاق الأوّل على الفطرة.

حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني السريّ بن يحيى، أن الحسن بن أبي الحسن، حدثهم عن الأسود بن سريع من بني سعد، قال: غزوت مع رسول الله ﷺ أربع غزوات، قال: فتناول القوم الذرية بعد ما قتلوا المقاتلة، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فاشتدّ عليه، ثم قال: «ما بالُ أقْوَام يَتَناوَلُونَ الذُّرِّيَّة؟» فقال رجل: يا رسول الله، أليسوا أبناء المشركين؟ فقال: «إنَّ خِيارَكُمْ أوْلادُ المُشْرِكِينَ، ألاَ إنَّها لَيْسَتْ نَسَمَةٌ تُولَدُ إلاَّ وُلِدَتْ على الفِطْرَة، فَمَا تَزَالُ عَلَيْها حتى يَبِينَ عَنْها لِسانُها، فأبَوَاها يُهَوِّدَانِها أوْ يُنَصِّرَانِها». قال الحسن: والله لقد قال الله ذلك في كتابه، قال: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ**﴾.

حدثنا عبد الرحمن بن الوليد، قال: ثنا أحمد بن أبي ظيبة، عن سفيان، عن سعيد، عن الأجلح، عن الضحاك، وعن منصور، عن مجاهد، عن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ**﴾ قال: «أخِذُوا مِنْ ظَهْره كمَا يُؤْخَذُ بالمِشْطِ مِنَ الرأس، فَقالَ لَهُمْ ألَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ قالُوا بَلى، قالَتِ المَلائِكَةُ: ﴿**شَهِدْنا أنْ تَقُولُوا يَوْمَ القِيامَةِ إنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غافِلِينَ**﴾».

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا يحيى بن سعيد، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد، عن عبد الله بن عمرو، في قوله: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ**﴾ قال: أخذهم كما يأخذ المشط من الرأس.

---

(١) كذا في «الدر المنثور» للسيوطي (٣/ ١٤٤) وفي الأصل: يقول. تحريف. والعزل: ألا يقر الرجل ماء في رحم المرأة عند اندفاقه.

حدثنا ابن وكيع وابن حميد، قالا: ثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد، عن عبد الله بن عمرو: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ قال: أخذهم كما يأخذ المشط عن الرأس. قال ابن حميد: كما يؤخذ بالمشط.

حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري، قال: ثنا روح بن عبادة، وسعد بن عبد الحميد بن جعفر بن مالك بن أنس، عن زيد بن أبي أنيسة، عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب، عن مسلم بن يسار الجهني: أن عمر بن الخطاب سئل عن هذه الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ﴾ فقال عمر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ بِيَمِينِهِ فاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً، فَقالَ: خَلَقْتُ هَؤُلاءِ للْجَنَّة، وَبِعَمَل أهْل الجَنَّةِ يَعْمَلُونَ. ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ فاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً، فَقالَ: خَلَقْتُ هَؤُلاءِ للنَّارِ، وَبِعَمَلِ أهْلِ النَّارِ يَعْمَلُونَ». فقال رجل: يا رسول الله ففيم العمل؟ قال: «إنّ اللَّهَ إذَا خَلَقَ العَبْدَ لِلْجَنَّةَ اسْتَعْمَلَهُ بَعَملِ أهْلِ الجَنَّةِ حتى يَمُوتَ على عَمَلٍ مِنْ عَمَلِ أهْلِ الجَنَّة فَيُدْخِلَهُ الجَنَّةَ وإذَا خَلَقَ العَبْدَ للنَّارِ اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أهْلِ النَّارِ حتى يَمُوتَ على عَمَلٍ مِنْ عَمَلِ أهْلِ النَّارِ فَيُدْخِلَهُ النَّار».

حدثنا إبراهيم، قال: ثنا محمد بن المصفي، عن بقية عن عمرو بن جعثم القرشي، قال: ثني زيد بن أبي أنيسة، عن عبد الحميد بن عبد الرحمن، عن مسلم بن يسار، عن نعيم بن ربيعة، عن عمر، عن النبيّ ﷺ، بنحوه.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عنبسة، عن عمارة، عن أبي محمد رجل من المدينة، قال: سألت عمر بن الخطاب عن قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ قال: سألت النبيّ ﷺ عنه كما سألتني، فقال: «خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ، ثُمَّ أجْلَسَهُ فَمَسَحَ ظَهْرَهُ بِيَدِهِ اليُمْنَى، فَأخْرَجَ ذَرّاً، فقال: ذَرْءٌ ذَرَأْتُهُمْ لِلْجَنَّةِ، ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ بِيَدِهِ الأُخْرَى، وكِلْتا يَدَيْهِ يَمِينٌ، فَقالَ: ذَرْءٌ ذَرَأْتُهُمْ للنَّارِ، يَعْمَلُونَ فِيما شِئْتَ مِنْ عَمَلٍ، ثُمَّ أخْتِمُ لَهُمْ بِأسْوءِ أعْمالِهِمْ فَأُدْخِلُهُمْ النَّارِ».

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ قال: إن الله خلق آدم، ثم أخرج ذرّيته من صلبه مثل الذرّ، فقال لهم: من ربكم؟ قالوا: الله ربنا، ثم أعادهم في صلبه، حتى يولد كلّ من أخذ ميثاقه لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم إلى أن تقوم الساعة.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ...﴾ إلى قوله: ﴿قالُوا

بَلى شَهِدْنا﴾ قال ابن عباس: إن الله لـمَّا خلق آدم مسح ظهره، وأخرج ذرّيته كلهم كهيئة الذرّ، فأنطقهم فتكلموا، وأشهدهم على أنفسهم، وجعل مع بعضهم النور، وإنه قال لآدم: هؤلاء ذرّيتك آخذ عليهم الميثاق، أنا ربهم، لئلا يشركوا بي شيئاً، وعليّ رزقهم. قال آدم: فمن هذا الذي معه النور؟ قال: هو داود. قال: يا ربّ كم كتبت له من الأجل؟ قال: ستين سنة. قال: كم كتبت لي؟ قال: ألف سنة، وقد كتبت لكلّ إنسان منهم كم يعمَّر وكم يلبث. قال: يا ربّ زده قال: هذا الكتاب موضوع فأعطه إن شئت من عمرك. قال: نعم. وقد جفّ القلم عن أجل سائر بني آدم، فكتب له من أجَل آدم أربعين سنة، فصار أجله مائة سنة. فلما عمر تسعمائة سنة وستين سنة جاءه ملك الموت فلما رآه آدم، قال: ما لك؟ قال له: قد استوفيت أجلك. قال له آدم: إنما عمرت تسعمائة وستين سنة، وبقي أربعون سنة. قال: فلما قال ذلك للمَلك، قال الملك: قد أخبرني بها ربي. قال: فارجع إلى ربك فاسأله فرجع الملك إلى ربه، فقال: ما لك؟ قال: يا ربّ رجعت إليك لما كنت أعلم من تكرمتك إياه. قال الله: ارجع فأخبره أنه قد أعطى ابنه داود أربعين سنة.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن الزبير بن موسى، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: إن الله تبارك وتعالى ضرب منكبه الأيمن، فخرجت كلّ نفس مخلوقة للجنة بيضاء نقية، فقال: هؤلاء أهل الجنة. ثم ضرب منكبه الأيسر، فخرجت كلّ نفس مخلوقة للنار سوداء، فقال: هؤلاء أهل النار. ثم أخذ عهودهم على الإيمان والمعرفة له ولأمره، والتصديق به وبأمره بني آدم كلهم، فأشهدهم على أنفسهم، فآمنوا وصدّقوا وعرفوا وأقرّوا. وبلغني أنه أخرجهم على كفه أمثال الخردل. قال ابن جريج عن مجاهد، قال: إن الله لما أخرجهم قال: يا عباد الله أجيبوا الله والإجابة: الطاعة فقالوا: أطعنا، اللهمّ أطعنا، اللهمّ أطعنا، اللهمّ لبيك قال: فأعطاها إبراهيم عليه السلام في المناسك: لبيك اللهمّ لبيك. قال: ضرب متن آدم حين خلقه. قال: وقال ابن عباس: خلق آدم، ثم أخرج ذرّيته من ظهره مثل الذرّ، فكلمهم، ثم أعادهم في صلبه، فليس أحد إلا وقد تكلم فقال: ربي الله. فقال: وكلّ خلق خلق فهو كائن إلى يوم القيامة وهي الفطرة التي فطر الناس عليها. قال ابن جريج، قال سعيد بن جبير: أخذ الميثاق عليهم بنَعْمان ونَعمان من وراء عرفة أن يقولوا يوم القيامة **﴿إنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غافِلِينَ﴾** عن الميثاق الذي أخذ عليهم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن أبي جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية، عن أبيّ بن كعب، قال: جمعهم يومئذ جميعاً ما هو كائن إلى يوم القيامة، ثم استنطقهم، وأخذ عليهم الميثاق **﴿وأشْهَدَهُمْ على أنْفُسِهِمْ ألَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلى شَهِدْنا أنْ تَقُولُوا**

يَوْمَ الْقِيامَةِ إنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غافِلِينَ أوْ تَقُولُوا إنَّمَا أشْرَكَ آباؤُنا مِنْ قَبْلُ وكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أفَتُهْلِكُنا بِمَا فَعَلَ المُبْطِلُونَ﴾؟ قال: فإني أشهد عليكم السموات السبع والأرضين السبع، وأشهد عليكم أباكم آدم أن تقولوا يوم القيامة لم نعلم بهذا، اعلموا أنه لا إله غيري، ولا ربّ غيري، ولا تشركوا بي شيئاً، وسأرسل إليكم رسلاً يذكرونكم عهدي وميثاقي، وسأنزل عليكم كتبي قالوا: شهدنا أنك ربنا وإلهنا، لا ربّ لنا غيرك، ولا إله لنا غيرك. فأقرّوا له يومئذ بالطاعة، ورفع عليهم أباهم آدم، فنظر إليهم، فرأى منهم الغنيّ والفقير، وحسن الصورة، ودون ذلك، فقال: ربّ لولا ساويت بينهم قال: فإني أحبّ أن أشكر. قال: وفيهم الأنبياء عليهم السلام يومئذ مثل السرج. وخصّ الأنبياء بميثاق آخر، قال الله: **﴿وَإذْ أخَذْنا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وأخَذْنا مِنْهُمْ مِيثاقاً غَلِيظاً﴾** وهو الذي يقول تعالى ذكره: **﴿فأقِمْ وَجْهَكَ للدِّينِ حَنِيفاً فطْرَةَ اللَّهِ التي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾** وفي ذلك قال: **﴿هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الأولَى﴾** يقول: أخذنا ميثاقه مع النذر الأولى، ومن ذلك قوله: **﴿وَما وَجَدْنا لأكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإنْ وَجَدْنا أكْثَرَهُمْ لَفاسِقِينَ﴾**. **﴿ثُمَّ بَعَثْنا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلاً إلى قَوْمِهِمْ فَجاءُوهُمْ بالبَيِّناتِ فَما كانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ﴾** قال: كان في علمه يوم أقرّوا به من يصدّق ومن يكذّب.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير في هذه الآية: **﴿وَإذْ أخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ وأشْهَدَهُمْ على أنْفُسِهِمْ ألَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾** قال: أخرجهم من ظهر آدم، وجعل لآدم عمرَ ألف سنة، قال: فعُرِضوا على آدم، فرأى رجلاً من ذرّيته له نور فأعجبه، فسأل عنه، فقال: هو داود، قد جعل عمره ستين سنة، فجعل له من عمره أربعين سنة فلما احتضر آدم، جعل يخاصمهم في الأربعين سنة، فقيل له: إنك أعطيتها داود، قال: فجعل يخاصمهم.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب، عن جعفر، عن سعيد، في قوله: **﴿وَإذْ أخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ﴾** قال: أخرج ذرّيته من ظهره كهيئة الذرّ، فعرضهم على آدم بأسمائهم وأسماء آبائهم وآجالهم، قال: فعرض عليه روح داود في نور ساطع، فقال: من هذا؟ قال: هذا من ذرّيتك نبيّ خليفة، قال: كم عمره؟ قال: ستون سنة، قال: زيدوه من عمري أربعين سنة قال: والأقلام رطبة تجري. فأثبت لداود الأربعون، وكان عمر آدم عليه السلام ألف سنة فلما استكملها إلا الأربعين سنة، بعث إليه ملك الموت، فقال: يا آدم أمرت أن أقبضك، قال: ألم يبق من عمري أربعون سنة؟ قال: فرجع ملك الموت إلى ربه، فقال: إن آدم يدّعي من عمره أربعين سنة، قال: أخبر آدم أنه جعلها لابنه داود والأقلام رطبة فأثبتت لداود.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبو داود، عن يعقوب، عن جعفر، عن سعيد بنحوه.

قال: ثنا ابن فضيل وابن نمير، عن عبد الملك، عن عطاء: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ**﴾ قال: أخرجهم من ظهر آدم حتى أخذ عليهم الميثاق، ثم ردّهم في صلبه.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن نمير، عن نضر بن عربي: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ**﴾ قال: أخرجهم من ظهر آدم حتى أخذ عليهم الميثاق، ثم ردّهم في صلبه.

قال: ثنا محمد بن عبيد، عن أبي بسطام، عن الضحاك، قال: حيث ذرأ الله خلقه لآدم، قال: خلقهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم؟ قالوا: بلى.

حُدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ، قال: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ**﴾ قال: قال ابن عباس: خلق الله آدم، ثم أخرج ذرّيته من ظهره، فكلمهم الله وأنطقهم، فقال: ألست بربكم؟ قالوا: بلى، ثم أعادهم في صلبه، فليس أحد من الخلق إلا قد تكلم فقال ربي الله، وإن القيامة لن تقوم حتى يولد من كان يومئذ أشهد على نفسه.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عمر بن طلحة، عن أسباط، عن السديّ: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ وأشْهَدَهُمْ على أنْفُسِهِمْ ألَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلى**﴾ وذلك حين يقول تعالى ذكره: ﴿**وَلَهُ أسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَات والأرْض طَوْعاً وَكَرْهاً**﴾ وذلك حين يقول: ﴿**فللَّهِ الحُجَّةُ البالِغَةُ فَلَوْ شاءَ لَهَدَاكُمْ أجمَعِينَ**﴾ يعني: يوم أخذ منهم الميثاق، ثم عرضهم على آدم عليه السلام.

قال: ثنا عمر، عن أسباط، عن السديّ، قال: أخرج الله آدم من الجنة، ولم يهبط من السماء، ثم مسح صفحة ظهره اليمنى، فأخرج منه ذرّية بيضاء مثل اللؤلؤ كهيئة الذرّ، فقال لهم: ادخلوا الجنة برحمتي ومسح صفحة ظهره اليسرى، فأخرج منه ذرّية سوداء كهيئة الذرّ، فقال: ادخلوا النار ولا أبالي، فذلك حين يقول: «وأصْحابُ اليَمِين وأصْحابُ الشِّمال» ثم أخذ منهم الميثاق، فقال: ﴿**ألَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلى**﴾، فأطاعه طائفة طائعين، وطائفة كارهين على وجه التقيّة.

حدثني موسى بن هارون، قال: ثنا احتمالاً: عمرُ، قال: ثنا أسباط، عن السديّ بنحوه، وزاد فيه بعد قوله: وطائفة على وجه التقية، فقال هو والملائكة: شهدْنَا أن يقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أو يقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرّية من بعدهم. فلذلك ليس في الأرض أحد من ولد آدم إلا وهو يعرف أن ربه الله، ولا مشرك إلا وهو يقول لابنه: ﴿**إنَّا وَجَدْنا**

آباءَنا على أُمَّةٍ﴾ والأمّة: الدين **﴿وإنَّا على آثارهِمْ مُقْتَدُونَ﴾**، وذلك حين يقول الله: **﴿وَإذْ أخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ وأشْهَدَهُمْ على أنْفُسِهِمْ ألَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلى﴾** وذلك حين يقول: **﴿وَلَهُ أسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ والأرْض طَوْعاً وكَرْهاً﴾** وذلك حين يقول: **﴿فللَّه الحُجَّةُ البالِغَةُ فَلَوْ شاءَ لَهَدَاكُمْ أجمَعِينَ﴾** يعني يوم أخذ منهم الميثاق.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن الكلبي: **﴿مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ﴾** قال: مسح الله على صلب آدم، فأخرج من صلبه من ذرّيته ما يكون إلى يوم القيامة، وأخذ ميثاقهم أنه ربهم، فأعطوه ذلك، ولا يُسأل أحد كافر ولا غيره: من ربك؟ إلا قال: الله. وقال الحسن مثل ذلك أيضاً.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا حفص بن غياث، عن جعفر، عن أبيه، عن عليّ بن حسين أنه كان يعزل، ويتأوّل هذه الآية: **﴿وَإذْ أخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ﴾**.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا موسى بن عبيدة، عن محمد بن كعب القرظي في قوله: **﴿وَإذْ أخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ﴾** قال: أقرّت الأرواح قبل أن تخلق أجسادها.

حدثنا أحمد بن الفرج الحمصي، قال: ثنا بقية بن الوليد، قال: ثني الزبيدي، عن راشد بن سعد، عن عبد الرحمن بن قتادة النضري، عن أبيه، عن هشام بن حكيم: «أن رجلاً أتى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، أتُبدأ الأعمال أم قد قضي القضاء؟ فقال رسول الله ﷺ: «**إنَّ اللَّهَ أخَذَ ذُرِّيَّةَ آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ، ثُمَّ أشْهَدَهُمْ على أنْفُسِهِمْ، ثُمَّ أفاضَ بِهِمْ فِي كَفَّيْهِ ثُمَّ قالَ: هَؤُلاء فِي الجَنَّة وَهَؤُلاء فِي النَّار، فأهْلُ الجَنَّةِ مُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أهْلِ الجنَّةِ، وأهْلُ النَّارِ مُيَسَّرُونَ لعَمَلِ أهْلِ النَّارِ**».

حدثني محمد بن عوف الطائي، قال: ثنا حيوة ويزيد، قالا: ثنا بقية، عن الزبيديّ، عن راشد بن سعد، عن عبد الرحمن بن قتادة النضري، عن أبيه، عن هشام بن حكيم، عن النبيّ ﷺ مثله.

حدثني أحمد بن شبويه، قال: ثنا إسحاق بن إبراهيم، قال: ثنا عمرو بن الحرث، قال: ثنا عبد الله بن مسلم، عن الزبيدي، قال: ثنا راشد بن سعد أن عبد الرحمن بن قتادة، حدثه أن أباه حدثه أن هشام بن حكيم حدثه أنه قال: أتى رسول الله ﷺ رجل... فذكر مثله.

حدثنا محمد بن عوف، قال: ثني أبو صالح، قال: ثنا معاوية، عن راشد بن سعد، عن

عبد الرحمن بن قتادة، عن هشام بن حكيم، عن النبيّ ﷺ، بنحوه.

واختلف في قوله: ﴿**شَهِدْنا أنْ تَقُولُوا يَوْمَ القِيامَةِ إنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غافِلِينَ**﴾ فقال السديّ: هو خبر من الله عن نفسه وملائكته أنه جلّ ثناؤه قال هو وملائكته إذ أقرّ بنو آدم بربوبيته حين قال لهم: ألست بربكم؟ قالوا: بلى.

فتأويل الكلام على هذا التأويل: وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرّياتهم، وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم؟ قالوا: بلى. فقال الله وملائكته: شهدنا عليكم باقراركم بأن الله ربكم كيلا تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين. وقد ذكرت الرواية عنه بذلك فيما مضى والخبر الآخر الذي رُوي عن عبد الله بن عمرو عن النبيّ ﷺ بمثل ذلك.

وقال آخرون: ذلك خبر من الله عن قيل بعض بني آدم لبعض، حين أشهد الله بعضهم على بعض. وقالوا: معنى قوله: ﴿**وأشْهَدَهُمْ على أنْفُسِهِمْ**﴾ وأشهد بعضهم على بعض بإقرارهم بذلك، وقد ذكرت الرواية بذلك أيضاً عمن قاله قبل.

قال أبو جعفر: وأولى القولين في ذلك بالصواب، ما رُوي عن رسول الله ﷺ إن كان صحيحاً، ولا أعلمه صحيحاً لأن الثقات الذين يعتمد على حفظهم وإتقانهم حدّثوا بهذا الحديث عن الثوري، فوقفوه على عبد الله بن عمرو ولم يرفعوه، ولم يذكروا في الحديث هذا الحرف الذي ذكره أحمد بن أبي طيبة عنه. وإن لم يكن ذلك عنه صحيحاً، فالظاهر يدلّ على أنه خبر من الله عن قيل بني آدم بعضهم لبعض، لأنه جلّ ثناؤه قال: ﴿**وأشْهَدَهُمْ على أنْفُسِهِمْ ألَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلى شَهِدْنا**﴾ فكأنه قيل: فقال الذين شهدوا على المقرّين حين أقرّوا، فقالوا: بلى شهدنا عليكم بما أقررتم به على أنفسكم كيلا تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿أَوۡ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشۡرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةٗ مِّنۢ بَعۡدِهِمۡۖ أَفَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ١٧٣﴾.

يقول تعالى ذكره: شهدنا عليكم أيها المقرّون بأن الله ربكم، كيلا تقولوا يوم القيامة: إنا كنا عن هذا غافلين، إنا كنا لا نعلم ذلك وكنا في غفلة منه؛ أو تقولوا: ﴿**إنَّمَا أشْرَكَ آباؤُنا مِنْ قَبْلُ وكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ**﴾ اتبعنا منهاجهم ﴿**أفَتُهْلِكُنا**﴾ بإشراك من أشرك من آبائنا، واتباعنا منهاجهم على جهل منا بالحقّ؟

ويعني بقوله ﴿**بِمَا فَعَلَ المُبْطِلُونَ**﴾: بما فعل الذين أبطلوا في دعواهم إلهاً غير الله.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأه بعض المكيين والبصريين: «أن يقولوا» بالياء،

بمعنى: شهدنا لئلا يقولوا على وجه الخبر عن الغيب. وقرأ ذلك عامَّة قرّاء أهل المدينة والكوفة: ﴿أن تَقُولوا﴾ بالتاء على وجه الخطاب من الشهود للمشهود عليهم.

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان صحيحتا المعنى متفقتا التأويل وإن اختلفت ألفاظهما، لأن العرب تفعل ذلك في الحكاية، كما قال الله: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ للنَّاس﴾ و«ليبيننه»، وقد بينا نظائر ذلك فيما مضى بما أغنى عن إعادته.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وكما فصلنا يا محمد لقومك آيات هذه السورة، وبيَّنا فيها ما فعلنا بالأمم السالفة قبل قومك، وأحللنا بهم من المثلات بكفرهم وإشراكهم في عبادتي غيري، كذلك نفصل الآيات غيرها ونبينها لقومك، لينزجروا ويرتدعوا، فينيبوا إلى طاعتي ويتوبوا من شركهم وكفرهم، فيرجعوا إلى الإيمان والإقرار بتوحيدي وإفراد الطاعة لي وترك عبادة ما سواي.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: واتل يا محمد على قومك نبأ الذي آتيناه آياتنا، يعني خبره وقصته. وكانت آيات الله للذي آتاه الله إياها فيما يقال: اسم الله الأعظم، وقيل: النبوّة.

واختلف أهل التأويل فيه، فقال بعضهم: هو رجل من بني إسرائيل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا حميد بن مسعدة، قال: ثنا بشر بن المفضل، قال: ثنا شعبة، عن منصور، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عبد الله في هذه الآية: ﴿وَاتْلُ عَلَيهِمْ نَبأَ الَّذِي آتَيناهُ آياتِنا فانسَلَخَ مِنها﴾ قال: هو بلعم.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عبد الله، مثله.

قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن منصور، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عبد الله،

قال: هو بلعم بن أَبر.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن ابن مسعود، في قوله: ﴿وَاتْلُ عَلَيهِمْ نَبأَ الَّذِي آتيناهُ آياتِنا﴾ قال: رجل من بني إسرائيل يقال له: بلعم بن أبر.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر وابن مهدي وابن أبي عديّ، قالوا: ثنا شعبة، عن منصور، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عبد الله، أنه قال في هذه الآية، فذكر مثله، ولم يقل ابن أبر.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عمرو، عن منصور، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن ابن مسعود: ﴿وَاتْلُ عَلَيهِمْ نَبأَ الَّذِي آتيناهُ آياتِنا فانْسَلَخَ مِنها﴾ قال: رجل من بني إسرائيل يقال له: بلعم بن أبر.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عمران بن عيينة، عن حصين، عن عمران بن الحرث، عن ابن عباس، قال: هو بلعم بن باعرا.

حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا سفيان، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن ابن مسعود، في قوله: ﴿وَاتْلُ عَلَيهِمْ نَبأَ الَّذِي آتيناهُ آياتِنا...﴾ إلى: ﴿فَكانَ مِنَ الغاوِينَ﴾ هو بلعم بن أبر.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوريّ، عن الأعمش، عن منصور عن أبي الضحى، عن مسروق، عن ابن مسعود، مثله، إلاَّ أنه قال ابن أُبر، بضم الباء.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَاتْلُ عَلَيهِمْ نَبأَ الَّذي آتيناهُ آياتِنا فانْسَلَخَ مِنها﴾ قال: هو رجل من مدينة الجبارين يقال له بلعم.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿فانْسَلَخَ مِنها﴾ قال: بَلعام بن باعرا، من بني إسرائيل.

حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا أبو سعد، قال: سمعت مجاهداً يقول، فذكر مثله.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: أخبرني عبد الله بن كثير، أنه سمع مجاهداً يقول، فذكر مثله.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا عبد الرحمن وابن أبي عديّ، عن شعبة، عن حصين، عن عكرمة، قال في الذي ﴿آتَيناهُ آياتِنا فانسَلَخَ مِنها﴾ قال: هو بلعام.

وحدثنا ابن وكيع، قال: ثنا غندر، عن شعبة، عن حصين، عن عكرمة، قال: هو بلعم.

قال: ثنا عمران بن عيينة، عن حصين، عن عكرمة، قال: هو بلعم.

حدثنا حميد بن مسعدة، قال: ثنا بشر، قال: ثنا شعبة، عن حصين، قال: سمعت عكرمة يقول: هو بَلعام.

حدثنا قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا إسرائيل، عن حصين، عن مجاهد، قال: هو بلعم.

حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا إسرائيل، عن مغيرة، عن مجاهد، عن ابن عباس قال: هو بلعم.

وقال آخرون: كان بلعم هذا من أهل اليمن.

ذكر من قال ذلك.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَاتْلُ عَلَيهِمْ نَبأَ الَّذِي آتَيناهُ آياتِنا فانسَلَخَ مِنها﴾ قال: هو رجل يدعى بلعم من أهل اليمن.

وقال آخرون: كان من الكنعانيين.

ذكر من قال ذلك.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَاتْلُ عَلَيهِمْ نَبأَ الَّذِي آتَيناهُ آياتِنا فانسَلَخَ مِنها﴾ قال: هو رجل من مدينة الجبارين يقال له بلعم.

وقال آخرون: هو أمية بن أبي الصلت.

ذكر من قال ذلك.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا عبد الرحمن بن مهدي، قال: ثنا سعيد بن السائب، عن

غضيف بن أبي سفيان، عن يعقوب ونافع بن عاصم، عن عبد الله بن عمرو، قال في هذه الآية: ﴿الَّذي آتيناهُ آياتِنا فانْسَلَخَ مِنها﴾ قال: هو أمية بن أبي الصلت.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا ابن أبي عديّ، قال: أنبأنا شعبة، عن يعلى بن عطاء، عن نافع بن عاصم، قال: قال عبد الله بن عمرو: هو صاحبكم أمية بن أبي الصلت.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا عبد الرحمن ووهب بن جرير، قالا: ثنا شعبة، عن يعلى بن عطاء، عن نافع بن عاصم، عن عبد الله بن عمرو بمثله.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا يحيى بن سعيد، قال: ثنا سفيان، عن حبيب بن أبي ثابت، عن رجل، عن عبد الله بن عمرو: ﴿ولَكِنَّهُ أخْلَدَ إلى الأرْض وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ قال: هو أمية بن أبي الصلت.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا غندر، عن شعبة، عن يعلى بن عطاء، قال: سمعت نافع بن عاصم بن عروة بن مسعود، قال: سمعت عبد الله بن عمرو، قال في هذه الآية: ﴿الَّذِي آتَيْناهُ آياتِنا فانْسَلَخَ مِنها﴾ قال: هو صاحبكم، يعني أمية بن أبي الصلت.

قال: ثنا أبي، عن سفيان عن حبيب، عن رجل عن عبد الله بن عمرو، قال: هو أمية بن أبي الصلت.

قال: ثنا يزيد، عن شريك، عن عبد الملك، عن فضالة، أو ابن فضالة، عن عبد الله بن عمرو، قال: هو أمية.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عنبسة، عن عبد الملك بن عمير، قال: تذاكروا في جامع دمشق هذه الآية: ﴿فانْسَلَخَ مِنها﴾ فقال بعضهم: نزلت في بلعم بن باعوراء، وقال بعضهم: نزلت في الراهب. فخرج عليهم عبد الله بن عمرو بن العاص، فقالوا: فيمن نزلت هذه؟ قال: نزلت في أمية بن أبي الصلت الثقفي.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن الكلبي: ﴿الَّذِي آتَيْناهُ آياتِنا فانْسَلَخَ مِنها﴾ قال: هو أمية بن أبي الصلت، وقال قتادة: يشكّ فيه، يقول بعضهم: بلعم، ويقول بعضهم: أمية بن أبي الصلت.

واختلف أهل التأويل في الآيات التي كان أوتيها التي قال جلّ ثناؤه: ﴿آتَيْناهُ آياتِنا﴾ فقال بعضهم: كانت اسم الله الأعظم.

ذكر من قال ذلك.

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قال: إن الله لما انقضت الأربعون سنة، يعني التي قال الله فيها: ﴿إنَّها مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أرْبَعِينَ سَنَةً﴾ بعث يُوشَعَ بن نون نبياً، فدعا بني إسرائيل فأخبرهم أنه نبيّ وأن الله قد أمره أن يقاتل الجبارين، فبايعوه وصدّقوه. وانطلق رجل من بني إسرائيل يقال له بلعم، وكان عالماً يعلم الاسم الأعظم المكتوم، فكفر وأتى الجبارين، فقال: لا ترهبوا بني إسرائيل، فاني إذا خرجتم تقاتلونهم أدعو عليهم دعوة فيهلكون وكان عندهم فيما شاء من الدنيا، غير أنه كان لا يستطيع أن يأتي النساء يعظمهن، فكان ينكح أتاناً له، وهو الذي يقول الله: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبأَ الَّذي آتَيْناهُ آياتِنا فانْسَلَخَ مِنْها﴾: أي تنصل فانسلخ منها، إلى قوله: ﴿وَلَكِنَّهُ أخْلَدَ إلى الأرْضِ﴾.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبأَ الَّذِي آتَيْناهُ آياتِنا﴾ قال: هو رجل يقال له: بلعم، وكان يعلم اسم الله الأعظم.

حدثني يونس قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبأَ الَّذي آتَيْناهُ آياتِنا فانْسَلَخَ مِنْها﴾ قال: كان لا يسأل الله شيئاً إلاَّ أعطاه.

وقال آخرون: بل الآيات التي كان أوتيها كتاب من كتب الله.

ذكر من قال ذلك.

حدثنا القاسم قال: ثنا الحسين قال: ثنا أبو تُمَيلة، عن أبي حمزة، عن جابر، عن مجاهد وعكرمة، عن ابن عباس، قال: كان في بني إسرائيل بَلعام بن باعر أوتي كتاباً.

وقال آخرون: بل كان أوتي النبوّة.

ذكر من قال ذلك.

حدثني الحارث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا أبو سعد، عن غيره، قال: الحارث قال: عبد العزيز يعني عن غير نفسه عن مجاهد، قال: هو نبيّ في بني إسرائيل، يعني بَلعم، أوتي النبوّة، فرشاه قومه على أن يسكت، ففعل وتركهم على ما هم عليه.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا المعتمر بن سليمان، عن أبيه، أنه سئل عن الآية: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبأَ الَّذي آتَيْناهُ آياتنا فانْسَلَخَ مِنْها﴾ فحدّث عن سيَّار أنه كان رجلاً يقال له بَلْعَام، وكان قد أوتي النبوّة، وكان مجاب الدعوة.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره أمر نبيه ﷺ أن يتلو على قومه خبر رجل كان الله آتاه حججه وأدلته، وهي الآيات.

وقد دللنا على أن معنى الآيات الأدلة والأعلام فيما مضى بما أغنى عن إعادته، وجائز أن يكون الذي كان الله آتاه ذلك بلعم، وجائز أن يكون أمية، وكذلك الآيات إن كانت بمعنى الحجة التي هي بعض كتب الله التي أنزلها على بعض أنبيائه، فتعلمها الذي ذكره الله في هذه الآية، وعناه بها فجائز أن يكون الذي كان أوتيها بلعم، وجائز أن يكون أمية، لأن أمية كان فيما يقال قد قرأ من كتب أهل الكتاب، وإن كانت بمعنى كتاب أنزله الله على من أمر نبيّ الله عليه الصلاة والسلام أن يتلو على قومه نبأه أو بمعنى اسم الله الأعظم أو بمعنى النبوّة، فغير جائز أن يكون معنياً به أمية لأن أمية لا تختلف الأمة في أنه لم يكن أوتي شيئاً من ذلك. ولا خبر بأيّ ذلك المراد وأيّ الرجلين المعنيّ يوجب الحجة ولا في العقل دلالة على أن ذلك المعنيّ به من أيّ. فالصواب أن يقال فيه ما قال الله، ويقرّ بظاهر التنزيل على ما جاء به الوحي من الله.

وأما قوله: ﴿**فانسَلَخَ مِنها**﴾ فإنه يعني: خرج من الآيات التي كان الله آتاها إياه، فتبرأ منها.

وبنحو ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قال: لما نزل موسى عليه السلام يعني بالجبارين ومن معه آتاه يعني بلعم بنو عمه وقومه فقالوا: إن موسى رجل حديد، ومعه جنود كثيرة، وإنه إن يظهر علينا يهلكنا. فادع الله أن يردّ عنا موسى ومن معه قال: إني إن دعوت الله أن يردّ موسى ومن معه ذهبت دنياي وآخرتي. فلم يزالوا به حتى دعا عليهم، فسلخه الله مما كان عليه، فذلك قوله: ﴿**فانسَلَخَ مِنها فَأَتْبَعَهُ الشَّيطانُ فَكانَ مِنَ الغاوِينَ**﴾.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: كان الله آتاه آياته فتركها.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جريج: قال ابن عباس: ﴿**فانسَلَخَ مِنها**﴾ قال: نزع منه العلم.

وقوله: ﴿**فَأَتْبَعَهُ الشَّيطانُ**﴾ يقول: فصيره لنفسه تابعاً ينتهي إلى أمره في معصية الله، ويخالف أمر ربه في معصية الشيطان وطاعة الرحمن. وقوله: ﴿**فَكانَ مِنَ الغاوِينَ**﴾ يقول: فكان من الهالكين لضلاله وخلافه أمرَ ربه وطاعة الشيطان.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (١٧٦)﴾.

يقول تعالى ذكره: ولو شئنا لرفعنا هذا الذي آتيناه آياتنا بآياتنا التي آتيناه، **﴿ولَكِنَّهُ أخْلَدَ إلى الأرْضِ﴾** يقول: سكن إلى الحياة الدنيا في الأرض ومال إليها، وآثر لذتها وشهواتها على الآخرة، واتبع هواه، ورفض طاعة الله وخالف أمره.

وكانت قصة هذا الذي وصف الله خبره في هذه الآية، على اختلاف من أهل العلم في خبره وأمره، ما:

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا المعتمر، عن أبيه، أنه سئل عن الآية: **﴿واتْلُ عَلَيهِمْ نَبأَ الَّذِي آتَيناهُ آياتِنا فانسَلَخَ مِنها﴾** فحدّث عن سيار أنه كان رجلاً يقال له بَلْعام، وكان قد أوتي النبوّة، وكان مجاب الدعوة. قال: وإن موسى أقبل في بني إسرائيل يريد الأرض التي فيها بلعام أو قال الشام قال: فرعب الناس منه رعباً شديداً، قال: فأتوا بَلْعاماً، فقالوا ادع الله على هذا الرجل وجيشه قال: حتى أؤامر ربي أو حتى أؤامر قال: فآمر في الدعاء عليهم، فقيل له: لا تدع عليهم فإنهم عبادي وفيهم نبيهم قال: فقال لقومه: إني آمرت ربي في الدعاء عليهم، وإني قد نُهيت. قال: فأهدوا إليه هدية فَقِبلها. ثم راجعوه فقالوا: ادع عليهم فقال: حتى أؤامر ربي. فآمر فلم يأمره بشيء. قال: فقال: قد وامِرت فلم يأمرني بشيء، فقالوا: لو كره ربك أن تدعو عليهم لنهاك كما نهاك في المرّة الأولى. قال: فأخذ يدعو عليهم، فإذا دعا عليهم جرى على لسانه الدعاء على قومه وإذا أراد أن يدعو أن يُفتَح لقومه، دعا أن يُفْتَح لموسى عليه السلام وجيشه أو نحواً من ذلك إن شاء الله. قال: فقالوا ما نراك تدعو إلاّ علينا. قال: ما يجري على لساني إلاّ هكذا، ولو دعوتُ عليه ما استجيب لي، ولكن سأدلكم على أمر عسى أن يكون فيه هلاكهم إن الله يبغض الزنا، وإنهم إن وقعوا بالزنا هلكوا، ورجوت أن يهلكهم الله، فأخرِجوا النساء لتستقبلهم وإنهم قوم مسافرون، فعسى أن يزنوا فيهلكوا. قال: ففعلوا وأخرجوا النساء تستقبلهم. قال: وكان للملك ابنة، فذكر من عظمها ما الله أعلم به، قال: فقال أبوها أو بَلْعام: لا تمكني نفسك إلاّ من موسى قال: ووقعوا في الزنا. قال: وأتاها رأس سبط من أسباط بني إسرائيل، فأرادها على نفسه، قال: فقالت: ما أنا بممكنة نفسي إلاّ من موسى، قال: فقال: إن من منزلتي كذا وكذا، وإن من حالي كذا وكذا. قال: فأرسلت إلى أبيها تستأمره، قال: فقال لها: مَكّنِيهِ قال: ويأتيهما

رجل من بني هارون ومعه الرمح فيطعنهما، قال: وأيّده الله بقوّة فانتظمهما جميعاً، ورفعهما على رمحه. قال: فرآهما الناس، أو كما حدّث. قال: وسلط الله عليهم الطاعون، قال: فمات منهم سبعون ألفاً. قال: فقال أبو المعتمر: فحدثني سيار أن بلعاماً ركب حمارة له، حتى إذا أتى المُعْلَوْلي أو قال: طريقاً من المعلولي جعل يضربها ولا تتقدّم. قال: وقامت عليه، فقالت: علام تضربني؟ أما ترى هذا الذي بين يديك؟ قال: فإذا الشيطان بين يديه، قال: فنزل فسجد له. قال الله: ﴿وَاتْلُ عَلَيهِمْ نَبأَ الَّذي آتَيْناهُ آياتِنا فانْسَلَخَ مِنها فَأَتْبَعَهُ الشَّيطانُ فَكانَ مِنَ الغاوِينَ...﴾ إلى قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾. قال: فحدثني بهذا سيَّار، ولا أدري لعله قد دخل فيه شيء من حديث غيره.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا المعتمر، عن أبيه، قال: فبلغني حديث رجل من أهل الكتاب يحدّث أن موسى سأل الله أن يطبعه وأن يجعله من أهل النار. قال: ففعل الله. قال: أنبئت أن موسى قتله بعد.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن سالم أبي النضر، أنه حدث: أن موسى لما نزل في أرض بني كنعان من أرض الشام أتى قومُ بَلْعم إلى بَلْعم، فقالوا له: يا بلعم إن هذا موسى بن عمران في بني إسرائيل، قد جاء يخرجنا من بلادنا ويقتلنا ويُحِلها بني إسرائيل ويسكنها، وإنا قومك، وليس لنا منزل، وأنت رجل مجاب الدعوة، فاخرج وادع الله عليهم فقال: ويلكم نبيّ الله معه الملائكة والمؤمنون، كيف أذهب أدعو عليهم وأنا أعلم من الله ما أعلم؟ قالوا: ما لنا من منزل. فلم يزالوا به يرفعونه ويتضرّعون إليه حتى فتنوه فافتتن. فركب حمارة له متوجهاً إلى الجبل الذي يطلعه على عسكر بني إسرائيل، وهو جبل حسان فلما سار عليها غير كثير ربضت به، فنزل عنها، فضربها، حتى إذا أذلقها[1] قامت فركبها فلم تَسر به كثيراً حتى ربضت به. ففعل بها مثل ذلك، فقامت فركبها فلم تسر به كثيراً حتى ربضت به. فضربها حتى إذا أذلقها أذن الله لها، فكلمته حجة عليه، فقالت: ويحك يا بلْعم أين تذهب؟ أما ترى الملائكة تردني عن وجهي هذا؟ أتذهب إلى نبيّ الله والمؤمنين تدعو عليهم فلم ينزع عنها فضربها فخلى الله سبيلها حين فعل بها ذلك. قال: فانطلقت به حتى إذا أشرفت على رأس جبل حسان على عسكر موسى وبني إسرائيل جعل يدعو عليهم ولا يدعو عليهم بشرّ إلاَّ صرف به لسانه إلى قومه، ولا يدعو لقومه بخير إلاَّ صرف لسانه إلى بني إسرائيل. قال: فقال له قومه: أتدري يا بلعم ما تصنع؟ إنما تدعو لهم وتدعو علينا قال: فهذا ما لا أملك، هذا شيء قد غلب الله عليه. قال:

(١) أذلقها: أقلقها. «اللسان».

واندلع لسانه فوقع على صدره، فقال لهم: قد ذهبت مني الآن الدنيا والآخرة، فلم يبق إلاَّ المكر والحيلة، فسأمكر لكم وأحتال، حمّلوا النساء وأعطوهنّ السِّلَع، ثم أرسلوهنّ إلى العسكر يبعنها فيه، ومروهنّ فلا تمنع امرأة نفسها من رجل أرادها، فإنهم إن زني منهم واحد كُفيتموهم ففعلوا فلما دخل النساء العسكر مرّت امرأة من الكنعانيين اسمها كستى ابنة صور رأس أمته برجل من عظماء بني إسرائيل، وهو زمري بن شلوم رأس سبط شمعون بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، فقام إليها فأخذ بيدها حين أعجبه جمالها، ثم أقبل بها حتى وقف بها على موسى عليه السلام فقال: إني أظنك ستقول هذه حرام عليك؟ فقال: أجَلْ هي حرام عليك لا تقرَبْها قال: فوالله لا أطيعك في هذا، فدخل بها قبته فوقع عليها. وأرسل الله الطاعون في بني إسرائيل، وكان فنحاص بن العيزار بن هارون صاحب أمر موسى، وكان رجلاً قد أُعْطِي بسطة في الخلق وقوّة في البطش، وكان غائباً حين صنع زمري بن شلوم ما صنع. فجاء والطاعون يجوس في بني إسرائيل، فأخبر الخبر، فأخذ حربته، وكانت من حديد كلها، ثم دخل عليه القبة وهما متضاجعان، فانتظمهما بحربته، ثم خرج بهما رافعهما إلى السماء، والحربة قد أخذها بذراعه، واعتمد بمرفقه على خاصرته، وأسند الحربة إلى لَحييه، وكان بكر العيزار، وجعل يقول: اللهمّ هكذا نفعل بمن يعصيك ورُفع الطاعون، فحُسب من هلك من بني إسرائيل في الطاعون، فيما بين أن أصاب زمري المرأة إلى أن قتله فنحاص، فوُجدوا قد هلك منهم سبعون ألفاً، والمقلل يقول: عشرون ألفاً في ساعة من النهار. فمن هنالك يعطى بنو إسرائيل ولد فنحاص بن العيزار بن هارون من كلّ ذبيحة ذبحوها الفشة والذراع واللَّحْي، لاعتماده بالحربة على خاصرته وأخذه إياها بذراعه وإسناده إياها إلى لحييه، والبكر من كلّ أموالهم وأنفسهم، لأنه كان بكر العيزار. ففي بلعم بن باعورا أنزل الله على محمد ﷺ: ﴿**وَاتْلُ عَلَيهِمْ نَبأَ الَّذِي آتَيناهُ آياتِنا فانْسَلَخَ مِنْها**﴾ يعني بلعم، ﴿**فأتْبَعَهُ الشَّيطانُ فَكانَ مِنَ الغاوِينَ**...﴾ إلى قوله: ﴿**لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾.

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قال: انطلق رجل من بني إسرائيل يقال له بَلْعم، فأتى الجبارين فقال: لا ترهبوا من بني إسرائيل، فإني إذا خرجتم تقاتلونهم أدعو عليهم فخرج يوشع يقاتل الجبارين في الناس. وخرج بلعم مع الجبارين على أتانه وهو يريد أن يلعن بني إسرائيل، فكلما أراد أن يدعو على بني إسرائيل دعا على الجبارين، فقال الجبارون: إنك إنما تدعو علينا فيقول: إنما أردت بني إسرائيل. فلما بلغ باب المدينة أخذ ملك بذنب الأتان، فأمسكها فجعل يحرّكها فلا تتحرّك، فلما أكثر ضربها تكلمت فقالت: أنت تنكحني بالليلْ وتركبني بالنهار؟ ويلي منك ولو أني أطقت الخروج لخرجت، ولكن هذا الملك يحبسني. وفي بَلْعم يقول الله: ﴿**وَاتْلُ عَلَيهِمْ نَبأَ الَّذِي آتَيناهُ آياتِنا**...﴾ الآية.

حدثني الحارث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثني رجل سمع عكرمة، يقول: قالت امرأة منهم: أروني موسى، فأنا أفتنه قال: فتطيبتْ، فمرّت على رجل يشبه موسى، فواقعها، فأتى ابن هارون فأُخبر، فأخذ سيفاً، فطعن به في إحليله حتى أخرجه من قبلها، ثم رفعهما حتى رآهما الناس، فعلم أنه ليس موسى، ففُضِّل آل هارون في القربان على آل موسى بالكَتِف والعَضُد والفخذ، قال: فهو الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها، يعني بلعم.

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿وَلَوْ شِئْنا لَرَفَعْناهُ بها﴾ فقال بعضهم: معناه: لرفعناه بعلمه بها.

ذكر من قال ذلك.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس: ﴿وَلَوْ شِئْنا لَرَفَعْناهُ بها﴾ لرفعه الله تعالى بعلمه.

وقال آخرون: معناه لرفعنا عنه الحال التي صار إليها من الكفر بالله بآياتنا.

ذكر من قال ذلك.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نُجيح، عن مجاهد، في قول الله: ﴿وَلَوْ شِئْنا لَرَفَعْناهُ بها﴾: لرفعنا عنه بها.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد: ﴿وَلَوْ شِئْنا لَرَفَعْناهُ بها﴾: لرفعناه عنه.

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب أن يقال: إن الله عمّ الخبر بقوله: ﴿وَلَوْ شِئْنا لَرَفَعْناهُ بها﴾ أنه لو شاء رفعه بآياته التي آتاه إياها. والرفع يعمّ معاني كثيرة، منها الرفع في المنزلة عنده، ومنها الرفع في شرف الدنيا ومكارمها. ومنها الرفع في الذكر الجميل والثناء الرفيع. وجائز أن يكون الله عنى كلّ ذلك أنه لو شاء لرفعه، فأعطاه كلّ ذلك بتوفيقه للعمل بآياته التي كان آتاها إياه.

وإذ كان ذلك جائزاً، فالصواب من القول فيه أن لا يُخَصّ منه شيء، إذ كان لا دلالة على خصوصه من خبر ولا عقل.

وأما قوله: ﴿بِها﴾ فإن ابن زيد قال في ذلك كالذي قلنا.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَلَوْ شِئْنا لَرَفَعْناهُ بها﴾ بتلك الآيات.

وأما قوله: ﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلى الأَرْضِ﴾ فإن أهل التأويل قالوا فيه نحو قولنا فيه.

ذكر من قال ذلك.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن إسرائيل، عن أبي الهيثم، عن سعيد بن جبير: ﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلى الأَرْضِ﴾ يعني: ركن إلى الأرض.

قال: ثنا يحيى بن آدم، عن شريك، عن سالم، عن سعيد بن جبير: ﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلى الأَرْضِ﴾ قال: نزع إلى الأرض.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: أخلد: سكن.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو تُمَيلة، عن أبي حمزة، عن جابر، عن مجاهد وعكرمة، عن ابن عباس، قال: كان في بني إسرائيل بلعام بن باعر أوتي كتاباً، فأخلد إلى شهوات الأرض ولذتها وأموالها، لم ينتفع بما جاء به الكتاب.

حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ أما أخلد إلى الأرض: فاتبع الدنيا، وركن إليها.

وأصل الإخلاد في كلام العرب: الإبطاء والإقامة، يقال منه: أخلد فلان بالمكان إذا أقام به وأخلد نفسه إلى المكان إذا أتاه من مكان آخر، ومنه قول زهير:

لِمَنِ الدِّيارُ غَشِيتُها بالغَرْقَدِ ... كالوَحْيِ في حَجَرِ المَسِيلِ المُخْلِدِ[1]

يعني المقيم، ومنه قول مالك بن نُوَيْرة:

بأَبْناءِ حَيٍّ مِنْ قَبائِلِ مالِكٍ ... وَعَمْرِو بن يَرْبُوعٍ أقامُوا فأخْلَدُوا[2]

وكان بعض البصريين يقول: معنى قوله: أخلد: لزم وتقاعس وأبطأ، والمخلد أيضاً: هو

---

(١) البيت لزهير أنشده صاحب «**اللسان**» في (خلد). قال: وخلد بالمكان يخلد خلوداً وأخلد: أقام، وهو من ذلك. قال زهير: البيت. والوحي هنا: المكتوب والخط. أراد ما يكتب في الحجارة وينقش عليها «**اللسان**»: وحى.

(٢) البيت لمالك بن نورية من قصيدة عدتها ٣٦ بيتاً الأصمعيات (١/ ٢٥) وقبله في أولها:

إلا أكُنْ لاقَيْتُ يَوْمَ مُخَطَّطٍ ... فَقَدْ خَبَّرَ الرُّكْبانُ ما أتَوَدَّدُ

أتانِي بِنَقْرِ الخُبْرِ ما قَدْ لَقِيتُه ... رَزِينٌ وَرَكْبٌ حَوْلَهُ مُتَصَعِّدُ

يُهِلُّونَ عُمَّاراً إذا ما تَغَوَّرُوا ... وَلاقَوْا قُرَيْشاً خَبَّرُوها فأنْجَدُوا

والشاهد في قوله: «فأخلدوا» أي أقاموا، كالشاهد قبله.

الذي يبطىء شيبه من الرجال، وهو من الدوابّ الذي تبقى ثناياه حتى تخرج رباعيتاه.

وأما قوله ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ فإن ابن زيد قال في تأويله ما:

حدثني به يونس، قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ قال: كان هواه مع القوم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الكَلْبِ إنْ تحمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾.

يقول تعالى ذكره: فمثل هذا الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها، مثل الكلب الذي يلهث، طردته أو تركته.

ثم اختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله جعل الله مثله كمثل الكلب فقال بعضهم: مثَّله به في اللهث لتركه العمل بكتاب الله وآياته التي آتاها إياه وإعراضه عن مواعظ الله التي فيها إعراض من لم يؤته الله شيئاً من ذلك، فقال جلّ ثناؤه فيه: إذا كان سواء أمره وعظ بآيات الله التي آتاها إياه، أو لم يوعظ في أنه لا يتعظ بها، ولا يترك الكفر به، فمثله مثل الكلب الذي سواء أمره في لهثه، طرد أو لم يطرد، إذ كان لا يترك اللهث بحال.

ذكر من قال ذلك.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿كَمَثَلِ الكَلْبِ إنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ﴾ قال: تطرده، هو مثل الذي يقرأ الكتاب ولا يعمل به.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جريج، قال مجاهد: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الكَلْبِ إنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ﴾ قال: تطرده بدابتك ورجلك يلهث، قال: مثل الذي يقرأ الكتاب ولا يعمل بما فيه.

قال ابن جريج: الكلب منقطع الفؤاد، لا فؤاد له، إن حملت عليه يلهث، أو تتركه يلهث. قال: مثل الذي يترك الهدى لا فؤاد له، إنما فؤاده منقطع.

حدثني ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن توبة، عن معمر، عن بعضهم: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الكَلْبِ إنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾ فذلك هو الكافر، هو ضالّ إن وعظته وإن لم تعظه.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الكَلْبِ إنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ﴾ الحكمة لم يحملها، وإن ترك لم يهتد

لخير، كالكلب إن كان رابضاً لهث وإن طُرد لهث.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قال: آتاه الله آياته فتركها، فجعل الله مثله كمثل الكلب، إن تحمل عليه يلهث، أو تتركه يلهث.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قِتادة: **﴿وَاتْلُ عَلَيهِمْ نَبأَ الَّذِي آتَيناهُ آياتِنا فانسَلَخَ مِنها فأتْبَعَهُ الشَّيطانُ...﴾** الآية، هذا مثل ضربه الله لمن عرض عليه الهدى، فأبى أن يقبله وتركه. قال: وكان الحسن يقول: هو المنافق. **﴿وَلَوْ شِئْنا لَرَفَعْناهُ بِها وَلَكِنَّهُ أخْلَدَ إلى الأرْض وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كمَثَل الكَلْب إنْ تَحْمِلْ عَلَيهِ يَلْهَثْ أوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾** قال: هذا مثل الكافر ميت الفؤاد.

وقال آخرون: إنما مثّله جلّ ثناؤه بالكلب لأنه كان يلهث كما يلهث الكلب.

ذكر من قال ذلك.

حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: **﴿فَمَثَلُهُ كمَثَلِ الكَلْبِ إنْ تَحْمِلْ عَلَيهِ يَلْهَثْ أوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾** وكان بلعم يلهث كما يلهث الكلب. وأما تحمل عليه: فتشدّ عليه.

قال: أبو جعفر: وأولى التأويلين في ذلك بالصواب تأويل من قال: إنما هو مثل لتركه العمل بآيات الله التي آتاها إياه، وأن معناه: سواء وعظ أو لم يوعظ في أنه لا يترك ما هو عليه من خلافه أمر ربه، كما سواء حمل على الكلب وطرد أو ترك فلم يطرد في أنه لا يدع اللهث في كلتا حالتيه.

وإنما قلنا ذلك أولى القولين بالصواب لدلالة قوله تعالى ذلك: **﴿مَثَلُ القَوم الَّذِينَ كَذَّبُوا بآياتِنا﴾** فجعل ذلك مثل المكذّبين بآياته. وقد علمنا أن اللهاث ليس في خلقة كلّ مكذّب كتب عليه ترك الإنابة من تكذيب بآيات الله، وأن ذلك إنما هو مثل ضربه الله لهم، فكان معلوماً بذلك أنه للذي وصف الله صفته في هذه الآية، كما هو لسائر المكذّبين بآيات الله مَثَل.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ذلكَ مَثَلُ القَوْم الَّذِينَ كَذَّبُوا بآياتِنا فاقْصُصِ القَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

يقول تعالى ذكره: هذا المثل الذي ضربته لهذا الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها، مثل القوم الذين كذّبوا بحججنا وأعلامنا وأدلتنا، فسلكوا في ذلك سبيل هذا المنسلخ من آياتنا الذي آتيناها إياه في تركه العمل بما آتيناه من ذلك.

وأما قوله: ﴿فاقْصُصِ القَصَصَ﴾ فإنه يقول لنبيه محمد ﷺ: فاقصص يا محمد هذا القصص الذي قصصته عليك من نبإ الذي آتيناه آياتنا، وأخبار الأمم التي أخبرتك أخبارهم في هذه السورة وقصصت عليك نبأهم ونبأ أشباههم، وما حلّ بهم من عقوبتنا ونزل بهم، حين كذّبوا رسلنا من نقمتنا على قومك من قريش ومَنْ قِبَلَك من يهود بني إسرائيل، ليتفكروا في ذلك فيعتبروا وينيبوا إلى طاعتنا، لئلا يحل بهم مثل الذي حلّ بمن قبلهم من النقم والمثلات، ويتدبره اليهود من بني إسرائيل فيعلموا حقيقة أمرك وصحة نبوّتك، إذ كان نبأ الذي آتيناه آياتنا من خفيّ علومهم ومكنون أخبارهم لا يعلمه إلاّ أحبارهم ومن قرأ الكتب ودرسها منهم، وفي علمك بذلك وأنت أمي لا تكتب ولا تقرأ ولا تدرس الكتب ولم تجالس أهل العلم الحجةُ البينة لك عليهم بأنك لله رسول، وأنك لم تعلم ما علمت من ذلك، وحالك الحال التي أنت بها إلاّ بوحي من السماء.

وبنحو ذلك كان أبو النضر يقول.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن محمد، عن سالم أبي النضر: ﴿فاقْصُصِ القَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ يعني: بني إسرائيل، إذ قد جئتهم بخبر ما كان فيهم مما يخفون عليك، لعلهم يتفكرون، فيعرفون أنه لم يأت بهذا الخبر عما مضى فيهم إلاّ نبيّ يأتيه خبر السماء.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ساء مثلاً القوم الذين كذّبوا بحجج الله وأدلته فجحدوها، وأنفسهم كانوا ينقصون حظوظها، ويبخسونها منافعها بتكذيبهم بها لا غيرها. وقيل: ساء مثلاً من الشرّ، بمعنى: بئس مثلاً. وأقيم القوم مقام المثل، وحذف المثل، إذ كان الكلام مفهوماً معناه، كما قال جلّ ثناؤه: ﴿وَلَكِنَّ البِرَّ مَنْ آمَنَ باللهِ﴾ فإن معناه: ولكن البرّ برّ من آمن بالله. وقد بيَّنا نظائر ذلك في مواضع غير هذا بما أغنى عن إعادته.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: الهداية والإضلال بيد الله والمهتدى وهو السالك سبيل الحقّ الراكب

قصد المحجة في دينه من هداه الله لذلك، فوفقه لإصابته. والضالّ من خذله الله فلم يوفقه لطاعته، ومن فعل الله ذلك به فهو الخاسر: يعني الهالك. وقد بيَّنا معنى الخسارة والهداية والضلالة في غير موضع من كتابنا هذا بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ولقد خلقنا لجهنم كثيراً من الجنّ والإنس، يقال منه: ذرأ الله خلقه يذرؤهم ذَرْءاً.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك.

حدثني عليّ بن الحسين الأزديّ، قال: ثنا يحيى بن يمان، عن مبارك بن فضالة، عن الحسن، في قوله: **﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنا لِجَهَنَّم كَثِيراً مِنَ الجِنّ والإنْسِ﴾** قال: مما خلقنا.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن أبي زائدة، عن مبارك، عن الحسن، في قوله: **﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنا لجَهَنَّمَ﴾** قال: خلقنا.

قال: ثنا زكريا، عن عَتَّاب بن بشير، عن عليّ بن بِذَيمة، عن سعيد بن جبير، قال: أولاد الزنا مما ذرأ الله لجهنم.

قال: ثنا زكريا بن عديّ وعثمان الأحول، عن مروان بن معاوية، عن الحسن بن عمرو، عن معاوية ابن إسحاق، عن جليس له بالطائف، عن عبد الله بن عمرو، عن النبيّ ﷺ، قال: «إنَّ اللّهَ لَمَّا ذَرَأَ لجَهَنَّمَ ما ذَرَأَ، كانَ وَلَدُ الزّنا مِمَّنْ ذَرَأَ لجَهَنَّمَ».

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: **﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنا لجَهَنَّمَ﴾** يقول: خلقنا.

حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا أبو سعد، قال: سمعت مجاهداً يقول في قوله: **﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنا لجَهَنَّمَ﴾** قال: لقد خلقنا لجهنم كثيراً من الجنّ والإنس.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس: ﴿**وَلَقَدْ ذَرَأْنا لِجَهَنَّمَ**﴾ خلقنا.

وقال جلّ ثناؤه: ﴿**وَلَقَدْ ذَرَأْنا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الجِنّ والإنْس**﴾ لنفاذ علمه فيهم بأنهم يصيرون إليها بكفرهم بربهم.

وأما قوله: ﴿**لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بها**﴾ فإن معناه: لهؤلاء الذين ذرأهم الله لجهنم من خلقه قلوب لا يتفكرون بها في آيات الله، ولا يتدبرون بها أدلته على وحدانيته، ولا يعتبرون بها حججه لرسله، فيعلموا توحيد ربهم، ويعرفوا حقيقة نبوّة أنبيائهم. فوصفهم ربنا جلّ ثناؤه بأنهم لا يفقهون بها لإعراضهم عن الحقّ وتركهم تدبر صحة الرشد وبطول الكفر. وكذلك قوله: ﴿**ولَهُمْ أعيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بها**﴾ معناه: ولهم أعين لا ينظرون بها إلى آيات الله وأدلته، فيتأملوها ويتفكروا فيها، فيعلموا بها صحة ما تدعوهم إليه رسلهم، وفساد ما هم عليه مقيمون من الشرك بالله وتكذيب رسله فوصفهم الله بتركهم إعمالها في الحق بأنهم لا يبصرون بها. وكذلك قوله: ﴿**ولَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بها**﴾ آيات كتاب الله فيعتبروها ويتفكروا فيها، ولكنهم يعرضون عنها، ويقولون: ﴿**لا تَسْمَعُوا لهذا القُرْآنِ والْغوا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ**﴾. وذلك نظير وصف الله إياهم في موضع آخر بقوله: ﴿**صُمٌ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ**﴾ والعرب تقول ذلك للتارك استعمال بعض جوارحه فيما يصلح له، ومنه قول مسكين الدارمي:

أَعْمَى إذَا ما جارَتي خَرَجَتْ ... حتى يُوَارِيَ جارَتي السِّتْرُ
وأصَمُّ عَمَّا كانَ بَيْنَهُما ... سَمْعي وَما بالسَّمْعِ مِنْ وَقْرِ[(١)]

فوصف نفسه لتركه النظر والاستماع بالعمى والصمم. ومنه قول الآخر:

وَعَوْرَاءِ اللِّئامِ صَمَمْتُ عَنْها ... وإنّي لَوْ أشاءُ بِها سَمِيعُ
وبَادِرَةٍ وَزَعْتُ النَّفْسَ عَنْها ... وَلَوْ بِينَتْ مِنَ العَصَبِ الضُّلوعُ[(٢)]

---

(١) العمى: ذهاب البصر والصمم: ذهاب السمع. ومراد الشاعر هنا: أنه يكف نظره وسمعه عن جاراته فلا ينظر إليهن، ولا يسمع ما يكون بينهن من حديث، كأنه أعمى أصم. هذا على حين أنه ليس به عمى ولا صمم. وإنما هو الأدب ورعاية حرمة الجار.

(٢) في «اللسان» (عور) العوراء: الكلمة القبيحة، أو الفعلة القبيحة، كأنها تعور العين، فيمنعها ذلك من الطموح وحدة النظر، ثم حولوها إلى الكلمة أو الفعلة على المثل، وإنما يريدون في الحقيقة صاحبها. قال ابن عنقاء الفزاري يمدح ابن عمه عميلة، وكان عميلة هذا قد جبره من فقر:

إذَا قِيلَتِ العَوْرَاءُ أغْضَى كَأنَّهُ ... ذَلِيلٌ بِلاَ ذُلٍّ وَلَوْ شاءَ لا نْتَصَرْ

والبادرة: الكلمة العورا، وهي الغضبة السريعة أيضاً، يقال: احذروا بادرته. والوزع: كف النفس. ولم نقف على قائلهما.

وذلك كثير في كلام العرب وأشعارها.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك.

حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا أبو سعد، قال: سمعت مجاهداً يقول في قوله: ﴿**لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِها**﴾ قال: لا يفقهون بها شيئاً من أمر الآخرة. ﴿**ولَهُمْ أعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِها**﴾ الهدى. ﴿**ولَهُمْ آذانٌ لا يَسْمَعُونَ بِها الحَقّ**﴾ ثم جعلهم كالأنعام، ثم جعلهم شرّاً من الأنعام، فقال: ﴿**بَلْ هُمْ أضَلُّ**﴾ ثم أخبر أنهم هم الغافلون.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أولَئِكَ كالأنْعامِ بَلْ هُمْ أضَلُّ أولئِكَ هُمُ الغافِلُونَ﴾.

يعني جلّ ثناؤه بقوله: ﴿**أُولَئِكَ كالأنْعامِ**﴾ هؤلاء الذين ذرأهم لجهنم هم كالأنعام، وهي البهائم التي لا تفقه ما يقال لها ولا تفهم ما أبصرته مما يصلح وما لا يصلح ولا تعقل بقلوبها الخير من الشرّ فتميز بينهما، فشبههم الله بها، إذ كانوا لا يتذكرون ما يرون بأبصارهم من حججه، ولا يتفكرون فيما يسمعون من آي كتابه. ثم قال: ﴿**بَلْ هُمْ أضَلُّ**﴾ يقول: هؤلاء الكفرة الذين ذرأهم لجهنم أشدّ ذهاباً عن الحقّ وألزم لطريق الباطل من البهائم، لأن البهائم لا اختيار لها ولا تمييز فتختار وتميّز، وإنما هي مسخرة ومع ذلك تهرب من المضارّ وتطلب لأنفسها من الغذاء الأصلح. والذين وصف الله صفتهم في هذه الآية، مع ما أُعطوا من الأفهام والعقول المميزة بين المصالح والمضارّ، تترك ما فيه صلاح دنياها وآخرتها وتطلب ما فيه مضارّها، فالبهائم منها أسد وهي منها أضلّ، كما وصفها به ربنا جلّ ثناؤه.

وقوله: ﴿**أُولَئِكَ هُمُ الغافِلُونَ**﴾ يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين وصفت صفتهم، القوم الذين غفلوا، يعني سهوا عن آياتي وحججي، وتركوا تدبرها والاعتبار بها والاستدلال على ما دلت عليه من توحيد ربها، لا البهائم التي قد عرَّفها ربها ما سخرها له.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره ﴿**ولِلّهِ الأسْماءُ الحُسْنَى**﴾، وهي كما قال ابن عباس.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿**ولِلّهِ الأسْماءُ الحُسْنَى فادْعُوهُ بِها**﴾ ومن أسمائه: العزيز الجبار، وكلّ أسماء الله حسن.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، عن هشام بن حسان، عن ابن سيرين، عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ، قال: «إنَّ لِلّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْماً، مِئَةً إلاَّ وَاحِداً، مَنْ أحْصَاها كُلَّها دَخَلَ الجَنَّةَ».

وأما قوله: ﴿**وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أسْمائِهِ**﴾ فإنه يعني به المشركين. وكان إلحادهم في أسماء الله أنهم عدلوا بها عما هي عليه، فسموا بها آلهتهم وأوثانهم، وزادوا فيها ونقصوا منها، فسموا بعضها اللات اشتقاقاً منهم لها من اسم الله الذي هو الله، وسموا بعضها العزّى اشتقاقاً لها من اسم الله الذي هو العزيز.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿**وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أسْمائِهِ**﴾ قال: إلحاد الملحدين أن دعوا اللات في أسماء الله.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد: ﴿**وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أسْمائِهِ**﴾ قال: اشتقوا العُزّى من العزيز، واشتقوا اللات من الله.

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله ﴿**يُلْحِدُونَ**﴾ فقال بعضهم: يكذّبون.

ذكر من قال ذلك.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أسْمائِهِ**﴾ قال: الإلحاد: التكذيب.

وقال آخرون: معنى ذلك: يشركون.

ذكر من قال ذلك.

حدثني محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا أبو ثور، عن معمر، عن قتادة: ﴿**يُلْحِدُونَ**﴾ قال: يشركون.

وأصل الإلحاد في كلام العرب: العدول عن القصد، والجور عنه، والإعراض، ثم يستعمل في كلّ معوجّ غير مستقيم، ولذلك قيل للحد القبر لحد، لأنه في ناحية منه وليس في وسطه، يقال منه: ألحد فلان يُلْحِد إلحاداً، ولَحد يَلْحَدُ لَحْداً ولُحُوداً. وقد ذكر عن الكسائي أنه كان يفرّق بين الإلحاد واللحد، فيقول في الإلحاد: إنه العدول عن القصد، وفي اللحد إنه الركون إلى

الشيء، وكان يقرأ جميع ما في القرآن «يُلحدون» بضمّ الياء وكسر الحاء، إلاّ التي في النحل، فإنه كان يقرؤها: «يَلحَدون» بفتح الياء والحاء، ويزعم أنه بمعنى الركون. وأما سائر أهل المعرفة بكلام العرب فيرون أن معناهما واحد، وأنهما لغتان جاءتا في حرف واحد بمعنى واحد.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامّة قرّاء أهل المدينة وبعض البصريين والكوفيين: ﴿**يُلْحِدونَ**﴾ بضمّ الياء وكسر الحاء من ألحد يُلحِد في جميع القرآن. وقرأ ذلك عامّة قرّاء أهل الكوفة: «يَلْحَدون» بفتح الياء والحاء من لحد يلحد.

والصواب من القول في ذلك أنهما لغتان بمعنى واحد، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب الصواب في ذلك. غير أني أختار القراءة بضمّ الياء على لغة من قال: «ألحد»، لأنها أشهر اللغتين وأفصحهما. وكان ابن زيد يقول في قوله: ﴿**وَذرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أسْمائِهِ**﴾ إنه منسوخ.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدونَ فِي أسْمائِهِ**﴾ قال: هؤلاء أهل الكفر، وقد نسخ، نسخه القتال.

ولا معنى لما قال ابن زيد في ذلك من أنه منسوخ، لأن قوله: ﴿**وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدونَ فِي أسْمائِهِ**﴾ ليس بأمر من الله لنبيه ﷺ بترك المشركين أن يقولوا ذلك حتى يأذن له في قتالهم، وإنما هو تهديد من الله للملحدين في أسمائه ووعيد منه لهم، كما قال في موضع آخر: ﴿**ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأمَلُ...**﴾ الآية، وكقوله: ﴿**لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيناهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ**﴾ وهو كلام خرج مخرج الأمر بمعنى الوعيد والتهديد، ومعناه: إن تُمهل الذين يُلحدون يا محمد في أسماء الله إلى أجل هم بالغوه، فسوف يجزون إذا جاءهم أجل الله الذي أجّله إليهم جزاء أعمالهم التي كانوا يعملونها قبل ذلك من الكفر بالله والإلحاد في أسمائه وتكذيب رسوله.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ومن الخلق الذين خلقنا أمة، يعني جماعة يهدون، يقول: يهتدون بالحقّ ﴿**وبِهِ يَعْدِلُونَ**﴾ يقول: وبالحقّ يقضون وينصفون الناس، كما قال ابن جريج.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قوله: ﴿**أُمَّةٌ يَهْدُونَ بالحَقّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ**﴾ قال ابن جريج: ذكر لنا أن نبيّ الله ﷺ، قال: «هذِهِ أُمَّتي» قالَ: «بالحَقّ يَأْخُذُونَ وَيُعْطُونَ وَيَقْضُونَ».

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة: ﴿**وَمِمَّنْ خَلَقْنا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بالحَقّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ**﴾.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وَمِمَّنْ خَلَقْنا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بالحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ**﴾ بلغنا أن نبيّ الله ﷺ يقول إذا قرأها: «هَذِهِ لَكُمْ، وَقَدْ أُعْطِيَ القَوْمُ بينَ أيْدِيكُمْ مِثْلَها، وَمِنْ قَوْم مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بالحَقّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾».

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: والذين كذّبوا بأدلتنا وأعلامنا، فجحدوها ولم يتذكروا بها، سنمهله بغرّته ونزين له سوء عمله، حتى يحسب أنه هو فيما عليه من تكذيبه بآيات الله إلى نفسه محسن، وحتى يبلغ الغاية التي كتب له من المهل، ثم يأخذه بأعماله السيئة، فيجازيه بها من العقوبة ما قد أعدّ له. وذلك استدراج الله إياه. وأصل الاستدراج اغترار المستدرج بلطف من حيث يرى المستدرج أن المستدرج إليه محسن حتى يورّطه مكروهاً. وقد بيّنا وجه فعل الله ذلك بأهل الكفر به فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وأؤخر هؤلاء الذين كذّبوا بآياتنا مُلاءة بالكسر والضمّ والفتح من الدهر، وهي الحين، ومنه قيل: انتظرتك ملّياً، ليبلغوا بمعصيتهم ربهم المقدار الذي قد كتبه لهم من العقاب والعذاب ثم يقبضهم إليه. ﴿**إنَّ كَيْدِي**﴾ والكيد: هو المكر. ﴿**وقوله مَتِينٌ**﴾ يعني: قويّ شديد، ومنه قول الشاعر:

عَدَلْنَ عُدُولَ النَّاسِ وَاقْبح يُبْتَلى ... أفاسٌ مِنَ الهُرَّابِ شَدّ مَمَاتِنُ[1]

يعني: سيراً شديداً باقياً لا ينقطع.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: أو لم يتفكر هؤلاء الذين كذّبوا بآياتنا فيتدبّروا بعقولهم، ويعلموا أن رسولنا الذي أرسلناه إليهم، لا جِنّة به ولا خبْل، وأن الذي دعاهم إليه هو الدين الصحيح القويم

---

(١) لم أعثر على هذا البيت، ولا على قائله. وأثبته كما رأيته في الأصل المخطوط رقم ١٠٠ بدار الكتب، وهو محرف غامض.

والحقّ المبين. ولذا نزلت هذه الآية فيما قبل، كما:

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: ذكر لنا أن نبيّ الله ﷺ كان على الصفا، فدعا قريشاً، فجعل يفخّذهم فخذاً فخذاً: يا بني فلان يا بني فلان فحذّرهم بأس الله، ووقائع الله، فقال قائلهم: إن صاحبكم هذا لمجنون بات يصوّت إلى الصباح، أو حتى أصبح. فأنزل الله تبارك وتعالى: **﴿أوَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا ما بِصَاحِبِهِمْ مِن جِنَّةٍ إنْ هُوَ إلاَّ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾**.

ويعني بقوله: **﴿إنْ هُوَ إلاَّ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾**: ما هو إلاّ نذير منذركم عقاب الله على كفركم به إن لم تنيبوا إلى الإيمان به، ويعني بقوله: **﴿مُبِينٌ﴾** قد أبان لكم أيها الناس إنذاره ما أنذركم به من بأس الله على كفركم به.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: أو لم ينظر هؤلاء المكذّبون بآيات الله في مُلك الله وسلطانه في السماوات وفي الأرض وفيما خلق جلّ ثناؤه من شيء فيهما، فيتدبروا ذلك ويعتبروا به ويعلموا أن ذلك ممن لا نظير له ولا شبيه، ومن فعل من لا ينبغي أن تكون العبادة والدين الخالص إلاّ له، فيؤمنوا به ويصدّقوا رسوله وينيبوا إلى طاعته ويخلعوا الأنداد والأوثان ويحذروا أن تكون آجالهم قد اقتربت فيهلكوا على كفرهم ويصيروا إلى عذاب الله وأليم عقابه.

وقوله: **﴿فَبِأيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾** يقول: فبأيّ تخويف وتحذير وترهيب بعد تحذير محمد ﷺ وترهيبه الذي أتاهم به من عند الله في آي كتابه يصدّقون، إن لم يصدّقوا بهذا الكتاب الذي جاءهم به محمد ﷺ من عند الله تعالى.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: إن إعراض هؤلاء الذين كذّبوا بآياتنا، التاركي النظر في حجج الله والفكر فيها، لإضلال الله إياهم، ولو هداهم الله لاعتبروا وتدبّروا فأبصروا رشدهم ولكن الله أضلهم فلا يبصرون رشَداً ولا يهتدون سبيلاً، ومن أضله عن الرشاد فلا هادي له. ولكن الله يدعهم في تماديهم في كفرهم وتمرّدهم في شركهم يتردّدون، ليستوجبوا الغاية التي كتبها الله لهم من عقوبته وأليم نكاله.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾.

اختلف أهل التأويل في الذين عنُوا بقوله: ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ﴾ فقال بعضهم: عني بذلك قوم رسول الله ﷺ من قُريش، وكانوا سألوا عن ذلك رسول الله ﷺ.

ذكر من قال ذلك.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة، قال: قالت قريش لمحمد ﷺ: إن بيننا وبينك قرابة، فأسرّ إلينا متى الساعة فقال الله: ﴿يَسْئَلُونَكَ كأنّك حَفِيٌ عَنها﴾.

وقال آخرون: بل عني به قوم من اليهود.

ذكر من قال ذلك.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا يونس بن بكير، قال: ثنا محمد بن إسحاق، قال: ثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، قال: ثني سعيد بن جبير أو عكرمة، عن ابن عباس، قال: قال حمل بن أبي قُشير وسمْول بن زيد لرسول الله ﷺ: يا محمد أخبرنا متى الساعة إن كنت نبيّاً كما تقول، فإنا نعلم متى هي فأنزل الله تعالى: ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ السّاعَةِ أيّان مُرْساها قَلْ إنَّما عِلْمُها عِنْدَ ربّي...﴾ إلى قوله: ﴿ولَكِنَّ أكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُون﴾.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن طارق بن شهاب، قال: كان النبيّ ﷺ لا يزال يذكر من شأن الساعة حتى نزلت: ﴿يَسْئَلُونَك عَنِ السَّاعَةِ أيَّان مُرْساها﴾.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن قوماً سألوا رسول الله ﷺ عن الساعة، فأنزل الله هذه الآية، وجائز أن يكون كانوا من قريش، وجائز أن يكونوا كانوا من اليهود ولا خبر بذلك عندنا يجوّز قطع القول على أيّ ذلك كان.

فتأويل الآية إذن: يسئلك القوم الذين يسئلونك عن الساعة أيّان مرساها، يقول: متى قيامها. ومعنى «أيّان»: «متى» في كلام العرب، ومنه قول الراجز:

أيَّان تَقْضِي حاجَتِي أيَّانَا أمَا تَرى لِنُجْحِها إبَّانَا(١)

ومعنى قوله: ﴿مُرْساها﴾: قيامها، من قول القائل: أرساها الله فهي مرساة، وأرساها القوم: إذا حبسوها، ورست هي ترسو رُسُوّاً. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿**يَسْئَلُونَك عَنِ السَّاعَةِ أيَّان مُرْساها**﴾: يقول متى قيامها.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: ﴿**يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أيَّان مُرْساها**﴾: متى قيامها.

وقال آخرون: معنى ذلك: منتهاها. وذلك قريب المعنى من معنى من قال: معناه: قيامها، لأن انتهاءها: بلوغها وقتها. وقد بيّنا أن أصل ذلك الحبس والوقوف.

ذكر من قال ذلك.

حدثنا المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**يَسْئَلُونَك عَنِ السَّاعَةِ أيَّان مُرْساها**﴾ يعني: منتهاها.

وأما قوله: ﴿**قُلْ إنَّما عِلْمُها عِنْد ربّي لا يُجَلِّيها لِوقْتِها إلاَّ هُوَ**﴾ فإنه أمر من الله نبيه محمداً ﷺ بأن يجيب سائليه عن الساعة بأنه لا يعلم وقت قيامها إلاَّ الله الذي يعلم الغيب، وأنه لا يظهرها لوقتها ولا يعلمها غيره جلّ ذكره. كما:

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿**قُلْ إنَّمَا عِلْمُها عِنْد ربّي لا يُجَلِّيها لِوقْتِها إلاَّ هُوَ**﴾ يقول: علمها عند الله، هو يجليها لوقتها، لا يعلم ذلك إلاَّ الله.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿**لا يُجَلِّيها**﴾: يأتي بها.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال مجاهد: ﴿**لا يُجَلِّيها**﴾ لا يأتي بها ﴿**إلاَّ هُوَ**﴾.

---

(١) البيت أنشده صاحب «اللسان» في (أبن) قال: إبان كل شيء بالكسر والتشديد: وقته وحينه الذي يكون فيه، يقال: جئته على إبان ذلك، أي على زمنه؛ وأخذ الشيء بإبانه، أي بزمانة.... قال الراجز: أيان..... البيت. وأيان قال في «اللسان» معناه حين، وهو سؤال عن زمان، مثل متى. وفي التنزيل العزيز: «أيان مرساها»؟ ابن سيده: أيان بمعنى متى.

حدثني محمد بن الحسين قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿لا يُجَلِّيها لِوَقْتِهَا إلاَّ هُوَ﴾ يقول: لا يرسلها لوقتها إلاَّ هو.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿ثَقُلَتْ في السَّمواتِ والأرْضِ لا تأْتِيكُمْ إلاَّ بَغْتَةً﴾.

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معنى ذلك: ثقلت الساعة على أهل السماوات والأرض أن يعرفوا وقتها ومجيئها لخفائها عنهم واستئثار الله بعلمها.

ذكر من قال ذلك.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قوله: ﴿ثَقُلَتْ في السَّمَواتِ والأرْضِ﴾ يقول: خفيت في السماوات والأرض، فلم يعلم قيامها متى تقوم مَلك مقرَّب ولا نبيّ مرسل.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، وحدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزّاق جميعاً، عن معمر، عن بعض أهل التأويل: ﴿ثَقُلَتْ في السَّمَواتِ والأرْضِ﴾ قال: ثقل علمها على أهل السموات وأهل الأرض أنهم لا يعلمون.

وقال آخرون: معنى ذلك: أنها كبرت عند مجيئها على أهل السماوات والأرض.

ذكر من قال ذلك.

حدثني محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، وحدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق جميعاً، عن معمر، قال: قال الحسن، في قوله: ﴿ثَقُلَتْ في السَّمٰوَاتِ والأرْضِ﴾ يعني: إذا جاءت ثَقُلت على أهل السماء وأهل الأرض. يقول: كبُرت عليهم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج: ﴿ثَقُلَتْ فِي السَّمٰوَاتِ والأرْضِ﴾ قال: إذا جاءت انشقَّت السماء، وانتثرت النجوم، وكُوِّرَت الشمس، وسُيرت الجبال، وكان ما قال الله فذلك ثقلها.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قال: قال بعض الناس في «ثقلت»: عظمت.

وقال آخرون: معنى قوله: ﴿في السَّمَوَاتِ والأرْضِ﴾: على السماوات والأرض.

ذكر من قال ذلك.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ والأرْضِ﴾: أي على السماوات والأرض.

قال أبو جعفر: وأولى ذلك عندي بالصواب، قول من قال: معنى ذلك: ثقلت الساعة في السماوات والأرض على أهلها أن يعرفوا وقتها وقيامها لأن الله أخفى ذلك عن خلقه، فلم يطلع عليه منهم أحداً. وذلك أن الله أخبر بذلك بعد قوله: **﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُها عِنْدَ رَبّي لا يُجَلِيها لِوَقْتِها إلاَّ هُوَ﴾** وأخبر بعده أنها لا تأتي إلاَّ بغتة، فالذي هو أولى أن يكون ما بين ذلك أيضاً خبراً عن خفاء علمها عن الخلق، إذ كان ما قبله وما بعده كذلك.

وأما قوله: **﴿لا تَأْتِيكُمْ إلاَّ بَغْتَةً﴾** فإنه يقول: لا تجيء الساعة إلاَّ فجأة، لا تشعرون بمجيئها. كما:

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: **﴿لا تَأْتِيكُمْ إلاَّ بَغْتَةً﴾** يقول: يبغتهم قيامها، تأتيهم على غفلة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: **﴿لا تَأْتِيكُمْ إلاَّ بَغْتَةً﴾** قضى الله أنها لا تأتيكم إلاَّ بغتة. قال: وذكر لنا أن نبيّ الله ﷺ كان يقول: «إنَّ السَّاعَةَ تَهِيجُ بالنَّاسِ والرَّجُلُ يُصْلِحُ حَوْضَهُ والرَّجُلُ يُسْقِي ماشِيَتَهُ والرَّجُلُ يُقِيمُ سِلْعَتَهُ في السُّوقِ وَالرَّجُلُ يَخْفِضُ مِيزَانَهُ وَيَرْفَعُهُ».

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَسْئَلُونَكَ كأنَّكَ حَفِيّ عَنها قُلْ إنَّما عِلْمُها عِنْدَ اللّهِ وَلكِنَّ أكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾.

يقول تعالى ذكره: يسألك هؤلاء القوم عن الساعة، كأنك حفيّ عنها. فقال بعضهم: يسألونك عنها كأنك حفيّ بهم. وقالوا: معنى قوله: «عنها» التقديم وإن كان مؤخراً.

ذكر من قال ذلك.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: **﴿يَسْئَلُونَكَ كأنَّكَ حَفِيٌّ عَنها﴾** يقول: كأن بينك وبينهم مودّة، كأنك صديق لهم. قال ابن عباس: لما سأل الناس محمداً ﷺ عن الساعة سألوه سؤال قوم كأنهم يرون أن محمداً حفي بهم، فأوحى الله إليه: إنما علمها عنده، استأثر بعلمها، فلم يُطلِع عليها ملَكاً ولا رسولاً.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، قال: قال قتادة: قالت قريش لمحمد ﷺ: إن بيننا وبينك قرابة، فأسرّ إلينا متى الساعة فقال الله: **﴿يَسْئَلُونَكَ كأنَّكَ حَفِيٌّ عَنها﴾**.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: **﴿يَسْئَلُونَكَ كأنَّكَ حَفِيٌّ عَنها﴾**:

أي حفيّ بهم. قال: قالت قريش: يا محمد أسرّ إلينا علم الساعة لما بيننا وبينك من القرابة لقرابتنا منك.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبو خالد الأحمر وهانىء بن سعيد، عن حجاج، عن خَصِيف، عن مجاهد وعكرمة: **﴿يَسْئَلُونَكَ كأنَّكَ حَفِيٌ عَنها﴾** قال: حفيّ بهم حين يسألونك.

حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا إسرائيل، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس: **﴿يَسْئَلُونَكَ كأنَّكَ حَفِيٌ عَنها﴾** قال: قربت منهم، وتحفَّى عليهم. قال: وقال أبو مالك: كأنك حفيّ بهم، قال: قريب منهم، وتحفّى عليهم. قال: وقال أبو مالك: كأنك حفيّ بهم فتحدثهم.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: **﴿يَسْئَلُونَكَ كأنَّكَ حَفِيٌ عَنها﴾** كأنك صديق لهم.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: كأنك قد استحفيت المسألة عنها فعلمتها.

ذكر من قال ذلك.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: **﴿كأنَّكَ حَفِيٌ عَنها﴾** استحفيت عنها السؤال حتى علمتها.

حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا أبو سعد، عن مجاهد في قوله: **﴿كأنَّكَ حَفِيٌ عَنها﴾** قال: استحفيت عنها السؤال حتى علمت وقتها.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا المحاربي، عن جويبر، عن الضحاك: **﴿يَسْئَلُونَكَ كأنَّكَ حَفِيٌ عَنها﴾** قال: كأنك عالم بها.

قال: ثنا حامد بن نوح، عن أبي روق، عن الضحاك: **﴿يَسْئَلُونَكَ كأنَّكَ حَفِيٌ عَنها﴾** قال: كأنك تعلمها.

حُدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ، قال: ثني عبيد بن سليمان، عن الضحاك، قوله: **﴿يَسْئَلُونَكَ كأنَّكَ حَفِيٌ عَنها﴾** يقول: يسألونك عن الساعة، كأنك عندك علماً منها. **﴿قُلْ إنَّمَا عِلْمُها عِنْدَ رَبي﴾**.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن بعضهم: **﴿كأنَّكَ حَفِيٌ عَنها﴾**: كأنك عالم بها.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**كأنَّكَ حَفِيٌّ عَنْها**﴾ قال: كأنك عالم بها. وقال: أخفى علمها على خلقه. وقرأ: ﴿**إنَّ اللّهَ عِنْدَه عِلْمُ السَّاعَةِ**﴾، حتى ختم السورة.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: ﴿**يَسْئَلُونَكَ كأنَّكَ حَفِيٌّ عَنْها**﴾ يقول: كأنك يعجبك سؤالهم إياك. ﴿**قُلْ إنَّمَا عِلْمُها عِنْدَ اللّهِ**﴾.

وقوله: ﴿**كأنَّكَ حَفِيٌّ عَنْها**﴾ يقول: لطيف بها.

فوجه هؤلاء تأويل قوله: ﴿**كأنَّكَ حَفِيٌّ عَنْها**﴾ إلى حفيّ بها، وقالوا: تقول العرب: تحفيت له في المسألة، وتحفيت عنه. قالوا: ولذلك قيل: أتينا فلاناً نسأل به، بمعنى نسأل عنه.

قال أبو جعفر: وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: معناه: كأنك حفيّ بالمسألة عنها فتعلمها.

فإن قال قائل: وكيف قيل: ﴿**حَفِيٌّ عَنْها**﴾ ولم يقل حفيّ بها، إن كان ذلك تأويل الكلام؟ قيل: إن ذلك قيل كذلك، لأن الحفاوة إنما تكون في المسألة، وهي البشاشة للمسؤول عند المسألة، والإكثار من السؤال عنه، والسؤال يوصل بـ«عن» مرّة وبالباء مرّة، فيقال: سألت عنه، وسألت به فلما وضع قوله «حفيّ» موضع السؤال، وصل بأغلب الحرفين اللذين يوصل بهما السؤال، وهو «عن»، كما قال الشاعر:

سُؤَالَ حَفِيٍّ عَنْ أخِيهِ كأنَّهُ ... يُذَكِّرُهُ وَسْنانُ أوْ مُتَواسِنُ[1]

وأما قوله: ﴿**قُلْ إنَّمَا عِلْمُها عِنْدَ اللّهِ**﴾ فإن معناه: قل يا محمد لسائليك عن وقت الساعة وحين مجيئها: لا علم لي بذلك، ولا يعلم به إلاَّ الله الذي يعلم غيب السماوات والأرض. ﴿**وَلَكِنَّ أكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ**﴾ يقول: ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن ذلك لا يعلمه إلاَّ الله، بل يحسبون أن علم ذلك يوجد عند بعض خلقه.

---

(١) في «**اللسان**»: حفى وقوله تعالى: ﴿يسألونك كأنك حفى عنها﴾: قال الزجاج: يسألونك عن أمر القيامة كأنك فرح بسؤالهم. وقيل معناه: كأنك أكثر المسألة عنها. كأنك عالم بها معناه: حاف عالم. وقيل: كأنك معنى بها. وأنشد للأعشى:

فإنْ تَسْألي عَنّي فيا رُبَّ سائِلٍ ... حَفِيٍّ عَنِ الأعْشَى بِهِ حيثُ أصْعَدَا

معناه: معنى، وبالأعشى بالسؤال عنه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لسائليك عن الساعة أيّان مرساها: ﴿**لا أمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلا ضَرّاً**﴾ يقول: لا أقدر على اجتلاب نفع إلى نفسي، ولا دفع ضرّ يحلّ بها عنها إلاً ما شاء الله أن أملكه من ذلك بأن يقوّيني عليه ويعينني. ﴿**وَلَوْ كُنْتُ أعْلَمُ الغَيْبَ**﴾ يقول: لو كنت أعلم ما هو كائن مما لم يكن بعد ﴿**لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الخَيْرِ**﴾ يقول: لأعددت الكثير من الخير.

ثم اختلف أهل التأويل في معنى الخير الذي عناه الله بقوله: ﴿**لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الخَيْرِ**﴾ فقال بعضهم: معنى ذلك: لاستكثرت من العمل الصالح.

ذكر من قال ذلك.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جريج: قوله: ﴿**قُلْ لا أمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلا ضَرّاً**﴾ قال: الهدى والضلالة. ﴿**لَوْ كُنْتُ أعْلَمُ الغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الخَيْرِ**﴾ قال: أعلم الغيب متى أموت لاستكثرت من العمل الصالح.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**وَلَوْ كُنْتُ أعْلَمُ الغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الخَيْرِ وَما مَسَّنِيَ السُّوءُ**﴾: قال: لاجتنبت ما يكون من الشرّ واتقيته.

وقال آخرون: معنى ذلك: ولو كنت أعلم الغيب لأعددت للسنّة المجدبة من المخصبة، ولعرفت الغلاء من الرخص، واستعددت له في الرخص.

وقوله: ﴿**وَما مَسَّنِيَ السُّوءُ**﴾ يقول: وما مسني الضرّ. ﴿**إنْ أنا إلاّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ**﴾ يقول: ما أنا إلاّ رسول الله أرسلني إليكم، أنذر عقابه من عصاه منكم وخالف أمره، وأبشر بثوابه وكرامته من آمن به وأطاعه منكم. وقوله: ﴿**لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ يقول: يصدّقون بأني لله رسول، ويقرّون بحقية ما جئتهم به من عنده.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا

﴿تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾. يعني بالنفس الواحدة: آدم كما:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن رجل، عن مجاهد: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ قال: آدم عليه السلام.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ من آدم.

ويعني بقوله: ﴿وَجَعَلَ مِنها زَوْجَها﴾: وجعل من النفس الواحدة، وهو آدم، زوجها حوّاء كما:

حدثني بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿وَجَعَلَ مِنها زَوْجَها﴾: حوّاء، فجُعلت من ضِلع من أضلاعه ليسكن إليها.

ويعني بقوله: ﴿لِيَسْكُنَ إلَيها﴾: ليأوى إليها لقضاء الحاجة ولذّته. ويعني بقوله: ﴿فَلَمَّا تَغَشَّاها﴾ فلما تدثرها لقضاء حاجته منها فقضى حاجته منها، ﴿حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً﴾ وفي الكلام محذوف ترك ذكره استغناء بما ظهر عما حذف، وذلك قوله: ﴿فَلَمَّا تَغَشَّاها حَمَلَتْ﴾ وإنما الكلام: فلما تغشاها فقضى حاجته منها حملت. وقوله: ﴿حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً﴾ يعني بخفة الحمل: الماء الذي حملته حوّاء في رحمها من آدم أنه كان حملاً خفيفاً، وكذلك هو حمل المرأة ماء الرجل خفيف عليها. وأما قوله: ﴿فَمَرَّتْ بِهِ﴾ فإنه يعني: استمرّت بالماء: قامت به وقعدت، وأتمت الحمل. كما:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبو أسامة، عن أبي عمير، عن أيوب، قال: سألت الحسن عن قوله: ﴿حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً فَمَرَّتْ بِهِ﴾ قال: لو كنت امرأً عربيّاً لعرفت ما هي، إنما هي: فاستمرّت به.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿فَلَمَّا تَغَشَّاها حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً فَمَرَّتْ بِهِ﴾ استبان حملها.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿فَمَرَّتْ بِهِ﴾ قال: استمرّ حملها.

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قوله: ﴿**حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً**﴾ قال: هي النطفة. وقوله ﴿**فَمَرتْ بِهِ**﴾ يقول: استمرّت به.

وقال آخرون: معنى ذلك: فشكّت فيه.

ذكر من قال ذلك.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، في قوله: ﴿**فَمَرَّتْ بِهِ**﴾ قال: فشكت أحملت أم لا.

ويعني بقوله: ﴿**فَلَمَّا أثْقَلَتْ**﴾ فلما صار ما في بطنها من الحمل الذي كان خفيفاً ثقيلاً ودنت ولادتها، يقال منه: أثقلت فلانة إذا صارت ذات ثقل بحملها كما يقال: أتمر فلان: إذا صار ذا تمر. كما:

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿**فَلَمَّا أثْقَلَتْ**﴾: كبر الولد في بطنها.

قال أبو جعفر: ﴿**دَعَوَا اللّهَ رَبَّهُما**﴾، يقول: نادى آدم وحوّاء ربهما وقالا: يا ربنا لئن آتيتنا صالحاً لنكوننَّ من الشاكرين.

واختلف أهل التأويل في معنى الصلاح الذي أقسم آدم وحوّاء عليهما السلام أنه إن آتاهما صالحاً في حمل حوّاء لنكوننّ من الشاكرين. فقال بعضهم: ذلك هو أن يكون الحمل غلاماً.

ذكر من قال ذلك.

حدثني محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، قال: قال الحسن، في قوله: ﴿**لَئِنْ آتَيْتَنا صَالِحا**﴾ قال: غلاماً.

وقال آخرون: بل هو أن يكون المولود بشراً سويّاً مثلهما، ولا يكون بهيمة.

ذكر من قال ذلك.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن زيد بن جبير الحسمي، عن أبي البَخْتري، في قوله: ﴿**لَئِنْ آتَيْتَنا صَالِحا لَنَكُونَنَّ مِن الشَّاكِرِينَ**﴾ قال: أشفقا أن يكون شيئاً دون الإنسان.

قال: ثنا يحيى بن يمان، عن سفيان، عن زيد بن جبير، عن أبي البَخْتري، قال: أشفقا أن لا يكون إنساناً.

قال: ثنا محمد بن عبيد، عن إسماعيل، عن أبي صالح، قال: لما حملت امرأة آدم فأثقلت، كان يشفقان أن يكون بهيمة، ﴿**فَدَعَوَا رَبَّهُما لَئِنْ آتَيْتَنا صَالِحاً. . .**﴾ الآية.

قال: ثنا جابر بن نوح، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس، قال: أشفقا أن يكون بهيمة.

حدثني القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال سعيد بن جبير: لما هبط آدم وحوّاء، أُلقيت الشهوة في نفسه فأصابها، فليس إلاّ أن أصابها حملت، فليس إلاّ أن حملت تحرّك في بطنها ولدها، قالت: ما هذا؟ فجاءها إبليس، فقال: أترين في الأرض إلاّ ناقة أو بقرة أو ضائنة أو ماعزة؟ هو بعض ذلك. قالت: والله ما مني شيء إلاّ وهو يضيق عن ذلك. قال: فأطيعيني وسميه عبد الحرث تلدي شِبْهكما مثلكما قال: فذكرت ذلك لآدم عليه السلام، فقال: هو صاحبنا الذي قد أخرجنا من الجنة. فمات، ثم حملت بآخر، فجاءها فقال: أطيعيني وسميه عبد الحرث وكان اسمه في الملائكة الحارث وإلاّ ولدتِ ناقة أو بقرة أو ضائنة أو ماعزة، أو قتلتُه، فإني أنا قتلت الأول قال: فذكرت ذلك لآدم، فكأنه لم يكرهه، فسمَّته عبد الحرث، فذلك قوله: ﴿**لَئِنْ آتَيْتَنا صَالِحاً**﴾ يقول: شبهنا مثلنا، ﴿**فلما آتاهُمَا صَالِحاً**﴾ قال: شِبْههما مثلهما.

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿**فَلَمَّا أَثْقَلَتْ**﴾ كبر الولد في بطنها جاءها إبليس، فخوّفها وقال لها: ما يدريك ما في بطنك، لعله كلب أو خنزير أو حمار؟ وما يدريك من أين يخرج؟ أمن دبرك فيقتلك، أو من قُبلك، أو ينشقّ بطنك فيقتلك؟ فذلك حين ﴿**دَعَوَا اللّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنا صَالِحاً**﴾ يقول: مثلنا، ﴿**لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ**﴾.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله أخبر عن آدم وحوّاء أنهما دعوا الله ربهما بحمل حَوّاء، وأقسما لئن أعطاهما في بطن حوّاء صالحا ليكونان لله من الشاكرين. والصلاح قد يشمل معاني كثيرة: منها الصلاح في استواء الخلق. ومنها الصلاح في الدين، والصلاح في العقل والتدبير. وإذ كان ذلك كذلك، ولا خبر عن الرسول يوجب الحجة بأن ذلك على بعض معاني الصلاح دون بعض، ولا فيه من العقل دليل وجب أن يَعُمّ كما عمه الله، فيقال: إنهما قالا ﴿**لئن آتيتنا صالحاً**﴾ بجميع معاني الصلاح.

وأما معنى قوله: ﴿**لَنَكُونَنَّ مِنَ الشاكِرِينَ**﴾ فإنه لنكوننّ ممن يشكرك على ما وهبت له من الولد صالحاً.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فلما رزقهما الله ولداً صالحاً كما سألا جعلا له شركاء فيما آتاهما ورزقهما.

ثم اختلف أهل التأويل في الشركاء التي جعلاها فيما أوتيا من المولود، فقال بعضهم: جعلا له شركاء في الاسم.

ذكر من قال ذلك.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الصمَد، قال ثنا عمر بن إبراهيم، عن قتادة، عن الحسن، عن سمرة بن جندب، عن النبيّ ﷺ، قال: «كانَتْ حَوَّاءُ لا يَعِيشُ لَهَا وَلَدٌ، فَنَذَرَتْ لَئِنْ عاشَ لَهَا وَلَدٌ لَتُسَمِّيَنه عَبْدَ الحَرْثِ، فعاشَ لَهَا وَلَدٌ، فَسَمَّتْهُ عَبْدَ الحَرْثِ، وإنَّمَا كانَ ذلكَ مِنْ وَحْيِ الشَّيْطانِ».

حدثني محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا معتمر، عن أبيه، قال: ثنا أبو العلاء، عن سَمُرة بن جندب: أنه حدث أن آدم عليه السلام سمى ابنه عبد الحرث.

قال: ثنا المعتمر، عن أبيه، قال: ثنا ابن عُلَية، عن سليمان التيمي، عن أبي العلاء بن الشِّخيِّر، عن سمرة بن جندب، قال: سمى آدم ابنه: عبد الحرث.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن داود بن الحصين، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: كانت حوّاء تلد لآدم، فتعبِّدهم لله، وتسميه عبد الله وعُبيد الله ونحو ذلك، فيصيبهم الموت، فأتاها إبليسُ وآدمَ، فقال: إنكما لو تسميانه بغير الذي تسميانه لعاش فولدت له رجلاً، فسماه عبد الحرث، ففيه أنزل الله تبارك وتعالى: **﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفسٍ وَاحِدَةٍ...﴾** إلى قوله: **﴿جَعَلا لَهُ شُرَكاءَ فِيما آتاهُمَا...﴾** إلى آخر الآية.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله في آدم: **﴿هُوَ الذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ...﴾** إلى قوله: **﴿فَمَرَّتْ بِهِ﴾** فشكّت أحبلت أم لا؟ **﴿فَلَمَّا أثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُما لَئِنْ آتَيْتَنا صَالِحاً...﴾** الآية، فأتاهما الشيطان فقال: هل تدريان ما يولد لكما أم هل تدريان ما يكون أبهيمة تكون أم لا؟ وزين لهما الباطل إنه غويّ مبين. وقد كانت قبل ذلك ولدت ولدين فماتا، فقال لهما الشيطان: إنكما إن لم تسمياه بي لم

يخرج سوياً ومات كما مات الأوّلان فسميا ولدهما عبد الحرث فذلك قوله: ﴿**فَلَمَّا آتاهُمَا صَالِحاً جَعَلا لَهُ شُرَكاءَ فِيما آتاهُمَا...**﴾ الآية.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس: لما وُلد له أوّل ولد، أتاه إبليس فقال: إني سأنصح لك في شأن ولدك هذا تسميه عبد الحرث فقال آدم: أعوذ بالله من طاعتك قال ابن عباس: وكان اسمه في السماء الحارث. قال آدم: أعوذ بالله من طاعتك إني أطعتك في أكل الشجرة، فأخرجتني من الجنة، فلن أطيعك. فمات ولده، ثم وُلد له بعد ذلك ولد آخر، فقال: أطعني وإلاَّ مات كما مات الأوّل فعصاه، فمات، فقال: لا أزال أقتلهم حتى تسميه عبد الحرث. فلم يزل به حتى سماه عبد الحرث، فذلك قوله: ﴿**جَعَلا لَهُ شُرَكاءَ فِيما آتاهُمَا**﴾: أشركه في طاعته في غير عبادة، ولم يُشرك بالله، ولكن أطاعه.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن هارون، قال: أخبرنا الزبير بن الخريت، عن عكرمة، قال: ما أشرك آدمُ ولا حوّاء، وكان لا يعيش لهما ولد، فأتاهما الشيطان فقال: إن سرّكما أن يعيش لكما ولد فسمياه عبد الحرث فهو قوله: ﴿**جَعَلا لَهُ شُرَكاءَ فِيما آتاهُمَا**﴾.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: ﴿**فَلَمَّا تَغَشَّاها حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفا**﴾ قال: كان آدم عليه السلام لا يولد له ولد إلاَّ مات، فجاءه الشيطان، فقال: إن سرّك أن يعيش ولدك هذا، فسميه عبد الحرث ففعل، قال: فأشركا في الاسم ولم يُشركا في العبادة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿**فَلَمَّا آتاهُمَا صَالحا جَعَلا لَهُ شُرَكاءَ فِيما آتاهُمَا**﴾ ذُكر لنا أنه كان لا يعيش لهما ولد، فأتاهما الشيطان، فقال لهما: سمياه عبد الحرث وكان من وحي الشيطان وأمره، وكان شركاً في طاعته، ولم يكن شركا في عبادته.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿**فَلَمَّا آتاهُمَا صَالِحاً جَعَلا لَهُ شُرَكاءَ فِيما آتاهُمَا فَتَعالى اللّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ قال: كان لا يعيش لآدم وامرأته ولد، فقال لهما الشيطان: إذا ولد لكما ولد، فسمياه عبد الحرث ففعلا وأطاعاه، فذلك قول الله: ﴿**فَلَمَّا آتاهُمَا صَالِحاً جَعَلا لَهُ شُرَكاءَ...**﴾ الآية.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن فضيل، عن سالم بن أبي حفصة، عن سعيد بن جبير، قوله: ﴿**أثْقَلَتْ دَعَوَا اللّهَ رَبَّهُما...**﴾ إلى قوله تعالى: ﴿**فَتَعالى اللّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ قال: لما حملت حوّاء في أوّل ولد ولدته حين أثقلت، أتاها إبليس قبل أن تلد، فقال: يا حوّاء ما هذا الذي

بطنك؟ فقالت: ما أدري. فقال: من أين يخرج؟ من أنفك، أو من عينك، أو من أذنك؟ قالت: لا أدري. قال: أرأيت إن خرج سليماً أتطيعيني أنت فيما آمرك به؟ قالت: نعم. قال: سميه عبد الحرث وقد كان يسمى إبليس الحرث، فقالت: نعم. ثم قالت بعد ذلك لآدم: أتاني آت في النوم فقال لي كذا وكذا، فقال: إن ذلك الشيطان فاحذريه، فإنه عدوّنا الذي أخرجنا من الجنة ثم أتاها إبليس، فأعاد عليها، فقالت: نعم. فلما وضعته أخرجه الله سليماً، فسمته عبد الحرث، فهو قوله: ﴿جَعَلا لَهُ شُرَكاءَ فِيما آتاهُمَا فَتَعالى اللّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا جرير وابن فضيل، عن عبد الملك، عن سعيد بن جبير، قال: قيل له: أشرك آدم؟ قال: أعوذ بالله أن أزعم أن آدم أشرك ولكن حوّاء لما أثقلت، أتاها إبليس فقال لها: من أين يخرج هذا، من أنفك أو من عينك أو من فيك؟ فقنطها، ثم قال: أرأيت إن خرج سويّاً زاد ابن فضيل لم يضرّك ولم يقتلك أتطيعيني؟ قالت: نعم. قال: فسميه عبد الحرث ففعلت. زاد جرير: فإنما كان شركه في الاسم.

حدثني موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قال: فولدت غلاماً، يعني حوّاء، فأتاهما إبليس فقال: سموه عبدي وإلاَّ قتلته قال له آدم عليه السلام: قد أطعتك وأخرجتني من الجنة، فأبى أن يطيعه، فسماه عبد الرحمن، فسلط الله عليه إبليس فقتله. فحملت بآخر فلما ولدته قال لها: سميه عبدي وإلاَّ قتلته قال له آدم: قد أطعتك فأخرجتني من الجنة. فأبى، فسماه صالحاً فقتله. فلما أن كان الثالث، قال لهما: فإذا غُلبتم فسموه عبد الحرث وكان اسمَ إبليس وإنما سمي إبليس حين أُبلس. ففعلوا، فذلك حين يقول الله: ﴿جَعَلا لَهُ شُرَكاءَ فِيما آتاهُمَا﴾ يعني في التسمية.

وقال آخرون: بل المعنيّ بذلك رجل وامرأة من أهل الكفر من بني آدم جعلا لله شركاء من الآلهة والأوثان حين رزقهما ما رزقهما من الولد. وقالوا: معنى الكلام: هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها، فلما تغشاها: أي هذا الرجل الكافر، حملت حملاً خفيفاً، فلما أثقلت دعوتما الله ربكما. قالوا: وهذا مما ابتدىء به الكلام على وجه الخطاب، ثم ردّ إلى الخبر عن الغائب، كما قيل: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي البَرّ والبَحْرِ حتى إذَا كُنْتُمْ فِي الفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾. وقد بيَّنا نظائر ذلك بشواهده فيما مضى قبل.

ذكر من قال ذلك.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا سهل بن يوسف، عن عمرو، عن الحسن: ﴿جَعَلا لَهُ شُرَكاءَ فِيما آتاهُمَا﴾ قال: كان هذا في بعض أهل الملل، ولم يكن بآدم.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، قال: قال الحسن: عني بهذا ذرية آدم، من أشرك منهم بعده. يعني بقوله: ﴿**فَلَمَّا آتاهُمَا صَالِحاً جَعَلا لَهُ شُرَكاءَ فِيما آتاهُمَا**﴾.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: كان الحسن يقول: هم اليهود والنصارى، رزقهم الله أولاداً فهوّدوا ونصروا.

قال أبو جعفر: وأولى القولين بالصواب قول من قال: عني بقوله: ﴿**فَلَمَّا آتاهُمَا صَالِحاً جَعَلا لَهُ شُرَكاءَ**﴾ في الاسم لا في العبادة، وأن المعنيّ بذلك آدم وحوّاء لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك.

فإن قال قائل: فما أنت قائل إذ كان الأمر على ما وصفت في تأويل هذه الآية، وأن المعنيّ بها آدم وحوّاء في قوله: ﴿**فَتَعالى اللّهُ عَمَّا يُشرِكُونَ**﴾؟ أهو استنكاف من الله أن يكون له في الأسماء شريك أو في العبادة؟ فإن قلت في الأسماء دلّ على فساده قوله: ﴿**أيُشْرِكُونَ ما لا يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ**﴾ وإن قلت في العبادة، قيل لك: أفكان آدم أشرك في عبادة الله غيره؟ قيل له: إن القول في تأويل قوله: ﴿**فَتَعالى اللّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ ليس بالذي ظننت، وإنما القول فيه: فتعالى الله عما يشرك به مشركو العرب من عبدة الأوثان. فأما الخبر عن آدم وحوّاء فقد انقضى عند قوله: ﴿**جَعَلا لَهُ شُرَكاءَ فِيما آتاهُمَا**﴾ ثم استؤنف قوله: ﴿**فَتَعالى اللّهُ عَمَّا يُشرِكُونَ**﴾. كما:

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قوله: ﴿**فَتَعالى اللّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ يقول: هذه فصل من آية آدم خاصة في آلهة العرب.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿**شُرَكاءَ**﴾ فقرأ ذلك عامة قرّاء أهل المدينة وبعض المكيين والكوفيين: «جَعَلا لَهُ شِرْكاً» بكسر الشين، بمعنى الشركة. وقرأه بعض المكيين وعامة قرّاء الكوفيين وبعض البصريين: ﴿**جَعَلا لَهُ شُرَكاءَ**﴾ بضمّ الشين، بمعنى جمع شريك.

وهذه القراءة أولى القراءتين بالصواب، لأن القراءة لو صحت بكسر الشين لوجب أن يكون الكلام: فلما آتاهما صالحاً جعلا لغيره فيه شركاً لأن آدم وحوّاء لم يَدينا بأن ولدهما من عطية إبليس ثم يجعلا لله فيه شركا لتسميتهما إياه بعبد الله، وإنما كانا يدينان لا شكّ بأن ولدهما من رزق الله وعطيته، ثم سمياه عبد الحرث، فجعلا لإبليس فيه شركاً بالاسم، فلو كانت قراءة من قرأ: «شِرْكاً» صحيحة وجب ما قلنا أن يكون الكلام: جعلا لغيره فيه شركاً، وفي نزول وحي الله بقوله: ﴿**جَعَلا لَهُ**﴾ ما يوضح عن أن الصحيح من القراءة: ﴿**شُرَكاءَ**﴾ بضم الشين على ما بينت قبل.

فإن قال قائل: فإن آدم وحوّاء إنما سميا ابنهما عبد الحرث، والحرث واحد، وقوله: ﴿شُرَكَاءَ﴾ جماعة، فكيف وصفهما جلّ ثناؤه بأنهما جعلا له شركاء، وإنما أشركا واحداً؟ قيل: قد دللنا فيما مضى على أن العرب تخرج الخبر عن الواحد مخرج الخبر عن الجماعة إذا لم تقصد واحداً بعينه ولم تسمه، كقوله: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾ وإنما كان القائل ذلك واحداً، فأخرج الخبر مخرج الخبر عن الجماعة، إذ لم يقصد قصده، وذلك مستفيض في كلام العرب وأشعارها.

وأما قوله: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ فتنزيه من الله تبارك وتعالى نفسه، وتعظيم لها عما يقول فيه المبطلون ويدعون معه من الآلهة والأوثان. كما:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ قال: هو الإنكاف، أنكف نفسه جلّ وعزّ، يقول: عظم نفسه، وأنكفته الملائكة وما سبح له.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا ابن عيينة، قال: سمعت صدقة يحدّث عن السديّ، قال: هذا من الموصول والمفصول قوله: ﴿جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾ في شأن آدم وحوّاء، ثم قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ قال: عما يشرك المشركون، ولم يعنهما.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: أيشركون في عبادة الله، فيعبدون معه ما لا يخلق شيئاً والله يخلقها وينشئها، وإنما العبادة الخالصة للخالق لا للمخلوق؟

وكان ابن زيد يقول في ذلك بما:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، قال[١]: وُلد لآدم وحوّاء ولد، فسمَّياه عبد الله، فأتاهما إبليس فقال: ما سميتما يا آدم ويا حوّاء ابنكما؟ قال: وكان وُلد لهما قبل ذلك ولد، فسمياه عبد الله، فمات فقالا: سميناه عبد الله. فقال إبليس: أتظنان أن الله تارك عبده عندكما؟ لا والله ليذهبن به كما ذهب بالآخر ولكن أدلكما على اسم يبقى لكما ما بقيتما؟ فسمياه عبد شمس قال: فذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ

---

(١) لعل لفظة قال هذه: زيادة من قلم الناسخ، وقد وقع مثلها كثيراً فيما مضى.

﴿يُخْلَقُونَ﴾ الشمس تخلق شيئاً حتى يكون لها عبد؟ إنما هي مخلوقة. وقد قال رسول الله ﷺ: «خَدَعَهُما مَرَّتَيْنِ: خَدَعَهُما فِي الجَنَّةِ، وَخَدَعَهُما فِي الأرْضِ».

وقيل: **﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾**، فأخرج مكنيهم مخرج مكنّى بني آدم، وقد قال: **﴿أيُشْرِكُونَ ما﴾** فأخرج ذكرهم بـ «ما» لا بـ «من» مخرج الخبر عن غير بني آدم، لأن الذي كانوا يعبدونه إنما كان حجراً أو خشباً أو نحاساً، أو بعض الأشياء التي يخبر عنها بـ «ما» لا بـ «من»، فقيل لذلك «ما»، ثم قيل: «وهم»، فأخرجت كنايتهم مخرج كناية بني آدم، لأن الخبر عنها بتعظيم المشركين إياها نظير الخبر عن تعظيم الناس بعضهم بعضاً.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ (١٩٢)﴾.

يقول تعالى ذكره: أيشرك هؤلاء المشركون في عبادة الله ما لا يخلق شيئاً من خلق الله، ولا يستطيع أن ينصرهم إن أراد الله بهم سوءاً أو أحلّ بهم عقوبة، ولا هو قادر إن أراد به سوءاً نصر نفسه ولا دفع ضرّ عنها، وإنما العابد يعبد ما يعبده لاجتلاب نفع منه أو لدفع ضرّ منه عن نفسه، وآلهتهم التي يعبدونها ويشركونها في عبادة الله لا تنفعهم ولا تضرّهم، بل لا تجتلب إلى نفسها نفعاً ولا تدفع عنها ضرّاً، فهي من نفع غير أنفسها أو دفع الضرّ عنها أبعد. يعجِّب تبارك وتعالى خلقه من عظيم خطإ هؤلاء الذين يشركون في عبادتهم الله غيره.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ (١٩٣)﴾.

يقول تعالى ذكره في وصفه وعيبه ما يشرك هؤلاء المشركون في عبادتهم ربهم إياه: ومن صفته أنكم أيها الناس إن تدعوهم إلى الطريق المستقيم، والأمر الصحيح السديد **﴿لا يَتَّبِعُوكُمْ﴾** لأنها ليست تعقل شيئاً، فتترك من الطرق ما كان عن القصد منعدلاً جائراً، وتركب ما كان مستقيماً سديداً. وإنما أراد الله جلّ ثناؤه بوصف آلهتهم بذلك من صفتها تنبيههم على عظيم خطئهم، وقُبح اختيارهم، يقول جلّ ثناؤه: فكيف يهديكم إلى الرشاد من إن دعي إلى الرشاد وعرفه لم يعرفه، ولم يفهم رشاداً من ضلال، وكان سواءً دعاء داعيه إلى الرشاد وسكوته، لأنه لا يفهم دعاءه، ولا يسمع صوته، ولا يعقل ما يقال له؟ يقول: فكيف يُعبد من كانت هذه صفته؟ أم كيف يشكل عظيم جهل من اتخذ ما هذه صفته إلهاً؟ وإنما الربّ المعبود هو النافع من يعبده، الضارّ من يعصيه، الناصر وليه، الخاذل عدوّه، الهادي إلى الرشاد من أطاعه، السامع دعاء من دعاه.

وقيل: **﴿سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ﴾** فعطف بقوله: «صامتون»، وهو اسم على

قوله: «أدعوتموهم»، وهو فعل ماض، ولم يقل: أم صَمَتّم، كما قال الشاعر:

سَوَاءٌ عَلَيْكَ القَفْرُ أمْ بِتَّ لَيْلَةً ... بأهْلِ القِبابِ مِنْ نُمَيْرِ بْنِ عامِرِ[(١)]

وقد ينشد: «أم أنت بائت».

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٩٤﴾.

يقول جلّ ثناؤه لهؤلاء المشركين من عبدة الأوثان موبخهم على عبادتهم ما لا يضرّهم ولا ينفعهم من الأصنام: إن الذين تدعون أيها المشركون آلهة من دون الله، وتعبدونها شركاً منكم وكفراً بالله، ﴿عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ يقول: هم أملاك لربكم، كما أنتم له مماليك. فإن كنتم صادقين أنها تضرّ وتنفع وأنها تستوجب منكم العبادة لنفعها إياكم، فليستجيبوا لدعائكم إذا دعوتموهم، فإن لم يستجيبوا لكم لأنها لا تسمع دعاءكم، فأيقنوا بأنها لا تنفع ولا تضرّ لأن الضرّ والنفع إنما يكونان ممن إذا سئل سمع مسألة سائل وأعطى وأفضل ومن إذا شُكِيَ إليه من شيء سمع فضرّ من استحقّ العقوبة ونفع من لا يستوجب الضرّ.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿أَلَهُمۡ أَرۡجُلٌ يَمۡشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَيۡدٍ يَبۡطِشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَعۡيُنٌ يُبۡصِرُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ ءَاذَانٌ يَسۡمَعُونَ بِهَاۗ قُلِ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ١٩٥﴾.

يقول تعالى ذكره لهؤلاء الذين عبدوا الأصنام من دونه معرّفهم جهل ما هم عليه مقيمون: ألأصنامكم هذه أيها القوم ﴿أرْجُلٌ يَمْشُونَ بِها﴾ فيسعون معكم ولكم في حوائجكم ويتصرّفون بها في منافعكم، ﴿أمْ لَهُمْ أيْدٍ يَبْطِشُونَ بِها﴾ فيدفعون عنكم وينصرونكم بها عند قصد من يقصدكم

---

(١) البيت من شواهد الكسائي، نقله الفراء في كتابه «**معاني القرآن**» (ص ـ ١١٦) من مصورة جامعة القاهرة. قال: وقوله «سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون»، ولم يقل: أم صمتم؛ وعلى هذا أكثر كلام العرب أن يقولوا: سواء علي أقمت أم قعدت. ويجوز: سواء علي أقمت أم أنت قاعد، قال الشاعر:

سواء عليك القفر...... البيت.

وأنشده بعضهم: أو أنت بائت. وجاز فيها (أو) لقوله: «القفر»، لأنك تقول: سواء عليك الخبر والشر. ويجوز مكان الواو «أو»، لأن المعنى جزاء كما تقول: اضربه قام أو قعد. (فأو) تذهب إلى معنى العموم، كذهاب الواو.

بشرّ ومكروه، ﴿أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِها﴾ فيعرّفوكم ما عاينوا وأبصروا مما تغيبون عنه فلا ترونه، ﴿أَمْ لَهُمْ آذانٌ يَسْمَعُونَ بِها﴾ فيخبروكم بما سمعوا دونكم مما لم تسمعوه؟ يقول جلّ ثناؤه: فإن كانت آلهتكم التي تعبدونها ليس فيها شيء من هذه الآلات التي ذكرتها، والمعظَّم من الأشياء إنما يعظَّم لما يرجى منه من المنافع التي توصل إليه بعض هذه المعاني عندكم، فما وجه عبادتكم أصنامكم التي تعبدونها، وهي خالية من كلّ هذه الأشياء التي بها يوصل إلى اجتلاب النفع ودفع الضرّ؟

وقوله: ﴿قُلِ ادْعُوا شُرَكاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ﴾ أنتم وهن، ﴿فَلا تُنْظِرُونِ﴾ يقول: فلا تؤخرون بالكيد والمكر، ولكن عجلوا بذلك. يُعلمه جلّ ثناؤه بذلك أنهم لم يضرّوه، وأنه قد عصمه منهم، ويعرّف الكفرة به عجز أوثانهم عن نصرة من بغى أولياءهم بسوء.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِنَّ وَلِيِّيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد للمشركين من عبدة الأوثان: إنّ وليي نصيري ومعيني وظهيري عليكم الله الذي نزّل الكتاب عليّ بالحقّ، وهو الذي يتولى من صلح عمله بطاعته من خلقه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾﴾.

وهذا أيضاً أمر من الله جلّ ثناؤه لنبيه أن يقوله للمشركين بقوله تعالى: قل لهم، إن الله نصيري وظهيري، والذين تدعون أنتم أيها المشركون من دون الله من الآلهة، لا يستطيعون نصركم، ولا هم مع عجزهم عن نصرتكم يقدرون على نصرة أنفسهم، فأيّ هذين أولى بالعبادة وأحقّ بالألوهة، أمن ينصر وليه ويمنع نفسه ممن أراده، أم من لا يستطيع نصر وليه ويعجز عن منع نفسه ممن أراده وبغاه بمكروه؟]

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾﴾.

يقول جلّ ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: قل للمشركين: وإن تدعوا أيها المشركون آلهتكم إلى الهدى، وهو الاستقامة إلى السداد، ﴿لا يَسْمَعُوا﴾ يقول: لا يسمعوا دعاءكم. ﴿وتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إلَيْكَ وهُمْ لا يُبْصِرُونَ﴾ وهذا خطاب من الله لنبيه ﷺ، يقول: وترى يا محمد آلهتهم ينظرون

إليك وهم لا يبصرون. ولذلك وحد، ولو كان أمر النبيّ ﷺ بخطاب المشركين لقال: وترونهم ينظرون إليكم.

وقد رُوي عن السديّ في ذلك ما:

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: **﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الهُدَى لا يَسْمَعوا وَتَراهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيكَ وَهُمْ لا يُبْصِرُونَ﴾** قال: هؤلاء المشركين.

وقد يحتمل قول السديّ هذا أن يكون أراد بقوله: هؤلاء المشركون قول الله: **﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إلى الهدَى لا يَسْمَعوا﴾**.

وقد كان مجاهد يقول في ذلك ما:

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد: **﴿وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهمْ لا يُبْصِرُونَ﴾** ما تدعوهم إلى الهدى.

وكأن مجاهداً وجه معنى الكلام إلى أن معناه: وترى المشركين ينظرون إليك وهم لا يبصرون. فهو وجه، ولكن الكلام في سياق الخبر عن الآلهة فهو بوصفها أشبه.

قال أبو جعفر: فإن قال قائل: فما معنى قوله: **﴿وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهمْ لا يُبْصِرُونَ﴾**؟ وهل يجوز أن يكون شيء ينظر إلى شيء ولا يراه؟ قيل: إن العرب تقول للشيء إذا قابل شيئاً أو حاذاه هو ينظر إلى كذا، ويقال: منزل فلان ينظر إلى منزلي إذا قابله. وحُكي عنها: إذا أتيت موضع كذا وكذا، فنظر إليك الجبل، فخذ يميناً أو شمالاً. وحدثت عن أبي عُبيد، قال: قال الكسائي: الحائط ينظر إليك إذا كان قريباً منك حيث تراه، ومنه قول الشاعر:

إذَا نَظَرَتْ بِلادَ بَنِي تَمِيم ... بِسَعْيَنٍ أوْ بِلادَ بَنِي صُباحِ[1]

يريد: تقابل نبتُها وعشبُها وتحاذَى.

(١) أراد بقوله «نظرت» معنى قابلت. يقال: تناظرت الداران: تقابلتا. ونظر إليك الجبل: قابلك. وإذا أخذت في طريق كذا فنظر إليك الجبل، فخذ عن يمينه أو يساره. وقوله تعالى: ﴿وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون﴾: ذهب أبو عبيدة إلى أنه أراد الأصنام: أي تقابلك، وليس هناك نظر، لكن لما كان النظر لا يكون إلا بمقابلة حسن، وقال: وتراهم وإن كانت لا تعقل، لأنهم يضعونها موضع من يعقل. وقال الفراء في «معاني القرآن» (ص ـ ١١٧) مصورة جامعة القاهرة وقوله «وتراهم ينظرون إليك» يريد الآلهة، إنها صور لا تبصر، ولم يقل: وتراها، لأن لها أجساماً وعيوناً. والعرب تقول للرجل القريب من الشيء: هو ينظر وهو لا يراه. والمنازل تتناظر: إذا كان بعضها بحذاء بعضه ا هـ. وقال في التاج: بنو صباح بالضم: بطون منها بطن في عبد قيس وبطن في ضبة، وبطن في غنى، وبطن في عذرة.

فمعنى الكلام: وترى يا محمد آلهة هؤلاء المشركين من عبدة الأوثان يقابلونك ويحاذونك، وهم لا يبصرونك، لأنه لا أبصار لهم. وقيل: «وتراهم»، ولم يقل: «وتراها»، لأنها صور مصوّرة على صور بني آدم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾.

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: تأويله: خذ العفوَ من أخلاق الناس، وهو الفضل وما لا يجهدهم.

ذكر من قال ذلك.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عنبسة، عن محمد بن عبد الرحمن، عن القاسم، عن مجاهد، في قوله: ﴿خذِ العَفوَ﴾ قال: من أخلاق الناس وأعمالهم بغير تحسس.

حدثنا يعقوب وابن وكيع، قالا: ثنا ابن علية، عن ليث، عن مجاهد في قوله: ﴿خذِ العَفْوَ﴾ قال: عفو أخلاق الناس، وعفو أمورهم.

حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثني ابن أبي الزناد، عن هشام بن عُرْوة، عن أبيه في قوله: ﴿خذِ العَفوَ...﴾ الآية. قال عروة: أمر الله رسوله ﷺ أن يأخذ العفو من أخلاق الناس.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن ابن الزُّبير، قال: ما أنزل الله هذه الآية إلاّ في أخلاق الناس: ﴿خذِ العَفْوَ وأمرْ بالعزفِ﴾ الآية.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا محمد بن بكر، عن ابن جريج، قال: بلغني عن مجاهد: ﴿خُذِ العَفْوَ﴾ من أخلاق الناس وأعمالهم بغير تحسس.

قال: ثنا أبو معاوية، عن هشام بن عروة، عن وهب بن كيسان، عن ابن الزبير: ﴿خُذِ العَفْوَ﴾ قال: من أخلاق الناس، والله لآخذنه منهم ما صحبتهم.

قال: ثنا عبدة بن سليمان، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن ابن الزبير، قال: إنما أنزل الله ﴿خُذِ العَفْوَ﴾ من أخلاق الناس.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن

مجاهد: ﴿خُذِ العَفْوَ﴾ قال: من أخلاق الناس وأعمالهم من غير تجسس أو تحسس، شكّ أبو عاصم.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ﴿خُذِ العَفْوَ﴾ من أموال الناس، وهو الفضل. قالوا: وأمر بذلك قبل نزول الزكاة، فلما نزلت الزكاة نسخ.

ذكر من قال ذلك.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله ﴿خُذِ العَفْوَ﴾ يعني: خذ ما عفا لك من أموالهم، وما أتوك به من شيء فخذه. فكان هذا قبل أن تنزل براءة بفرائض الصدقات وتفصيلها وما انتهت الصدقات إليه.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿خُذِ العَفْوَ﴾ أما العفو: فالفضل من المال، نسختها الزكاة.

حُدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك، يقول في قوله: ﴿خُذِ العَفْوَ﴾ يقول: خذ ما عفا من أموالهم، وهذا قبل أن تنزل الصدقة المفروضة.

وقال آخرون: بل ذلك أمر من الله نبيه ﷺ بالعفو عن المشركين وترك الغلظة عليهم قبل أن يُفرض قتالهم عليه.

ذكر من قال ذلك.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿خُذِ العَفْوَ﴾ قال: أمره فأعرض عنهم عشر سنين بمكة. قال: ثم أمره بالغلظة عليهم وأن يقعد لهم كلّ مرصد وأن يحصرهم، ثم قال: ﴿فإنْ تابُوا وأقامُوا الصَّلاةَ﴾ الآية كلها، وقرأ: ﴿يا أيُّها النَّبِيّ جاهِدِ الكُفَّارَ وَالمُنافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾. قال: وأمر المؤمنين بالغلظة عليهم، فقال: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا قاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ بعدما كان أمرهم بالعفو، وقرأ قول الله: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُونَ أيَّامَ اللّهِ﴾ ثم لم يقبل منهم بعد ذلك إلاّ الإسلام أو القتل، فنسخت هذه الآية العفو.

قال أبو جعفر: وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال: معناه: خذ العفو من أخلاق الناس، واترك الغلظة عليهم، وقال: أُمر بذلك نبيّ الله ﷺ في المشركين.

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب، لأن الله جلّ ثناؤه اتبع ذلك تعليمه نبيه ﷺ محاجته المشركين في الكلام، وذلك قوله: ﴿قُلِ ادْعُوا شُرَكاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلا تُنْظِرُونَ﴾، وعقبه بقوله:

﴿وإخْوَانُهُمْ يَمُدونَهُمْ فِي الغَيّ ثُمّ لا يُقْصِرُونَ وإذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بآيَةٍ قالُوا لَوْلا اجْتَبَيْتَها﴾ فما بين ذلك بأن يكون من تأديبه نبيه ﷺ في عشرتهم به أشبه وأولى من الاعتراض بأمره بأخذ الصدقة من المسلمين.

فإن قال قائل: أفمنسوخ ذلك؟ قيل: لا دلالة عندنا على أنه منسوخ، إذ كان جائزاً أن يكون، وإن كان الله أنزله على نبيه عليه الصلاة والسلام في تعريفه عشرةَ من لم يؤمر بقتاله من المشركين مراداً به تأديب نبيّ الله والمسلمين جميعاً في عشرة الناس وأمرهم بأخذ عفو أخلاقهم، فيكون وإن كان من أجلهم نزل تعليماً من الله خلقه صفة عشرة بعضهم بعضاً، لم يجب استعمال الغلظة والشدّة في بعضهم، فإذا وجب استعمال ذلك فيهم استعمل الواجب، فيكون قوله: ﴿خُذِ العَفْوَ﴾ أمرا بأخذه ما لم يجب غير العفو، فإذا وجب غيره أخذ الواجب وغير الواجب إذا أمكن ذلك فلا يحكم على الآية بأنها منسوخة لما قد بينا ذلك في نظائره في غير موضع من كتبنا.

وأما قوله: ﴿وأمُرْ بالعُرْفِ﴾ فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله، فقال بعضهم بما:

حدثني الحسن بن الزبرقان النخعي، قال: ثني حسين الجعفي، عن سفيان بن عيينة، عن رجل قد سماه، قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿خُذِ العَفْوَ وأمُرْ بالعُرْفِ وأعْرِضْ عَنِ الجاهِلِينَ﴾ قال رسول الله ﷺ: «يا جِبْرِيلُ ما هَذَا»﴾؟ قال: ما أدري حتى أسأل العالِم. قال: ثم قال جبريل: يا محمد إن الله يأمرك أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك.

حدثني يونس، قال: أخبرنا سفيان، عن أبيّ، قال: لما أنزل الله على نبيه ﷺ: ﴿خُذِ العَفْوَ وأمُرْ بالعُرْفِ وأعْرِضْ عَنِ الجاهِلِينَ﴾ قال النبيّ ﷺ: «ما هَذَا يا جِبْرِيلُ»﴾؟ قال: إن الله يأمرك أن تعفو عمن ظلمك، وتعطي من حرمك، وتصلَ من قطعك.

وقال آخرون بما:

حدثني محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن هشام بن عروة، عن أبيه: ﴿وأمُرْ بالعُرْفِ﴾ يقول: بالمعروف.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿وأمُرْ بالعُرْفِ﴾ قال: أما العرف: فالمعروف.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿وأمُرْ بالعُرْفِ﴾ أي بالمعروف.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله أمر نبيه ﷺ أن يأمر الناس

بالعُرْف، وهو المعروف في كلام العرب، مصدر في معنى المعروف، يقال أوليته عُرْفاً وعارفاً وعارفةً كل ذلك بمعنى المعروف. فإذا كان معنى العرف ذلك، فمن المعروف صلة رحم من قُطِع، وإعطاء من حُرِم، والعفو عمن ظَلَم. وكلّ ما أمر الله به من الأعمال أو ندب إليه فهو من العرف. ولم يخصص الله من ذلك معنى دون معنى، فالحقّ فيه أن يقال: قد أمر الله نبيه ﷺ أن يأمر عباده بالمعروف كله لا ببعض معانيه دون بعض.

وأما قوله: ﴿**وأعْرِضْ عَنِ الجاهِلِينَ**﴾ فإنه أمر من الله تعالى نبيه ﷺ أن يعرض عمن جهل. وذلك وإن كان أمراً من الله لنبيه، فإنه تأديب منه عزّ ذكره لخلقه باحتمال من ظلمهم أو اعتدى عليهم، لا بالإعراض عمن جهل الواجب عليه من حقّ الله ولا بالصفح عمن كفر بالله وجهل وحدانيته، وهو للمسلمين حَرْبٌ.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**خُذِ العَفْوَ وأْمُرْ بالعُرْفِ وأعْرِضْ عَنِ الجاهِلِينَ**﴾ قال: أخلاقٌ أمر الله بها نبيه ﷺ، ودله عليها.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾.

يعني جلّ ثناؤه بقوله: ﴿**وَإمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيطانِ نَزْغٌ**﴾ وإما يغضبنك من الشيطان غضب يصدّك عن الإعراض عن الجاهلين ويحملك على مجازاتهم. ﴿**فاسْتَعِذْ باللّهِ**﴾ يقول: فاستجر بالله من نزغه. ﴿**إنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ يقول: إن الله الذي تستعيذ به من نزغ الشيطان سميع لجهل الجاهل عليك ولاستعاذتك به من نزغه ولغير ذلك من كلام خلقه، لا يخفى عليه منه شيء، عليم بما يذهب عنك نزغ الشيطان وغير ذلك من أمور خلقه. كما:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**خُذِ العَفْوَ وأْمُرْ بالعُرْفِ وأعْرِضْ عَنِ الجاهِلِينَ**﴾ قال رسول الله ﷺ: «فَكَيْفَ بالغَضَبِ يا رَبّ»؟ قال: ﴿**وَإمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيطانِ نَزْغٌ فاسْتَعِذْ باللّهِ إنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وَإمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيطانِ نَزْغٌ فاسْتَعِذْ باللّهِ إنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ قال: علم الله أن هذا العدوّ منيع ومَريد.

وأصل النزغ: الفساد، يقول: نزغ الشيطان بين القوم إذا أفسد بينهم وحمل بعضهم على بعض، ويقال منه: نزغ ينزغ، ونغز ينغُز[1].

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الله من خلقه، فخافوا عقابه بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طائِفٌ مِنَ الشَّيطانِ تَذَكَّرُوا﴾ يقول: إذا ألمّ بهم طيف من الشيطان من غضب أو غيره مما يصدّ عن واجب حقّ الله عليهم، تذكَّروا عقاب الله وثوابه ووعده ووعيده، وأبصروا الحقّ فعملوا به، وانتهوا إلى طاعة الله فيما فرض عليهم وتركوا فيه طاعة الشيطان.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: «طَيْفٌ» فقرأته عامة قرّاء أهل المدينة والكوفة: ﴿طائِفٌ﴾ على مثال فاعل، وقرأه بعض المكيين والبصريين والكوفيين: «طَيْفٌ مِنَ الشَّيْطانِ».

واختلف أهل العلم بكلام العرب في فرق ما بين الطائف والطيف. قال بعض البصريين: الطائف والطيف سواء، وهو ما كان كالخيال والشيء يلمّ بك. قال: ويجوز أن يكون الطيف مخففاً عن طيِّف مثل ميِّت ومَيْت. وقال بعض الكوفيين: الطائف: ما طاف بك من وسوسة الشيطان، وأما الطيف: فإنما هو من اللمم والممس. وقال آخر منهم: الطيف: اللمم، والطائف: كلّ شيء طاف بالإنسان. وذُكر عن أبي عمرو بن العلاء أنه كان يقول: الطيف: الوسوسة.

قال أبو جعفر: وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأ: ﴿طائِفٌ مِنَ الشَّيطانِ﴾ لأن أهل التأويل تأوّلوا ذلك بمعنى الغضب والزلة تكون من المطيف به. وإذا كان ذلك معناه كان معلوماً إذ كان الطيف إنما هو مصدر من قول القائل: طاف يطيف، أن ذلك خبر من الله عما يمسّ الذين اتقوا من الشيطان، وإنما يمسهم ما طاف بهم من أسبابه، وذلك كالغضب والوسوسة. وإنما يطوف الشيطان بابن آدم ليستزله عن طاعة ربه أو ليوسوس له، والوسوسة والاستزلال هو الطائف من الشيطان، وأما الطيف فإنما هو الخيال، وهو مصدر من طاف يطيف، ويقول: لم أسمع في ذلك طاف يَطيف، ويتأوّله بأنه بمعنى الميت وهو من الواو. وحكى البصريون وبعض الكوفيين سماعاً من العرب: طاف يطيف، وطفت أطيف، وأنشدوا في ذلك:

أَنَّى أَلَمَّ بِكَ الخَيالُ يَطِيفُ ... ومَطافُهُ لَكَ ذِكْرَةٌ وَشُعُوفُ[1]

---

(١) في التاج: قال افراء: نغز بينهم: أغرى، وحمل بعضهم على بعض، كنزغ. قلت: ولم يضبط المضارع، وقد يفهم قوله كنزغ أنه مثله في المعنى والصيغة، فيكون من باب منع. أما إذا كان التمثيل للمعنى وحده، فإنه يجوز فيه كونه من باب نصر وكونه من باب ضرب، كما في شرح الرضي على شافية ابن الحاجب.

وأما أهل التأويل، فإنهم اختلفوا في تأويله، فقال بعضهم: ذلك الطائف هو الغضب.

ذكر من قال ذلك.

حدثنا أبو كريب وابن وكيع، قالا: ثنا ابن يمان، عن أشعث، عن جعفر، عن سعيد: إِذَا مَسَّهُمْ طائِفٌ قال: الطيف: الغضب.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عنبسة، عن محمد بن عبد الرحمن، عن القاسم بن أبي بزّة، عن مجاهد، في قوله: **﴿إِذَا مَسهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيطانِ﴾** قال: هو الغضب.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عبد الله بن رجاء، عن ابن جريج، عن عبد الله بن كثير، عن مجاهد، قال: الغضب.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: **﴿إِذَا مسَّهُمْ طَائفٌ مِنَ الشَّيطانِ تَذَكَّرُوا﴾** قال: هو الغضب.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: **﴿طائِفٌ مِنَ الشَّيطانِ﴾** قال: الغضب.

وقال آخرون: هو اللَّمة والزلة من الشيطان.

ذكر من قال ذلك.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: **﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسهُمْ طائِفٌ مِنَ الشَّيطانِ تَذَكَّرُوا﴾** الطائف: اللمة من الشيطان. **﴿فإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾**.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: **﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طائِفٌ مِنَ الشَّيطانِ﴾** يقول: نزغ من الشيطان. **﴿تَذَكَّرُوا﴾**.

---

(١) البيت في «اللسان»: طيف. قال: وطاف الخيال يطيف طيفاً ومطافاً: ألم في النوم. قال كعب بن زهير: أني ألم... البيت. قال: وأطاف: لغة. والطيف والطيف (بفتح الطاء المشددة وكسرها) الخيال نفسه. الأخيرة عن كراع. والشعوف بالضم مصدر شعفه الحب: إذا اشتد عليه. أو جمع شعف (بسكون العين)، والمصدر شعف، بفتحهما.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: **﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيطَانِ تَذَكَّرُوا﴾** يقول: إذا زلوا تابوا. .

قال أبو جعفر: وهذان التأويلان متقاربا المعنى، لأن الغضب من استزلال الشيطان. واللمة من الخطيئة أيضاً منه، وكان ذلك من طائف الشيطان. وإذ كان ذلك كذلك، فلا وجه لخصوص معنى منه دون معنى، بل الصواب أن يعُمّ كما عمه جلّ ثناؤه، فيقال: إن الذين اتقوا إذا عرض لهم عارض من أسباب الشيطان ما كان ذلك العارض، تذكروا أمر الله وانتهوا إلى أمره.

وأما قوله: **﴿فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾** فإنه يعني: فإذا هم مبصرون هدى الله وبيانه وطاعته فيه، فمنتهون عما دعاهم إليه طائف الشيطان. كما:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: **﴿فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾** يقول: إذا هم منتهون عن المعصية، آخذون بأمر الله، عاصون للشيطان.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ (٢٠٢)﴾.

يقول تعالى ذكره: وإخوان الشياطين تمدّهم الشياطين في الغيّ. يعني بقوله: **﴿يمُدّونَهُمْ﴾** يزيدونهم. **﴿ثُمَّ لا يُقْصِرُونَ﴾** عما قصر عنه الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان. وإنما هذا خبر من الله عن فريقي الإيمان والكفر، بأن فريق الإيمان وأهل تقوى الله إذا استزلهم الشيطان تذكروا عظمة الله وعقابه، فكفتهم رهبته عن معاصيه وردتهم إلى التوبة والإنابة إلى الله مما كان منهم من زلة، وأن فريق الكافرين يزيدهم الشيطان غيّاً إلى غيهم إذا ركبوا معصية من معاصي الله، ولا يحجزُهم تقوى الله ولا خوف المعاد إليه عن التمادي فيها والزيادة منها، فهو أبداً في زيادة من ركوب الإثم، والشيطان يزيده أبداً، لا يُقصر الإنسيّ عن شيء من ركوب الفواحش ولا الشيطان من مدّه منه. كما:

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس: **﴿وإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الغَيِّ ثُمَّ لا يُقْصِرُونَ﴾** قال: لا الإنس يقصرون عما يعملون من السيئات، ولا الشياطين تمسك عنهم.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: **﴿وإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الغَيّ ثُم لا يُقْصِرُونَ﴾** يقول: هم الجنّ يوحون إلى أوليائهم من الإنس، ثم لا يقصرون، يقول: لا يسأمون.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: **﴿وإخوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الغَيّ﴾** إخوان الشياطين من المشركين، يمدّهم الشيطان في الغيّ. **﴿ثُمَّ لا يُقْصِرُونَ﴾**.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جريج، قال عبد الله بن كثير: وإخوانهم من الجنّ، يمدّون إخوانهم من الإنس، ثم لا يقصرون، ثم يقول لا يقصر الإنسانُ. قال: والمدّ الزيادة، يعني: أهل الشرك، يقول: لا يقصر أهل الشرك، كما يقصر الذين اتقوا لأنهم لا يحجزهم الإيمان. قال ابن جريج، قال مجاهد **﴿وإخْوَانُهُمْ﴾** من الشياطين **﴿يَمُدُّونَهُمْ فِي الغَيّ ثُمَّ لا يُقْصِرُونَ﴾** استجهالاً يمدّون أهل الشرك. قال ابن جريج: **﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الجِنّ وَالإنْسِ﴾** قال: فهؤلاء الإنس. يقول الله: **﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الغَيّ﴾**.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثني محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: **﴿وإخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الغَيّ ثُمَّ لا يُقْصِرُونَ﴾** قال: إخوان الشياطين يمدّهم الشياطين في الغيّ ثم لا يقصرون.

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: **﴿وإخْوَانُهُمْ﴾** من الشياطين. **﴿يَمُدُّونَهُمْ فِي الغَيّ﴾** استجهالاً.

وكان بعضهم يتأوّل قوله: **﴿ثُمَّ لا يُقْصِرُونَ﴾** بمعنى: ولا الشياطين يُقْصِرون في مدّهم إخوانهم من الغيّ.

ذكر من قال ذلك.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿وإخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الغَيّ ثُمَّ لا يُقْصِرُونَ﴾** عنهم، ولا يرحمونهم.

قال أبو جعفر: وقد بيَّنا أولى التأويلين عندنا بالصواب، وإنما اخترنا ما اخترنا من القول في ذلك على ما بيَّناه لأن الله وصف في الآية قبلها أهل الإيمان به وارتداعهم عن معصيته وما يكرهه إلى محبته عند تذكرهم عظمته، ثم أتبع ذلك الخبر عن إخوان الشياطين وركوبهم معاصيه، وكان الأولى وصفهم بتماديهم فيها، إذ كان عقيب الخبر عن تقصير المؤمنين عنها.

وأما قوله: **﴿يَمُدُّونَهُمْ﴾** فإن القرّاء اختلفت في قراءته، فقرأه بعض المدنيين: «يُمِدُّونَهُمْ» بضم الياء من أمددت. وقرأته عامة قرّاء الكوفيين والبصريين: **﴿يَمُدُّونَهُمْ﴾** بفتح الياء من مددت.

قال أبو جعفر: والصواب من القراءة في ذلك عندنا: **﴿يَمُدُّونَهُمْ﴾** بفتح الياء، لأن الذي

يمدّ الشياطينُ إخوانهم من المشركين إنما هو زيادة من جنس الممدود، وإذا كان الذي مدّ من جنس الممدود كان كلام العرب مددت لا أمددت.

وأما قوله: ﴿يُقْصِرُونَ﴾ فإن القرّاء على لغة من قال: أَقْصرت أُقصِر، وللعرب فيه لغتان: قَصَرْت عن الشيء، وأَقْصَرْت عنه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَّبِّي ۚ هَٰذَا بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٢٠٣)﴾.

يقول تعالى ذكره: وإذا لم تأت يا محمد هؤلاء المشركين بآية من الله **﴿قالُوا لَوْلا اجْتَبَيْتَها﴾** يقول: قالوا هلاّ اخترتها واصطفيتها، من قول الله تعالى: **﴿وَلَكِنَّ اللّهَ يَجْتَبي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشاءُ﴾** يعني: يختار ويصطفي. وقد بيَّنا ذلك في مواضعه بشواهده.

ثم اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معناه: هلا افتعلتها من قِبَل نفسك واختلقتها بمعنى: هلاّ اجتبيتها اختلافاً كما تقول العرب: لقد اختار فلان هذا الأمر وتخيره اختلافاً.

ذكر من قال ذلك.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بآيَةٍ قالُوا لَوْلا اجْتَبَيْتَها﴾** أي لولا أتيتنا بها من قبل نفسك هذا قول كفار قريش.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عبد الله بن كثير، عن مجاهد، قوله: **﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بآيَةٍ قالُوا لَوْلا اجْتَبَيْتَها﴾** قالوا: لولا اقتضبتها قالوا: تخرجها من نفسك.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: **﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بآيَةٍ قالُوا لَوْلا اجْتَبَيْتَها﴾** قالوا: لولا تقوّلتها، جئت بها من عندك.

حدثني المثنى، قال: ثني عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: **﴿لَوْلا اجْتَبَيْتَها﴾** يقول: لولا تلقَّيتها. وقال مرّة أخرى: لولا أحدثتها فأنشأتها.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: **﴿قالُوا لَوْلا اجْتَبَيْتَها﴾** يقول: لولا أحدثتها.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، قوله: **﴿لَوْلا اجْتَبَيْتَها﴾** قال: لولا جئت بها من نفسك.

وقال آخرون: معنى ذلك: هلاّ أخذتها من ربك وتقبلتها منه

ذكر من قال ذلك.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: **﴿لَوْلا اجْتَبَيْتَها﴾** يقول: لولا تقبلتها من الله.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: **﴿لَوْلا اجْتَبَيْتَها﴾** يقول: لولا تلقيتها من ربك.

حُدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ، قال: ثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: **﴿لَوْلا اجْتَبَيْتَها﴾** يقول: لولا أخذتها أنت فجئت بها من السماء.

قال أبو جعفر: وأولى التأويلين بالصواب في ذلك، تأويل من قال تأويله: هلاّ أحدثتها من نفسك لدلالة قول الله: **﴿قُلْ إنَّمَا أتَّبِعُ ما يُوحَى إلَيَّ مِنْ رَبّي هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ﴾** يبين ذلك أن الله إنما أمر نبيه ﷺ بأن يجيبهم بالخبر عن نفسه أنه إنما يتبع ما ينزل عليه ربه ويوحيه إليه، لا أنه يحدث من قِبَل نفسه قولاً وينشئه فيدعو الناس إليه.

وحُكي عن الفراء أنه كان يقول: اجتبيت الكلام واختلقته وارتجلته: إذا افتعلته من قِبَل نفسك.

حدثني بذلك الحرث، قال: ثنا القاسم عنه.

قال: أبو عبيد، وكان أبو زيد يقول: إنما تقول العرب ذلك للكلام يبديه الرجل لم يكن أعدّه قبل ذلك في نفسه. قال أبو عبيد: واخترعه مثل ذلك.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلْ إنَّمَا أتَّبِعُ ما يُوحَى إلَيَّ مِنْ رَبّي هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُم وَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يؤْمِنُونَ﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد للقائلين لك إذا لم تأتهم بآية هلاّ أحدثتها من قِبَل نفسك: إن ذلك ليس لي ولا يجوز لي فعله لأن الله إنما أمرني باتباع ما يوحى إليّ من عنده، فإنما أتبع ما يوحى إليّ من ربي لأني عبده وإلى أمره أنتهي وإياه أطيع. **﴿هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ﴾** يقول: هذا القرآن والوحي الذي أتلوه عليكم بصائر من ربكم، يقول: حجج عليكم، وبيان لكم من ربكم، واحدتها: بصيرة، كما قال جلّ ثناؤه: **﴿هَذَا بَصَائِرُ للنَّاسِ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾**. وإنما ذكر هذا ووحّد في قوله: **﴿هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ﴾** لما وصفت من أنه مراد

به القرآن والوحي. وقوله: ﴿وَهُدَىً﴾ يقول: وبيان يهدي المؤمنين إلى الطريق المستقيم، ورحمة رحم الله به عباده المؤمنين، فأنقذهم به من الضلالة والهلكة. ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ يقول: هو بصائر من الله وهدى ورحمة لمن آمن، يقول: لمن صدق بالقرآن أنه تنزيلُ الله ووحيه، وعمل بما فيه دون من كذب به وجحده وكفربه، بل هو على الذين لا يؤمنون به غمّ وخزي.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٢٠٤)﴾.

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به المصدّقين بكتابه الذين القرآن لهم هدى ورحمة: ﴿إِذَا قُرِىءَ﴾ عليكم أيها المؤمنون، ﴿القُرآنُ فاسْتَمِعُوا لَهُ﴾ يقول: أصغوا له سمعكم لتتفهَّموا آياته وتعتبروا بمواعظه وأنصتوا إليه لتعقلوه وتتدبروه، ولا تلغوا فيه فلا تعقلوه. ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ يقول: ليرحمكم ربكم باتعاظكم بمواعظه، واعتباركم بعبره، واستعمالكم ما بينه لكم ربكم من فرائضه في آية.

ثم اختلف أهل التأويل في الحال التي أمر الله بالاستماع لقارىء القرآن إذا قرأ والإنصات له، فقال بعضهم: ذلك حال كون المصلي في الصلاة خلف إمام يأتمّ به، وهو يسمع قراءة الإمام عليه أن يسمع لقراءته. وقالوا: في ذلك أنزلت هذه الآية.

ذكر من قال ذلك.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا أبو بكر بن عياش، عن عاصم، عن المسيب بن رافع، قال: كان عبد الله يقول: كنا يسلم بعضنا على بعض في الصلاة، سلام على فلان، وسلام على فلان، قال: فجاء القرآن: ﴿وَإِذَا قُرِىءَ القرآنُ فاسْتَمِعُوا لَهُ وأَنْصِتُوا﴾.

قال: ثنا حفص بن غياث، عن إبراهيم الهَجَريّ عن أبي عياض، عن أبي هريرة، قال: كانوا يتكلمون في الصلاة، فلما نزلت هذه الآية: ﴿وَإِذَا قُرِىءَ القُرآنُ﴾ والآية الأخرى، أُمروا بالإنصات.

حدثني أبو السائب، قال: ثنا حفص، عن أشعث، عن الزهري، قال: نزلت هذه الآية في فتى من الأنصار كان رسول الله ﷺ كلما قرأ شيئاً قرأه، فنزلت: ﴿وَإِذَا قُرِىءَ القُرآنُ فاسْتَمِعُوا لَهُ وأَنْصِتُوا﴾.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا المحاربي، عن داود بن أبي هند، عن بشير بن جابر، قال: صلى ابن مسعود، فسمع ناساً يقرأون مع الإمام، فلما انصرف، قال: أما آن لكم أن تفقهوا؟ أما آن لكم أن تعقلوا؟ ﴿وَإِذَا قُرِىءَ القُرآنُ فاسْتَمِعُوا لَهُ وأَنْصِتُوا﴾ كما أمركم الله.

حدثنا حميد بن مسعدة، قال: ثنا بشر بن المفضل، قال: ثنا الجريري، عن طلحة بن عبيد الله بن كريز، قال: رأيت عبيد بن عمير وعطاء بن أبي رباح يتحدثان والقاصّ يقصّ، فقلت: ألا تستمعان إلى الذكر وتستوجبان الموعود؟ قال: فنظرا إليّ ثم أقبلا على حديثهما. قال: فأعدت فنظرا إليّ، ثم أقبلا على حديثهما، قال: فأعدت الثالثة، قال: فنظرا إليّ فقالا: إنما ذلك في الصلاة: ﴿**وَإِذَا قُرِىءَ القُرآنُ فاسْتَمِعُوا لَهُ وأنْصِتُوا**﴾.

حدثني العباس بن الوليد، قال: أخبرني أبي، قال: سمعت الأوزاعي، قال: ثنا عبد الله بن عامر قال: ثني زيد بن أسلم، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن هذه الآية: ﴿**وَإِذَا قُرِىءَ القُرآنُ فاسْتَمِعُوا لَهُ وأنْصِتُوا**﴾ قال: نزلت في رفع الأصوات وهم خلف رسول الله ﷺ في الصلاة.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن أبي هاشم إسماعيل بن كثير، عن مجاهد في قوله: ﴿**وَإِذَا قُرِىءَ القُرآنُ فاسْتَمِعُوا لَهُ وأنْصِتُوا**﴾ قال: في الصلاة.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن رجل، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب: ﴿**وَإِذَا قُرِىءَ القُرآنُ فاسْتَمِعُوا لَهُ وأنْصِتُوا**﴾ قال: في الصلاة.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن إدريس، قال: ثنا ليث، عن مجاهد: ﴿**وَإِذَا قُرِىءَ القُرآنُ فاسْتَمِعُوا لَهُ وأنْصِتُوا**﴾ قال: في الصلاة.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، قال: سمعت حميداً الأعرج، قال: سمعت مجاهداً يقول في هذه الآية: ﴿**وَإِذَا قُرِىءَ القُرآنُ فاسْتَمِعُوا لَهُ وأنْصِتُوا**﴾ قال: في الصلاة.

قال: ثني عبد الصمد، قال: ثنا شعبة، قال: ثنا حميد، عن مجاهد بمثله.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا جرير وابن إدريس، عن ليث، عن مجاهد: ﴿**وَإِذَا قُرِىءَ القُرآنُ فاسْتَمِعُوا لَهُ وأنْصِتُوا**﴾ قال: في الصلاة المكتوبة.

قال: ثنا المحاربي، عن ليث، عن مجاهد، وعن حجاج، عن القاسم بن أبي بزة، عن مجاهد، وعن ابن أبي ليلى، عن الحكم، عن سعيد بن جبير: ﴿**وَإِذَا قُرِىءَ القُرآنُ فاسْتَمِعُوا لَهُ وأنْصِتُوا**﴾ قال: في الصلاة المكتوبة.

قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن أبي هاشم، عن مجاهد: في الصلاة المكتوبة.

قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن ليث، عن مجاهد، مثله.

قال: ثنا المحاربي وأبو خالد، عن جويبر، عن الضحاك قال: في الصلاة المكتوبة.

قال: ثنا جرير وابن فضيل، عن مغيرة، عن إبراهيم، قال: في الصلاة المكتوبة.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿وَإِذَا قُرِىءَ القُرآنُ فاسْتَمِعُوا لَهُ وأَنْصِتُوا﴾** قال: كانوا يتكلمون في صلاتهم بحوائجهم أوّل ما فرضت عليهم، فأنزل الله ما تسمعون: **﴿وَإِذَا قُرِىءَ القُرآنُ فاسْتَمِعُوا لَهُ وأَنْصِتُوا﴾**.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: **﴿وَإِذَا قُرِىءَ القُرآنُ فاسْتَمِعُوا لَهُ وأَنْصِتُوا﴾** قال: كان الرجل يأتي وهم في الصلاة فيسألهم: كم صليتم؟ كم بقي؟ فأنزل الله: **﴿وَإِذَا قُرِىءَ القُرآنُ فاسْتَمِعُوا لَهُ وأَنْصِتُوا﴾**. وقال غيره: كانوا يرفعون أصواتهم في الصلاة حين يسمعون ذكر الجنة والنار، فأنزل الله: **﴿وَإِذَا قُرِىءَ القُرآنُ﴾**.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبو خالد والمحاربي، عن أشعث، عن الزهريّ، قال: كان النبيّ ﷺ يقرأ ورجل يقرأ، فنزلت: **﴿وَإِذَا قُرِىءَ القُرآنُ فاسْتَمِعُوا لَهُ وأَنْصِتُوا﴾**.

قال: ثنا أبو خالد الأحمر، عن الهَجَريّ عن أبي عياض، عن أبي هريرة، قال: كانوا يتكلمون في الصلاة، فلما نزلت: **﴿وَإِذَا قُرِىءَ القُرآنُ فاسْتَمِعُوا لَهُ وأَنْصِتُوا﴾** قال: هذا في الصلاة.

قال: ثنا أبي، عن حريث، عن عامر، قال: في الصلاة المكتوبة.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: **﴿وَإِذَا قُرِىءَ القُرآنُ فاسْتَمِعُوا لَهُ وأَنْصِتُوا﴾** قال: إذا قرىء في الصلاة.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثنا معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: **﴿وَإِذَا قُرِىءَ القُرآنُ فاسْتَمِعُوا لَهُ﴾** يعني: في الصلاة المفروضة.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوريّ، عن أبي هاشم، عن مجاهد قال: هذا في الصلاة في قوله: **﴿وَإِذَا قُرِىءَ القُرآنُ فاسْتَمِعُوا لَهُ﴾**.

قال: أخبرنا الثوريّ، عن ليث، عن مجاهد: أنه كره إذا مرّ الإمام بآية خوف أو بآية رحمة أن يقول أحد ممن خلفه شيئاً، قال: السكوت.

قال: أخبرنا الثوري، عن ليث، عن مجاهد: قال: لا بأس إذا قرأ الرجل في غير الصلاة أن يتكلم.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾** قال: هذا إذا قام الإمام للصلاة فاستمعوا له وأنصتوا.

حدثني المثنى، قال: ثنا سويد، قال: أخبرنا ابن المبارك، عن يونس، عن الزهريّ، قال: لا يقرأ من وراء الإمام فيما يجهر به من القراءة، تكفيهم قراءة الإمام وإن لم يسمعهم صوته، ولكنهم يقرأون فيما لم يجهر به سرّاً في نفسهم، ولا يصلح لأحد خلفه أن يقرأ معه فيما يجهر به سرّاً ولا علانية، قال الله: **﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾**.

حدثني المثنى، قال: ثنا سويد، قال: أخبرنا ابن المبارك، عن ابن لهيعة، عن ابن هبيرة، عن ابن عباس أنه كان يقول في هذه: **﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً﴾** هذا في المكتوبة. وأما ما كان من قصص أو قراءة بعد ذلك، فإنما هي نافلة. إن نبيّ الله ﷺ قرأ في صلاة مكتوبة، وقرأ وراءه أصحابه، فخلطوا عليه، قال: فنزل القرآن: **﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾** فهذا في المكتوبة.

وقال آخرون: بل عُني بهذه الآية الأمر بالإنصات للإمام في الخطبة إذا قرىء القرآن في خطبة.

ذكر من قال ذلك.

حدثنا تميم بن المنتصر، قال: ثنا إسحاق الأزرق، عن شريك، عن سعيد بن مسروق، عن مجاهد، في قوله: **﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾** قال: الإنصات للإمام يوم الجمعة.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبو خالد وابن أبي عتبة، عن العوّام، عن مجاهد، قال: في خطبة يوم الجمعة.

وقال آخرون: عُني بذلك: الإنصات في الصلاة وفي الخطبة.

ذكر من قال ذلك.

حدثني ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن منصور، قال: سمعت إبراهيم بن أبي حمزة، يحدث أنه سمع مجاهداً يقول في هذه الآية: **﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾** قال: في الصلاة، والخطبة يوم الجمعة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا هارون، عن عنبسة، عن جابر، عن عطاء، قال: وجب الصموت في اثنتين: عند الرجل يقرأ القرآن وهو يصلي، وعند الإمام وهو يخطب.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن جابر، عن مجاهد: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ﴾ وجب الإنصات، قال: وجب في اثنتين: في الصلاة والإمام يقرأ، والجمعة والإمام يخطب.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال هشيم، أخبرنا من سمع الحسن يقول: في الصلاة المكتوبة، وعند الذكر.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوري، عن جابر، عن مجاهد، قال: وجب الإنصات في اثنتين: في الصلاة، ويوم الجمعة.

حدثني المثنى، قال: ثنا سويد، قال: أخبرنا ابن المبارك، عن بقية بن الوليد، قال: سمعت ثابت بن عجلان يقول: سمعت سعيد بن جبير يقول في قوله: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾ قال: الإنصات: يوم الأضحى، ويوم الفطر، ويوم الجمعة، وفيما يجهر به الإمام من الصلاة.

حدثني المثنى، قال: ثنا عمرو بن حماد، قال: أخبرنا هشيم، عن الربيع بن صبيح، عن الحسن، قال: في الصلاة، وعند الذكر.

حدثنا ابن البرقي، قال: ثنا ابن أبي مريم، قال: ثنا يحيى بن أيوب، قال: ثني ابن جريج، عن عطاء بن أبي رباح، قال: أوجب الإنصات يوم الجمعة، قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ وفي الصلاة مثل ذلك.

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: أمروا باستماع القرآن في الصلاة إذا قرأ الإمام وكان من خلفه ممن يأتمّ به يسمعه، وفي الخطبة.

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب، لصحة الخبر عن رسول الله ﷺ، أنه قال: «إِذَا قَرأَ الإمامُ فأَنْصِتوا»، وإجماع الجميع على أن من سمع خطبة الإمام ممن عليه الجمعة، الاستماع والإنصات لها، مع تتابع الأخبار بالأمر بذلك، عن رسول الله ﷺ، وأنه لا وقت يجب على أحد استماع القرآن والإنصات لسامعه من قارئه إلاّ في هاتين الحالتين على اختلاف في إحداهما، وهي حالة أن يكون خلف إمام مؤتمّ به. وقد صحّ الخبر عن رسول الله ﷺ بما ذكرنا من قوله: «إِذَا قَرأَ الإمامُ فأَنْصِتُوا» فالإنصات خلفه لقراءته واجب على من كان به مؤتماً سامعاً قراءته بعموم ظاهر القرآن والخبر عن رسول الله ﷺ.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: واذكر أيها المستمع المنصت للقرآن إذا قرىء في صلاة أو خطبة، ﴿رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾ يقول: اتعظ بما في آي القرآن، واعتبر به، وتذكَّر معادك إليه عند سماعكه. ﴿تَضَرُّعاً﴾ يقول: افعل ذلك تخشعاً لله وتواضعاً له. ﴿وَخِيفَةً﴾ يقول: وخوفاً من الله أن يعاقبك على تقصير يكون منك في الاتعاظ به والاعتبار، وغفلة عما بين الله فيه من حدوده. ﴿ودُونَ الجَهْرِ مِنَ القَوْلِ﴾ يقول: ودعاء باللسان لله في خفاء لا جهار، يقول: ليكن ذكر الله عند استماعك القرآن في دعاء إن دعوت غير جهار، ولكن في خفاء من القول. كما:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَاذْكرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الجَهْرِ مِنَ القَوْلِ﴾ لا يجهر بذلك.

حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا أبو سعد، قال: سمعت مجاهداً يقول في قوله: ﴿وَاذْكرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعا وَخِيفَةً وَدُونَ الجَهْرِ مِنَ القَوْلِ...﴾ الآية، قال: أمروا أن يذكروه في الصدور تضرّعاً وخيفة.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا ابن التيمي، عن أبيه، عن حيان بن عمير، عن عبيد بن عمير، في قوله: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾ قال: «يقول الله إذا ذكرني عبدي في نفسه، ذكرته في نفسي، وإذا ذكرني عبدي وحده ذكرته وحدي، وإذا ذكرني في ملإ ذكرته في أحسن منهم وأكرم».

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قوله: ﴿واذْكرْ ربَّك في نَفْسِك تَضَرُّعاً وخِيفَةً﴾ قال: يؤمر بالتضرّع في الدعاء والاستكانة، ويكره رفع الصوت والنداء والصياح بالدعاء.

وأما قوله: ﴿بالغدُوّ والآصالِ﴾ فإنه يعني بالبكر والعشيات. وأما الآصال فجمع.

واختلف أهل العربية فيها فقال بعضهم: هي جمع أصيل، كما الأيمان جمع يمين، والأسرار جمع سرير. وقال آخرون منهم: هي جمع أصل، والأصل جمع أصيل. وقال آخرون منهم: هي جمع أصل وأصيل. قال: وإن شئت جعلت الأصل جمعاً للأصيل، وإن شئت جعلته واحداً. قال: والعرب تقول: قد دنا الأصل فيجعلونه واحداً.

وهذا القول أولى بالصواب في ذلك، وهو أنه جائز أن يكون جمع أصيل وأصل، لأنهما قد يجمعان على أفعال. وأما الآصال فهي فيما يقال في كلام العرب ما بين العصر إلى المغرب.

وأما قوله: ﴿ولا تَكُنْ مِن الغافِلِين﴾ فإنه يقول: ولا تكن من اللاهين إذا قرىء القرآن عن عظاته وعبره، وما فيه من عجائبه، ولكن تدبر ذلك وتفهَّمه، وأشعره قلبك بذكر الله وخضوع له وخوف من قدرة الله عليك، إن أنت غفلت عن ذلك.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿بالغُدُوّ والآصالِ﴾ قال: بالبكر والعشيّ. ﴿ولا تَكُنْ مِن الغافِلِين﴾.

حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا معرّف بن واصل السعديّ، قال: سمعت أبا وائل يقول لغلامه عند مغيب الشمس: آصَلْنا بَعْدُ؟

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جريج، قال مجاهد، قوله: ﴿بالغدُوّ والآصالِ﴾ قال: الغدوّ: آخر الفجر صلاة الصبح، والآصال: آخر العشيّ صلاة العصر. قال: وكل ذلك لها وقت أوّل الفجر وآخره، وذلك مثل قوله في سورة آل عمران: واذْكُرْ ربَّك كَثِيراً وَسبِّحْ بالعَشِيّ والإبْكارِ. وقيل: العشيّ: ميل الشمس إلى أن تغيب، والإبكار: أول الفجر.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن محمد بن شريك، عن ابن أبي مليكة، عن ابن عباس، سئل عن صلاة الفجر، فقال: إنها لفي كتاب الله، ولا يقوم عليها[1]، ثم قرأ: ﴿في بُيُوتٍ أذِنَ اللّهُ أنْ تُرْفَعَ...﴾ الآية.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سويد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرّعا وَخِيفَةً...﴾ إلى قوله: ﴿بالغُدُوّ والآصَالِ﴾ أمر الله بذكره، ونهى عن الغفلة. أما بالغدوّ: فصلاة الصبح، والآصال: بالعشيّ.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ (٢٠٦)﴾.

يقول تعالى ذكره: لا تستكبر أيها المستمع المنصت للقرآن عن عبادة ربك، واذكره إذا

---

(١) قوله ولا يقوم عليها: كذا بالأصل، ولعل الساقط: إلا مؤمن، أو نحو ذلك. وحرر الرواية.

قرىء القرآن تضرّعاً وخيفة ودون الجهر من القول، فإن الذين عند ربك من ملائكته لا يستكبرون عن التواضع له والتخشع، وذلك هو العبادة. ﴿ويُسَبّحُونَهُ﴾ يقول: ويعظمون ربهم بتواضعهم له وعبادتهم. ﴿وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ يقول: ولله يصلون، وهو سجودهم، فصلوا أنتم أيضاً له، وعظموه بالعبادة كما يفعله مَن عنده من ملائكته.

٨ ـ سورة الأنفال مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

القول في تفسير السورة التي يذكر فيها الأنفال

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾﴾.

اختلف أهل التأويل في معنى الأنفال التي ذكرها الله في هذا الموضع، فقال بعضهم: هي الغنائم، وقالوا: معنى الكلام: يسألك أصحابك يا محمد عن الغنائم التي غنمتها أنت وأصحابك يوم بدر لمن هي، فقل هي لله ولرسوله.

ذكر من قال ذلك.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا وكيع، قال: ثنا سويد بن عمرو، عن حماد بن زيد، عن عكرمة: **﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الأنفالِ﴾** قال: الأنفال: الغنائم.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: **﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الأنفالِ﴾** قال: الأنفال: الغنائم.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: الأنفال: المغنم.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبو خالد الأحمر، عن جويبر، عن الضحاك: **﴿يَسْألُونَكَ عَنِ الأنفالِ﴾** قال: الغنائم.

حُدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: **﴿الأنفال﴾** قال: يعني الغنائم.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: **﴿يَسْألُونَكَ عَنِ الأنفالِ﴾** قال: الأنفال: الغنائم.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ**﴾ الأنفال: الغنائم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، في قوله: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ**﴾ قال: الأنفال: الغنائم.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: الأنفال: الغنائم.

حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا ابن المبارك، عن ابن جريج، عن عطاء: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ**﴾ قال: الغنائم.

وقال آخرون: هي أنفال السرايا.

ذكر من قال ذلك.

حدثني الحارث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا عليّ بن صالح بن حيّ، قال: بلغني في قوله: ﴿**يَسأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ**﴾ قال: السرايا.

وقال آخرون: الأنفال ما شذّ من المشركين إلى المسلمين من عبد أو دابّة وما أشبه ذلك.

ذكر من قال ذلك.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا جابر بن نوح، عن عبد الملك، عن عطاء، في قوله: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ قُلِ الأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ**﴾ قال: هو ما شذّ من المشركين إلى المسلمين بغير قتال دابّة أو عبد أو متاع، ذلك للنبيّ ﷺ يصنع فيه ما شاء.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن نمير، عن عبد الملك، عن عطاء: ﴿**يَسألُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ**﴾ قال: هي ما شذّ من المشركين إلى المسلمين بغير قتال من عبد أو أمة أو متاع أو نفل، فهو للنبيّ ﷺ يصنع فيه ما شاء.

قال: ثنا عبد الأعلى، عن معمر، عن الزهري، أن ابن عباس سئل عن الأنفال، فقال: السلَب والفرس.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، ويقال: الأنفال: ما أخذ مما سقط من المتاع بعدما تقسم الغنائم، فهي نفل لله ولرسوله.

حدثني القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جريج: أخبرني

عثمان بن أبي سليمان، عن محمد بن شهاب أن رجلاً قال لابن عباس: ما الأنفال؟ قال: الفرس والدرع والرمح.

حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا عبد الوارث بن سعيد، قال: قال ابن جريج، قال عطاء: الأنفال: الفرس الشاذّ، والدرع، والثوب.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن الزهريّ، عن ابن عباس، قال: كان ينفّل الرجل فرس الرجل وسلبه.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني مالك بن أنس، عن ابن شهاب، عن القاسم بن محمد، قال: سمعت رجلاً سأل ابن عباس عن الأنفال، فقال ابن عباس: الفرس من النفل، والسّلب من النفل. ثم عاد لمسألته، فقال ابن عباس ذلك أيضاً، ثم قال الرجل: الأنفال التي قال الله في كتابه ما هي؟ قال القاسم: فلم يزل يسأله حتى كاد يحرجه، فقال ابن عباس: أتدرون ما مثل هذا؟ مثل صَبِيغ[1] الذي ضربه عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن الزهريّ، عن القاسم بن محمد، قال: قال ابن عباس: كان عمر رضي الله عنه إذا سئل عن شيء قال: لا آمرك ولا أنهاك. ثم قال ابن عباس: والله ما بعث الله نبيه عليه السلام إلاّ زاجراً آمراً محللاً محرّماً. قال القاسم: فسلط على ابن عباس رجل يسأله عن الأنفال، فقال ابن عباس: كان الرجل ينفّل فرس الرجل وسلاحه. فأعاد عليه الرجل، فقال له مثل ذلك، ثم أعاد عليه حتى أغضبه، فقال ابن عباس: أتدرون ما مثل هذا؟ مثل صبيغ الذي ضربه عمر حتى سالت الدماء على عقبيه، أو على رجليه، فقال الرجل: أما أنت فقد انتقم الله لعمر منك.

حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا ابن المبارك، عن عبد الملك، عن عطاء: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ﴾ قال: يسألونك فيما شذّ من المشركين إلى المسلمين في غير قتال من دابّة أو عبد، فهو نفل للنبيّ ﷺ.

وقال آخرون: النفل: الخمس الذي جعله الله لأهل الخمس.

ذكر من قال ذلك.

حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا عبد الوارث بن سعيد، عن ابن أبي

(١) هو صبيغ كأمير بن شريك بن المنذر بن يربوع التميمي، كان يعنت الناس بالغوامض والسؤالات من متشابه القرآن، فنفاه عمر إلى البصرة.

نجيح، عن مجاهد: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفالِ﴾ قال: هو الخمس. قال المهاجرون: لم يرفع عنا هذا الخمس؟ لم يخرج منا؟ فقال الله: هو لله والرسول.

حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا عباد بن العوّام، عن الحجاج، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: أنهم سألوا النبيّ ﷺ عن الخمس بعد الأربعة الأخماس، فنزلت: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفالِ﴾.

قال أبو جعفر: وأولى هذه الأقوال بالصواب في معنى الأنفال قول من قال: هي زيادات يزيدها الإمام بعض الجيش أو جميعهم إما من سلبه على حقوقهم من القسمة، وإما مما وصل إليه بالنفل، أو ببعض أسبابه، ترغيباً له وتحريضاً لمن معه من جيشه على ما فيه صلاحهم وصلاح المسلمين، أو صلاح أحد الفريقين. وقد يدخل في ذلك ما قال ابن عباس من أنه الفرس والدرع ونحو ذلك، ويدخل فيه ما قاله عطاء من أن ذلك ما عاد من المشركين إلى المسلمين من عبد أو فرس لأن ذلك أمره إلى الإمام إذا لم يكن ما وصلوا إليه لغلبة وقهر، يفعل ما فيه صلاح أهل الإسلام، وقد يدخل فيه ما غلب عليه الجيش بقهر.

وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال بالصواب، لأن النَّفَل في كلام العرب إنما هو الزيادة على الشيء، يقال منه: نفلتك كذا، وأنفلتك: إذا زدتك، والأنفال: جمع نَفَل ومنه قول لبيد بن ربيعة:

إنَّ تَقْوَى رَبِّنا خَيْرُ نَفَلْ وَبِإذْنِ اللَّهِ رَيْثي وَعَجَلْ[1]

فإذ كان معناه ما ذكرنا، فكلّ من زيد من مقاتلة الجيش على سهمه من الغنيمة، إن كان ذلك لبلاء أبلاه أو لغناء كان منه عن المسلمين، بتنفيل الوالي ذلك إياه، فيصير حكم ذلك له كالسلب الذي يسلبه القاتل، فهو منفل ما زيد من ذلك لأن الزيادة وإن كانت مستوجبة في بعض الأحوال بحقّ، فليست من الغنيمة التي تقع فيها القسمة، وكذلك كلّ ما رضخ لمن لا سهم له في الغنيمة فهو نفل، لأنه وإن كان مغلوباً عليه فليس مما وقعت عليه القسمة. فالفصل إذ كان الأمر على ما وصفنا بين الغنيمة والنفل، أن الغنيمة هي ما أفاء الله على المسلمين من أموال المشركين بغلبة وقهر نفل منه منفل أو لم ينفل والنفَل: هو ما أعطيه الرجل على البلاء والغناء عن الجيش على غير قسمة. وإذ كان ذلك معنى النفل، فتأويل الكلام: يسألك أصحابك يا محمد عن الفضل من المال الذي تقع فيه القسمة من غنيمة كفار قريش الذين قتلوا ببدر لمن هو؟ قل لهم يا محمد: هو لله ولرسوله دونكم، يجعله حيث شاء.

---

(١) البيت في ديوانه طبعة ليدن سنة ١٨٩١ (ص ـ ١١) و «**اللسان**»: نفل قال: النفل بالتحريك: الغنيمة والهبة، قال لبيد: إن تقوى... البيت والجمع أنفال ونفال. والريث: البطء، وهو ضد العجل.

واختلف في السبب الذي من أجله نزلت هذه الآية، فقال بعضهم: نزلت في غنائم بدر لأن النبيّ ﷺ كان نفّل أقواماً على بلاء، فأبلى أقوام وتخلّف آخرون مع رسول الله ﷺ، فاختلفوا فيها بعد انقضاء الحرب، فأنزل الله هذه الآية على رسوله، يعلمهم أن ما فعل فيها رسول الله ﷺ، فماض جائز.

ذكر من قال ذلك.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا معتمر بن سليمان، قال: سمعت داود بن أبي هند يحدث، عن عكرمة، عن ابن عباس، أن النبيّ ﷺ قال: «مَنْ أَتَى مَكانَ كَذَا وكَذَا، فَلَهُ كَذَا وكَذَا، أوْ فَعَلَ كَذَا وكَذَا، فَلَهُ كَذَا وكَذَا». فتسارع إليه الشبان، وبقي الشيوخ عند الرايات. فلما فتح الله عليهم، جاءوا يطلبون ما جعل لهم النبيّ ﷺ، فقال لهم الأشياخ: لا تذهبوا به دوننا فأنزل الله عليه الآية: ﴿**فاتَّقُوا اللّهَ وأصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ**﴾.

حدثنا المثنى، قال: ثنا عبد الأعلى، وحدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عبد الأعلى، قال: ثنا داود، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: لما كان يوم بدر، قال رسول الله ﷺ: ﴿**مَنْ صَنَعَ كَذَا وكَذَا، فَلَهُ كَذَا وكَذَا**» قال: فتسارع في ذلك شبان الرجال، وبقيت الشيوخ تحت الرايات فلما كانت الغنائم، جاءوا يطلبون الذي جعل لهم، فقالت الشيوخ: لا تستأثروا علينا، فإنا كنا ردءاً لكم، وكنا تحت الرايات، ولو انكشفتم لفئتم إلينا فتنازعوا، فأنزل الله: ﴿**يَسْألُونَكَ عَنِ الأنْفالِ قُلِ الأنْفالُ لِلّهِ وَالرَّسُولِ فاتَّقُوا اللّهَ وأصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وأطِيعُوا اللّهَ وَرَسُولَهُ إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾.

حدثني إسحاق بن شاهين، قال: ثنا خالد بن عبد الله، عن داود، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: لما كان يوم بدر، قال رسول الله ﷺ: «مَنْ فَعَلَ كَذَا فَلَهُ كَذَا وكَذَا مِنَ النَّفَلِ» قال: فتقدّم الفتيان ولزم المشيخة الرايات، فلم يبرحوا، فلما فتح عليهم، قالت المشيخة: كنا ردءاً لكم، فلو انهزمتم انحزتم إلينا، لا تذهبوا[1] بالمغنم دوننا فأبى الفتيان وقالوا: جعله رسول الله ﷺ لنا فأنزل الله: ﴿**يَسْألُونَكَ عَنِ الأنْفالِ قُلِ الأنْفالُ لِلّهِ وَالرَّسُولِ**﴾ قال: فكان ذلك خيراً لهم[2]، وكذلك أيضاً: أطيعوني فإني أعلم.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا عبد الوهاب، قال: ثنا داود، عن عكرمة في هذه الآية: ﴿**يَسْألُونَكَ عَنِ الأنْفالِ قُلِ الأنْفالُ لِلّهِ وَالرَّسُولِ**﴾ قال: لما كان يوم بدر قال رسول الله ﷺ:

(١) كذا في المخطوطة رقم ١٠٠ في القرطبي (٧/ ٣٦٤) لا تذهبون، بالنفي.

(٢) المعطوف هنا لم يسبقه معطوف عليه وفي العبارة شيء ساقط، ولكنها كذلك جاءت في الأصل المخطوط رقم ١٠٠.

«مَنْ صَنَعَ كَذَا فَلَهُ مِنَ النَّفَلِ كَذَا» فخرج شبان من الرجال فجعلوا يصنعونه، فلما كان عند القسمة، قال الشيوخ: نحن أصحاب الرايات، وقد كنا ردءاً لكم فأنزل الله في ذلك: **﴿قُلِ الأنفالُ لِلّهِ وَالرَّسُولِ فاتَّقُوا اللّهَ وأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وأَطِيعُوا اللّهَ وَرَسُولَهُ إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾**.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا يعقوب الزبيري، قال: ثني المغيرة بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن سليمان بن موسى، عن مكحول مولى هذيل، عن أبي سلام، عن أبي أُمامة الباهلي، عن عبادة بن الصامت، قال: أنزل الله حين اختلف القوم في الغنائم يوم بدر: **﴿يَسْألُونَكَ عَنِ الأنْفالِ. . .﴾** إلى قوله: **﴿إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾** فقسمه رسول الله ﷺ بينهم عن سواء.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن محمد، قال: ثني عبد الرحمن بن الحرث وغيره من أصحابنا، عن سليمان بن موسى الأسدي، عن مكحول، عن أبي أمامة الباهلي، قال: سألت عبادة بن الصامت عن الأنفال، فقال: فينا معشر أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا في النفل، وساءت فيه أخلاقنا، فنزعه الله من أيدينا، فجعله إلى رسول الله ﷺ، وقسمه رسول الله ﷺ بين المسلمين عن سواء، يقول: على السواء، فكان في ذلك تقوى الله وطاعة رسوله ﷺ وصلاح ذات البين.

وقال آخرون: إنما نزلت هذه الآية لأن بعض أصحاب رسول الله ﷺ سأله من المغنم شيئا قبل قسمتها، فلم يعطه إياه، إذ كان شركاً بين الجيش، فجعل الله جميع ذلك لرسول الله ﷺ.

ذكر من قال ذلك.

حدثني إسماعيل بن موسى السديّ، قال: ثنا أبو الأحوص، عن عاصم، عن مصعب بن سعد، عن سعد، قال: أتيت النبيّ ﷺ يوم بدر بسيف، فقلت: يا رسول الله هذا السيف قد شفى الله به من المشركين فسألته إياه، فقال: «لَيْسَ هذا لي ولا لَكَ». قال: فلما وليت، قلت: أخاف أن يعطيه من لم يبل بلائي. فإذا رسول الله ﷺ خلفي، قال: فقلت: أخاف أن يكون نزل فيّ شيء قال: «إنّ السَّيْفَ قد صَارَ لي». قال: فأعطانيه، ونزلت: **﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الأنْفالِ﴾**.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا أبو بكر، قال: ثنا عاصم، عن مصعب بن سعد، عن سعد بن مالك، قال: لما كان يوم بدر، جئت بسيف، قال: فقلت: يا رسول الله، إن الله قد شفى صدري من المشركين أو نحو هذا، فهب لي هذا السيف فقال لي: «هَذَا لَيْسَ لي وَلا لَكَ». فرجعت فقلت: عسى أن يعطى هذا من لم يبل بلائي فجاءني الرسول، فقلت: حدث فيّ حدث: فلما انتهيت، قال: «يا سَعْدُ إنَّكَ سألْتَنِي السَّيْفَ وَلَيْسَ لي، وَإنَّهُ قَدْ صَارَ لي فَهُوَ لَكَ». ونزلت: **﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الأنْفالِ قُلِ الأنْفالُ لِلّهِ وَالرَّسُولِ﴾**.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن إسرائيل، عن سماك بن حرب، عن مصعب بن سعد، عن أبيه، قال: أصبت سيفاً يوم بدر، فأعجبني، فقلت: يا رسول الله هبه لي فأنزل الله: **﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الأَنْفالِ قُلِ الأَنْفالُ لِلّهِ وَالرَّسُولِ﴾**.

حدثنا ابن المثنى وابن وكيع، قال ابن المثنى، ثني معاوية، وقال ابن وكيع: ثنا أبو معاوية، قال: ثنا الشيباني، عن محمد بن عبيد الله، عن سعد بن أبي وقاص، قال: لما كان يوم بدر قتل أخي عمير وقتلت سعيد بن العاص، وأخذت سيفه، وكان يسمى ذا الكُتيفة، فجئت به إلى النبيّ ﷺ قال: «اذْهَبْ فاطْرَحْهُ في القَبَضِ» فطرحته ورجعت وبي ما لا يعلمه إلاّ الله من قتل أخي وأخذ سلبي، قال: فما جاوزت إلاّ قريباً حتى نزلت عليه سورة الأنفال، فقال: «اذْهَبْ فَخُذْ سَيْفَكَ». ولفظ الحديث لابن المثنى.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا يونس بن بكير، وحدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة جميعاً، عن محمد بن إسحاق، قال: ثني عبد الله بن أبي بكر، عن قيس بن ساعدة، قال: سمعت أبا أسيد بن مالك بن ربيعة يقول: أصبت سيف ابن عائذ يوم بدر، وكان السيف يدعى المرْزُبان فلما أمر رسول الله ﷺ أن يردوا ما في أيديهم من النفل، أقبلت به فألقيته في النفل، وكان رسول الله ﷺ لا يمنع شيئاً يُسأله، فرآه الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي، فسأله رسول الله ﷺ، فأعطاه إياه.

حدثني يحيى بن جعفر، قال: ثنا أحمد بن أبي بكر، عن يحيى بن عمران، عن جده عثمان بن الأرقم، عن عمه، عن جده، قال: قال رسول الله ﷺ يوم بدر: «رُدُّوا ما كانَ مِنَ الأنْفالِ» فوضع أبو أسيد الساعدي سيف بن عائذ المرزبان، فعرفه الأرقم فقال: هبه لي يا رسول الله قال: فأعطاه إياه.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شبعة، عن سماك بن حرب، عن مصعب بن سعد، عن أبيه، قال: أصبت سيفاً. قال: فأتى به رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله نفلنيه فقال: «ضَعْهُ» ثم قام فقال: يا رسول الله نفلنيه قال: «ضَعْهُ» قال: ثم قام فقال: يا رسول الله نفلنيه اجْعل كمن لا غناء له؟ فقال النبيّ ﷺ: «ضَعْهُ مِنْ حَيْثُ أخَذْتَهُ» فنزلت هذه الآية **﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الأنْفالِ قُلِ الأنْفالُ لِلّهِ وَالرَّسُولِ﴾**.

حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا إسرائيل، عن سماك، عن مصعب بن سعد، عن سعد، قال: أخذت سيفاً من المغنم، فقلت: يا رسول الله هب لي هذا فنزلت: **﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الأنْفالِ﴾**.

حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا إسرائيل، عن إبراهيم بن مهاجر، عن مجاهد، في قوله: ﴿**يَسْئَلُونَكَ عَنِ الأنفالِ**﴾ قال: قال سعد: كنت أخذت سيف سعيد بن العاص بن أمية، فأتيت رسول الله ﷺ، فقلت: أعطني هذا السيف يا رسول الله فسكت، فنزلت: ﴿**يَسْئَلُونَكَ عَنِ الأنفالِ...**﴾ إلى قوله: ﴿**إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾ قال: فأعطانيه رسول الله ﷺ.

وقال آخرون: بل نزلت لأن أصحاب رسول الله ﷺ سألوا قسمة الغنيمة بينهم يوم بدر فأعلمهم الله أن ذلك لله ولرسوله دونهم ليس لهم فيه شيء. وقالوا: معنى «عن» في هذا الموضع «من» وإنما معنى الكلام: يسألونك من الأنفال، وقالوا: قد كان ابن مسعود يقرؤه: «يَسْألُونَكَ الأنْفالَ» على هذا التأويل.

ذكر من قال ذلك.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا مؤمل، قال: ثنا سفيان، عن الأعمش، قال: كان أصحاب عبد الله يقرأونها: «يَسألُونَكَ الأنْفالَ».

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا المحاربي، عن جويبر، عن الضحاك، قال: هي في قراءة ابن مسعود «يَسألُونَكَ الأنفالَ».

ذكر من قال ذلك.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**يَسألُونَكَ عَنِ الأنْفالِ قُلِ الأنْفالُ لِلّهِ وَالرَّسُولِ**﴾ قال: الأنفال: المغانم كانت لرسول الله ﷺ خالصة ليس لأحد منها شيء، ما أصاب سرايا المسلمين من شيء أتوه به، فمن حبس منه إبرة أو سلكاً فهو غلول. فسألوا رسول الله ﷺ أن يعطيهم منها، قال الله: ﴿**يَسألُونَكَ عَنِ الأنْفالِ قُلِ الأنْفَالُ**﴾ لي جعلتها لرسولي ليس لكم فيها شيء ﴿**فاتَّقُوا اللّهَ وأصْلِحُوا ذَاتِ بَيْنِكُمْ وأطِيعُوا اللّهَ وَرَسُولَهُ إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾، ثم أنزل الله: ﴿**واعْلَمُوا أنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وللرسُولِ**﴾ ثم قسم ذلك الخمس لرسول الله ﷺ ولمن سمي في الآية.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج: ﴿**يَسْألُونَكَ عَنِ الأنْفالِ**﴾ قال: نزلت في المهاجرين والأنصار ممن شهد بدراً. قال: واختلفوا فكانوا أثلاثاً. قال: فنزلت: ﴿**يَسألُونَكَ عَنِ الأنْفالِ قُلِ الأنْفالِ لِلّهِ وَالرسُولِ**﴾ وملكه الله رسوله، فقسمه كما أراه الله.

حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا عباد بن العوّام، عن الحجاج، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدّه: أن الناس سألوا النبيّ ﷺ الغنائم يوم بدر، فنزلت: ﴿**يَسألُونَكَ عَنِ الأنْفالِ**﴾.

قال: ثنا عباد بن العوام، عن جويبر، عن الضحاك: **﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الأَنفالِ﴾** قال: يسألونك أن تُنَفِّلَهُمْ.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا حماد بن زيد، قال: ثنا أيوب، عن عكرمة، في قوله: **﴿يَسألُونَكَ عَنِ الأَنْفالِ﴾** قال: يسألونك الأنفال.

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى أخبر في هذه الآية عن قوم سألوا رسول الله ﷺ الأنفال أن يعطيهموها، فأخبرهم الله أنها لله وأنه جعلها لرسوله. وإذا كان ذلك معناه جاز أن يكون نزولها كان من أجل اختلاف أصحاب رسول الله ﷺ فيها، وجائز أن يكون كان من أجل مسألة من سأله السيف الذي ذكرنا عن سعد أنه سأله إياه، وجائز أن يكون من أجل مسألة من سأله قسم ذلك بين الجيش.

واختلفوا فيها، أمنسوخة هي أم غير منسوخة؟ فقال بعضهم: هي منسوخة، وقالوا: نسخها قوله: **﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وللرَّسُولِ...﴾** الآية.

ذكر من قال ذلك.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن جابر، عن مجاهد وعكرمة، قالا: كانت الأنفال لله وللرسول فنسختها: **﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وللرَّسُولِ﴾**.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: **﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الأَنْفالِ﴾** قال: أصاب سعد بن أبي وقاص يوم بدر سيفاً، فاختصم فيه وناس معه، فسألوا النبيّ ﷺ، فأخذه النبيّ ﷺ منهم، فقال الله: **﴿يَسألُونَكَ عَنِ الأَنْفالِ قُلِ الأَنْفالُ لِلّهِ والرَّسُولِ...﴾** الآية، فكانت الغنائم يومئذٍ للنبيّ ﷺ خاصة، فنسخها الله بالخمس.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: أخبرني سليم مولى أم محمد، عن مجاهد، في قوله: **﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الأَنْفالِ﴾** قال: نسختها: **﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ﴾**.

حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا شريك، عن جابر، عن مجاهد وعكرمة، أو عكرمة وعامر، قالا: نسخت الأنفال: **﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ﴾**.

وقال آخرون: هي محكمة وليست منسوخة. وإنما معنى ذلك: قل الأنفال لله، وهي لا شكّ لله مع الدنيا بما فيها والآخرة، وللرسول يضعها في مواضعها التي أمره الله بوضعها فيه.

ذكر من قال ذلك.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**يَسألُونَكَ عَنِ الأنفالِ**﴾ فقرأ حتى بلغ: ﴿**إن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾ فسلموا لله ولرسوله يحكمان فيها بما شاء ويضعانها حيث أرادا، فقالوا: نعم. ثم جاء بعد الأربعين: ﴿**وَاعْلَمُوا أنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ ولِلرَّسُولِ...**﴾ الآية، ولكم أربعة أخماس، وقال النبيّ ﷺ يوم خيبر: «وَهَذا الخُمُسُ مَرْدُودٌ على فُقَرائِكُمْ يَصْنَعُ اللّهُ وَرَسُولَهُ فِي ذلكَ الخُمْسَ ما أحَبَّا، وَيَضَعانِهِ حَيْثُ أحَبَّا، ثم أخبرنا الله الذي يجب من ذلك» ثم قرأ الآية: ﴿**لِذِي القُرْبَى واليَتامَى والمَساكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْلا يَكُونَ دُولَةً بينَ الأغْنِياءِ مِنْكُمْ**﴾.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله جلّ ثناؤه أخبر أنه جعل الأنفال لنبيه ﷺ ينفل من شاء، فنفل القاتل السلب، وجعل للجيش في البداءة الربع وفي الرجعة الثلث بعد الخمس، ونفل قوماً بعد سهمانهم بعيراً بعيراً في بعض المغازي. فجعل الله تعالى ذكره حكم الأنفال إلى نبيه ﷺ ينفل على ما يرى مما فيه صلاح المسلمين، وعلى من بعده من الأئمة أن يستنوا بسنته في ذلك، وليس في الآية دليل على أن حكمها منسوخ لاحتمالها ما ذكرت من المعنى الذي وصفت، وغير جائز أن يحكم بحكم قد نزل به القرآن أنه منسوخ إلاّ بحجة يجب التسليم لها، فقد دللنا في غير موضع من كتبنا على أن لا منسوخ إلاّ ما أبطل حكمه حادث حكم بخلافه ينفيه من كلّ معانيه، أو يأتي خبر يوجب الحجة أن أحدهما ناسخ الآخر. وقد ذُكر عن سعيد بن المسيب أنه كان ينكر أن يكون التنفيل لأحد بعد رسول الله ﷺ تأويلاً منه لقول الله تعالى: ﴿**قُلِ الأنْفالُ لِلّهِ وَالرَّسُولِ**﴾.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عبدة بن سليمان، عن محمد بن عمرو، قال: أرسل سعيد بن المسيب غلامه إلى قوم سألوه عن شيء، فقال: إنكم أرسلتم إليّ تسألوني عن الأنفال، فلا نفل بعد رسول الله ﷺ.

وقد بيّنا أن للأئمة أن يتأسوا برسول الله ﷺ في مغازيهم بفعله، فينفلوا على نحو ما كان ينفل، إذا كان التنفيل صلاحاً للمسلمين.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فاتَّقُوا اللّهَ وأصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وأطِيعُوا اللّهَ وَرَسُولَهُ إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

يقول تعالى ذكره: فخافوا الله أيها القوم، واتقوه بطاعته واجتناب معاصيه، وأصلحوا الحال بينكم.

واختلف أهل التأويل في الذي عني بقوله: ﴿**وأصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ**﴾ فقال بعضهم: هو أمر

من الله الذين غنموا الغنيمة يوم بدر وشهدوا الوقعة مع رسول الله ﷺ إذا اختلفوا في الغنيمة أن يردّوا ما أصابوا منها بعضهم على بعض.

ذكر من قال ذلك.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: **﴿فاتَّقُوا اللّهَ وأصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾** قال: كان نبيّ الله ينفّل الرجل من المؤمنين سلب الرجل من الكفار إذا قتله، ثم أنزل الله: **﴿فاتَّقُوا اللّهَ وأصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾** أمرهم أن يردّ بعضُهم على بعض.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: بلغني أن النبيّ ﷺ كان ينفل الرجل على قدر جِدّه وغَنائه على ما رأى، حتى إذا كان يوم بدر وملأ الناس أيديهم غنائم، قال أهل الضعف من الناس: ذهب أهل القوّة بالغنائم فذكروا ذلك للنبيّ ﷺ، فنزلت: **﴿قُلِ الأنْفالُ لِلّهِ وَالرَّسُولِ فاتَّقُوا اللّهَ وأصْلِحُوا ذَاتِ بَيْنِكُمْ﴾** ليردّ أهل القوّة على أهل الضعف.

وقال آخرون: هذا تحريج من الله على القوم، ونهي لهم عن الاختلاف فيما اختلفوا فيه من أمر الغنيمة وغيره.

ذكر من قال ذلك.

حدثني محمد بن عمارة، قال: ثنا خالد بن يزيد، وحدثنا أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمد، قالا: ثنا أبو إسرائيل، عن فضيل، عن مجاهد، في قول الله: **﴿فاتَّقُوا اللّهَ وأصْلِحُوا ذَاتِ بَيْنِكُمْ﴾** قال: حرَّج عليهم.

حدثني الحرث، قال: ثنا القاسم، قال: ثنا عباد بن العوّام، عن سفيان بن حسين، عن مجاهد، عن ابن عباس: **﴿فاتَّقُوا اللّهَ وأصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾** قال هذا تحريج من الله على المؤمنين أن يتقوا ويصلحوا ذات بينهم. قال عباد، قال سفيان: هذا حين اختلفوا في الغنائم يوم بدر.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: **﴿فاتَّقُوا اللّهَ وأصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾**: أي لا تستبوا.

واختلف أهل العربية في وجه تأنيث البين، فقال بعض نحويي البصرة: أضاف ذات إلى البين وجعله ذاتا، لأن بعض الأشياء يوضع عليه اسم مؤنث، وبعضاً يذكر نحو الدار، والحائط

أنث الدار وذكر الحائط. وقال بعضهم: إنما أراد بقوله: ﴿ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾: الحال التي للبين فقال: وكذلك «ذات العشاء» يريد الساعة التي فيها العشاء. قال: ولم يضعوا مذكراً لمؤنث ولا مؤنثاً لمذكر إلاّ لمعنى.

قال أبو جعفر: هذا القول أولى القولين بالصواب للعلة التي ذكرتها له.

وأما قوله: ﴿وأَطِيعُوا اللّهَ وَرَسُولَهُ﴾ فإن معناه: وانتهوا أيها القوم الطالبون الأنفال إلى أمر الله وأمر رسوله فيما أفاء الله عليكم، فقد بين لكم وجوهه وسبُله. ﴿إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ يقول: إن كنتم مصدّقين رسول الله فيما آتاكم به من عند ربكم. كما:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد: ﴿فاتَّقُوا اللّهَ وأصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وأطِيعُوا اللّهَ ورَسُولَهُ إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ فسلموا لله ولرسوله يحكمان فيها بما شاءا، ويضعانها حيث أرادا.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ليس المؤمن بالذي يخالف الله ورسوله ويترك اتباع ما أنزله إليه في كتابه من حدوده وفرائضه والانقياد لحكمه، ولكن المؤمن هو الذي إذا ذكر الله وجل قلبه وانقاد لأمره وخضع لذكره خوفاً منه وفَرَقاً من عقابه، وإذا قرئت عليه آيات كتابه صدّق بها وأيقن أنها من عند الله، فازداد بتصديقه بذلك إلى تصديقه بما كان قد بلغه منه قبل ذلك تصديقاً وذلك هو زيادة ما تلي عليهم من آيات الله إياهم إيماناً. ﴿وَعلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ يقول: وبالله يوقنون في أنّ قضاءه فيهم ماض فلا يرجون غيره ولا يرهبون سواه.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿إنَّمَا المُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ قال: المنافقون لا يدخل قلوبهم شيء من ذكر الله عند أداء فرائضه، ولا يؤمنون بشيء من آيات الله، ولا يتوكلون على الله، ولا يصلّون إذا غابوا، ولا يؤدّون زكاة أموالهم. فأخبر الله سبحانه أنهم ليسوا بمؤمنين، ثم وصف المؤمنين فقال: ﴿إنَّمَا المُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ فأدّوا فرائضه، ﴿وَإذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إيمَاناً﴾ يقول: تصديقاً، ﴿وَعلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ يقول: لا يرجون غيره.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عبد الله، عن ابن جريج، عن عبد الله بن كثير، عن مجاهد: ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ قال: فرِقت.

قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن السديّ: ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ قال: إذا ذكر الله عند الشيء وجل قلبه.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ يقول: إذا ذكر الله وجل قلبه.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: ﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ قال: فَرِقَت.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ فرقت.

قال: ثنا سويد، قال: أخبرنا ابن المبارك، عن سفيان، قال: سمعت السديّ يقول في قوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ قال: هو الرجل يريد أن يظلم أو قال: يهمّ بمعصية أحسبه قال: فينزع عنه.

حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا سفيان الثوريّ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم، عن شهر بن حوشب، عن أبي الدرداء، في قوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ قال: الوجل في القلب كإحراق السعفة، أما تجد له قُشَعْرِيرَةً؟ قال: بلى. قال: إذا وجدت ذلك في القلب فادع الله، فإن الدعاء يذهب بذلك.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ قال: فرقاً من الله، ووجلاً من الله، وخوفاً من الله تبارك وتعالى.

وأما قوله: ﴿زَادَتْهُمْ إِيمَاناً﴾ فقد ذكرت قول ابن عباس فيه. وقال غيره فيه، ما:

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُه زَادَتْهُمْ إِيمَاناً﴾ قال: خشية.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ قال: هذا نعت أهل الإيمان، فأثبت نعتهم، ووصفهم فأثبت صفتهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤﴾.

يقول تعالى ذكره: الذين يؤدّون الصلاة المفروضة بحدودها، وينفقون مما رزقهم الله من الأموال فيما أمرهم الله أن ينفقوها فيه من زكاة وجهاد وحجّ وعمرة ونفقة على من تجب عليهم نفقته، فيؤدّون حقوقهم. ﴿أولَئِكَ﴾ يقول: هؤلاء الذين يفعلون هذه الأفعال. ﴿هُمُ المُؤمِنُونَ﴾ لا الذين يقولون بألسنتهم قد آمنا وقلوبهم منطوية على خلافه نفاقاً، لا يقيمون صلاة ولا يؤدّون زكاة.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عليّ، عن ابن عباس: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ﴾ يقول: الصلوات الخمس. ﴿ومِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ يقول: زكاة أموالهم. ﴿أُولَئِكَ هُمُ المُؤْمِنُونَ حَقّاً﴾ يقول: برئوا من الكفر. ثم وصف الله النفاق وأهله، فقال: ﴿إنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ باللّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أنْ يُفَرّقُوا بينَ اللّهِ وَرُسُلِهِ...﴾ إلى قوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الكافِرُونَ حَقّاً﴾ فجعل الله المؤمن مؤمناً حقّاً، وجعل الكافر كافراً حقّاً، وهو قوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كافِرٌ وَمِنْكُم مُؤْمِنٌ﴾.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿أُولَئِكَ هُمُ المُؤْمِنُونَ حَقّاً﴾ قال: استحقوا الإيمان بحقّ، فأحقه الله لهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لَهُمْ دَرَجاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾.

يعني جلّ ثناؤه بقوله: ﴿لَهُمْ دَرَجاتٌ﴾ لهؤلاء المؤمنين الذين وصف جلّ ثناؤه صفتهم درجات، وهي مراتب رفيعة.

ثم اختلف أهل التأويل في هذه الدرجات التي ذكر الله أنها لهم عنده ما هي، فقال بعضهم: هي أعمال رفيعة وفضائل قدّموها في أيام حياتهم.

ذكر من قال ذلك.

حدثني أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا إسرائيل، عن أبي يحيى القتات، عن مجاهد: ﴿لَهُمْ دَرَجاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ قال: أعمال رفيعة.

وقال آخرون: بل ذلك مراتب في الجنة.

ذكر من قال ذلك.

حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا سفيان، عن هشام بن جبلة، عن عطية، عن ابن محيريز: ﴿لَهُمْ دَرَجاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ قال: الدرجات سبعون درجة، كل درجة حضر الفرس الجواد المضمَّر سبعين سنة.

وقوله ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ يقول: وعفو عن ذنوبهم وتغطية عليها. ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ قيل: الجنة. وهو عندي ما أعدّ الله في الجنة لهم من مزيد المآكل والمشارب وهنيء العيش.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، عن هشام، عن عمرو، عن سعيد، عن قتادة: ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ قال: لذنوبهم. ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ قال: الجنة.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾﴾.

اختلف أهل التأويل في الجالب لهذه الكاف التي في قوله: ﴿كما أخرَجَكَ﴾ وما الذي شبه بإخراج الله نبيه ﷺ من بيته بالحقّ. فقال بعضهم: شبه به في الصلاح للمؤمنين، اتقاؤهم ربهم، وإصلاحهم ذات بينهم، وطاعتهم الله ورسوله. وقالوا: معنى ذلك: يقول الله: وأصلحوا ذات بينكم، فإن ذلك خير لكم، كما أخرج الله محمداً ﷺ من بيته بالحقّ كان خيراً له.

ذكر من قال ذلك.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا عبد الوهاب، قال: ثنا داود، عن عكرمة: ﴿فاتَّقُوا اللّهَ وأصْلِحوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وأطِيعُوا اللّهَ وَرَسُولَهُ إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ كمَا أخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بالحَقّ...﴾ الآية: أي إن هذا خير لكم، كما كان إخراجك من بيتك بالحقّ خيراً لك.

وقال آخرون: معنى ذلك: كما أخرجك ربك يا محمد من بيتك بالحقّ على كره من فريق من المؤمنين كذلك هم يكرهون القتال، فهم يجادلونك فيه بعد ما تبين لهم.

ذكر من قال ذلك.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿كمَا أخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بالحَقّ﴾ قال: كذلك يجادلونك فِي الحقّ.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد:

﴿كمَا أَخرَجَك رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بالحَقّ﴾ كذلك يجادلونك في الحقّ، القتال.

قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿كمَا أَخرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بالحَقّ﴾ قال: كذلك أخرجك ربك.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قال: أنزل الله في خروجه يعني خروج النبيّ ﷺ إلى بدر ومجادلتهم إياه، فقال: ﴿كمَا أَخرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بالحَقّ وَإنَّ فَرِيقاً مِنَ المُؤْمِنِينَ لَكارِهُونَ﴾ لطلب المشركين، ﴿يُجادِلُونَكَ في الحَقّ بَعْدَما تَبَيَّنَ﴾.

اختلف أهل العربية في ذلك، فقال بعض نحويي الكوفيين: ذلك أمر من الله لرسوله ﷺ أن يمضي لأمره في الغنائم، على كُره من أصحابه، كما مضى لأمره في خروجه من بيته لطلب العير وهم كارهون. وقال آخرون منهم: معنى ذلك: يسألونك عن الأنفال مجادلة كما جادلوك يوم بدر، فقالوا: أخرجتنا للعير، ولم تعلمنا قتالاً فنستعدّ له. وقال بعض نحويي البصرة: يجوز أن يكون هذا الكاف في: ﴿كمَا أخرَجَكَ﴾ على قوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ المُؤْمِنُونَ حَقّاً كمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بالحَقّ﴾ وقيل: الكاف بمعنى «على».

وقال آخرون منهم: هي بمعنى القسم. قال: ومعنى الكلام: والذي أخرجك ربك.

قال أبو جعفر: وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب قول من قال في ذلك بقول مجاهد، وقال معناه: كما أخرجك ربك بالحقّ على كره من فريق من المؤمنين، كذلك يجادلونك في الحقّ بعدما تبين. لأن كلا الأمرين قد كان، أعني خروج بعض من خرج من المدينة كارهاً، وجِدَالهم في لقاء العدوّ عند دنوّ القوم بعضهم من بعض، فتشبيه بعض ذلك ببعض مع قرب أحدهما من الآخر أولى من تشبيهه بما بعد عنه. وقال مجاهد في الحقّ الذي ذكر أنهم يجادلون فيه النبيّ ﷺ بعدما تبينوه: هو القتال.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿يُجادِلُونَكَ في الحَقّ﴾ قال: القتال.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

حدثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

وأما قوله: ﴿مِنْ بَيْتِكَ﴾ فإن بعضهم قال: معناه من المدينة.

ذكر من قال ذلك.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي بزة: ﴿**كَمَا أَخرَجكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ**﴾ المدينة إلى بدر.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: أخبرني محمد بن عباد بن جعفر، في قوله: ﴿**كَمَا أَخرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بالحَقّ**﴾ قال: من المدينة إلى بدر.

وأما قوله: ﴿**وإنَّ فَرِيقاً مِنَ المُؤْمِنِينَ لَكارِهُونَ**﴾ فإن كَراهتهم كانت كما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: ثني محمد بن مسلم الزهري، وعاصم بن عمر بن قتادة، وعبد الله بن أبي بكر ويزيد بن رومان، عن عروة بن الزبير وغيرهم من علمائنا، عن عبد الله بن عباس، قالوا: لما سمع رسول الله ﷺ بأبي سفيان مقبلاً من الشأم، ندب إليهم المسلمين، وقال: «هَذِهِ عِيرُ قُرَيْشٍ فيها أمْوَالُهُمْ، فاخْرُجُوا إليها لعَلَّ الله أنْ يُنَفِّلَكُمُوهَا» فانتدب الناس، فخفّ بعضهم وثقل بعضهم، وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله ﷺ يلقى حرباً.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿**وَإنَّ فَرِيقاً مِنَ المُؤْمِنِينَ لَكارِهُونَ**﴾ لطلب المشركين.

ثم اختلف أهل التأويل في الذين عنُوا بقوله: ﴿**يُجادِلُونَكَ فِي الحَقّ بَعْدَما تَبَيَّنَ**﴾ فقال بعضهم: عُني بذلك: أهل الإيمان من أصحاب رسول الله ﷺ الذين كانوا معه حين توجه إلى بدر للقاء المشركين.

ذكر من قال ذلك.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: لما شاور النبيّ ﷺ في لقاء القوم، وقال له سعد بن عبادة ما قال: وذلك يوم بدر، أمر الناس، فتعبوا للقتال، وأمرهم بالشوكة، وكره ذلك أهل الإيمان، فأنزل الله: ﴿**كَمَا أَخرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بالحَقّ وَإنَّ فَرِيقاً مِنَ المُؤْمِنِينَ لَكارِهُونَ يُجادِلُونَكَ فِي الحَقّ بَعْدَما تَبَيَّنَ كأنَّمَا يُساقُونَ إلى المَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ**﴾.

حدثني ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: ثم ذكر القوم، يعني أصحاب

رسول الله ﷺ، ومسيرهم مع رسول الله ﷺ، حين عرف القوم أن قريشاً قد سارت إليهم، وأنهم إنما خرجوا يريدون العير طمعاً في الغنيمة، فقال: ﴿**كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بالحَق**. . .﴾ إلى قوله: ﴿**لَكارِهُونَ**﴾ أي كراهية للقاء القوم، وإنكاراً لمسير قريش حين ذكروا لهم.

وقال آخرون: عُني بذلك المشركون.

ذكر من قال ذلك.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**يُجادِلُونَكَ فِي الحقّ بَعْدَما تَبَيَّنَ كأنَّمَا يُساقُونَ إلى المَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ**﴾ قال: هؤلاء المشركون جادلوك في الحق كأنما يساقون إلى الموت حين يُدعون إلى الإسلام، ﴿**وهم يَنْظُرُونَ**﴾ قال: وليس هذا من صفة الآخرين، هذه صفة مبتدأة لأهل الكفر.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا يعقوب بن محمد، قال: ثني عبد العزيز بن محمد، عن ابن أخي الزهري، عن عمه، قال: كان رجل من أصحاب رسول الله ﷺ يفسر: ﴿**كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إلى المَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ**﴾ خروج رسول الله ﷺ إلى العير.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك ما قاله ابن عباس وابن إسحاق، من أن ذلك خبر من الله عن فريق من المؤمنين أنهم كرهوا لقاء العدوّ، وكان جدالهم نبيّ الله ﷺ أن قالوا: لم يعلمنا أنا نلقى العدوّ فنستعدّ لقتالهم، وإنما خرجنا للعير. ومما يدلّ على صحة قوله: ﴿**وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللّهُ إحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أنّها لَكُم وَتَوَدُّونَ أنَّ غيرَ ذَاتِ الشَّوكَةِ تَكُونُ لَكُمْ**﴾ ففي ذلك الدليل الواضح لمن فهم عن الله أن القوم قد كانوا للشوكة كارهين وأن جدالهم كان في القتال كما قال مجاهد، كراهية منهم له، وأن لا معنى لما قال ابن زيد، لأن الذي قبل قوله: ﴿**يُجادِلُونَكَ في الحَقّ**﴾ خبر عن أهل الإيمان، والذي يتلوه خبر عنهم، فأن يكون خبراً عنهم أولى منه بأن يكون خبراً عمن لم يجر له ذكر.

وأما قوله: ﴿**بَعْدَما تَبَيَّنَ**﴾ فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله، فقال بعضهم: معناه: بعدما تبين لهم أنك لا تفعل إلاَّ ما أمرك الله.

ذكر من قال ذلك.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿**بَعْدَما تَبَيَّنَ**﴾ أنك لا تصنع إلاَّ ما أمرك الله به.

وقال آخرون: معناه يجادلونك في القتال بعدما أمرت به.

ذكر من قال ذلك.

رواه الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس.

وأما قوله ﴿**كأنّما يُساقُونَ إلى المَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ**﴾ فإن معناه: كأن هؤلاء الذين يجادلونك في لقاء العدوّ من كراهتهم للقائهم إذا دعوا إلى لقائهم للقتال يساقون إلى الموت.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال قال ابن إسحاق: ﴿**كأنّما يُساقُونَ إلى المَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ**﴾: أي كراهة للقاء القوم، وإنكاراً لمسير قريش حين ذكروا لهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: واذكروا أيها القوم ﴿**إذْ يَعِدُكُمُ اللّهُ إحْدَى الطّائِفَتَينِ**﴾ يعني: إحدى الفرقتين، فرقة أبي سفيان بن حرب والعير، وفرقة المشركين الذين نفروا من مكة لمنع عيرهم. وقوله: ﴿**أنّها لَكُمْ**﴾ يقول: إن ما معهم غنيمة لكم. ﴿**وَتَوَدُّونَ أنَّ غيرَ ذَاتِ الشَّوْكَة تَكُونُ لَكُمْ**﴾ يقول: وتحبون أن تكون تلك الطائفة التي ليست لها شوكة، يقول: ليس لها حدّ ولا فيها قتال أن تكون لكم، يقول: تودّون أن تكون لكم العير التي ليس فيها قتال لكم دون جماعة قريش الذين جاءوا لمنع عيرهم الذين في لقائهم القتال والحرب. وأصل الشوكة من الشوك.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك.

حدثنا عليّ بن نصر، وعبد الوارث بن عبد الصمد، قالا: ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث، قال: ثنا أبان العطار، قال: ثنا هشام بن عروة، عن عروة: أن أبا سفيان أقبل ومن معه من ركبان قريش مقبلين من الشأم، فسلكوا طريق الساحل فلما سمع بهم النبيّ ﷺ ندب أصحابه، وحدثهم بما معهم من الأموال وبقلة عددهم. فخرجوا لا يريدون إلاّ أبا سفيان، والركب معه لا يرونها إلاّ غنيمة لهم، لا يظنون أن يكون كبير قتال إذا رأوهم. وهي ما أنزل الله: ﴿**وتَوَدُّونَ أنَّ غيرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ**﴾.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن محمد بن مسلم الزهري، وعاصم بن عمر بن قتادة، وعبد الله بن أبي بكر، ويزيد بن رومان، عن عروة بن الزبير وغيرهم من علمائنا، عن عبد الله بن عباس، كلّ قد حدثني بعض هذا الحديث فاجتمع حديثهم فيما سقت من حديث بدر، قالوا: لما سمع رسول الله ﷺ بأبي سفيان مقبلاً من الشأم ندب المسلمين إليهم، وقال: «هَذِهِ عِيرُ قُرَيْشٍ فيها أمْوَالُهُمْ، فاخْرُجُوا إلَيْهَا لعلّ الله أنْ يُنَفِّلَكُمُوهَا» فانتدب الناس، فخف بعضهم وثقل بعض، وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله ﷺ يلقى حرباً. وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتجسس الأخبار ويسأل من لقي من الركبان تخوّفاً من الناس، حتى أصاب خبراً من بعض الركبان أن محمداً قد استنفر أصحابه لك ولعيرك، فحذر عند ذلك، واستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري، فبعثه إلى مكة، وأمره أن يأتي قريشاً يستنفرهم إلى أموالهم ويخبرهم أن محمداً قد عرض لها في أصحابه. فخرج ضمضم بن عمرو سريعاً إلى مكة، وخرج رسول الله ﷺ في أصحابه، حتى بلغ وادياً يقال له ذَفِرَان، فخرج منه، حتى إذا كان ببعضه نزل وأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عيرهم، فاستشار النبيّ ﷺ الناس، وأخبرهم عن قريش، فقام أبو بكر رضي الله عنه فقال فأحسن ثم قام عمر رضي الله عنه فقال فأحسن، ثم قام المقداد بن عمرو فقال: يا رسول الله امض إلى حيث أمرك الله فنحن معك، والله لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿**اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَهُنا قاعِدُونَ**﴾، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون فوالذي بعثك بالحقّ لئن سرت بنا إلى بِرك الغماد يعني مدينة الحبشة لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه فقال له رسول الله ﷺ خيراً، ثم دعا له بخير، ثم قال رسول الله ﷺ: «أشِيرُوا عَليَّ أيُّها النَّاسُ» وإنما يريد الأنصار، وذلك أنهم كانوا عدد الناس، وذلك أنهم حين بايعوه على العقبة، قالوا: يا رسول الله إنا براء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا، فإذا وصلت إلينا فأنت في ذمتنا، نمنعك مما تمنع منه أبناءنا ونساءنا. فكأنّ رسول الله ﷺ خاف أن لا تكون الأنصار ترى عليها نصرته إلاّ ممن دهمه بالمدينة من عدّوه، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدوّ من بلادهم. قال: فلما قال ذلك رسول الله ﷺ، قال له سعد بن معاذ: لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال: «أجَلْ». قال: فقد آمنّا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما أردت، فوالذي بعثك بالحقّ إن استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن يلقانا عدوّنا غداً، إنا لصُبُر عند الحرب، صُدُق عند اللقاء، لعلّ الله أن يريك منا ما تقرّ به عينك، فسر بنا على بركة الله فسرّ رسول الله ﷺ بقول سعد ونشطه ذلك، ثم قال: «سِيرُوا على بَرَكَةِ اللّهِ وأبْشِرُوا، فإنَّ اللّهَ قَدْ وَعَدَنِي إحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ، وَاللّهِ لَكأنِّي أنْظُرُ الآنَ إلى مَصَارِعِ القَوْمِ غَداً».

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: أن أبا سفيان أقبل في عير الشأم فيها تجارة قريش، وهي اللطيمة، فبلغ رسول الله ﷺ أنها قد أقبلت فاستنفر الناس، فخرجوا معه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، فبعث عيناً له من جهينة، حليفاً للأنصار يُدعى ابن الأريقط، فأتاه بخبر القوم. وبلغ أبا سفيان خروج محمد ﷺ، فبعث إلى أهل مكة يستعينهم، فبعث رجلاً من بني غفار يُدعى ضمضم بن عمرو، فخرج النبيّ ﷺ ولا يشعر بخروج قريش، فأخبره الله بخروجهم، فتخوّف من الأنصار أن يخذلوه ويقولوا: إنا عاهدنا أن نمنعك إن أرادك أحد ببلدنا. فأقبل على أصحابه فاستشارهم في طلب العير، فقال له أبو بكر رضي الله عنه: إني قد سلكت هذا الطريق، فأنا أعلم به، وقد فارقهم الرجل بمكان كذا وكذا، فسكت النبيّ ﷺ، ثم عاد فشاورهم، فجعلوا يشيرون عليه بالعير. فلما أكثر المشورة، تكلم سعد بن معاذ فقال: يا رسول الله، أراك تشاور أصحابك فيشيرون عليك وتعود فتشاورهم، فكأنك لا ترضى ما يشيرون عليك وكأنك تتخوّف أن تتخلف عنك الأنصار، أنت رسول الله، وعليك أنزل الكتاب، وقد أمرك الله بالقتال ووعدك النصر، والله لا يخلف الميعاد، امض لما أمرت به فوالذي بعثك بالحقّ لا يتخلف عنك رجل من الأنصار ثم قام المقداد بن الأسود الكندي، فقال: يا رسول الله إنا لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى: ﴿**اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقاتِلا إِنَّا هَهُنا قاعِدُونَ**﴾ ولكنا نقول: أقدم فقاتل إنا معك مقاتلون ففرح رسول الله ﷺ بذلك وقال: «إِنَّ رَبّي وَعَدَنِي القَوْمَ وَقَدْ خَرَجُوا فَسِيرُوا إِلَيْهِمْ» فساروا.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّها لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غيرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ**﴾ قال: الطائفتان إحداهما أبو سفيان بن حرب إذ أقبل بالعير من الشأم، والطائفة الأخرى أبو جهل معه نفر من قريش. فكره المسلمون الشوكة والقتال، وأحبوا أن يلقوا العير، وأراد الله ما أراد.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: ﴿**وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ**﴾ قال: أقبلت عير أهل مكة يريد: من الشام فبلغ أهل المدينة ذلك، فخرجوا ومعهم رسول الله ﷺ يريدون العير. فبلغ ذلك أهل مكة، فسارعوا السير إليها لا يغلب عليها النبيّ ﷺ وأصحابه، فسبقت العير رسول الله ﷺ، وكان الله وعدهم إحدى الطائفتين، فكانوا أن يلقوا العير أحبّ إليهم وأيسر شوكة وأحضر مغنماً. فلما سبقت العير، وفاتت رسول الله ﷺ، سار رسول الله ﷺ بالمسلمين يريد القوم، فكره القوم مسيرهم لشوكة في القوم.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن

ابن عباس قوله: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غيرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ قال: أرادوا العير، قال: ودخل رسول الله ﷺ المدينة في شهر ربيع الأوّل، فأغار كرز بن جابر الفهري يريد سرح المدينة حتى بلغ الصفراء، فبلغ النبيّ ﷺ فركب في أثره، فسبقه كرز بن جابر، فرجع النبيّ ﷺ، فأقام سنته. ثم إن أبا سفيان أقبل من الشأم في عير لقريش، حتى إذا كان قريباً من بدر، نزل جبريل على النبيّ ﷺ، فأوحى إليه: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غيرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ فنفر النبيّ ﷺ بجميع المسلمين، وهو يومئذٍ ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، منهم سبعون ومئتان من الأنصار، وسائرهم من المهاجرين. وبلغ أبا سفيان الخبر وهو بالبطم، فبعث إلى جميع قريش وهم بمكة، فنفرت قريش وغضبت.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غيرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ قال: كان جبريل عليه السلام قد نزل، فأخبره بمسير قريش وهي تريد عيرها، ووعده: إما العير، وإما قريشاً وذلك كان ببدر، وأخذوا السقاة وسألوهم، فأخبروهم، فذلك قوله: ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غيرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ هم أهل مكة.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غيرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ...﴾ إلى آخر الآية: خرج النبيّ ﷺ إلى بدر وهم يريدون يعترضون عيراً لقريش، قال: وخرج الشيطان في صورة سراقة بن جعشم، حتى أتى أهل مكة، فاستغواهم وقال: إن محمداً وأصحابه قد عرضوا لعيركم، وقال: لا غالبَ لكم اليوم من الناس مَن مثلكم، وإني جار لكم أن تكونوا على ما يكره الله. فخرجوا ونادوا أن لا يتخلف منا أحد إلاَّ هدمنا داره واستبحناه وأخذ رسول الله ﷺ وأصحابه بالروحاء عيناً للقوم، فأخبره بهم، فقال رسول الله ﷺ: «إنَّ اللَّهَ قَدْ وَعَدَكُمُ العِيرَ أَوِ القَوْمَ». فكانت العير أحبّ إلى القوم من القوم، كان القتال في الشوكة، والعير ليس فيها قتال، وذلك قول الله: ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غيرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ قال: الشوكة: القتال، وغير الشوكة: العير.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا يعقوب بن محمد الزهري، قال: ثنا عبد الله بن وهب، عن ابن لهيعة، عن ابن أبي حبيب، عن أبي عمران، عن أبي أيوب، قال: أنزل الله جلّ وعزّ: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾ فلما وعدنا إحدى الطائفتين أنها لنا طابت أنفسنا. والطائفتان: عيرِ أبي سفيان، أو قريش.

حدثني المثنى، قال: ثنا سويد بن نصر، قال: أخبرنا ابن المبارك، عن ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب، عن أسلم أبي عمران الأنصاريّ، أحسبه قال: قال أبو أيوب: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ

اللَّهُ إِحدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غيرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ قالوا: الشوكة: القوم وغير الشوكة: العير فلما وعدنا الله إحدى الطائفتين: إما العير، وإما القوم، طابت أنفسنا.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثني يعقوب بن محمد، قال: ثني غير واحد، في قوله: **﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غيرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾** إن الشوكة قريش.

حُدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا مُعاذ، قال: ثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول، في قوله: **﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غيرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾** هي عير أبي سفيان، ودّ أصحاب رسول الله ﷺ أن العير كانت لهم وأن القتال صُرِف عنهم.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: **﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غيرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾**: أي الغنيمة دون الحرب.

وأما قوله: **﴿أَنَّهَا لَكُمْ﴾** ففُتحت على تكرير «يَعِدُ»، وذلك أن قوله: **﴿يَعِدُكُمُ اللَّهُ﴾** قد عمل في إحدى الطائفتين. فتأويل الكلام: **﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ﴾** يعدكم أن إحدى الطائفتين لكم، كما قال: **﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً﴾**. قال: **﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غيرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾** فأنث «ذات» لأنه مراد بها الطائفة.

ومعنى الكلام: وتودون أن الطائفة التي هي غير ذات الشوكة تكون لكم، دون الطائفة ذات الشوكة.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الحَقَّ بكَلِماتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الكافِرِينَ﴾.

يقول تعالى ذكره: ويريد الله أن يحقّ الإسلام ويعليه بكلماته، يقول: بأمره إياكم أيها المؤمنون بقتال الكفار، وأنتم تريدون الغنيمة والمال.

وقوله: **﴿وَيَقْطَعَ دَابِرَ الكافِرِينَ﴾** يقول: يريد أن يجبّ أصل الجاحدين توحيد الله. وقد بيّنا فيما مضى معنى دابر، وأنه المتأخر، وأن معنى قطعه الإتيان على الجميع منهم.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قول الله: **﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الحَقَّ بكَلِماتِهِ﴾** أن يقتل هؤلاء الذين أراد أن يقطع دابرهم، هذا خير لكم من العير.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: **﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الحَقَّ بكَلِماتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الكافِرِينَ﴾**: أي الوقعة التي أوقع بصناديد قريش وقادتهم يوم بدر.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ويريد الله أن يقطع دابر الكافرين كيما يحقّ الحقّ، كيما يعبد الله وحده دون الآلهة والأصنام، ويعزّ الإسلام، وذلك هو تحقيق الحق ﴿ويُبْطِلَ البَاطِلَ﴾ يقول ويبطل عبادة الآلهة والأوثان والكفر ﴿ولو كَرِهَ﴾ ذلك الذين أجرموا، فاكتسبوا المآثم والأوزار من الكفار.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿لِيُحِقَّ الحَقَّ وَيُبْطِلَ الباطِلَ وَلَوْ كَرِهَ المُجْرِمُونَ﴾ هم المشركون.

وقيل: إن الحقّ في هذا الموضع: الله عزّ وجلّ.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ويبطل الباطل حين تستغيثون ربكم، فـ«إذا» من صلة من «يبطل» ومعنى قوله: ﴿تسْتَغيثونَ رَبَّكُمْ﴾: تستجيرون به من عدوّكم، وتدعونه للنصر عليهم. ﴿فاستَجابَ لَكُمْ﴾ يقول: فأجاب دعاءكم بأني ممدكم بألف من الملائكة يُردف بعضهم بعضاً ويتلو بعضهم بعضاً.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل وجاءت الرواية عن أصحاب رسول الله ﷺ. ذكر الأخبار بذلك.

حدثني محمد بن عبيد المحاربي، قال: ثنا عبد الله بن المبارك، عن عكرمة بن عمار، قال: ثني سماك الحنفي، قال: سمعت ابن عباس يقول: ثني عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لما كان يوم بدر ونظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وعدتهم، ونظر إلى أصحابه نيفاً على ثلاثمائة، فاستقبل القبلة، فجعل يدعو ويقول: «اللهمّ أَنجِزْ لي ما وَعَدْتَني اللَّهُمَّ إنْ تَهْلِكْ هَذِهِ العِصَابَةُ مِنْ أَهْلِ الإسْلامِ، لا تُعْبَدْ فِي الأرْضِ» فلم يزل كذلك حتى سقط رداؤه، وأخذه أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فوضع رداءه عليه، ثم التزمه من ورائه، ثم قال: كفاك يا نبيّ الله بأبي وأمي مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك فأنزل الله: ﴿إذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فاسْتَجابَ لَكُمْ أنّي مُمِدُّكُم بألْفٍ مِنَ المَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قال:

لما اصطفّ القوم، قال أبو جهل: اللهمّ أولانا بالحقّ فانصره ورفع رسول الله ﷺ يده، فقال: «يا رَبّ إنْ تَهْلِكْ هَذِهِ العِصَابَةُ فَلَنْ تُعْبَدَ فِي الأرْضِ أبَداً».

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: قام النبيّ ﷺ، فقال: «اللَّهُمَّ رَبَّنا أنْزَلْتَ عَليَّ الكِتابَ، وأمَرْتَنِي بالقِتالِ، وَوَعَدْتَنِي بالنَّصْرِ، وَلا تُخْلِفُ المِيعادَ» فأتاهُ جبريل عليه السلام، فأنزل الله: **﴿ألَنْ يَكْفِيَكُمْ أنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلاثَةِ آلافٍ مِنَ المَلائِكَةِ مُنْزَلِينَ بَلى إنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيأتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ المَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾**.

حدثني أبو السائب، قال: ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن ابن إسحاق، عن زيد بن يُثَيْع قال: كان أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه مع رسول الله ﷺ في العريش، فجعل النبيّ ﷺ يدعو، يقول: «اللَّهُمَّ انْصُرْ هَذِهِ العِصَابَةَ، فإنَّكَ إنْ لَمْ تَفْعَلْ لَنْ تُعْبَدَ في الأرْضِ» قال: فقال أبو بكر: بَعْضَ مناشدتك منجزك ما وعدك.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قال: أقبل النبيّ ﷺ يدعو الله ويستغيثه ويستنصره، فأنزل الله عليه الملائكة.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قوله: **﴿إذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾** قال: دعا النبيّ ﷺ.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: **﴿إذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾**: أي بدعائكم حين نظروا إلى كثرة عدوّهم وقلة عددهم، فاستجاب لكم بدعاء رسول الله ﷺ ودعائكم معه.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو بكر بن عياش، عن أبي حصين، عن أبي صالح، قال: لما كان يوم بدر، جعل النبيّ ﷺ يناشد ربه أشدّ النشدة، يدعو فأتاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: يا رسول الله بعض نشدتك، فوالله ليفينّ الله لك بما وعدك.

وأما قوله: **﴿أنّي مُمِدُّكُمْ بألْفٍ مِنَ المَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾** فقد بينا معناه.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: **﴿أنّي مُمِدُّكُمْ بألْفٍ مِنَ المَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾** يقول: المزيد، كما تقول: ائت الرجل فزده كذا وكذا.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أحمد بن بشير، عن هارون بن عنترة، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿مُرْدِفِينَ﴾ قال: متتابعين.

قال: ثني أبي، عن سفيان، عن هارون بن عنترة، عن ابن عباس مثله.

حدثني سليمان بن عبد الجبار، قال: ثنا محمد بن الصلت، قال: ثنا أبو كدينة، عن قابوس، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ قال: وراء كلّ ملك ملك.

حدثني ابن وكيع، قال: ثنا أبو أسامة، عن أبي كدينة يحيى بن المهلب، عن قابوس، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿مُرْدِفِينَ﴾ قال: متتابعين.

قال: ثنا هانىء بن سعيد، عن حجاج بن أرطأة، عن قابوس، قال: سمعت أبا ظبيان يقول: ﴿مُرْدِفِينَ﴾ قال: الملائكة بعضهم على إثر بعض.

قال: ثنا المحاربي، عن جويبر، عن الضحاك، قال: ﴿مُرْدِفِينَ﴾ قال: بعضهم على إثر بعض.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله: ﴿مُرْدِفِينَ﴾ قال: ممدين. قال ابن جريج، عن عبد الله بن كثير قال: ﴿مُرْدِفِينَ﴾ الإرداف: الإمداد بهم.

حدثني بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ أي متتابعين.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ يتبع بعضهم بعضاً.

حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿مُرْدِفِينَ﴾ قال: المردفين بعضهم على إثر بعض، يتبع بعضهم بعضاً.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ، قال: ثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ يقول: متتابعين يوم بدر.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء أهل المدينة: «مُرْدَفِينَ» بنصب الدال. وقرأه بعض المكيين وعامّة قرّاء الكوفيين والبصريين: ﴿مُرْدِفِينَ﴾. وكان أبو عمرو يقرؤه كذلك، ويقول فيما ذُكر عنه: هو من أردف بعضهم بعضاً. وأنكر هذا القول من قول أبي عمرو بعض أهل العلم بكلام العرب، وقال: إنما الإرداف: أن يحمل الرجل صاحبه خلفه، قال: ولم يسمع هذا في نعت الملائكة يوم بدر.

واختلف أهل العلم بكلام العرب في معنى ذلك إذا قرىء بفتح الدال أو بكسرها، فقال بعض البصريين والكوفيين: معنى ذلك إذا قرىء بالكسر أن الملائكة جاءت يتبع بعضهم بعضاً على لغة من قال: أردفته وقالوا: العرب تقول: أردفته وردفته، بمعنى: تبعته وأتبعته. واستشهد لصحة قولهم ذلك بما قال الشاعر:

إذَا الجَوْزَاءُ أرْدَفَتِ الثُّرَيَّا ظَنَنْتُ بِآلِ فاطِمَةَ الظُّنُونا[1]

قالوا: فقال الشاعر: «أردفت»، وإنما أراد «ردفتُ» جاءت بعدها، لأن الجوزاء تجيء بعد الثريا. وقالوا معناه إذا قرىء ﴿مُرْدَفِينَ﴾ أنه مفعول بهم، كأن معناه: بألف من الملائكة يُردف الله بعضهم بعضاً.

وقال آخرون: معنى ذلك إذا كسرت الدال: أردفت الملائكة بعضها بعضاً، وإذا قرىء بفتحها: أردف الله المسلمين بهم.

والصواب من القراءة في ذلك عندي قراءة من قرأ: ﴿بِألْفٍ مِنَ المَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ بكسر الدال لإجماع أهل التأويل على ما ذكرت من تأويلهم أن معناه: يتبع بعضهم بعضاً ومتتابعين. ففي إجماعهم على ذلك من التأويل الدليل الواضح على أن الصحيح من القراءة ما اخترنا في ذلك من كسر الدال، بمعنى: أردف بعض الملائكة بعضاً، ومسموع من العرب: جئت مِرْدِفاً لفلان: أي جئت بعده.

وأما قول من قال: معنى ذلك إذا قرىء «مُرْدَفِينَ» بفتح الدال: أن الله أردف المسلمين بهم، فقول لا معنى له إذ الذكر الذي في مردفين من الملائكة دون المؤمنين.

---

(١) البيت في «اللسان»: ردف لخزيمة بن مالك بن نهد. قال: وأردفه أمر: لغة في ردفه، مثل تبعه وأتبعه بمعنى، قال خزيمة إذا الجواز.... البيت. يعني فاطمة بنت يذكر بن عنزة، أحد القارظين. قال: ومعنى بيت خزيمة على ما حكاه عن أبي بكر ابن السراج: أن الجواز تردف الثريا في شدة الحر، فتتكبد السماء في آخر الليل، وعند ذلك تنقطع المياه وتجف، فتتفرق الناس في طلب المياه، فتغيب عنه محبوبته، فلا يدري أين مضت، ولا أين نزلت؟ وفي حديث بدر: «فأمدهم الله بألف من الملائكة مردفين»: أي متتابعين، يردف بعضهم بعضاً.

وإنما معنى الكلام: أن يمدّكم بألف من الملائكة يردَف بعضهم ببعض، ثم حذف ذكر الفاعل، وأخرج الخبر غير مسمى فاعله، فقيل: ﴿مُرْدَفِينَ﴾ بمعنى: مردَف بعضُ الملائكة ببعض، ولو كان الأمر على ما قاله من ذكرنا قوله وجب أن يكون في المردَفين ذكر المسلمين لا ذكر الملائكة، وذلك خلاف ما دلّ عليه ظاهر القرآن.

وقد ذكر في ذلك قراءة أخرى، وهي ما:

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: قال عبد الله بن يزيد: «مُرْدِفِينَ»، ومُرْدَفِينَ و «مُرُدِّفِينَ»، مثقل على معنى: مُرْتَدِفين.

حدثنا المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا يعقوب بن محمد الزهري، قال: ثني عبد العزيز بن عمران عن الربعي، عن أبي الحويرث، عن محمد بن جبير، عن عليّ رضي الله عنه، قال: نزل جبريل في ألف من الملائكة عن ميمنة النبيّ ﷺ، وفيها أبو بكر رضي الله عنه، ونزل ميكائيل عليه السلام في ألف من الملائكة عن ميسرة النبيّ ﷺ، وأنا فيها.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: لم يجعل الله إرداف الملائكة بعضها بعضاً وتتابعها بالمصير إليكم أيها المؤمنون مددا لكم إلاّ بشرى لكم: أي بشارة لكم تبشركم بنصر الله إياكم على أعدائكم. ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلوبُكُمْ﴾ يقول: ولتسكن قلوبكم بمجيئها إليكم، وتوقن بنصرة الله لكم، ﴿وَما النَّصْرُ إلاَّ مِنْ عِنْدِ اللّهِ﴾: يقول: وما تُنصرون على عدوّكم أيها المؤمنون إلاّ أن ينصركم الله عليهم، لا بشدة بأسكم وقواكم، بل بنصر الله لكم، لأن ذلك بيده وإليه، ينصر من يشاء من خلقه. ﴿إنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ يقول: إن الله الذي ينصركم وبيده نصر من يشاء من خلقه، عزيز لا يقهره شيء، ولا يغلبه غالب، بل يقهر كلّ شيء ويغلبه، لأنه خلقه حكيم، يقول: حكيم في تدبيره ونصره من نصر، وخذلانه من خذل من خلقه، لا يدخل تدبيره وهن ولا خلل.

ورُوي عن عبد الله بن كثير، عن مجاهد في ذلك ما:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج عن ابن جريج، قال: أخبرني ابن كثير أنه سمع مجاهداً يقول: ما مدّ النبيّ ﷺ مما ذكر الله غير ألف من الملائكة مردفين، وذكر الثلاثة والخمسة بشرى، ما مدّوا بأكثر من هذه الألف الذي ذكر الله عزّ وجلّ في الأنفال. وأما الثلاثة والخمسة، فكانت بشرى.

وقد أتينا على ذلك في سورة آل عمران بما فيه الكفاية.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾

يقول تعالى ذكره: ولتطمئن به قلوبكم إذ يعشيكم النعاس. ويعني بقوله: ﴿**يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ**﴾: يلقي عليكم النعاس، ﴿**أَمَنَةً**﴾ يقول: أمانا من الله لكم من عدوّكم أن يغلبكم، وكذلك النعاس في الحرب أمنة من الله عزّ وجلّ.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو نعيم، قال: ثنا سفيان، عن عاصم، عن أبي رزين، عن عبد الله، قال: النعاس في القتال أمنة من الله عزّ وجلّ، وفي الصلاة من الشيطان.

حدثني الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوريّ، في قوله: ﴿**يغشاكم النعاس أمنة منه**﴾، عن عاصم، عن أبي رزين، عن عبد الله، بنحوه، قال: قال عبد الله: فذكر مثله.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن عاصم، عن أبي رزين، عن عبد الله بنحوه.

والأمنة: مصدر من قول القائل: أمنت من كذا أَمَنَةً وأماناً وأمناً، وكلّ ذلك بمعنى واحد.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿**أَمَنَةً منْهُ**﴾: أماناً من الله عزّ وجلّ.

قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿**أَمَنَةً**﴾ قال: أمناً من الله.

حدثني يونس، قال: ثنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعاسَ أَمَنَةً مِنْهُ**﴾ قال: أنزل الله عزّ وجلّ النعاس أمنة من الخوف الذي أصابهم يوم أُحد. فقرأ: ﴿**ثُمَّ**

أنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الغَم أَمَنَةً نُعاساً﴾ .

واختلفت القراء في قراءة قوله: «إذْ يُغَشاكُمُ النُّعاسُ أمَنَةً مِنْهُ» فقرأ ذلك عامَّة قراء أهل المدينة «يُغَشِيكُمُ النُّعاسَ» بضم الياء وتخفيف الشين ونصب «النعاس»، من أغشاهم الله النعاس، فهو يغشيهم. وقرأته عامة قراء الكوفيين: **﴿يُغَشِّيكُم﴾** بضم الياء وتشديد الشين من غشّاهم الله النعاس، فهو يُغَشّيهم. وقرأ ذلك بعض المكيين والبصريين: «يَغْشاكُم النُّعاسُ» بفتح الياء ورفع «النعاس»، بمعنى غشيهم النعاس، فهو يغشاهم واستشهد هؤلاء لصحة قراءتهم كذلك بقوله في آل عمران: **﴿يَغْشَى طائفَةً﴾** .

وأولى ذلك بالصواب: **﴿إذْ يُغَشِّيكُم﴾** على ماذكرت من قراءة الكوفيين، لإجماع جميع القرّاء على قراءة قوله: **﴿ويُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّماءِ ماءً﴾** بتوجيه ذلك إلى أنه من فعل الله عزّ وجلّ، فكذلك الواجب أن يكون كذلك: **﴿يُغَشِّيكُم﴾** إذ كان قوله: **﴿ويُنَزِّلُ﴾** عطفاً على «يُغَشّي»، ليكون الكلام متسقاً على نحو واحد.

وأما قوله: **﴿ويُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّماءِ ماءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ﴾** فإن ذلك مطر أنزله الله من السماء يوم بدر، ليطهر به المؤمنين لصلاتهم لأنهم كانوا أصبحوا يومئذٍ مُجْنِبين على غير ماء فلما أنزل الله عليهم الماء اغتسلوا وتطهروا. وكان الشيطان وسوس لهم بما حزنهم به من إصباحهم مجنبين على غير ماء، فأذهب الله ذلك من قلوبهم بالمطر فذلك ربطه على قلوبهم وتقويته أسبابهم وتثبيته بذلك المطر أقدامهم، لأنهم كانوا التقوا مع عدوّهم على رَمْلة هَشّاء فلبَّدَها المطر حتى صارت الأقدام عليها ثابتة لا تسوخ فيها، توطئة من الله عزّ وجلّ لنبيه عليه الصلاة والسلام وأوليائه أسباب التمكن من عدوهم والظفر بهم. وبمثل الذي قلنا، تتابعت الأخبار عن رسول الله ﷺ وغيره من أهل العلم. ذكر الأخبار الواردة بذلك:

حدثنا هارون بن إسحاق، قال: ثنا مصعب بن المقدام، قال: ثنا إسرائيل، قال: ثنا أبو إسحاق، عن حارثة، عن عليّ رضي الله عنه، قال: أصابنا من الليل طشٌ من المطر يعني الليلة التي كانت في صبيحتها وقعة بدر فانطلقنا تحت الشجر والحجف، نستظلّ تحتها من المطر، وبات رسول الله ﷺ يدعو به: «اللَّهُمَّ إنْ تَهْلِكْ هَذِهِ العِصَابَةُ لا تُعْبَدْ في الأرْضِ» فلما أن طلع الفجر نادى: الصَّلاةَ عِبادَ اللّهِ، فجاء الناس من تحت الشجر والحجف، فصلى بنا رسول الله ﷺ، وحرّض على القتال.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا حفص بن غياث وأبو خالد، عن داود، عن سعيد بن المسيب: **﴿ماءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ﴾** قال: طشّ يوم بدر.

حدثني الحسن بن يزيد، قال: ثنا حفص، عن داود، عن سعيد، بنحوه.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا محمد أبي عديّ وعبد الأعلى، عن داود، عن الشعبيّ وسعيد بن المسيب، قالا: طش يوم بدر.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا ابن أبي عديّ، عن داود، عن الشعبي وسعيد بن المسيب في هذه الآية: ﴿يُنَزِّلُ عَلَيكُمْ مِنَ السَّماءِ ماءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ، وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجزَ الشَّيطانِ﴾ قالا: طش كان يوم بدر، فثبت الله به الأقدام.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: «إذْ يَغْشاكُمُ النُّعاسُ أمَنَةً مِنْهُ»... الآية، ذكر لنا أنهم مطروا يومئذٍ حتى سال الوادي ماء، واقتتلوا على كثيب أعفر، فلبده الله بالماء، وشرب المسلمون وتوضأوا وسَقَوْا، وأذهب الله عنهم وسواس الشيطان.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قال: نزل النبيّ ﷺ يعني حين سار إلى بدر والمسلمون بينهم وبين الماء رملة دعصة[1] فأصاب المسلمين ضعف شديد، وألقى الشيطان في قلوبهم الغيظ، فوسوس بينهم: تزعمون أنكم أولياء الله وفيكم رسوله، وقد غلبكم المشركون على الماء وأنتم تصلون مجنبين فأمطر الله عليهم مطراً شديداً، فشرب المسلمون وتطهروا، وأذهب الله عنهم رجز الشيطان. وثبت الرمل حين أصابه المطر، ومشى الناس عليه والدوابّ فساروا إلى القوم، وأمدّ الله نبيه بألف من الملائكة، فكان جبريل عليه السلام في خمسمائة من الملائكة مجنبة، وميكائيل في خمسمائة مجنبة.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: «إذْ يُغْشاكُمُ النُّعاسُ أمَنَةً مِنْهُ...» إلى قوله: ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ الأقْدامَ﴾ وذلك أن المشركين من قريش لما خرجوا لينصروا العير ويقاتلوا عنها، نزلوا على الماء يوم بدر، فغلبوا المؤمنين عليه، فأصاب المؤمنين الظمأ، فجعلوا يصلون مجنبين محدثين، حتى تعاظم ذلك في صدور أصحاب رسول الله ﷺ. فأنزل الله من السماء ماء حتى سال الوادي، فشرب المسلمون وملأوا الأسقية، وسقوا الركاب واغتسلوا من الجنابة، فجعل الله في ذلك طُهوراً، وثبت الأقدام. وذلك أنه كانت بينهم وبين القوم رملة فبعث الله عليها المطر. فضربها حتى اشتدت، وثبتت عليها الأقدام.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ،

(١) الدعصة: الطائفة من الرمل المجتمع «اللسان»: دعص.

قال: بينا رسول الله ﷺ والمسلمون، فسبقهم المشركون إلى ماء بدر، فنزلوا عليه، وانصرف أبو سفيان وأصحابه تلقاء البحر، فانطلقوا. قال: فنزلوا على أعلى الوادي، ونزل محمد ﷺ في أسفله. فكان الرجل من أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام يُجنب فلا يقدر على الماء، فيصلي جنباً، فألقى الشيطان في قلوبهم، فقال: كيف ترجون أن تظهروا عليهم وأحدكم يقوم إلى الصلاة جنباً على غير وضوء؟ قال: فأرسل الله عليهم المطر، فاغتسلوا وتوضأوا وشربوا، واشتدت لهم الأرض، وكانت بطحاء تدخل فيها أرجلهم، فاشتدّت لهم من المطر واشتدّوا عليها.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس: غلب المشركون المسلمين في أوّل أمرهم على الماء فظمىء المسلمون، وصلوا مجنبين محدثين، وكانت بينهم رمال، فألقى الشيطان في قلوب المؤمنين الحزن، فقال: تزعمون أن فيكم نبيّاً وأنكم أولياء الله، وقد غلبتم على الماء وتصلون مجنبين محدثين؟ قال: فأنزل الله ماء من السماء، فسال كلّ واد، فشرب المسلمون وتطهروا، وثبتت أقدامهم، وذهبت وسوسة الشيطان.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿ماءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ﴾ قال: المطر أنزله عليهم قبل النعاس. ﴿رِجزَ الشَّيطَانِ﴾ قال: وسوسته. قال: فأطفأ بالمطر الغبار، والتبدت به الأرض، وطابت به أنفسهم، وثبتت به أقدامهم.

حدثنا المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿ماءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ﴾ أنزله عليهم قبل النعاس، طبق المطر الغبار، ولبد به الأرض، وطابت به أنفسهم، وثبتت به الأقدام.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿ماءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ﴾ قال: القطر ﴿ويُذهِبَ عَنكُمْ رِجزَ الشَّيطَانِ﴾ وساوسه. أطفأ بالمطر الغبار، ولبد به الأرض، وطابت به أنفسهم، وثبتت به أقدامهم.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، رجز الشيطان: وسوسته.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيكُمْ مِنَ السَّماءِ ماءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ﴾ قال: هذا يوم بدر أنزل عليهم القطر. ﴿وَيُذهِبَ عَنكُمْ رِجزَ

الشَّيطانِ﴾ الذي ألقى في قلوبكم ليس لكم بهؤلاء طاقة. **﴿ولِيَرْبِطَ على قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأقْدامَ﴾**.

حُدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: **﴿إذْ يَغْشاكُمُ النُّعاسُ أمَنَةً مِنْهُ...﴾** إلى قوله: **﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ الأقْدَامَ﴾**: إن المشركين نزلوا بالماء يوم بدر، وغلبوا المسلمين عليه، فأصاب المسلمين الظمأ، وصلوا محدثين مجنبين، فألقى الشيطان في قلوب المؤمنين الحزن، ووسوس فيها: إنكم تزعمون أنكم أولياء الله وأن محمداً نبيّ الله، وقد غلبتم على الماء وأنتم تصلون محدثين مجنبين فأمطر الله السماء حتى سال كلّ واد، فشرب المسلمون وملئوا أسقيتهم وسقوا دوابهم واغتسلوا من الجنابة، وثبت الله به الأقدام وذلك أنهم كان بينهم وبين عدوّهم رملة لا تجوزها الدوابّ، ولا يمشي فيها الماشي إلاّ بجهد، فضربها الله بالمطر حتى اشتدت وثبتت فيها الأقدام.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: «إذْ يَغْشاكُمُ النُّعاسُ أمَنَةً مِنْهُ»: أي أنزلت عليكم الأمنة حتى نمتم لا تخافون، ونزل عليكم من السماء المطر الذي أصابهم تلك الليلة، فحبس المشركون أن يسبقوا إلى الماء، وخُلي سبيلُ المؤمنين إليه. **﴿لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيطانِ وَلِيَرْبِطَ على قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأقْدَامَ﴾**: ليذهب عنهم شكّ الشيطان بتخويفه إياهم عدوّهم، واستجلاد الأرض لهم، حتى انتهوا إلى منزلهم الذي سبق إليه عدوّهم.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قال: ثم ذكر ما ألقى الشيطان في قلوبهم من شأن الجنابة وقيامهم يصلون بغير وضوء، فقال: «إذْ يَغْشاكُمُ النُّعاسُ أمَنَةً مِنْهُ ويُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّماءِ ماءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطانِ وَلِيَرْبِطَ على قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأقْدَامَ» حتى تشتدّون على الرمل، وهو كهيئة الأرض.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، قال: ثنا داود بن أبي هند، قال: قال رجل عند سعيد بن المسيب، وقال مرّة قرأ: **﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّماءِ ماءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ﴾** فقال سعيد: إنما هي: «وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّماءِ ماءً لِيُطْهِرَكُمْ بِهِ» قال: وقال الشعبي: كان ذلك طشّاً يوم بدر.

وقد زعم بعض أهل العلم بالغريب من أهل البصرة، أن مجاز قوله: **﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ الأقْدَامَ﴾** ويفرغ عليهم الصبر وينزله عليهم، فيثبتون لعدوّهم. وذلك قول خلاف لقول جميع أهل التأويل من الصحابة والتابعين، وحسب قول خطأ أن يكون خلافاً لقول من ذكرنا. وقد بيّنا أقوالهم فيه، وأن معناه: ويثبت أقدام المؤمنين بتلبيد المطر الرمل حتى لا تسوخ فيه أقدامهم وحوافر دوابهم.

وأما قوله: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلى المَلائِكَةِ أنّي مَعَكُمْ﴾ أنصركم، ﴿فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يقول: قوّوا عزمهم، وصححوا نياتهم في قتال عدوّهم من المشركين. وقد قيل: إن تثبيت الملائكة المؤمنين كان حضورهم حربهم معهم، وقيل: كان ذلك معونتهم إياهم بقتال أعدائهم، وقيل: كان ذلك بأن الملك يأتي الرجل من أصحاب النبيّ ﷺ يقول: سمعت هؤلاء القوم، يعني المشركين يقولون: والله لئن حملوا علينا لننكشفن، فيحدث المسلمون بعضهم بعضاً بذلك، فتقوى أنفسهم. قالوا: وذلك كان وحيَ الله إلى ملائكته.

وأما ابن إسحاق، فإنه قال بما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي فآزروا الذين آمنوا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿سأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّعْبَ فاضْرِبُوا فَوْقَ الأعْناقِ وَاضْرِبُوا مِنهُمْ كُلَّ بَنانٍ﴾.

يقول تعالى ذكره: سأرعب قلوب الذين كفروا بي أيها المؤمنون منكم، وأملؤها فَرَقاً حتى ينهزموا عنكم، فاضربوا فوق الأعناق

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿فَوْقَ الأعْناقِ﴾ فقال بعضهم: معناه: فاضربوا الأعناق.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن إدريس، عن أبيه، عن عطية: ﴿فاضْرِبُوا فَوْقَ الأعْناقِ﴾ قال: اضربوا الأعناق.

قال: ثنا أبي، عن المسعودي، عن القاسم، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّي لَمْ أُبْعَثْ لاِعَذّبَ بِعَذَابِ اللّهِ، إنّما بُعِثْتُ لِضَرْبِ الأعْناقِ وَشَدّ الوثاقِ».

حُدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ، قال: ثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿فاضْرِبُوا فَوْقَ الأعْناقِ﴾ يقول: اضربوا الرقاب.

واحتجّ قائلو هذه المقالة بأن العرب تقول: رأيت نفس فلان، بمعنى رأيته، قالوا: فكذلك قوله: ﴿فاضْرِبُوا فَوْقَ الأعْناقِ﴾ إنما معناه: فاضربوا الأعناق.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: فاضربوا الرءوس.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: وحدثنا الحسين، عن يزيد، عن عكرمة: ﴿**فاضْرِبُوا فَوْقَ الأعْناقِ**﴾ قال: الرءوس.

واعتلّ قائلو هذه المقالة بأن الذي فوق الأعناق: الرؤوس، وقالوا: وغير جائز أن تقول: فوق الأعناق، فيكون معناه: الأعناق. قالوا: ولو جاز ذلك أن يقال تحت الأعناق، فيكون معناه: الأعناق. قالوا: وذلك خلاف المعقول من الخطاب، وقلب معاني الكلام.

وقال آخرون: معنى ذلك: فاضربوا على الأعناق. وقالوا: «على» و «فوق» معناهما متقاربان، فجاز أن يوضع أحدهما مكان الآخر.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله أمر المؤمنين معلمهم كيفية قتل المشركين وضربهم بالسيف أن يضربوا فوق الأعناق منهم والأيدي والأرجل وقوله: ﴿**فَوْقَ الأعْناقِ**﴾ محتمل أن يكون مراداً به الرؤوس، ومحتمل أن يكون مراداً به فوق جلدة الأعناق، فيكون معناه: على الأعناق وإذا احتمل ذلك صحّ قول من قال: معناه: الأعناق. وإذا كان الأمر محتملاً ما ذكرنا من التأويل، لم يكن لنا أن نوجهه إلى بعض معانيه دون بعض إلاّ بحجة يجب التسليم لها، ولا حجة تدلّ على خصوصه، فالواجب أن يقال: إن الله أمر بضرب رؤوس المشركين وأعناقهم وأيديهم وأرجلهم أصحاب نبيه ﷺ الذين شهدوا معه بدراً.

وأما قوله: ﴿**وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنانٍ**﴾ فإن معناه: واضربوا أيها المؤمنون من عدوّكم كلّ طرف ومفصل من أطراف أيديهم وأرجلهم. والبنان: جمع بنانة، وهي أطراف أصابع اليدين والرجلين، ومن ذلك قول الشاعر:

أَلا لَيْتَنِي قَطَّعْتُ مِنِّي بَنانَةً ... وَلاقَيْتُهُ فِي البَيْتِ يَقْظانَ حاذِرَا(١)

يعني بالبنانة: واحدة البنان.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

---

(١) البيت في «اللسان»: بنن قال: والبنان: الأصابع. وقيل أطرافها. واحدتها: بنانة. وأنشد ابن بري لعباس بن مرداس: ألا ليتني. . . . البيت. وقوله عز وجل: «واضربوا منهم كل بنان»: قال أبو إسحاق: البنان هاهنا: جميع أعضاء البدن. وحكى الأزهري عن الزجاج، قال: واحد البنان: بنانة. ومعناها هاهنا: الأصابع وغيرها من جميع الأعضاء. وقال الليث: البنان: أطراف الأصابع من اليدين والرجلين. قال: والبنان في كتاب الله: هو الشوى، وهي الأيدي والأرجل. قال: والبنانه: الإصبع ا هـ وقال الفراء في «**معاني القرآن**» (ص - ١١٧) مصورة جامعة القاهرة وقوله: فاضربوا فوق الأعناق: علمهم مواضع الضرب، فقال: اضربوا الرؤوس والأيدي والأرجل، فذلك قوله: واضربوا منهم كل بنان ا هـ. والحاذر: المستعد للقتال بالسلاح.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو السائب، قال: ثنا ابن إدريس، عن أبيه، عن عطية: ﴿**وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ**﴾ قال: كلّ مفصل.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن إدريس، عن أبيه، عن عطية: ﴿**وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ**﴾ قال: المفاصل.

قال: ثنا المحاربي، عن جويبر، عن الضحاك: ﴿**وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ**﴾ قال: كلّ مفصل.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا الحسن، عن يزيد، عن عكرمة: ﴿**وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ**﴾ قال: الأطراف، ويقال: كلّ مفصل.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس: ﴿**وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ**﴾ يعني بالبنان: الأطراف.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قوله: ﴿**وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ**﴾ قال: الأطراف.

حُدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ، قال: ثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿**وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ**﴾ يعني الأطراف.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾﴾.

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿**ذلكَ بأَنَّهُمْ**﴾ هذا الفعل من ضرب هؤلاء الكفرة فوق الأعناق، وضرب كلّ بنان منهم، جزاء لهم بشقاقهم الله ورسوله، وعقاب لهم عليه، ومعنى قوله: ﴿**شاقُّوا الله وَرَسُولَهُ**﴾ فارقوا أمر الله ورسوله وعصوهما، وأطاعوا أمر الشيطان. ومعنى قوله: ﴿**وَمَنْ يُشاقِقِ اللّهَ وَرَسُولَهُ**﴾ ومن يخالف أمر الله وأمر رسوله، وفارق طاعتهما. ﴿**فإنَّ اللّهَ شَدِيدُ العِقابِ**﴾ له، وشدة عقابه له في الدنيا: إحلاله به ما كان يحلّ بأعدائه من النقم، وفي الآخرة الخلود في نار جهنم. وحذف «له» من الكلام لدلالة الكلام عليها.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: هذا العقاب الذي عجلته لكم أيها الكافرون المشاقون لله ورسوله في الدنيا، من الضرب فوق الأعناق منكم، وضرب كلّ بنان بأيدي أوليائي المؤمنين، فذوقوه عاجلاً، واعلموا أن لكم في الآجل والمعاد عذاب النار.

ولفتح «أن» من قوله: ﴿وأنّ للكافِرينَ﴾ من الإعراب وجهان: أحدهما الرفع، والآخر النصب. فأما الرفع فبمعنى: ذلكم فذوقوه، ذلكم وأن للكافرين عذاب النار بنية تكرير «ذلكم»، كأنه قيل: ذلكم الأمر وهذا. وأما النصب فمن وجهين: أحدهما: ذلكم فذوقوه، واعلموا، أو وأيقنوا أن للكافرين، فيكون نصبه بنية فعل مضمر، قال الشاعر:

ورأيتِ زَوْجَكِ في الوَغَى مُتَقَلِّداً سَيْفاً وَرُمْحَا[1]

بمعنى: وحاملاً رمحاً. والآخر بمعنى: ذلكم فذوقوه، وبأن للكافرين عذاب النار، ثم حذفت الباء فنصبت.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾

يعني تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله ﴿إذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا في القِتالِ زَحْفاً﴾ يقول: متزاحفاً بعضكم إلى بعض، والتزاحف: التداني والتقارب. ﴿فَلا تُوَلُّوهُمُ الأدْبارَ﴾ يقول: فلا تولوهم ظهوركم فتنهزموا عنهم، ولكن اثبتوا لهم فإن الله معكم عليهم. ﴿وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ﴾ يقول: ومن يولهم منكم ظهره ﴿إلاَّ مُتَحَرِّفاً لِقِتالٍ﴾ يقول: إلا مستطرداً لقتال عدوّه بطلب عورة له يمكنه إصابتها فيكرّ عليه ﴿أوْ مُتَحَيِّزاً إلى فِئَةٍ﴾ أو إلا أن يوليهم ظهره متحيزاً إلى فئة، يقول: صائراً إلى حيز المؤمنين الذين يفيئون به معهم إليهم لقتالهم ويرجعون به معهم إليهم.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

---

(١) البيت تقدم إنشاده في عدة مواضع من التفسير، وشرحناه في هامش (ج ٣: ٢٧٥).

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبو خالد الأحمر، عن جويبر، عن الضحاك: ﴿**إلاَّ مُتَحَرِّفاً لِقِتالٍ أوْ مُتَحَيِّزاً إلى فِئَةٍ**﴾ قال: المتحرّف: المتقدّم من أصحابه ليرى غرّة من العدوّ فيصيبها. قال: والمتحيز: الفارّ إلى النبيّ ﷺ وأصحابه، وكذلك من فرّ اليوم إلى أميره أو أصحابه. قال الضحاك: وإنما هذا وعيد من الله لأصحاب محمد ﷺ أن لا يفرّوا، وإنما كان النبيّ عليه الصلاة والسلام فئتهم.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿**وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إلاَّ مُتَحَرِّفاً لِقِتالٍ أوْ مُتَحَيِّزاً إلى فِئَةٍ**﴾ أما المتحرّف يقول: إلاَّ مستطرداً، يريد العودة. ﴿**أوْ مُتَحَيِّزاً إلى فِئَةٍ**﴾ قال: المتحيز إلى الإمام وجنده إن هو كرّ فلم يكن له بهم طاقة، ولا يعذر الناس وإن كثروا أن يولوا عن الإمام.

واختلف أهل العلم في حكم قول الله عزّ وجلّ: ﴿**وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إلاَّ مُتَحَرِّفاً لِقِتالٍ أوْ مُتَحَيِّزاً إلى فِئَةٍ فَقَدْ باءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللّهِ ومَأْوَاهُ جَهَنَّمُ**﴾ هل هو خاصّ في أهل بدر، أم هو في المؤمنين جميعاً؟ فقال قوم: هو لأهل بدر خاصة، لأنه لم يكن لهم أن يتركوا رسول الله ﷺ مع عدوّه وينهزموا عنه فأما اليوم فلهم الانهزام.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا عبد الأعلى، قال: ثنا داود، عن أبي نضرة، في قول الله عزّ وجلّ: ﴿**وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ**﴾ قال: ذاك يوم بدر، ولم يكن لهم أن ينحازوا، ولو انحاز أحد لم ينحز إلاَّ إليّ. قال أبو موسى: يعني إلى المشركين.

حدثنا إسحاق بن شاهين، قال: ثنا خالد، عن داود، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد، قوله عزّ وجلّ: ﴿**وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ**﴾ ثم ذكر نحوه، إلاَّ أنه قال: ولو انحازوا انحازوا إلى المشركين، ولم يكن يومئذٍ مسلم في الأرض غيرهم.

حدثنا حميد بن مسعدة، قال: ثنا بشر بن مفضل، قال: ثنا داود، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد، قال: نزلت في يوم بدر: ﴿**وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ**﴾.

حدثني ابن المثنى، وعليّ بن مسلم الطوسي، قال ابن المثنى: ثني عبد الصمد، وقال عليّ: ثنا عبد الصمد، قال: ثنا شعبة، عن داود، يعني ابن أبي هند، عن أبي نضرة، عن أبي

سعيد: ﴿وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ﴾ قال: يوم بدر. قال أبو موسى: حُدثت أن في كتاب غندر[1] هذا الحديث، عن داود، عن الشعبي، عن أبي سعيد.

حدثنا أحمد بن محمد الطوسي، قال: ثنا عليّ بن عاصم، عن داود بن أبي هند، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد الخدريّ، قال: إنما كان ذلك يوم بدر لم يكن للمسلمين فئة إلاّ رسول الله ﷺ، فأما بعد ذلك، فإن المسلمين بعضهم فئة لبعض.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عبد الأعلى، قال: ثنا داود، عن أبي نضرة: ﴿وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ﴾ قال: هذه نزلت في أهل بدر.

حدثنا يعقوب، قال: ثنا ابن علية، عن ابن عون، قال: كتبت إلى نافع أسأله، عن قوله: ﴿وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ﴾ أكان ذلك اليوم أم هو بعد؟ قال: وكتب إليّ: إنما كان ذلك يوم بدر.

حدثنا عليّ بن سهل، قال: ثنا زيد، عن سفيان، عن جويبر، عن الضحاك، قال: إنما كان الفرار يوم بدر، ولم يكن لهم ملجأ يلجئون إليه، فأما اليوم فليس فرار.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن الربيع، عن الحسن: ﴿وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ﴾ قال: كانت هذه يوم بدر خاصة، ليس الفرار من الزحف من الكبائر.

قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن رجل، عن الضحاك ﴿وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ﴾ قال: كانت هذه يوم بدر خاصة، قال: ثنا روح بن عبادة، عن حبيب بن الشهيد، عن الحسن ﴿وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ﴾ قال: نزلت في أهل بدر.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ﴾ قال: ذلكم يوم بدر.

حدثني المثنى، قال: ثنا سويد، قال: أخبرنا ابن المبارك عن المبارك بن فضالة، عن الحسن ﴿وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ﴾ قال: ذلك يوم بدر، فأما اليوم فإن انحاز إلى فئة أو مصر أحسبه قال: فلا بأس به.

حدثني المثنى، قال: ثنا قبيصة بن عقبة، قال: ثنا سفيان، عن ابن عون، قال: كتبت إلى نافع ﴿وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ؟﴾ قال: إنما هذا يوم بدر.

---

(١) غندر: لقب محمد بن جعفر الهذلي، مولاهم البصري أبو عبد الله الكرابيسي الحافظ ربيب شعبة بن الحجاج توفي سنة ١٩٣ أو ١٩٤ هـ.

حدثني المثنى، قال: ثنا سويد بن نصر، قال: ثنا ابن المبارك، عن ابن لهيعة، قال: ثني يزيد بن أبي حبيب، قال: أوجب الله لمن فرّ يوم بدر النار، قال: ﴿**وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِقِتالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلى فِئَةٍ فَقَدْ باءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ**﴾ فلما كان يوم أُحد بعد ذلك قال: ﴿**إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيطانُ بِبَعْضِ ما كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفا اللَّهُ عَنْهُمْ**﴾ ثم كان حنين بعد ذلك بسبع سنين، فقال ﴿**ثُمَّ وَلَّيْتُم مُدْبِرِينَ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذلكَ عَلى مَنْ يَشاءُ**﴾.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، قال: ثنا ابن عون، عن محمد، أن عمر رضي الله عنه بلغه قتل أبي عبيد، فقال: لو تحيز إليّ لكنت له فئة.

حدثني المثنى، قال: ثنا سويد، قال: ثنا ابن المبارك، عن جرير بن حازم، قال: ثني قيس بن سعيد، قال: سألت عطاء بن أبي رباح، عن قوله: ﴿**وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ**﴾ قال: هذه منسوخة بالآية التي في الأنفال: ﴿**الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً فإِنْ يَكُن مِنْكُم مِئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِئَتَيْنِ**﴾ قال: وليس لقوم أن يفروا من مثليهم. قال: ونسخت تلك إلاّ هذه العدّة.

حدثني المثنى، قال: ثنا سويد، قال: أخبرنا ابن المبارك، عن سليمان التيمي، عن أبي عثمان، قال: لما قتل أبو عبيد جاء الخبر إلى عمر، فقال: يا أيها الناس أنا فئتكم.

قال ابن المبارك، عن معمر وسفيان الثوري وابن عيينة، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: قال عمر رضي الله عنه: أنا فئة كلّ مسلم.

وقال آخرون: بل هذه الآية حكمها عام في كلّ من ولى الدبر عن العدوّ منهزماً.

ذكر من قال ذلك.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قال: أكبر الكبائر: الشرك بالله، والفرار من الزحف لأن الله عزّ وجل يقول: ﴿**وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ... فَقَدْ باءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ المَصِيرِ**﴾.

وأولى التأويلين في هذه الآية بالصواب: عندي قول من قال: حكمها محكم، وأنها نزلت في أهل بدر، وحكمها ثابت في جميع المؤمنين، وأن الله حرّم على المؤمنين إذا لقوا العدوّ أن يولوهم الدبر منهزمين، إلاّ لتحرّف القتال، أو لتحيز إلى فئة من المؤمنين حيث كانت من أرض الإسلام، وأن من ولاهم الدبر بعد الزحف لقتال منهزماً بغير نية إحدى الخلتين اللتين أباح الله التولية بهما، فقد استوجب من الله وعيده إلاّ أن يتفضل عليه بعفوه.

وإنما قلنا هي محكمة غير منسوخة، لما قد بيَّنا في غير موضع من كتابنا هذا وغيره أنه لا يجوز أن يحكم لحكم آية بنسخ وله في غير النسخ وجه إلاَّ بحجة يجب التسليم لها من خبر يقطع العذر أو حجة عقل، ولا حجة من هذين المعنيين تدلّ على نسخ حكم قول الله عزّ وجلّ: ﴿**وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إلاَّ مُتَحَرِّفاً لِقِتالٍ أوْ مُتَحَيِّزاً إلى فِئَةٍ**﴾.

وأما قوله: ﴿**فَقَدْ باءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ**﴾ يقول: فقد رجع بغضب من الله، ﴿**ومَأْوَاهُ جَهَنَّمُ**﴾ يقول: ومصيره الذي يصير إليه في معاده يوم القيامة جهنم وبئس المصير، يقول: وبئس الموضع الذي يصير إليه ذلك المصير.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله ممن شهد بدراً مع رسول الله ﷺ فقاتل أعداء دينه معه من كفار قريش: فلم تقتلوا المشركين أيها المؤمنون أنتم، ولكن الله قتلهم. وأضاف جلّ ثناؤه قتلهم إلى نفسه، ونفاه عن المؤمنين به الذين قاتلوا المشركين، إذ كان جلّ ثناؤه هو مسبب قتلهم، وعن أمره كان قتال المؤمنين إياهم، ففي ذلك أدلّ الدليل على فساد قول المنكرين أن يكون لله في أفعال خلقه صنع به وصلوا إليها. وكذلك قوله لنبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿**وَما رَمَيْتَ إذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمى**﴾ فأضاف الرمي إلى نبيّ الله، ثم نفاه عنه، وأخبر عن نفسه أنه هو الرامي، إذ كان جلّ ثناؤه هو الموصل المرميّ به إلى الذين رمُوا به من المشركين، والمسبب الرمية لرسوله. فيقال للمسلمين ما ذكرنا: قد علمتم إضافة الله رمي نبيه ﷺ المشركين إلى نفسه بعد وصفه نبيه به وإضافته إليه ذلك فعل واحد كان من الله بتسبيبه وتسديده، ومن رسول الله ﷺ الحذف والإرسال، فما تنكرون أن يكون كذلك سائر أفعال الخلق المكتسبة: من الله الإنشاء والإنجاز بالتسبيب، ومن الخلق الاكتساب بالقوى؟ فلن يقولوا في أحدهما قولاً إلاَّ ألزموا في الآخر مثله.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله: ﴿**فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ**﴾ لأصحاب محمد ﷺ، حين قال هذا: قتلت، وهذا: قتلت. ﴿**وَما رَمَيْتَ إذْ رَمَيْتَ**﴾ قال لمحمد حين حَصَبَ الكفار.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: **﴿وَما رَمَيْتَ إذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللّهَ رَمى﴾** قال: رماهم رسول الله ﷺ بالحصباء يوم بدر.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن أيوب، عن عكرمة، قال: ما وقع منها شيء إلاَّ في عين رجل.

حدثنا عُبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث، قال: ثنا أبي، قال: ثنا أبان العطار، قال: ثنا هشام بن عروة، قال: لما ورد رسول الله ﷺ بدراً قال: «هَذِهِ مَصَارِعُهُمْ». ووجد المشركون النبيّ ﷺ قد سبقهم إليه ونزل إليه، فلما طلعوا عليه زعموا أن النبيّ ﷺ قال: «هَذِهِ قُرَيْشٌ قَدْ جاءَتْ بِخُيَلائها وَفَخْرِها تحادُّكَ وَتُكَذّبُ رَسُولَكَ، اللَّهُمّ إنّى أسألُكَ ما وَعَدْتَنِي» فلما أقبلوا استقبلهم، فحثا في وجوههم، فهزمهم الله عزّ وجلّ.

حدثنا أحمد بن منصور، قال: ثنا يعقوب بن محمد، قال: ثنا عبد العزيز بن عمران، قال: ثنا موسى بن يعقوب بن عبد الله بن زمعة، عن يزيد بن عبد الله، عن أبي بكر بن سليمان بن أبي حثمة، عن حكيم بن حزام، قال: لما كان يوم بدر، سمعنا صوتاً وقع من السماء كأنه صوت حصاة وقعت في طست، ورمى رسول الله ﷺ تلك الرمية، فانهزمنا.

حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا أبو معشر، عن محمد بن قيس ومحمد بن كعب القرظي، قالا: لما دنا القوم بعضهم من بعض، أخذ رسول الله ﷺ قبضة من تراب فرمى بها في وجوه القوم، وقال: «شاهَتِ الْوُجُوهُ» فدخلت في أعينهم كلهم، وأقبل أصحاب رسول الله ﷺ يقتلونهم ويأسرونهم، وكانت هزيمتهم في رمية رسول الله ﷺ. وأنزل الله: **﴿وَما رَمَيْتَ إذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللّهَ رَمى...﴾** الآية، إلى: **﴿إنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾**.

حدّثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿وَما رَمَيْتَ إذْ رَمَيْتَ...﴾** الآية، ذكر لنا أن نبيّ الله ﷺ أخذ يوم بدر ثلاثة أحجار ورمى بها في وجوه الكفار، فهزموا عند الحجر الثالث.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قال: قال رسول الله ﷺ حين التقى الجمعان يوم بدر لعليّ رضي الله عنه: «أعْطِني حَصاً مِنَ الأرْضِ» فناوله حصى عليه تراب فرمى به وجوه القوم، فلم يبق مشرك إلاَّ دخل في عينيه من ذلك

التراب شيء. ثم ردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم. فذكر رمية النبيّ ﷺ، فقال: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ ولكِنَّ اللّهَ قَتَلَهُمْ وَما رَمَيْتَ إذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللّهَ رَمى﴾.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَما رَمَيْتَ إذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللّهَ رَمى﴾ قال: هذا يوم بدر، أخذ رسول الله ﷺ ثلاث حصيات، فرمى بحصاة في ميمنة القوم وحصاة في ميسرة القوم وحصاة بين أظهرهم وقال: «شاهَتِ الوُجُوهُ» فانهزموا، فذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَما رَمَيْتَ إذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللّهَ رَمى﴾.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قال: رفع رسول الله ﷺ يده يوم بدر، فقال: «يا رَبِّ إنْ تَهْلِكْ هذِهِ العِصَابَةُ فَلَنْ تُعْبَد فِي الأرْضِ أبَداً» فقال له جبريل: خذ قبضة من التراب فأخذ قبضة من التراب، فرمى بها في وجوههم فما من المشركين من أحد إلاّ أصاب عينيه ومنخريه وفمه تراب من تلك القبضة، فولوا مدبرين.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: قال الله عزّ وجلّ في رمي رسول الله ﷺ المشركين بالحصباء من يده حين رماهم: ﴿وَلكنَّ اللّهَ رَمى﴾: أي لم يكن ذلك برميتك لولا الذي جعل الله فيها من نصرك، وما ألقى في صدور عدوّك منها حين هزمتهم.

ورُوي عن الزهري في ذلك قول خلاف هذه الأقوال، وهو ما:

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: ثنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن الزهريّ: ﴿وَما رَمَيْتَ إذْ رَمَيْتَ﴾ قال: جاء أبيّ بن خلف الجمحي إلى النبيّ ﷺ بعظم حائل، فقال: الله محيي هذا يا محمد وهو رميم؟ وهو يفتّ العظم. فقال النبيّ ﷺ: «يُحْيِيهِ اللّهُ، ثُمَّ يُمِيتُكَ، ثُمَّ يُدْخِلُكَ النَّارَ» قال: فلما كان يوم أُحد، قال: والله لأقتلنّ محمداً إذا رأيته فبلغ ذلك النبيّ ﷺ، فقال: «بَلْ أنا أقْتُلُهُ إنْ شاءَ اللّهُ».

وأما قوله: ﴿وَلِيُبْلِيَ المُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاءً حَسَناً﴾ فإن معناه: ولينعم على المؤمنين بالله ورسوله بالظفر بأعدائهم، ويغنمهم ما معهم، ويثبت لهم أجور أعمالهم وجهادهم مع رسول الله ﷺ. وذلك البلاء الحسن، رَمْيُ الله هؤلاء المشركين. ويعني بالبلاء الحسن: النعمة الحسنة الجميلة، وهي ما وصفت، وما في معناه.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال في قوله: ﴿وَلِيُبْلِيَ المُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاءً حَسَناً﴾: أي ليعرف المؤمنين من نعمه عليهم في إظهارهم على عدوّهم مع كثرة عددهم وقلة عددهم، ليعرفوا بذلك حقه وليشكروا بذلك نعمته.

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ يعني: إن الله سميع أيها المؤمنون لدعاء النبيّ ﷺ ومناشدته ربه ومسألته إياه إهلاك عدوّه وعدوّكم ولقيلكم وقيل جميع خلقه، عليم بذلك كله وبما فيه صلاحكم وصلاح عباده، وغير ذلك من الأشياء محيط به، فاتقوه وأطيعوا أمره وأمر رسوله.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾﴾.

يعني جلّ ثناؤه بقوله: ﴿ذَٰلِكُمْ﴾: هذا الفعل من قتل المشركين ورميهم حتى انهزموا، وابتلاء المؤمنين البلاء الحسن بالظفر بهم وإمكانهم من قتلهم وأسرهم، فعلنا الذي فعلنا. ﴿وأنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدَ الكافِرينَ﴾ يقول: واعلموا أن الله مع ذلك مضعف كيد الكافرين، يعني مكرهم، حتى يذلوا، وينقادوا للحقّ ويهلكوا. وفي فتح «أن» من الوجوه ما في قوله: ﴿ذَٰلِكُمْ فَذُوقوهُ وأنَّ لِلْكافِرينَ﴾ وقد بيّنته هنالك.

وقد اختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿مُوهِنُ﴾. فقرأته عامة قرّاء أهل المدينة وبعض المكيين والبصريين: «مُوَهِّنٌ» بالتشديد، من وهّنت الشيء: ضعّفته. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفيين: ﴿مُوهِنُ﴾ من أوهنته فأنا موهنه، بمعنى أضعفته. والتشديد في ذلك أعجب إليّ لأن الله تعالى كان ينقض ما يبرمه المشركون لرسول الله ﷺ وأصحابه، عقداً بعد عقد، وشيئاً بعد شيء، وإن كان الآخر وجهاً صحيحاً.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره للمشركين الذين حاربوا رسول الله ﷺ ببدر: ﴿إنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جاءَكُمُ الفَتْحُ﴾ يعني: إن تستحكموا الله على أقطع الحزبين للرحم وأظلم الفئتين، وتستنصروه عليه، فقد جاءكم حكم الله ونصره المظلوم على الظالم، والمحقّ على المبطل. وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا المحاربي، عن جويبر، عن الضحاك: ﴿إنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جاءَكُمُ الفَتْحُ﴾ قال: إن تستقضوا فقد جاءكم القضاء.

قال: ثنا سويد بن عمرو الكلبي، عن حماد بن زيد، عن أيوب، عن عكرمة: ﴿إنْ

تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جاءَكُمُ الفَتْحُ﴾ قال: إن تستقضوا فقد جاءكم القضاء.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿إنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جاءَكُمُ الفَتْحُ﴾ يعني بذلك المشركين، إن تستنصروا فقد جاءكم المدد.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: أخبرني عبد الله بن كثير، عن ابن عباس، قوله: ﴿إنْ تَسْتَفْتِحُوا﴾ قال: إن تستقضوا القضاء، وإنه كان يقول: ﴿وَإنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئاً﴾ قلت: للمشركين؟ قال: لا نعلمه إلاَّ ذلك.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿إنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جاءَكُمُ الفَتْحُ﴾ قال: كفار قريش في قولهم: ربنا افتح بيننا وبين محمد وأصحابه، ففتح بينهم يوم بدر.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد نحوه.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن الزهري: ﴿إنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جاءَكُمُ الفَتْحُ﴾ قال: استفتح أبو جهل، فقال: اللهمّ يعني محمداً ونفسه أينا كان أفجر لك اللهمّ وأقطع للرحم فأَحِنْهُ اليوم قال الله: ﴿إنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جاءَكُمُ الفَتْحُ﴾.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن الزهري، في قوله: ﴿إنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جاءَكُمُ الفَتْحُ﴾ قال: استفتح أبو جهل بن هشام، فقال: اللهمّ أينا كان أفجر لك وأقطع للرحم فأحنه اليوم يعني محمداً عليه الصلاة والسلام ونفسه. قال الله عزّ وجلّ: ﴿إنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جاءَكُمُ الفَتْحُ﴾ فضربه ابنا عفراء: عوف ومعوّذ، وأجهز عليه ابن مسعود.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني الليث، قال: ثني عقيل، عن ابن شهاب، قال: أخبرني عبد الله بن ثعلبة بن صعير العدويّ حليف بني زهرة، أن المستفتح يومئذٍ أبو جهل، وأنه قال حين التقى القوم: أينا أقطع للرحم وآتانا بما لا يُعرف فأَحِنْهُ الغداة فكان ذلك استفتاحه، فأنزل الله في ذلك: ﴿إنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جاءَكُمُ الفَتْحُ...﴾ الآية.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿إنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جاءَكُمُ الفَتْحُ...﴾ الآية، يقول: قد كانت بدر قضاء وعبرة لمن اعتبر.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قال: كان المشركون حين خرجوا إلى النبيّ ﷺ من مكة، أخذوا بأستار الكعبة، واستنصروا الله، وقالوا: اللهمّ انصر أعزّ الجندين، وأكرم الفئتين، وخير القبيلتين فقال الله: ﴿**إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جاءَكُمُ الفَتْحُ**﴾ يقول: نصرت ما قلتم، وهو محمد ﷺ.

حُدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ، يقول: ثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿**إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جاءَكُمُ الفَتْحُ...**﴾ إلى قوله: ﴿**وأنَّ اللّهَ مَعَ المُؤْمِنِينَ**﴾ وذلك حين خرج المشركون ينظرون عيرهم، وإن أهل العير أبا سفيان وأصحابه أرسلوا إلى المشركين بمكة يستنصرونهم، فقال أبو جهل: أينا كان خيراً عندك فانصره وهو قوله: ﴿**إِنْ تَسْتَفْتِحُوا**﴾ يقول: تستنصروا.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جاءَكُمُ الفَتْحُ**﴾ قال: إن تستفتحوا العذاب، فعذّبوا يوم بدر، قال: وكان استفتاحهم بمكة، قالوا: ﴿**اللَّهُمَّ إنْ كانَ هَذَا هُوَ الحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنا حِجارَةً مِنَ السَّماءِ أَوِ ائْتِنا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾ قال: فجاءهم العذاب يوم بدر. وأخبر عن يوم أُحد: ﴿**وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئاً وَلَوْ كَثُرَتْ وأنَّ اللّهَ مَعَ المُؤْمِنِينَ**﴾.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن فضيل، عن مطرف، عن عطية، قال: قال أبو جهل يوم بدر: اللهمّ انصر أهدى الفئتين، وخير الفئتين وأفضل فنزلت: ﴿**إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جاءَكُمُ الفَتْحُ**﴾.

قال: ثنا عبد الأعلى، عن معمر، عن الزهريّ، أن أبا جهل هو الذي استفتح يوم بدر وقال: اللهمّ أينا كان أفجر وأقطع لرحمه، فأحِنْهُ اليوم فأنزل الله: ﴿**إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جاءَكُمُ الفَتْحُ**﴾.

قال: ثنا يزيد بن هارون، عن ابن إسحاق، عن الزهريّ، عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير: أن أبا جهل، قال يوم بدر: اللهمّ أقطعنا لرحمه، وآتانا بما لا نعرف، فأحِنْه الغداة وكان ذلك استفتاحاً منه، فنزلت: ﴿**إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جاءَكُمُ الفَتْحُ...**﴾ الآية.

قال: ثنا يحيى بن آدم، عن إبراهيم بن سعد، عن صالح بن كيسان، عن الزهريّ، عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير، قال: كان المستفتح يوم بدر أبا جهل، قال: اللهمّ أقطعنا للرحم، وآتانا بما لا نعرف، فأحنه الغداة فأنزل الله: ﴿**إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جاءَكُمُ الفَتْحُ**﴾.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: ثني محمد بن مسلم الزهري، عن عبد الله بن ثعلبة بن صُعَير، حليف بني زهرة، قال: لما التقى الناس، ودنا بعضهم من بعض، قال أبو جهل: اللهمّ أقطعنا للرحم، وآتانا بما لا نعرف، فأحنه الغداة فكان هو المستفتح على نفسه.

قال ابن إسحاق: فقال الله: ﴿**إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جاءَكُمُ الفَتْحُ**﴾ لقول أبي جهل: اللهمّ أقطعنا للرحم، وآتانا بما لا نعرف، فأحنه للغداة قال: الاستفتاح: الإنصاف في الدعاء.

حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا أبو معشر، عن يزيد بن رومان وغيره، قال أبو جهل يوم بدر: اللهمّ انصر أحبّ الدينين إليك، ديننا العتيق، أم دينهم الحديث فأنزل الله: ﴿**إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جاءَكُمُ الفَتْحُ...**﴾ إلى قوله: ﴿**وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ المُؤْمِنِينَ**﴾.

وأما قوله: ﴿**وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ**﴾ فإنه يقول: وإن تنتهوا يا معشر قريش وجماعة الكفار عن الكفر بالله ورسوله، وقتال نبيه ﷺ والمؤمنين به، فهو خير لكم في دنياكم وآخرتكم. ﴿**وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ**﴾ يقول: وإن تعودوا لحربه وقتاله وقتال أتباعه المؤمنين، نَعُدْ: أي بمثل الواقعة التي أُوقعت بكم يوم بدر.

وقوله: ﴿**وَلَنْ تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئاً وَلَوْ كَثُرَتْ**﴾ يقول: وإن تعودوا نعد لهلاككم بأيدي أوليائي وهزيمتكم، ولن تغني عنكم عند عودي لقتلكم بأيديهم وسبيكم وهزمكم فئتكم شيئاً ولو كثرت، يعني جندهم وجماعتهم من المشركين، كما لم يغنوا عنهم يوم بدر مع كثرة عددهم وقلة عدد المؤمنين شيئاً. ﴿**وأَنَّ اللَّهَ مَعَ المُؤْمِنِينَ**﴾ يقول جلّ ذكره: وأن الله مع من آمن به من عباده على من كفر به منهم، ينصرهم عليهم، أو يظهرهم كما أظهرهم يوم بدر على المشركين.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، في قوله: ﴿**وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ**﴾ قال: يقول لقريش: وإن تعودوا نعد لمثل الواقعة التي أصابتكم يوم بدر. ﴿**وَلَنْ تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئاً وَلَوْ كَثُرَتْ وأَنَّ اللَّهَ مَعَ المُؤْمِنِينَ**﴾: أي وإن كثر عددكم في أنفسكم لن يغني عنكم شيئاً، وأن الله مع المؤمنين ينصرهم على من خالفهم.

وقد قيل: إن معنى قوله: ﴿**وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ**﴾ وإن تعودوا للاستفتاح نعد لفتح محمد ﷺ. وهذا القول لا معنى له لأن الله تعالى قد كان ضمن لنبيه عليه الصلاة والسلام حين أذن له في حرب أعدائه إظهار دينه وإعلاء كلمته من قبل أن يستفتح أبو جهل وحزبه، فلا وجه لأن يقال

والأمر كذلك إن تنتهوا عن الاستفتاح فهو خير لكم وإن تعودوا نعد لأن الله قد كان وعد نبيه ﷺ الفتح بقوله: أُذنَ للَّذينَ يُقاتَلُونَ بأنَّهُمْ ظُلِمُوا وإنَّ اللّهَ على نَصْرِهِمْ لَقَديرٌ استفتح المشركون أو لم يستفتحوا.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿**وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ**﴾: إن تستفتحوا الثانية نفتح لمحمد ﷺ. ﴿**وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئاً وَلَوْ كَثُرَتْ وأنَّ اللّهَ مَعَ المُؤْمِنِينَ**﴾: محمد وأصحابه.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿**وأنَّ اللّهَ مَعَ المُؤْمِنِينَ**﴾ ففتحها عامة قرّاء أهل المدينة، بمعنى: ولن تغني عنكم فئتكم شيئاً ولو كثرت، وأن الله مع المؤمنين. فعطف بـ «أنّ» على موضع «ولو كثرت» كأنه قال: لكثرتها، ولأن الله مع المؤمنين ويكون موضع «أن» حينئذٍ نصباً على هذا القول. وكان بعض أهل العربية يزعم أن فتحها إذا فتحت على: ﴿**وأنَّ اللّهَ مُوهِنُ كَيْدَ الكافِرِينَ، وأنَّ اللّهَ مَعَ المُؤْمِنِينَ**﴾ عطفاً بالأخرى على الأولى. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفيين والبصريين: «وإنَّ اللّهَ» بكسر الألف على الابتداء، واعتلوا بأنها في قراءة عبد الله: «وَإنَّ اللّهَ لَمَعَ المُؤْمِنِينَ».

وأولى القراءتين بالصواب، قراءة من كسر «إن» للابتداء، لتقضي الخبر قبل ذلك عما يقتضي قوله: ﴿**وَإنَّ اللّهَ مَعَ المُؤْمِنِينَ**﴾.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ﴿٢٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله ﴿**أطِيعُوا اللّهَ وَرَسُولَهُ**﴾ فيما أمركم به وفيما نهاكم عنه. ﴿**وَلا تَوَلَّوْا عَنْهُ**﴾ يقول: ولا تُدْبِرُوا عن رسول الله ﷺ، مخالفين أمره ونهيه، وأنتم تسمعون أمره إياكم ونهيه، وأنتم به مؤمنون. كما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا أطِيعُوا اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَوَلَّوْا وأنْتُمْ تَسْمَعُونَ**﴾: أي لا تخالفوا أمره وأنتم تسمعون لقوله، وتزعمون أنكم مؤمنون.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ﴿٢١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره للمؤمنين بالله ورسوله من أصحاب نبيّ الله ﷺ: لا تكونوا أيها المؤمنون في مخالفة رسول الله ﷺ كالمشركين الذين إذا سمعوا كتاب الله يتلى عليهم، قالوا قد سمعنا بآذاننا وهم لا يسمعون يقول: وهم لا يعتبرون ما يسمعون بآذانهم. ولا ينتفعون به لإعراضهم عنه، وتركهم أن يوعوه قلوبهم ويتدبروه فجعلهم الله لما لم ينتفعوا بمواعظ القرآن وإن كانوا قد سمعوها بآذانهم، بمنزلة من لم يسمعها. يقول جلّ ثناؤه لأصحاب رسول الله ﷺ: لا تكونوا أنتم في الإعراض عن أمر رسول الله وترك الانتهاء إليه وأنتم تسمعونه بآذانكم كهؤلاء المشركين الذين يسمعون مواعظ كتاب الله بآذانهم، ويقولون: قد سمعنا، وهم عن الاستماع لها والاتعاظ بها معرضون، كمن لم يسمعها.

وكان ابن إسحاق يقول في ذلك، ما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: **﴿وَلا تَكُونُوا كالَّذِينَ قالُوا سَمِعْنا وَهُمْ لا يَسْمَعُونَ﴾**: أي كالمنافقين الذين يظهرون له الطاعة، ويسرّون المعصية.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: **﴿وَهُمْ لا يَسْمَعُونَ﴾** قال: عاصون.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

وللذي قال ابن إسحاق وجه، ولكن قوله: **﴿وَلا تَكُونُوا كالَّذِينَ قالُوا سَمِعْنا وَهُمْ لا يَسْمَعُونَ﴾** في سياق قصص المشركين، ويتلوه الخبر عنهم بذمهم، وهو قوله: **﴿إنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ البُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ﴾** فلأن يكون ما بينهما خبراً عنهم أولى من أن يكون خبراً عن غيرهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: إن شرّ ما دبّ على الأرض من خلق الله عند الله الذين يصغون عن الحق لئلا يستمعوه فيعتبروا به ويتعظوا به وينكصون عنه إن نطقوا به، الذين لا يعقلون عن الله أمره ونهيه، فيستعملوا بهما أبدانهم.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿إنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ**

عِنْدَ اللهِ﴾ قال: الدوابّ: الخلق.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جريج، عن عكرمة، قال: وكانوا يقولون: إنا صمّ بكم عما يدعونا إليه محمد، لا نسمعه منه، ولا نجيبه به بتصديق. فقتلوا جميعاً بأُحد، وكانوا أصحاب اللواء.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: الصمّ البكم: الذين لا يعقلون، قال: الذين لا يتبعون الحقّ.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿إِنَّ شَرّ الدَّوَابّ عِنْدَ اللّهِ الصُمُّ البُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ﴾** وليس بالأصمّ في الدنيا ولا بالأبكم، ولكن صمّ القلوب وبكمها وعميها. وقرأ: **﴿فإِنَّها لا تَعْمَى الأبْصَارُ وَلكِنْ تَعْمَى القُلُوبُ التي فِي الصُدُورِ﴾**.

واختلف فيمن عني بهذه الآية، فقال بعضهم: عني بها نفر من المشركين.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: قال ابن عباس: الصمّ البكم الذين لا يعقلون: نفر من بني عبد الدار، لا يتبعون الحقّ.

قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: **﴿الصُمُّ البُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ﴾** قال: لا يتبعون الحقّ. قال: قال ابن عباس: هم نفر من بني عبد الدار.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، نحوه.

وقال آخرون: عني بها المنافقون.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: **﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابّ عِنْدَ اللّهِ الصُمُّ البُكْمُ الَّذين لا يَعْقِلُونَ﴾**: لا يعرفون ما عليهم في ذلك من النعمة والسعة.

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال بقول ابن عباس، وأنه عني بهذه الآية مشركو قريش، لأنها في سياق الخبر عنهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

اختلف أهل التأويل، فيمن عني بهذه الآية وفي معناها، فقال بعضهم: عني بها المشركون، وقال: معناها أنهم لو رزقهم الله الفهم لِما أنزله على نبيه ﷺ لم يؤمنوا به، لأن الله قد حكم عليهم أنهم لا يؤمنون.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جريج، قوله: ﴿**وَلَوْ عَلِمَ اللّهُ فِيهِمْ خَيراً لأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ**﴾ لقالُوا ﴿**ائتِ بقُرآنٍ غيرِ هَذَا**﴾ ولقالوا: ﴿**لولا اجْتَبَيْتَهَا**﴾. ولو جاءهم بقرآن غيره ﴿**لتولَّوْا وهُمْ مُعْرِضُونَ**﴾.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**وَلَوْ أسْمَعْهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ**﴾ قال: لو أسمعهم بعد أن يعلم أن لا خير فيهم ما انتفعوا بذلك، ولتولوا وهم معرضون.

وحدثني به مرّة أخرى، فقال: لو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم، ولو أسمعهم بعد أن يعلم أن لا خير فيهم ما نفعهم بعد أن نفذ علمه بأنهم لا ينتفعون به.

وقال آخرون: بل عني بها المنافقون. قالوا: ومعناه: ما:

حدثنا به ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿**وَلَوْ عَلِمَ اللّهُ فِيهِمْ خَيراً لأَسْمَعَهُمْ**﴾ لأنفذ لهم قولهم الذي قالوه بألسنتهم، ولكن القلوب خالفت ذلك منهم، ولو خرجوا معكم لتولوا وهم معرضون، فأوفوا لكم بشرّ مما خرجوا عليه.

وأولى القول في تأويل ذلك بالصواب عندي ما قاله ابن جريج وابن زيد لما قد ذكرنا قبل من العلة، وأن ذلك ليس من صفة المنافقين.

فتأويل الآية إذن: ولو علم الله في هؤلاء القائلين خيراً لأسمعهم مواعظ القرآن وعبره، حتى يعقلوا عن الله حججه منه، ولكنه قد علم أنه لا خير فيهم وأنهم ممن كتب لهم الشقاء فهم لا يؤمنون. ولو أفهمهم ذلك حتى يعلموا ويفهموا لتولوا عن الله وعن رسوله، وهم معرضون عن الإيمان بما دلهم على حقيقته مواعظ الله وعبره وحججه معاندون للحقّ بعد العلم به.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾.

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿**إِذَا دَعاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ**﴾ فقال بعضهم: معناه: استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم للإيمان.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط عن السديّ: ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ ولِلرَّسُولِ إذَا دَعاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ**﴾ قال: أما ما يحييكم فهو الإسلام، أحياهم بعد موتهم، بعد كفرهم.

وقال آخرون: للحقّ.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: ﴿**لِمَا يُحْيِيكُمْ**﴾ قال: الحقّ.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**إِذَا دَعاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ**﴾ قال: الحقّ.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، قال: ثنا عنبسة، عن محمد بن عبد الرحمن، عن القاسم بن أبي بزّة، عن مجاهد، في قوله: ﴿**اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ ولِلرَّسُولِ إذَا دَعاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ**﴾ قال: للحقّ.

وقال آخرون: معناه: إذا دعاكم إلى ما في القرآن.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ ولِلرَّسُولِ إذَا دَعاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ**﴾ قال: هو هذا القرآن فيه الحياة والعفة والعصمة في الدنيا والآخرة.

وقال آخرون: معناه: إذا دعاكم إلى الحرب وجهاد العدوّ.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: **﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلّهِ ولِلرَّسُولِ إذَا دَعاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾**: أي للحرب الذي أعزّكم الله بها بعد الذلّ، وقوّاكم بعد الضعف، ومنعكم بها من عدوّكم بعد القهر منهم لكم.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: معناه: استجيبوا لله وللرسول بالطاعة إذا دعاكم الرسول لِما يحييكم من الحقّ. وذلك أن ذلك إذا كان معناه كان داخلاً فيه الأمر بإجابتهم لقتال العدوّ والجهاد، والإجابة إذا دعاكم إلى حكم القرآن، وفي الإجابة إلى كلّ ذلك حياة المجيب. أما في الدنيا، فيقال: الذكر الجميل، وذلك له فيه حياة. وأما في الآخرة، فحياة الأبد في الجنان والخلود فيها.

وأما قول من قال: معناه الإسلام، فقول لا معنى له لأن الله قد وصفهم بالإيمان بقوله: **﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلّهِ ولِلرَّسُولِ إذَا دَعاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾** فلا وجه لأن يقال للمؤمن استجب لله وللرسول إذا دعاك إلى الإسلام والإيمان.

وبعد: ففيما:

حدثنا أحمد بن المقدام العجلي، قال: ثنا يزيد بن زريع، قال: ثنا روح بن القاسم، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة، قال: خرج رسول الله ﷺ على أبيّ وهو يصلي، فدعاه: «أي أبيّ» فالتفت إليه أبيّ، ولم يجبه. ثم إن أبيّاً خفف الصلاة، ثم انصرف إلى النبيّ ﷺ فقال: السلام عليك أي رسول الله قال: «وَعَلَيْكَ ما مَنَعَكَ إذْ دَعَوْتُكَ أنْ تُجِيبَنِي؟» قال: يا رسول الله كنت أصلي. قال: «أفَلَمْ تَجِدْ فِيما أُوحِيَ إليّ **﴿اسْتَجُيبُوا لِلّهِ ولِلرَّسُولِ إذَا دَعاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾**؟» قال: بلى يا رسول الله، لا أعود.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا خالد بن مخلد، عن محمد بن جعفر، عن العلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة، قال: مرّ رسول الله ﷺ على أبيّ وهو قائم يصلي، فصرخ به، فلم يجبه، ثم جاء فقال: «يا أبيّ ما منعك أن تجيبني إذ دعوتك، أليس الله يقول: **﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلّهِ ولِلرَّسُولِ إذَا دَعاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾**؟» قال أبيّ: لا جرم يا رسول الله، لا تدعوني إلاّ أجبت، وإن كنت أصلي.

ما يبين[1] عن أن المعنيّ بالآية هم الذين يدعوهم رسول الله ﷺ إلى ما فيه حياتهم

(١) قوله «ما يبين» مبتدأ تقدم خبره، وهو قوله «ففيما».

بإجابتهم إليه من الحقّ بعد إسلامهم، لأن أبيّاً لا شكّ أنه كان مسلماً في الوقت الذي قال له النبيّ ﷺ ما ذكرنا في هذين الخبرين.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بينَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وأنَّهُ إلَيْه تُحْشَرُونَ﴾.

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معناه: يحول بين الكافر والإيمان وبين المؤمن والكفر.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن الأعمش عن عبد الله بن عبد الله الرازي، عن سعيد بن جبير: ﴿يَحُولُ بينَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ قال: بين الكافر أن يؤمن، وبين المؤمن أن يكفر.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا وكيع، وحدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبو أحمد، قالا: ثنا سفيان، وحدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: ثنا الثوري، عن الأعمش، عن عبد الله بن عبد الله الرازي، عن سعيد بن جبير، بنحوه.

حدثني أبو زائدة زكريا بن أبي زائدة، قال: ثنا أبو عاصم، عن سفيان، عن الأعمش، عن عبد الله بن عبد الله، عن سعيد بن جبير، مثله.

حدثني أبو السائب وابن وكيع، قالا: ثنا أبو معاوية، عن المنهال، عن سعيد بن جبير: ﴿يَحُولُ بينَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ قال: يحول بين المؤمن وبين الكفر، وبين الكافر وبين الإيمان.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا محمد بن فضيل، عن الأعمش، عن عبد الله بن عبد الله الرازي، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ﴿يَحُولُ بينَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ يحول بين الكافر والإيمان وطاعة الله.

قال: ثنا حفص، عن الأعمش، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ﴿يَحُولُ بينَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ قال: يحول بين المؤمن والكفر، وبين الكافر والإيمان.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا عبيد بن سليمان، وعبد العزيز بن أبي روّاد، عن الضحاك، في قوله: ﴿يَحُولُ بينَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ قال: يحول بين الكافر وطاعته، وبين المؤمن ومعصيته.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبو أسامة، عن أبي روق، عن الضحاك بن مزاحم، بنحوه.

قال: ثنا المحاربي، عن جويبر، عن الضحاك، قال: يحول بين المرء وبين أن يكفر، وبين الكافر وبين أن يؤمن.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: ثنا عبد العزيز بن أبي روّاد، عن الضحاك بن مزاحم ﴿يَحُولُ بينَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ قال: يحول بين الكافر وبين طاعة الله، وبين المؤمن ومعصية الله.

حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمد الزبيري، قال: ثنا بن أبي روّاد، عن الضحاك، نحوه.

وحُدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك بن مزاحم، يقول: فذكر نحوه.

حدثني المثنى، قال: ثنا الحجاج بن منهال، قال: ثنا المعتمر بن سليمان، قال: سمعت عبد العزيز بن أبي روّاد يحدّث عن الضحاك بن مزاحم، في قوله: ﴿يَحُولُ بينَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ قال: يحول بين المؤمن ومعصيته.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس: ﴿وَاعْلَمُوا أنَّ اللّهَ يَحُولُ بينَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ يقول: يحول بين المؤمن وبين الكفر، ويحول بين الكافر وبين الإيمان.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿وَاعْلَمُوا أنَّ اللّهَ يَحُولُ بينَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ يقول: يحول بين الكافر وبين طاعته، ويحول بين المؤمن وبين معصيته.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا المحاربي، عن ليث، عن مجاهد: ﴿يَحُولُ بينَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ قال: يحول بين المؤمن وبين الكفر، وبين الكافر وبين الإيمان.

قال: ثنا أبي، عن ابن أبي روّاد، عن الضحاك: ﴿يَحُولُ بينَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ يقول: يحول بين الكافر وبين طاعته، وبين المؤمن وبين معصيته.

قال: ثنا إسحاق بن إسماعيل، عن يعقوب القمي، عن جعفر، عن سعيد بن جبير: ﴿يَحُولُ بينَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ يحول بين المؤمن والمعاصي، وبين الكافر والإيمان.

قال: ثنا عبيدة، عن إسماعيل، عن أبي صالح: ﴿يَحُولُ بينَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ قال: يحول بينه وبين المعاصي.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: يحول بين المرء وعقله، فلا يدري ما يعمل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا عبيد الله بن محمد الفريابي، قال: ثنا عبد المجيد، عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله: ﴿**يَحُولُ بينَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ**﴾ قال: يحول بين المرء وعقله.

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿**يَحُولُ بينَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ**﴾ حتى يتركه لا يعقل.

حدثنا المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿**يَحُولُ بينَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ**﴾ قال: هي يحول بين المرء وقلبه حتى يتركه لا يعقل.

حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا معقل بن عبيد الله، عن حميد، عن مجاهد: ﴿**يَحُولُ بينَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ**﴾ قال: إذا حال بينك وبين قلبك كيف تعمل.

قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا شريك، عن خصيف، عن مجاهد: ﴿**يَحُولُ بينَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ**﴾ قال: يحول بين قلب الكافر، وأن يعمل خيراً.

وقال آخرون: معناه يحول بين المرء وقلبه أن يقدر على إيمان أو كفر إلاّ بإذنه.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ يَحُولُ بينَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ**﴾ قال: يحول بين الإنسان وقلبه، فلا يستطيع أن يؤمن ولا يكفر إلاّ بإذنه.

وقال آخرون: معنى ذلك أنه قريب من قلبه لا يخفى عليه شيء أظهره أو أسرّه.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، قال: ثنا معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿**يَحُولُ بينَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ**﴾ قال: هي كقوله أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الوَرِيدِ.

وأولى الأقوال بالصواب عندي في ذلك أن يقال: إن ذلك خبر من الله عزّ وجلّ أنه أملك لقلوب عباده منهم، وإنه يحول بينهم وبينها إذا شاء، حتى لا يقدر ذو قلب أن يدرك به شيئاً من

إيمان أو كفر، أو أن يعي به شيئاً، أو أن يفهم إلاَّ بإذنه ومشيئته. وذلك أن الحول بين الشيء والشيء إنما هو الحجز بينهما، وإذا حجز جلّ ثناؤه بين عبد وقلبه في شيء أن يدركه أو يفهمه، لم يكن للعبد إلى إدراك ما قد منع الله قلبه إدراكه سبيل، وإذا كان ذلك معناه، دخل في ذلك قول من قال: يحول بين المؤمن والكفر وبين الكافر والإيمان، وقول من قال: يحول بينه وبين عقله، وقول من قال: يحول بينه وبين قلبه حتى لا يستطيع أن يؤمن ولا يكفر إلاَّ بإذنه لأن الله عزّ وجلّ إذا حال بين عبد وقلبه، لم يفهم العبد بقلبه الذي قد حيل بينه وبينه ما منع إدراكه به على ما بينت. غير أنه ينبغي أن يقال: إن الله عمّ بقوله: ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بينَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ**﴾ الخبر عن أنه يحول بين العبد وقلبه، ولم يخصص من المعاني التي ذكرنا شيئاً دون شيء، والكلام محتمل كلّ هذه المعاني، فالخبر على العموم حتى يخصه ما يجب التسليم له.

وأما قوله: ﴿**وأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ**﴾ فإن معناه: واعلموا أيها المؤمنون أيضاً مع العلم بأن الله يحول بين المرء وقلبه، أن الله الذي يقدر على قلوبكم، وهو أملك بها منكم، إليه مصيركم ومرجعكم في القيامة، فيوفيكم جزاء أعمالكم، المحسن منكم بإحسانه والمسيء بإساءته، فاتقوه وراقبوه فيما أمركم ونهاكم هو ورسوله أن تضيعوه، وأن لا تستجيبوا لرسوله إذا دعاكم لما يحييكم، فيوجب ذلك سخطه، وتستحقوا به أليم عذابه حين تحشرون إليه.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله: اتقوا أيها المؤمنون فتنة، يقول: اختباراً من الله يختبركم، وبلاء يبتليكم، لا تصيبنّ هذه الفتنة التي حذرتكموها الذين ظلموا، وهم الذين فعلوا ما ليس لهم فعله، إما أجرام أصابوها وذنوب بينهم وبين الله ركبوها، يحذّرهم جلّ ثناؤه أن يركبوا له معصية أو يأتوا مأثماً يستحقون بذلك منه عقوبة. وقيل: إن هذه الآية نزلت في قوم من أصحاب رسول الله ﷺ، وهم الذين عنوا بها.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا محمد بن إبراهيم، قال: ثنا الحسن بن أبي جعفر، قال: ثنا داود بن أبي هند، عن الحسن، في قوله: ﴿**وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خاصَّةً**﴾ قال: نزلت في عليّ وعثمان وطلحة والزبير، رضي الله عنهم.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر: ﴿**وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا**

تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خاصَّةً﴾ قال قتادة: قال الزبير بن العوّام: لقد نزلت وما نرى أحداً منا يقع بها، ثم خصتنا في إصابتنا خاصة.

حدثني المثنى، قال: ثنا زيد بن عوف أبو ربيعة، قال: ثنا حماد، عن حميد، عن الحسن، أن الزبير بن العوّام، قال: نزلت هذه الآية: **﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خاصَّةً﴾** وما نظننا أهلها، ونحن عنينا بها.

قال: ثنا قبيصة، عن سفيان، عن الصلت بن دينار، عن ابن صبهان، قال: سمعت الزبير بن العوّام يقول: قرأت هذه الآية زماناً وما أرانا من أهلها، فإذا نحن المعنيون بها **﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خاصَّةً وَاعْلَمُوا أن اللّهَ شَدِيدُ العِقابِ﴾**.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: **﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خاصَّةً﴾** قال: هذه نزلت في أهل بدر خاصة، وأصابتهم يوم الجمل فاقتتلوا.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن ابن أبي خالد، عن السديّ: **﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خاصَّةً وَاعْلَمُوا أنَّ اللّهَ شَدِيدُ العِقابِ﴾** قال: أصحاب الجمل.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثنا معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس: **﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خاصَّةً﴾** قال: أمر الله المؤمنين أن لا يقرّوا المنكر بين أظهرهم فيعمهم الله بالعذاب.

قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: **﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خاصَّةً﴾** قال: هي أيضاً لكم.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خاصَّةً﴾** قال: الفتنة: الضلالة.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن المسعودي، عن القاسم، قال: قال عبد الله: ما منكم من أحد إلاّ وهو مشتمل على فتنة، إن الله يقول: **﴿إنَّمَا أمْوَالُكُمْ وأوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾** فليستعذ بالله من مُضلات الفتن.

حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا مبارك بن فضالة، عن الحسن، قال: قال الزبير: لقد خوّفنا بها، يعني قوله: **﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خاصَّةً﴾**.

واختلف أهل العربية في تأويل ذلك، فقال بعض نحويي البصرة: ﴿اتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ قوله: لا تصيبنّ، ليس بجواب، ولكنه نهي بعد أمر، ولو كان جواباً ما دخلت النون. وقال بعض نحويي الكوفة: قوله: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أمرهم ثم نهاهم، ومنكم ظرف من الجزاء وإن كان نهياً. قال: ومثله قوله: ﴿يا أيُّها النَّمْلُ ادْخُلُوا مَساكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيمانُ﴾ أمرهم ثم نهاهم، وفيه تأويل الجزاء. وكأن معنى الكلام عنده: اتقوا فتنة إن لم تتقوها أصابتكم.

وأما قوله: ﴿وَاعْلَمُوا أنَّ اللّهَ شَدِيدُ العِقابِ﴾ فإنه تحذير من الله ووعيد لمن واقع الفتنة التي حذره إياها بقوله: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً﴾، يقول: اعلموا أيها المؤمنون أن ربكم شديد عقابه لمن افتتن بظلم نفسه وخالف أمره، فأثم به.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَاذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

وهذا تذكير من الله عزّ وجلّ أصحاب رسول الله ﷺ ومناصحة. يقول: أطيعوا الله ورسوله أيها المؤمنون، واستجيبوا له إذا دعاكم لما يحييكم ولا تخالفوا أمره، وإن أمركم بما فيه عليكم المشقة والشدّة، فإن الله يهوّنه عليكم بطاعتكم إياه ويعجل لكم منه ما تحبون، كما فعل بكم إذ آمنتم به واتبعتموه وأنتم قليل يستضعفكم الكفار فيفتنونكم عن دينكم وينالونكم بالمكروه في أنفسكم وأعراضكم تخافون منهم أن يتخطفوكم فيقتلوكم ويصطلموا جميعكم ﴿فآوَاكُمْ﴾ يقول: فجعل لكم مأوى تأوون إليه منهم. ﴿وأيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ﴾ يقول: وقوّاكم بنصره عليهم، حتى قتلتم منهم من قتلتم ببدر. ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ﴾ يقول: وأطعمكم غنيمتهم حلالاً طيباً. ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ يقول: لكي تشكروا على ما رزقكم وأنعم به عليكم من ذلك وغيره من نعمه عندكم.

واختلف أهل التأويل في الناس الذين عنوا بقوله: ﴿أنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ﴾ فقال بعضهم: كفار قريش.

ذكر من قال ذلك.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عكرمة، قوله: ﴿وَاذكُرُوا إذ أنْتُمْ قَليلٌ مُسْتَضعَفُونَ فِي الأرضِ تَخافُونَ أن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ﴾ قال: يعني بمكة مع النبي ﷺ ومن تبعه من قريش وحلفائها ومواليها قبل الهجرة.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن الكلبي أو قتادة أو كليهما: ﴿وَاذكُرُوا إذْ أنتُمْ قَليلٌ مُستَضعَفونَ﴾ أنها نزلت في يوم بدر، كانوا يومئذٍ يخافون أن يتخطفهم الناس، فآواهم الله وأيدهم بنصره.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة، بنحوه.

وقال آخرون: بل عُني به غيرُ قريش.

ذكر من قال ذلك.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الرزاق، قال: أخبرني أبي، قال: سمعت وهب بن منبه يقول في قوله عزّ وجلّ: ﴿تَخافُونَ أنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ﴾ قال: فارس.

قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا إسماعيل بن عبد الكريم، قال: ثني عبد الصمد، أنه سمع وهب بن منبه يقول، وقرأ: ﴿وَاذْكُرُوا إذْ أنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الأرْضِ تَخافُونَ أنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ﴾ والناس إذ ذاك: فارس، والروم.

قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَاذْكُرُوا إذْ أنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الأرْضِ﴾ قال: كان هذا الحيّ من العرب أذلّ الناس ذلاً، وأشقاه عيشاً، وأجوعه بطوناً، وأعراه جلوداً، وأبينه ضلالاً من عاش منهم عاش شقيّاً، ومن مات منهم ردّي في النار، يؤكلون ولا يأكلون، والله ما نعلم قبيلاً من حاضر أهل الأرض يومئذٍ كانوا أشرّ منهم منزلاً. حتى جاء الله بالإسلام، فمكَّن به في البلاد، ووسَّع به في الرزق، وجعلكم به ملوكاً على رقاب الناس، فبالإسلام أعطى الله ما رأيتم، فاشكروا الله على نعمه، فإن ربكم منعم يحبّ الشكر وأهل الشكر في مزيد من الله تبارك وتعالى.

وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب، قول من قال: عُني بذلك مشركو قريش لأن المسلمين لم يكونوا يخافون على أنفسهم قبل الهجرة من غيرهم، لأنهم كانوا أدنى الكفار منهم إليهم، وأشدّهم عليهم يومئذٍ مع كثرة عددهم وقلة عدد المسلمين.

وأما قوله: ﴿فَآوَاكُمْ﴾ فإنه يعني: آواكم المدينة، وكذلك قوله: ﴿وأيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ﴾ بالأنصار.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿فَآوَاكُمْ﴾ قال: إلى الأنصار بالمدينة. ﴿وأيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ﴾ وهؤلاء أصحاب محمد ﷺ، أيدهم بنصره يوم بدر.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عكرمة: ﴿فَآوَاكُمْ وأيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ، وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطيّباتِ﴾ يعني بالمدينة.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره للمؤمنين بالله ورسوله من أصحاب نبيه ﷺ: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله ﴿لا تَخُونُوا اللهَ﴾. وخيانتهم الله ورسوله كانت بإظهار من أظهر منهم لرسول الله ﷺ والمؤمنين الإيمان في الظاهر والنصيحة، وهو يستسرّ الكفر والغشّ لهم في الباطن، يدلُّون المشركين على عورتهم، ويخبرونهم بما خفي عنهم من خبرهم.

وقد اختلف أهل التأويل فيمن نزلت هذه الآية، وفي السبب الذي نزلت فيه، فقال بعضهم: نزلت في منافق كتب إلى أبي سفيان يطلعه على سرّ المسلمين.

ذكر من قال ذلك.

حدثنا القاسم بن بشر بن معروف، قال: ثنا شبابة بن سوّار، قال: ثنا محمد بن المحرم، قال: لقيت عطاء بن أبي رباح، فحدثني، قال: ثني جابر بن عبد الله أن أبا سفيان خرج من مكة، فأتى جبريل النبيّ ﷺ، فقال: إن أبا سفيان في مكان كذا وكذا. فقال النبيّ ﷺ لأصحابه: «إنَّ أبا سُفْيانَ فِي مَكانِ كَذَا وكَذَا فاخْرُجُوا إلَيْهِ وَاكْتُمُوا» قال: فكتب رجل من المنافقين إلى أبي سفيان: إن محمداً يريدكم، فخذوا حذركم فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿لا تَخُونُوا اللّهَ والرَّسُولَ وتخُونُوا أماناتِكُمْ﴾.

وقال آخرون: بل نزلت في أبي لبابة للذي كان من أمره وأمر بني قريظة.

ذكر من قال ذلك.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني أبو سفيان، عن معمر، عن الزهري، قوله: ﴿لا تَخُونُوا اللّهَ والرَّسُولَ وتَخُونُوا أماناتِكُمْ﴾ قال: نزلت في أبي لبابة، بعثه رسول الله ﷺ فأشار

إلى حلقه أنه الذبح. قال الزهري: فقال أبو لبابة: لا والله لا أذوق طعاماً ولا شراباً حتى أموت أو يتوب الله عليّ فمكث سبعة أيام لا يذوق طعاماً ولا شراباً، حتى خرّ مغشيّاً عليه، ثم تاب الله عليه، فقيل له: يا أبا لبابة قد تيب عليك قال: والله لا أحلّ نفسي حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يحلني فجاءه فحله بيده. ثم قال أبو لبابة: إن من توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت بها الذنب وأن أنخلع من مالي، قال: «يُجْزِيكَ الثُّلُثُ أنْ تَصَدَّقَ بِهِ».

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله بن الزبير، عن ابن عيينة، قال: ثنا إسماعيل بن أبي خالد، قال: سمعت عبد الله بن أبي قتادة، يقول: نزلت: **﴿يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللّهَ والرَّسُولَ وتَخُونُوا أماناتِكُمْ وأنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾** في أبي لبابة.

وقال آخرون: بل نزلت في شأن عثمان رضي الله عنه.

ذكر من قال ذلك.

حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا يونس بن الحرث الطائفي، قال: ثنا محمد بن عبد الله بن عون الثقفيّ، عن المغيرة بن شعبة، قال: نزلت هذه الآية في قتل عثمان رضي الله عنه: **﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللّهَ والرَّسُولَ...﴾** الآية.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله نهى المؤمنين عن خيانته وخيانة رسوله وخيانة أمانته. وجائز أن تكون نزلت في أبي لبابة، وجائز أن تكون نزلت في غيره، ولا خبر عندنا بأيّ ذلك كان يجب التسليم له بصحته، فمعنى الآية وتأويلها ما قدمنا ذكره.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللّهَ والرَّسُولَ﴾** قال: نهاكم أن تخونوا الله والرسول، كما صنع المنافقون.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: **﴿لا تَخُونُوا اللّهَ والرَّسُولَ...﴾** الآية، قال: كانوا يسمعون من النبيّ ﷺ الحديث فيفشونه حتى يبلغ المشركين.

واختلفوا في تأويل قوله: **﴿وتَخُونُوا أماناتِكُمْ وأنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾** فقال بعضهم: لا تخونوا الله والرسول، فإن ذلك خيانة لأماناتكم وهلاك لها.

ذكر من قال ذلك.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: **﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللّهَ والرَّسُولَ وتَخُونُوا أماناتِكُمْ﴾** فإنهم إذا خانوا الله والرسول فقد خانوا أماناتهم.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: **﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللّهَ والرَّسُولَ وتَخُونُوا أماناتِكُمْ وأنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾**: أي لا تظهروا لله من الحقّ ما يرضى به منكم ثم تخالفوه في السرّ إلى غيره، فإن ذلك هلاك لأماناتكم وخيانة لأنفسكم.

فعلى هذا التأويل، قوله: **﴿وتَخُونُوا أماناتِكُمْ﴾** في موضع نصب على الظرف، كما قال الشاعر:

لاَ تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِيَ مِثْلَهُ   عارٌ عَلَيْكَ إذا فَعَلْتَ عَظِيمُ[1]

ويروى: «وتأتي مثله».

وقال آخرون: معناه: لا تخونوا الله والرسول، ولا تخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون.

ذكر من قال ذلك.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس: قوله: **﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللّهَ والرَّسُولَ وتَخُونُوا أماناتِكُمْ﴾** يقول: لا تخونوا: يعني لا تنقصوها.

فعلى هذا التأويل: لا تخونوا الله والرسول، ولا تخونوا أماناتكم.

واختلف أهل التأويل في معنى الأمانة التي ذكرها الله في قوله: **﴿وتَخُونُوا أماناتِكُمْ﴾** فقال بعضهم: هي ما يخفى عن أعين الناس من فرائض الله.

ذكر من قال ذلك.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: **﴿وتَخُونُوا أماناتِكُمْ﴾** والأمانة: الأعمال التي أمن الله عليها العباد، يعني: الفريضة. يقول: **﴿لا تَخُونُوا﴾**: يعني لا تنقصوها.

حدثنا عليّ بن داود، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس،

(١) البيت تقدم إنشاده وشرحه، وانظره في (ج ٢: ١٨٥).

قوله: ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللّهَ﴾ يقول: بترك فرائضه ﴿والرَّسُولَ﴾ يقول: بترك سننه وارتكاب معصيته. قال: وقال مرّة أخرى: ﴿لا تَخُونُوا اللّهَ والرَّسُولَ وتَخُونُوا أماناتِكُمْ﴾ والأمانة: الأعمال. ثم ذكر نحو حديث المثنى.

وقال آخرون: معنى الأمانات ههنا: الدِّين.

ذكر من قال ذلك.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وتَخُونُوا أماناتِكُمْ﴾ دينكم. ﴿وأنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ قال: قد فعل ذلك المنافقون وهم يعلمون أنهم كفار، يظهرون الإيمان. وقرأ: ﴿وَإذَا قامُوا إلى الصَّلاةِ قامُوا كُسالى...﴾ الآية، قال: هؤلاء المنافقون أمنهم الله ورسوله على دينه فخانوا، أظهروا الإيمان وأسرّوا الكفر.

فتأويل الكلام إذن: يا أيها الذين آمنوا لا تنقصوا الله حقوقه عليكم من فرائضه ولا رسوله من واجب طاعته عليكم، ولكن أطيعوهما فيما أمراكم به ونهياكم عنه، لا تنقصوهما، وتخونوا أماناتكم، وتنقصوا أديانكم، وواجب أعمالكم، ولازمها لكم، وأنتم تعلمون أنها لازمة عليكم وواجبة بالحجج التي قد ثبتت لله عليكم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَاعْلَمُوٓا أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره للمؤمنين: واعلموا أيها المؤمنون أنما أموالكم التي خوّلكموها الله وأولادكم التي وهبها الله لكم اختبار وبلاء أعطاكموها ليختبركم بها ويبتليكم لينظر كيف أنتم عاملون من أداء حقّ الله عليكم فيها والانتهاء إلى أمره ونهيه فيها. ﴿وأنَّ الله عِنْدَهُ أجْرٌ عَظِيمٌ﴾ يقول: واعلموا أن الله عنده خير وثواب عظيم على طاعتكم إياه فيما أمركم ونهاكم في أموالكم وأولادكم التي اختبركم بها في الدنيا، وأطيعوا الله فيما لكم فيها تنالوا به الجزيل من ثوابه في معادكم.

حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا المسعودي، عن القاسم، عن عبد الرحمن، عن ابن مسعود، في قوله: ﴿إنَّما أمْوالُكُمْ وأوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ قال: ما منكم من أحد إلاَّ وهو مشتمل على فتنة، فمن استعاذ منكم فليتعذ بالله من مُضِلاّت الفتن.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿واعْلَمُوا أنَّما أمْوالُكُم وأوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ قال: فتنة الاختبار، اختبارهم. وقرأ: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بالشَّرِّ والخَيْرِ فِتْنَةً وَإلَيْنا تُرْجِعُونَ﴾.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ﴾ صدقوا الله ورسوله ﴿إنْ تَتَّقُوا اللّهَ﴾ بطاعته، وأداء فرائضه واجتناب معاصيه، وترك خيانته، خيانة رسوله وخيانة أماناتكم ﴿يَجْعَلْ لَكُم فُرْقاناً﴾: يقول: يجعل لكم فصلاً وفرقاً بين حقكم وباطل من يبغيكم السوء من أعدائكم المشركين بنصره إياكم عليهم، وإعطائكم الظفر بهم. ﴿ويُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ﴾ يقول: ويمحو عنكم ما سلف من ذنوبكم بينكم وبينه. ﴿ويَغْفِرْ لَكُمْ﴾ يقول: ويغطيها، فيسترها عليكم، فلا يؤاخذكم بها. ﴿وَاللّهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ﴾ يقول: والله الذي يفعل ذلك بكم، له الفضل العظيم عليكم وعلى غيركم من خلقه بفعله ذلك وفعل أمثاله، وإن فعله جزاء منه لعبده على طاعته إياه، لأنه الموفق عبده لطاعته التي اكتسبها حتى استحقّ من ربه الجزاء الذي وعده عليها.

وقد اختلف أهل التأويل في العبارة عن تأويل قوله: ﴿يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقاناً﴾ فقال بعضهم: مخرجاً، وقال بعضهم: نجاة، وقال بعضهم: فصلاً. وكلّ لك متقارب المعنى وإن اختلفت العبارات عنها، وقد بينت صحة ذلك فيما مضى قبل بما أغنى عن إعادته. ذكر من قال: معناه المخرج:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا جرير، عن منصور: عن مجاهد: ﴿إنْ تَتَّقُوا اللّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقاناً﴾ قال: مخرجاً.

قال: حدثنا أبي، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد: ﴿إنْ تَتَّقُوا اللّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقاناً﴾ قال: مخرجاً.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام عن عنبسة، عن جابر، عن مجاهد: ﴿فُرْقاناً﴾: مخرجاً.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿فُرْقاناً﴾ قال: مخرجاً في الدنيا والآخرة.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا هانيء بن سعيد، عن حجاج، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿فُرْقاناً﴾ قال: الفرقان المخرج.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿فُرْقاناً﴾ يقول: مخرجاً.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوريّ، عن منصور، عن مجاهد: ﴿فُرْقاناً﴾: مخرجاً.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن رجاء البصريّ، قال: ثنا زائدة، عن منصور، عن مجاهد مثله.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا المحاربي، عن جويبر، عن الضحاك: ﴿فُرْقاناً﴾ قال: مخرجاً.

حُدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ قال: سمعت عبيداً يقول: سمعت الضحاك يقول: ﴿فُرْقاناً﴾: مخرجاً.

حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد، مثله.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا حميد، عن زهير، عن جابر: عن عكرمة، قال: الفرقان: المخرج. ذكر من قال: معناه النجاة:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عنبسة، عن جابر، عن عكرمة: ﴿إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقاناً﴾ قال: نجاة.

حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا إسرائيل، عن رجل، عن عكرمة ومجاهد، في قوله: ﴿يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقاناً﴾ قال عكرمة: المخرج، وقال مجاهد: النجاة.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقاناً﴾ قال: نجاة.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، ﴿يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقاناً﴾ يقول: يجعل لكم نجاة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: **﴿يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقاناً﴾**: أي نجاة.

ذكر من قال فصلاً:

... **﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إنْ تَتَّقُوا اللّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقاناً﴾** قال: فرقان يفرق في قلوبهم بين الحقّ والباطل، حتى يعرفوه ويهتدوا بذلك الفرقان.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: **﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إنْ تَتَّقُوا اللّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقاناً﴾**: أي فصلاً بين الحقّ والباطل، يظهر به حقكم ويخفي به باطل من خالفكم.

والفرقان في كلام العرب مصدر، من قولهم: فرقت بين الشيء والشيء أفرق بينهما فَرْقاً وفُرْقاناً.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ مذكره نعمه عليه: واذكر يا محمد، إذ يمكر بك الذين كفروا من مشركي قومك كي يثبتوك.

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: **﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾** فقال بعضهم: معناه: ليقيدوك.

ذكر من قال ذلك.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: **﴿وَإذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ﴾** يعني: ليوثقوك.

قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: **﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾** ليوثقوك.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿وَإذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ...﴾** الآية، يقول: ليشدّوك وثاقاً، وأرادوا بذلك نبيّ الله النبيّ ﷺ وهو يومئذٍ بمكة.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة ومِقْسم، قالا: قالوا: أوثقوه بالوثاق

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿**لِيُثْبِتُوكَ**﴾ قال: الإثبات: هو الحبس والوثاق.

وقال آخرون: بل معناه الحبس.

ذكر من قال ذلك.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: سألت عطاء عن قوله: ﴿**لِيُثْبِتُوكَ**﴾ قال: يَسجنوك. وقالها عبد الله بن كثير.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، قالوا: اسجنوه

وقال آخرون: بل معناه: ليسحروك.

ذكر من قال ذلك.

حدثني محمد بن إسماعيل البصريّ المعروف بالوساوسي، قال: ثنا عبد المجيد بن أبي روّاد، عن ابن جريج، عن عطاء، عن عبيد بن عمير عن المطلب بن أبي وداعة، أن أبا طالب قال لرسول الله ﷺ: ما يأتمر به قومك؟ قال: «يُرِيدُونَ أَنْ يَسْحَرُونِي ويَقْتُلُونِي ويُخْرِجُونِي» فقال: من أخبرك بهذا؟ قال: «ربي» قال: نعم الربّ ربك، فاستوص به خيراً فقال رسول الله ﷺ: «أنا أَسْتَوصِي بِهِ؟ بَلْ هُوَ يَسْتَوْصِي بِي خَيْراً». فنزلت: ﴿**وَإِذْ يَمْكُرُ بك الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ...**﴾ الآية.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جريج، قال عطاء: سمعت عبيد بن عمير يقول: لما ائتمروا بالنبيّ ﷺ ليقتلوه أو يثبتوه أو يخرجوه، قال له أبو طالب: هل تدري ما ائتمروا بك؟ قال: «نَعَمْ». قال: فأخبره. قال: من أخبرك؟ قال: «رَبّي». قال: نعم الربّ ربك، استوص به خيراً قال: «أنا أَسْتَوْصِي بِهِ، أَوْ هُوَ يَسْتَوْصِي بي؟».

وكان معنى مكر قوم رسول الله ﷺ به ليثبتوه، كما:

حدثنا سعيد بن يحيى الأموي، قال: ثني أبي، قال: ثنا محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: وحدثني الكلبي، عن زاذان مولى أم هانىء، عن ابن عباس: أن نفراً من قريش من أشراف كلّ قبيلة، اجتمعوا ليدخلوا دار الندوة، فاعترضهم إبليس في صورة شيخ جليل فلما رأوه قالوا: من أنت؟ قال: شيخ من نجد، سمعت أنكم اجتمعتم، فأردت أن أحضركم ولن يعدمكم مني رأي ونصح. قالوا: أجل ادخل فدخل

معهم، فقال: انظروا في شأن هذا الرجل، والله ليوشِكنّ أن يواثبكم في أموركم بأمره[1] قال: فقال قائل: احبسوه في وثاق، ثم تربصوا به ريب المنون حتى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء، زهير والنابغة، إنما هو كأحدهم قال: فصرخ عدوّ الله الشيخ النجدي، فقال: والله ما هذا لكم رأي، والله ليخرجنه ربه من محبسه إلى أصحابه فليوشكن أن يثبوا عليه حتى يأخذوه من أيديكم فيمنعوه منكم، فما آمن عليكم أن يخرجوكم من بلادكم قالوا: فانظروا في غير هذا. قال: فقال قائل: أخرجوه من بين أظهركم تستريحوا منه، فإنه إذا خرج لن يضرّكم ما صنع وأين وقع إذا غاب عنكم أذاه واسترحتم وكان أمره في غيركم فقال الشيخ النجديّ: والله ما هذا لكم برأي، ألم تروا حلاوة قوله وطلاقة لسانه وأخذ القلوب ما تسمع من حديثه؟ والله لئن فعلتم ثم استعرض العرب، لتجتمعنّ عليكم، ثم ليأتينّ إليكم حتى يخرجكم من بلادكم ويقتل أشرافكم قالوا: صدق والله، فانظروا رأياً غير هذا قال: فقال أبو جهل: والله لأشيرنّ عليكم برأي ما أراكم أبصرتموه بعد ما أرى غيره. قالوا: وما هو؟ قال: نأخذ من كلّ قبيلة غلاماً وسطاً شاباً نهداً، ثم يعطى كلّ غلام منهم سيفاً صارماً، ثم يضربونه ضربة رجل واحد، فإذا قتلوه تفرّق دمه في القبائل كلها، فلا أظنّ هذا الحيّ من بني هاشم يقدرون على حرب قريش كلها، فإنهم إذا رأوا ذلك قبلوا العقل واسترحنا وقطعنا عنا أذاه. فقال الشيخ النجديّ: هذا والله الرأي القول ما قال الفتى، لا أرى غيره. قال: فتفرّقوا على ذلك وهم مجمعون له. قال: فأتى جبريل النبيّ ﷺ، فأمره أن لا يبيت في مضجعه الذي كان يبيت فيه تلك الليلة، وأذن الله له عند ذلك بالخروج، وأنزل عليه بعد قدومه المدينة الأنفال يذكره نعمه عليه وبلاءه عنده: **﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخرِجُوكَ ويَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيرُ المَاكِرِينَ﴾** وأنزل في قولهم: «تَرَبَّصُوا بِهِ رَيْبَ المَنُونِ» حتى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء: **﴿أَمْ يَقُولُونَ شاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ المَنُونِ﴾** وكان يسمى ذلك اليوم: «يوم الزحمة» للذي اجتمعوا عليه من الرأي.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة ومقسم، في قوله: **﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ﴾** قالا: تشاوروا فيه ليلة وهم بمكة، فقال بعضهم: إذا أصبح فأوثقوه بالوثاق وقال بعضهم: بل اقتلوه وقال بعضهم: بل اخرجوه فلما أصبحوا رأوا عليّاً رضي الله عنه، فردّ الله مكرهم.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرني أبي، عن عكرمة،

---

(١) في سياق هذا الخبر اختلاف في اللفظ عما في «السيرة» لابن هشام و «السيرة الحلبية» و «المواهب اللدنية».

قال: لما خرج النبيّ ﷺ وأبو بكر إلى الغار، أمر عليّ بن أبي طالب، فنام في مضجعه، فبات المشركون يحرسونه. فإذا رأوه نائماً حسبوا أنه النبيّ ﷺ، فتركوه. فلما أصبحوا ثاروا إليه وهم يحسبون أنه النبيّ ﷺ، فإذا هم بعليّ، فقالوا: أين صاحبك؟ قال: لا أدري. قال: فركبوا الصعب والذَّلول في طلبه.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الرزاق، عن معمر، قال: أخبرني عثمان الجريري: أن مقسماً مولى ابن عباس أخبره عن ابن عباس، في قوله: **﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ﴾** قال: تشاورت قريش ليلة بمكة، فقال بعضهم: إذا أصبح فأثبتوه بالوثاق يريدون النبيّ ﷺ. وقال بعضهم: بل اقتلوه وقال بعضهم: بل اخرجوه فأطلع الله نبيه على ذلك، فبات عليّ رضي الله عنه على فراش النبيّ ﷺ تلك الليلة، وخرج النبيّ ﷺ حتى لحق بالغار، وبات المشركون يحرسون علياً، يحسبون أنه النبيّ ﷺ. فلما أصبحوا ثاروا إليه، فلما رأوه علياً رضي الله عنه، ردّ الله مكرهم، فقالوا: أين صاحبك؟ قال: لا أدري. فاقتصوا أثره فلما بلغوا الجبل ومرّوا بالغار، رأوا على بابه نسج العنكبوت، قالوا: لو دخل ههنا لم يكن نَسْجٌ على بابه فمكث فيه ثلاثاً.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: **﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾** قال: اجتمعت مشيخة قريش يتشاورون في النبيّ ﷺ بعدما أسلمت الأنصار وفرقوا أن يتعالى أمره إذا وجد ملجأ لجأ إليه. فجاء إبليس في صورة رجل من أهل نجد، فدخل معهم في دار الندوة فلما أنكروه قالوا: من أنت؟ فوالله ما كلّ قومنا أعلمناهم مجلسنا هذا قال: أنا رجل من أهل نجد أسمع من حديثكم وأشير عليكم. فاستحيوا فخلوا عنه. فقال بعضهم: خذوا محمداً إذا اصطبح على فراشه، فاجعلوه في بيت نتربص به ريب المنون والريب: هو الموت، والمنون: هو الدهر قال إبليس: بئسما قلت، تجعلونه في بيت فيأتي أصحابه فيخرجونه فيكون بينكم قتال قالوا: صدق الشيخ. قال: أخرجوه من قريتكم قال إبليس: بئسما قلت، تخرجونه من قريتكم وقد أفسد سفهاءكم فيأتي قرية أخرى فيفسد سفهاءهم فيأتيكم بالخيل والرجال. قالوا: صدق الشيخ. قال أبو جهل، وكان أولاهم بطاعة إبليس: بل نعمد إلى كلّ بطن من بطون قريش، فنخرج منهم رجلاً فنعطيهم السلاح، فيشدّون على محمد جميعاً فيضربونه ضربة رجل واحد، فلا يستطيع بنو عبد المطلب أن يقتلوا قريشاً، فليس لهم إلاّ الدية. قال إبليس: صدق، وهذا الفتى هو أجودكم رأياً. فقاموا على ذلك، وأخبر الله رسوله ﷺ، فنام على الفراش، وجعلوا عليه العيون. فلما كان في بعض الليل، انطلق هو وأبو بكر إلى الغار، ونام عليّ بن أبي طالب على

الفراش، فذلك حين يقول الله: ﴿لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ والإثبات: هو الحبس والوثاق، وهو قوله: ﴿وَإِنْ كادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْها وَإِذَنْ لا يَلْبَثُونَ خَلْفَكَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ يقول: يهلكهم. فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة لقيه عمر، فقال له: ما فعل القوم؟ وهو يرى أنهم قد أهلكوا حين خرج النبيّ ﷺ من بين أظهرهم، وكذلك كان يصنع بالأمم، فقال النبيّ ﷺ: «أخِّرُوا بالقِتالِ».

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ﴾ قال: كفار قريش أرادوا ذلك بمحمد ﷺ قبل أن يخرج من مكة.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد نحوه.

حدثني ابن وكيع، قال: ثنا هانىء بن سعيد، عن حجاج، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد نحوه إلاَّ أنه قال: فعلوا ذلك بمحمد.

حدثني محمد بن سعد قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ...﴾ الآية، هو النبيّ ﷺ مكروا به وهو بمكة.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ...﴾ إلى آخر الآية، قال: اجتمعوا فتشاوروا في رسول الله ﷺ، فقالوا: اقتلوا هذا الرجل فقال بعضهم: لا يقتله رجل إلاَّ قُتل به قالوا: خذوه فاسجنوه واجعلوا عليه حديداً قالوا: فلا يدعكم أهل بيته. قالوا: أخرجوه قالوا: إذاً يستغويَ الناس عليكم. قال: وإبليس معهم في صورة رجل من أهل نجد. واجتمع رأيهم أنه إذا جاء يطوف البيت ويستسلم أن يجتمعوا عليه فَيَغُمُّوه ويقتلوه، فإنه لا يدري أهله من قتله، فيرضون بالعقل فنقتله ونستريح ونعقله. فلما أن جاء يطوف بالبيت اجتمعوا عليه، فغمّوه. فأتى أبو بكر، فقيل له ذاك، فأتى فلم يجد مدخلاً فلما أن لم يجد مدخلاً، قال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ الله وَقَدْ جاءَكُمْ بالبَيِّناتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾؟ قال: ثم فرجها الله عنه فلما أن كان الليل أتاه جبريل عليه السلام، فقال: من أصحابك؟ فقال: فلان وفلان وفلان. فقال: لا نحن أعلم بهم منك يا محمد، هو ناموس ليل(١)

(١) كذا بالأصل: ومن معاني الناموس في «لسان العرب» الاحتيال والمكر والخداع. فلعله يريد: ليس هؤلاء الذين سميتهم هم الذين يريدون الأذى والمكر بك وحدهم، وإنما هم قوم كثير تآمروا عليك، ونحن أعلم بهم منك.

قال: وأخذ أولئك من مضاجعهم وهم نيام. فأتى بهم النبيّ ﷺ، فقدم أحدهم إلى جبريل، فكحله، ثم أرسله، فقال: «ما صُورَتُهُ يا جِبْرِيلُ؟» قال: كفيته يا نبيّ الله. ثم قدم آخر فنقر فوق رأسه بعصا نقرة، ثم أرسله فقال: «ما صُورَتُهُ يا جِبْرِيلُ؟» فقال: كفيته يا نبيّ الله. ثم أتى بآخر فنقر في ركبته، فقال: «ما صُورَتُه يا جِبْرِيلُ؟» قال: كفيته. ثُم أتى بآخر، فسقاه مذقة، فقال: «ما صُورَتُهُ يا جِبْرِيلُ؟» قال: كفيته يا نبيّ الله. وأتى بالخامس. فلما غدا من بيته مرّ بنبّال، فتعلق مشقص بردائه فالتوى، فقطع الأكحل من رجله. وأما الذي كحلت عيناه فأصبح وقد عمي وأما الذي سقي مذقة فأصبح وقد استسقى بطنه وأما الذي نقر فوق رأسه فأخذته النقدة والنقدة: قرحة عظيمة أخذته في رأسه وأما الذي طعن في ركبته، فأصبح وقد أقعد. فذلك قول الله: **﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بك الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ويَمْكُرُون ويَمْكُرُ اللّهُ واللّهُ خَيْرُ المَاكِرِينَ﴾**.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قوله: **﴿ويَمْكُرُونَ ويَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ المَاكِرِينَ﴾**: أي فمكرت لهم بكيدي المتين حتى خلصتك منهم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عكرمة، قوله: **﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بك الَّذِينَ كَفَرُوا﴾** قال: هذه مكية. قال ابن جريج: قال مجاهد: هذه مكية.

فتأويل الكلام إذن: واذكر يا محمد نعمتي عندك بمكري بمن حاول المكر بك من مشركي قومك، بإثباتك، أو قتلك، أو إخراجك من وطنك، حتى استنقذتك منهم وأهلكتهم، فامضِ لأمري في حرب من حاربك من المشركين، وتولى عن إجابة ما أرسلتك به من الدين القيم، ولا يرعبنك كثرة عددهم، فإن ربك خير الماكرين بمن كفر به وعبد غيره وخالف أمره ونهيه. وقد بيَّنا معنى المكر فيما مضى بما أغني عن إعادته في هذا الموضع.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وإذا تتلى على هؤلاء الذين كفروا آيات كتاب الله الواضحة لمن شرح الله صدره لفهمه قالوا جهلاً منهم وعناداً للحق وهم يعلمون أنهم كاذبون في قيلهم: **﴿لَوْ نَشاءُ لَقُلْنا مِثْلَ هَذَا﴾** الذي تلي علينا، **﴿إنْ هَذَا إلاَّ أساطِيرُ الأوَّلِين﴾**: يعني أنهم يقولون ما هذا القرآن الذي يتلى عليهم إلاّ أساطير الأوّلين. والأساطير: جمع أسطر، وهو جمع الجمع، لأن واحد الأسطر: سطر، ثم يجمع السطر: أسطر وسطور، ثم يجمع الأسطر: أساطير وأساطر. وقد كان بعض أهل العربية يقول: واحد الأساطير: أسطورة.

وإنما عَنى المشركون بقولهم: ﴿إِنْ هَذَا إِلاَّ أَساطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾: إن هذا القرآن الذي تتلوه علينا يا محمد إلاَّ ما سطر الأوّلون وكتبوه من أخبار الأمم. كأنهم أضافوه إلى أنه أخذ عن بني آدم، وأنه لم يوحه الله إليه.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جريج، قوله: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آياتُنا قالُوا قَدْ سَمِعْنا لَوْ نَشاءُ لَقُلْنا مِثْلَ هذَا﴾ قال: كان النضر بن الحرث يختلف تاجراً إلى فارس، فيمرّ بالعباد[1] وهم يقرأون الإنجيل، ويركعون ويسجدون. فجاء مكة، فوجد محمداً ﷺ قد أنزل عليه وهو يركع ويسجد، فقال النضر: قد سمعنا، لو نشاء لقلنا مثل هذا للذي سمع من العِباد. فنزلت: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آياتُنا قالُوا قَدْ سَمِعْنا لَوْ نَشاءُ لَقُلْنا مِثْل هذَا﴾ قال: فقصّ ربنا ما كانوا قالوا بمكة، وقصّ قولهم: ﴿إِذْ قالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كانَ هَذَا هُوَ الحَقّ مِنْ عِنْدِكَ...﴾ الآية.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قال: كان النضر بن الحرث بن علقمة أخو بني عبد الدار يختلف إلى الحيرة، فيسمع سجع أهلها وكلامهم. فلما قدم مكة، سمع كلام النبيّ ﷺ والقرآن، فقال: ﴿قَدْ سَمِعْنا لَوْ نَشاءُ لَقُلْنا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلاَّ أَساطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾: يقول: أساجيع أهل الحيرة.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير قال: قتل النبيُّ ﷺ يوم بدر صبراً: عقبةَ بن أبي معيط، وطعيمة بن عديّ، والنضر بن الحارث وكان المقداد أسر النضر، فلما أمر بقتله قال المقداد: يا رسول الله أسيري فقال رسول الله ﷺ: «إنَّهُ كانَ يَقُولُ فِي كِتابِ اللَّهِ ما يَقُولُ». فأمر النبيّ ﷺ بقتله. فقال المقداد: أسيري فقال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ أغْنِ المِقْدَاد مِنْ فَضْلِكَ» فقال المقداد: هذا الذي أردت. وفيه نزلت هذه الآية: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آياتُنا...﴾ الآية.

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا أبو بشر، عن سعيد بن جبير: أن رسول الله ﷺ قتل يوم بدر ثلاثة رهط من قريش صبراً المطعم بن عديّ[2]، والنضر بن الحرث،

---

(١) العباد، بكسر العين: ألفاف من قبائل شتى، اجتمعوا بالحيرة على النصرانية، فسموا عباداً منهم عدي بن زيد التميمي العبادي.

(٢) قال ابن كثير: ذكر المطعم بدل طعيمة غلط، لأن المطعم لم يكن حياً يوم بدر ا هـ.

وعقبة بن أبي معيط. قال: فلما أمر بقتل النضر، قال المقداد بن الأسود: أسيري يا رسول الله قال: «إنَّهُ كانَ يَقُولُ فِي كِتابِ الله وفِي رَسُولِهِ ما كانَ يَقُولُ». قال: فقال ذلك مرّتين أو ثلاثاً، فقال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ أغْنِ المِقْدَادَ مِنْ فَضْلِكَ» وكان المقداد أسر النضر.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: واذكر يا محمد أيضاً ما حلّ بمن قال: **﴿اللَّهُمَّ إنْ كانَ هَذَا هُوَ الحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأمْطِرْ عَلَيْنا حِجارَةً مِنَ السَّماءِ أوِ ائْتِنا بِعَذَابٍ ألِيمٍ﴾** إذ مكرت لهم، فأتيتهم بعذاب أليم. وكان ذلك العذاب: قتلهم بالسيف يوم بدر. وهذه الآية أيضاً ذكر أنها نزلت في النضر بن الحرث.

ذكر من قال ذلك.

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: ثنا أبو بشر، عن سعيد بن جبير، في قوله: **﴿وَإذْ قالُوا اللَّهُمَّ إنْ كانَ هَذَا هُوَ الحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأمْطِرْ عَلَيْنا حِجارَةً مِنَ السَّماءِ﴾** قال: نزلت في النضر بن الحرث.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: **﴿إنْ كانَ هَذَا هُوَ الحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ﴾** قال: قول النضر بن الحرث بن علقمة[1] بن كلدة.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: **﴿اللَّهُمَّ إنْ كانَ هَذَا هُوَ الحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ﴾** قول النضر بن الحرث بن علقمة بن كلدة من بني عبد الدار.

قال: أخبرنا إسحاق، قال: أخبرنا عبد الله، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: **﴿إنْ كانَ هَذَا هُوَ الحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ﴾** قال: هو النضر بن الحرث بن كلدة.

حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا طلحة بن عمرو، عن عطاء، قال: قال رجل من بني عبد الدار، يقا له النضر بن كلدة: **﴿اللَّهُمَّ إنْ كانَ هَذَا هُوَ الحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ**

(١) علقمة ساقط من لفظ ابن إسحاق.

﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنا حِجارَةً مِنَ السَّماءِ أَوِ ائْتِنا بِعَذابٍ أَلِيمٍ﴾ فقال الله: **﴿وَقالُوا رَبَّنا عَجِّلْ لَنا قِطَّنا قَبْلَ يَوْمِ الحِسابِ﴾** وقال: **﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونا فُرادَى كَما خَلَقْناكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾** وقال: **﴿سأَلَ سائِلٌ بِعَذابٍ واقِعٍ لِلْكافِرِينَ﴾** قال عطاء: لقد نزل فيه بضع عشرة آية من كتاب الله.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدي، قال: فقال يعني النضر بن الحرث: اللهمّ إن كان ما يقول محمد هو الحقّ من عندك **﴿فأمطر علينا حجارة من السماء أوِ ائْتِنا بِعَذابٍ أَلِيمٍ﴾** قال الله: **﴿سأَلَ سائِلٌ بعَذابٍ وَاقِعٍ للْكافِرِينَ﴾**.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عنبسة، عن ليث، عن مجاهد، في قوله: **﴿إنْ كانَ هَذَا هُوَ الحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ...﴾** الآية، قال: **﴿سأَلَ سائِلٌ بِعَذابٍ وَاقِعٍ لِلْكافِرِينَ﴾**.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿وَإذْ قالُوا اللَّهُمَّ إنْ كانَ هَذَا هُوَ الحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ...﴾** الآية، قال: قال ذلك سفهة هذه الأمة وجهلتها، فعاد الله بعائدته ورحمته على سفهة هذه الأمة وجهلتها.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: ثم ذكر غيرة قريش واستفتاحهم على أنفسهم، إذ قالوا: **﴿اللَّهُمَّ إنْ كانَ هَذَا هُوَ الحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ﴾** أي ما جاء به محمد، **﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنا حِجارَةً مِنَ السَّماءِ﴾** كما أمطرتها على قوم لوط **﴿أوِ ائْتِنا بِعَذابٍ أَلِيمٍ﴾** أي ببعض ما عذّبت به الأمم قبلنا.

واختلف أهل العربية في وجه دخول «هو» في الكلام. فقال بعض البصريين نصب «الحق»، لأن «هو» والله أعلم حوّلت زائدة في الكلام صلة توكيد كزيادة «ما»، ولا تزاد إلاّ في كلّ فعل لا يستغني عن خبر، وليس هو بصفة لهذا، لأنك لو قلت: «رأيت هذا هو» لم يكن كلاماً، ولا تكون هذه المضمرة من صفة الظاهرة، ولكنها تكون من صفة المضمرة، نحو قوله: **﴿وَلَكِنْ كانُوا هُمُ الظَّالِمينَ﴾** و**﴿تجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خيراً وَأَعْظَمَ أجْراً﴾** لأنك تقول: «وجدته هو وإياي» فتكون «هو» صفة. وقد تكون في هذا المعنى أيضاً غير صفة، ولكنها تكون زائدة كما كان في الأوّل. وقد تجري في جميع هذا مجرى الاسم، فيرفع ما بعدها إن كان بعدها ظاهراً أو مضمراً في لغة بني تميم، يقولون في قوله: **﴿إنْ كانَ هَذَا هُوَ الحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ﴾** **﴿وَلَكِنْ كانُوا هُمُ الظَّالِمينَ﴾** و **﴿تجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خيراً وَأَعْظَمَ أجْراً﴾** كما تقول: كانوا آباؤهم الظالمون، جعلوا هذا المضمر نحو «هو» و «هما» و «أنت» زائداً في هذا المكان. ولم تجعل مواضع الصفة، لأنه فصل أراد أن يبين به أنه ليس ما بعده صفة لما قبله، ولم يحتج إلى هذا في الموضع الذي لا يكون له خبر.

وكان بعض الكوفيين يقول: لم تدخل «هو» التي هي عماد في الكلام إلاّ لمعنى صحيح.

وقال: كأنه قال: زيد قائم، فقلت أنت: بل عمرو هو القائم فهو لمعهود الاسم والألف، واللام لمعهود الفعل التي هي صلة في الكلام مخالفة لمعنى «هو»، لأن دخولها وخروجها واحد في الكلام، وليست كذلك هو وأما التي تدخل صلة في الكلام، فتوكيد شبيه بقولهم: «وجدته نفسه» تقول ذلك، وليست بصفة كالظريف والعاقل.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾﴾

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: تأويله: **﴿وَما كانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وأنْت فِيهِمْ﴾**: أي وأنت مقيم بين أظهرهم. قال: وأنزلت هذه على النبيّ ﷺ وهو مقيم بمكة. قال: ثم خرج النبيّ ﷺ من بين أظهرهم، فاستغفر من بها من المسلمين، فأنزل بعد خروجه عليه حين استغفر أولئك بها: **﴿وَما كانَ الله مُعَذِّبَهُمْ وهُمْ يَسْتَغْفِرونَ﴾**. قال: ثم خرج أولئك البقية من المسلمين من بينهم، فعذّب الكفار.

ذكر من قال ذلك.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب، عن جعفر بن أبي المغيرة، عن ابن أبزي، قال: كان النبيّ ﷺ بمكة، فأنزل الله: **﴿وَما كانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وأنْت فِيهِمْ﴾**. قال: فخرج النبيّ ﷺ إلى المدينة، فأنزل الله: **﴿وَما كانَ اللّهُ مُعَذبَهُمْ وهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾**. قال: فكان أولئك البقية من المسلمين الذين بقوا فيها يستغفرون، يعني بمكة فلما خرجوا أنزل الله عليه: **﴿وَما لَهُمْ ألاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ المَسْجِدِ الحَرَامِ وَما كانُوا أوْلِياءَهُ﴾** قال: فأذن الله له في فتح مكة، فهو العذاب الذي وعدهم.

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا حصين، عن أبي مالك، في قوله: **﴿وَما كانَ الله لِيُعَذّبَهُمْ وأنْت فِيهِمْ﴾** يعني النبيّ ﷺ. **﴿وَما كانَ اللّهُ مُعَذّبَهُمْ وهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾** يعني: من بها من المسلمين. **﴿وَمَا لَهُمْ ألاَّ يُعَذّبَهُمُ اللّهُ﴾** يعني مكة، وفيها الكفار.

حدثني المثنى، قال: ثنا عمرو بن عون، قال: أخبرنا هشيم، عن حصين، عن أبي مالك، في قول الله: **﴿وَما كانَ اللّهُ لِيُعَذّبَهُمْ﴾** يعني: أهل مكة. **﴿وَما كانَ اللّهُ مُعَذّبَهُمْ﴾** وفيهم المؤمنون، يستغفرون يغفر لمن فيهم من المسلمين.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا إسحاق بن إسماعيل الرازي وأبو داود الحفري، عن يعقوب، عن جعفر، عن ابن أبزى: ﴿**وَما كانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**﴾ قال: بقية من بقي من المسلمين منهم، فلما خرجوا، قال: ﴿**وَما لَهُمْ ألاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللّهُ**﴾.

قال: ثنا عمران بن عيينة، عن حصين، عن أبي مالك: ﴿**وَما كانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وأنْتَ فِيهِمْ**﴾ قال: أهل مكة.

وأخبرنا أبيّ، عن سلمة بن نبيط، عن الضحاك: ﴿**وَما كانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**﴾ قال: المؤمنون من أهل مكة. ﴿**وَما لَهُمْ ألاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ المَسْجِدِ الحَرَامِ**﴾ قال: المشركون من أهل مكة.

قال: ثنا أبو خالد، عن جويبر، عن الضحاك: ﴿**وَما كانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**﴾ قال: المؤمنون يستغفرون بين ظهرانيهم.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: ﴿**وَما كانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**﴾ يقول: الذين آمنوا معك يستغفرون بمكة، حتى أخرجك والذين آمنوا معك.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جريج، قال: ابن عباس: لم يعذّب قرية حتى يخرج النبيّ منها والذين آمنوا معه ويلحقه بحيث أمر. ﴿**وَما كانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**﴾ يعني المؤمنين. ثم أعاد إلى المشركين، فقال: ﴿**وَما لَهُمْ ألاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللّهُ**﴾.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**وَما كانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وأنْتَ فِيهِمْ**﴾ قال: يعني أهل مكة.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وما كان الله ليعذّب هؤلاء المشركين من قريش بمكة وأنت فيهم يا محمد، حتى أخرجك من بينهم. ﴿**وَما كانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ**﴾ وهؤلاء المشركون يقولون: يا ربّ غفرانك وما أشبه ذلك من معاني الاستغفار بالقول. قالوا: وقوله: ﴿**وَما لَهُمْ ألاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللّهُ**﴾ في الآخرة.

ذكر من قال ذلك.

حدثنا أحمد بن منصور الرمادي، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا عكرمة، عن أبي زميل،

عن ابن عباس: إن المشركين كانوا يطوفون بالبيت يقولون: لبيك لا شريك لك لبيك، فيقول النبيّ ﷺ: «قَدْ قَدْ» فيقولون: لا شريك لك إلاَّ شريك هو لك تملكه وما ملك، ويقولون: غفرانك غفرانك. فأنزل الله: ﴿وَما كانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وأنْتَ فِيهِمْ وَما كانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾. فقال ابن عباس: كان فيهم أمانان: نبيّ الله والاستغفار، قال: فذهب النبيّ ﷺ، وبقي الاستغفار. ﴿وَما لَهُمْ ألاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ المَسْجِدِ الحَرَامِ وَما كانُوا أوْلِياءَهُ إنْ أوْلِياؤُهُ إلاَّ المُتَّقُونَ﴾ قال: فهذا عذاب الآخرة، قال: وذاك عذاب الدنيا.

حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا أبو معشر، عن يزيد بن رومان ومحمد بن قيس قالا: قالت قريش بعضها لبعض: محمد أكرمه الله من بيننا ﴿اللَّهُمَّ إنْ كانَ هَذَا هُوَ الحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ، فَأمْطِرْ عَلَيْنا. . .﴾ الآية فلما أمسوا ندموا على ما قالوا، فقالوا: غفرانك اللهمّ فأنزل الله: ﴿وَما كانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ. . .﴾ إلى قوله: ﴿لا يَعْلَمُونَ﴾.

حدثني ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: كانوا يقولون يعني المشركين: والله إن الله لا يعذّبنا ونحن نستغفر، ولا يعذّب أمة ونبيها معها حتى يخرجه عنها وذلك من قولهم ورسول الله ﷺ بين أظهرهم، فقال الله لنبيه ﷺ يذكر له جهالتهم وغرّتهم واستفتاحهم على أنفسهم، إذ قالوا ﴿اللَّهُمَّ إنْ كانَ هَذَا هُوَ الحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأمْطِرْ عَلَيْنا حِجارَةً مِنَ السَّماءِ﴾ كما أمطرتها على قوم لوط، وقال حين نعى عليهم سوء أعمالهم: ﴿وَما كانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وأنْتَ فِيهِمْ وَما كانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾، أي بقولهم، وإن كانوا يستغفرون كما قال: ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ المَسْجِدِ الحَرامِ﴾ من آمن الله وعبده، أي أنت ومن تبعك.

حدثنا الحسن بن الصباح البزار، قال: ثنا أبو بردة، عن أبي موسى، قال: إنه كان فيكم أمانان: قوله: ﴿وما كانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وأنْتَ فِيهِمْ وَما كانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ قال: أما النبيّ ﷺ فقد مضى، وأما الاستغفار فهو دائر فيكم إلى يوم القيامة.

حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا يونس بن أبي إسحاق، عن عامر أبي الخطاب الثوريّ قال: سمعت أبا العلاء يقول: كان لأمة محمد ﷺ أَمَنَتان: فذهبت إحداهما، وبقيت الأخرى: ﴿وَما كانَ لِيُعَذِّبَهُمْ وأنْتَ فِيهِمْ. . .﴾ الآية.

وقال آخرون: معنى ذلك: وما كان الله ليعذّبهم وأنت فيهم يا محمد، وما كان الله معذّب المشركين وهم يستغفرون، أي: أن لو استغفروا. قالوا: ولم يكونوا يستغفرون فقال جلّ ثناؤه إذ لم يكونوا يستغفرون: ﴿وَمالَهُمْ ألاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ المَسْجِدِ الحَرَامِ﴾.

ذكر من قال ذلك.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: **﴿وَما كانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وأنْتَ فِيهِمْ وَما كانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾** قال: إن القوم لم يكونوا يستغفرون، ولو كانوا يستغفرون ما عذّبوا. وكان بعض أهل العلم يقول: هما أمانان أنزلهما الله، فأما أحدهما فمضى نبيّ الله، وأما الآخر فأبقاه الله رحمة بين أظهركم، الاستغفار والتوبة.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قال: قال الله لرسوله: **﴿وَما كانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وأنْتَ فِيهِمْ وَما كانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾** يقول: ما كنت أعذبهم وهم يستغفرون، ولو استغفروا وأقرّوا بالذنوب لكانوا مؤمنين، وكيف لا أعذبهم وهم لا يستغفرون، وما لهم ألا يعذّبهم الله وهم يصدّون عن محمد وعن المسجد الحرام.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿وَما كانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأنْتَ فِيهِمْ وَما كانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُون﴾** قال: يقول: لو استغفروا لم أعذّبهم.

وقال آخرون: معنى ذلك: وما كان الله ليعذّبهم وهم يسلمون. قالوا: واستغفارهم كان في هذا الموضع: إسلامهم.

ذكر من قال ذلك.

حدثنا سوّار بن عبد الله، قال: ثنا عبد الملك بن الصباح، قال: ثنا عمران بن حدير، عن عكرمة، في قوله: **﴿وَما كانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأنْتَ فِيهِمْ وَما كانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾**. قال: سألوا العذاب، فقال: لم يكن ليعذبهم وأنت فيهم، ولم يكن ليعذّبهم وهم يدخلون في الإسلام.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: **﴿وأنْتَ فِيهِمْ﴾** قال: بين أظهرهم. وقوله: **﴿وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾** قال: يسلمون.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: **﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم﴾** بين أظهرهم **﴿وَما كانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾** قال: وهم يسلمون. **﴿وَما لَهُمْ ألاّ يُعَذِّبَهُمُ اللّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ المَسْجِدِ الحَرَامِ﴾**.

حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا محمد بن عبيد الله، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿**وَما كانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأنْتَ فِيهِمْ**﴾ قال: بين أظهرهم. ﴿**وَما كان اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وهم يَسْتَغْفِرُونَ**﴾ قال: دخولهم في الإسلام.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وفيهم مَن قد سبق له من الله الدخول في الإسلام.

ذكر من قال ذلك.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**وَما كانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأنْتَ فِيهِمْ**﴾ يقول: ما كان الله سبحانه يعذّب قوماً وأنبياؤهم بين أظهرهم حتى يخرجهم. ثم قال: ﴿**وَما كانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**﴾ يقول: ومنهم من قد سبق له من الله الدخول في الإيمان، وهو الاستغفار، ثم قال: ﴿**وَمالَهُمْ ألاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللّهُ**﴾ فعذّبهم يوم بدر بالسيف.

وقال آخرون: بل معناه: وما كان الله معذّبهم وهم يصلّون.

ذكر من قال ذلك.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**وَما كانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**﴾ يعني: يصلون، يعني بهذا أهل مكة.

حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقيّ، قال: ثنا حسين الجعفيّ، عن زائدة، عن منصور، عن مجاهد، في قول الله: ﴿**وَما كانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وأنْتَ فِيهِمْ وَما كانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**﴾ قال: يصلون.

حُدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ، قال: ثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك بن مزاحم يقول في قوله: ﴿**وَما كانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وأنْتَ فِيهِمْ**﴾ يعني: أهل مكة، يقول: لم أكن لأعذّبكم وفيكم محمد. ثم قال: ﴿**وَما كانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**﴾ يعني: يؤمنون ويصلون.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد، في قوله: ﴿**وَما كانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**﴾ قال: وهم يصلون.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وما كان الله ليعذّب المشركين وهم يستغفرون. قالوا: ثم نسخ ذلك بقوله: ﴿**وَمالَهُمْ ألاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ المَسْجِدِ الحَرَامِ**﴾.

ذكر من قال ذلك.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، عن الحسين بن واقد، عن يزيد النحويّ، عن عكرمة والحسن البصريّ، قالا: قال في الأنفال: ﴿**وَما كانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وأنْتَ فِيهِمْ وَما كانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**﴾ فنسختها الآية التي تليها: ﴿**وَمالَهُمْ ألاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللّهُ...**﴾ إلى قوله: ﴿**فَذُوقُوا العَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ**﴾ فقوتلوا بمكة، وأصابهم فيها الجوع والحصر.

وأولى هذه الأقوال عندي في ذلك بالصواب قول من قال: تأويله: وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم يا محمد وبين أظهرهم مقيم، حتى أخرجك من بين أظهرهم لأني لا أهلك قرية وفيها نبيها. وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون من ذنوبهم وكفرهم، ولكنهم لا يستغفرون من ذلك، بل هم مصرّون عليه، فهم للعذاب مستحقون، كما يقال: ما كنت لأحسن إليك وأنت تسيء إليّ، يراد بذلك: لا أحسن إليك إذا أسأت إليّ ولو أسأت إليّ لم أحسن إليك، ولكن أحسن إليك لأنك لا تسيء إليّ وكذلك ذلك. ثم قيل: ﴿**وَمالَهُمْ ألاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ المَسْجِدِ الحَرَامِ**﴾ بمعنى: وما شأنهم وما يمنعهم أن يعذّبهم الله وهم لا يستغفرون الله من كفرهم فيؤمنوا به، وهم يصدّون المؤمنين بالله ورسوله عن المسجد الحرام.

وإنما قلنا هذا القول أولى الأقوال في ذلك بالصواب، لأن القوم أعني مشركي مكة كانوا استعجلوا العذاب، فقالوا: اللهمّ إن كان ما جاء به محمد هو الحقّ، فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم فقال الله لنبيه: ما كنت لأعذّبهم وأنت فيهم وما كنت لأعذّبهم لو استغفروا، وكيف لا أعذّبهم بعد إخراجك منهم وهم يصدّون عن المسجد الحرام فأعلمه جلّ ثناؤه أن الذين استعجلوا العذاب حائق بهم ونازل، وأعلمهم حال نزوله بهم، وذلك بعد إخراجه إياه من بين أظهرهم. ولا وجه لإيعادهم العذاب في الآخرة، وهم مستعجلوه في العاجل، ولا شكّ أنهم في الآخرة إلى العذاب صائرون، بل في تعجيل الله لهم ذلك يوم بدر الدليل الواضح على أن القول في ذلك ما قلنا. وكذلك لا وجه لقول مَن وجَّه قوله: ﴿**وَما كانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**﴾ إلى أنه عني به المؤمنين، وهو في سياق الخبر عنهم وعما الله فاعل بهم، ولا دليل على أن الخبر عنهم قد تقضّى، وعلى أن ذلك به عنوا، ولا خلاف في تأويله من أهله موجود. وكذلك أيضاً لا وجه لقول من قال: ذلك منسوخ بقوله: ﴿**وَما لَهُمْ ألاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ المَسْجِدِ الحَرَامِ...**﴾ الآية، لأن قوله جلّ ثناؤه: ﴿**وَما كانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**﴾ خبر، والخبر لا يجوز أن يكون فيه نسخ، وإنما يكون النسخ للأمر والنهي.

واختلف أهل العربية في وجه دخول «أن» في قوله: ﴿**وَما لَهُمْ ألاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللّهُ**﴾ فقال بعض نحويي البصرة: هي زائدة ههنا، وقد عملت كما عملت «لا» وهي زائدة، وجاء في الشعر:

لَوْ لَمْ تكُنْ غَطَفانُ لا ذُنُوبَ لَهَا إلَيَّ لامَ ذَوُو أحْسابِها عُمَرَا[1]

وقد أنكر ذلك من قوله بعض أهل العربية، وقال: لم تدخل «أن» إلاَّ لمعنى صحيح، لأن معنى ﴿وَما لَهُمْ﴾ ما يمنعهم من أن يعذّبوا، قال: فدخلت «أن» لهذا المعنى، وأخرج بـ «لا»، ليعلم أنه بمعنى الجحد، لأن المنع جحد. قال: و «لا» في البيت صحيح معناها، لأن الجحد إذا وقع عليه جحد صار خبراً. وقال: ألا ترى إلى قولك: ما زيد ليس قائماً، فقد أوجبت القيام؟ قال: وكذلك «لا» في هذا البيت.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَما كانُوا أوْلِياءَهُ إنْ أوْلِياؤُهُ إلاَّ المُتَّقُونَ وَلكِنَّ أكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾.

يقول تعالى ذكره: وما لهؤلاء المشركين ألا يعذّبهم الله وهم يصدّون عن المسجد الحرام، ولم يكونوا أولياء الله ﴿إنْ أوْلِيَاؤُهُ﴾ يقول: ما أولياء الله إلاَّ المتقون، يعني: الذين يتقون الله بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه. ﴿وَلكِنَّ أكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ يقول: ولكن أكثر المشركين لا يعلمون أن أولياء الله المتقون، بل يحسبون أنهم أولياء الله.

وبنحو ما قلنا قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿وَما كانُوا أوْلِياءَهُ إنْ أوْلِياؤُهُ إلاَّ المُتَّقُونَ﴾ هم أصحاب رسول الله ﷺ.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: ﴿إنْ أوْلِياؤُهُ إلاَّ المُتَّقُونَ﴾ مَن كانوا وحيث كانوا.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿وَما كانُوا أوْلِياءَهُ إنْ أوْلِياؤُهُ إلاَّ المُتَّقُونَ﴾ الذين يخرجون منه، ويقيمون الصلاة عنده، أي: أنت يعني النبيّ ﷺ ومن آمن بك. ﴿وَلكِنَّ أكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾.

---

(١) البيت من شواهد النحويين «الخزانة» (٢/ ٨٧) على أن لا في قوله «لا ذنوب لها» زائدة، ومع ذلك عملت عمل «لا» النافية للجنس، فبنيت النكرة معها على الفتح، والمعنى: لها ذنوب إلي، وعمل لا الزائدة شاذ. والبيت للفرزدق يهجو عمر بن هبيرة الفزاري. وفي رواية «الخزانة»: «إذن للام... الخ» ومعناه: لو كنت غطفان غير مسيئة إلي، للام أشرافها عمر بن هبيرة في تعرضه لي، ومنعوه عني. وكان عمر بن هبيرة من عمال سليمان بن عبد الملك.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وما لهؤلاء المشركين ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام الذي يصلون لله فيه ويعبدونه، ولم يكونوا لله أولياء، بل أولياؤه الذين يصدّونهم عن المسجد الحرام وهم لا يصلون في المسجد الحرام. ﴿وَما كانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ البَيْتِ﴾ يعني: بيت الله العتيق، ﴿إلاَّ مُكاءً﴾ وهو الصفير، يقال منه: مكا يمكو مَكْواً ومُكاءً، وقد قيل: إن المكو: أن يجمع الرجل يديه ثم يدخلهما في فيه ثم يصيح، ويقال منه: مكت استُ الدابة مُكاءً: إذا نفخت بالريح، ويقال: إنه لا يمكو إلاَّ استُ مكشوفة، ولذلك قيل للاست المَكْوَة، سميت بذلك ومن ذلك قول عنترة:

وَحَلِيلِ غانِيَةٍ تَرَكْتُ مُجَدَّلاً تَمْكُو فَرِيصَتُهُ كَشِدْقِ الأعْلَمِ[1]

وقول الطرماح:

فَنَحا لاِولاها بِطَعْنَةِ مُحْفَظٍ تَمْكُو جَوانِبُها مِنَ الإنْهارِ[2]

بمعنى: تصوّت. وأما التصدية فإنها التصفيق، يقال منه: صَدَّى يُصَدِّي تَصْدِيَة، وصفّق وصفّح بمعنى واحد.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن موسى بن قيس، عن حجر بن عنبس: ﴿إلاَّ مُكاءً وَتَصْدِيَةً﴾ قال: المكاء: التصفير، والتصدية: التصفيق.

---

(١) البيت لعنترة بن عمرو بن شداد العبسي، وهو السادس والأربعون في معلقته مختار الشعر الجاهلي طبعة الحلبي (ص ـ ٣٧٥) والحليل: الزوج، يروى بالحاء وبالخاء جميعاً. والغانية: الشابة. وقيل: هي المرأة غنيت بجمالها عن الزينة. أو غنيت وأقامت في خدرها لا تبرحه، لأن لها من يخدمها. ومجدلا: مصروعاً على الجدالة، وهي الأرض. وتمكو: تصفر بخروج الدم. والفريصة: لحمة تحت الإبط، بحذاء القلب، ترعد عند الخوف. والأعلم: مشقوق الشفة العليا. يقول: إن فريصة الفارس تصفر صفيراً كصفير شدق البعير، من اتساع الطعنة وشدة خروج الدم منها وانظره في «اللسان» مكا.

(٢) البيت للطرماح بن حكيم يصف الثور حين طعن الكلاب ديوانه طبعة ليدن سنة ١٩٢٧ (ص ـ ١٤٩) وكتاب «المعاني الكبير» لابن قتيبة (ص ـ ٩٨٣) وقال في شرحه: نحا انحرف، والمحفظ: المغضب تمكو: تصفر، وذلك عند سيلانها. والإنهار: أن توسع الطعنة، ومنه قول قيس بن الخطيم. . . «فأنهرت فتقها».

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس: قوله: ﴿وَما كانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ البَيْتِ إلاَّ مُكاءً وَتَصْدِيَةً﴾ المكاء: التصفير، والتصدية: التصفيق.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَما كانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ البَيْتِ إلاَّ مُكاءً وَتَصْدِيَةً﴾ يقول: كانت صلاة المشركين عند البيت مكاء، يعني: التصفير، وتصدية يقول: التصفيق.

حدثني محمد بن عمارة الأسديّ، قال: ثنا عبيد الله بن موسى، قال: أخبرنا فضيل، عن عطية: ﴿وَما كانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ البَيْتِ إلاَّ مُكاءً وَتَصْدِيَةً﴾ قال: التصفيق والصفير.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن قرّة بن خالد، عن عطية، عن ابن عمر، قال: المكاء: التصفيق، والتصدية: الصفير. قال: وأمال ابن عمر خده إلى جانب.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا وكيع، عن قرة بن خالد، عن عطية، عن ابن عمر: ﴿وَما كانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ البَيْتِ إلاَّ مُكاءً وَتَصْدِيَةً﴾ قال: المكاء والتصدية: الصفير والتصفيق.

حدثني الحرث، قال: ثنا القاسم، قال سمعت محمد بن الحسين يحدّث عن قرة بن خالد، عن عطية العوفي، عن ابن عمر، قال: المكاء: الصفير، والتصدية: التصفيق.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو عامر، قال: ثنا قرة، عن عطية، عن ابن عمر، في قوله: ﴿وَما كانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ البَيْتِ إلاَّ مُكاءً وَتَصْدِيَةً﴾ قال: المكاء: الصفير، والتصدية: التصفيق. وقال قرة: وحكى لنا عطية فعل ابن عمر، فصفَّر وأمال خده وصفق بيديه.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني بكر بن مضر، عن جعفر بن ربيعة، قال: سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن بن عوف يقول في قول الله: ﴿وَما كانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ البَيْتِ إلاَّ مُكاءً وَتَصْدِيَةً﴾ قال بكر: فجمع لي جعفر كفيه، ثم نفخ فيهما صفيراً، كما قال له أبو سلمة.

حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا إسرائيل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: المكاء: الصفير، والتصدية: التصفيق.

قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا سلمة بن سابور، عن عطية، عن ابن عمر: ﴿وَما كانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ البَيْتِ إلاَّ مُكاءً وَتَصْدِيَةً﴾ قال تصفير وتصفيق.

قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا فضيل بن مرزوق، عن عطية، عن ابن عمر مثله.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا حبوية أبو يزيد، عن يعقوب، عن جعفر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: كانت قريش يطوفون بالبيت وهم عراة يصفرون ويصفقون، فأنزل الله: قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ التي أخْرَجَ لِعِبادِهِ فأمروا بالثياب.

حدثني المثنى، قال: ثنا الحماني، قال: ثنا شريك، عن سالم، عن سعيد، قال: كانت قريش يعارضون النبيّ ﷺ في الطواف يستهزئون به، يصفرون به ويصفقون، فنزلت: **﴿وَما كانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ البَيْتِ إلاَّ مُكاءً وَتَصْدِيَةً﴾**.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد: **﴿إلاَّ مُكاءً﴾** قال: كانوا ينفخون في أيديهم، والتصدية: التصفيق.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: **﴿إلاَّ مُكاءً وَتَصْدِيَةً﴾** قال: المكاء: إدخال أصابعهم في أفواههم، والتصدية: التصفيق، يخلطون بذلك على محمد ﷺ.

حدثنا المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله، إلاَّ أنه لم يقل صلاته.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قال: المكاء. إدخال أصابعهم في أفواههم، والتصدية: التصفيق. قال نفر من بني عبد الدار كانوا يخلطون بذلك كله على محمد صلاته.

حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا طلحة بن عمرو، عن سعيد بن جبير: **﴿وَما كانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ البَيْتِ إلاَّ مُكاءً وَتَصْدِيَةً﴾** قال: من بين الأصابع. قال أحمد: سقط عليّ حرف وما أراه إلاَّ الخذف والنفخ والصفير منها وأراني سعيد بن جبير حيث كانوا يمكون من ناحية أبي قبيس.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق بن سليمان، قال: أخبرنا طلحة بن عمرو، عن سعيد بن جبير، في قوله: **﴿وَما كانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ البَيْتِ إلاَّ مُكاءً وَتَصْدِيَةً﴾** قال: المكاء: كانوا يشبكون بين أصابعهم ويصفرون بها، فذلك المكاء. قال: وأراني سعيد بن جبير المكان الذي كانوا يمكون فيه نحو أبي قبيس.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا محمد بن حرب، قال: ثنا ابن لهيعة، عن

جعفر بن ربيعة، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، في قوله: ﴿مُكاءً وَتَصْدِيَةً﴾ قال: المكاء: النفخ، وأشار بكفه قِبَل فيه، والتصدية: التصفيق.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا المحاربيّ، عن جويبر، عن الضحاك، قال: المكاء: الصفير، والتصدية: التصفيق.

حدثني المثنى، قال: ثنا عمرو بن عون، قال: أخبرنا هشيم، عن جويبر، عن الضحاك مثله.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَما كانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ البَيْتِ إلاَّ مُكاءً وَتَصْدِيَةً﴾ قال: كنا نحدَّث أن المكاء: التصفيق بالأيدي، والتصدية: صياح كانوا يعارضون به القرآن.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: ﴿مُكاءً وَتَصْدِيَةً﴾ قال: المكاء: التصفير، والتصدية: التصفيق.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿وَما كانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ البَيْتِ إلاَّ مُكاءً وَتَصْدِيَةً﴾ والمكاء: الصفير، على نحو طير أبيض يقال له المكاء يكون بأرض الحجاز والتصدية: التصفيق.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿وَما كانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ البَيْتِ إلاَّ مُكاءً وَتَصْدِيَةً﴾ قال: المكاء: صفير كان أهل الجاهلية يعلنون به. قال: وقال في المكاء أيضاً: صفير في أيديهم ولعب.

وقد قيل في التصدية: إنها الصدّ عن بيت الله الحرام. وذلك قول لا وجه له لأن التصدية مصدر من قول القائل: صدّيت تصدية. وأما الصدّ فلا يقال منه: صدّيت، إنما يقال منه صَدَدْت، فإن شدّدت منها الدال على معنى تكرير الفعل، قيل: صَدَّدت تصدية، إلاَّ أن يكون صاحب هذا القول وجَّه التصدية إلى أنه من صدّدت، ثم قلبت إحدى داليه ياءً كما يقال: تظنيت من ظننت، وكما قال الراجز:

تَقَضِّي البازِي إذَا البازِي كَسَرْ[1]

---

(١) البيت للعجاج ديوانه طبع ليبسك سنة ١٩٠٣ (ص ـ ١٧) من قصيدة له مطولة من مشطور الرجز، مطلعها:

قد جبر الدين الإله فجبر

يمدح بها عمر بن عبيد الله بن معمر، وكان عبد الملك بن مروان وجهه إلى أبي فديك الحروري حين خرج عليه، فأوقع به. وبيت الشاهد هو الخامس والسبعون، وقبله: =

يعني: تقضّضُ البازي، فقلب إحدى ضاديه ياء، فيكون ذلك وجهاً يوجه إليه. ذكر من قال ما ذكرنا في تأويل التصدية:

حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا طلحة بن عمرو، عن سعيد بن جبير: ﴿**وَما كانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ البَيْتِ إلاَّ مُكاءً وَتَصْدِيَةً**﴾: صدّهم عن بيت الله الحرام.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق بن سليمان، قال: أخبرنا طلحة بن عمرو، عن سعيد بن جبير. ﴿**وَتَصْدِيَةً**﴾ قال: التصدية: صدّهم الناس عن البيت الحرام.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**وَتَصْدِيَةً**﴾ قال: التصدية عن سبيل الله، وصدّهم عن الصلاة وعن دين الله.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿**وَما كانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ البَيْتِ إلاَّ مُكاءً وَتَصْدِيَةً**﴾ قال: ما كان صلاتهم التي يزعمون أنها يدرأ بها عنهم إلاّ مكاء وتصدية، وذلك ما لا يرضي الله ولا يحبّ، ولا ما افترض عليهم ولا ما أمرهم به.

وأما قوله: ﴿**فَذُوقُوا العَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ**﴾ فإنه يعني العذاب الذي وعدهم به بالسيف يوم بدر، يقول للمشركين الذين قالوا: ﴿**اللَّهُمَّ إنْ كانَ هَذَا هُوَ الحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنا حِجارَةً مِنَ السَّماءِ...**﴾ الآية، حين أتاهم بما استعجلوه من العذاب: ذوقوا: أي اطعموا، وليس بذوق بفم، ولكنه ذوق بالحسّ، ووجود طعم ألمه بالقلوب. يقول لهم: فذوقوا العذاب بما كنتم تجحدون أن الله معذّبكم به على جحودكم توحيد ربكم ورسالة نبيكم ﷺ.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿**فَذُوقُوا العَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ**﴾: أي ما أوقع الله بهم يوم بدر من القتل.

= إذَا الكِرامُ ابْتَدَرُوا البَاعَ ابْتَدَرْ ... دَانَى جَنَاحَيْهِ مِنَ الطُّورِ فَمَرّ

وقد أنشده صاحب «اللسان» مع البيت الأول من هذين البيتين. شبهه بطائر ضم جناحيه إلى نفسه، وانقض على الصيد. ويحتمل أن يكون شبهه بالعقاب، وشبه الجيش حوله بالجناحين، لأن جيشه أنهضه إلى ما أراد، كما ينهض العقاب جناحاها. ومعنى كسر: ضم جناحيه وانقض. وقوله «تقضى البازي»: أراد تقضضه، كالتمطي أصله التمطط فأبدل الضاد التي هي لام الفعل ياء، استثقالا لاجتماع الأمثال، وكسر ما قبلها لتصح، وانتصابه على المصدر المشبه به. والتقدير: مر مروراً مثل تقضي البازي. الاقتضاب لابن السيد (ص - ٤١٣).

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج: **﴿فَذُوقُوا العَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تكفُرُونَ﴾** قال: هؤلاء أهل بدر يوم عذّبهم الله.

حُدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ قال: ثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: **﴿فَذُوقُوا العَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكفُرُونَ﴾** يعني أهل بدر عذّبهم الله يوم بدر بالقتل والأسر.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: إن الذين كفروا بالله ورسوله ينفقون أموالهم، فيعطونها أمثالهم من المشركين ليتقوّوا بها على قتال رسول الله ﷺ والمؤمنين به، ليصدّوا المؤمنين بالله ورسوله، عن الإيمان بالله ورسوله، فسينفقون أموالهم في ذلك **﴿ثم تَكُونُ﴾** نفقتهم تلك **﴿عَلَيهِمْ حَسْرَةً﴾** يقول: تصير ندامة عليهم، لأن أموالهم تذهب، ولا يظفرون بما يأملون ويطمعون فيه من إطفاء نور الله، وإعلاء كلمة الكفر على كلمة الله، لأن الله معلي كلمته، وجاعل كلمة الكفر السفلى، ثم يغلبهم المؤمنون، ويحشر الله الذين كفروا به وبرسوله إلى جهنم، فيعذّبون فيها، فأعظم بها حسرة وندامة لمن عاش منهم ومن هلك أما الحيّ فحُرِب ماله وذهب باطلاً في غير درك ولا نفع ورجع مغلوباً مقهوراً محزوناً مسلوباً وأما الهالك: فقُتل وسُلب وعجل به إلى نار الله يخلد فيها، نعوذ بالله من غضبه وكان الذي تولى النفقة التي ذكرها الله في هذه الآية فيما ذكر أبا سفيان.

ذكر من قال ذلك.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب القمي، عن جعفر، عن سعيد بن جبير، في قوله: **﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ. . .﴾** الآية **﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا إلى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾** قال: نزلت في أبي سفيان بن حرب استأجر يوم أحد ألفين من الأحابيش من بني كنانة، فقاتل بهم النبيّ ﷺ، وهم الذين يقول فيهم كعب بن مالك:

وَجِئْنَا إِلَى مَوْجٍ مِنَ البَحْرِ وَسْطَهُ ... أَحَابِيشُ مِنْهُمْ حَاسِرٌ وَمُقَنَّعُ
ثَلاثَةُ آلافٍ وَنَحْنُ نَصِيَّةٌ ... ثَلاثُ مِئِينَ إنْ كَثُرْنَا فَأَرْبَعُ[1]

(١) البيتان لكعب بن مالك، أوردهما ابن هشام في «**مختصر سيرة ابن إسحاق**» (ج ٣/ ١٤١ طبعة الحلبي) الحاسر: الذي لا درع عليه ولا مغفر. والمقنع: الذي لبس المغفر على رأسه. والنصية: خيار القوم.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا إسحاق بن إسماعيل، عن يعقوب القمي، عن جعفر، عن ابن أبزى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ**﴾ قال: نزلت في أبي سفيان، استأجر يوم أُحد ألفين ليقاتل بهم رسول الله ﷺ سوى من استجاش من العرب.

قال: أخبرنا أبي عن خطاب بن عثمان العصفري، عن الحكم بن عتيبة: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ**﴾ قال: نزلت في أبي سفيان، أنفق على المشركين يوم أُحد أربعين أوقية من ذهب، وكانت الأوقية يومئذٍ اثنين وأربعين مثقالاً.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ...**﴾ الآية، قال: لما قدم أبو سفيان بالعير إلى مكة، أنشد الناس ودعاهم إلى القتال حتى غزا نبيّ الله من العام المقبل، وكانت بدر في رمضان يوم الجمعة صبيحة سابع عشرة من شهر رمضان، وكانت أُحد في شوّال يوم السبت لإحدى عشرة خلت منه في العام الرابع.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قال: قال الله فيما كان المشركون ومنهم أبو سفيان يستأجرون الرجال يقاتلون محمداً بهم: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ**﴾ وهو محمد ﷺ ﴿**فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً**﴾ يقول: ندامة يوم القيامة وويلاً ﴿**ثم يُغْلَبُونَ**﴾.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: ﴿**يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ...**﴾ الآية، حتى قوله: ﴿**أُولَئِكَ هُمُ الخاسِرُونَ**﴾ قال: في نفقة أبي سفيان على الكفار يوم أُحد.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قالا: ثنا محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري ومحمد بن يحيى بن حبان وعاصم بن عمر بن قتادة والحصين بن عبد الرحمن وعمرو بن سعد بن معاذ قالوا: لما أصابت المسلمون يوم بدر من كفار قريش من أصحاب القليب ورجع فَلُّهم إلى مكة، ورجع أبو سفيان بعيره، مشى عبد الله بن ربيعة وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية في رجال من قريش أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم ببدر، فكلموا أبا سفيان بن حرب ومن كان له في تلك العير من قريش تجارة، فقالوا: يا معشر قريش، إن محمداً قد وتركم وقتل خياركم، فأعينونا بهذا المال على حربه لعلنا أن ندرك منه ثأراً

بمن أصيب منا ففعلوا. قال: ففيهم كما ذكر عن ابن عباس أنزل الله: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ...**﴾ إلى قوله: ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ**﴾.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ...**﴾ إلى قوله: ﴿**يُحْشَرُونَ**﴾ يعني النفر الذين مشوا إلى أبي سفيان وإلى من كان له مال من قريش في تلك التجارة، فسألوهم أن يعينوهم على حرب رسول الله ﷺ. ففعلوا.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني سعيد بن أبي أيوب، عن عطاء بن دينار، في قول الله: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ...**﴾ الآية، نزلت في أبي سفيان بن حرب.

وقال بعضهم: عني بذلك المشركون من أهل بدر.

ذكر من قال ذلك.

حُدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ، قال: ثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ...**﴾ الآية، قال: هم أهل بدر.

والصواب من القول في ذلك عندي ما قلنا، وهو أن يقال: إن الله أخبر عن الذين كفروا به من مشركي قريش أنهم ينفقون أموالهم، ليصدوا عن سبيل الله، لم يخبرنا بأيّ أولئك عنى، غير أنه عمّ بالخبر الذين كفروا، وجائز أن يكون عنى: المنفقين أموالهم لقتال رسول الله ﷺ وأصحابه بأُحد، وجائز أن يكون عنى المنفقين منهم ذلك ببدر، وجائز أن يكون عنى الفريقين.

وإذا كان ذلك كذلك، فالصواب في ذلك أن يعمّ كما عمّ جلّ ثناؤه الذين كفروا من قريش.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: يحشر الله هؤلاء الذين كفروا بربهم، وينفقون أموالهم للصدّ عن سبيل الله إلى جهنم، ليفرّق بينهم وهم أهل الخبث كما قال وسماهم ﴿**الْخَبِيثَ**﴾، وبين المؤمنين بالله وبرسوله، وهم الطيبون، كما سماهم جلّ ثناؤه. فميز جلّ ثناؤه بينهم بأن أسكن أهل الإيمان به وبرسوله جناته، وأنزل أهل الكفر ناره.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**لِيَمِيزَ اللّهُ الخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ**﴾ فميز أهل السعادة من أهل الشقاوة.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قال: ثم ذكر المشركين، وما يصنع بهم يوم القيامة، فقال: ﴿**لِيَمِيزَ اللّهُ الخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ**﴾ يقول: يميز المؤمن من الكافر. ﴿**فَيَجْعَلَ الخَبِيثَ بَعْضَهُ على بَعْضٍ**﴾.

ويعني جلّ ثناؤه بقوله: ﴿**فيجعل الخَبِيثَ بَعْضَهُ على بَعْضٍ**﴾ فيجعل الكفار بعضهم فوق بعض. ﴿**فَيَرْكُمَهُ جَمِيعاً**﴾ يقول: فنجعلهم ركاماً، وهو أن يجمع بعضهم إلى بعض حتى يكثروا، كما قال جلّ ثناؤه في صفة السحاب: ﴿**ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكاماً**﴾: أي مجتمعاً كثيفاً. وكما:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**فَيَرْكُمَهُ جَمِيعاً**﴾ قال: فيجمعه جميعاً بعضه على بعض.

وقوله: ﴿**فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ**﴾ يقول: فيجعل الخبيث جميعاً في جهنم، فوحد الخبر عنهم لتوحيد قوله: ﴿**لِيَمِيزَ اللّهُ الخَبِيثَ**﴾، ثم قال: ﴿**أُولَئِكَ هُمُ الخاسِرُونَ**﴾ فجمع ولم يقل: ذلك هو الخاسر، فردّه إلى أوّل الخبر. ويعني بـ «أولئك» الذين كفروا، وتأويله: هؤلاء الذين ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله هم الخاسرون. ويعني بقوله: ﴿**الخَاسِرُونَ**﴾ الذين غبنت صفقتهم وخسرت تجارتهم وذلك أنهم شروا بأموالهم عذاب الله في الآخرة، وتعجلوا بإنفاقهم إياها فيما أنفقوا من قتال نبيّ الله والمؤمنين به الخزي والذلّ.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا۟ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد للذين كفروا من مشركي قومك: إن ينتهوا عما هم عليه مقيمون من كفرهم بالله ورسوله وقتالك وقتال المؤمنين فينيبوا إلى الإيمان، يغفر الله لهم ما قد خلا ومضى من ذنوبهم قبل إيمانهم وإنابتهم إلى طاعة الله وطاعة رسوله بإيمانهم وتوبتهم. ﴿**وإنْ يَعُودُوا**﴾ يقول: وإن يعد هؤلاء المشركون لقتالك بعد الوقعة التي أوقعتها بهم يوم بدر، فقد مضت سنتي في الأوّلين منهم ببدر ومن غيرهم من القرون الخالية إذ طغوا وكذّبوا

رسلي ولم يقبلوا نصحهم من إحلال عاجل النقم بهم، فأحلّ بهؤلاء إن عادوا لحربك وقتالك مثل الذين أحللت بهم.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ**﴾ في قريش يوم بدر وغيرها من الأمم قبل ذلك.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

حدثني المثنى، قال: ثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن نمير، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿**فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ**﴾ قال: في قريش وغيرها من الأمم قبل ذلك.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال في قوله: ﴿**قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ ما قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا**﴾ لحربك، ﴿**فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ**﴾: أي من قُتل منهم يوم بدر.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: وإن يعودوا لقتالك، فقد مضت سنة الأوّلين من أهل بدر.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٣٩)**﴾.

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله: وإن يعد هؤلاء لحربك، فقد رأيتم سنتي فيمن قاتلكم منهم يوم بدر، وأنا عائد بمثلها فيمن حاربكم منهم، فقاتلوهم حتى لا يكون شرك ولا يُعبد إلاَّ الله وحده لا شريك له، فيرتفع البلاء عن عباد الله من الأرض وهو الفتنة، ﴿**ويكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لله**﴾ يقول: حتى تكون الطاعة والعبادة كلها لله خالصة دون غيره.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**وَقاتِلُوهُمْ حتى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ**﴾ يعني: حتى لا يكون شرك.

حدثني المثنى، قال: ثنا عمرو بن عون، قال: أخبرنا هشيم، عن يونس، عن الحسن، في قوله: ﴿**وَقاتِلُوهُمْ حتى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ**﴾ قال: الفتنة: الشرك.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وَقاتِلُوهُمْ حتى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ**﴾: يقول: قاتلوهم حتى لا يكون شرك، و ﴿**وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّهِ**﴾ حتى يقال: لا إله إلاّ الله، عليها قاتل النبيّ ﷺ، وإليها دعا.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿**وَقاتِلُوهُمْ حتى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ**﴾ قال: حتى لا يكون شرك.

حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا مبارك بن فضالة، عن الحسن، في قوله: ﴿**وَقاتِلُوهُم حتى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ**﴾ قال: حتى لا يكون بلاء.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جريج: ﴿**وَقاتِلُوهُمْ حتى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّهِ**﴾: أي لا يفتَر مؤمن عن دينه، ويكون التوحيد لله خالصاً ليس فيه شرك، ويخلع ما دونه من الأنداد.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**وَقاتِلُوهُمْ حتى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ**﴾ قال: حتى لا يكون كفر، ﴿**وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّهِ**﴾ لا يكون مع دينكم كفر.

حدثني عبد الوارث بن عبد الصمد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا أبان العطار، قال: ثنا هشام بن عروة، عن أبيه، أن عبد الملك بن مروان كتب إليه يسأله عن أشياء، فكتب إليه عروة: سلامٌ عليك فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلاّ هو أما بعد: فإنك كتبت إليّ تسألني عن مخرج رسول الله ﷺ من مكة، وسأخبرك به، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله:

كان من شأن خروج رسول الله ﷺ من مكة، أن الله أعطاه النبوّة، فنعم النبي ونعم السيد، ونعم العشيرة فجزاه الله خيراً وعرّفنا وجهه في الجنة، وأحيانا على ملته، وأماتنا عليها، وبعثنا عليها. وإنه لما دعا قومه لما بعثه الله له من الهدى والنور الذي أنزل عليه، لم ينفروا منه أوّل ما دعاهم إليه، وكانوا يسمعون له حتى ذكر طواغيتهم. وقدم ناس من الطائف من قريش لهم أموال،

أنكر ذلك عليه ناس، واشتدّوا عليه، وكرهوا ما قال، وأغروا به من أطاعهم، فانعطف عنه عامة الناس، فتركوه، إلاّ من حفظه الله منهم وهم قليل. فمكث بذلك ما قدّر الله أن يمكث، ثم ائتمرت رؤوسهم بأن يفتنوا من اتبعه عن دين الله من أبنائهم وإخوانهم وقبائلهم، فكانت فتنة شديدة الزلزال، فافتتن من افتتن، وعصم الله من شاء منهم. فلما فعل ذلك بالمسلمين أمرهم رسول الله ﷺ أن يخرجوا إلى أرض الحبشة، وكان بالحبشة ملك صالح يقال له النجاشي لا يُظلم أحد بأرضه، وكان يُثنَى عليه مع ذلك. وكانت أرض الحبشة متجراً لقريش يتجرون فيها، ومساكن لتجارتهم يجدون فيها رتاعاً من الرزق وأمناً ومتجراً حسناً. فأمرهم بها النبيّ ﷺ فذهب إليها عامتهم لما قهروا بمكة، وخافوا عليهم الفتن، ومكث هو فلم يبرح، فمكث ذلك سنوات يشتدّون على من أسلم منهم. ثم إنه فشا الإسلام فيها، ودخل فيه رجال من أشرافهم ومنعتهم فلما رأوا ذلك استرخوا استرخاءة عن رسول الله ﷺ وعن أصحابه، وكانت الفتنة الأولى هي أخرجت من خرج من أصحاب رسول الله ﷺ قِبَل أرض الحبشة مخافتها وفراراً مما كانوا فيه من الفتن والزلزال. فلما استرخى عنهم ودخل في الإسلام من دخل منهم، تحدث بهذا الاسترخاء عنهم، فبلغ ذلك من كان بأرض الحبشة من أصحاب رسول الله ﷺ أنه قد استرخى عمن كان منهم بمكة وأنهم لا يفتنون، فرجعوا إلى مكة وكادوا يأمنون بها، وجعلوا يزدادون ويكثرون. وإنه أسلم من الأنصار بالمدينة ناس كثير، وفشا بالمدينة الإسلام، وطفق أهل المدينة يأتون رسول الله ﷺ بمكة فلما رأت قريش ذلك، توامرت[1] على أن يفتنوهم، ويشدّوا عليهم، فأخذوهم وحرصوا على أن يفتنوهم، فأصابهم جهد شديد، وكانت الفتنة الآخرة، فكانت ثنتين: فتنة أخرجت من خرج منهم إلى أرض الحبشة حين أمرهم رسول الله ﷺ بها وأذن لهم في الخروج إليها، وفتنة لما رجعوا ورأوا من يأتيهم من أهل المدينة. ثم إنه جاء رسول الله ﷺ من المدينة سبعون نفساً رؤوس الذين أسلموا، فوافوه بالحجّ، فبايعوه بالعقبة، وأعطوه على: أنا منك وأنت منا، وعلى: أن من جاء من أصحابك أو جئتنا فإنا نمنعك مما نمنع منه أنفسنا. فاشتدت عليهم قريش عند ذلك، فأمر رسول الله ﷺ أصحابه أن يخرجوا إلى المدينة، وهي الفتنة الآخرة التي أخرج فيها رسول الله ﷺ أصحابه وخرج هو، وهي التي أنزل الله فيها: ﴿**وَقَاتِلُوهُمْ حتى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّهِ**﴾.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن أبيه، عن عروة بن الزبير، أنه كتب إلى الوليد: أما بعد، فإنك كتبت إليّ تسألني عن مخرج رسول الله ﷺ من مكة، وعندي بحمد الله من ذلك علم بكلّ ما كتبت تسألني عنه، وسأخبرك إن شاء الله، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله، ثم ذكر نحوه.

---

(١) توامرت: لغة يمنية في تآمرت ونحوه، يقولون: آكله وواكله، وآساه ووساه.

حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا قيس، عن الأعمش، عن مجاهد: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حتى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ قال: يَسَاف ونائلة صنمان كانا يُعبدان.

وأما قوله: ﴿فَإِنِ انْتَهَوْا﴾ فإن معناه: فإن انتهوا عن الفتنة، وهي الشرك بالله، وصاروا إلى الدين الحقّ معكم. ﴿فَإِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ يقول: فإن الله لا يخفى عليه ما يعملون من ترك الكفر والدخول في دين الإسلام لأنه يبصركم ويبصر أعمالكم والأشياء كلها متجلية له لا تغيب عنه ولا يعزب عنه مثقال ذرّة في السماوات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلاّ في كتاب مبين.

وقد قال بعضهم: معنى ذلك: فإن انتهوا عن القتال.

والذي قلنا في ذلك أولى بالصواب، لأن المشركين وإن انتهوا عن القتال، فإنه كان فرضاً على المؤمنين قتالهم حتى يسلموا.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ (٤٠)﴾.

يقول تعالى ذكره: وإن أدبر هؤلاء المشركون عما دعوتموهم إليه أيها المؤمنون من الإيمان بالله ورسوله وترك قتالكم على كفرهم، فأبوا إلا الإصرار على الكفر وقتالكم، فقاتلوهم وأيقنوا أن الله معينكم عليهم وناصركم. ﴿نِعْمَ المَوْلَى﴾ هو لكم، يقول: نعم المعين لكم ولأوليائه، ﴿وَنِعْمَ النَّصِير﴾ وهو الناصر.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عن أمرك إلى ما هم عليه من كفرهم ﴿فَإِنَّ اللّهَ هُوَ مَوْلاكُمْ﴾ الذي أعزّكم ونصركم عليهم يوم بدر في كثرة عَدَدهم وقلة عُددكم. ﴿نِعْمَ المَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾.

محتوى الجزء التاسع من تفسير الطبري

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٨٨	قال الملأ الذين استكبروا	٥
٨٩	قد افترينا على الله كذبا	٥
٩٠	وقال الملأ الذين كفروا	٧
٩١	فأخذتهم الرجفة فأصبحوا	٨
٩٢	الذين كذّبوا شعيبا	٩
٩٣	فتولى عنهم وقال يا قوم	١١
٩٤	وما أرسلنا في قرية من نبيّ	١١
٩٥	ثم بدّلنا مكان السيئة الحسنة	١٢
٩٦	ولو أن أهل القرى آمنوا	١٤
٩٧	أفأمن أهل القرى أن يأتيهم	١٤
٩٨	أوأمن أهل القرى أن يأتيهم	١٤
٩٩	أفأمنوا مكر الله	١٤
١٠٠	أو لم يهد للذين يرثون الأرض	١٥
١٠١	تلك القرى نقصّ عليك	١٦
١٠٢	وما وجدنا لأكثرهم من عهد	١٨
١٠٣	ثم بعثنا من بعدهم موسى	١٨
١٠٤	وقال موسى يا فرعون	١٩
١٠٥	حقيق على أن لا أقول على الله	١٩
١٠٦	قال إن كنت جئت بآية	١٩
١٠٧	فألقى عصاه فإذا هي ثعبان	٢٠
١٠٨	ونزع يده فإذا هي بيضاء	٢٠

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١٠٩	قال الملأ من قوم فرعون	٢٠
١١٠	يريد أن يخرجكم من أرضكم	٢٢
١١١	قالوا أرجه وأخاه	٢٣
١١٢	يأتوك بكل ساحر عليم	٢٤
١١٣	وجاء السحرة فرعون	٢٤
١١٤	قال نعم وإنكم لمن المقرّبين	٢٦
١١٥	قالوا يا موسى إما أن تلقي	٢٦
١١٦	قال ألقوا فلما ألقوا	٢٦
١١٧	وأوحينا إلى موسى أن ألق	٢٧
١١٨	فوقع الحقّ وبطل ما كانوا يعملون	٢٩
١١٩	فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين	٢٩
١٢٠	وألقى السحرة ساجدين	٢٩
١٢١	قالوا آمنا بربّ العالمين	٢٩
١٢٢	ربّ موسى وهارون	٢٩
١٢٣	قال فرعون آمنتم به	٣٠
١٢٤	لأقطعنّ أيديكم وأرجلكم	٣٠
١٢٥	قالوا إنا إلى ربنا منقلبون	٣١
١٢٦	وما تنقم منا إلا أن آمنا	٣١
١٢٧	وقال الملأ من قوم فرعون	٣٢
١٢٨	قال موسى لقومه استعينوا	٣٥
١٢٩	قالوا أوذينا من قبل أن	٣٥
١٣٠	ولقد أخذنا آل فرعون	٣٦
١٣١	فإذا جاءتهم الحسنة قالوا	٣٧
١٣٢	وقالوا مهما تأتنا به من آية	٣٩
١٣٣	فأرسلنا عليهم الطوفان	٣٩

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١٣٤	ولما وقع عليهم الرجز قالوا	٥١
١٣٥	فلما كشفنا عنهم الرجز	٥٢
١٣٦	فانتقمنا منهم فأغرقناهم	٥٣
١٣٧	وأورثنا القوم الذين كانوا	٥٤
١٣٨	وجاوزنا ببني إسرائيل	٥٦
١٣٩	إن هؤلاء متبر ما هم فيه	٥٧
١٤٠	قال أغير الله أبغيكم إلهاً	٥٨
١٤١	وإذ أنجيناكم من آل فرعون	٥٨
١٤٢	وواعدنا موسى ثلاثين ليلة	٥٩
١٤٣	ولما جاء موسى لميقاتنا	٦١
١٤٤	قال يا موسى إني اصفيتك	٦٩
١٤٥	وكتبنا له في الألواح من كل شيء	٧٠
١٤٦	سأصرف عن آياتي الذين	٧٣
١٤٧	والذين كذّبوا بآياتنا	٧٥
١٤٨	واتخذ قوم موسى من بعده	٧٥
١٤٩	ولما سقط في أيديهم	٧٦
١٥٠	ولما رجع موسى إلى قومه	٧٧
١٥١	قال ربّ اغفر لي ولأخي	٨٤
١٥٢	إن الذين اتخذوا العجل	٨٤
١٥٣	والذين عملوا السيئات ثم تابوا	٨٦
١٥٤	ولما سكت عن موسى الغضب	٨٦
١٥٥	واختار موسى قومه سبعين رجلاً	٨٧
١٥٦	واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة	٩٤
١٥٧	الذين يتبعون الرسول	٩٩
١٥٨	قل يأيها الناس	١٠٥

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١٥٩	ومن قوم موسى أمة	١٠٦
١٦٠	وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطاً	١٠٧
١٦١	وإ قيل لهم اسكنوا هذه القرية	١٠٩
١٦٢	فبدل الذين ظلموا منهم	١٠٩
١٦٣	واسئلهم عن القرية التي كانت	١٠٩
١٦٤	وإذ قالت أمة منهم	١١٢
١٦٥	فلما نسوا ما ذكروا به	١١٩
١٦٦	فلما عتوا عما نهوا عنه	١٢٢
١٦٧	وإذ تأذّن ربك ليبعثنّ	١٢٢
١٦٨	وقطعناهم في الأرض أمماً	١٢٥
١٦٩	فخلف من بعدهم خلف	١٢٥
١٧٠	والذين يمسكون بالكتاب	١٢٩
١٧١	وإذ نتقنا الجبل فوقهم	١٣٠
١٧٢	وإذ أخذ ربك من بني آدم	١٣٢
١٧٣	أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا	١٤١
١٧٤	وكذلك نفصل الآيات	١٤٢
١٧٥	واتل عليهم نبأ الذي آتيناه	١٤٢
١٧٦	ولو شئنا لرفعناه بها	١٤٨
١٧٧	ساء مثلاً القوم الذين كذّبوا	١٥٥
١٧٨	من يهد الله فهو المتهدي	١٥٥
١٧٩	ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً	١٥٦
١٨٠	ولله الأسماء الحسنى فادعوه	١٥٨
١٨١	وممن خلقنا أمة يهدون بالحقّ	١٦٠
١٨٢	والذين كذّبوا بآياتنا	١٦١
١٨٣	وأملي لهم إن كيدي متين	١٦١

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١٨٤	أو لم يتفكروا ما بصاحبهم	١٦١
١٨٥	أو لم ينظروا في ملكوت السموات	١٦٢
١٨٦	من يضلل الله فلا هادي له	١٦٢
١٨٧	يسئلونك عن الساعة	١٦٣
١٨٨	قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً	١٦٩
١٨٩	هو الذي خلقكم من نفس واحدة	١٧٠
١٩٠	فلما آتاهما صالحاً	١٧٣
١٩١	أيشركون ما لا يخلق شيئاً	١٧٧
١٩٢	ولا يستطيعون لهم نصراً	١٧٨
١٩٣	وإن تدعوهم إلى الهدى لا يتبعونكم	١٧٨
١٩٤	إن الذين تدعون من دون الله	١٧٩
١٩٥	ألهم أرجل يمشون بها	١٧٩
١٩٦	إن وليَّ الله الذي	١٨٠
١٩٧	والذين تدعون من دونه	١٨٠
١٩٨	وإن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعوا	١٨٠
١٩٩	خذ العفو وأمر بالعرف	١٨٢
٢٠٠	وإما يَنزَغَنك من الشيطان	١٨٥
٢٠١	إن الذين اتقوا	١٨٦
٢٠٢	وإخوانهم يَمُدونهم في الغيّ	١٨٨
٢٠٣	وإذا لم تأتهم بآية قالوا	١٩٠
٢٠٤	وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له	١٩٢
٢٠٥	واذكر ربك في نفسك	١٥٧
٢٠٦	إن الذين عند ربك	١٩٨

تفسير سورة الأنفال

١	يسئلونك عن الأنفال	٢٠٠

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٢	إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله	٢١١
٣	الذين يقيمون الصلاة	٢١٣
٤	أولئك هم المؤمنون حقا	٢١٣
٥	كما أخرجك ربك من بيتك	٢١٤
٦	يجادلونك في الحق	٢١٤
٧	وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين	٢١٨
٨	ليحقّ الحقّ ويبطل الباطل	٢٢٣
٩	إذ تستغيثون ربكم	٢٢٣
١٠	وما جعله الله إلا بشرى	٢٢٧
١١	إذ يغشيكم النعاس أمنة	٢٢٨
١٢	إذ يوحى ربك إلى الملائكة	٢٢٨
١٣	ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله	٢٣٥
١٤	ذلك فذوقوه وأن للكافرين	٢٣٦
١٥	يأيها الذين آمنوا إذا لقيتم	٢٣٦
١٦	ومن يولهم يومئذٍ دبره	٢٣٦
١٧	فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم	٢٤٠
١٨	ذلكم وأن الله موهن كيد الكافرين	٢٤٣
١٩	إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح	٢٤٣
٢٠	يأيها الذين آمنوا أطيعوا	٢٤٧
٢١	ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا	٢٤٧
٢٢	إن شرّ الدوابّ عند الله	٢٤٨
٢٣	ولو علم الله فيهم خيراً	٢٥٠
٢٤	يأيها الذين آمنوا استجيبوا	٢٥١
٢٥	واتقوا فتنة لا تصيبنّ	٢٥٦
٢٦	واذكروا إذ أنتم قليل	٢٥٨

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٢٧	يأيها الذين آمنوا لا تخونوا	٢٦٠
٢٨	واعلموا أنما أموالكم وأولادكم	٢٦٣
٢٩	يأيها الذين آمنوا إن تتقوا الله	٢٦٤
٣٠	وإذ يمكر بك الذين كفروا	٢٦٦
٣١	وإذا تتلى عليهم آياتنا	٢٧١
٣٢	وإذ قالوا اللهم إن كان	٢٧٣
٣٣	وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم	٢٧٥
٣٤	ومالهم ألا يعذبهم الله	٢٧٥
٣٥	وما كان صلاتهم عند البيت	٢٨٢
٣٦	إن الذين كفروا ينفقون	٢٨٧
٣٧	ليميز الله الخبيث من الطيب	٢٨٩
٣٨	قل للذين كفروا إن ينتهوا	٢٩٠
٣٩	وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة	٢٩١
٤٠	وإن تولوا فاعلموا أن الله	٢٩٤

جامع البيان
عن تأويل آي القرآن

الله

بسم الله الرحمن الرحيم

جَامِع البَيان عَن تأويل آي القرآن

تفسِيرُ الطَّبَريّ

تأليف

الإمام الكبير والمحدّث الشهير من أطبقت
الأمّة على تقدمه في التّفاسير
الإمام أبي جعفر محمّد بن جرير الطّبري

الجزء العاشر

ضَبط وتعليق

محمود شاكر الحرستاني

تصحيح

علي عاشور

دار احياء التراث العربي

بيروت - لبنان

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

دار إحياء التراث العربي
للطباعة والنشر والتوزيع

DAR EHIA AL-TOURATH AL-ARABI
Publishing & Distributing

بيروت ـ لبنان ـ شارع دكاش ـ هاتف: ٢٧٢٦٥٢ ـ ٢٧٢٦٥٥ ـ ٢٧٢٧٨٢ ـ ٢٧٢٧٨٣ فاكس: ٨٥٠٧١٧ ـ ٨٥٠٦٢٣ ص.ب: ١١/٧٩٥٧

Beyrouth - Liban - Rue Dakkache - Tel. 272652 - 272655 - 272782 - 272783 Fax: 850717 - 850623 P.O.Box; 7957/11

(٨) سورة الأنفال مدنية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿۞ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (٤١)﴾.

قال أبو جعفر: وهذا تعليم من الله عزّ وجلّ المؤمنين قسم غنائمهم إذا غنموها، يقول تعالى ذكره: واعلموا أيها المؤمنون أنما غنمتم من غنيمة.

واختُلف أهل العلم في معنى الغنيمة والفيء، فقال بعضهم: فيهما معنيان كلّ واحد منهما غير صاحبه. ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا حميد بن عبد الرحمن، عن الحسن بن صالح، قال: سألت عطاء بن السائب عن هذه الآية: **﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾** وهذه الآية: **﴿ما أفاءَ اللَّهُ عَلى رسُولِهِ﴾** قال: قلت: غنمتم ما الفيء وما الغنيمة؟ قال: إذا ظهر المسلمون على المشركين وعلى أرضهم، وأخذوهم عنوة فما أخذوا من مال ظهروا عليه فهو غنيمة، وأما الأرض فهي في سوادنا هذا فيء.

وقال آخرون: الغنيمة ما أُخذ عَنوة. والفيء: ما كان عن صلح.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان الثوري، قال: الغنيمة: ما أصاب المسلمون عنوة بقتال فيه الخمس، وأربعة أخماسه لمن شهدها. والفيء: ما صولحوا عليه بغير قتال، وليس فيه خمس، هو لمن سَمَّى الله.

وقال آخرون: الغنيمة والفيء بمعنى واحد. وقالوا: هذه الآية التي في الأنفال ناسخة قولَه: **﴿مَا أفاءَ اللَّهُ على رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ القُرَى فَلِلَّهِ ولِلرسُولِ...﴾** الآية.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الأعلى، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، في قوله: **﴿ما أفاءَ اللّهُ على رَسُولِهِ مِنْ أهْلِ القُرَى فَلَلَّهِ وللرسُولِ وَلِذِي القُرْبَى واليَتامَى والمَساكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾** قال: كان الفيء في هؤلاء، ثم نسخ ذلك في سورة الأنفال، فقال: **﴿وَاعْلَمُوا أنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وللرَّسُولِ وَلِذِي القُرْبَى واليَتامَى والمَساكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾** فنسخت هذه ما كان قبلها في سورة الحشر، وجعل الخمس لمن كان له الفيء في سورة الحشر، وسائر ذلك لمن قاتل عليه.

وقد بيَّنا فيما مضى الغنيمة، وأنها المال يوصل إليه من مال من خوّل الله ماله أهل دينه بغلبة عليه وقهر بقتال. فأما الفيء، فإنه ما أفاء الله على المسلمين من أموال أهل الشرك، وهو ما ردّه عليهم منها بصلح، من غير إيجاف خيل ولا ركاب. وقد يجوز أن يسمى ما ردّته عليهم منها سيوفهم ورماحهم وغير ذلك من سلاحهم فيئاً، لأن الفيء إنما هو مصدر من قول القائل: فاء الشيء يَفيءُ فَيْئاً: إذا رجع، وأفاءه الله: إذا ردّه. غير أن الذي ورد حكم الله فيه من الفيء يحكيه في سورة الحشر إنما هو ما وصفت صفته من الفيء دون ما أوجف عليه منه بالخيل والركاب، لعلل قد بينتها في كتابنا: «كتاب لطيف القول في أحكام شرائع الدين» وسنبينه أيضاً في تفسير سورة الحشر إذا انتهينا إليه إن شاء الله تعالى.

وأما قول من قال: الآية التي في سورة الأنفال ناسخة الآية التي في سورة الحشر فلا معنى له، إذ كان لا معنى في إحدى الآيتين ينفي حكم الأخرى. وقد بيَّنا معنى النسخ، وهو نفي حكم قد ثبت بحكم بخلافه، في غير موضع بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

وأما قوله: **﴿مِنْ شَيْءٍ﴾** فإنه مراد به كل ما وقع عليه اسم شيء مما خوّله الله المؤمنين من أموال من غلبوا على ماله من المشركين مما وقع فيه القسم حتى الخيط والمخيط. كما:

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن ليث، عن مجاهد، قوله: **﴿وَاعْلَمُوا أنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾** قال: المخيط من الشيء.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن ليث، عن مجاهد بمثله.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو نعيم الفضل، قال: ثنا سفيان، عن ليث، عن مجاهد مثله.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَأنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وللرَّسُولِ وَلِذِي القُرْبَى واليَتامَى والمَساكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾.

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: قوله: **﴿فَأنَّ للَّهِ خُمُسَهُ﴾** مفتاح كلام، ولله الدنيا والآخرة وما فيهما، وإنما معنى الكلام: فأن للرسول خمسه.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن قيس بن مسلم، قال: سألت الحسن عن قول الله: ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وللرَّسُولِ**﴾ قال: هذا مفتاح كلام، لله الدنيا والآخرة.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن قيس بن مسلم، قال: سألت الحسن بن محمد، عن قوله: ﴿**وَاعْلَمُوا أنمَا غَنِمْتُم مِن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ**﴾ قال: هذا مفتاح كلام، لله الدنيا والآخرة.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا أحمد بن يونس، قال: ثنا أبو شهاب، عن ورقاء، عن نهشل، عن الضحاك، عن ابن عباس، قال: كان رسول الله ﷺ إذا بعث سرية فغنموا خَمَّسَ الغنيمة فضرب ذلك الخُمُسَ في خمسة. ثم قرأ: ﴿**وَاعْلَمُوا أنمَا غَنِمْتُمْ مِن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وللرسُولِ**﴾. قال: وقوله: ﴿**فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ**﴾ مفتاح كلام، لله ما في السَّمٰوَاتِ وما في الأَرْضِ، فجعل سهم الله وسهم الرسول واحداً.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا جرير، عن مغيرة، عن إبراهيم: ﴿**فَأن لِلَّهِ خُمُسَهُ**﴾ قال: لله كلّ شيء.

حدثنا المثنى، قال: ثنا عمرو بن عون، قال: أخبرنا هشيم، عن مغيرة، عن إبراهيم، في قوله: ﴿**وَاعْلَمُوا أنمَا غَنِمْتُمْ مِن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ**﴾ قال: لله كلّ شيء، وخمس لله ورسوله، ويقسم ما سوى ذلك على أربعة أسهم.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الأعلى، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: كانت الغنيمة تقسم خمس أخماس، فأربعة أخماس لمن قاتل عليها، ويقسم الخمس الباقي على خمسة أخماس، فخمس لله والرسول.

حدثنا عمران بن موسى، قال: ثنا عبد الوارث، قال: ثنا أبان، عن الحسن، قال: أوصى أبو بكر[1] رضي الله عنه بالخمس من ماله وقال: ألا أرضى من مالي بما رضي الله لنفسه.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا محمد بن فضيل، عن عبد الملك، عن عطاء: ﴿**وَاعْلَمُوا أنمَا غَنِمْتُمْ مِن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وللرَّسُولِ**﴾ قال: خمس الله وخمس رسوله واحد، كان النبيّ ﷺ يحمل منه ويصنع فيه ما شاء.

---

(١) الذي في ابن كثير، عن ابن جرير: أوصى الحسن.

حدثني المثنى، قال: ثنا الحجاج، قال: ثنا أبو عوانة، عن المغيرة، عن أصحابه، عن إبراهيم: ﴿وَاعْلَمُوا أنمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾ قال: كل شيء لله، الخمس للرسول، ولذي القربى، واليتامى، والمساكين، وابن السبيل.

وقال آخرون: معنى ذلك: فإن لبيت الله خمسه وللرسول.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع بن الجراح، عن أبي جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية الرياحي، قال: كان رسول الله ﷺ يُؤتَى بالغنيمة، فيقسمها على خمسة تكون أربعة أخماس لمن شهدها، ثم يأخذ الخمس، فيضرب بيده فيه، فيأخذ منه الذي قبض كفه فيجعله للكعبة، وهو سهم الله، ثم يقسم ما بقي على خمسة أسهم فيكون سهم للرسول، وسهم لذي القربى، وسهم لليتامى، وسهم للمساكين، وسهم لابن السبيل.

حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية: ﴿وَاعْلَمُوا أنمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ. . . .﴾ إلى آخر الآية، قال: فكان يجاء بالغنيمة فتوضع، فيقسمها رسول الله ﷺ خمسة أسهم، فيجعل أربعة بين الناس ويأخذ سهماً، ثم يضرب بيده في جميع ذلك السهم، فما قبض عليه من شيء جعله للكعبة، فهو الذي سُمي لله، ويقول: «لا تجعلوا لله نصيباً فإن لله الدنيا والآخرة»، ثم يقسم بقيته على خمسة أسهم: سهم للنبيّ ﷺ، وسهم لذوي القربى، وسهم لليتامى، وسهم للمساكين، وسهم لابن السبيل.

وقال آخرون: ما سمي لرسول الله ﷺ من ذلك فإنما هو مراد به قرابته، وليس لله ولا لرسوله منه شيء.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثنا معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قال: كانت الغنيمة تقسم على خمسة أخماس، فأربعة منها لمن قاتل عليها، وخمس واحد يقسم على أربع فربع لله والرسول ولذي القربى يعني قرابة النبيّ ﷺ فما كان لله والرسول فهو لقرابة النبيّ ﷺ، ولم يأخذ النبيّ ﷺ من الخمس شيئاً، والربع الثاني لليتامى، والربع الثالث للمساكين، والربع الرابع لابن السبيل.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال قوله: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾ افتتاح كلام وذلك لإجماع الحجة على أن الخمس غير جائز قسمه على ستة أسهم، ولو كان لله فيه سهم كما قال أبو العالية، لوجب أن يكون خمس الغنيمة مقسوماً على ستة أسهم. وإنما اختلف أهل العلم في قسمه على خمسة فما دونها، فأما على أكثر من ذلك فما لا نعلم قائلاً قاله غير الذي ذكرنا من الخبر عن

أبي العالية، وفي إجماع من ذكرت الدلالة الواضحة على صحة ما اخترنا. فأما من قال: سهم الرسول لذوي القربى، فقد أوجب للرسول سهماً وإن كان ﷺ صرفه إلى ذوي قرابته، فلم يخرج من أن يكون القسم كان على خمسة أسهم. وقد:

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ**...﴾ الآية، قال: كان نبيّ الله ﷺ إذا غنم غنيمة جعلت أخماساً، فكان خمس لله ولرسوله، ويقسم المسلمون ما بقي. وكان الخمس الذي جعل لله ولرسوله ولذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل، فكان هذا الخمس خمسة أخماس: خمس لله ورسوله، وخمس لذوي القُربى، وخمس لليتامى، وخمس للمساكين، وخمس لابن السبيل.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن موسى بن أبي عائشة، قال: سألت يحيى بن الجزار عن سهم النبيّ ﷺ، فقال: هو خمس الخمس.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن عيينة، وجرير عن موسى بن أبي عائشة، عن يحيى بن الجزار مثله.

حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا سفيان، عن موسى بن أبي عائشة، عن يحيى بن الجزار مثله.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج: ﴿**فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ**﴾ قال: أربعة أخماس لمن حضر البأس، والخمس الباقي لله، وللرسول خمسه يضعه حيث رأى، وخمسه لذوي القربى، وخمسه لليتامى، وخمسة للمساكين، ولابن السبيل خمسه.

وأما قوله: ﴿**وَلِذِي الْقُرْبَىٰ**﴾ فإن أهل التأويل اختلفوا فيهم، فقال بعضهم: هم قرابة رسول الله ﷺ من بني هاشم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثني أبي، عن شريك، عن خصيف، عن مجاهد، قال: كان آل محمد ﷺ لا تحلّ لهم الصدقة، فجعل لهم خمس الخمس.

حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا شريك، عن خصيف، عن مجاهد، قال: كان النبيّ ﷺ وأهل بيته لا يأكلون الصدقة، فجعل لهم خمس الخمس.

حدثنا أحمد، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا عبد السلام، عن خَصِيف، عن مجاهد، قال: قد علم الله أن في بني هاشم الفقراء، فجعل لهم الخمس مكان الصدقة.

حدثني محمد بن عمارة، قال: ثنا إسماعيل بن أبان، قال: ثنا الصباح بن يحيى

المزني، عن السديّ، عن ابن الديلمي، قال: قال عليّ بن الحسين رضي الله عنه لرجل من أهل الشأم: أما قرأت في الأنفال: ﴿وَاعْلَمُوا أنَمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وللرَّسُولِ. . .﴾ الآية؟ قال: نعم، قال: فإنكم لأنتم هم؟ قال: نعم.

حدثنا الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا إسرائيل، عن خصيف، عن مجاهد، قال: هؤلاء قرابة رسول الله ﷺ الذين لا تحلّ لهم الصدقة.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو معاوية، عن حجاج، عن عطاء، عن ابن عباس: أن نَجْدة كتب إليه يسأله عن ذوي القربى، فكتب إليه كتاباً: نزعم أنا نحن هم، فأبى ذلك علينا قومنا.

قال: حدثنا الحسين قال: ثني حجاج، عن ابن جريج: ﴿فأنَّ للَّهِ خُمُسَهُ﴾ قال: أربعة أخماس لمن حضر البأس، والخمس الباقي لله، وللرسول خمسه يضعه حيث رأى، وخمس لذوي القربى، وخمس لليتامى، وخمس للمساكين، ولابن السبيل خمسه.

وقال آخرون: بل هم قريش كلها.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرني عبد الله بن نافع، عن أبي معشر، عن سعيد المُقبري، قال: كتب نجْدة إلى ابن عباس يسأله عن ذي القربى، قال: فكتب إليه ابن عباس: قد كنا نقول إنا هم، فأبى ذلك علينا قومنا، وقالوا: قريش كلها ذوو قُرْبىَ.

وقال آخرون: سهم ذي القربى كان لرسول الله ﷺ، ثم صار من بعده لوليّ الأمر من بعده.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الأعلى، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، أنه سئل عن سهم ذي القربى، فقال: كان طُعْمة لرسول الله ﷺ ما كان حيّاً، فلما توفي جعل لوليّ الأمر من بعده.

وقال آخرون: بل سهم ذي القربى كان لبني هاشم وبني المطلب خاصة. وممن قال ذلك الشافعيّ، وكانت علته في ذلك ما:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا يونس بن بكير، قال: ثنا محمد بن إسحاق، قال: ثني الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن جبير بن مطعم، قال: لما قسم رسول الله ﷺ سهم ذي القربى من خيبر على بني هاشم وبني المطلب مشيت أنا وعثمان بن عفان رضي الله عنه، فقلنا: يا رسول الله، هؤلاء إخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله به منهم، أرأيت

إخواننا بني المطلب أعطيتهم وتركتنا، وإنما نحن وهم منك بمنزلة واحدة؟ فقال: «إِنَّهُمْ لَمْ يُفارِقُونا فِي جاهِلِيَّةٍ وَلا إسْلامٍ، إنَّمَا بَنُو هاشِمٍ وَبَنُو المُطَّلِبِ شَيْءٌ وَاحِدٌ». ثم شبك رسول الله ﷺ يديه إحداهما بالأُخرى.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي، قول من قال: سهم ذي القربى كان لقرابة رسول الله ﷺ من بني هاشم وحلفائهم من بني المطلب، لأن حليف القوم منهم، ولصحة الخبر الذي ذكرناه بذلك عن رسول الله ﷺ.

واختلف أهل العلم في حكم هذين السهمين، أعني سهم رسول الله ﷺ وسهم ذي القربى بعد رسول الله ﷺ فقال بعضهم: يصرفان في معونة الإسلام وأهله.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا أحمد بن يونس، قال: ثنا أبو شهاب، عن ورقاء، عن نهشل، عن الضحاك، عن ابن عباس، قال: جعل سهم الله وسهم الرسول واحداً ولذي القربى، فجعل هذان السهمان في الخيل والسلاح، وجعل سهم اليتامى والمساكين وابن السبيل لا يُعْطَى غيرهم.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن قيس بن مسلم، قال: سألت الحسن عن قول الله: ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وللرَّسُولِ وَلِذِي القُرْبَى**﴾ قال: هذا مفتاح كلام، لله الدنيا والآخرة.

ثم اختلف الناس في هذين السهمين بعد وفاة رسول الله ﷺ، فقال قائلون: سهم النبيّ ﷺ لقرابة النبيّ ﷺ. وقال قائلون: سهم القرابة لقرابة الخليفة واجتمع رأيهم أن يجعلوا هذين السهمين في الخيل والعدّة في سبيل الله، فكانا على ذلك في خلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا سفيان، عن قيس بن مسلم، قال: سألت الحسن بن محمد، فذكر نحوه.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عمر بن عبيد، عن الأعمش، عن إبراهيم، قال: كان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما يجعلان سهم النبيّ ﷺ في الكراع والسلاح، فقلت لإبراهيم: ما كان عليّ رضي الله عنه يقول فيه؟ قال: كان عليّ أشدّهم فيه.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وللرَّسُولِ وَلِذِي القُرْبَى واليَتامَى والمَساكِينِ...**﴾ الآية. قال ابن عباس: فكانت الغنيمة تقسم على خمسة أخماس، أربعة بين من

قاتل عليها، وخمس واحد يقسم على أربعة: لله، وللرسول، ولذي القربى، يعني قرابة النبيّ ﷺ فما كان لله وللرسول فهو لقرابة النبيّ ﷺ، ولم يأخذ النبيّ ﷺ من الخمس شيئاً. فلما قبض الله رسوله ﷺ، ردّ أبو بكر رضي الله عنه نصيب القرابة في المسلمين، فجعل يحمل به في سبيل الله، لأن رسول الله ﷺ، قال: «لا نُورَثُ، ما تَرَكْنا صَدَقَةٌ».

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الأعلى، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: أنه سئل عن سهم ذي القربى، فقال: كان طُعْمة لرسول الله ﷺ، فلما توفي حمل عليه أبو بكر وعمر في سبيل الله صدقة على رسول الله ﷺ.

وقال آخرون: سهم ذوي القربى من بعد رسول الله ﷺ مع سهم رسول الله ﷺ إلى وليّ أمر المسلمين.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا عمرو بن ثابت، عنِ عمران بن ظَبيان، عن حكيم بن سعد، عن عليّ رضي الله عنه، قال: يعطى كلّ إنسان نصيبه من الخمس، ويلي الإمام سهم الله ورسوله.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الأعلى، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: أنه سئل عن سهم ذوي القربى، فقال: كان طعمة لرسول الله ﷺ ما كان حيّاً، فلما توفي جُعِل لوليّ الأمر من بعده.

وقال آخرون: سهم رسول الله ﷺ مردود في الخمس، والخمس مقسوم على ثلاثة أسهم: على اليتامى، والمساكين، وابن السبيل. وذلك قول جماعة من أهل العراق.

وقال آخرون: الخمس كله لقرابة رسول الله ﷺ.

ذكر من قال ذلك:

حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا عبد الغفار، قال: ثنا المنهال بن عمرو، قال: سألت عبد الله بن محمد بن عليّ وعليّ بن الحسين عن الخمس، فقالا: هو لنا. فقلت لعليّ: إن الله يقول: ﴿**واليَتامَى وَالمَساكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ**﴾ فقال: يتامانا ومساكيننا.

والصواب من القول في ذلك عندنا، أن سهم رسول الله ﷺ مردود في الخمس، والخمس مقسوم على أربعة أسهم على ما رُوي عن ابن عباس: للقرابة سهم، ولليتامى سهم، وللمساكين سهم، ولابن السبيل سهم لأن الله أوجب الخمس لأقوام موصوفين بصفات، كما أوجب الأربعة الأخماس الآخرين. وقد أجمعوا أن حقّ الأربعة الأخماس لن يستحقه غيرهم، فكذلك حقّ أهل الخمس لن يستحقه غيرهم، فغير جائز أن يخرج عنهم إلى غيرهم، كما غير جائز أن تخرج بعض

السهمان التي جعلها الله لمن سماه في كتابه بفقد بعض من يستحقه إلى غير أهل السهمان الأخر. وأما اليتامى: فهم أطفال المسلمين الذين قد هلك آباؤهم. والمساكين: هم أهل الفاقة والحاجة من المسلمين. وابن السبيل: المجتاز سفراً قد انْقُطِعَ به. كما:

حدثني المثنى، قال: ثنّا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قال: الخمس الرابع لابن السبيل، وهو الضيف الفقير الذي ينزل بالمسلمين.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَما أَنْزَلْنا على عَبْدِنا يَوْمَ الفُرْقانِ يَوْمَ الْتَقَى الجَمْعانِ وَاللَّه عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

يقول تعالى ذكره: أيقنوا أيها المؤمنون أنما غنمتم من شيء فمقسوم القَسْمَ الذي بينته، وصَدقوا به إن كنتم أقررتم بوحدانية الله وبما أنزل الله على عبده محمد ﷺ يوم فرق بين الحقّ والباطل ببدر، فأبان فلج المؤمنين وظهورهم على عدوّهم، وذلك يوم التقى الجمعان. جمع المؤمنين، وجمع المشركين، والله على إهلاك أهل الكفر وإذلالهم بأيدي المؤمنين، وعلى غير ذلك مما يشاء قدير لا يمتنع عليه شيء أراده.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿يَوْمَ الفُرْقانِ﴾ يعني بالفرقان: يوم بدر، فَرَق الله فيه بين الحق والباطل.

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني الليث، قال: ثني عقيل، عن ابن شهاب، عن عروة بن الزبير وإسحاق، قال: ثنا عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري، عن عروة بن الزبير، يزيد أحدهما على صاحبه في قوله: ﴿يَوْمَ الفُرْقانِ﴾ يوم فرق الله بين الحقّ والباطل، وهو يوم بدر، وهو أوّل مشهد شهده رسول الله ﷺ، وكان رأس المشركين عتبة بن ربيعة. فالتقوا يوم الجمعة لتسع عشرة ليلة مضت من شهر رمضان، وأصحاب رسول الله ﷺ ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، والمشركون ما بين الألف والتسعمائة، فهزم الله يومئذ المشركين، وقُتل منهم زيادة على سبعين، وأسر منهم مثلُ ذلك.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن مقسم: ﴿يَوْمَ الفُرْقانِ﴾ قال: يوم بدر، فرق الله بين الحقّ والباطل.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن عثمان الجزري، عن مقسم، في قوله: ﴿**يَوْمَ الفُرْقانِ**﴾ قال: يوم بدر، فرق الله بين الحق والباطل.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**يَوْمَ الفُرْقانِ يَوْمَ الْتَقَى الجَمْعانِ**﴾ يوم بدر، وبدر بين المدينة ومكة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثني يحيى بن يعقوب أبو طالب، عن ابن عون، عن محمد بن عبد الله الثقفي، عن أبي عبد الرحمن السلمي عبد الله بن حبيب، قال: قال الحسن بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: كانت ليلة الفرقان يوم التقى الجمعان لسبع عشرة من شهر رمضان.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد: ﴿**يَوْمَ الْتَقَى الجَمْعانِ**﴾ قال ابن جريج: قال ابن كثير: يوم بدر.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿**وَما أنْزَلْنا على عَبْدِنا يَوْمَ الفُرْقانِ يَوْمَ الْتَقَى الجَمْعانِ**﴾: أي يوم فرق بين الحقّ والباطل ببدر أي يوم التقى الجمعان منكم ومنهم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿**وَما أنْزَلْنا على عَبْدِنا يَوْمَ الفُرْقانِ**﴾ وذاكم يوم بدر، يوم فرق الله بين الحقّ والباطل.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَـٰدِ ۙ وَلَـٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: أيقنوا أيها المؤمنون واعلموا أن قسم الغنيمة على ما بينه لكم ربكم إن كنتم آمنتم بالله وما أنزل على عبده يوم بدر، إذ فرق بين الحقّ والباطل من نصر رسوله، ﴿**إذْ أنْتُمْ**﴾ حينئذ ﴿**بالعُدْوةِ الدُّنْيا**﴾ يقول: بشفير الوادي الأدنى إلى المدينة، ﴿**وَهُمْ بالعُدْوَةِ القُصْوَى**﴾ يقول: وعدوّكم من المشركين نزول بشفير الوادي الأقصى إلى مكة، ﴿**وَالرَّكْبُ أسْفَلَ مِنْكُمْ**﴾ يقول: والعير فيه أبو سفيان وأصحابه في موضع أسفل منكم إلى ساحل البحر.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: ﴿**إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيا**﴾ قال: شفير الوادي الأدنى وهي بشفير الوادي الأقصى. ﴿**وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ**﴾ قال: أبو سفيان وأصحابه أسفل منهم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى**﴾ وهما شفيرا الوادي، كان نبيّ الله أعلى الوادي والمشركون بأسفله. ﴿**وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ**﴾ يعني أبا سفيان، انحدر بالعير على حوزته حتى قدم بها مكة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿**إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى**﴾ من الوادي إلى مكة. ﴿**وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ**﴾: أي عير أبي سفيان التي خرجتم لتأخذوها وخرجوا ليمنعوها عن غير ميعاد منكم ولا منهم.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ**﴾ قال: أبو سفيان وأصحابه مقبلون من الشام تجاراً، لم يشعروا بأصحاب بدر، ولم يشعر محمد ﷺ بكفار قريش ولا كفار قريش بمحمد وأصحابه، حتى التقيا على ماء بدر من يسقى[1] لهم كلهم، فاقتتلوا، فغلبهم أصحاب محمد ﷺ، فأسروهم.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد بنحوه.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قال: ذكر منازل القوم والعير، فقال: ﴿**إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى**﴾ والركب: هو أبو سفيان وعيره، أسفل منكم على شاطىء البحر.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿**إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ**﴾ فقرأ ذلك عامة قرّاء المدنيين والكوفيين: ﴿**بِالْعُدْوَةِ**﴾ بضم العين، وقرأه بعض المكيين والبصريين: «بالعِدْوَةِ» بكسر العين. وهما لغتان مشهورتان بمعنى واحد، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب، يُنْشَد بيت الراعي:

---

(١) قوله «من يسقى» بدل من الألف في قوله: التقيا. ويفسره قوله الآتي قريباً: حتى التقت السقاة.

وَعَيْنانِ حُمْرٌ مَآقِيهِما كَما نَظَرَ العِدْوَةَ الجُؤْذَرُ[(١)]

بكسر العين من العدوة، وكذلك ينشد بيت أوس بن حجر:

وفارِسٍ لَوْ تَحُلُّ الخَيْلُ عِدْوَتَه وَلَّوْا سِراعاً وَما هَمُّوا بإقْبالِ[(٢)]

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لاخْتَلَفْتُمْ فِي المِيعادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كانَ مَفْعُولاً﴾.

يعني تعالى ذكره: ولو كان اجتماعكم في الموضع الذي اجتمعتم فيه أنتم أيها المؤمنون وعدوّكم من المشركين عن ميعاد منكم ومنهم، لاختلفتم في الميعاد لكثرة عدد عدوّكم وقلة عددكم ولكن الله جمعكم على غير ميعاد بينكم وبينهم ليقضي الله أمراً كان مفعولاً. وذلك القضاء من الله كان نصره أولياءه من المؤمنين بالله ورسوله، وهلاك أعدائه وأعدائهم ببدر بالقتل والأسر كما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: **﴿وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لاخْتَلَفْتُمْ فِي المِيعادِ﴾** ولو كان ذلك عن ميعاد منكم ومنهم ثم بلغكم كثرة عددهم وقلة عددكم ما لقيتموهم. **﴿وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كانَ مَفْعُولاً﴾**: أي ليقضي الله ما أراد بقدرته من إعزاز الإسلام وأهله، وإذلال الشرك وأهله، عن غير بلاء منكم فعل ما أراد من ذلك بلطفه.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: أخبرني يونس بن شهاب، قال: أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك، أن عبد الله بن كعب، قال: سمعت كعب بن مالك يقول في غزوة بدر: إنما خرج رسول الله ﷺ والمسلمون يريدون عير قريش، حتى جمع الله بينهم وبين عدوّهم على غير ميعاد.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، عن ابن عون، عن عمير بن إسحاق، قال: أقبل أبو سفيان في الركب من الشام، وخرج أبو جهل ليمنعه من رسول الله ﷺ وأصحابه، فالتقوا ببدر، ولا يشعر هؤلاء بهؤلاء ولا هؤلاء بهؤلاء، حتى التقت السقاة، قال: ونهد الناس بعضهم لبعض.

---

(١) في «**اللسان**»: العدوة بالضم والكسر (في العين): جانب الوادي. وقيل: العدوة: المكان المرتفع شيئاً على ما هو منه ا هـ. والجؤذر، بضم الذال وفتحها: ولد الظبية. والمعنى: ينظر الجؤذر إلى عدوة الوادي، أو إلى جانب الأرض التي هو فيها، مادا بصره، هل يرى شيئاً يريبه.

(٢) عدوته: ناحيته وجانبه، كما في الشاهد السابق، والمعنى: أن الخيل لو حلت بجانب الفارس أو قريباً منه، لفزعت من منظره وهو له، وولت مسرعة عنه. ولعل البيت من قصيدته التي يرثي بها فضالة بن كلدة الأسدي انظر شعراء النصرانية (ص ـ ٤٩٢).

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

يقول تعالى ذكره: ولكن الله جمعهم هنالك ليقضي أمراً كان مفعولاً، **﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾**. وهذه اللام في قوله: **﴿لِيَهْلِكَ﴾** مكررة على اللام في قوله: **﴿لِيَقْضِيَ﴾** كأنه قال: ولكن ليهلك من هلك عن بينة، جَمَعَكُمْ.

ويعني بقوله: **﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾** ليموت من مات من خلقه عن حجة لله قد أثبتت له، وقطعت عذره، وعبرة قد عاينها ورآها. **﴿وَيَحْيا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾** يقول: وليعيش من عاش منهم عن حجة لله قد أثبتت له وظهرت لعينه، فعلمها جمعنا بينكم وبين عدوكم هنالك.

وقال ابن إسحاق في ذلك بما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: **﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾** لما رأى من الآيات والعبر، ويؤمن من آمن على مثل ذلك.

وأما قوله: **﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾** فإن معناه: وإن الله أيها المؤمنون لسميع لقولكم وقول غيركم حين يرى الله نبيه في منامه، ويريكم عدوكم في أعينكم قليلاً وهم كثير، ويراكم عدوكم في أعينهم قليلاً، عليم بما تضمره نفوسكم وتنطوي عليه قلوبكم، حينئذ وفي كل حال. يقول جلّ ثناؤه لهم ولعباده: واتقوا ربكم أيها الناس في منطقكم أن تنطقوا بغير حقّ، وفي قلوبكم أن تعتقدوا فيها غير الرشد، فإن الله لا يخفى عليه خافية من ظاهر أو باطن.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وإن الله يا محمد سميع لما يقول أصحابك، عليم بما يضمرونه، إذ يريك الله عدوّك وعدوّهم **﴿فِي مَنامِكَ قَلِيلاً﴾** يقول: يريكهم في نومك قليلاً فتخبرهم بذلك، حتى قويت قلوبهم واجترءوا على حرب عدوّهم. ولو أراك ربك عدوّك وعدوّهم كثيراً لفشل أصحابك، فجبنوا وخافوا، ولم يقدروا على حرب القوم، ولتنازعوا في ذلك ولكن الله سلمهم من ذلك بما أراك في منامك من الرؤيا، إنه عليم بما تخفيه الصدور، لا يخفى عليه شيء مما تضمره القلوب.

وقد زعم بعضهم أن معنى قوله: **﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً﴾**: أي في عينك التي تنام بها، فصيّر المنام هو العين، كأنه أراد: إذ يريكهم الله في عينك قليلاً.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿**إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً**﴾ قال: أراه الله إياهم في منامه قليلاً، فأخبر النبيّ ﷺ أصحابه بذلك، فكان تثبيتاً لهم.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد بنحوه.

وقال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿**إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً...**﴾ الآية فكان أوّل ما أراه من ذلك نعمة من نعمه عليهم، شجعهم بها على عدوّهم، وكفاهم بها ما تخوف عليهم من ضعفهم لعلمه بما فيهم.

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿**وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ**﴾ فقال بعضهم: معناه: ولكن الله سلم للمؤمنين أمرهم حتى أظهرهم على عدوّهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ**﴾ يقول: سلم الله لهم أمرهم حتى أظهرهم على عدوّهم.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ولكن الله سلم أمره فيهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، قال: ثنا معمر، عن قتادة: ﴿**وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ**﴾ قال: سلم أمره فيهم.

وأولى القولين في ذلك بالصواب عندي ما قاله ابن عباس، وهو أن الله سلم القوم بما أرى نبيه ﷺ في منامه من الفشل والتنازع، حتى قويت قلوبهم واجترؤا على حرب عدوّهم وذلك أن قوله: ﴿**وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ**﴾ عقيب قوله: ﴿**وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيراً لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ**﴾ فالذي هو أولى بالخبر عنه، أنه سلمهم منه جلّ ثناؤه ما كان مخوفاً منه لو لم يُرِ نبيه ﷺ من قلة القوم في منامه.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا

﴿...كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وإن الله لسميع عليم إذ يُري الله نبيه في منامه المشركين قليلاً، وإذ يريهم الله المؤمنين إذ لقوهم في أعينهم قليلاً، وهم كثير عددهم، ويقلل المؤمنين في أعينهم، ليتركوا الاستعداد لهم فيهون على المؤمنين شوكتهم. كما:

حدثني ابن بزيع البغدادي، قال: ثنا إسحاق بن منصور، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن أبي عبيدة، عن عبد الله قال: لقد قُللوا في أعيننا يوم بدر حتى قلت لرجل إلى جنبي: تراهم سبعين؟ قال أراهم مئة. قال: فأسرنا رجلاً منهم، فقلنا: كم هم؟ قال: كنا ألفاً.

حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن أبي عبيدة، عن عبد الله بنحوه.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قوله: ﴿**وإذْ يُرِيكُمُوهُمْ إذِ الْتَقَيْتُمْ في أعْيُنِكُمْ قَلِيلا**﴾ قال ابن مسعود: قُللوا في أعيننا حتى قلت لرجل: أتراهم يكونون مئة؟

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قال: قال ناس من المشركين: إن العير قد انصرفت فارجعوا فقال أبو جهل: الآن إذ برز لكم محمد وأصحابه؟ فلا ترجعوا حتى تستأصلوهم وقال: يا قوم لا تقتلوهم بالسلاح، ولكن خذوهم أخذاً، فاربطوهم بالحبال يقوله من القدرة في نفسه.

وقوله: ﴿**لِيَقْضِيَ اللَّهُ أمْراً كانَ مَفْعُولاً**﴾ يقول جلّ ثناؤه: قللتكم أيها المؤمنون في أعين المشركين وأريتكموهم في أعينكم قليلاً حتى يقضي الله بينكم ما قضي من قتال بعضكم بعضاً، وإظهاركم أيها المؤمنون على أعدائكم من المشركين والظفر بهم، لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى، وذلك أمر كان الله فاعله وبالغاً فيه أمره. كما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿**لِيَقْضِيَ اللَّهُ أمْراً كانَ مَفْعُولاً**﴾ أي ليؤلف بينهم على الحرب للنقمة ممن أراد الانتقام منه والإنعام على من أراد إتمام النعمة عليه من أهل ولايته. ﴿**وَإلى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ**﴾ يقول جلّ ثناؤه: مصير الأمور كلها إليه في الآخرة، فيجازي أهلها على قدر استحقاقهم المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾﴾.

وهذا تعريف من الله جلّ ثناؤه أهل الإيمان به السيرة في حرب أعدائه من أهل الكفر به والأفعال التي ترجى لهم باستعمالها عند لقائهم النصرة عليهم والظفر بهم، ثم يقول جلّ ثناؤه لهم: يا أيها الذين آمنوا، صدّقوا الله ورسوله إذا لقيتم جماعة من أهل الكفر بالله للحرب والقتال، فاثبتوا لقتالهم ولا تنهزموا عنهم ولا تولوهم الأدبار هاربين، إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة منكم. ﴿وَاذْكُرُوا الله كَثيراً﴾ يقول: وادعوا الله بالنصر عليهم والظفر بهم، وأشعروا قلوبكم وألسنتكم ذكره. ﴿لَعَلَّكُمْ تُفلِحُونَ﴾ يقول: كيما تنجحوا فتظفروا بعدوكم، ويرزقكم الله النصر والظفر عليهم. كما:

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿يا أيُها الَّذِينَ آمَنُوا إذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفلِحُونَ﴾ افترض الله ذكره عند أشغل ما تكونون عند الضراب بالسيوف.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة عن ابن إسحاق: ﴿يا أيُها الَّذِينَ آمَنُوا إذَا لَقِيتُمْ فِئَةً﴾ يقاتلونكم في سبيل الله، ﴿فاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً﴾ اذكروا الله الذي بذلتم له أنفسكم والوفاء بما أعطيتموه من بيعتكم، ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به: أطيعوا أيها المؤمنون ربكم ورسوله فيما أمركم به ونهاكم عنه، ولا تخالفوهما في شيء. ﴿وَلا تَنازَعُوا فَتَفْشَلُوا﴾ يقول: ولا تختلفوا فتفرّقوا وتختلف قلوبكم فتفشلوا، يقول: فتضعفوا وتجبنوا، ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ وهذا مثل، يقال للرجل إذا كان مقبلاً عليه ما يحبه ويُسَرّ به: الريح مقبلة عليه، يعني بذلك ما يحبه، ومن ذلك قول عبيد بن الأبرص:

كَمَا حَمَيْناكَ يَوْمَ النَّعْفِ مِنْ شَطِبٍ والفَضْلُ لِلْقَوْمِ مِنْ رِيحٍ وَمِنْ عَدَدِ[1]

يعني من البأس والكثرة. وإنما يراد به في هذا الموضع: وتذهب قوّتكم وبأسكم فتضعفوا، ويدخلكم الوهن والخلل.

---

(١) البيت لعبيد بن الأبرص ديوانه طبع ليدن سنة ١٩١٣ (ص ـ ٤٦) وشطب: اسم جبل بديار بني أسد. وفي «**معجم ما استعجم**» للبكري: بديار بني تميم. والنعف: أسفل الجبل والفضل للقوم: يقول: الريح معهم، والعدد لهم. ويروى: «من صوت ومن غرد» وغرد: يريد الصوت ههنا.

﴿وَاصْبِرُوا﴾ يقول: اصبروا مع نبيّ الله ﷺ عند لقاء عدوّكم، ولا تنهزموا عنه وتتركوه. ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ يقول: اصبروا فإني معكم.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ قال: نصركم. قال: وذهبت ريح أصحاب رسول الله ﷺ حين نازعوه يوم أُحد.

حدثنا ابن نمير، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ فذكر نحوه.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد نحوه، إلا أنه قال: ريح أصحاب محمد حين تركوه يوم أُحد.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿وَلا تَنازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ قال: حربكم وجدّكم.

حدثنا بشر قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ قال: ريح الحرب.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ قال: الريح: النصر. لم يكن نصر قط إلا بريح يبعثها الله تضرب وجوه العدوّ، فإذا كان ذلك لم يكن لهم قوام.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿وَلا تَنازَعُوا فَتَفْشَلُوا﴾ أي لا تختلفوا فيتفرّق أمركم. ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ فيذهب جدّكم. ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾: أي إني معكم إذا فعلتم ذلك.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَلا تَنازَعُوا فَتَفْشَلُوا﴾ قال: الفشل: الضعف عن جهاد عدوّه والانكسار لهم، فذلك الفشل.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ

﴿وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾﴾.

وهذا تَقَدُّمٌ من الله جلّ ثناؤه إلى المؤمنين به وبرسوله لا يعملوا عملاً إلا لله خاصة وطلب ما عنده لا رئاء الناس كما فعل القوم من المشركين في مسيرهم إلى بدر طلب رئاء الناس وذلك أنهم أخبروا بفوت العير رسول الله ﷺ وأصحابه، وقيل لهم: انصرفوا فقد سلمت العير التي جئتم لنصرتها، فأبوا وقالوا: نأتي بدراً فنشرب بها الخمر وتعزف علينا القيان وتتحدث بنا العرب لمكانتنا فيها. فسقوا مكان الخمر كؤوس المنايا. كما:

حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد، قال: ثني أبي، قال: ثنا أبان، قال: ثنا هشام بن عروة، عن عروة قال: كانت قريش قبل أن يلقاهم النبيّ ﷺ يوم بدر قد جاءهم راكب من أبي سفيان والركب الذين معه: إنا قد أجزنا القوم فارجعوا فجاء الركب الذين بعثهم أبو سفيان الذين يأمرون قريشاً بالرجعة بالجحفة، فقالوا: والله لا نرجع حتى ننزل بدراً فنقيم فيه ثلاث ليال ويرانا من غشينا من أهل الحجاز، فإنه لن يرانا أحد من العرب وما جمعنا فيقاتلنا وهم الذين قال الله: **﴿الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيارِهِمْ بَطَراً وَرِئاءَ النَّاسِ﴾** والتقوا هم والنبيّ ﷺ، ففتح الله على رسوله وأخزى أئمة الكفر، وشفى صدور المؤمنين منهم.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثني ابن إسحاق في حديث ذكره، قال: ثني محمد بن مسلم وعاصم بن عمرو، وعبد الله بن أبي بكر، ويزيد بن رومان، عن عروة بن الزبير وغيره من علمائنا، عن ابن عباس، قال: لما رأى أبو سفيان أنه أحرز عيره، أرسل إلى قريش أنكم إنما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم، فقد نجاها الله فارجعوا فقال أبو جهل بن هشام: والله لا نرجع حتى نرد بدراً وكان بدر موسماً من مواسم العرب، يجتمع لهم بها سوق كلّ عام فنقيم عليه ثلاثاً، وننحر الجزر، ونطعم الطعام، ونُسقي الخمور، وتعزف علينا القيان، وتسمع بنا العرب، فلا يزالون يهابوننا أبداً فامضوا

قال ابن حميد: ثنا سلمة، قال: قال ابن إسحاق: **﴿وَلا تَكُونُوا كالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيارِهِمْ بَطَراً وَرِئاءَ النَّاسِ﴾**: أي لا تكونوا كأبي جهل وأصحابه الذين قالوا: لا نرجع حتى نأتي بدراً وننحر بها الجزر ونسقي بها الخمر وتعزف علينا القيان وتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابوننا أي لا يكوننّ أمركم رياء ولا سمعة ولا التماس ما عند الناس، وأخلصوا لله النية والحسبة في نصر دينكم، وموازرة نبيكم أي لا تعملوا إلا لله ولا تطلبوا غيره.

حدثني محمد بن عمارة الأسدي، قال: ثنا عبيد الله بن موسى، قال: أخبرنا إسرائيل وحدثنا أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا إسرائيل، عن ابن أبي نجيح، عن

مجاهد: ﴿**الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيارِهِمْ بَطَراً وَرِئاءَ النَّاسِ**﴾ قال: أصحاب بدر.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قوله: ﴿**بَطَراً وَرِئاءَ النَّاسِ**﴾ قال: أبو جهل وأصحابه يوم بدر.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد مثله. قال ابن جريج: وقال عبد الله بن كثير: هم مشركو قريش، وذلك خروجهم إلى بدر.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿**وَلا تَكُونُوا كالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيارِهِمْ بَطَراً وَرِئاءَ النَّاسِ**﴾ يعني المشركين الذي قاتلوا رسول الله ﷺ يوم بدر.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: ﴿**خَرَجُوا مِنْ دِيارِهِمْ بَطَراً وَرِئاءَ النَّاسِ**﴾ قال: هم قريش وأبو جهل وأصحابه الذين خرجوا يوم بدر.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿**وَلا تَكُونُوا كالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيارِهِمْ بَطَراً وَرِئاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ**﴾ قال: كان مشركو قريش الذين قاتلوا نبيّ الله يوم بدر خرجوا ولهم بغي وفخر، وقد قيل لهم يومئذ: ارجعوا فقد انطلقت عيركم وقد ظفرتم قالوا: لا والله حتى يتحدث أهل الحجاز بمسيرنا وعددنا. قال: وذكر لنا أن نبيّ الله ﷺ، قال يومئذ: «اللَّهم إن قُرَيْشاً أقْبَلَتْ بِفَخْرِها وخُيَلائها لِتُحادّكَ وَرَسُولَكَ».

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قال: ذكر المشركين وما يطعمون على المياه، فقال: ﴿**وَلا تَكُونُوا كالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيارِهِمْ بَطَراً وَرِئاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ**﴾.

حُدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ الفضل بن خالد، قال: ثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿**الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيارِهِمْ بَطَراً**﴾ قال: هم المشركون خرجوا إلى بدر أشراً وبطراً.

حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا أبو معشر، عن محمد بن كعب القرظي، قال: لما خرجت قريش من مكة إلى بدر، خرجوا بالقيان والدفوف، فأنزل الله: ﴿**وَلا تَكُونُوا كالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيارِهِمْ بَطَراً وَرِئاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ**﴾.

فتأويل الكلام إذن: ولا تكونوا أيها المؤمنون بالله ورسوله في العمل بالرياء والسمعة وترك إخلاص العمل لله واحتساب الأجر فيه، كالجيش من أهل الكفر بالله ورسوله الذين خرجوا من

منازلهم بطراً ومراءاة الناس بزيهم وأموالهم وكثرة عددهم وشدة بطانتهم. ﴿وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يقول: ويمنعون الناس من دين الله والدخول في الإسلام بقتالهم إياهم وتعذيبهم من قدروا عليه من أهل الإيمان بالله، والله بما يعملون من الرياء والصدّ عن سبيل الله وغير ذلك من أفعالهم محيط، يقول: عالم بجميع ذلك، لا يخفى عليه منه شيء وذلك أن الأشياء كلها له متجلية، لا يعزب عنه منها شيء، فهو لهم بها معاقب وعليها معذّب.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾﴾.

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿وَإذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أعمالَهُمْ﴾ وحين زين لهم الشيطان أعمالهم.

وكان تزيينه ذلك لهم كما:

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قال: جاء إبليس يوم بدر في جند من الشياطين معه رايته في صورة رجل من بني مدلج في صورة سراقة بن مالك بن جعشم، فقال الشيطان للمشركين: لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم فلما اصطفّ الناس، أخذ رسول الله ﷺ قبضة من التراب، فرمى بها في وجوه المشركين، فولوا مدبرين. وأقبل جبريل إلى إبليس، فلما رآه، وكانت يده في يد رجل من المشركين، انتزع إبليس يده، فولى مدبراً هو وشيعته، فقال الرجل: يا سراقة تزعم أنك لنا جار؟ قال: ﴿إنّي أرَى ما لا تَرَوْنَ إنّي أخافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ العِقابِ﴾ وذلك حين رأى الملائكة.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قال: أتى المشركين إبليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم الكناني الشاعر، ثم المدلجي، فجاء على فرس فقال للمشركين: ﴿لا غالِبَ لَكُمُ اليَوْمَ مِنَ النَّاسِ﴾ فقالوا: ومن أنت؟ قال: أنا جاركم سراقة، وهؤلاء كنانة قد أتوكم.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: قال ابن إسحاق، ثني يزيد بن رومان، عن عروة بن الزبير، قال: لما أجمعت قريش المسير ذكرت الذي بينها وبين بني بكر يعني من الحرب فكاد ذلك أن يثبطهم، فتبدّى لهم إبليس في صورة سراقة بن جعشم المدلجيّ، وكان من أشراف

بني كنانة، فقال: أنا جار لكم من أن تأتيكم كنانة بشيء تكرهونه فخرجوا سراعاً.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: قال ابن إسحاق، في قوله: ﴿**وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيطانُ أعْمالَهُمْ وَقالَ لا غالِبَ لَكُمُ اليَوْمَ مِنَ النَّاسِ وإنّي جارٌ لَكُمْ**﴾ فذكر استدراج إبليس إياهم وتشبهه بسراقة بن مالك بن جعشم حين ذكروا ما بينهم وبين بني بكر بن عبد مناة بن كنانة من الحرب التي كانت بينهم. يقول الله: ﴿**فَلَمَّا تَرَاءَتِ الفِئَتانِ**﴾ ونظر عدوّ الله إلى جنود الله من الملائكة قد أيد الله بهم رسوله والمؤمنين على عدوّهم، ﴿**نَكَصَ على عَقِبَيْهِ وَقالَ إنّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إني أرَى ما لا ترون**﴾ وصدق عدوّ الله أنه رأى ما لا يرون. وقال: ﴿**إنّي أخافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ العِقابِ**﴾، فأوردهم ثم أسلمهم. قال: فذكر لي أنهم كانوا يرونه في كل منزل في صورة سراقة بن مالك بن جعشم لا ينكرونه، حتى إذا كان يوم بدر والتقى الجمعان، كان الذي رآه حين نكص الحرث بن هشام أو عمير بن وهب الجمحي، فذكر أحدهما فقال: أين سراقة؟ أسلمنا عدو الله وذهب.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيطانُ أعْمالَهُمْ...**﴾ إلى قوله: ﴿**شَدِيدُ العِقابِ**﴾ قال: ذكر لنا أنه رأى جبريل تنزل معه الملائكة، فزعم عدوّ الله أنه لا يدي له بالملائكة، وقال: إني أرى ما لا ترون، إني أخاف الله. وكذب والله عدوّ الله، ما به مخافة الله، ولكن علم أن لا قوّة له ولا منعة له، وتلك عادة عدوّ الله لمن أطاعه واستعاذ به، حتى إذا التقى الحقّ والباطل أسلمهم شرّ مسلم وتبرأ منهم عند ذلك.

حدثني القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس: ﴿**وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيطانُ أعْمالَهُمْ...**﴾ الآية، قال: لما كان يوم بدر، سار إبليس برايته وجنوده مع المشركين، وألقى في قلوب المشركين أن أحداً لن يغلبكم وإني جار لكم. فلما التقوا ونظر الشيطان إلى أمداد الملائكة نكص على عقبيه، قال: رجع مدبراً وقال: ﴿**إنّي أرَى ما لا تَرَوْنَ...**﴾ الآية.

حدثنا أحمد بن الفرج، قال: ثنا عبد الملك بن عبد العزيز بن الماجشون، قال: ثنا مالك، عن إبراهيم بن أبي عبلة، عن طلحة بن عبيد الله بن كريز: أن رسول الله ﷺ قال: «ما رُؤِيَ إبْلِيسُ يَوْماً هُوَ فِيهِ أصْغَرُ وَلا أحْقَرُ وَلا أدْحَرُ وَلا أغْيَظُ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَذلكَ مِمَّا يَرَى مِنْ تَنْزِيلِ الرَّحْمَةِ وَالعَفْوِ عَنِ الذُّنُوبِ، إلاَّ ما رأى يَوْمَ بَدْرٍ». قالوا: يا رسول الله: وما رأى يوم بدر؟ قال: «أمَا إنَّهُ رأى جِبْرِيلَ يَزَعُ المَلائِكَةَ».

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سليمان بن المغيرة، عن

حميد بن هلال، عن الحسن، في قوله: ﴿**إنّي أرَى ما لا تَرَوْنَ**﴾ قال: رأى جبريل معتجراً ببرد يمشي بين يدي النبيّ ﷺ، وفي يده اللجام، ما ركب.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا هاشم بن القاسم، قال: ثنا سليمان بن المغيرة، عن حميد بن هلال، قال: قال الحسن: وتلا هذه الآية: ﴿**وَإذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيطانُ أعْمالَهُمْ**...﴾ الآية، قال: سار إبليس مع المشركين ببدر برايته وجنوده، وألقى في قلوب المشركين أن أحداً لن يغلبكم وأنتم تقاتلون على دين آبائكم، ولن تغلبوا كثرةً. فلما التقوا نكص على عقبيه، يقول: رجع مدبراً، وقال: إني بريء منكم، إني أرى ما لا ترون. يعني الملائكة.

حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا أبو معشر، عن محمد بن كعب، قال: لما أجمعت قريش على السير، قالوا: إنما نتخوّف من بني بكر. فقال لهم إبليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم: أنا جار لكم من بني بكر، ولا غالب لكم اليوم من الناس.

فتأويل الكلام: وإن الله لسميع عليم في هذه الأحوال وحين زين لهم الشيطان خروجهم إليكم أيها المؤمنون لحربكم وقتالكم، وحسّن ذلك لهم، وحثهم عليكم وقال لهم: لا غالب لكم اليوم من بني آدم، فاطمئنوا وأبشروا، وإني جار لكم من كنانة أن تأتيكم من ورائكم فتغيركم أجيركم وأمنعكم منهم، ولا تخافوهم، واجعلوا جدّكم وبأسكم على محمد وأصحابه. ﴿**فَلَمَّا تَرَاءَتِ الفِئَتانِ**﴾ يقول: فما تزاحفت جنود الله من المؤمنين وجنود الشيطان من المشركين، ونظر بعضهم إلى بعض ﴿**نَكَصَ على عَقِبَيْهِ**﴾ يقول: رجع القهقرى على قفاه هارباً، يقال منه: نكص ينكُصُ وينكِصُ نُكوصاً، ومنه قول زهير:

هُمْ يَضْرِبُونَ حَبِيكَ البَيْضِ إذْ لَحِقُوا ... لا يَنْكُصُونَ إذا ما اسْتُلْحِمُوا وحَمُوا(١)

وقال للمشركين ﴿**إنّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إنّي أرَى ما لا تَرَوْنَ**﴾ يعني: أنه يرى الملائكة الذين بعثهم الله مدداً للمؤمنين، والمشركون لا يرونهم ﴿**إنّي أخافُ**﴾ عقاب ﴿**الله**﴾ وكذب عدوّ الله ﴿**والله شَدِيدُ العِقابِ**﴾.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى

(١) البيت لزهير في ديوانه: «مختار الشعر الجاهلي» طبعة الحلبي (ص - ٢٦٢) وحبيك البيض: طرائقه. الواحدة: حبيكة. فقال أبو منصور الأزهري «اللسان»: نكص: نكص ينكص (بضم الكاف وكسرها) والنكوص: الإحجام والانقداع عن الشيء، ونكص على عقبيه: رجع عما كان عليه من الخير، ولا يقال ذلك إلا في الرجوع عن الخير خاصة. واستلحموا أدركوا ولو بسوا وحمو: اشتد غضبهم.

اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٤٩)﴾.

يقول تعالى ذكره: وإن الله لسميع عليم في هذه الأحوال، وإذ يقول المنافقون. وكرّ بقوله: ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ﴾ على قوله: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنامِكَ قَلِيلاً﴾. ﴿والَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ يعني: شكّ في الإسلام لم يصح يقينهم، ولم تشرح بالإيمان صدورهم. ﴿غَرَّ هَؤُلاءِ دِينُهُمْ﴾ يقول: غرّ هؤلاء الذين يقاتلون المشركين من أصحاب محمد ﷺ من أنفسهم دينهم، وذلك الإسلام. وذكر أن الذين قالوا هذا القول كانوا نفراً ممن كان قد تكلم بالإسلام من مشركي قريش ولم يستحكم الإسلام في قلوبهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا عبد الأعلى، قال: ثنا داود، عن عامر في هذه الآية: ﴿إِذْ يَقُولُ المُنافِقُونَ والَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلاءِ دِينُهُمْ﴾ قال: كان ناس من أهل مكة تكلموا بالإسلام، فخرجوا مع المشركين يوم بدر، فلما رأوا قلة المسلمين قالوا: ﴿غَرَّ هَؤُلاءِ دِينُهُمْ﴾.

حدثني إسحاق بن شاهين، قال: ثنا خالد، عن داود، عن عامر، مثله.

حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا يحيى بن زكريا، عن ابن جريج، عن مجاهد، في قوله: ﴿إِذْ يَقُولُ المُنافِقُونَ والَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلاءِ دِينُهُمْ﴾ قال: فئة من قريش: قيس بن الوليد بن المغيرة، وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة، والحرث بن زمعة بن الأسود بن المطلب، وعليّ بن أمية بن خلف، والعاصي بن منبه بن الحجاج خرجوا مع قريش من مكة وهم على الارتياب فحبسهم ارتيابهم، فلما رأوا قلة أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: غرّ هؤلاء دينهم حتى قدموا على ما قدموا عليه مع قلة عددهم وكثرة عدوّهم

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن الحسن: ﴿إِذْ يَقُولُ المُنافِقُونَ والَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلاءِ دِينُهُمْ﴾ قال: هم قوم لم يشدوا القتال يوم بدر، فسموا منافقين. قال معمر: وقال بعضهم: قوم كانوا أقرّوا بالإسلام وهم بمكة، فخرجوا مع المشركين يوم بدر، فلما رأوا قلة المسلمين قالوا: غرّ هؤلاء دينهم

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: ﴿إِذْ يَقُولُ المُنافِقُونَ والَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ. . .﴾ إلى قوله: ﴿فإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حكِيمٌ﴾ قال: رأوا عصابة من المؤمنين تشددت لأمر الله. وذكر لنا أن أبا جهل عدوّ الله لما أشرف على محمد ﷺ وأصحابه، قال: والله لا يعبد الله بعد اليوم قسوة وعتوّاً.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جريج في قوله: ﴿**إِذْ يَقُولُ المُنافِقُونَ والَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ**﴾ قال: ناس كانوا من المنافقين بمكة، قالوه يوم بدر، وهم يومئذ ثلاثمائة وبضعةَ عَشَرَ رجلاً.

قال: حدثني حجاج، عن ابن جريج، في قوله: ﴿**إِذْ يَقُولُ المُنافِقُونَ والَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ**﴾ قال: لما دنا القوم بعضهم من بعض، فقلل الله المسلمين في أعين المشركين، وقلل المشركين في أعين المسلمين، فقال المشركون: غرّ هؤلاء دينهم وإنما قالوا ذلك من قلتهم في أعينهم، وظنوا أنهم سيهزمونهم لا يشكون في ذلك، فقال الله: ﴿**وَمَنْ يَتَوَكَّلْ على اللَّهِ فإنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾.

وأما قوله: ﴿**وَمَنْ يَتَوَكَّلْ على اللَّهِ**﴾ فإن معناه: ومن يسلم أمره إلى الله ويثق به ويرض بقضائه، فإن الله حافظه وناصره لأنه عزيز لا يغلبه شيء ولا يقهره أحد، فجاره منيع ومن يتوكل عليه يكفه. وهذا أمر من الله جلّ ثناؤه المؤمنين به من أصحاب رسول الله وغيرهم أن يفوّضوا أمرهم إليه ويسلموا لقضائه، كيما يكفيهم أعداءهم، ولا يستذلهم من ناوأهم لأنه عزيز غير مغلوب، فجاره غير مقهور. ﴿**حِكِيمُ**﴾ يقول: هو فيما يدبر من أمر خلقه، حكيم لا يدخل تدبيره خلل.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ولو تعاين يا محمد حين يتوفى الملائكة أرواح الكفار فتنزعها من أجسادهم، تضرب الوجوه منهم والأستاه، ويقولون لهم: ذوقوا عذاب النار التي تحرقكم يوم ورودكم جهنم.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا المَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وأدْبارَهُمْ**﴾ قال: يوم بدر.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا يحيى بن أسلم، عن إسماعيل بن كثير، عن مجاهد: ﴿**يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وأدْبارَهُمْ**﴾ قال: وأستاههم ولكن الله كريم يكني.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، ثنا سفيان، عن أبي هاشم، عن مجاهد، في قوله: ﴿**يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وأَدْبارَهُمْ**﴾ قال: وأستاههم ولكن الله كريم يكني.

حدثني محمد بن المثنى، قال: ثنا وهب بن جرير، قال: أخبرنا شعبة، عن يعلى بن مسلم، عن سعيد بن جبير، في قوله: ﴿**يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وأَدْبارَهُمْ**﴾ قال: إن الله كنى، ولو شاء لقال: أستاههم، وإنما عنى بأدبارهم: أستاههم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قال: أستاههم يوم بدر. قال ابن جريج: قال ابن عباس: إذا أقبل المشركون بوجوههم إلى المسلمين ضربوا وجوههم بالسيوف، وإذا ولوا أدركتهم الملائكة فضربوا أدبارهم.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا عباد بن راشد، عن الحسن، قال: قال رجل: يا رسول الله إني رأيت بظهر أبي جهل مثل الشراك، فما ذاك؟ قال: «ضَرْبُ المَلائِكَةِ».

حدثنا محمد، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا إسرائيل، عن منصور، عن مجاهد: أن رجلاً قال للنبيّ ﷺ: إني حملت على رجل من المشركين، فذهبت لأضربه، فندر رأسه. فقال: «سَبَقَكَ إلَيْهِ المَلَكُ».

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثني حرملة، أنه سمع عمر مولى غفرة يقول: إذا سمعت الله يقول: ﴿**يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وأَدْبارَهُمْ**﴾ فإنما يريد أستاههم.

قال أبو جعفر: وفي الكلام محذوف استغني بدلالة الظاهر عليه من ذكره، وهو قوله: وَيَقُولُونَ ﴿**ذُوقُوا عَذَابَ الحَرِيقِ**﴾ حذفت «يقولون»، كما حذفت من قوله: ﴿**وَلَوْ تَرَى إذِ المُجْرِمُونَ ناكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنا أبْصَرْنا وَسِمِعْنا**﴾ بمعنى: يقولون ربنا أبصرنا.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل الملائكة لهؤلاء المشركين الذين قتلوا ببدر أنهم يقولون لهم وهم يضربون وجوههم وأدبارهم: ذوقوا عذاب الله الذي يحرقكم، هذا العذاب لكم ﴿**بما قَدَّمَتْ أيْدِيكُمْ**﴾ أي بما كسبت أيديكم من الآثام والأوزار واجترحتم من معاصي الله أيام حياتكم، فذوقوا اليوم العذاب وفي معادكم عذاب الحريق وذلك لكم بأن الله ليس بظلام للعبيد، لا يعاقب أحداً من خلقه إلا بجرم اجترمه، ولا يعذبه إلا بمعصيته إياه، لأن الظلم لا يجوز أن يكون منه. وفي فتح

«أن» من قوله: ﴿وأن الله﴾ وجهان من الإعراب: أحدهما النصب، وهو للعطف على «ما» التي في قوله: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ﴾ بمعنى: ذلك بما قدمت أيديكم، وبأن الله ليس بظلام للعبيد في قول بعضهم، والخفض في قول بعض. والآخر: الرفع على ﴿ذلِكَ بما قَدَّمَتْ﴾ وذلك أن الله.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٥٢)﴾.

يقول تعالى ذكره: فعل هؤلاء المشركون من قريش الذين قتلوا ببدر كعادة قوم فرعون وصنيعهم وفعلهم، وفعل من كذب بحجج الله ورسله من الأمم الخالية قبلهم، ففعلنا بهم كفعلنا بأولئك. وقد بيَّنا فيما مضى أن الدأب: هو الشأن والعادة، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

حدثني الحرث، قال: ثني عبد العزيز، قال: ثنا شيبان، عن جابر، عن عامر ومجاهد وعطاء: ﴿كَدأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ﴾: كفعل آل فرعون، كسنن آل فرعون.

وقوله: ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾ يقول: فعاقبهم الله بتكذيبهم حججه ورسله ومعصيتهم ربهم، كما عاقب أشكالهم والأمم الذين قبلهم. ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيّ﴾ لا يغلبه غالب ولا يردّ قضاءه رادّ، ينفذ أمره ويمضي قضاءه في خلقه، شديد عقابه لمن كفر بآياته وجحد حججه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٥٣)﴾.

يقول تعالى ذكره: وأخذنا هؤلاء الذين كفروا بآياتنا من مشركي قريش ببدر بذنوبهم وفعلنا ذلك بهم، بأنهم غيروا ما أنعم الله عليهم به من ابتعاثه رسوله منهم وبين أظهرهم، بإخراجهم إياه من بينهم وتكذيبهم له وحربهم إياه فغيرنا نعمتنا عليهم بإهلاكنا إياهم، كفعلنا ذلك في الماضين قبلهم ممن طغى علينا وعصى أمرنا.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ:

﴿ذلكَ بأنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِعْمَةً أنْعَمَها على قَوْمٍ حتى يُغَيِّرُوا ما بأنْفُسِهِمْ﴾ يقول: نعمة الله محمد ﷺ، أنعم به على قريش وكفروا، فنقله إلى الأنصار.

وقوله: ﴿وأنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ يقول: لا يخفى عليه شيء من كلام خلقه، يسمع كلام كلّ ناطق منهم بخير نطق أو بشرّ، عليم بما تضمره صدورهم، وهو مجازيهم ومثيبهم على ما يقولون ويعملون، إن خيراً فخيراً وإن شرّاً فشرّاً.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: غَيَّر هؤلاء المشركون بالله المقتولون ببدر، نعمة ربهم التي أنعم بها عليهم، بابتعاثه محمداً منهم وبين أظهرهم، داعياً لهم إلى الهدى، بتكذيبهم إياه وحربهم له. ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ﴾: كسنة آل فرعون وعادتهم، وفعلهم بموسى نبيّ الله في تكذيبهم إياه، وتصديهم لحربه وعادة من قبلهم من الأمم المكذبة رسلها وصنيعهم. ﴿فأهْلَكْناهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾ بعضاً بالرجفة، وبعضاً بالخسف، وبعضاً بالريح. ﴿وأغْرَقْنا آلَ فِرْعَوْنَ﴾ في اليم. ﴿وكُلّ كانُوا ظالِمِينَ﴾ يقول: كل هؤلاء الأمم التي أهلكناها كانوا فاعلين ما لم يكن لهم فعله من تكذيبهم رسل الله والجحود لآياته، فكذلك أهلكنا هؤلاء الذين أهلكناهم ببدر، إذ غيَّروا نعمة الله عندهم بالقتل بالسيف، وأذللنا بعضهم بالإسار والسِّباء.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: إن شرّ ما دبّ على الأرض عند الله الذين كفروا بربهم فجحدوا وحدانيته، وعبدوا غيره. ﴿فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ يقول: فهم لا يصدقون رسل الله ولا يقرّون بوحيه وتنزيله.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿الَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: إن شرّ الدوابّ عند الله الذين كفروا، الذين عاهدت منهم يا محمد، يقول: أخذت عهودهم ومواثيقهم أن لا يحاربوك ولا يظاهروا عليك محارباً لك كقريظة ونظرائهم ممن كان بينك وبينهم عهد وعقد، ثم ينقضون عهودهم ومواثيقهم، كلما عاهدوا دافعوك وحاربوك

وظاهروا عليك، وهم لا يتقون الله ولا يخافون في فعلهم ذلك أن يوقع بهم وقعة تجتاحهم وتهلكهم. كالذي:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**الَّذِينَ عاهَدْتَ مِنهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ**﴾ قال: قريظة مالؤا على محمد يوم الخندق أعداءه.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، نحوه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (٥٧)﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فإما تلقين في الحرب هؤلاء الذين عاهدتهم فنقضوا عهدك مرّة بعد مرّة من قريظة فتأسرهم، ﴿**فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ**﴾ يقول: فافعل بهم فعلاً يكون مشرّداً مَن خلفهم من نظرائهم ممن بينك وبينه عهد وعقد. والتشريد: التطريد والتبديد والتفريق. وإنما أمر بذلك نبيّ الله ﷺ أن يفعل بالناقض العهد بينه وبينهم إذا قدر عليهم فعلاً يكون إخافة لمن وراءهم ممن كان بين رسول الله ﷺ وبينه عهد، حتى لا يجترئوا على مثل الذي اجترأ عليه هؤلاء الذين وصف الله صفتهم في هذه الآية من نقض العهد.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عليّ، عن ابن عباس قوله: ﴿**فإمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ**﴾ يعني: نكّلْ بهم من بعدهم.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿**فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ**﴾ يقول: نكل بهم من وراءهم.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**فإمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ**﴾ يقول: عظ بهم من سواهم من الناس.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿**فإمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ**﴾ يقول: نكل بهم من خلفهم من بعدهم من العدوّ، لعلهم يحذرون أن ينكُثوا فيُصْنَع بهم مثل ذلك.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن أيوب، عن سعيد بن جبير: ﴿**فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ**﴾ قال: أنذر بهم من خلفهم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عطاء الخراسانيّ، عن ابن عباس، قال: نكل بهم من خلفهم من بعدهم. قال ابن جريج، قال عبد الله بن كثير: نكل بهم من وراءهم.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿**فإمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ**﴾: أي نكل بهم من وراءهم لعلهم يعقلون.

حُدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ، قال: ثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك بن مزاحم يقول في قوله: ﴿**فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ**﴾ يقول: نكل بهم مَن بعدهم.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قول الله: ﴿**فإمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ**﴾ قال: أخفهم بما تصنع بهؤلاء وقرأ: ﴿**وآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ**﴾.

وأما قوله: ﴿**لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ**﴾ فإن معناه: كي يتعظوا بما فعلت بهؤلاء الذين وصفت صفتهم، فيحذروا نقض العهد الذي بينك وبينهم، خَوْفَ أن ينزل بهم منك ما نزل بهؤلاء إذا هم نقضوه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وإمَّا تخافنّ يا محمد من عدوّ لك بينك وبينه عهد وعقد أن ينكث عهده وينقض عقده ويغدر بك، وذلك هو الخيانة والغدر. ﴿**فانبِذْ إِلَيهِمْ عَلى سَوَاءٍ**﴾ يقول: فناجزهم بالحرب، وأعلمهم قبل حربك إياهم أنك قد فسخت العهد بينك وبينهم بما كان منهم من ظهور آثار الغدر والخيانة منهم حتى تصير أنت وهم على سواء في العلم بأنك لهم محارب، فيأخذوا للحرب آلتها، وتبرأ من الغدر. ﴿**إنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الخائِنِينَ**﴾ الغادرين بمن كان منه في أمان وعهد بينه وبينه أن يغدر به، فيحاربه قبل إعلامه إياه أنه له حرب وأنه قد فاسخه العقد.

فإن قال قائل: وكيف يجوز نقض العهد بخوف الخيانة والخوف ظنّ لا يقين؟ قيل: إن الأمر بخلاف ما إليه ذهبتَ، وإنما معناه: إذا ظهرت آثار الخيانة من عدوّك وخفت وقوعهم بك، فألق إليهم مقاليد السلم وآذنهم بالحرب. وذلك كالذي كان من بني قريظة، إذ أجابوا أبا سفيان

ومن معه من المشركين إلى مظاهرتهم على رسول الله ﷺ ومحاربتهم معه بعد العهد الذي كانوا عاهدوا رسول الله ﷺ على المسالمة، ولن يقاتلوا رسول الله ﷺ. فكانت إجابتهم إياه إلى ذلك موجباً لرسول الله ﷺ خوف الغدر به وبأصحابه منهم، فكذلك حكم كل قوم أهل موادعة للمؤمنين ظهر لإمام المسلمين منهم من دلائل الغدر مثل الذي ظهر لرسول الله ﷺ وأصحابه من قريظة منها، فحَقّ على إمام المسلمين أن ينبذ إليهم على سواء ويؤذنهم بالحرب.

ومعنى قوله: ﴿**عَلى سَوَاءٍ**﴾: أي حتى يستوي علمك وعلمهم بأن كل فريق منكم حرب لصاحبه لا سلم. وقيل: نزلت الآية في قريظة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿**فانْبِذْ إلَيهِمْ عَلى سَوَاءٍ**﴾ قال قريظة.

وقد قال بعضهم: السواء في هذا الموضع: المَهَل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ بن سهل، قال: ثنا الوليد بن مسلم، قال: إنه مما تبين لنا أن قوله: ﴿**فانْبِذْ إلَيهِمْ عَلى سَوَاءٍ**﴾ أنه على مهل. كما حدثنا بكير عن مقاتل بن حيان في قول الله: ﴿**بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إلى الَّذِينَ عاهَدْتُمْ مِنَ المُشْرِكِينَ فَسِيحُوا فِي الأرْضِ أرْبَعَةَ أشْهُرٍ**﴾.

وأما أهل العلم بكلام العرب، فإنهم في معناه مختلفون، فكان بعضهم يقول: معناه: فانبذ إليهم على عَدْل يعني حتى يعتدل علمك وعلمهم بما عليه بعضكم لبعض من المحاربة. واستشهدوا لقولهم ذلك بقول الراجز:

وَاضْرِبْ وُجُوهَ الغُدَّرِ الأعْدَاء حتى يُجِيبُوكَ إلى السَّوَاءِ(١)

يعني إلى العدل. وكان آخرون يقولون: معناه الوسط، من قول حسان:

يا وَيْحَ أنْصَارِ الرَّسُولِ وَرَهْطِهِ بَعْدَ المُغَيَّبِ فِي سَوَاءِ المُلْحَدِ(٢)

---

(١) السواء والسوية: العدل والنصفة. قال تعالى: ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم﴾ أي عدل. وقال زهير:

أرُونِي خُطَّةً لا عَيْبَ فِيهَا يُسَوِّى بَيْنَنَا فِيهَا السَّوَاءُ

(٢) البيت لحسان بن ثابت من قصيدة يرثي بها رسول الله ﷺ. أورده صاحب «اللسان» في (سوا) شاهداً على أن: سواء الشيء وسواه (بضم السين وكسرها): وسط. وقال تعالى: ﴿فاطلع فرآه في سواء الجحيم﴾.

بمعنى في وسط اللحد. وكذلك هذه المعاني متقاربة، لأن العدل وسط لا يعلو فوق الحقّ ولا يقصر عنه، وكذلك الوسط عدل، واستواء الفريقين فيما عليه بعضهم لبعض بعد المهادنة، عدل من الفعل ووسط. وأما الذي قاله الوليد بن مسلم من أن معناه المهل، فما لا أعلم له وجهاً في كلام العرب.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾﴾.

اختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأ ذلك عامة قرّاء الحجاز والعراق: «وَلا تَحْسَبنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إنَّهُمْ» بكسر الألف من «إنهم» وبالتاء في «تحسبنّ»، بمعنى: ولا تحسبنّ يا محمد الذين كفروا سبقونا ففاتونا بأنفسهم. ثم ابتدىء الخبر عن قدرة الله عليهم، فقيل: إن هؤلاء الكفرة لا يعجزون ربهم إذا طلبهم وأراد تعذيبهم وإهلاكهم بأنفسهم فيفوتوه بها. وقرأ ذلك بعض قرّاء المدينة والكوفة: ﴿وَلا يَحْسَبنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالياء في «يحسبنّ»، وكسر الألف من «إنهم»، وهي قراءة غير حميدة لمعنيين: أحدهما خروجها من قراءة القرّاء وشذوذها عنها، والآخر بعدها من فصيح كلام العرب وذلك أن «يحسب» يطلب في كلام العرب منصوباً وخبره، كقوله: عبد الله يحسب أخاك قائماً ويقوم وقام، فقارىء هذه القراءة أصحب «يحسب» خبراً لغير مخبر عنه مذكور، وإنما كان مراده: ظنّي ولا يحسبنّ الذين كفروا سبقوا أنهم لا يعجزوننا، فلم يفكر في صواب مخرج الكلام وسقمه، واستعمل في قراءته ذلك كذلك ما ظهر له من مفهوم الكلام. وأحسب أن الذي دعاه إلى ذلك الاعتبار بقراءة عبد الله، وذلك أنه فيما ذكر في مصحف عبد الله: «وَلا يَحْسَبنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أنَّهُمْ سَبَقُوا إنَّهُمْ لا يُعْجِزُونَ» وهذا فصيح صحيح إذا أدخلت أنهم في الكلام، لأن «يحسبنّ» عاملة في «أنهم»، وإذا لم يكن في الكلام «أنهم» كانت خالية من اسم تعمل فيه. وللذي قرأ من ذلك من القرّاء وجهان في كلام العرب وإن كانا بعيدين من فصيح كلامهم: أحدهما أن يكون أريد به: ولا يحسبنّ الذين كفروا أن سبقوا، أو أنهم سبقوا، ثم حذف «أن» و«أنهم»، كما قال جلّ ثناؤه: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ البَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً﴾ بمعنى: أن يريكم. وقد ينشد في نحو ذلك بيت لذي الرمة:

أَظَنَّ ابْنُ طُرْثُوثٍ عُيَيْنَةُ ذَاهِباً ... بِعَادِيَّتِي تَكْذَابُهُ وَجَعَائِلُهْ[1]

---

(١) البيت لذي الرمة ديوانه طبع كيمبردج ١٩١٢ (ص ـ ٤٧٣)، والرواية فيه «العل» في موضوع «الظن». وعيينة في موضع عيينة وأشارفي هامشه إلى رواية الطبري هذا. والعادية: بئر اختصما فيها. والبئر العادية: هي القديمة تنسب إلى عاد لأنه لا يعلم من حفرها. والجعائل: جمع جعالة وهي ما يجعل للحاكم من الرشا. ورواية المؤلف كرواية الفراء في «معاني القرآن» (ص ـ ١٢١) من مصورة جامعة القاهرة وكلامه في تخريج الإعراب مؤسس على كلام الفراء.

بمعنى: أظنّ ابن طرثوث أن يذهب بعاديتي تكذابُه وجعائله. وكذلك قراءة من قرأ ذلك بالياء، يوجه «سبقوا» إلى «سابقين» على هذا المعنى. والوجه الثاني على أنه أراد إضمار منصوب بـ«يحسب»، كأنه قال: ولا يحسب الذين كفروا أنهم سبقوا، ثم حذف الهمز وأضمر. وقد وجه بعضهم معنى قوله: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ إنما ذلكم الشيطان يخوّف المؤمن من أوليائه، وأن ذكر المؤمن مضمر في قوله: «يخوّف»، إذ كان الشيطان عنده لا يخوّف أولياءه. وقرأ ذلك بعض أهل الشام: «وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا» بالتاء من «تحسبن» «سَبَقُوا أَنَّهُمْ لا يُعْجِزُونَ» بفتح الألف من «أنهم»، بمعنى: ولا تحسبنّ الذين كفروا أنهم لا يعجزون. ولا وجه لهذه القراءة يعقل إلا أن يكون أراد القارىء بـ «لا» التي في يعجزون «لا» التي تدخل في الكلام حشواً وصلة، فيكون معنى الكلام حينئذ: ولا تحسبنّ الذين كفروا سبقوا أنهم يعجزون. ولا وجه لتوجيه حرْف في كتاب الله إلى التطويل بغير حجة يجب التسليم لها وله في الصحة مخرج.

قال أبو جعفر: والصواب من القراءة في ذلك عندي قراءة من قرأ: «لا تَحْسَبن» بالتاء «الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إنهُمْ» بكسر الألف من «إنهُمْ لا يُعْجِزُونَ» بمعنى: ولا تحسبنّ أنت يا محمد الذين جحدوا حجج الله وكذّبوا بها سبقونا بأنفسهم، ففاتونا، إنهم لا يعجزوننا: أي يفوتوننا بأنفسهم، ولا يقدرون على الهرب منا. كما:

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لا يُعْجِزُونَ﴾ يقول: لا يفوتون.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وأعدّوا لهؤلاء الذين كفروا بربهم الذين بينكم وبينهم عهد، إذا خفتم خيانتهم وغدرهم أيها المؤمنون بالله ورسوله ﴿ما اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ يقول: ما أطقتم أن تعدّوه لهم من الآلات التي تكون قوّة لكم عليهم من السلاح والخيل. ﴿تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُو اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ يقول: تخيفون بإعدادكم ذلك عدوّ الله وعدوّكم من المشركين.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا أبو إدريس، قال: سمعت أسامة بن زيد، عن صالح بن

كيسان، عن رجل من جهينة يرفع الحديث إلى رسول الله ﷺ: ﴿وأعِدُّوا لَهُمْ ما اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوةٍ﴾ «ألا إنَّ الرَّمْيَ هُوَ القُوَّةُ، ألاَ إنَّ الرَّمْيَ هُوَ القُوَّةُ».

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا سعيد بن شرحبيل، قال: ثنا ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب، وعبد الكريم بن الحرث، عن أبي عليّ الهمدانيّ، أنه سمع عقبة بن عامر على المنبر يقول: قال الله: ﴿وأعِدُّوا لَهُمْ ما اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِباطِ الخَيْلِ﴾ ألا وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر «قالَ اللّهُ: ﴿وأعِدُّوا لَهُمْ ما اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ ألا أنَّ القُوَّةَ الرَّمْيُ ألا إنَّ القُوَّةَ الرَّمْيُ» ثَلاثاً.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا محبوب وجعفر بن عون ووكيع وأبو أسامة وأبو نعيم، عن أسامة بن زيد، عن صالح بن كيسان، عن رجل، عن عقبة بن عامر الجهنيّ قال: قرأ رسول الله ﷺ على المنبر: ﴿وأعِدُّوا لَهُمْ ما اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوةٍ وَمِنْ رِباطِ الخَيْلِ﴾ فقال: «ألا إن القُوةَ الرمْيُ، ألا إن القُوةَ الرمْيُ» ثلاث مرات.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن أسامة بن زيد، عن صالح بن كيسان، عن رجل، عن عقبة بن عامر، أن النبيّ ﷺ قرأ هذه الآية على المنبر، فذكر نحوه.

حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا أسامة بن زيد، عن صالح بن كيسان، عن عقبة بن عامر، عن النبيّ ﷺ، نحوه.

حدثنا أحمد بن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا موسى بن عبيدة، عن أخيه محمد بن عبيدة، عن أخيه عبد الله بن عبيدة، عن عقبة بن عامر، عن النبيّ ﷺ، في قوله: ﴿وأعِدُّوا لَهُمْ ما اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوةٍ﴾ «ألا إن القُوةَ الرمْيُ».

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن شعبة بن دينار، عن عكرمة، في قوله: ﴿وأعِدُّوا لَهُمْ ما اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوةٍ﴾ قال: الحصون. ﴿وَمِنْ رِباطِ الخَيْلِ﴾ قال: الإناث.

حدثنا عليّ بن سهل، قال: ثنا ضمرة بن ربيعة، عن رجاء بن أبي سلمة، قال: لقي رجل مجاهداً بمكة، ومع مجاهد جُوالَق، قال: فقال مجاهد: هذا من القوّة ومجاهد يتجهز للغزو.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿وأعِدُّوا لَهُمْ ما اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوةٍ﴾ من سلاح.

وأما قوله: ﴿تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ فقال ابن وكيع:

حدثنا أبي عن إسرائيل، عن عثمان بن المغيرة الثقفي، عن مجاهد، عن ابن عباس: **﴿تَرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾** قال: تخزون به عدوّ الله وعدوّكم.

حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا إسرائيل، عن عثمان، عن مجاهد، عن ابن عباس مثله.

حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا إسرائيل، عن خصيف، عن عكرمة وسعيد بن جبير، عن ابن عباس: **﴿تَرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾** قال: تخزون به عدوّ الله وعدوّكم[١]. وكذا كان يقرأ بها ترهبون.

حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا إسرائيل، عن عثمان بن المغيرة وخصيف، عن مجاهد، عن ابن عباس: **﴿تُرْهِبُونَ بِهِ﴾** تخزون به.

حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا إسرائيل، عن خصيف، عن عكرمة، عن ابن عباس مثله.

يقال منه: أرهبت العدوّ ورهَّبته، فأنا أُرْهِبُه وأُرَهِّبُه إرهاباً وترهيباً، وهو الرَّهَبُ والرُّهْبُ، ومنه قول طفيل الغنويّ:

وَيْلُ امّ حَيّ دَفَعْتُمْ فِي نُحُورِهِمُ   بَنِي كِلابٍ غَدَاةَ الرُّعْبِ والرَّهَبِ[٢]

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾.

اختلف أهل التأويل في هؤلاء الآخرين من هم وما هم، فقال بعضهم: هم بنو قريظة.

ذكر من قال ذلك:

حُدثت عن عمار بن الحسن، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: **﴿وآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ﴾** يعني من بني قريظة.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: **﴿وآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ﴾** قال: قريظة.

وقال آخرون: من فارس.

---

(١) يريد أن عباس كان يقرأ: «تخزون» بدل «ترهبون» كما نقله عنه في «الكشاف» ا هـ.

(٢) البيت لطفيل الغنوي (ديوانه طبع ليدن سنة ١٩٢٧) (ص ـ ٥٦)، وهو أحد ثلاثة أبيات يمدح بها بني جعفر بن كلاب، يصفهم بالشجاعة وأن من عاداهم فلأمه الويل والثكل. قال: ويروى: لله قوم دفعتم في جنونهم. وأشار محققه إلى أن هذه الرواية في النقائض (ص ـ ٥٣٤)، ورأيناها ثمة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿**وآخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ**﴾ هؤلاء أهل فارس.

وقال آخرون: هم كل عدوّ للمسلمين غير الذي أمر النبيّ ﷺ أن يشرّد بهم من خلفهم. قالوا: وهم المنافقون.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد في قول الله: ﴿**فإمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ**﴾ قال: أخفهم بهم لما تصنع بهؤلاء. وقرأ: ﴿**وآخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ**﴾.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**وآخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ**﴾ قال: هؤلاء المنافقون لا تعلمونهم لأنهم معكم يقولون لا إله إلا الله ويغزون معكم.

وقال آخرون: هم قوم من الجنّ.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله أمر المؤمنين بإعداد الجهاد وآلة الحرب وما يتقوّون به على جهاد عدوّه وعدوّهم من المشركين من السلاح والرمي وغير ذلك ورباط الخيل. ولا وجه لأن يقال: عني بالقوّة معنى دون معنى من معاني القوّة، وقد عمّ الله الأمر بها.

فإن قال قائل: فإن رسول الله ﷺ، قد بين أن ذلك مراد به الخصوص بقوله: «ألا إن القُوَّةَ الرَّمْيُ». قيل له: إن الخبر وإن كان قد جاء بذلك فليس في الخير ما يدلّ على أنه مراد بها الرمي خاصة دون سائر معاني القوّة عليهم، فإن الرمي أحد معاني القوّة، لأنه إنما قيل في الخبر: «ألا إنَّ القُوَّةَ الرَّمْيُ» ولم يقل دون غيرها. ومن القوّة أيضاً السيف والرمح والحربة، وكل ما كان معونة على قتال المشركين، كمعونة الرمي أو أبلغ من الرمي فيهم وفي النكاية منهم، هذا مع وهي سند الخبر بذلك عن رسول الله ﷺ.

وأما قوله: ﴿**وآخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمْ**﴾ فإن قول من قال: عني به الجنّ، أقرب وأشبه بالصواب لأنه جلّ ثناؤه قد أدخل بقوله: ﴿**وَمِنْ رِباطِ الخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ**﴾ الأمر بارتباط الخيل لإرهاب كلّ عدوّ لله وللمؤمنين يعلمونهم، ولا شكّ أن المؤمنين كانوا عالمين بعداوة قريظة وفارس لهم، لعلمهم بأنهم مشركون وأنهم لهم حرب، ولا معنى لأن يقال: وهم

يعلمونهم لهم أعداء، وآخرين من دونهم لا تعلمونهم ولكن معنى ذلك: إن شاء الله ترهبون بارتباطكم أيها المؤمنون الخيل عدوّ الله وأعداءكم من بني آدم الذين قد علمتم عداوتهم لكم لكفرهم بالله ورسوله، وترهبون بذلك جنساً آخر من غير بني آدم لا تعلمون أماكنهم وأحوالهم الله يعلمهم دونكم، لأن بني آدم لا يرونهم. وقيل: إن صهيل الخيل يرهب الجنّ، وإن الجنّ لا تقرب داراً فيها فرس.

فإن قال قائل: فإن المؤمنين كانوا لا يعلمون ما عليه المنافقون، فما تنكر أن يكون عني بذلك المنافقون؟ قيل: فإن المنافقين لم يكن تروعهم خيل المسلمين ولا سلاحهم، وإنما كان يروعهم أن يظهر المسلمون على سرائرهم التي كانوا يستسرّون من الكفر، وإنما أمر المؤمنون بإعداد القوّة لإرهاب العدوّ، فأما من لم يرهبه ذلك فغير داخل في معنى من أمر بإعداد ذلك له المؤمنون، وقيل: «لا تعلمونهم»، فاكتفي للعلم بمنصوب واحد في هذا الموضع، لأنه أريد لا تعرفونهم، كما قال الشاعر:

فَإنَّ اللَّهَ يَعْلَمُنِي وَوَهْباً وأنَّا سَوْفَ يَلْقَاهُ كِلانَا[1]

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿وَما تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إلَيْكُمْ وأنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ﴾.

يقول تعالى ذكره: وما أنفقتم أيها المؤمنون من نفقة في شراء آلة حرب من سلاح أو حراب أو كراع أو غير ذلك من النفقات في جهاد أعداء الله من المشركين يخلفه الله عليكم في الدنيا، ويدّخر لكم أجوركم على ذلك عنده، حتى يوفيكموها يوم القيامة. **﴿وأنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ﴾** يقول: يفعل ذلك بكم ربكم فلا يضيع أجوركم عليه.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: **﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إلَيْكُمْ وأنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ﴾**: أي لا يضيع لكم عند الله أجره في الآخرة وعاجل خلفه في الدنيا.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿۞ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾﴾.

(١) البيت للنمر بن تولب أورده الزمخشري في المفصل في باب ما يضاف إليه «كلا» قال: وحق ما يضاف إليه «كلا» أن يكون معرفة ومثنى، أو ما هو في معنى المثنى، كقوله: . . . . البيت. وفي «اللسان» علمت: وعلمت يتعدى إلى مفعولين، تقول علمت عبد الله عاقلاً. ويجوز أن تقول: علمت الشيء، بمعنى: عرفته وخبرته (ولم يورد له شاهداً).

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وإما تخافنّ من قوم خيانة وغدراً، فانبذ إليهم على سواء وآذنهم بالحرب. ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾ وإن مالوا إلى مسالمتك ومتاركتك الحرب، إما بالدخول في الإسلام، وإما بإعطاء الجزية، وإما بموادعة، ونحو ذلك من أسباب السلم والصلح ﴿فَاجْنَحْ لَهَا﴾ يقول: فمل إليها، وابذل لهم ما مالوا إليه من ذلك وسألوكه. يقال منه: جنح الرجل إلى كذا يجنح إليه جنوحاً، وهي لتميم وقيس فيما ذكر عنها، تقول: يجنُح بضم النون. وآخرون: يقولون: يَجْنِحُ بكسر النون، وذلك إذا مال، ومنه قول نابغة بني ذبيان:

جَوَانِحَ قَدْ أَيْقَنَّ أَنَّ قَبِيلَهُ إذَا ما الْتَقَى الجَمْعانِ أَوَّلُ غالِبِ[1]

جوانح: موائل.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ﴾ قال: للصلح. ونسخها قوله: ﴿اقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ﴾ إلى الصلح ﴿فَاجْنَحْ لَهَا﴾ قال: وكانت هذه قبل براءة، كان نبيّ الله ﷺ يوادع القوم إلى أجل، فإما أن يسلموا وإما أن يقاتلوا، ثم نسخ ذلك بعد في براءة فقال: ﴿اقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ وقال: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾ ونبذ إلى كلّ ذي عهد عهده، وأمره بقتالهم حتى يقولوا لا إله إلا الله ويسلموا، وأن لا يقبل منهم إلا ذلك، وكل عهد كان في هذه السورة وفي غيرها، وكلّ صلح يصالح به المسلمون المشركين يتوادعون به فإن براءة جاءت بنسخ ذلك، فأمر بقتالهم على كل حال حتى يقولوا: لا إله إلا الله.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، عن الحسن، عن يزيد، عن عكرمة والحسن البصري، قالا: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾ نسختها الآية التي في براءة قوله: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ...﴾ إلى قوله: ﴿وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾.

---

(١) البيت للنابغة الذبياني مختار الشعر الجاهلي طبعة الحلبي (ص ـ ١٦١) وهو الثالث عشر من قصيدة يمدح بها الحارث الأعرج الغساني وجوانح: جمع جانح، وهو منصوب على الحال من عصائب الطير في بيت قبله. ومعناه أن الطير ترتقب غزوة هذا الملك، لتشبع من فرائسه حالة كونهن جوانح أي مائلات متهيئات للوقوع على الفرائس. وفي «تاج العروس» جنح إليه يجنح، كيمنع على القياس: لغة تميم، وهي الفصيحة، ويجنح بالضم: لغة قيس، ويجنح بالكسر، وقد قرىء بها شاذاً كما في المحتسب وغيره نقله شيخنا، جنوحاً بالضم: مال، قال الله عز وجل: وإن جنحوا للسلم فاجنح لها، أي إن مالوا إليها فمل إليها، والسلم: المصالحة.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا للسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾ يقول: وإن أرادوا الصلح فأرده.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا للسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾: أي إن دعوك إلى السلم إلى الإسلام، فصالحهم عليه.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا للسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾ قال: فصالحهم. قال: وهذا قد نسخه الجهاد.

فأما ما قاله قتادة ومن قال مثل قوله من أن هذه الآية منسوخة، فقول لا دلالة عليه من كتاب ولا سنة ولا فطرة عقل. وقد دللنا في غير موضع من كتابنا هذا وغيره على أن الناسخ لا يكون إلا ما نفى حكم المنسوخ من كل وجه، فأما ما كان بخلاف ذلك فغير كائن ناسخاً. وقول الله في براءة: ﴿فاقْتُلُوا المُشْرِكِينَ حيثُ وَجَدْتُموهُمْ﴾ غير ناف حكمه حكم قوله: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا للسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾ لأن قوله: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا للسَّلْمِ﴾ إنَّمَا عُني به بنو قريظة، وكانوا يهوداً أهل كتاب، وقد أذن الله جلّ ثناؤه للمؤمنين بصلح أهل الكتاب ومتاركتهم الحرب على أخذ الجزية منهم. وأما قوله: ﴿فاقْتُلُوا المُشْرِكِينَ حيثُ وَجَدْتُموهُمْ﴾ فإنما عني به مشركو العرب من عبدة الأوثان الذين لا يجوز قبول الجزية منهم، فليس في إحدى الآيتين نفي حكم الأخرى، بل كل واحدة منهما محكمة فيما أنزلت فيه.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا للسَّلْمِ﴾ قال: قريظة.

وأما قوله: ﴿وَتَوَكَّلْ على اللَّهِ﴾ يقول: فوّض إلى الله يا محمد أمرك، واستكفه واثقاً به أنه يكفيك. كالذي:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿وَتَوَكَّلْ على اللَّهِ﴾ إن الله كافيك.

وقوله: ﴿إنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ﴾ يعني بذلك: إن الله الذي تتوكل عليه سميع لما تقول أنت، ومن تسالمه وتتاركه الحرب من أعداء الله وأعدائك عند عقد السلم بينك وبينه، ويشرط كل فريق منكم على صاحبه من الشروط، والعليم بما يضمره كلّ فريق منكم للفريق الآخر من الوفاء بما عاقده عليه، ومن المضمِر ذلك منكم في قلبه والمنطوي على خلافه لصاحبه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وإن يرد يا محمد هؤلاء الذين أمرتك بأن تنبذ إليهم على سواء، إن خفت منهم خيانة، وبمسالمتهم إن جنحوا للسلم خداعك والمكر بك ﴿فإنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ﴾ يقول: فإن الله كافيكهم وكافيك خداعهم إياك، لأنه متكفل بإظهار دينك على الأديان ومتضمن أن يجعل كلمته العليا وكلمة أعدائه السفلى. ﴿هُوَ الَّذِي أيَّدَكَ بِنَصْرِهِ﴾ يقول: الله الذي قوّاك بنصره إياك على أعدائه، ﴿وبالمؤْمِنِينَ﴾ يعني بالأنصار.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿وَإنْ يُرِيدُوا أن يَخْدَعُوكَ﴾ قال: قريظة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿وَإنْ يُرِيدُوا أنْ يَخْدَعُوكَ فإنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ﴾ هو من وراء ذلك.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿هُوَ الَّذِي أيَّدَكَ بِنَصْرِهِ﴾ قال: بالأنصار.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾.

يريد جلّ ثناؤه بقوله: ﴿وألَّفَ بينَ قُلُوبِهِمْ﴾ وجمع بين قلوب المؤمنين من الأوس والخزرج بعد التفرّق والتشتت على دينه الحقّ، فصيرهم به جميعاً بعد أن كانوا أشتاتاً، وإخواناً بعد أن كانوا أعداء.

وقوله: ﴿لَوْ أنْفَقْتَ ما فِي الأرْضِ جَمِيعاً ما ألَّفْتَ بينَ قُلُوبِهِمْ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: لو أنفقت يا محمد ما في الأرض جميعا من ذهب وورق وعرض، ما جمعت أنت بين قلوبهم بحيلك، ولكن الله جمعها على الهدى، فائتلفت واجتمعت تقوية من الله لك وتأييداً منه

ومعونة على عدوّك. يقول جلّ ثناؤه: والذي فعل ذلك وسببه لك حتى صاروا لك أعواناً وأنصاراً ويداً واحدة على من بغاك سوءاً هو الذي إن رام عدوّ منك مراماً يكفيك كيده وينصرك عليه، فثق به وامض لأمره وتوكل عليه.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: **﴿وألَّفَ بينَ قُلُوبِهِمْ﴾** قال: هؤلاء الأنصار ألف بين قلوبهم من بعد حرب فيما كان بينهم.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن بشير بن ثابت رجل من الأنصار، أنه قال في هذه الآية: **﴿لَوْ أنْفَقْتَ ما فِي الأرْضِ جَمِيعاً ما ألَّفت بينَ قُلُوبِهِمْ﴾** يعني الأنصار.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: **﴿وألَّفَ بينَ قُلُوبِهِمْ﴾** على الهدى الذي بعثك به إليهم. **﴿لَوْ أنْفَقْتَ ما فِي الأرْضِ جَمِيعاً ما ألَّفتَ بينَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنّ اللَّهَ ألَّفَ بَيْنَهُمْ﴾** بدينه الذي جمعهم عليه، يعني الأوس والخزرج.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن يمان، عن إبراهيم الجزري، عن الوليد بن أبي مغيث، عن مجاهد قال: إذا التقى المسلمان فتصافحا غفر لهما. قال: قلت لمجاهد: بمصافحة يغفر لهما؟ فقال مجاهد: أما سمعته يقول: **﴿لَوْ أنفَقْتَ ما فِي الأرْضِ جَمِيعاً ما ألَّفتَ بينَ قُلُوبِهِمْ﴾**؟ فقال الوليد لمجاهد: أنت أعلم مني.

حدثنا عبد الكريم بن أبي عُمير، قال: ثني الوليد، عن أبي عمرو، قال: ثني عبدة بن أبي لبابة، عن مجاهد، ولقيته وأخذ بيدي، فقال: إذا تراءى المتحابان في الله فأخذ أحدهما بيد صاحبه وضحك إليه، تحاتت خطاياهما كما يتحات ورق الشجر. قال عبدة: فقلت له: إن هذا ليسير قال: لا تقل ذلك، فإن الله يقول: **﴿لَوْ أنفَقْتَ ما فِي الأرْضِ جَمِيعاً ما ألَّفتَ بينَ قُلُوبِهِمْ﴾**. قال عبدة: فعرفت أنه أفقه مني.

حدثني محمد بن خلف، قال: ثنا عبيد الله بن موسى، قال: ثنا فضيل بن غزوان، قال: أتيت أبا إسحاق، فسلمت عليه فقلت: أتعرفني؟ فقال فضيل: نعم لولا الحياء منك لقبلتك.

حدثني أبو الأحوص، عن عبد الله، قال: نزلت هذه الآية في المتحابين في الله: **﴿لَوْ أنفَقْتَ ما فِي الأرْضِ جَمِيعاً ما ألَّفتَ بينَ قُلُوبِهِمْ﴾**.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، قال: أخبرنا ابن عون، عن عمير بن إسحاق، قال: كنا نتحدث أن أول ما يرفع من الناس أو قال عن الناس الإلفة.

حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، قال: ثنا أيوب بن سويد، عن الأوزاعي، قال: ثني عبدة بن أبي لبابة، عن مجاهد، ثم ذكر نحو حديث عبد الكريم، عن الوليد.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبو أسامة وابن نمير وحفص بن غياث، عن فضيل بن غزوان، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، قال: سمعت عبد الله يقول: ﴿**لَوْ أَنْفَقْتَ ما فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ما أَلَّفْتَ بينَ قُلُوبِهِمْ**...﴾ الآية، قال: هم المتحابون في الله.

وقوله: ﴿**إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ يقول: إن الله الذي ألف بين قلوب الأوس والخزرج بعد تشتت كلمتهما وتعاديهما وجعلهم لك أنصاراً عزيز لا يقهره شيء ولا يردّ قضاءه رادّ، ولكنه ينفذ في خلقه حكمه. يقول: فعليه فتوكل، وبه فثق، ﴿**حَكِيمٌ**﴾ في تدبير خلقه.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: يا أيها النبيّ حسبك الله، وحسب من اتبعك من المؤمنين الله. يقول لهم جلّ ثناؤه: ناهضوا عدوّكم، فإن الله كافيكم أمرهم، ولا يهولنكم كثرة عددهم وقلة عددكم، فإن الله مؤيدكم بنصره.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا مؤمل بن إسماعيل، قال: ثنا سفيان، عن شوذب بن معاذ، عن الشعبيّ في قوله: ﴿**يا أيها النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ منَ المُؤْمِنِينَ**﴾ قال: حسبك الله وحسب من اتبعك من المؤمنين الله.

حدثني أحمد بن عثمان بن حكيم الأودي، قال: ثنا عبيد الله بن موسى، قال: أخبرنا سفيان، عن شوذب، عن الشعبيّ، في قوله: ﴿**يا أيُّها النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ منَ المُؤْمِنِينَ**﴾ قال: حسبك الله وحسب من معك.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عبيد الله، عن سفيان، عن شوذب، عن عامر، بنحوه، إلا أنه قال: حسبك الله وحسب من شهد معك.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، عن ابن زيد، في قوله: ﴿**يا أيها النبيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ المُؤْمِنِينَ**﴾ قال: يا أيها النبيّ حسبك الله وحسب من اتبعك من المؤمنين، إنَّ حسبك أنت وهم الله.

فـ«مَنْ» من قوله: ﴿**وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ المُؤْمِنِينَ**﴾ على هذا التأويل الذي ذكرناه عن الشعبي نصب عطفاً على معنى الكاف في قوله: ﴿**حَسْبُكَ اللَّهُ**﴾ لا على لفظه، لأنها في محل خفض في الظاهر وفي محل نصب في المعنى، لأن معنى الكلام: يكفيك الله، ويكفي من اتبعك من المؤمنين. وقد قال بعض أهل العربية في «مَن»: إنها في موضع رفع على العطف على اسم الله، كأنه قال: حسبك الله ومتبعوك إلى جهاد العدوّ من المؤمنين دون القاعدين عنك منهم. واستشهد على صحة قوله ذلك بقوله: ﴿**حَرِّضِ المُؤْمِنِينَ على القِتالِ**﴾.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿**يا أيُّها النَّبِيُّ حَرِّضِ المُؤْمِنِينَ على القِتالِ**﴾ حُثَّ متبعيك ومصدقيك على ما جئتهم به من الحق على قتال من أدبر وتولى عن الحق من المشركين. ﴿**إِنْ يَكُنْ مِنكُمْ عِشْرُونَ**﴾ رجلاً ﴿**صَابِرُونَ**﴾ عند لقاء العدوّ، يحتسبون أنفسهم ويثبتون لعدوّهم ﴿**يَغْلِبُوا مِئَتَيْنِ**﴾ من عدوّهم ويقهروهم. ﴿**وَإِنْ يَكُنْ مِنكُمْ مِئَةٌ**﴾ عند ذلك ﴿**يَغْلِبُوا**﴾ منهم ﴿**أَلْفاً**﴾ ﴿**بأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ**﴾ يقول: من أجل أن المشركين قوم يقاتلون على غير رجاء ثواب ولا لطلب أجر ولا احتساب لأنهم لم يفقهوا أن الله موجب لمن قاتل احتساباً وطلب موعوداً لله في المعاد ما وعد المجاهدين في سبيله، فهم لا يثبتون إذا صدقوا في اللقاء خشية أن يقتلوا فتذهب دنياهم. ثم خفف تعالى ذكره عن المؤمنين إذ علم ضعفهم فقال لهم: ﴿**الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً**﴾ يعني أن في الواحد منهم عن لقاء العشرة من عدوّهم ضعفاً، ﴿**فإِنْ يَكُنْ مِنكُمْ مِئَةٌ صَابِرَةٌ**﴾ عند لقائهم للثبات لهم، ﴿**يَغْلِبُوا مِئَتَيْنِ**﴾ منهم، ﴿**إِنْ يَكُنْ مِنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ**﴾ منهم ﴿**بإذْنِ اللَّهِ**﴾ يعني بتخلية الله إياهم لغلبتهم ومعونته إياهم. ﴿**وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾ لعدوّهم وعدوّ الله، احتساباً في صبره وطلباً لجزيل الثواب من ربه، بالعون منه له والنصر عليه.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا محمد بن محبب، قال: ثنا سفيان، عن ليث، عن عطاء في قوله: ﴿**إِنْ يَكُنْ مِنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِئَتَيْنِ**﴾ قال: كان الواحد لعشرة، ثم جعل الواحد باثنين لا ينبغي له أن يفرّ منهما.

حدثنا سعيد بن يحيى، قال: ثنا أبي، قال: ثنا ابن جريج، عن عمرو بن دينار، عن ابن عباس، قال: جعل على المسلمين على الرجل عشرة من الكفار، فقال: ﴿**إِنْ يَكُنْ مِنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِئَتَيْنِ**﴾ فخفف ذلك عنهم، فجعل على الرجل رجلان. قال ابن عباس: فما أحبّ أن يعلم الناس تخفيف ذلك عنهم.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: قال محمد بن إسحاق، ثني عبد الله بن أبي نجيح المكيّ، عن عطاء بن أبي رباح، عن عبد الله بن عباس، قال: لما نزلت هذه الآية ثقلت على المسلمين وأعظموا أن يقاتل عشرون مئتين ومئة ألفاً، فخفف الله عنهم، فنسخها بالآية الأخرى فقال: ﴿**الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعفاً فإِنْ يَكُنْ مِنكُمْ مِئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِئَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ**﴾ قال: وكانوا إذا كانوا على الشطر من عدوّهم لم ينبغ لهم أن يفرّوا منهم، وإن كانوا دون ذلك لم يجب عليهم أن يقاتلوا، وجاز لهم أن يتحوّزوا عنهم.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**إِنْ يَكُنْ مِنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِئَتَيْنِ**﴾ قال: كان لكل رجل من المسلمين عشرة لا ينبغي له أن يفرّ منهم، فكانوا كذلك حتى أنزل الله: ﴿**الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعفاً**﴾ ﴿**فإِنْ يَكُنْ مِنكُمْ مِئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِئَتَيْنِ**﴾ فعبأ لكل رجل من المسلمين رجلين من المشركين، فنسخ الأمر الأوّل. وقال مرّة أخرى في قوله: ﴿**إِنْ يَكُنْ مِنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِئَتَيْنِ**﴾ فأمر الله الرجل من المؤمنين أن يقاتل عشرة من الكفار، فشقّ ذلك على المؤمنين ورحمهم الله، فقال: ﴿**إِنْ يَكُنْ مِنكُمْ مِئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِئَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصابِرِينَ**﴾ فأمر الله الرجل من المؤمنين أن يقاتل رجلين من الكفار.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**يا أيُها النَّبِيُّ حَرِّضِ المُؤْمِنِينَ على القِتالِ...**﴾ إلى قوله: ﴿**بأَنهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ**﴾ وذلك أنه كان جعل على كل رجل من المسلمين عشرة من العدوّ يؤشّبهم، يعني يغريهم بذلك ليوطنوا أنفسهم على الغزو، وإن الله ناصرهم على العدوّ، ولم يكن أمراً عزمه الله عليهم ولا أوجبه، ولكن كان تحريضاً ووصية أمر الله بها نبيه. ثم خفف عنهم فقال: ﴿**الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ**

وَعَلِمَ أنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً﴾ فجعل على كل رجل رجلين بعد ذلك تخفيفاً، ليعلم المؤمنون أن الله بهم رحيم، فتوكلوا على الله وصبروا وصدقوا، ولو كان عليهم واجباً الغزو إذن بعد كل رجل من المسلمين عمن لقي من الكفار إذا كانوا أكثر منهم فلم يقاتلوهم. فلا يغرنك قول رجال، فإني قد سمعت رجالاً يقولون: إنه لا يصلح لرجل من المسلمين أن يقاتل حتى يكون على كل رجل رجلان، وحتى يكون على كل رجلين أربعة، ثم بحساب ذلك، وزعموا أنهم يعصون الله إن قاتلوا حتى يبلغوا عدة ذلك، وإنه لا حرج عليهم أن لا يقاتلوا حتى يبلغوا عدة أن يكون على كل رجل رجلان، وعلى كل رجلين أربعة، وقد قال الله: **﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهِ رَءُوفٌ بالعِبادِ﴾** وقال الله: **﴿فقاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ المُؤْمِنِينَ﴾** فهو التحريض الذي أنزل الله عليهم في الأنفال، فلا يعجزك قائل: قد سقطت بين ظهري أناس كما شاء الله أن يكونوا.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، عن الحصين، عن يزيد، عن عكرمة والحسن قالا: قال في سورة الأنفال: **﴿إنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِئَتَيْنِ وَإنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ يَغْلِبُوا ألْفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بأنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ﴾** ثم نسخ فقال: **﴿الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً...﴾** إلى قوله: **﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾**.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن مغيرة، عن عكرمة، في قوله: **﴿إنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ﴾** قال: واحد من المسلمين وعشرة من المشركين، ثم خفف عنهم فجعل عليهم أن لا يفرّ رجل من رجلين.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: **﴿إنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ...﴾** إلى قوله: **﴿وَإنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ﴾** قال: هذا لأصحاب محمد ﷺ يوم بدر، جعل على الرجل منهم عشرة من الكفار، فضجّوا من ذلك، فجعل على الرجل رجلين تخفيفاً من الله.

حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا إبراهيم بن يزيد، عن عمرو بن دينار وأبي معبد عن ابن عباس، قال: إنما أمر الرجل أن يصبر نفسه لعشرة، والعشرة لمئة إذ المسلمون قليل فلما كثر المسلمون خفف الله عنهم، فأمر الرجل أن يصبر لرجلين، والعشرة للعشرين، والمئة للمئتين.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن ابن أبي نجيح: **﴿إنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِئَتَيْنِ﴾** قال: كان فرض عليهم إذا لقي عشرون مئتين أن لا

يفرّوا فإنهم إن لم يفرّوا غلبوا، ثم خفف الله عنهم وقال: ﴿**إنْ يَكُنْ مِنكُمْ مِئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِئَتَيْنِ وَإنْ يَكُنْ مِنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ**﴾ فيقول: لا ينبغي أن يفرّ ألف من ألفين، فإنهم إن صبروا لهم غلبوهم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: ﴿**الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً إنْ يَكُنْ مِنكُمْ مِئَةٌ صابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِئَتَيْنِ وَإنْ يَكُنْ مِنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ**﴾ جعل الله على كل رجل رجلين بعد ما كان على كل رجل عشرة. وهذا الحديث عن ابن عباس.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا يزيد بن هارون، عن جرير بن حازم، عن الزبير بن الخريت، عن عكرمة، عن ابن عباس: كان فرض على المؤمنين أن يقاتل الرجل منهم عشرة من المشركين، قوله: ﴿**إنْ يَكُنْ مِنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِئَتَيْنِ وَإنْ يَكُنْ مِنكُمْ مِئَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفاً**﴾ فشقّ ذلك عليهم، فأنزل الله التخفيف، فجعل على الرجل أن يقاتل الرجلين، قوله: ﴿**إنْ يَكُنْ مِنكُمْ مِئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِئَتَيْنِ**﴾ فخفف الله عنهم، ونُقِصوا من الصبر بقدر ذلك.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ﴿**إنْ يَكُنْ مِنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِئَتَيْنِ**﴾ يقول: يقاتلوا مئتين، فكانوا أضعف من ذلك، فنسخها الله عنهم، فخفف فقال: ﴿**فإنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِئَتَيْنِ**﴾ فجعل أوّل مرّة الرجلَ لعشرة، ثم جعل الرجل لاثنين.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿**إنْ يَكُنْ مِنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِئَتَيْنِ**﴾ قال: كان فرض عليهم إذا لقي عشرون مئتين أن لا يفرّوا، فإنهم إن لم يفرّوا غلبوا، ثم خفف الله عنهم فقال: ﴿**إنْ يَكُنْ مِنكُمْ مِئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِئَتَيْنِ وَإنْ يَكُنْ مِنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بإذْنِ اللَّهِ**﴾ فيقول: لا ينبغي أن يفرّ ألف من ألفين، فإنهم إن صبروا لهم غلبوهم.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوريّ، عن جويبر، عن الضحاك، قال: كان هذا واجباً أن لا يفرّ واحد من عشرة.

وبه قال: أخبرنا الثوري، عن ليث، عن عطاء مثل ذلك.

وأما قوله: ﴿**بأنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ**﴾ فقد بيّنا تأويله.

وكان ابن إسحاق يقول في ذلك ما:

حدثنا به ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿**بأنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ**﴾: أي لا

يقاتلون على نية، ولا حقّ فيه، ولا معرفة لخير ولا شرّ.

وهذه الآية، أعني قوله: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِئَتَيْنِ﴾ وإن كان مخرجها مخرج الخبر، فإن معناها الأمر، يدلّ على ذلك قوله: ﴿الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ﴾ فلم يكن التخفيف إلا بعد التثقيل، ولو كان ثبوت العشرة منهم للمئة من عدوّهم كان غير فرض عليهم قبل التخفيف وكان ندباً لم يكن للتخفيف وجه لأن التخفيف إنما هو ترخيص في ترك الواحد من المسلمين الثبوت للعشرة من العدوّ، وإذا لم يكن التشديد قد كان له متقدماً لم يكن للترخيص وجه، إذ كان المفهوم من الترخيص إنما هو بعد التشديد. وإذ كان ذلك كذلك، فمعلوم أن حكم قوله: ﴿الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً﴾ ناسخ لحكم قوله: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِئَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنكُمْ مِئَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، وقد بيَّنا في كتابنا «لطيف البيان عن أصول الأحكام» أن كل خبر من الله وعد فيه عباده على عمل ثواباً وجزاءً، وعلى تركه عقاباً وعذاباً، وإن لم يكن خارجاً ظاهره مخرج الأمر، ففي معنى الأمر بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً﴾ فقرأه بعض المدنيين وبعض البصريين: «وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضُعْفاً» بضم الضاد في جميع القرآن وتنوين الضعف على المصدر من ضَعُفَ الرجل ضُعْفاً. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفيين: ﴿وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً﴾ بفتح الضاد على المصدر أيضاً من ضعف. وقرأه بعض المدنيين: «ضُعَفَاء» على تقدير فعلاء، جمع ضعيف على ضعفاء كما يجمع الشريك شركاء والرحيم رحماء.

وأولى القراءة في ذلك بالصواب قراءة من قرأه: «وعلم أن فيكم ضَعفاً» و«ضُعفاً»، بفتح الضاد أو ضمها، لأنهما القراءتان المعروفتان، وهما لغتان مشهورتان في كلام العرب فصيحتان بمعنى واحد، فبأيتهما قرأ القارىء فهو مصيب الصواب. فأما قراءة من قرأ ذلك: «ضُعَفَاء» فإنها عن قراءة القرّاء شاذة، وإن كان لها في الصحة مخرج، فلا أحبّ لقارىء القراءة بها.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ما كان لنبيّ أن يحتبس كافراً قدر عليه وصار في يده من عَبَدَة الأوثان للفداء أو للمنّ. والأسر في كلام العرب: الحبس، يقال منه: مأسور، يراد به: محبوس، ومسموع منهم: أناله الله أسراً. وإنما قال الله جلّ ثناؤه لنبيه محمد ﷺ يعرّفه أن قتل المشركين الذين أسرهم ﷺ يوم بدر ثم فادى بهم كان أولى بالصواب من أخذ الفدية منهم وإطلاقهم.

وقوله: ﴿حتى يُثْخِنَ فِي الأرْضِ﴾ يقول: حتى يبالغ في قتل المشركين فيها، ويقهرهم غلبة وقسراً، يقال منه: أثخن فلان في هذا الأمر إذا بالغ فيه، وحُكي أثخنته معرفة، بمعنى: قتلته معرفة. ﴿تريدون﴾: يقول للمؤمنين من أصحاب رسول الله ﷺ: تريدون أيها المؤمنون عرض الدنيا بأسركم المشركين، وهو ما عرض للمرء منها من مال ومتاع، يقول: تريدون بأخذكم الفداء من المشركين متاع الدنيا وطُعْمها. ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾ يقول: والله يريد لكم زينة الآخرة، وما أعدّ للمؤمنين وأهل ولايته في جناته بقتلكم إياهم وإثخانكم في الأرض، يقول لهم: واطلبوا ما يريد الله لكم وله اعملوا لا ما تدعوكم إليه أهواء أنفسكم من الرغبة في الدنيا وأسبابها. ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ يقول: إن أنتم أردتم الآخرة لم يغلبكم عدوّ لكم، لأن الله عزيز لا يقهر ولا يغلب، وإنه ﴿حَكِيمٌ﴾ في تدبيره أمره خلقه.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس قوله: ﴿ما كانَ لِنَبِيّ أنْ يَكُونَ لَهُ أسْرَى حتى يُثْخِنَ في الأرْضِ﴾ وذلك يوم بدر والمسلمون يومئذ قليل فلما كثروا واشتدّ سلطانهم، أنزل الله تبارك وتعالى بعد هذا في الأسارى: ﴿فإمَّا مَنّاً بَعْدُ وإمَّا فِدَاءً﴾ فجعل الله النبيّ والمؤمنين في أمر الأسارى بالخيار، إن شاءوا قتلوهم وإن شاءوا استعبدوهم وإن شاءوا فادَوْهم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿ما كانَ لِنَبِيّ أنْ يَكُونَ لَهُ أسْرَى حتى يُثْخِنَ في الأرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدنيا...﴾ الآية، قال: أراد أصحاب نبيّ الله ﷺ يوم بدر الفداء، ففادوهم بأربعة آلاف، ولعمري ما كان أثخن رسول الله ﷺ يومئذ وكان أوّل قتال قاتله المشركين.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن فضيل، عن حبيب بن أبي عمرة، عن مجاهد، قال: الإثخان: القتل.

حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا شريك، عن الأعمش، عن سعيد بن جبير، في قوله: ﴿ما كانَ لِنَبِيّ أنْ يَكُونَ لَهُ أسْرَى حتى يُثْخِنَ في الأرْضِ﴾ قال: إذا أسرتموهم فلا تفادوهم حتى تثخنوا فيهم القتل.

قال: حدثنا عبد العزيز، قال: ثنا إسرائيل، عن خصيف، عن مجاهد: ﴿ما كانَ لِنَبِيّ أنْ يَكُونَ لَهُ أسْرَى...﴾ الآية، نزلت الرخصة بعد، إن شئت فمُنَّ وإن شئت ففَادِ.

حُدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ، قال: ثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿**ما كانَ لِنَبِيّ أنْ يَكُونَ لَهُ أسْرَى حتى يُثْخِنَ في الأرْضِ**﴾ يعني: الذين أسروا ببدر.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿**ما كانَ لِنَبِيّ أنْ يَكُونَ لَهُ أسْرَى**﴾ من عدوه. ﴿**حتى يُثْخِنَ في الأرْضِ**﴾: أي يثخن عدوّه، حتى ينفيهم من الأرض. ﴿**تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنيا**﴾: أي المتاع والفداء بأخذ الرجال. ﴿**وَاللَّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ**﴾ بقتلهم لظهور الدين الذي يريدون إطفاءه، الذي به تدرك الآخرة.

حدثني أبو السائب، قال: ثنا أبو معاوية، قال: ثنا الأعمش، عن عمرو بن مرّة، عن أبي عبيدة، عن عبد الله، قال: لما كان يوم بدر وجيء بالأسرى، قال رسول الله ﷺ: «ما تَقُولُونَ في هَؤُلاءِ الأسْرَى؟» فقال أبو بكر: يا رسول الله قومك وأهلك، استبقهم واستأن بهم، لعلّ الله أن يتوب عليهم وقال عمر: يا رسول الله كذّبوك وأخرجوك، قدّمهم فاضرب أعناقهم وقال عبد الله بن رواحة: يا رسول الله، انظر وادياً كثير الحطب فأدخلهم فيه، ثم أضرمه عليهم ناراً قال: فقال له العباس: قطعت رَحِمَكَ. قال: فسكت رسول الله ﷺ فلم يجبهم، ثم دخل فقال ناسٌ: يأخُذُ بقَوْلِ أبي بَكْرٍ، وَقالَ ناسٌ: يأخُذُ بقَوْلِ عُمَرَ، وَقالَ ناسٌ: يَأْخُذُ بقَوْلِ عبدْ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ. ثم خرج عليهم رسول الله ﷺ، فقال: «إن اللَّهَ لَيُلِينُ قُلُوبَ رِجالٍ حتى تَكُونَ ألْيَنَ مِنَ اللَّبَنِ، وإن اللَّهَ لَيُشَدِّدَ قُلُوبَ رِجالٍ حتى تَكُونَ أشَدَّ مِنَ الحِجارَةِ وَإنَّ مَثَلَكَ يا أبا بَكْرٍ مَثَلُ إبْرَاهِيمَ، قالَ: ﴿**مَنْ تَبِعَنِي فإنَّهُ مِنّي وَمَنْ عَصَانِي فإنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ وَمَثَلَكَ يا أبا بَكْرٍ مَثَلُ عِيسَى، قالَ: ﴿**إنْ تُعَذِّبْهُمْ فإنَّهُمْ عِبادُكَ...**﴾ الآية، ومَثَلَكَ يا عُمَرَ مَثَلُ نُوحٍ قالَ: ﴿**رَبِّ لا تَذَرْ على الأرْضِ مِنَ الكافِرِينَ دَيَّاراً**﴾، وَمَثَلُكَ يا ابْنَ رَوَاحَةَ كَمَثَلِ مُوسَى، قالَ: ﴿**رَبَّنا اطْمِسْ على أمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ على قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حتى يَرَوُا العَذَابَ الألِيمَ**﴾». قال رسول الله ﷺ: «أنْتُمُ اليَوْمَ عالَةٌ، فَلا يَنْفَلِتَنَّ أحَدٌ مِنْهُمْ إلاَّ بِفِدَاءٍ أوْ ضَرْبِ عُنُقٍ» قال عبد الله بن مسعود: إلا سهيل بن بيضاء، فإني سمعته يذكر الإسلام فسكت رسول الله ﷺ، فما رأيتني في يوم أخوف أن تقع عليّ الحجارة من السماء مني في ذلك اليوم، حتى قال رسول الله ﷺ: «إلاَّ سُهَيْلَ بْنَ بَيْضَاءَ» قال: فأنزل الله: ﴿**ما كانَ لِنَبِيّ أنْ يَكُونَ لَهُ أسْرَى حتى يُثْخِنَ في الأرْضِ...**﴾ إلى آخر الثلاث الآيات.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عكرمة بن عمار، قال: ثنا أبو زميل، قال: ثني عبد الله بن عباس، قال: لما أسروا الأسارى يعني يوم بدر قال رسول الله ﷺ: «أيْنَ أبو بَكْرٍ وَعُمَر وعَليٌّ؟» قال: «ما ترون في الأسارى؟» فقال أبو بكر: يا رسول الله هم بنو العم والعشيرة، وأرى أن تأخذ منهم فدية تكون لنا قوّة على الكفار، وعسى الله أن يهديهم للإسلام. فقال رسول الله ﷺ: «ما

تَرَى يا ابْنَ الخَطَّابِ؟» فقال: لا والذي لا إله إلا هو ما أرى الذي رأى أبو بكر يا نبيّ الله، ولكن أرى أن تمكننا منهم، فتمكن علياً من عقيل فيضرب عنقه، وتمكن حمزة من العباس فيضرب عنقه، وتمكنني من فلان نسيب لعمر فأضرب عنقه، فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها. فهوِي رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر، ولم يهو ما قلت. قال عمر: فلما كان من الغد جئت إلى رسول الله ﷺ، فإذا هو وأبو بكر قاعدان يبكيان، فقلت: يا رسول الله أخبرني من أيّ شيء تبكي أنت وصاحبك، فإن وجدت بكاء بكيت وإن لم أجد بكاء تباكيت فقال رسول الله ﷺ: «أبْكِي لِلَّذِي عَرَضَ لأصْحابِي مِنْ أخْذِهِمُ الفِدَاءَ، وَلَقَدْ عُرِضَ عَليَّ عَذَابُكُمْ أدْنَى مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ» لشجرة قريبة من رسول الله ﷺ فأنزل الله عزّ وجلّ ﴿**ما كانَ لِنَبِيّ أنْ يَكُونَ لَهُ أسْرَى حتى يُثْخِنَ في الأرْضِ...**﴾ إلى قوله: ﴿**حَلالاً طَيِّباً**﴾ وأحلّ الله الغنيمة لهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لأهل بدر الذين غنموا وأخذوا من الأسرى الفداء: ﴿**لَوْلا كِتابٌ مِنَ اللّهِ سَبَقَ**﴾ يقول: لولا قضاء من الله سبق لكم أهل بدر في اللوح المحفوظ بأن الله محلّ لكم الغنيمة، وأن الله قضى فيما قضى أنه لا يضلّ قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون، وأنه لا يعذّب أحداً شهد المشهد الذي شهدتموه ببدر مع رسول الله ﷺ ناصراً دين الله لنالكم من الله بأخذكم الغنيمة والفداء عذاب عظيم.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا ابن أبي عديّ، قال: ثنا عوف، عن الحسن، في قوله: ﴿**لَوْلا كِتابٌ مِنَ اللّهِ سَبَقَ...**﴾ الآية، قال: إن الله كان مطعم هذه الأمة الغنيمة، وإنهم أخذوا الفداء من أسارى بدر قبل أن يؤمروا به. قال: فعاب الله ذلك عليهم، ثم أحله الله.

حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع، قال: ثنا بشر بن المفضل، عن عوف، عن الحسن، في قول اللّه: ﴿**لَوْلا كِتابٌ مِنَ اللّهِ سَبَقَ...**﴾ الآية، وذلك يوم بدر، أخذ أصحاب النبيّ ﷺ المغانم والأسارى قبل أن يؤمروا به، وكان الله تبارك وتعالى قد كتب في أمّ الكتاب المغانم والأسارى حلال لمحمد وأمته، ولم يكن أحله لأمة قبلهم. وأخذوا المغانم، وأسروا الأسارى قبل أن ينزل إليهم في ذلك، قال الله: ﴿**لَوْلا كِتابٌ مِنَ اللّهِ سَبَقَ**﴾ يعني في الكتاب الأوّل أن المغانم والأسارى حلال لكم ﴿**لمسَّكُمْ فِيما أخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿لَوْلا كِتابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ...﴾ الآية، وكانت الغنائم قبل أن يُبعث النبيّ ﷺ في الأمم إذا أصابوا مغنماً جعلوه للقربان، وحرّم الله عليهم أن يأكلوا منه قليلاً أو كثيراً، حرم ذلك على كلّ نبيّ وعلى أمته، فكانوا لا يأكلون منه ولا يغلّون منه ولا يأخذون منه قليلاً ولا كثيراً إلا عذّبهم الله عليه. وكان الله حرمه عليهم تحريماً شديداً، فلم يحلّه لنبيّ إلا لمحمد ﷺ. وكان قد سبق من الله في قضائه أن المغنم له ولأمته حلال، فذلك قوله يوم بدر في أخذ الفداء من الأسارى: ﴿لَوْلا كِتابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيما أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبو أسامة، عن عروة، عن الحسن: ﴿لَوْلا كِتابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ﴾ قال: إن الله كان معطي هذه الأمة الغنيمة، وفعلوا الذي فعلوا قبل أن تحلّ الغنيمة.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمرة قال: قال الأعمش، في قوله: ﴿لَوْلا كِتابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ﴾ قال: سبق من الله أن أحلّ لهم الغنيمة.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن بشير بن ميمون، قال: سمعت سعيداً يحدث عن أبي هريرة، قال: قرأ هذه الآية: ﴿لَوْلا كِتابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيما أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ قال: يعني: لولا أنه سبق في علمي أني سأحلّ الغنائم، لمسّكم فيما أخذتم من الأسارى عذاب عظيم.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا جابر بن نوح، وأبو معاوية، بنحوه، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أُحِلَّتِ الغَنائمُ لِأَحَدٍ سُودِ الرؤوسِ مِنْ قَبْلِكُمْ، كانَتْ تَنْزِلُ نارٌ مِنَ السَّماءِ وتَأْكُلُها»، حتى كان يوم بدر، فوقع الناس في الغنائم، فأنزل الله ﴿لَوْلا كِتابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ...﴾ حتى بلغ حَلالاً طَيِّباً.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، عن النبيّ ﷺ، بنحوه، قال: فلما كان يوم بدر أسرع الناس في الغنائم.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن فضيل، عن أشعث بن سوار، عن ابن سيرين، عن عبيدة، قال: أسر المسلمون من المشركين سبعين وقتلوا سبعين، فقال رسول الله ﷺ: «اخْتارُوا أنْ تَأْخُذُوا مِنْهُمْ الفِداءَ فَتَقْوَوْا بِهِ على عَدُوّكُمْ، وَإنْ قَبِلْتُمُوهُ قُتِلَ مِنْكُمْ سَبْعونَ، أوْ تَقْتُلُوهُمْ» فقالوا: بل نأخذ الفدية منهم، وقُتل منهم سبعون. قال عبيدة: وطلبوا الخيرتين كلتيهما.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن فضيل، عن أشعث، عن ابن سيرين، عن عبيدة، قال: كان فداء أسارى بدر: مئة أوقية والأوقية أربعون درهماً ومن الدنانير: ستة دنانير.

حدثنا أبو كريب ويعقوب بن إبراهيم، قالا: ثنا ابن علية، قال: ثنا ابن عون، عن ابن سيرين، عن عبيدة، أنه قال في أسارى بدر: قال رسول الله ﷺ: «إنْ شِئْتُمْ قَتَلْتُمُوهُمْ، وَإنْ شِئْتُمْ فادَيْتَمُوهُمْ وَاسْتَشْهَدَ مِنْكُمْ بِعِدَّتِهِمْ» فقالوا: بلى، نأخذ الفداء فتستمتع به ويستشهد منا بعدتهم.

حدثني أحمد بن محمد الطوسي، قال: ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث، قال: ثنا همام بن يحيى، قال: ثنا عطاء بن السائب، عن أبي وائل، عن عبد الله بن مسعود، قال: أمر عمر رضي الله عنه بقتل الأسارى، فأنزل الله: **﴿لَوْلا كِتابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيما أخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾**.

حُدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ، قال: ثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: **﴿لَوْلا كِتابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ﴾** قال: كان المغنم محرماً على كلّ نبيّ وأمته، وكانوا إذا غنموا يجعلون المغنم لله قرباناً تأكله النار، وكان سبق في قضاء الله وعلمه أن يحلّ المغنم لهذه الأمة يأكلون في بطونهم.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن عطاء في قول الله: **﴿لَوْلا كِتابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ﴾** قال: كان في علم لله أن تحلّ لهم الغنائم، فقال: لولا كتاب من الله سبق بأنه أحلّ لكم الغنائم، لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم.

وقال آخرون: معنى ذلك: لولا كتاب من الله سبق لأهل بدر أن لا يعذبهم لمسهم عذاب عظيم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا أبو أحمد الزبيريّ، عن شريك، عن سالم، عن سعيد: **﴿لَوْلا كِتابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ﴾** قال: لأهل بدر من السعادة.

حدثنا ابن وكيع قال: ثنا ابن نمير، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: **﴿لَوْلا كِتابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ﴾** لأهل بدر مشهدهم.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن الحسن: **﴿لَوْلا كِتابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ﴾** قال: سبق من الله خير لأهل بدر.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿لَوْلا كِتابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيما أخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾** كان سبق لهم من الله خير، وأحل لهم الغنائم.

حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا عبد الوارث بن سعيد، عن عمرو بن عبيد، عن الحسن: ﴿**لَوْلا كِتابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ**﴾ قال: سبق أن لا يعذّب أحداً من أهل بدر.

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿**لَوْلا كِتابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ**﴾ لأهل بدر ومشهدهم إياه.

حدثني يونس، قال: أخبرني ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**لَوْلا كِتابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيما أخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾ لمسكم فيما أخذتم من الغنائم يوم بدر قبل أن أحلها لكم. فقال: سبق من الله العفو عنهم، والرحمة لهم سبق أن لا يعذّب المؤمنين، لأنه لا يعذّب رسوله ومن آمن به وهاجر معه ونصره.

وقال آخرون: معنى ذلك: لولا كتاب من الله سبق أن لا يؤاخذ أحداً بفعل أتاه على جهالة، لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله: ﴿**لَوْلا كِتابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ**﴾ لأهل بدر ومشهدهم إياه، قال: كتاب سبق لقوله: ﴿**وَما كانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إذْ هَدَاهُمْ حتى يُبَيِّنَ لَهُمْ ما يَتَّقُونَ**﴾ سبق ذلك وسبق أن لا يؤاخذ قوماً فعلوا شيئاً بجهالة. ﴿**لَمَسَّكُمْ فِيما أخَذْتُمْ**﴾ قال ابن جريج: قال ابن عباس: فيما أخذتم مما أسرتم. ثم قال بعد: ﴿**فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ**﴾.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: عاتبه في الأسارى وأَخْذ الغنائم، ولم يكن أحد قبله من الأنبياء يأكل مغنماً من عدوّ له.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن محمد، قال: ثني أبو جعفر محمد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، قال: قال رسول الله ﷺ: «نُصِرْتُ بالرُّعْبِ وَجُعِلَتْ لِيَ الأرْضُ مَسْجِداً وَطَهُوراً، وأُعْطِيتُ جَوَامِعَ الكَلِمِ، وأُحِلَّتْ لِيَ المَغانِمُ ولَمْ تَحِلَّ لِنَبِيَ كانَ قَبْلِي، وأُعْطِيتُ الشَّفاعَةَ، خَمْسٌ لَمْ يُؤتَهُنَّ نَبِيٌّ كانَ قَبْلِي». قال محمد: فقال: ﴿**ما كانَ لِنَبِيّ**﴾ أي قبلك ﴿**أنْ يَكُونَ لَهُ أسْرَى...**﴾ إلى قوله: ﴿**لَوْلا كِتابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيما أخَذْتُمْ**﴾ أي من الأسارى والمغانم. ﴿**عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾: أي لولا أنه سبق مني أن لا أعذّب إلا بعد النهي ولم أكن نهيتكم لعذّبتكم فيما صنعتم، ثم أحلها له ولهم رحمة ونعمة وعائدة من الرحمن الرحيم.

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ما قد بيناه قبل، وذلك أن قوله: ﴿**لَوْلا كِتابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ**﴾ خبر عام غير محصور على معنى دون معنى. وكل هذه المعاني التي ذكرتها

عمن ذكرت مما قد سبق في كتاب الله أنه لا يؤاخذ بشيء منها هذه الأمة، وذلك ما عملوا من عمل بجهالة، وإحلال الغنيمة والمغفرة لأهل بدر، وكل ذلك مما كتب لهم. وإذ كان ذلك كذلك فلا وجه لأن يخصّ من ذلك معنى دون معنى، وقد عمّ الله الخبر بكل ذلك بغير دلالة توجب صحة القول بخصوصه.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: لم يكن من المؤمنين أحد ممن نصر إلا أحبّ الغنائم إلا عمر بن الخطاب، جعل لا يلقى أسيراً إلا ضرب عنقه، وقال: يا رسول الله مالنا وللغنائم، نحن قوم نجاهد في دين الله حتى يعبد الله فقال رسول الله ﷺ: «لَوْ عُذِّبْنا فِي هَذَا الأمْرِ يا عُمَرُ ما نَجا غيرُكَ». قال الله: لا تعودوا تستحلون قبل أن أحلّ لكم.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: قال ابن إسحاق: لمَّا نزلت: ﴿**لَوْلا كِتابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ...**﴾ الآية، قال رسول الله ﷺ: «لَوْ نَزَلَ عَذَابٌ مِنَ السَّماءِ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ إلاَّ سَعْدُ بْنُ مُعاذٍ» لقوله: يا نبيّ الله كان الإثخان في القتل أحبَّ إليّ من استبقاء الرجال.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره للمؤمنين من أهل بدر: فكلوا أيها المؤمنون مما غنمتم من أموال المشركين حلالاً بإحلاله لكم طيباً. ﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ**﴾ يقول: وخافوا الله أن تعودوا أن تفعلوا في دينكم شيئاً بعد هذه من قبل أن يعهد فيه إليكم، كما فعلتم في أخذ الفداء وأكل الغنيمة وأخذتموهما من قبل أن يحلا لكم. ﴿**إنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ وهذا من المؤخر الذي معناه التقديم، وتأويل الكلام: فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً، إن الله غفور رحيم، واتقوا الله. ويعني بقوله: ﴿**إنَّ اللَّهَ غَفُورٌ**﴾ لذنوب أهل الإيمان من عباده، ﴿**رَحِيمٌ**﴾ بهم أن يعاقبهم بعد توبتهم منها.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: يا أيها النبيّ قل لمن في يديك وفي يدي أصحابك من أسرى المشركين الذين أخذ منهم من الفداء ما أخذ ﴿**إنْ يَعْلَمِ الله في قُلُوبِكُمْ خَيْراً**﴾ يقول: إن يعلم الله في قلوبكم إسلاماً يؤتكم خيراً مما أخذ منكم من الفداء. ﴿**وَيَغْفِرْ لَكُمْ**﴾ يقول: ويصفح لكم عن عقوبة جرمكم الذي اجترمتموه بقتالكم نبيّ الله وأصحابه وكفركم بالله. ﴿**وَاللَّهُ غَفُورٌ**﴾

لذنوب عباده إذا تابوا، ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم أن يعاقبهم عليها بعد التوبة. وذُكر أن العباس بن عبد المطلب كان يقول: فيّ نزلت هذه الآية.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن إدريس، عن ابن إسحاق، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: قال العباس: فيّ نزلت: **﴿ما كانَ لِنَبِيٍّ أنْ يَكُونَ لَهُ أسْرَى حتى يُثْخِنَ في الأرْضِ﴾**، فأخبرت النبيّ ﷺ بإسلامي، وسألته أن يحاسبني بالعشرين الأوقية التي أخذ مني فأبى، فأبدلني الله بها عشرين عبداً كلهم تاجر، مالي في يديه.

وقد حدثنا بهذا الحديث ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: قال محمد، ثني الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، عن جابر بن عبد الله بن رئاب، قال: كان العباس بن عبد المطلب يقول: فيّ والله نزلت حين ذكرت لرسول الله ﷺ إسلامي. ثم ذكر نحو حديث ابن وكيع.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿قُلْ لِمَنْ فِي أيْدِيكُمْ مِنَ الأسْرَى...﴾** الآية، قال: ذكر لنا أن نبيّ الله ﷺ لمَّا قدم عليه مال البحرين ثمانون ألفاً، وقد توضأ لصلاة الظهر، فما أعطى يومئذ شاكياً ولا حرم سائلاً وما صلى يومئذ حتى فرّقه، وأمر العباس أن يأخذ منه ويحتثي، فأخذ. قال: وكان العباس يقول: هذا خير مما أخذ منا وأرجو المغفرة.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: **﴿يا أيُّها النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أيْدِيكُمْ مِنَ الأسْرَى...﴾** الآية، وكان العباس أسر يوم بدر، فافتدى نفسه بأربعين أوقية من ذهب، فقال العباس حين نزلت هذه الآية: لقد أعطاني الله خصلتين ما أحبّ أن لي بهما الدنيا: أني أسرت يوم بدر ففديت نفسي بأربعين أوقية، فآتاني أربعين عبداً وأنا أرجو المغفرة التي وعدنا الله.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: **﴿يا أيُّها النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أيْدِيكُمْ مِنَ الأسْرَى...﴾** إلى قوله: **﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾** يعني بذلك من أسر يوم بدر، يقول: إن عملتم بطاعتي ونصحتم لرسولي، آتيتكم خيراً مما أخذ منكم وغفرت لكم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عطاء الخراساني، عن ابن عباس: **﴿يا أيُّها النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أيْدِيكُمْ مِنَ الأسْرَى﴾** عباس وأصحابه، قال: قالوا للنبيّ ﷺ: آمنا بما جئت به، ونشهد أنك لرسول الله، لننصحنّ لك على قومنا فنزل:

﴿إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً يُؤْتِكُمْ خَيْراً مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ﴾ إيماناً وتصديقاً، يخلف لكم خيراً مما أصيب منكم، ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ الشرك الذي كنتم عليه. قال: فكان العباس يقول: ما أحبّ أن هذه الآية لم تنزل فينا وأن لي الدنيا، لقد قال: ﴿يُؤْتِكُمْ خَيْراً مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ﴾ فقد أعطاني خيراً مما أخذ مني مئة ضعف، وقال: ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ وأرجو أن يكون قد غفر لي.

حُدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ، قال: ثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿يا أيُّها النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أيْدِيكُمْ مِنَ الأسْرَى...﴾ الآية، يعني العباس وأصحابه، أسروا يوم بدر، يقول الله: إن عملتم بطاعتي ونصحتم لي ولرسولي أعطيتكم خيراً مما أُخذ منكم وغفرت لكم. وكان العباس بن عبد المطلب يقول: لقد أعطانا الله خصلتين ما شيء هو أفضل منهما: عشرين عبداً. وأما الثانية: فنحن في موعود الصادق، ننتظر المغفرة من الله سبحانه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه: وإن يرد هؤلاء الأسارى الذين في أيديكم خيانتك: أي الغدر بك والمكر والخداع، بإظهارهم لك بالقول خلاف ما في نفوسهم، ﴿فَقَدْ خَانُوا الله مِنْ قَبْلُ﴾ يقول: فقد خالفوا أمر الله ممن قبل وقعة بدر، وأمكن منهم ببدر المؤمنين. ﴿والله عَلِيمٌ﴾ بما يقولون بألسنتهم ويضمرونه في نفوسهم، ﴿حَكِيمٌ﴾ في تدبيرهم وتدبير أمور خلقه سواهم.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، عن عطاء الخراساني، عن ابن عباس: ﴿وَإنْ يُرِيدُوا خِيانَتَكَ﴾ يعني: العباس وأصحابه في قولهم: آمنا بما جئت به، ونشهد أنك رسول الله، لننصحن لك على قومنا يقول: إن كان قولهم خيانة فقد خانوا الله من قبل، ﴿فَأمْكَنَ مِنْهُمْ﴾ يقول: قد كفروا وقاتلوك، فأمكنك الله منهم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَإنْ يُرِيدُوا خِيانَتَكَ...﴾ الآية. قال: ذكر لنا أن رجلاً كتب لنبيّ الله ﷺ، ثم عمد فنافق، فلحق بالمشركين بمكة، ثم قال: ما كان محمد يكتب إلا ما شئتُ فلما سمع ذلك رجل من الأنصار، نذر لئن أمكنه الله منه ليضربنه بالسيف. فلما كان يوم الفتح أمَّن رسول الله ﷺ الناس إلا عبد الله بن سعد بن أبي سرح، ومقيس بن صُبابة، وابن خطل، وامرأة كانت تدعو على النبيّ ﷺ كل صباح. فجاء عثمان

بابن أبي سرح، وكان رضيعه أو أخاه من الرضاعة، فقال: يا رسول الله هذا فلان أقبل تائباً نادماً، فأعرض نبيّ الله ﷺ. فلما سمع به الأنصاريّ أقبل متقلداً سيفه، فأطاف به، وجعل ينظر إلى رسول الله ﷺ رجاء أن يومىء إليه. ثم إن رسول الله ﷺ قدم يده فبايعه، فقال: «أَمَا واللهِ لقد تَلَوَّمْتُكَ فيه لتُوفي نَذْرَكَ»، فقال: يا نبيّ الله إني هبتك، فلولا أومضت إليّ فقال: «إنّه لا يَنْبَغي لِنَبيّ أنْ يُومِضَ».

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿**وَإِنْ يُرِيدُوا خِيانَتَكَ فَقَدْ خانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ**﴾ يقول: قد كفروا بالله ونقضوا عهده، فأمكن منهم ببدر.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَوا وَّنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٧٢)﴾.

يقول تعالى ذكره: إن الذين صدقوا الله ورسوله. ﴿**وَهاجَرُوا**﴾ يعني: هجروا قومهم وعشيرتهم ودورهم، يعني: تركوهم وخرجوا عنهم، وهجرهم قومُهم وعشيرتهم. ﴿**وَجاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ**﴾ يقول: بالغوا في إتعاب نفوسهم وإنصابها في حرب أعداء الله من الكفار في سبيل الله، يقول في دين الله الذي جعله طريقاً إلى رحمته والنجاة من عذابه. ﴿**وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا**﴾ يقول: والذين آووا رسول الله والمهاجرين معه يعني أنهم جعلوا لهم مأوى يأوون إليه، وهو المثوى والمسكن، يقول: أسكنوهم وجعلوا لهم من منازلهم مساكن، إذ أخرجهم قومهم من منازلهم ﴿**وَنَصَرُوا**﴾ يقول: ونصروهم على أعدائهم وأعداء الله من المشركين. ﴿**أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ**﴾ يقول: هاتان الفرقتان، يعني المهاجرين والأنصار، بعضهم أنصار بعض، وأعوان على من سواهم من المشركين، وأيديهم واحدة على من كفر بالله، وبعضهم إخوان لبعض دون أقربائهم الكفار. وقد قيل: إنما عنى بذلك أن بعضهم أولى بميراث بعض، وأن الله ورَّث بعضهم من بعض بالهجرة والنصرة دون القرابة والأرحام، وأن الله نسخ ذلك بعد بقوله: ﴿**وَأُولُوا الأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللَّهِ**﴾.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهاجَرُوا وَجاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ﴾ يعني في الميراث. جعل الميراث للمهاجرين والأنصار دون ذوي الأرحام، قال الله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهاجِرُوا ما لَكُمْ مِنْ وَلايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حتى يُهاجِرُوا﴾ يقول: ما لكم من ميراثهم من شيء، وكانوا يعملون بذلك، حتى أنزل الله هذه الآية: ﴿وأُولُوا الأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللَّهِ﴾ في الميراث، فنسخت التي قبلها، وصار الميراث لذوي الأرحام.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهاجَرُوا وَجاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يقول: لا هجرة بعد الفتح، إنما هو الشهادة بعد ذلك ﴿وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ...﴾ إلى قوله: ﴿حتى يُهاجِرُوا﴾ وذلك أن المؤمنين كانوا على عهد رسول الله ﷺ على ثلاث منازل. منهم المؤمن المهاجر المباين لقومه في الهجرة، خرج إلى قوم مؤمنين في ديارهم وعقارهم وأموالهم، وفي قوله: ﴿وآوَوْا وَنَصَرُوا﴾ وأعلنوا ما أعلن أهل الهجرة، وشهروا السيوف على من كذبَ وجحد، فهذان مؤمنان جعل الله بعضهم أولياء بعض، فكانوا يتوارثون بينهم إذا توفي المؤمن المهاجر ورثه الأنصاريّ بالولاية في الدين، وكان الذي آمن ولم يهاجر لا يرث من أجل أنه لم يهاجر ولم ينصر. فبرأ الله المؤمنين المهاجرين من ميراثهم، وهي الولاية التي قال الله: ﴿ما لَكُمْ مِنْ وَلايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حتى يُهاجِرُوا﴾ وكان حقاً على المؤمنين الذين آووا ونصروا إذا استنصروهم في الدين أن ينصروهم إن قاتلوا إلا أن يستنصروا على قوم بينهم وبين النبيّ ﷺ ميثاق، فلا نصر لهم عليهم إلا على العدو الذين لا ميثاق لهم. ثم أنزل الله بعد ذلك أن ألحق كل ذي رحم برحمه من المؤمنين الذين هاجروا والذين آمنوا ولم يهاجروا، فجعل لكل إنسان من المؤمنين نصيباً مفروضاً بقوله: ﴿وأُولُوا الأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، وبقوله: ﴿وَالمُؤْمِنُونَ والمُؤْمِناتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ﴾.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: الثلاث الآيات خواتيم الأنفال فيهنّ ذكر ما كان من ولاية رسول الله ﷺ بين مهاجري المسلمين وبين الأنصار في الميراث، ثم نسخ ذلك آخرها: ﴿وأُولُوا الأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عبد الله بن كثير، قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهاجَرُوا وَجاهَدُوا...﴾ إلى قوله: ﴿بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ قال: بلغنا أنها كانت في الميراث لا يتوارث المؤمنون الذين هاجروا والمؤمنون الذين لم يهاجروا، قال: ثم نزل بعد: ﴿وأُولُوا الأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ فتوارثوا

ولم يهاجروا. قال ابن جريج، قال مجاهد: خواتيم الأنفال الثلاث الآيات فيهنّ ذكر ما كان والي رسول الله ﷺ بين المهاجرين المسلمين وبين الأنصار في الميراث، ثم نسخ ذلك آخرها: ﴿وأُولُوا الأرْحامِ بَعْضُهُمْ أوْلى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللَّهِ﴾.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهاجَرُوا وَجاهَدُوا بأمْوَالِهِمْ وأنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا...﴾ إلى قوله: ﴿ما لَكُمْ مِنْ وَلايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حتى يُهاجِرُوا﴾ قال: لبث المسلمون زماناً يتوارثون بالهجرة، والأعرابي المسلم لا يرث من المهاجر شيئاً، فنسخ ذلك بعد ذلك قول الله: ﴿وأُولُوا الأرْحامِ بَعْضُهُمْ أوْلى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللَّهِ مِنَ المُؤْمِنِينَ والمُهاجِرِينَ إلاَّ أنْ تَفْعَلُوا إلى أوْلِيائِكُمْ مَعْرُوفاً﴾ أي من أهل الشرك. فأجيزت الوصية، ولا ميراث لهم، وصارت المواريث بالملل، والمسلمون يرث بعضهم بعضاً من المهاجرين والمؤمنين، ولا يرث أهل ملتين.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، عن الحسن، عن يزيد، عن عكرمة والحسن، قالا: ﴿إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهاجَرُوا وَجاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ...﴾ إلى قوله: ﴿ما لَكُمْ مِنْ وَلايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حتى يُهاجِرُوا﴾ كان الأعرابي لا يرث المهاجر ولا يرثه المهاجر، فنسخها فقال: ﴿وأُولُوا الأرْحامِ بَعْضُهُمْ أوْلى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللَّهِ إنَّ اللَّهَ بِكُلّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهاجَرُوا وَجاهَدُوا بِأمْوَالِهِمْ وأنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أوْلِياءُ بَعْضٍ﴾ في الميراث، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهاجِرُوا﴾ وهؤلاء الأعراب، ﴿ما لَكُمْ مِنْ وَلايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ في الميراث، ﴿وَإنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾ يقول بأنهم مسلمون، ﴿فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إلاَّ على قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثاقٌ﴾. ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أوْلِياءُ بَعْضٍ﴾ في الميراث، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهاجَرُوا وَجاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ﴾ الذين توارثوا على الهجرة في كتاب الله، ثم نسختها الفرائض والمواريث، فتوارث الأعراب والمهاجرون.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا ولَمْ يُهاجِرُوا ما لَكُمْ مِنْ وَلايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حتى يُهاجِرُوا وَإنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إلاَّ على قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

يعني بقوله تعالى ذكره: ﴿والَّذِينَ آمَنُوا﴾ الذين صدقوا بالله ورسوله، ﴿ولَمْ يُهاجِرُوا﴾ قومهم الكفار، ولم يفارقوا دار الكفر إلى دار الإسلام. ﴿ما لَكُمْ﴾ أيها المؤمنون بالله ورسوله المهاجرون قومهم المشركين وأرضَ الحرب، ﴿مِنْ وَلايَتِهِمْ﴾ يعني: من نصرتهم وميراثهم. وقد ذكرت قول بعض من قال: معنى الولاية ههنا الميراث، وسأذكر إن شاء الله من حضرني ذكره بعد. ﴿مِنْ شَيْءٍ

حتى يُهاجِرُوا﴾ قومهم ودورهم من دار الحرب إلى دار الإسلام. **﴿وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾** يقول: إن استنصركم هؤلاء الذين آمنوا ولم يهاجروا في الدين، يعني بأنهم من أهل دينكم على أعدائكم وأعدائهم من المشركين، فعليكم أيها المؤمنون من المهاجرين والأنصار النصر، إلا أن يستنصروكم على قوم بينكم وبينهم ميثاق، يعني عهد قد وثق به بعضكم على بعض أن لا يحاربه. **﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾** يقول: والله بما تعملون فيما أمركم ونهاكم من ولاية بعضكم بعضاً أيها المهاجرون والأنصار، وترك ولاية من آمن ولم يهاجر، ونصرتكم إياهم عند استنصاركم في الدين، وغير ذلك من فرائض الله التي فرضها عليكم. **﴿بَصِيرٌ﴾** يراه ويبصره، فلا يخفى عليه من ذلك ولا من غيره شيء.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: **﴿ما لَكُمْ مِنْ وَلايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حتى يُهاجِرُوا﴾** قال: كان المسلمون يتوارثون بالهجرة، وآخى النبيّ ﷺ بينهم، فكانوا يتوارثون بالإسلام والهجرة، وكان الرجل يسلم ولا يهاجر لا يرث أخاه، فنسخ ذلك قوله: **﴿وأُولُوا الأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللَّهِ مِنَ المُؤْمِنِينَ والمُهاجِرِينَ﴾**.

حدثنا محمد، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن الزهري: أن النبيّ ﷺ أخذ على رجل دخل في الإسلام، فقال: «تُقِيمُ الصَّلاةَ، وتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وتَحجُّ البَيْتَ، وتَصُومُ رَمَضَانَ، وأنَّكَ لا ترى نَارَ مُشْرِكٍ إلاّ وأنْتَ حَرْبٌ».

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: **﴿وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾** يعني: إن استنصركم الأعراب المسلمون أيها المهاجرون والأنصار على عدوّهم فعليكم أن تنصروهم. **﴿إلاَّ على قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثاقٌ﴾**.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج قال: قال ابن عباس: ترك النبيّ ﷺ الناس يوم توفي على أربع منازل: مؤمن مهاجر، والأنصار، وأعرابي مؤمن لم يهاجر إن استنصره النبيّ ﷺ نصره وإن تركه فهو إذن له وإن استنصر النبيّ ﷺ في الدين كان حقّاً عليه أن ينصره، فذلك قوله: **﴿وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ﴾**. والرابعة: التابعون بإحسان.

حُدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ، قال: ثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: **﴿إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهاجَرُوا. . .﴾** إلى آخر السورة، قال: إن رسول الله ﷺ توفي وترك الناس على أربع منازل: مؤمن مهاجر، ومسلم أعرابي، والذين آووا ونصروا، والتابعون بإحسان.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالله ورسوله، ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ﴾ يقول: بعضهم أعوان بعض وأنصاره، وأحقّ به من المؤمنين بالله ورسوله. وقد ذكرنا قول من قال: عنى بيان أن بعضهم أحقّ بميراث بعض من قرابتهم من المؤمنين، وسنذكر بقية من حضرنا ذكره.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن السديّ، عن أبي مالك، قال: قال رجل: نورّث أرحامنا من المشركين فنزلت: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ...﴾ الآية.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ إلاَ تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأرْضِ وَفَسادٌ كَبِيرٌ﴾ نزلت في مواريث مشركي أهل العهد.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهاجِرُوا ما لَكُمْ مِنْ وَلايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حتى يُهاجِرُوا...﴾ إلى قوله: ﴿وَفَسادٌ كَبِيرٌ﴾ قال: كان المؤمن المهاجر، والمؤمن الذي ليس بمهاجر لا يتوارثان وإن كانا أخوين مؤمنين. قال: وذلك لأن هذا الدين كان بهذا البلد قليلاً حتى كان يوم الفتح فلما كان يوم الفتح وانقطعت الهجرة توارثوا حيثما كانوا بالأرحام، وقال النبيّ ﷺ: «لا هِجْرَةَ بَعْدَ الفَتْحِ». وقرأ: ﴿وأُولُوا الأرْحامِ بَعْضُهُمْ أوْلى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللّهِ﴾.

وقال آخرون: معنى ذلك: إن الكفار بعضهم أنصار بعض وإنه لا يكون مؤمناً من كان مقيماً بدار الحرب ولم يهاجر.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ﴾ قال: كان ينزل الرجل بين المسلمين والمشركين فيقول: إن ظهر هؤلاء كنت معهم، وإن ظهر هؤلاء كنت معهم. فأبى الله عليهم ذلك، وأنزل الله في ذلك فلا تراءى نار مسلم ونار مشرك إلا صاحب جزية مقرّاً بالخراج.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: حضّ الله المؤمنين على

التواصل، فجعل المهاجرين والأنصار أهل ولاية في الدين دون من سواهم، وجعل الكفار بعضهم أولياء بعض.

وأما قوله: ﴿إِلاَّ تَفعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسادٌ كَبِيرٌ﴾ فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله، فقال بعضهم: معناه: إلا تفعلوا أيها المؤمنون ما أمرتم به من موارثة المهاجرين منكم بعضهم من بعض بالهجرة والأنصار بالإيمان دون أقربائهم من أعراب المسلمين ودون الكفار ﴿تَكُن فِتْنَةٌ﴾ يقول: يحدث بلاءٌ في الأرض بسبب ذلك، ﴿وَفَسادٌ كَبِيرٌ﴾ يعني: ومعاصي الله.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿إِلاَّ تَفعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسادٌ كَبِيرٌ﴾ إلا تفعلوا هذا تتركوهم يتوارثون كما كانوا يتوارثون، تكن فتنة في الأرض وفساد كبير. قال: ولم يكن رسول الله ﷺ يقبل الإيمان إلا بالهجرة، ولا يجعلونهم منهم إلا بالهجرة.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ﴾ يعني في الميراث. ﴿إِلا تَفْعَلُوهُ﴾ يقول: إلا تأخذوا في الميراث بما أمرتكم به. ﴿تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسادٌ كَبِيرٌ﴾.

وقال آخرون: معنى ذلك: إلا تناصروا أيها المؤمنون في الدين تكن فتنة في الأرض وفساد كبير.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: جعل المهاجرين والأنصار أهل ولاية في الدين دون من سواهم، وجعل الكفار بعضهم أولياء بعض، ثم قال: ﴿إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسادٌ كَبِيرٌ﴾ أن يتولى المؤمن الكافر دون المؤمن. ثم رد المواريث إلى الأرحام.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جريج، قوله: ﴿إِلاَّ تَفعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسادٌ كَبِيرٌ﴾ قال: إلا تعاونوا وتناصروا في الدين، تكن فتنة في الأرض وفساد كبير.

قال أبو جعفر: وأولى التأويلين بتأويل قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ﴾ قول من قال: معناه: أن بعضهم أنصار بعض دون المؤمنين، وأنه دلالة على تحريم الله على المؤمن المقام

في دار الحرب وترك الهجرة لأن المعروف في كلام العرب من معنى الوليّ أنه النصير والمعين أو ابن العم والنسيب. فأما الوارث فغير معروف ذلك من معانيه إلا بمعنى أنه يليه في القيام بإرثه من بعده، وذلك معنى بعيد وإن كان قد يحتمله الكلام. وتوجيه معنى كلام الله إلى الأظهر الأشهر، أولى من توجيهه إلى خلاف ذلك.

وإذ كان ذلك كذلك، فبيّن أن أولى التأويلين بقوله: **﴿إلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأرْضِ وَفَسادٌ كَبِيرٌ﴾** تأويل من قال: إلا تفعلوا ما أمرتكم به من التعاون والنصرة على الدين تكن فتنة في الأرض، إذ كان مبتدأ الآية من قوله: **﴿إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهاجَرُوا وَجاهَدُوا بأمْوَالِهِمْ وأنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾** بالحثّ على الموالاة على الدين والتناصر جاء، وكذلك الواجب أن يكون خاتمتها به.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: **﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهاجَرُوا وَجاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ والَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا﴾** آووا رسول الله ﷺ والمهاجرين معه ونصروهم ونصروا دين الله، أولئك هم أهل الإيمان بالله ورسوله حقّاً، لا من آمن ولم يهاجر دار الشرك وأقام بين أظهر أهل الشرك ولم يغز مع المسلمين عدوّهم. **﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾** يقول: لهم ستر من الله على ذنوبهم بعفوه لهم عنها، **﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾** يقول: لهم في الجنة طعم ومشرب هنيّ كريم، لا يتغير في أجوافهم فيصير نَجْواً، ولكنه يصير رشحاً كرشح المسك. وهذه الآية تنبىء عن صحة ما قلنا أن معنى قول الله: **﴿بَعْضُهُمْ أوْلِياءُ بَعْضٍ﴾** في هذه الآية، وقوله: **﴿ما لَكُمْ مِنْ وَلايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾** إنما هو النصرة والمعونة دون الميراث لأنه جل ثناؤه عقب ذلك بالثناء على المهاجرين والأنصار والخبر عما لهم عنده دون من لم يهاجر بقوله: **﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهاجَرُوا وَجاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ والَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا...﴾** الآية، ولو كان مراداً بالآيات قبل ذلك الدلالة على حكم ميراثهم لم يكن عقيب ذلك إلا الحثّ على مضيّ الميراث على ما أمر، وفي صحة ذلك كذلك الدليل الواضح على أن لا ناسخ في هذه الآيات لشيء ولا منسوخ.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ مَعَكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنكُمْ ۚ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٧٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: والذين آمنوا بالله ورسوله من بعد تبياني ما بينت من ولاية المهاجرين والأنصار بعضهم بعضاً وانقطاع ولايتهم ممن آمن ولم يهاجر حتى يهاجر وهاجروا دار الكفر إلى دار الإسلام وجاهدوا معكم أيها المؤمنون، فأولئك منكم في الولاية يجب عليكم لهم من الحقّ والنصرة في الدين والموارثة مثل الذي يجب لكم عليهم ولبعضكم على بعض. كما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: ثم رد المواريث إلى الأرحام التي بينهم فقال: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهاجَرُوا وَجاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وأُولُوا الأرْحامِ بَعْضُهُمْ أوْلى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللَّهِ**﴾ أي في الميراث، ﴿**إنَّ اللَّهَ بِكُلّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وأُلُوا الأرْحامِ بَعْضُهُمْ أوْلى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللَّهِ إنَّ اللَّهَ بِكُلّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

يقول تعالى ذكره: والمتناسبون بالأرحام بعضهم أولى ببعض في الميراث، إذا كانوا ممن قسم الله له منه نصيباً وحظّاً من الحليف والوليّ، ﴿**فِي كِتاب اللَّهِ**﴾ يقول: في حكم الله الذي كتبه في اللوح المحفوظ والسابق من القضاء. ﴿**إنَّ اللَّهَ بِكُلّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾ يقول: إن الله عالم بما يصلح عباده في توريثه بعضهم من بعض في القرابة والنسب دون الحلف بالعقد، وبغير ذلك من الأمور كلها، لا يخفى عليه شيء منها.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أحمد بن المقدام، قال: ثنا المعتمر بن سليمان، قال: ثنا أبي، قال: ثنا قتادة أنه قال: كان لا يرث الأعرابي المهاجرَ حتى أنزل الله: ﴿**وأُولُوا الأرْحامِ بَعْضُهُمْ أوْلى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللَّهِ**﴾.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا معاذ بن معاذ، قال: ثنا ابن عون، عن عيسى بن الحرث، أن أخاه شريح بن الحرث كانت له سرية فولدت منه جارية، فلما شبت الجارية زوّجت، فولدت غلاماً، ثم ماتت السرية، واختصم شريح بن الحرث والغلام إلى شريح القاضي في ميراثها، فجعل شريح بن الحرث يقول: ليس له ميراث في كتاب الله. قال: فقضى شريح بالميراث للغلام. قال: ﴿**وأُولُوا الأرْحامِ بَعْضُهُمْ أوْلى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللَّهِ**﴾ فركب ميسرة بن يزيد إلى ابن الزبير، وأخبره بقضاء شريح وقوله، فكتب ابن الزبير إلى شريح أن ميسرة أخبرني أنك قضيت بكذا وكذا وقلت: ﴿**وأُولُوا الأرْحامِ بَعْضُهُمْ أوْلى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللَّهِ**﴾ وإنه ليس كذلك، إنما نزلت هذه الآية: أن الرجل كان يعاقد الرجل يقول: ترثني وأرثك، فنزلت: ﴿**وأُولُوا الأرْحامِ**

بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللَّهِ﴾. فجاء بالكتاب إلى شريح، فقال شريح: أعتقها جنين بطنها وأبى أن يرجع عن قضائه.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، عن ابن عون، قال: ثني عيسى بن الحرث، قال: كانت لشريح بن الحرث سرية، فذكر نحوه، إلا أنه قال في حديثه: كان الرجل يعاقد الرجل يقول: ترثني وأرثك فلما نزلت ترك ذلك.

(٩) سورة التوبة مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

القول في تفسير السورة التي يذكر فيها التوبة.

﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ۝١ فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ ۙ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ ۝٢﴾.

يعني بقوله جل ثناؤه: ﴿**بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسولِهِ**﴾ هذه براءة من الله ورسوله. فـ «براءة» مرفوعة بمحذوف، وهو «هذه»، كما في قوله: سُورَةٌ أَنْزَلْناها مرفوعة بمحذوف هو «هذه»، ولو قال قائل: براءة مرفوعة بالعائد من ذكرها في قوله: ﴿**إلى الَّذِينَ عاهَدْتُمْ**﴾ وجعلها كالمعرفة ترفع ما بعدها، إذ كانت قد صارت بصلتها وهي قوله: ﴿**مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ**﴾ كالمعرفة، وصار معنى الكلام: براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين كان مذهباً غير مدفوعة صحته، وإن كان القول الأول أعجب إليّ، لأن من شأن العرب أن يضمروا لكل معاين نكرة كان أو معرفة ذلك المعاين، هذا وهذه، فيقولون عند معاينتهم الشيء الحسن: حسن والله، والقبيح: قبيح والله، يريدون: هذا حسن والله، وهذا قبيح والله فلذلك اخترت القول الأوّل. وقال: ﴿**بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسولِهِ إلى الَّذِينَ عاهَدْتُمْ**﴾ والمعنى: إلى الذين عاهد رسول الله ﷺ من المشركين لأن العهود بين المسلمين والمشركين على عهد رسول الله ﷺ لم يكن يتولى عقدها إلا رسول الله ﷺ أو من يعقدها بأمره، ولكنه خاطب المؤمنين بذلك لعلمهم بمعناه، وأن عقود النبيّ ﷺ على أمته كانت عقودهم، لأنهم كانوا لكل أفعاله فيهم راضين، ولعقوده عليهم مسلمين، فصار عقده عليهم كعقودهم على أنفسهم، فلذلك قال: ﴿**إلى الَّذِينَ عاهَدْتُم مِنَ المُشْرِكِينَ**﴾ لما كان من عقد رسول الله ﷺ وعهده.

وقد اختلف أهل التأويل فيمن برىء الله ورسوله إليه من العهد الذي كان بينه وبين رسول الله من المشركين فأذن له في السياحة في الأرض أربعة أشهر، فقال بعضهم: صنفان من المشركين: أحدهما: كانت مدة العهد بينه وبين رسول الله ﷺ أقلّ من أربعة أشهر، وأمهل بالسياحة أربعة أشهر، والآخر منهما كانت مدة عهده بغير أجل محدود فقصر به على أربعة أشهر ليرتاد لنفسه، ثم هو حرب بعد ذلك لله ولرسوله وللمؤمنين يقتل حيثما أدرك ويؤسر إلا أن يتوب.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: بعث رسول الله ﷺ أبا بكر الصدّيق رضي الله عنه أميراً على الحاجّ من سنة تسع ليقيم للناس حجهم، والناس من أهل الشرك على منازلهم من حجهم. فخرج أبو بكر ومن معه من المسلمين، ونزلت سورة براءة في نقض ما بين رسول الله ﷺ وبين المشركين من العهد الذي كانوا عليه فيما بينه وبينهم: أن لا يصدّ عن البيت أحد جاءه، وأن لا يخاف أحد في الشهر الحرام. وكان ذلك عهداً عامّاً بينه وبين الناس من أهل الشرك، وكانت بين ذلك عهود بين رسول الله ﷺ وبين قبائل من العرب خصائص إلى أجل مسمى، فنزلت فيه وفيمن تخلف عنه من المنافقين في تبوك وفي قول من قال منهم، فكشف الله فيها سرائر أقوام كانوا يستخفون بغير ما يظهرون، منهم من سمي لنا، ومنهم من لم يسمّ لنا، فقال: ﴿**بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسولِهِ إلى الَّذِينَ عاهَدْتُمْ مِنَ المُشْرِكِينَ**﴾ أي لأهل العهد العام من أهل الشرك من العرب، ﴿**فَسِيحُوا فِي الأرْضِ أرْبَعَةَ أشْهُرٍ...**﴾ إلى قوله: ﴿**أنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ المُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ**﴾ أي بعد هذه الحجة.

وقال آخرون: بل كان إمهال الله عزّ وجلّ بسياحة أربعة أشهر من كان من المشركين بينه وبين رسول الله ﷺ عهد، فأما من لم يكن له من رسول الله عهد فإنما كان أجله خمسين ليلة، وذلك عشرون من ذي الحجة والمحرّم كله. قالوا: وإنما كان ذلك كذلك، لأن أجل الذين لا عهد لهم كان إلى انسلاخ الأشهر الحرم، كما قال الله: ﴿**فإذَا انْسَلَخَ الأشْهُرُ الحُرُمُ فاقْتُلُوا المُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ...**﴾ الآية، قالوا: والنداء ببراءة كان يوم الحجّ الأكبر، وذلك يوم النحر في قول قوم وفي قول آخرين: يوم عرفة، وذلك خمسون يوماً. قالوا: وأما تأجيل الأشهر الأربعة، فإنما كان لأهل العهد بينهم وبين رسول الله ﷺ من يوم نزلت براءة. قالوا: ونزلت في أوّل شوّال، فكان انقضاء مدة أجلهم انسلاخ الأشهر الحرم. وقد كان بعض من يقول هذه المقالة يقول: ابتداء التأجيل كان للفريقين واحداً، أعني الذي له العهد والذي لا عهد له غير أن أجل الذي كان له عهد كان أربعة أشهر، والذي لا عهد له: انسلاخ الأشهر الحرم، وذلك انقضاء المحرّم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: ﴿**بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسولِهِ إلى الَّذِينَ عاهَدْتُمْ مِنَ المُشْرِكِينَ فَسِيحُوا فِي الأرْضِ أرْبَعَةَ أشْهُرٍ**﴾ قال: حدّ الله للذين عاهدوا رسوله أربعة أشهر يسيحون فيها حيثما شاءوا، وحدّ أجل من ليس له عهد انسلاخ الأشهر الحرم من يوم النحر إلى انسلاخ المحرم، فذلك خمسون ليلة فإذا

انسلخ الأشهر الحرم أمره بأن يضع السيف فيمن عاهد.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: لما نزلت ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ...﴾ إلى: ﴿وأنَّ اللَّهَ مُخزِي الكافِرِينَ﴾ يقول: براءة من المشركين الذين كان لهم عهد، يوم نزلت براءة. فجعل مدة من كان له عهد قبل أن تنزل براءة أربعة أشهر، وأمرهم أن يسيحوا في الأرض أربعة أشهر، وجعل مدة المشركين الذين لم يكن لهم عهد قبل أن ينزل براءة انسلاخ الأشهر الحرم، وانسلاخ الأشهر الحرم من يوم أُذن ببراءة إلى انسلاخ المحرّم وهي خمسون ليلة: عشرون من ذي الحجة، وثلاثون من المحرّم. ﴿فإذا انْسَلَخَ الأشْهُرُ الحُرُمُ﴾ إلى قوله: ﴿وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصدٍ﴾ يقول: لم يبق لأحد من المشركين عهد ولا ذمة منذ نزلت براءة، وانسلخ الأشهر الحرم، ومدة من كان له عهد من المشركين قبل أن تنزل براءة أربعة أشهر من يوم أذن ببراءة إلى عشر من أول ربيع الآخر، فذلك أربعة أشهر.

حُدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ، قال: ثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسولِهِ إلى الَّذِينَ عاهَدْتُمْ مِنَ المُشْرِكِينَ﴾ قبل أن تنزل براءة عاهد ناساً من المشركين من أهل مكة وغيرهم، فنزلت براءة من الله إلى كل أحد ممن كان عاهدك من المشركين فإني أنقض العهد الذي بينك وبينهم، فأؤجلهم أربعة أشهر يسيحون حيث شاءوا من الأرض آمنين، وأجل من لم يكن بينه وبين النبيّ ﷺ عهد انسلاخ الأشهر الحرم من يوم أذن ببراءة وأذن بها يوم النحر، فكان عشرين من ذي الحجة والمحرّم ثلاثين، فذلك خمسون ليلة. فأمر الله نبيه إذا انسلخ المحرّم أن يضع السيف فيمن لم يكن بينه وبين نبيّ الله ﷺ عهد يقتلهم حتى يدخلوا في الإسلام، وأمر بمن كان له عهد إذا انسلخ أربعة من يوم النحر أن يضع فيهم السيف أيضاً يقتلهم حتى يدخلوا في الإسلام. فكانت مدة من لا عهد بينه وبين رسول الله ﷺ خمسين ليلة من يوم النحر، ومدة من كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد أربعة أشهر من يوم النحر إلى عشر يخلون من شهر ربيع الآخر.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسولِهِ...﴾ إلى قوله: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ ألِيمٍ﴾ قال: ذكر لنا أن علياً نادى بالأذان، وأُمّرَ على الحاج أبو بكر رضي الله عنهما، وكان العام الذي حجّ فيه المسلمون والمشركون، ولم يحجّ المشركون بعد ذلك العام. قوله: ﴿الَّذِينَ عاهَدْتُمْ مِنَ المُشْرِكِينَ...﴾ إلى قوله: ﴿إلى مُدَّتِهِمْ﴾ قال: هم مشركو قريش الذين عاهدهم رسول الله ﷺ زمن الحديبية، وكان بقي من مدتهم أربعة أشهر بعد يوم النحر وأمر الله نبيه أن يوفي بعهدهم إلى مدتهم ومن لا عهد له انسلاخ

المحرم، ونبذ إلى كل ذي عهد عهده، وأمر بقتالهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ولا يقبل منهم إلا ذلك.

وقال آخرون: كان ابتداء تأخير المشركين أربعة أشهر، وانقضاء ذلك لجميعهم وقتاً واحداً. قالوا: وكان ابتداؤه يوم الحجّ الأكبر، وانقضاؤه انقضاء عشر من ربيع الآخر.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿**بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسولِهِ إلى الَّذِينَ عاهَدْتُمْ مِنَ المُشْرِكِينَ**﴾ قال: لما نزلت هذه الآية، بريء من عهد كلّ مشرك، ولم يعاهد بعدها إلا من كان عاهد، وأجرى لكل مدتهم. ﴿**فَسِيحُوا فِي الأرْضِ أرْبَعَةَ أشْهُرٍ**﴾ لمن دخل عهده فيها من عشر ذي الحجة والمحرّم، وصفر وشهر ربيع الأوّل، وعشر من ربيع الآخر.

حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا أبو معشر، قال: ثنا محمد بن كعب القرظي وغيره، قالوا: بعث رسول الله ﷺ أبا بكر أميراً على الموسم سنة تسع، وبعث عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه بثلاثين أو أربعين آية من براءة، فقرأها على الناس يؤجل المشركين أربعة أشهر يسيحون في الأرض، فقرأ عليهم براءة يوم عرفة أجل المشركين عشرين من ذي الحجة، والمحرّم، وصفر، وشهر ربيع الأوّل، وعشراً من ربيع الآخر، وقرأها عليهم في منازلهم، وقال: لا يحجن بعد عامنا هذا مشرك ولا يطوفنّ بالبيت عريان.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: ﴿**فَسِيحُوا فِي الأرْضِ أرْبَعَةَ أشْهُرٍ**﴾ عشرون من ذي الحجة، والمحرم، وصفر، وربيع الأول، وعشر من ربيع الآخر كان ذلك عهدهم الذي بينهم.

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿**بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسولِهِ**﴾ إلى أهل العهد: خزاعة، ومدلج، ومن كان له عهد من غيرهم. أقبل رسول الله ﷺ من تبوك حين فرغ، فأراد رسول الله ﷺ الحجّ، ثم قال: «إنه يحضر المشركون فيطوفون عراة، فلا أحبّ أن أحجّ حتى لا يكون ذلك». فأرسل أبا بكر وعلياً رضي الله عنهما، فطافا بالناس بذي المجاز وبأمكنتهم التي كانوا يتبايعون بها وبالمواسم كلها، فآذنوا أصحاب العهد بأن يأمنوا أربعة أشهر، فهي الأشهر المتواليات عشرون من آخر ذي الحجة إلى عشر يخلون من شهر ربيع الآخر، ثم لا عهد لهم. وآذن الناس كلها بالقتال إلا أن يؤمنوا.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله:

﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسولِهِ إِلى الَّذِينَ عاهَدْتُمْ مِنَ المُشْرِكِينَ﴾ قال: أهل العهد مدلج، والعرب الذين عاهدهم، ومن كان له عهد. قال: أقبل رسول الله ﷺ من تبوك حين فرغ منها وأراد الحجّ، ثم قال: «إِنَّهُ يَحْضُرُ البَيْتَ مُشْرِكُونَ يَطُوفُونَ عُرَاةً فَلا أُحِبُّ أَنْ أحجَّ حتى لا يكُون ذلكَ» فأرسل أبا بكر وعلياً رضي الله عنهما، فطافا بالناس بذي المجاز، وبأمكنتهم التي كانوا يتبايعون بها وبالموسم كله، وآذنوا أصحاب العهد بأن يأمنوا أربعة أشهر، في الأشهر الحرم المنسلخات المتواليات: عشرون من آخر ذي الحجة إلى عشر يخلون من شهر ربيع الآخر، ثم لا عهد لهم. وآذان الناس كلهم بالقتال إلا أن يؤمنوا، فآمن الناس أجمعون حينئذ ولم يسح أحد. وقال: حين رجع من الطائف مضى من فوره ذلك، فغزا تبوك بعد إذ جاء إلى المدينة.

وقال آخرون ممن قال: «ابتداء الأجل لجميع المشركين وانقضاؤه كان واحداً». كان ابتداؤه يوم نزلت براءة، وانقضاؤه انقضاء الأشهر الحرم، وذلك انقضاء المحرم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن الأزهري: ﴿فَسِيحُوا فِي الأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ قال: نزلت في شوّال، فهذه الأربعة الأشهر: شوّال، وذو القعدة، وذو الحجة والمحرّم.

وقال آخرون: إنما كان تأجيل الله الأشهر الأربعة المشركين في السياحة لمن كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد مدته أقلّ من أربعة أشهر، أما من كان له عهد مدته أكثر من أربعة أشهر فإنه أمر ﷺ أن يتمّ له عهده إلى مدته.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، قال: قال الكلبي: إنما كانت الأربعة الأشهر لمن كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد دون الأربعة الأشهر، فأتمّ له الأربعة. ومن كان له عهداً أكثر من أربعة أشهر فهو الذي أمر أن يتمّ له عهده، وقال: ﴿أَتِمُّوا إِلَيهِمْ عَهْدَهُمْ إِلى مُدَّتِهِمْ﴾.

قال أبو جعفر رحمه الله: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: الأجل الذي جعله الله لأهل العهد من المشركين وأذن لهم بالسياحة فيه بقوله: ﴿فَسِيحُوا فِي الأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ إنما هو لأهل العهد الذين ظاهروا على رسول الله ﷺ ونقضوا عهدهم قبل انقضاء مدته فأما الذين لم ينقضوا عهدهم ولم يظاهروا عليه، فإن الله جلّ ثناؤه أمر نبيه ﷺ بإتمام العهد بينه وبينهم إلى مدته بقوله: ﴿إلا الذين عاهَدْتُمْ مِنَ المُشْرِكينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شيئاً ولَمْ يُظاهِرُوا عَلَيكُمْ أَحَداً فَأتمُّوا إِلَيهِمْ عَهْدَهُمْ إلى مُدَّتِهِمْ إنَّ الله يُحِبُّ المُتَّقِينَ﴾.

فإن ظنّ ظانّ أن قول الله تعالى ذكره: ﴿**فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الحُرُمُ فَاقْتُلُوا المُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ**﴾ يدلّ على خلاف ما قلنا في ذلك، إذ كان ذلك ينبيء عن أن الفرض على المؤمنين كان بعد انقضاء الأشهر الحرم قتل كل مشرك، فإن الأمر في ذلك بخلاف ما ظن، وذلك أن الآية التي تتلو ذلك تنبيء عن صحة ما قلنا وفساد ما ظنه من ظنّ أن انسلاخ الأشهر الحرم كان يبيح قتل كل مشرك كان له عهد من رسول الله ﷺ أو لم يكن له منه عهد، وذلك قوله: ﴿**كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلاَّ الَّذِينَ عاهَدْتُمْ عِنْدَ المَسْجِدِ الحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ المُتَّقِينَ**﴾ فهؤلاء مشركون، وقد أمر الله نبيه ﷺ والمؤمنين بالاستقامة لهم في عهدهم ما استقاموا لهم بترك نقض صلحهم وترك مظاهرة عدوّهم عليهم. وبعد: ففي الأخبار المتظاهرة عن رسول الله ﷺ أنه حين بعث علياً رضي الله عنه ببراءة إلى أهل العهود بينه وبينهم أمره فيما أمره أن ينادي به فيهم، ومن كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد، فعهده إلى مدته أوضح الدليل على صحة ما قلنا وذلك أن الله لم يأمر نبيه ﷺ بنقض عهد قوم كان عاهدهم إلى أجل فاستقاموا على عهده بترك نقضه، وأنه إنما أجل أربعة أشهر من كان قد نقض عهده قبل التأجيل أو من كان له عهد إلى أجل غير محدود، فأما من كان أجل عهده محدوداً ولم يجعل بنقضه على نفسه سبيلاً، فإن رسول الله ﷺ كان بإتمام عهده إلى غاية أجله مأموراً، بذلك بعث مناديه ينادي به في أهل الموسم من العرب.

حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا قيس، عن مغيرة، عن الشعبيّ، قال: ثني محرر بن أبي هريرة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنت مع عليّ رضي الله عنه حين بعثه النبي ﷺ ينادي، فكان إذا صَحِلَ صوته ناديت، قلت: بأي شيء كنتم تنادون؟ قال: بأربع: لا يطف بالكعبة عريان، ومن كان له عند رسول الله ﷺ عهد فعهده إلى مدته، ولا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة، ولا يحجّ بعد عامنا هذا مشرك.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا عفان، قال: ثنا قيس بن الربيع، قال: ثنا الشيباني، عن الشعبيّ، قال: أخبرنا المحرر بن أبي هريرة، عن أبيه، قال: كنت مع عليّ رضي الله عنه، فذكر نحوه، إلا أنه قال: «ومن كان بينه وبين رسول الله ﷺعهد فعهده إلى أجله».

وقد حدث بهذا الحديث شعبة، فخالف قيساً في الأجل.

فحدثني يعقوب بن إبراهيم ومحمد بن المثنى، قالا: ثنا عثمان بن عمر، قال: ثنا شعبة، عن المغيرة، عن الشعبيّ، عن المحرّر بن أبي هريرة، عن أبيه، قال: كنت مع عليّ حين بعثه رسول الله ﷺ ببراءة إلى أهل مكة، فكنت أنادي حتى صحل صوتي، فقلت: بأي شيء كنت تنادي؟ قال: أمرنا أن ننادي أنه لا يدخل الجنة إلا مؤمن، ومن كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد

فأجله إلى أربعة أشهر، فإذا حلّ الأجل فإن الله بريء من المشركين ورسوله، ولا يطف بالبيت عريان، ولا يحجّ بعد العام مشرك.

قال أبو جعفر رحمه الله: وأخشى أن يكون هذا الخبر وهما من ناقله في الأجل، لأن الأخبار متظاهرة في الأجل بخلافه مع خلاف قيس شعبة في نفس هذا الحديث على ما بينته.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن أبي إسحاق، عن الحرث الأعور عن عليّ رضي الله عنه، قال: أمرت بأربع: أمرت أن لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك، ولا يطف رجل بالبيت عرياناً، ولا يدخل الجنة إلا كل نفس مسلمة، وأن يتمّ إلى كل ذي عهد عهده.

حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن زيد بن يشيع[(١)] قال: نزلت براءة، فبعث بها رسول الله ﷺ أبا بكر، ثم أرسل عليّاً فأخذها منه. فلما رجع أبو بكر، قال: هل نزل فيّ شيء؟ قال: لا، ولكني أمرت أن أبلغها أنا أو رجل من أهل بيتي. فانطلق إلى مكة، فقام فيهم بأربع: أن لا يدخل مكة مشرك بعد عامه هذا، ولا يطف بالكعبة عريان، ولا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة، ومن كان بينه وبين رسول الله عهد فعهده إلى مدته.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبو أسامة، عن زكريا، عن أبي إسحاق، عن زيد بن يشيع، عن عليّ، قال: بعثني النبي ﷺ حين أنزلت براءة بأربع: أن لا يطف بالبيت عريان، ولا يقرب المسجد الحرام مشرك بعد عامهم هذا، ومن كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد فهو إلى مدته، ولا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن عبد الأعلى، عن معمر، عن أبي إسحاق، عن الحرث، عن عليّ رضي الله عنه، قال: بعثت إلى أهل مكة بأربع، ثم ذكر الحديث.

حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري، قال: ثنا حسين بن محمد، قال: ثنا سليمان بن قرم، عن الأعمش عن الحكم، عن مقسم، عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ بعث أبا بكر ببراءة، ثم أتبعه عليّاً، فأخذها منه، فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله حدث فيّ شيء؟ قال: «لا،

---

(١) في «**الخلاصة**»: زيد بن يثيغ، بمعجمتين مصغر. وقيل أثيغ، بهمزة. وفي «**القاموس**» يثيع، بالعين المهملة.

أنْتَ صَاحِبي فِي الغارِ وعَلى الحَوْضِ، ولاَ يُؤَدِّي عَنِّي إلاَّ أنا أوْ عليّ»، وكان الذي بعث به علياً أربعاً: لا يدخلَ الجنة إلا نفس مسلمة، ولا يحجّ بعد العام مشرك، ولا يطف بالبيت عريان، ومن كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد فهو إلى مدته.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن ابن أبي خالد، عن عامر، قال: بعث النبيّ ﷺ علياً رضي الله عنه، فنادى: ألا لا يحجنّ بعد العام مشرك، ولا يطف بالبيت عريان، ولا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة، ومن كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد فأجله إلى مدته، والله بريء من المشركين ورسولُه.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثنا محمد بن إسحاق، عن حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف، عن أبي جعفر محمد بن عليّ بن حسين بن عليّ، قال: لما نزلت براءة على رسول الله ﷺ، وقد كان بعث أبا بكر الصديق رضي الله عنه ليقيم الحجّ للناس قيل له: يا رسول الله لو بعثت إلى أبي بكر فقال: «لا يُؤَدِّي عَنِّي إلاَّ رَجُلٌ مِنْ أهْلِ بَيْتِي» ثم دعا عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: «اخْرُجْ بِهَذِهِ القِصَّةِ مِنْ صَدْرِ بَرَاءَةَ، وأذِّن في النَّاسِ يَوْمَ النَّحْرِ إذَا اجْتَمَعُوا بِمِنىً: أنَّه لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ كافِرٌ، ولاَ يَحُجُّ بَعْدَ العامِ مُشْرِكٌ، ولاَ يَطُفْ بالبَيْتِ عُرْيانٌ، وَمَنْ كانَ لَهُ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ عَهْدٌ فَهُوَ إلى مُدَّتِهِ» فخرج عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه على ناقة رسول الله ﷺ العضباء، حتى أدرك أبا بكر الصديق بالطريق فلما رآه أبو بكر، قال: أمير أو مأمور؟ قال: مأمور. ثم مضيا رضي الله عنهما، فأقام أبو بكر للناس الحجّ والعرب إذ ذاك في تلك السنة على منازلهم من الحجّ التي كانوا عليها في الجاهلية، حتى إذا كان يوم النحر، قام عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، فأذّن في الناس بالذي أمره رسول الله ﷺ، فقال: يا أيها الناس لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة، ولا يحجّ بعد العام مشرك، ولا يطف بالبيت عريان، ومن كان له عهد رسول الله ﷺ فهو له إلى مدته فلم يحجّ بعد ذلك العام مشرك، ولم يطف بالبيت عريان. ثم قدما على رسول الله ﷺ، وكان هذا من براءة فيمن كان من أهل الشرك من أهل العهد العام وأهل المدة إلى الأجل المسمى.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قال: لما نزلت هذه الآيات إلى رأس أربعين آية، بعث بهنّ رسول الله ﷺ مع أبي بكر وأمّره على الحجّ، فلما سار فبلغ الشجرة من ذي الحليفة أتبعه بعليّ فأخذها منه، فرجع أبو بكر إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله بأبي أنت وأمي أنزل في شأني شيء؟ قال: «لا، ولَكِنْ لا يُبَلِّغُ عَنِّي غَيرِي أوْ رَجُلٌ مِنِّي أما تَرْضَى يا أبا بَكْرٍ أنَّكَ كُنْتَ مَعِي في الغارِ، وأنَّكَ صَاحِبي على الحَوْضِ؟» قال: بلى يا رسول الله. فسار أبو بكر على الحاجّ، وعليّ يؤذن ببراءة، فقام يوم الأضحى، فقال:

لا يقربنّ المسجد الحرام مشرك بعد عامه هذا، ولا يطوفنّ بالبيت عريان، ومن كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد فله عهده إلى مدته، وإن هذه أيام أكل وشرب، وإن الله لا يدخل الجنة إلا من كان مسلماً. فقالوا: نحن نبرأ من عهدك وعهد ابن عمك إلا من الطعن والضرب فرجع المشركون فلام بعضهم بعضاً، وقالوا: ما تصنعون وقد أسلمت قريش؟ فأسلموا.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن أبي إسحاق، عن زيد بن يشيع، عن عليّ، قال: أمرت بأربع: أن لا يقرب البيت بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ولا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة، وأن يتمّ إلى كل ذي عهد عهده قال معمر: وقاله قتادة.

قال أبو جعفر رحمه الله، فقد أنبأت هذه الأخبار ونظائرها عن صحة ما قلنا، وأن أجل الأشهر الأربعة إنما كان لمن وصفنا، فأما كان عهده إلى مدة معلومة فلم يجعل لرسول الله ﷺ وللمؤمنين لنقضه ومظاهرة أعدائهم عليهم سبيلاً، فإن رسول الله ﷺ قد وَفَّى له عهده إلى مدته عن أمر الله إياه بذلك، وعلى ذلك دلّ ظاهر التنزيل وتظاهرت به الأخبار عن الرسول ﷺ. وأما الأشهر الأربعة فإنها كانت أجلَ من ذكرنا، وكان ابتداؤها يوم الحجّ الأكبر وانقضاؤها انقضاء عشر من ربيع الآخر، فذلك أربعة أشهر متتابعة، جعل لأهل العهد الذين وصفنا أمرهم فيها السياحة في الأرض، يذهبون حيث شاءوا، لا يعرض لهم فيها من المسلمين أحد بحرب ولا قتل ولا سلب.

فإن قال قائل: فإذا كان الأمر في ذلك كما وصفت، فما وجه قوله: **﴿فإذَا انْسَلَخَ الأشْهُرُ الحُرُمُ فاقْتُلُوا المُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُموهُمْ وقد علمت أن انسلاخها انسلاخ المحرم﴾**، وقد زعمت أن تأجيل القوم من الله ومن رسوله كان أربعة أشهر، وإنما بين الحج الأكبر وانسلاخ الأشهر الحرم خمسون يوماً أكثره، فأين الخمسون يوماً من الأشهر الأربعة؟ قيل: إن انسلاخ الأشهر الحرم إنما كان أجل من لا عهد له من المشركين من رسول الله ﷺ، والأشهر الأربعة لمن له عهد، إما إلى أجل غير محدود وإما إلى أجل محدود قد نقضه، فصار بنقضه إياه بمعنى من خيف خيانته، فاستحق النبذ إليه على سواء غير أنه جعل له الاستعداد لنفسه والارتياد لها من الأجل الأربعة الأشهر، ألا ترى الله يقول لأصحاب الأشهر الأربعة، ويصفهم بأنهم أهل عهد **﴿بَرَاءةٌ مِنَ الله وَرَسُولِهِ إلى الَّذِينَ عاهَدْتُمْ مِنَ المُشْرِكِينَ فَسِيحُوا فِي الأرْضِ أرْبَعَةَ أشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أنَّكُمْ غيرُ مُعْجِزِي الله﴾** ووصف المجعول لهم انسلاخ الأشهر الحرم أجلاً بأنهم أهل شرك لا أهل عهد، فقال: **﴿وأذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إلى النَّاسِ يَوْمَ الحَجّ الأكْبَرِ أنَّ الله بَرِيءٌ مِنَ المُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ. . .﴾** الآية **﴿إلاَّ الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ المُشْرِكِينَ. . .﴾** الآية، ثم قال: **﴿فإذَا انْسَلَخَ الأشْهُرُ الحُرُمُ فاقْتُلُوا المُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾**؟ فأمر بقتل المشركين الذين لا عهد لهم بعد انسلاخ الأشهر الحرم،

وبإتمام عهد الذين لهم عهد إذا لم يكونوا نقضوا عهدهم بالمظاهرة على المؤمنين وإدخال النقص فيه عليهم.

فإن قال قائل: وما الدليل على أن ابتداء التأجيل كان يوم الحجّ الأكبر دون أن يكون كان من شوّال على ما قاله قائلو ذلك؟ قيل له: إن قائلي ذلك زعموا أن التأجيل كان من وقت نزول براءة، وذلك غير جائز أن يكون صحيحاً لأن المجعول له أجل السياحة إلى وقت محدود إذا لم يعلم ما جعل له، ولا سيما مع عهد له قد تقدم قبل ذلك بخلافه، فكمن لم يجعل له ذلك لأنه إذا لم يعلم ماله في الأجل الذي جعل له وما عليه بعد انقضائه فهو كهيئته قبل الذي جعل له من الأجل، ومعلوم أن القوم لم يعلموا بما جعل لهم من ذلك إلا حين نودي فيهم بالموسم، وإذا كان ذلك كذلك صحّ أن ابتداءه ما قلنا وانقضاءه كان ما وصفنا.

وأما قوله: ﴿**فَسِيحُوا فِي الأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ**﴾ فإنه يعني: فسيروا فيها مقبلين ومدبرين، آمنين غير خائفين من رسول الله ﷺ وأتباعه، يقال منه: ساح فلان في الأرض يسيح سياحة وسُيُوحاً وسيحاناً.

وأما قوله: ﴿**واعْلَمُوا أَنَّكُمْ غيرُ مَعْجِزِي الله**﴾ فإنه يقول لأهل العهد من الذين كان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد قبل نزول هذه الآية: اعملوا أيها المشركون أنكم إن سحتم في الأرض واخترتم ذلك مع كفركم بالله على الإقرار بتوحيد وتصديق رسوله، ﴿**غَيْرُ مُعْجِزِي الله**﴾ يقول: غير مفيتيه بأنفسكم لأنكم حيث ذهبتم وأين كنتم من الأرض ففي قبضته وسلطانه، لا يمنعكم منه وزير ولا يحول بينكم وبينه إذا أرادكم بعذاب معقل ولا موئل إلا الإيمان به وبرسوله والتوبة من معصيته. يقول: فبادروا عقوبته بتوبة، ودعوا السياحة التي لا تنفعكم.

وأما قوله: ﴿**وأنَّ اللَّهَ مُخْزِي الكافِرِينَ**﴾ يقول: واعلموا أن الله مذلّ الكافرين، ومورثهم العار في الدنيا والنار في الآخرة.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَأَذَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وإعلام من الله ورسوله إلى الناس يوم الحجّ الأكبر. وقد بيَّنا معنى الأذان فيما مضى من كتابنا هذا بشواهده.

وكان سليمان بن موسى يقول في ذلك ما:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، قال: زعم سليمان بن موسى الشامي أنه قوله: ﴿وأذانٌ مِنَ اللَّهِ ورَسُولِهِ﴾ قال: الأذان القصص، فاتحة براءة حتى تختم: ﴿وإنْ خفتُمْ عَيلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ فذلك ثمان وعشرون آية.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وأذانٌ مِنَ اللَّهِ ورَسُولِهِ﴾ قال: إعلام من الله ورسوله.

ورفع قوله: ﴿وأذانٌ مِنَ اللَّهِ﴾ عطفاً على قوله: ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ﴾ كأنه قال: هذه براءة من الله ورسوله، وأذان من الله.

وأما قوله: ﴿يَوْمُ الحَجِّ الأكْبَرِ﴾ فإنَّ فيه اختلافاً بين أهل العلم، فقال بعضهم: هو يوم عرفة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، قال: أخبرنا أبو زرعة، وهبة الله بن راشد، قالا: أخبرنا حيوة بن شريح، قال: أخبرنا أبو صخر، أنه سمع أبا معاوية البجلي من أهل الكوفة يقول: سمعت أبا الصهباء البكري، وهو يقول: سألت عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه عن يوم الحجّ الأكبر، فقال: إن رسول الله ﷺ بعث أبا بكر بن أبي قحافة رضي الله عنه يقيم للناس الحجّ، وبعثني معه بأربعين آية من براءة، حتى أتى عرفة، فخطب الناس يوم عرفة فلما قضى خطبته التفت إليّ، فقال قم يا عليّ وأدّ رسالة رسول الله ﷺ فقمت فقرأت عليهم أربعين آية من براءة ثم صدرنا حتى أتينا منى، فرميت الجمرة، ونحرت البدنة، ثم حلقت رأسي، وعلمت أن أهل الجمع لم يكونوا حضروا خطبة أبي بكر يوم عرفة، فطفقت أتتبع بها الفساطيط أقرؤها عليهم، فمن ثم إخال حسبتم أنه يوم النحر، ألا وهو يوم عرفة.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن أبي إسحاق، قال: سألت أبا جحيفة عن يوم الحجّ الأكبر، فقال: يوم عرفة، فقلت: أمن عندك أو من أصحاب محمد؟ قال: كل ذلك.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا ابن جريج، عن عطاء، قال: الحجّ الأكبر: يوم عرفة.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن عمر بن الوليد الشني، عن شهاب بن عباد العصري، عن أبيه، قال: قال عمر رضي الله عنه: يوم الحجّ الأكبرّ: يوم عرفة. فذكرته لسعيد بن المسيب، فقال: أخبرك عن ابن عمر أن عمر قال: الحجّ الأكبر: عرفة.

حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا عمر بن الوليد الشني، قال: ثنا

شهاب بن عباد العصري، عن أبيه، قال: سمعت عمر بن الخطاب رحمة الله عليه يقول: هذا يوم عرفة يوم الحجّ الأكبر فلا يصومنه أحد قال: فحججت بعد أبي، فأتيت المدينة، فسألت عن أفضل أهلها، فقالوا: سعيد بن المسيب. فأتيته فقلت: إني سألت عن أفضل أهل المدينة، فقالوا: سعيد بن المسيب، فأخبرني عن صوم يوم عرفة فقال: أخبرك عمن هو أفضل مني أضعافاً: عمر أو ابن عمر، كان ينهى عن صومه، ويقول: هو يوم الحجّ الأكبر.

حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا عبد الصمد بن حبيب، عن معقل بن داود، قال: سمعت ابن الزبير يقول: يوم عرفة هذا يوم الحجّ الأكبر فلا يصمه أحد.

حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا غالب بن عبيد الله، قال: سألت عطاء عن يوم الحجّ الأكبر: فقال: يوم عرفة، فأفض منها قبل طلوع الفجر.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا محمد بن بكر، عن ابن جريج، قال: أخبرني محمد بن قيس بن مخرمة قال: خطب النبي ﷺ عشية عرفة، ثم قال: «أمّا بَعْدُ» وكان لا يخطب إلا قال: «أما بعد» «فإنَّ هذَا يَوْم الحَجِّ الأكْبَرِ».

حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا عبد الوهاب، عن مجاهد، قال: يوم الحجّ الأكبر: يوم عرفة.

حدثني الحرث، قال: ثنا القاسم، قال: ثنا إسحاق بن سليمان، عن سلمة بن محب، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: يوم الحجّ الأكبر يوم عرفة.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: أخبرني طاوس، عن أبيه، قال: قلنا: ما الحجّ الأكبر؟ قال: يوم عرفة.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن إدريس، قال: أخبرنا ابن جريج، عن محمد بن قيس بن مخرمة، أن رسول الله ﷺ خطب يوم عرفة فقال: «هَذَا يَوْمُ الحَجّ الأكْبَرِ».

وقال آخرون: هو يوم النحر.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا سفيان، عن أبي إسحاق، عن الحرث، عن عليّ، قال: يوم الحجّ الأكبر يوم النحر.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا مصعب بن سلام، عن الأجلح، عن أبي إسحاق، عن

الحرث، عن علي قال: يوم الحجّ الأكبر يوم النحر.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، قال: ثنا عنبسة، عن أبي إسحاق، عن الحرث، قال: سألت علياً عن الحجّ الأكبر، فقال: هو يوم النحر.

حدثنا ابن أبي الشوارب، قال: ثنا عبد الواحد، قال: ثنا سليمان الشيباني، قال: سألت عبد الله بن أبي أوفى، عن الحجّ الأكبر، قال: فقال يوم النحر.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن عياش العامري، عن عبد الله بن أبي أوفى، قال: يوم الحج الأكبر يوم النحر.

قال: ثنا سفيان، عن عبد الملك بن عمير، عن عبد الله بن أبي أوفى، قال: يوم الحجّ الأكبر يوم النحر.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن عبد الملك. قال: دخلت أنا وأبو سلمة على عبد الله بن أبي أوفى، قال: فسألته عن يوم الحجّ الأكبر، فقال: يوم النحر، يوم يهراق فيه الدم.

حدثنا عبد الحميد بن بيان، قال: أخبرنا إسحاق، عن سفيان، عن عبد الملك بن عمير، عن عبد الله، قال: يوم الحجّ الأكبر يوم النحر.

حدثنا أبو كريب وأبو السائب، قالا: ثنا ابن إدريس، عن الشيبانيّ، قال: سألت ابن أبي أوفى عن يوم الحجّ الأكبر؟ قال: هو يوم النحر.

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا الشيباني، عن عبد الله بن أبي أوفى، قال: يوم الحجّ الأكبر يوم النحر.

قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا عبد الملك بن عمير، قال: سمعت عبد الله بن أبي أوفى، وسئل عن قوله: ﴿يَوْمُ الحَجِّ الأَكْبَرِ﴾ قال: هو اليوم الذي يراق فيه الدم ويحلق فيه الشعر.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا أبو داود، قال: ثنا شعبة، عن الحكم، قال: سمعت يحيى بن الجزار يحدّث عن عليّ: أنه خرج يوم النحر على بغلة بيضاء يريد الجبانة، فجاءه رجل فأخذ بلجام بغلته، فسأله عن الحجّ الأكبر، فقال: هو يومك هذا، خلّ سبيلها

حدثنا عبد الحميد بن بيان، قال: ثنا إسحاق، عن مالك بن مغول وشتير، عن أبي إسحاق، عن الحرث، عن عليّ، قال: يوم الحجّ الأكبر يوم النحر.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن عيينة، عن أبي إسحاق، عن الحرث، عن عليّ، قال:

سئل عن يوم الحجّ الأكبر، قال: هو يوم النحر.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن شعبة، عن الحكم، عن يحيى بن الجزار، عن عليّ، أنه لقيه رجل يوم النحر، فأخذ بلجامه، فسأله عن يوم الحجّ الأكبر، قال: هو هذا اليوم.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا يحيى بن آدم، عن قيس، عن عبد الملك بن عمير وعياش العامري، عن عبد الله بن أبي أوفى، قال: هو اليوم الذي يهراق فيه الدماء.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن عيينة، عن عبد الملك بن عمير، عن ابن أبي أوفى، قال: الحجّ الأكبر، يوم تهراق فيه الدماء، ويحلق فيه الشعر، ويحلّ فيه الحرام.

حدثني عيسى بن عثمان بن عيسى الرملي، قال: ثنا يحيى بن عيسى، عن الأعمش، عن عبد الله بن يسار، قال: ثنا المغيرة بن شعبة يوم الأضحى على بعير، فقال: هذا يوم الأضحى، وهذا يوم النحر، وهذا يوم الحجّ الأكبر.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن الأعمش، عن عبد الله بن يسار، قال: خطبنا المغيرة بن شعبة يوم الأضحى على بعير، وقال: هذا يوم الأضحى، وهذا يوم النحر، وهذا يوم الحجّ الأكبر.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن الأعمش، عن عبد الله بن يسار، قال: خطبنا المغيرة بن شعبة، فذكر نحوه.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا يحيى بن سعيد، عن حماد بن سلمة، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: الحجّ الأكبر يوم النحر.

حدثنا ابن أبي الشوارب، قال: ثنا عبد الواحد، قال: ثنا سليمان الشيباني، قال: سمعت سعيد بن جبير يقول: الحجّ الأكبر يوم النحر.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عبيد الله، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن أبي جحيفة، قال: الحجّ الأكبر: يوم النحر.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن أبي بشر، قال: اختصم عليّ بن عبد الله بن عباس ورجل من آل شيبة في يوم الحجّ الأكبر، قال عليّ: هو يوم النحر، وقال الذي من آل شيبة: هو يوم عرفة. فأرسل إلى سعيد بن جبير فسألوه، فقال: هو يوم النحر، إلا ترى أن من فاته يوم عرفة لم يفته الحجّ، فإذا فاته يوم النحر فقد فاته الحجّ؟

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا يونس، عن سعيد بن جبير، أنه قال: الحجّ الأكبر: يوم النحر. قال: فقلت له: إن عبد الله بن شيبة ومحمد بن عليّ بن عبد الله بن عباس اختلفا في ذلك، فقال محمد بن عليّ: هو يوم النحر، وقال عبد الله: هو يوم عرفة. فقال سعيد بن جبير: أرأيت لو أن رجلاً فاته يوم عرفة أكان يفوته الحجّ؟ وإذا فاته يوم النحر فاته الحجّ!.

حدثنا أبو كريب وأبو السائب، قالا: ثنا ابن إدريس، عن الشيباني، عن سعيد بن جبير، قال: الحجّ الأكبر يوم النحر.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا المعتمر بن سليمان، عن أبيه، قال: ثني رجل، عن أبيه، عن قيس بن عبادة، قال: ذو الحجة العاشر النحر، وهو يوم الحجّ الأكبر.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن أبي إسحاق، عن عبد الله بن شداد، قال: يوم الحجّ الأكبر: يوم النحر، والحجّ الأصغر: العُمرة.

حدثنا عبد الحميد بن بيان، قال: أخبرنا إسحاق، عن شريك، عن أبي إسحاق، عن عبد الله بن شداد بن الهاد، قال: الحجّ الأكبر يوم النحر.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا المحاربي، عن مسلم الحجبي، قال: سألت نافع بن جبير بن مطعم، عن يوم الحجّ الأكبر، قال: يوم النحر.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عنبسة، عن المغيرة، عن إبراهيم، قال: كان يقال: الحجّ الأكبر يوم النحر.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن إسرائيل، عن جابر، عن عامر، قال: يوم الحجّ الأكبر يوم يهراق فيه الدم، ويحلّ فيه الحرام.

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا مغيرة، عن إبراهيم، أنه قال: يوم الحجّ الأكبر يوم النحر الذي يحلّ فيه كلّ حرام.

قال: ثنا هشيم، عن إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي، عن عليّ، قال: يوم الحجّ الأكبر يوم النحر.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبو أسامة، عن ابن عون، قال: سألت محمداً عن يوم الحجّ الأكبر فقال: كان يوماً وافق فيه حجّ رسول الله ﷺ وحجّ أهل الوبر.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا الحكم بن بشير، قال: ثنا عمر بن ذرّ، قال: سألت مجاهداً عن يوم الحجّ الأكبر، فقال: هو يوم النحر.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن مجاهد، يوم الحجّ الأكبر يوم النحر.

حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا إسرائيل، عن ثور، عن مجاهد يوم الحجّ الأكبر يوم النحر.

حدثنا أحمد، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا إسرائيل، عن جابر، عن عامر، قال: يوم الحجّ الأكبر يوم النحر وقال عكرمة: يوم الحجّ الأكبر: يوم النحر، يوم تهراق فيه الدماء، ويحلّ فيه الحرام. قال: وقال مجاهد: يوم يجمع فيه الحجّ كله، وهو يوم الحجّ الأكبر.

قال: ثنا إسرائيل، عن عبد الأعلى، عن محمد بن عليّ: يوم الحجّ الأكبر يوم النحر.

قال: ثنا إسرائيل، عن عبد الأعلى، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، مثله.

قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا حماد بن سلمة، عن سماك بن حرب، عن عكرمة، عن ابن عباس مثله.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن أبي إسحاق، قال: قال عليّ الحجّ الأكبر: يوم النحر. قال: وقال الزهري: يوم النحر: يوم الحجّ الأكبر.

حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب، قال: ثنا عمي عبد الله بن وهب، قال: أخبرني يونس وعمرو عن الزهري، عن حميد بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة، قال: بعثني رسول الله ﷺ مع أبي بكر في الحجة التي أمره رسول الله ﷺ عليها قبل حجة الوداع في رهط يؤذنون في الناس يوم النحر: ألا لا يحجّ بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان قال الزهري: فكان حميد يقول: يوم النحر: يوم الحجّ الأكبر.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: ثنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الشعبي، عن أبي إسحاق، قال: سألت عبد الله بن شداد عن الحجّ الأكبر والحجّ الأصغر، فقال: الحجّ الأكبر: يوم النحر، والحجّ الأصغر: العُمرة.

قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن أبي إسحاق، قال: سألت عبد الله بن شداد، فذكره نحوه.

قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا ابن عيينة، عن عبد الملك بن عمير، قال:

سمعت عبد الله بن أبي أوفى يقول: يوم الحجّ الأكبر: يوم يوضع في الشعر، ويهراق فيه الدم، ويحلّ فيه الحرام.

قال: ثنا الثوريّ، عن أبي إسحاق، عن عليّ، قال: الحجّ الأكبر يوم النحر.

حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا قيس، عن عياش العامري، عن عبد الله بن أبي أوفى، أنه سئل عن يوم الحجّ الأكبر، فقال: سبحان الله، هو يوم يهراق فيه الدماء، ويحلّ فيه الحرام، ويوضع فيه الشعر وهو يوم النحر.

قال: ثنا إسرائيل، عن أبي حصين، عن عبد الله بن يسار، قال: خطبنا المغيرة بن شعبة على ناقة له، فقال: هذا يوم النحر، وهذا يوم الحجّ الأكبر.

قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا حسن بن صالح، عن مغيرة، عن إبراهيم، قال: يوم الحجّ الأكبر يوم النحر.

حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، عن إبراهيم بن طهمان، عن مغيرة، عن إبراهيم: يوم الحجّ الأكبر: يوم النحر، ويحلّ فيه الحرام.

حدثني أحمد بن المقدام، قال: ثنا يزيد بن زريع، قال: ثنا ابن عون، عن محمد بن سيرين، عن عبد الرحمن بن أبي بكرة، عن أبيه، قال: لما كان يوم ذلك، قعد على بعير له النبيّ، وأخذ إنسان بخطامه أو زمامه، فقال: «أيّ يوْمٍ هَذَا؟» قال: فسكتنا حتى ظننا أنه سيسميه غير اسمه، فقال: «أَلَيْسَ يَوْمُ الحَجِّ؟».

حدثنا سهل بن محمد الحساني، قال: ثنا أبو جابر الحرثي، قال: ثنا هشام بن الغازي الجرشي، عن نافع، عن ابن عمر، قال: وقف رسوله الله ﷺ يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع، فقال: «هَذَا يَوْمُ الحَجِّ الأَكْبَرِ».

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن عمرو بن مرّة، عن مرّة الهمداني، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: قام فينا رسول الله ﷺ على ناقة حمراء مخضرمة، فقال: «أَتَدْرُونَ أَيَّ يَوْمٍ يَوْمُكُمْ؟» قالوا: يوم النحر، قال: «صَدَقْتُمْ يَوْمَ الحَجِّ الأكبر».

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا يحيى بن سعيد، قال: ثنا شعبة، قال: أخبرني عمرو بن مرّة، قال: ثنا مرّة، قال: ثنا رجل من أصحاب النبيّ ﷺ، قال: قام فينا رسول الله ﷺ فذكره نحوه.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن إدريس، قال: أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد، عن أبيه، قال: بعث رسول الله ﷺ علياً بأربع كلمات حين حجّ أبو بكر بالناس، فنادى ببراءة: إنه يوم الحجّ الأكبر، ألا إنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة، ألا ولا يطوف بالبيت عريان، ألا ولا يحجّ بعد العام مشرك، ألا ومن كان بينه وبين محمد عهد فأجله إلى مدته، والله بريء من المشركين ورَسُولُه.

حدثني يعقوب، قال: ثني هشيم، عن حجاج بن أرطاة، عن عطاء، قال: يوم الحجّ الأكبر يوم النحر.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**يَوْمُ الحَجّ الأَكْبَرِ**﴾ قال: يوم النحر: يوم يحلّ فيه المحرم، وينحر فيه البدن. وكان ابن عمر يقول: هو يوم النحر، وكان أبي يقوله. وكان ابن عباس يقول: هو يوم عرفة. ولم أسمع أحداً يقول إنه يوم عرفة إلا ابن عباس. قال ابن زيد: والحجّ يفوت بفوت يوم النحر ولا يفوت بفوت يوم عرفة، إن فاته اليوم لم يفته الليل، يقف ما بينه وبين طلوع الفجر.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قال: يوم الأضحى: يوم الحجّ الأكبر.

حدثنا سفيان، قال: ثنا أبي، عن شعبة، عن عمرو بن مرّة، قال: ثني رجل من أصحاب رسول الله ﷺ في غرفتي هذه، حسبته قال: خطبنا رسول الله ﷺ يوم النحر على ناقة حمراء مخضرمة، فقال: «أتَدْرُونَ أيُّ يَوْمٍ هَذَا؟ هَذَا يَوْمُ النَّحْرِ وهَذَا يَوْمُ الحَجّ الأكْبَرِ».

وقال آخرون: معنى قوله: ﴿**يَوْمُ الحَجّ الأَكْبَرِ**﴾ حين الحجّ الأكبر ووقته. قال: وذلك أيام الحجّ كلها لا يوم بعينه.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿**يَوْمُ الحَجّ الأَكْبَرِ**﴾ حين الحجّ، أيامه كله.

حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا ابن عيينة، عن ابن جريج، عن مجاهد، قال: الحجّ الأكبر: أيام مِنى كلها، ومجامع المشركين حين كانوا بذي المجاز وعكاظ ومجنّة، حين نودي فيهم: أن لا يجتمع المسلمون والمشركون بعد عامهم هذا وأن لا يطوف بالبيت عريان ومن كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد فعهده إلى مدته.

حدثني الحرث، قال: ثنا أبو عبيد، قال: كان سفيان يقول: يوم الحجّ، ويوم الجمل، ويوم صفين: أي أيامه كلها.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد في قوله: ﴿**يَوْمُ الحَجِّ الأَكْبَرِ**﴾ قال حين الحج، أي أيامه كلها.

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصحة عندنا: قول من قال: ﴿**يَوْمُ الحَجِّ الأَكْبَرِ**﴾: يوم النحر لتظاهر الأخبار عن جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ أن علياً نادى بما أرسله به رسول الله ﷺ من الرسالة إلى المشركين، وتلا عليهم براءة يوم النحر. هذا مع الأخبار التي ذكرناها عن رسول الله ﷺ أنه قال يوم النحر: «أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟ هَذَا يَوْمُ الحَجِّ الأَكْبَرِ. وبعد: فإن اليوم إنما يضاف إلى المعنىٰ الذي يكون فيه، كقول الناس: يوم عرفة، وذلك يوم وقوف الناس بعرفة، ويوم الأضحى، وذلك يوم يضحون فيه ويوم الفطر، وذلك يوم يفطرون فيه وكذلك يوم الحجّ، يوم يحجون فيه. وإنما يحجّ الناس ويقضون مناسكهم يوم النحر، لأن في ليلة نهار يوم النحر الوقوف بعرفة كان إلى طلوع الفجر، وفي صبيحتها يعمل أعمال الحجّ فأما يوم عرفة فإنه وإن كان الوقوف بعرفة فغير فائت الوقوف به إلى طلوع الفجر من ليلة النحر، والحجّ كله يوم النحر.

وأما ما قال مجاهد من أن يوم الحجّ إنما هو أيامه كلها، فإن ذلك وإن كان جائزاً في كلام العرب، فليس بالأشهر الأعرف في كلام العرب من معانيه، بل غلب على معنى اليوم عندهم أنه من غروب الشمس إلى مثله من الغد، وإنما محمل تأويل كتاب الله على الأشهر الأعرف من كلام من نزل الكتاب بلسانه.

واختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله قيل لهذا اليوم: يوم الحجّ الأكبر، فقال بعضهم: سمي بذلك لأن ذلك كان في سنة اجتمع فيها حج المسلمين والمشركين.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن الحسن، قال: إنما سمي الحجّ الأكبر من أجل أنه حجّ أبو بكر الحجة التي حجها، واجتمع فيها المسلمون والمشركون، فلذلك سمي الحجّ الأكبر، ووافق أيضاً عيد اليهود والنصارى.

حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا حماد بن سلمة، عن عليّ بن زيد بن جدعان عن عبد الله بن الحرث بن نوفل، قال: يوم الحجّ الأكبر كانت حجة الوداع اجتمع فيه حجّ المسلمين والنصارى واليهود ولم يجتمع قبله ولا بعده.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو سفيان، عن معمر، عن الحسن، قال

قوله: ﴿يَوْمَ الحَجِّ الأَكْبَرِ﴾ قال: إنما سمي الحجّ الأكبر لأنه يوم حجّ فيه أبو بكر، ونبذت فيه العهود.

وقال آخرون: الحجّ الأكبر: القران، والحجّ الأصغر: الإفراد.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا أبو بكر النهشلي، عن حماد، عن مجاهد، قال: كان يقال: الحجّ الأكبر والحجّ الأصغر فالحجّ الأكبر: القران، والحجّ الأصغر: إفراد الحجّ.

وقال آخرون: الحجّ الأكبر: الحجّ، والحجّ الأصغر: العمرة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا محمد بن بكر، عن ابن جريج، عن عطاء، قال: الحجّ الأكبر: الحجّ، والحجّ الأصغر: العمرة.

قال: ثنا عبد الأعلى، عن داود، عن عامر، قال: قلت له: هذا الحجّ الأكبر، فما الحجّ الأصغر؟ قال: العُمرة.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن داود بن أبي هند، عن الشعبي، قال: كان يقال: الحجّ الأصغر: العمرة في رمضان.

قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد، قال: كان يقول: الحجّ الأصغر: العمرة.

قال: ثنا عبد الرحمن، عن سفيان، عن أبي أسماء، عن عبد الله بن شداد، قال: يوم الحجّ الأكبر: يوم النحر، والحجّ الأصغر: العمرة.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن الزهري: أن أهل الجاهلية كانوا يسمون الحجّ الأصغر: العمرة.

قال أبو جعفر: وأولى هذه الأقوال بالصواب في ذلك عندي قول من قال: الحجّ الأكبر الحجّ لأنه أكبر من العمرة بزيادة عمله على عملها، فقيل له الأكبر لذلك. وأما الأصغر فالعمرة، لأن عملها أقلّ من عمل الحجّ، فلذلك قيل لها الأصغر لنقصان عملها عن عمله.

وأما قوله: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ فإن معناه: أن الله بريء من عهد المشركين ورسوله بعد هذه الحجة. ومعنى الكلام: وإعلام من الله ورسوله إلى الناس في يوم الحجّ الأكبر، أن الله ورسوله من عهد المشركين بريئان كما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿**أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ**﴾ أي بعد هذه الحجة.

القول في تأويل قوله تعالى:﴿فإنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيرٌ لَكُمْ وَإنْ تَوَلَّيْتُمْ فاعْلَمُوا أنَّكُمْ غيرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذابٍ أليمٍ﴾.

يقول تعالى: ﴿**فإن تبتم من كفركم أيها المشركون، ورجعتم إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له دون الآلهة والأنداد، فالرجوع إلى ذلك خير لكم من الإقامة على الشرك في الدنيا والآخرة**﴾. ﴿**وإنْ تَوَلَّيْتُمْ**﴾ يقول: وإن أدبرتم عن الإيمان بالله وأبيتم إلا الإقامة على شرككم. ﴿**فاعْلَمُوا أنَّكُمْ غيرُ مُعْجِزي اللَّهِ**﴾ يقول: فأيقنوا أنكم لا تفيتون الله بأنفسكم من أن يحلّ بكم عذابه الأليم وعقابه الشديد على إقامتكم على الكفر، كما فعل بذويكم من أهل الشرك، من إنزال نقمه به وإحلاله العذاب عاجلاً بساحته. ﴿**وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ يقول: واعلم يا محمد الذين جحدوا نبوّتك وخالفوا أمر ربهم بعذاب موجع يحلّ بهم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، قوله: ﴿**فإنْ تُبْتُمْ**﴾ قال آمنتم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿**وأذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إلى النَّاسِ يَوْمَ الحَجِّ الأكْبَرِ أنَّ اللَّهَ بَريءٌ مِنَ المُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ**﴾، ﴿**إلاَّ**﴾ من عهد ﴿**الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ المُشْرِكِينَ**﴾ أيها المؤمنون، ﴿**ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئاً**﴾ من عهدكم الذي عاهدتموهم، ﴿**ولَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أحَداً**﴾ من عدوّكم، فيعينوهم بأنفسهم وأبدانهم، ولا بسلاح ولا خيل ولا رجال. ﴿**فأتِمُّوا إلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إلى مُدَّتِهِمْ**﴾ يقول: ففوا لهم بعهدهم الذي عاهدتموهم عليه، ولا تنصبوا لهم حرباً إلى انقضاء أجل عهدهم الذي بينكم وبينهم. ﴿**إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ المُتَّقِينَ**﴾ يقول: إن الله يحبّ من اتقاه بطاعته بأداء فرائضه واجتناب معاصيه.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿**فأتِمُّوا إلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إلى مُدَّتِهِمْ**﴾ يقول: إلى أجلهم.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿**إلاَّ الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ المُشْرِكِينَ**﴾: أي العهد الخاصّ إلى الأجل المسمى. ﴿**ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئاً...**﴾ الآية.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿إلاَّ الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ المُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئاً ولَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَداً...﴾** الآية، قال: هم مشركو قريش الذين عاهدهم رسول الله ﷺ زمن الحديبية. وكان بقي من مدتهم أربعة أشهر بعد يوم النحر، فأمر الله نبيه أن يوفي لهم بعهدهم إلى مدتهم، ومن لا عهد له إلى انسلاخ المحرّم، ونبذ إلى كل ذي عهد عهده، وأمره بقتالهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأن لا يقبل منهم إلا ذلك.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: مدة من كان له عهد المشركين قبل أن تنزل براءة أربعة أشهر من يوم أذن ببراءة إلى عشر من شهر ربيع الآخر، وذلك أربعة أشهر، فإن نقض المشركون عهدهم وظاهروا عدوّاً فلا عهد لهم، وإن وفوا بعدهم الذي بينهم وبين رسول الله ﷺ ولم يظاهروا عليه عدوّاً، فقد أمر أن يؤدي إليهم عهدهم ويفي به.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾﴾.

يعني جلّ ثناؤه بقوله: **﴿فإذَا انْسَلَخَ الأشْهُرُ الحُرُمُ﴾** فإذا انقضى ومضى وخرج، يقال منه: سلخنا شهر كذا نسلخه سَلْخاً وسُلُوخاً، بمعنى: خرجنا منه، ومنه قولهم: شاة مسلوخة، بمعنى: المنزوعة من جلدها المخرجة منه ويعني بالأشهر الحرم: ذا القعدة، وذا الحجة، والمحرّم، أو إنما أريد في هذا الموضع انسلاخ المحرّم وحده، لأن الأذان كان ببراءة يوم الحجّ الأكبر، فمعلوم أنهم لم يكونوا أجلوا الأشهر الحرم كلها وقد دللنا على صحة ذلك فيما مضى. ولكنه لما كان متصلاً بالشهرين الآخرين قبله الحرامين وكان هولهما ثالثاً وهي كلها متصل بعضها ببعض، قيل: فإذا انسلخ الأشهر الحرم.

ومعنى الكلام: فإذا انقضت الأشهر الحرم الثلاثة عن الذين لا عهد لهم، أو عن الذين كان لهم عهد، فنقضوا عهدهم بمظاهرتهم الأعداء على رسول الله وعلى أصحابه، أو كان عهدهم إلى أجل غيره معلوم **﴿فاقْتُلُوا المُشْرِكِينَ﴾** يقول: فاقتلوهم **﴿حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾** يقول: حيث لقيتوهم من الأرض في الحرم وغير الحرم في الأشهر الحُرم وغير الأشهر الحرم. **﴿وَخُذُوهُمْ﴾** يقول:

وأسروهم ﴿وَاحْصُرُوهُمْ﴾ يقول: وامنعوهم من التصرف في بلاد الإسلام ودخول مكة. ﴿وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ يقول: واقعدوا لهم بالطلب لقتلهم أو أسرهم كلّ مرصد، يعني: كلّ طريق ومرقب، وهو مفعل من قول القائل رصدت فلاناً أرصُده رَصْداً، بمعنى: رقبته. ﴿فإنْ تابُوا﴾ يقول: فإن رجعوا عما نهاهم عليه من الشرك بالله وجحود نبوّة نبيه محمد ﷺ إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له، دون الآلهة والأنداد، والإقرار بنبوّة محمد ﷺ ﴿وأقامُوا الصَّلاةَ﴾ يقول: وأدّوا ما فرض الله عليهم من الصلاة بحدودها وأعْطُوا الزّكاةَ التي أوجبها الله عليهم في أموالهم أهلها. ﴿فخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ يقول: فدعوهم يتصرّفون في أمصاركم ويدخلون البيت الحرام. ﴿إنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لمن تاب من عباده، فأناب إلى طاعته بعد الذي كان عليه من معصيته، ساتر على ذنبه، رحيم به أن يعاقبه على ذنوبه السالفة قبل توبته، بعد التوبة. وقد ذكرنا اختلاف المختلفين في الذين أُجّلوا إلى انسلاخ الأشهر الحرم.

وبنحو ما قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا عبد الأعلى بن واصل الأسديّ، قال: ثنا عبيد الله بن موسى، قال: أخبرنا أبو جعفر الرازي عن الربيع، عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ فَارَقَ الدُّنْيَا على الإخْلاص للّهِ وَحْدَهُ وَعِبادَتِهِ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً، فَارَقَها والله عَنْهُ رَاضٍ» قال: وقال أنس: هو دين الله الذي جاءت به الرسل، وبلغوه عن ربهم قبل هرج الأحاديث واختلاف الأهواء، وتصديق ذلك في كتاب الله في آخر ما أنزل الله، قال الله: ﴿فإنْ تَابُوا وأقامُوا الصَّلاةَ وآتَوُا الزَّكاةَ فخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ قال: توبتهم خلع الأوثان وعبادة ربهم، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة. ثم قال في آية أخرى: ﴿فإنْ تَابُوا وأقامُوا الصَّلاةَ وآتُوا الزَّكَاةَ فإخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿فإذَا انْسَلَخَ الأشْهُرُ الحُرُمُ فاقْتُلُوا المُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ حتى ختم آخر الآية. وكان قتادة يقول: خلوا سبيل من أمركم الله أن تخلوا سبيله، فإنما الناس ثلاثة رهط: مسلم عليه الزكاة، ومشرك عليه الجزية، وصاحب حرب يأمن بتجارته في المسلمين إذا أعطى عشور ماله.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿فإذَا انسَلَخَ الأشْهُرُ الحُرُمُ﴾ وهي الأربعة التي عددت لك، يعني عشرين من ذي الحجة والمحرّم وصفر وربيعاً الأول وعشراً من شهر ربيع الآخر.

وقال قائلوا هذه المقالة: قيل لهذه الأشهر الحرم لأن الله عزّ وجلّ حرّم على المؤمنين فيها دماء المشركين والعَرْض لهم إلا بسبيل خير.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن إبراهيم بن أبي بكر، أنه أخبره، عن مجاهد وعمرو بن شعيب، في قوله: ﴿**فإذَا انسَلَخَ الأشْهُرُ الحُرُمُ**﴾ أنها الأربعة التي قال الله: ﴿**فَسِيحُوا في الأرْضِ**﴾ قال: هي الحرم من أجل أنهم أُومِنُوا فيها حتى يسيحوها.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ المُشْرِكِينَ فَسِيحُوا في الأرْضِ أرْبَعَةَ أشْهُرٍ**﴾ قال: ضرب لهم أجل أربعة أشهر، وتبرأ من كلّ مشرك، ثم أمر إذا انسلخت تلك الأشهر الحرم ﴿**فاقْتُلُوا المُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ**﴾ لا تتركوهم يضربون في البلاد، ولا يخرجون للتجارة، ضيقوا عليهم. بعدها أمر بالعفو: ﴿**فإنْ تَابُوا وأقامُوا الصَّلاةَ وآتُوا الزَّكاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿**فإذَا انْسَلَخَ الأشْهُرُ الحُرُمُ**﴾ يعني الأربعة التي ضرب الله لهم أجلاً لأهل العهد العام من المشركين. ﴿**فاقْتُلُوا المُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ...**﴾ الآية.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه: وإن استأمنك يا محمد من المشركين الذين أمرتك بقتالهم وقتلهم بعد انسلاخ الأشهر الحرم أحد ليسمع كلام الله منك، وهو القرآن الذي أنزله الله عليه. ﴿**فأجِرْهُ**﴾ يقول: فأمنه، ﴿**حتَّى يَسمعَ كلام اللَّهِ**﴾ وتتلوه عليه. ﴿**ثُمَّ أبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ**﴾ يقول: ثم ردّه بعد سماعه كلام الله إن هو أبى أن يسلم ولم يتعظ بما تلوته عليه من كلام الله فيؤمن إلى مأمنه، يقول: إلى حيث يأمن منك وممن في طاعتك حتى يلحق بداره وقومه من المشركين. ﴿**ذلكَ بأنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْلَمُونَ**﴾ يقول: تفعل ذلك بهم من إعطائك إياهم الأمان، ليسمعوا القرآن، وردّك إياهم إذا أبوا الإسلام إلى مأمنهم، من أجل أنهم قوم جهلة لا يفقهون عن الله حجة ولا يعلمون ما لهم بالإيمان بالله لو آمنوا وما عليهم من الوزر والإثم بتركهم الإيمان بالله.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿**وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ**﴾: أي من هؤلاء الذين أمرتك بقتالهم، ﴿**فَأَجِرْهُ**﴾.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿**فَأَجِرْهُ حتى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ**﴾ أما كلام الله: فالقرآن.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿**وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ**﴾ قال: إنسان يأتيك فيسمع ما تقول ويسمع ما أنزل عليك فهو آمن حتى يأتيك فيسمع كلام الله، وحتى يبلغ مأمنه حيث جاء.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد بنحوه.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب، عن جعفر، عن سعيد، قال: خرج رسول الله ﷺ غازياً، فلقي العدوّ، وأخرج المسلمون رجلاً من المشركين وأشرعوا فيه الأسنة، فقال الرجل: ارفعوا عني سلاحكم، وأسمعوني كلام الله تعالى فقالوا: تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وتخلع الأنداد وتتبرأ من اللات والعُزّى؟ فقال: فإني أشهدكم أني قد فعلت.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ**﴾ قال: إن لم يوافقه ما تقول عليه وتحدّثه، فأبلغه. قال: وليس هذا بمنسوخ.

واختلف في حكم هذه الآية، وهل هو منسوخ أو هو غير منسوخ؟ فقال بعضهم: هو غير منسوخ، وقد ذكرنا قول من قال ذلك.

وقال آخرون: هو منسوخ.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا سفيان، عن جويبر، عن الضحاك: ﴿**فاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ**﴾ نسختها: ﴿**فإمَّا مَنّاً بَعْدُ وَإمَّا فِدَاءً**﴾.

قال: ثنا سفيان، عن السديّ، مثله.

وقال آخرون: بل نسخ قوله: ﴿**فاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ**﴾ قوله: ﴿**فإمَّا مَنّاً بَعْدُ**﴾.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عبدة بن سليمان، عن ابن أبي عروبة، عن قتادة: حَتَّى إذَا

أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الوَثَاقَ نسخها قوله: ﴿فَاقْتُلُوا المُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾.

وقال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك عندي قول من قال: ليس ذلك بمنسوخ، وقد دللنا على أن معنى النسخ هو نفي حكم قد كان ثبت بحكم آخر غيره، ولم تصحّ حجة بوجوب حكم الله في المشركين بالقتل بكلّ حال ثم نسخه بترك قتلهم على أخذ الفداء ولا على وجه المنّ عليهم. فإذا كان ذلك كذلك فكان الفداء والمنّ والقتل لم يزل من حكم رسول الله ﷺ فيهم من أولّ حرب حاربهم، وذلك من يوم بدر كان معلوماً أن معنى الآية: فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم، وخذوهم للقتل أو المن أو الفداء واحصروهم، وإذا كان ذلك معناه صحّ ما قلنا في ذلك دون غيره.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: أنى يكون أيها المؤمنون بالله ورسوله، وبأيّ معنى يكون للمشركين بربهم عهد وذمة عند الله وعند رسوله، يوفي لهم به، ويتركوا من أجله آمنين يتصرفون في البلاد وإنما معناه: لا عهد لهم، وأن الواجب على المؤمنين قتلهم حيث وجدوهم إلا الذين أعطوا العهد عند المسجد الحرام منهم، فإن الله جلّ ثناؤه أمر المؤمنين بالوفاء لهم بعهدهم والاستقامة لهم عليه، ما داموا عليه للمؤمنين مستقيمين.

واختلف أهل التأويل في الذين عُنوا بقوله: ﴿إلاَّ الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ المَسْجِدِ الحَرَامِ﴾ فقال بعضهم: هم قوم من جذيمة بن الديل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿كَيفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إلاَّ الَّذِينَ عاهدْتُمْ عِنْدَ المَسْجِدِ الحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فاسْتَقِيمُوا لَهُمْ﴾ هم بنو جذيمة بن الديل.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن محمد بن عباد بن جعفر، قوله: ﴿إلاَّ الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ المُشْرِكِينَ﴾ قال: هم جذيمة بكر من كنانة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿كَيفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ الذين كانوا وأنتم على العهد العام بأن لا تمنعوهم ولا يمنعوكم من الحرم ولا في الشهر الحرام، ﴿عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إلاَّ الَّذِينَ عاهدْتُمْ عِنْدَ المَسْجِدِ الحَرَامِ﴾ وهي قبائل بني بكر الذين كانوا دخلوا

في عهد قريش وعقدتم يوم الحديبية إلى المدة التي كانت بين رسول الله ﷺ وبين قريش، فلم يكن نقضها إلا هذا الحيّ من قريش وبنو الديل من بكر، فأمر بإتمام العهد لمن لم يكن نقض عهده من بني بكر إلى مدته ﴿**فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ**...﴾ الآية.

وقال آخرون: هم قريش.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس، قوله: ﴿**إلاَّ الَّذِينَ عاهَدْتُمْ عِنْدَ المَسْجِدِ الحَرَامِ**﴾ هم قريش.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس: ﴿**إلاَّ الَّذِينَ عاهَدْتُمْ عِنْدَ المَسْجِدِ الحَرَامِ**﴾ يعني: أهل مكة.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿**إلاَّ الَّذِينَ عاهَدْتُمْ عِنْدَ المَسْجِدِ الحَرَامِ**﴾ يقول: هم قوم كان بينهم وبين النبي ﷺ مدة، ولا ينبغي لمشرك أن يدخل المسجد الحرام ولا يعطي المسلم الجزية. ﴿**فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فاسْتَقِيمُوا لَهُمْ**﴾ يعني: أهل العهد من المشركين.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**إلاَّ الَّذِينَ عاهَدْتُمْ عِنْدَ المَسْجِدِ الحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فاسْتَقِيمُوا لَهُمْ**﴾ قال: هؤلاء قريش. وقد نسخ هذا الأشهر التي ضربت لهم، وغدروا بهم فلم يستقيموا، كما قال الله فضرب لهم بعد الفتح أربعة أشهر يختارون من أمرهم: إما أن يسلموا، وإما أن يلحقوا بأيّ بلاد شاءوا قال: فأسلموا قبل الأربعة الأشهر، وقبل قَتْلٍ.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر عن قتادة: ﴿**إلاَّ الَّذِينَ عاهَدْتُمْ عِنْدَ المَسْجِدِ الحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فاسْتَقِيمُوا لَهُمْ**﴾ قال: هم قوم جذيمة. قال: فلم يستقيموا، نقضوا عهدهم أي أعانوا بني بكر حلف قريش على خزاعة حلف النبي ﷺ.

وقال آخرون: هم قوم من خزاعة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا ابن عيينة، عن ابن جريج، عن مجاهد: ﴿**إلاَّ الَّذِينَ عاهَدْتُمْ عِنْدَ المَسْجِدِ الحَرَامِ**﴾ قال: أهل العهد من خزاعة.

قال أبو جعفر: وأولى هذه الأقوال بالصواب عندي قول من قال: هم بعض بني بكر من

كنانة، ممن كان أقام على عهده ولم يكن دخل في نقض ما كان بين رسول الله ﷺ وبين قريش يوم الحديبية من العهد مع قريش حين نقضوه بمعونتهم حلفاءهم من بني الديل على حلفاء رسول الله ﷺ من خزاعة.

وإنما قلت هذا القول أولى الأقوال في ذلك بالصواب لأن الله أمر نبيه والمؤمنين بإتمام العهد لمن كانوا عاهدوه عند المسجد الحرام، ما استقاموا على عهدهم. وقد بينا أن هذه الآيات إنما نادى بها عليّ في سنة تسع من الهجرة، وذلك بعد فتح مكة بسنة، فلم يكن بمكة من قريش ولا خزاعة كافر يومئذ بينه وبين رسول الله ﷺ عهد فيؤمر بالوفاء له بعهده ما استقام على عهده، لأن من كان منهم من ساكني مكة كان قد نقض العهد وحورب قبل نزول هذه الآيات.

وأما قوله: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ**﴾ فإن معناه: إن الله يحبّ من اتقى وراقبه في أداء فرائضه، والوفاء بعهده لمن عاهده، واجتناب معاصيه، وترك الغدر بعهوده لمن عاهده.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨﴾﴾.

يعني جلّ ثناؤه بقوله: كيف يكون لهؤلاء المشركين الذين نقضوا عهدهم أو لمن لا عهد له منهم منكم أيها المؤمنون عهد وذمة، وهم إن يظهروا عليكم يغلبوكم، لا يرقبوا فيكم إلاً ولا ذمة. واكتفى ب «كيف» دليلاً على معنى الكلام، لتقدم ما يراد من المعنى بها قبلها وكذلك تفعل العرب إذا أعادت الحرف بعد مضي معناه استجازوا حذف الفعل، كما قال الشاعر:

وخَبَّرْتُمَانِي أنَّمَا المَوْتُ فِي القُرَى ... فَكَيْفَ وَهَذِي هَضْبَةٌ وكَثِيبُ[1]

فحذف الفعل بعد كيف لتقدم ما يراد بعدها قبلها.

ومعنى الكلام: فكيف يكون الموت في القرى وهذي هضبة وكثيب لا ينجو فيهما منه أحد.

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿**لاَ يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلاً وَلا ذِمَّةً**﴾ فقال بعضهم: معناه: لا يرقبوا الله فيكم ولا عهداً.

---

(١) البيت لكعب بن سعد الغنوي «**مجموع أشعار العرب**» (١/ ١٤) من قصيدة له، عدة أبياتها ثلاثة وعشرون، وهو التاسع عشر فيها، يرثي أخا له. ورواية البيت فيه:

وَحَدَّثْتُمَانِي أنَّمَا المَوْتُ في القُرَى ... فَكَيْفَ وَهَاتَا رَوْضَةٌ وَقَلِيبُ

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿**لاَ يَرْقَبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إلاًّ**﴾ قال الله.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، عن سليمان، عن أبي مجلز، في قوله: ﴿**لاَ يَرْقَبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إلاًّ وَلا ذِمَّةً**﴾ قال: مثل قوله جبرائيل ميكائيل إسرافيل، كأنه يقال: يضاف «جبر» و «ميكا» و «إسراف» إلى «إيل»، يقول: عبد الله ﴿**لاَ يَرْقَبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إلاًّ**﴾ كأنه يقول: لا يرقبون الله.

حدثني محمد بن عبد الأعلى، قال: ثني محمد بن ثور، عن معمر، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿**إلاًّ وَلا ذِمَّةً**﴾ لا يرقبون الله ولا غيره.

وقال آخرون: الإلّ: القرابة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**لاَ يَرْقَبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إلاًّ وَلا ذِمَّةً**﴾ يقول: قرابة ولا عهداً. وقوله: ﴿**وإنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إلاًّ وَلا ذِمَّةً**﴾ قال: الإلّ: يعني القرابة، والذمة: العهد.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿**لاَ يَرْقَبُوا إلاًّ وَلا ذِمَّةً**﴾ الإلّ: القرابة، والذمة: العهد. يعني: أهل العهد من المشركين، يقول: ذمتهم.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبو معاوية، وعبدة عن حوشب، عن الضحاك: الإلّ: القرابة.

حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا محمد بن عبد الله، عن سلمة بن كهيل، عن عكرمة، عن ابن عباس: ﴿**لاَ يَرْقَبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إلاًّ وَلاَ ذِمَّةً**﴾ قال: الإلّ: القرابة، والذمة: العهد.

حُدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ، قال: أخبرنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿**لاَ يَرْقَبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إلاًّ وَلاَ ذِمَّةً**﴾ الإلّ: القرابة، والذمة: الميثاق.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿**كَيْفَ وَإنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ**﴾ المشركون، لا يرقبوا فيكم عهداً ولا قرابة ولا ميثاقاً.

وقال آخرون: معناه: الحلف.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**لاَ يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلاًّ ولاَ ذِمَّةً**﴾ قال: الإلّ: الحلف، والذمة: العهد.

وقال آخرون: الإلّ: هو العهد ولكنه كرّر لما اختلف اللفظان وإن كان معناهما واحداً.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿**إِلاًّ**﴾ قال: عهداً.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**لاَ يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً**﴾ قال: لا يرقبوا فيكم عهداً ولا ذمة. قال: إحداهما من صاحبتها كهيئة «غفور رحيم»، قال: فالكلمة واحدة وهي تفترق، قال: والعهد هو الذمة.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن خصيف، عن مجاهد: ﴿**وَلا ذِمَّةً**﴾ قال: العهد.

حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا قيس، عن خصيف، عن مجاهد: ﴿**وَلاَ ذِمَّةً**﴾ قال: الذمة العهد.

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر عن هؤلاء المشركين الذين أمر نبيه والمؤمنين بقتلهم بعد انسلاخ الأشهر الحرم وحصرهم والقعود لهم على كلّ موصد أنهم لو ظهروا على المؤمنين لم يرقبوا فيهم إلاًّ، والإلّ: اسم يشتمل على معان ثلاثة: وهي العهد والعقد، والحلف، والقرابة، وهو أيضاً بمعنى الله. فإذ كانت الكلمة تشمل هذه المعاني الثلاثة، ولم يكن الله خص من ذلك معنى دون معنى، فالصواب أن يعمّ ذلك كما عمّ بها جلّ ثناؤه معانيها الثلاثة، فيقال: لا يرقبون في مؤمن الله، ولا قرابة، ولا عهداً، ولا ميثاقاً. ومن الدلالة على أنه يكون بمعنى القرابة قول ابن مقبل:

أَفْسَدَ النَّاسَ خُلُوفٌ خَلَفُوا قَطَعُوا الإلّ وأَعْرَاقَ الرَّحِمْ[(١)]

(١) الخلوف: جمع خلف، بسكون اللام، وهم الذين يخلفون غيرهم في ديارهم، خياراً كانوا أو أشراراً. وقيل إنه خاص بالأشرار، يقال: هؤلاء خلف سوء، وهم الأخساء الأردياء. والإل في البيت بمعنى القرابة وهو بمعنى ما بعده.

بمعنى: قطعوا القرابة وقول حسان بن ثابت:

لَعَمْرُكَ إنَّ إلَّكَ مِنْ قُرَيْشٍ كَإلِّ السَّقْبِ مِنْ رَألِ النَّعامِ[1]

وأما معناه: إذا كان بمعنى العهد. فقول القائل:

وَجَدْنَاهُمْ كاذِباً إلُّهُمْ وذُو الإلّ والعَهْدِ لا يَكْذِبُ[2]

وقد زعم بعض من ينسب إلى معرفة كلام العرب من البصريين، أن الإلّ والعهد والميثاق واليمين واحد، وأن الذمة في هذا الموضع: التذمم ممن لا عهد له، والجمع: ذمم. وكان ابن إسحاق يقول: عنى بهذه الآية: أهل العهد العام.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿**كَيفَ وَإنْ يَظهَرُوا عَلَيكُمْ**﴾ أي المشركون الذين لا عهد لهم إلى مدة من أهل العهد العام ﴿**لاَ يَرْقُبُوا فِيكُمْ إلاًّ وَلاَ ذِمَّةً**﴾.

وأما قوله: ﴿**يَرْضُونَكُمْ بأفْوَاهِهِمْ**﴾ فإنه يقول: يعطونكم بألسنتهم من القول خلاف ما يضمرونه لكم في نفوسهم من العداوة والبغضاء. ﴿**وتَأْبَى قُلُوبُهُمْ**﴾: أي تأبى عليهم قلوبهم أن يذعنوا لكم بتصديق ما يبدونه لكم بألسنتهم. يحذر جلّ ثناؤه أمرهم المؤمنين ويشحذهم على قتلهم واجتياحهم حيث وجدوا من أرض الله، وألا يقصروا في مكروههم بكل ما قدروا عليه. ﴿**وأكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ**﴾ يقول: وأكثرهم مخالفون عهدكم ناقصون له، كافرون بربهم خارجون عن طاعته.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَن سَبِيلِهِ ۚ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩)﴾.

يقول جلّ ثناؤه: ابتاع هؤلاء المشركون الذين أمركم الله أيها المؤمنون بقتلهم حيث وجدتموهم بتركهم اتباع ما احتجّ الله به عليهم من حججه يسيراً من العوض قليلاً من عرض الدنيا وذلك أنهم فيما ذكر عنهم كانوا نقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله ﷺ بأكلة أطعمهموها أبو سفيان بن حرب.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن

(١) البيت أورده صاحب «اللسان» «أل» ونسبه لحسان بن ثابت، واشتهد به على أن الإل في البيت معناه القرابة.

(٢) الإل هنا: بمعنى العهد، بقرينة عطف «العهد» عليه.

مجاهد، في قوله: ﴿اشْتَرَوا بآياتِ اللَّهِ ثَمَناً قَلِيلاً﴾ قال: أبو سفيان بن حرب أطعم حلفاءه، وترك حلفاء محمد ﷺ.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد مثله.

وأما قوله: ﴿فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ﴾ فإن معناه: فمنعوا الناس من الدخول في الإسلام، وحاولوا ردّ المسلمين عن دينهم. ﴿إنَّهُمْ ساءَ ما كانُوا يَعْلَمُونَ﴾ يقول جلّ ثناؤه: إن هؤلاء المشركين الذين وصفت صفاتهم، ساء عملهم الذي كانوا يعملون من اشترائهم الكفر بالإيمان والضلالة بالهدى، وصدّهم عن سبيل الله من آمن بالله ورسوله أو من أراد أن يؤمن.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: لا يتقي هؤلاء المشركون الذين أمرتكم أيها المؤمنون بقتلهم حيث وجدتموهم في قتل مؤمن لو قدروا عليه ﴿إلاً وَلاَ ذِمَّةً﴾ يقول: فلا تبقوا عليهم أيها المؤمنون، كما لا يبقون عليكم لو ظهروا عليكم. ﴿وأُلَئِكَ هُمُ المُعْتَدُونَ﴾ يقول: المتجاوزون فيكم إلى ما ليس لهم بالظلم والاعتداء.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾.

يقول جلّ ثناؤه: فإن رجع هؤلاء المشركون الذين أمرتكم أيها المؤمنون بقتلهم عن كفرهم وشركهم بالله إلى الإيمان به وبرسوله وأنابوا إلى طاعته وأقاموا الصلاة المكتوبة فأدّوها بحدودها وآتوا الزكاة المفروضة أهلها ﴿فإخْوَانُكُمْ في الدّينِ﴾ يقول: فهم إخوانكم في الدين الذي أمركم الله به، وهو الإسلام. ﴿وَنُفَصّلُ الآياتِ﴾ يقول: ونبين حجج الله وأدلته على خلقه، ﴿لِقَوْم يَعْلَمُونَ﴾ ما بين لهم فنشرحها لهم مفصلة دون الجهال الذين لا يعقلون عن الله بيانه ومحكم آياته.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿فإنْ تَابُوا وأقامُوا الصَّلاةَ وآتَوُا الزَّكاةَ فإخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ يقول: إن تركوا اللات والعُزّى، وشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﴿فإخْوَانُكُمْ فِي الدّينِ ونُفَصّلُ الآياتِ لِقَوْمِ يَعْلَمُونَ﴾.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا حفص بن غياث، عن ليث، عن رجل، عن ابن عباس: ﴿فإنْ تابُوا وأقامُوا الصَّلاةَ وآتُوا الزَّكاةَ﴾ قال: حرّمت هذه الآية دماء أهل القبلة.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: افترضت الصلاة والزكاة جميعاً لم يفرق بينهما وقرأ: ﴿فإنْ تابُوا وأقامُوا الصَّلاةَ وآتُوا الزَّكاةَ فإخْوَانُكُمْ في الدِّين﴾ وأبى أن يقبل الصلاة إلا بالزكاة. وقال: رحم الله أبا بكر ما كان أفقهه.

حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا شريك، عن أبي إسحاق، عن أبي عبيدة، عن عبد الله، قال: أمرتم بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، ومن لم يزكّ فلا صلاة له.

وقيل: ﴿فإخْوَانُكُمْ﴾ فرفع بضمير: فهم إخوانكم، إذ كان قد جرى ذكرهم قبل، كما قال: ﴿فإنْ لَمْ تَعْلَمُوا آباءَهُمْ فإخْوَانكمْ فِي الدِّينِ﴾.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فإن نقض هؤلاء المشركون الذين عاهدتموهم من قريش عهودهم من بعد ما عاقدوكم، أن لا يقاتلوكم ولا يظاهروا عليكم أحداً من أعدائكم ﴿وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ﴾ يقول: وقدحوا في دينكم الإسلام، فثلموه وعابوه. ﴿فَقاتِلُوا أئمَّةَ الكُفْرِ﴾ يقول: فقاتلوا رؤساء الكفر بالله. ﴿إنَّهُمْ لا أيمَانَ لَهُمْ﴾ يقول: إن رؤساء الكفر لا عهد لهم. ﴿لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾ لكي ينتهوا عن الطعن في دينكم والمظاهرة عليكم.

وبنحو ما قلنا في ذلك، قال أهل التأويل على اختلاف بينهم في المعنيين بأئمة الكفر، فقال بعضهم: هم أبو جهل بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وأبو سفيان بن حرب ونظراؤهم. وكان حذيفة يقول: لم يأت أهلها بعد. ذكر من قال هم من سمّيت:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَإنْ نَكَثُوا أيمَانَهُمْ مَنْ بَعْد عَهْدِهِمْ...﴾ إلى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾ يعني: أهل العهد من المشركين، سماهم أئمة الكفر، وهم كذلك. يقول الله لنبيه: وإن نكثوا العهد الذي بينك وبينهم فقاتل أئمة الكفر، لأنهم لا أيمان لهم، لعلهم ينتهون.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿وَإنْ نَكَثُوا أيمَانَهُمْ مَنْ بَعْد

عَهْدِهِمْ...﴾ إلى: ﴿يَنتَهُونَ﴾، فكان من أئمة الكفر: أبو جهل بن هشام، وأمية بن خلف، وعتبة بن ربيعة، وأبو سفيان، وسهيل بن عمرو، وهم الذين هموا بإخراجه.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: أئمة الكفر: أبو سفيان، وأبو جهل، وأمية بن خلف، وسهيل بن عمرو، وعتبة بن ربيعة.

حدثنا ابن وكيع وابن بشار، قال ابن وكيع: ثنا غندر، وقال ابن بشار: ثنا محمد بن جعفر، عن شعبة، عن أبي بشر، عن مجاهد: **﴿فَقَاتِلُوا أئمَّةَ الكُفرِ أنَّهُمْ لا أيمَانَ لَهُمْ﴾** قال أبو سفيان منهم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: **﴿وَإنْ نَكَثُوا أيمَانَهُمْ...﴾** إلى: **﴿يَنتَهُونَ﴾** هؤلاء قريش، يقول: إن نكثوا عهدهم الذي عاهدوا على الإسلام وطعنوا فيه، فقاتلوهم.

حُدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ، قال: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: **﴿فَقَاتِلُوا أئمَّةَ الكُفرِ﴾** يعني: رأس المشركين أهل مكة.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: **﴿فَقَاتِلُوا أئمَّةَ الكُفرِ﴾** أبو سفيان بن حرب، وأمية بن خلف، وعتبة بن ربيعة، وأبو جهل بن هشام، وسهيل بن عمرو، وهم الذين نكثوا عهد الله وهمّوا بإخراج الرسول، وليس والله كما تأوّله أهل الشبهات والبدع والفِري على الله وعلى كتابه.

ذكر الرواية عن حذيفة بالذي ذكرنا عنه:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن زيد بن وهب، عن حذيفة: **﴿فَقَاتِلُوا أئمَّةَ الكُفرِ﴾** قال: ما قوتل أهل هذه الآية بعد.

حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا حبيب بن حسان، عن زيد بن وهب، قال: كنت عند حذيفة، فقرأ هذه الآية: **﴿فَقَاتِلُوا أئمَّةَ الكُفرِ﴾** فقال: ما قوتل أهل هذه الآية بعد.

حدثني أبو السائب، قال: ثنا الأعمش، عن زيد بن وهب، قال: قرأ حذيفة: **﴿فَقَاتِلُوا أئمَّةَ الكُفرِ﴾** قال: ما قوتل أهل هذه الآية بعد.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان وإسرائيل، عن أبي إسحاق، عن صلة بن زفر: **﴿إنَّهُمْ لا أيمَانَ لَهُمْ﴾** لا عهد لهم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد قوله: **﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيمَانَهُمْ﴾** قال: عهدهم.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: **﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيمَانَهُمْ﴾** عهدهم الذي عاهدوا على الإسلام.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن أبي إسحاق، عن صلة، عن عمار بن ياسر، في قوله: **﴿لا أَيمَانَ لَهُمْ﴾** قال: لا عهد لهم.

حدثني محمد بن عبيد المحاربي، قال: ثنا أبو الأحوص، عن أبي إسحاق، عن صلة بن زفر، عن حذيفة في قوله: **﴿فَقَاتِلُوا أَئمَّةَ الكُفْرِ إِنَّهُمْ لا أَيمَانَ لَهُمْ﴾** قال: لا عهد لهم.

وأما النكث فإن أصله: النقض، يقال منه: نكث فلان قوي حبله إذا نقضها، والأيمان: جمع اليمين.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: **﴿إِنَّهُمْ لا أَيمَانَ لَهُمْ﴾** فقرأه قرّاء الحجاز والعراق وغيرهم: **﴿إِنَّهُمْ لا أَيمَانَ لَهُمْ﴾** بفتح الألف من «أيمان» بمعنى: لا عهود لهم على ما قد ذكرنا من قول أهل التأويل فيه. وذُكر عن الحسن البصريّ أنه كان يقرأ ذلك: «إِنَّهُمْ لا إِيمَانَ لَهُمْ» بكسر الألف، بمعنى: لا إسلام لهم. وقد يتوجه لقراءته كذلك وجه غير هذا، وذلك أن يكون أراد بقراءته ذلك كذلك: أنهم لا أمان لهم: أي لا تؤمنوهم، ولكن اقتلوهم حيث وجدتموهم، كأنه أراد المصدر من قول القائل: آمنته، فأنا أومنه إيماناً.

قال أبو جعفر: والصواب من القراءات في ذلك الذي لا أستجيز القراءة بغيره، قراءة من قرأ بفتح الألف دون كسرها، لإجماع الحجة من القراء على القراءة به ورفض خلافه، ولإجماع أهل التأويل على ما ذكرت من أن تأويله لا عهد لهم. والأيمان التي هي بمعنى العهد، لا تكون إلا بفتح الألف، لأنها جمع «يمين» كانت على عقدٍ كان بين المتوادعين.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره للمؤمنين بالله ورسوله حاضّاً لهم على جهاد أعدائهم من المشركين: ألا تقاتلون أيها المؤمنون هؤلاء المشركين الذين نقضوا العهد الذي بينكم وبينهم وطعنوا في دينكم وظاهروا عليكم أعداءكم وهموا بإخراج الرسول من بين أظهرهم فأخرجوه **﴿وهم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ**

مَرَّةٍ﴾ بالقتال، يعني فعلهم ذلك يوم بدر. وقيل: قتالهم حلفاء رسول الله ﷺ من خزاعة. ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ﴾ يقول: أتخافونهم على أنفسهم، فتتركوا قتالهم خوفاً على أنفسكم منهم؟ ﴿فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ﴾ يقول: فالله أولى بكم أن تخافوا عقوبته بترككم جهادهم، وتحذروا سخطه عليكم من هؤلاء المشركين الذين لا يملكون لكم ضرّاً ولا نفعاً إلا بإذن الله. ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ يقول: إن كنتم مقرّين أن خشية الله لكم أولى من خشية هؤلاء المشركين على أنفسكم.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قوله: ﴿أَلا تُقَاتِلُونَ قَوْماً نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مَنْ بَعْد عَهْدِهِمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُول﴾ يقول: همّوا بإخراجه فأخرجوه. ﴿وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ بالقتال.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ قال: قتال قريش حلفاء محمد ﷺ.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد بنحوه.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن نمير، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: أمر الله رسوله بجهاد أهل الشرك ممن نقض من أهل العهد ومن كان من أهل العهد العام بعد الأربعة الأشهر التي ضرب لهم أجلاً، إلا أن يعودوا فيها على دينهم فيقبل بعد. ثم قال: ﴿أَلا تُقَاتِلُونَ قَوْماً نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُول...﴾ إلى قوله: ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾﴾

يقول تعالى ذكره: قاتلوا أيها المؤمنون بالله ورسوله هؤلاء المشركين الذين نكثوا أيمانهم ونقضوا عهودهم بينكم وبينهم، وأخرجوا رسول الله ﷺ من بين أظهرهم. ﴿يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُم﴾ يقول: يقتلهم الله بأيديكم. ﴿وَيُخْزِهِمْ﴾ يقول: ويذلهم بالأسر والقهر. ﴿وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ فيعطيكم الظفر عليهم والغلبة. ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾ يقول: ويبرىء داء صدور قوم مؤمنين بالله ورسوله بقتل هؤلاء المشركين بأيديكم وإذلالكم وقهركم إياهم، وذلك الداء هو ما

كان في قلوبهم عليهم من الموجدة بما كانوا ينالونهم به من الأذى والمكروه. وقيل: إن الله عنى بقوله: ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾: صدور خزاعة حلفاء رسول الله ﷺ، وذلك أن قريشاً نقضوا العهد بينهم وبين رسول الله ﷺ بمعونتهم بكراً عليهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن المثنى وابن وكيع قالا: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن الحكم، عن مجاهد في هذه الآية: ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾ قال: خزاعة.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عمرو بن محمد العنقزي، عن أسباط، عن السديّ: ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾ قال خزاعة يشف صدورهم من بني بكر.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، مثله.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾ خزاعة حلفاء محمد ﷺ.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عبد الله بن رجاء، عن ابن جريج، عن عبد الله بن كثير، عن مجاهد: ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾ قال: حلفاء رسول الله ﷺ من خزاعة.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد مثله.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾﴾.

يقول الله تعالى ذكره: ويذهب وجد قلوب هؤلاء القوم المؤمنين من خزاعة، على هؤلاء القوم الذين نكثوا أيمانهم من المشركين وغمها وكربها بما فيها من الوجد عليهم، بمعونتهم بكراً. كما:

حدثني ابن وكيع، قال: ثنا عمرو بن محمد العنقزي، عن أسباط، عن السديّ: ﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ حين قتلهم بنو بكر وأعانتهم قريش.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، مثله، إلا أنه قال: وأعانهم عليهم قريش.

وأما قوله: ﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ على مَنْ يَشاءُ﴾ فإنه خبر مبتدأ، ولذلك رفع وجزم الأحرف الثلاثة قبل ذلك على وجه المجازاة، كأنه قال: قاتلوهم فإنكم إن تقاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم،

ويخزهم، وينصركم عليهم. ثم ابتدأ فقال: ﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ على مَنْ يَشاءُ﴾ لأن القتال غير موجب لهم التوبة من الله، وهو موجب لهم العذاب من الله والخزي وشفاء صدور المؤمنين وذهاب غيظ قلوبهم، فجزم ذلك شرطاً وجزاءً على القتال، ولم يكن موجباً القتال التوبة، فابتُدِىء الحكم به ورُفع.

ومعنى الكلام: ويمنّ الله على من يشاء من عباده الكافرين، فيقبل به إلى التوبة بتوفيقه إياه، والله عليم بسرائر عباده ومن هو للتوبة أهل فيتوب عليه، ومن منهم غير أهل لها فيخذله، حكيم في تصريف عباده من حال كفر إلى حال إيمان بتوفيق من وفقه لذلك، ومن حال إيمان إلى كفر بخذلانه من خذل منهم عن طاعته وتوحيده، وغير ذلك من أمرهم.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٦)﴾.

يقول تعالى ذكره للمؤمنين الذين أمرهم بقتال هؤلاء المشركين، الذين نقضوا عهدهم الذي بينهم وبينه بقوله: ﴿قاتِلوهُمْ يُعَذِّبهُمُ اللَّهُ بأيديكُمْ. . .﴾ الآية، حاضاً على جهادهم: أم حسبتم أيها المؤمنون أن يترككم الله بغير محنة يمتحنكم بها وبغير اختبار يختبركم به، فيعرف الصادق منكم في دينه من الكاذب فيه. ﴿وَلمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جاهَدُوا﴾ يقول: أحسبتم أن تتركوا بغير اختبار يعرف به أهل ولايته المجاهدين منكم في سبيله، من المضيعين أمر الله في ذلك المفرِّطين. ﴿ولَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلا رَسُولِهِ﴾ يقول: ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم، والذين لم يتخذوا من دون الله ولا من دون رسوله، ولا من دون المؤمنين ﴿وَلِيجَةً﴾ هو الشيء يدخل في آخر غيره، يقال منه: ولج فلان في كذا يَلِجُهُ فهو وليجة. وإنما عنى بها في هذا الموضع: البطانة من المشركين، نهى الله المؤمنين أن يتخذوا من عدوّهم من المشركين أولياء يفشون إليهم أسرارهم. ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ يقول: والله ذو خبرة بما تعملون من اتخاذكم من دون الله ودون رسوله والمؤمنين به أولياء وبطانة بعد ما قد نهاكم عنه، لا يخفى ذلك عليه ولا غيره من أعمالكم، والله مجازيكم على ذلك إن خيراً فخيراً وإن شرّاً فشرّاً.

وبنحو الذي قلت في معنى الوليجة قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿وَلا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾ يتولجها من الولاية للمشركين.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن أبي جعفر، عن الربيع: ﴿**وَلِيجَةً**﴾ قال: دَخَلاً.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا**﴾إلى قوله: ﴿**وَلِيجَةً**﴾ قال: أبي أن يدعهم دون التمحيص، وقرأ: ﴿**أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ وَلمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جاهَدُوا مِنْكُمْ**﴾ وقرأ: ﴿**أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم**﴾ ﴿**أَم حسبتم أن تدخلوا الجنة وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ. . .**﴾ الآيات كلها، أخبرهم أن لا يتركهم حتى يمحصهم ويختبرهم، وقرأ: ﴿**الم أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ**﴾ لا يختبرون ﴿**وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الكاذِبِينَ**﴾ أبى الله إلا أن يمحص.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن الحسن: ﴿**وَلِيجَةً**﴾ قال: هو الكفر والنفاق، أو قال أحدهما.

وقيل: ﴿**أَمْ حَسِبْتُمْ**﴾ ولم يقل: «أحسبتم»، لأنه من الاستفهام المعترض في وسط الكلام، فأدخلت فيه «أم» ليفرق بينه وبين الاستفهام المبتدأ وقد بيَّنت نظائر ذلك في غير موضع من الكتاب.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ما ينبغي للمشركين أن يعمروا مساجد الله وهم شاهدون على أنفسهم بالكفر. يقول: إن المساجد إنما تعمر لعبادة الله فيها لا للكفر به، فمن كان بالله كافراً فليس من شأنه أن يعمر مساجد الله.

وأما شهادتهم على أنفسهم بالكفر، فإنها كما:

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قوله: ﴿**ما كانَ لِلْمُشْرِكِينَ أنْ يَعْمُرُوا مَساجِدَ اللَّهِ شاهِدِينَ على أنْفُسِهِمْ بالكُفْرِ**﴾ يقول: ما ينبغي لهم أن يعمروها. وأما ﴿**شَاهِدِينَ على أنْفُسِهِمْ بالكُفْرِ**﴾ فإن النصرانيّ يسأل: ما أنت؟ فيقول: نصراني، واليهودي، فيقول: يهودي، والصابىء، فيقول: صابىء، والمشرك يقول إذا سألته: ما دينك؟ فيقول: مشرك لم يكن ليقوله أحد إلا العرب.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عمرو العنقزي، عن أسباط، عن السديّ: ﴿**ما كانَ لِلْمُشْرِكِينَ**

أنْ يَعْمُرُوا مَساجِدَ اللَّهِ قال: يقول: ما كان ينبغي لهم أن يعمروها.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عمرو، عن أسباط، عن السديّ: **﴿شاهِدِينَ على أنْفُسِهِمْ بالكُفْرِ﴾** قال: النصراني يقال له: ما أنت؟ فيقول: نصراني، واليهودي يقال له: ما أنت؟ فيقول: يهودي، والصابىء يقال له: ما أنت؟ فيقول: صابىء.

وقوله: **﴿أُولَئِكَ حَبِطَتْ أعمالُهُمْ﴾** يقول: بطلت وذهبت أجورها، لأنها لم تكن لله، بل كانت للشيطان. **﴿وفِي النَّارِ هُمْ خالِدُونَ﴾** يقول: ماكثون فيها أبداً، لا أحياءً ولا أمواتاً.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: **﴿ما كانَ لِلْمُشْرِكِينَ أنْ يَعْمُرُوا مَساجِدَ اللَّهِ﴾** فقرأ ذلك عامة قرّاء أهل المدينة والكوفة: **﴿مَساجِدَ اللَّهِ﴾** على الجمع. وقرأ ذلك بعض المكيين والبصريين: «مَسْجِدَ اللَّهِ» على التوحيد، بمعنى المسجد الحرام. وهم جميعاً مجمعون على قراءة قوله: **﴿مَساجِدَ اللَّهِ﴾** على الجمع، لأنه إذا قرىء كذلك احتمل معنى الواحد والجمع، لأن العرب قد تذهب بالواحد إلى الجمع وبالجمع إلى الواحد، كقولهم: عليه ثوب أخلاق.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ (١٨)﴾.

يقول تعالى ذكره: إنما يعمر مساجد الله المصدّق بوحدانية الله، المخلص له العبادة واليوم الآخر، يقول: الذي يصدق ببعث الله الموتى أحياء من قبورهم يوم القيامة، وأقام الصلاة المكتوبة بحدودها، وأدّى الزكاة الواجبة عليه في ماله إلى من أوجبها الله له. **﴿ولَمْ يَخْشَ إلاَّ اللَّهَ﴾** يقول: ولم يرهب عقوبة شيء على معصيته إياه سوى الله. **﴿فَعَسَى أُولَئِكَ أنْ يَكُونُوا مِنَ المُهْتَدِينَ﴾** يقول: فخليق بأولئك الذين هذه صفتهم أن يكونوا عند الله ممن قد هداه الله للحقّ وإصابة الصواب.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثنا معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: **﴿إنَّمَا يَعْمُرُ مَساجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ باللَّهِ واليَوْمِ الآخِرِ﴾** يقول: من وحد الله. وآمن باليوم الآخر يقول: أقرّ بما أنزل الله. **﴿وأقامَ الصَّلاةَ﴾** يعني الصلوات الخمس. **﴿ولَمْ يَخْشَ إلاَّ اللَّهَ﴾** يقول: ثم لم يعبد إلا الله، قال: **﴿فَعَسَى أُولَئِكَ﴾** يقول: إن أولئك هم المفلحون، كقوله لنبيه: عَسَى أنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَحْمُوداً يقول: إن ربك سيبعثك مقاماً محموداً، وهي الشفاعة، وكل «عسى» في القرآن فهي واجبة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: ثم ذكر قول قريش: إنا أهل

الحرم، وسقاة الحاجّ، وعمّار هذا البيت، ولا أحد أفضل منا فقال: ﴿**إِنَّمَا يَعْمُرُ مَساجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ باللَّهِ واليَوْمِ الآخِرِ**﴾: أي إن عمارتكم ليست على ذلك، إنما يعمر مساجد الله: أي من عمرها بحقها، ﴿**مَنْ آمَنَ بالله واليَوْمِ الآخِرِ وأقامَ الصَّلاةَ وآتى الزَّكاةَ ولَمْ يَخْشَ إلاَّ اللَّهَ**﴾ فأولئك عمارها. ﴿**فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ المُهْتَدِينَ**﴾ و«عسى» من الله حق.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾﴾.

وهذا توبيخ من الله تعالى ذكره لقوم افتخروا بالسقاية وسدانة البيت، فأعلمهم جلّ ثناؤه أن الفخر في الإيمان بالله واليوم الآخر والجهاد في سبيله لا في الذي افتخروا به من السدانة والسقاية. وبذلك جاءت الآثار وتأويل أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو الوليد الدمشقي أحمد بن عبد الرحمن، قال: ثنا الوليد بن مسلم، قال: ثني معاوية بن سلام، عن جده أبي سلام الأسود، عن النعمان بن بشير الأنصاريّ، قال: كنت عند منبر رسول الله ﷺ في نفر من أصحابه، فقال رجل منهم: ما أبالي ألاّ أعمل عملاً بعد الإسلام، إلا أن أسقي الحاج وقال آخر: بل عمارة المسجد الحرام وقال آخر: بل الجهاد في سبيل الله خير مما قلتم فزجرهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ﷺ وذلك يوم الجمعة ولكن إذا صليت الجمعة دخلت على رسول الله ﷺ، فاستفتيته فيما اختلفتم فيه قال: ففعل، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿**أَجَعَلْتُمْ سِقايَةَ الحاجّ**...﴾ إلى قوله: ﴿**واللَّهُ لا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾.

حدثنا المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**أَجَعَلْتُمْ سِقايَةَ الحاجّ وعِمارَةَ المَسْجِدِ الحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ باللَّهِ واليَوْمِ الآخِرِ**﴾ قال العباس بن عبد المطلب حين أُسر يوم بدر: لئن كنتم سبقتمونا بالإسلام والهجرة والجهاد، لقد كنا نعمر المسجد الحرام، ونسقي الحاجّ، ونفك العاني قال الله: ﴿**أَجَعَلْتُمْ سِقايَةَ الحاجّ**...﴾ إلى قوله: ﴿**الظَّالِمِينَ**﴾. يعني أن ذلك كان في الشرك، ولا أَقْبَلُ ما كان في الشرك.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: ﴿**أَجَعَلْتُمْ سِقايَةَ الحاجّ**...﴾ إلى قوله: ﴿**الظَّالِمِينَ**﴾ وذلك أن المشركين قالوا: عمارة بيت الله وقيام على السقاية خير ممن آمن وجاهد وكانوا يفخرون بالحرم ويستكبرون به من

أجل أنهم أهله وعماره. فذكر الله استكبارهم وإعراضهم، فقال لأهل الحرم من المشركين: ﴿قَدْ كانَتْ آياتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ على أعْقابِكُمْ تَنْكِصُونَ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سامِراً تَهْجُرُونَ﴾ يعني أنهم يستكبرون بالحرم، وقال: «به سامراً» لأنهم كانوا يسمرون ويهجرون القرآن والنبيّ ﷺ. فخير الإيمان بالله والجهاد مع نبيّ الله ﷺ على عمران المشركين البيت وقيامهم على السقاية. ولم يكن ينفعهم عند الله مع الشرك به أن كانوا يعمرون بيته ويخدمونه، قال الله: ﴿لا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ يعني: الذين زعموا أنهم أهل العمارة، فسماهم الله «ظالمين» بشركهم فلم تغن عنهم العمارة شيئاً.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن يحيى بن أبي كثير، عن النعمان بن بشير، أن رجلاً قال: ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد الإسلام إلا أن أسقي الحاجّ وقال آخر: ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد الإسلام إلا أن أعمر المسجد الحرام وقال آخر: الجهاد في سبيل الله أفضل مما قلتم. فزجرهم عمر وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ﷺ وذلك يوم الجمعة ولكن إذا صلى الجمعة دخلنا عليه. فنزلت: ﴿أجَعَلْتُمْ سِقايَةَ الحاجّ وعِمارَةَ المَسْجِدِ الحَرامِ...﴾ إلى قوله: ﴿لا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ﴾.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن عمرو، عن الحسن، قال: نزلت في عليّ وعباس وعثمان وشيبة، تكلموا في ذلك فقال العباس: ما أراني إلا تارك سقايتنا فقال رسول الله ﷺ: «أقِيمُوا على سِقايَتِكُمْ فإنَّ لَكُمْ فِيها خَيْراً».

قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا ابن عيينة، عن إسماعيل، عن الشعبيّ، قال: نزلت في عليّ والعباس، تكلما في ذلك.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرت عن أبي صخر، قال: سمعت محمد بن كعب القرظي يقول: افتخر طلحة بن شيبة من بني عبد الدار، وعباس بن عبد المطلب، وعليّ بن أبي طالب، فقال طلحة: أنا صاحب البيت معي مفتاحه، لو أشاء بتّ فيه وقال عباس: أنا صاحب السقاية والقائم عليها، ولو أشاء بتّ في المسجد وقال عليّ: ما أدري ما تقولان، لقد صليت إلى القبلة ستة أشهر قبل الناس، وأنا صاحب الجهاد فأنزل الله: ﴿أجَعَلْتُمْ سِقايَةَ الحاجّ وعِمارَةَ المَسْجِدِ الحَرامِ...﴾ الآية كلها.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن الحسن، قال: لما نزلت ﴿أجَعَلْتُمْ سِقايَةَ الحاجّ﴾ قال العباس: ما أراني إلا تارك سقايتنا، فقال النبيّ ﷺ: «أقِيمُوا على سِقايَتِكُمْ فإنَّ لَكُمْ فِيها خَيْراً».

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿**أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الحاجّ وعِمارَةَ المَسْجِدِ الحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ باللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ وَجاهَد فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَوُونَ عند اللَّهِ**﴾ قال: افتخر عليّ وعباس وشيبة بن عثمان، فقال العباس: أنا أفضلكم، أنا أسقي حجاج بيت الله وقال شيبة: أنا أعمر مسجد الله وقال علي: أنا هاجرت مع رسول الله ﷺ، وأجاهد معه في سبيل الله فأنزل الله: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَهاجَرُوا وَجاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ...**﴾ إلى: ﴿**نَعِيمٌ مُقِيمٌ**﴾.

حُدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ، قال: ثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿**أَجَعَلْتُمْ سِقايَةَ الحاجّ...**﴾ الآية، أقبل المسلمون على العباس وأصحابه الذين أُسروا يوم بدر يعيرونهم بالشرك، فقال العباس: أما والله لقد كنا نعمر المسجد الحرام، ونفك العاني، ونحجب البيت، ونسقي الحاجّ فأنزل الله: ﴿**أَجَعَلْتُمْ سِقايَةَ الحاجّ...**﴾ الآية.

فتأويل الكلام إذن: أجعلتم أيها القوم سقاية الحاجّ، وعمارة المسجد الحرام كإيمان من آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله، لا يستوون هؤلاء وأولئك، ولا تعتدل أحوالهما عند الله ومنازلهما لأن الله تعالى لا يقبل بغير الإيمان به وباليوم الآخر عملاً. ﴿**واللَّهُ لا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾ يقول: والله لا يوفق لصالح الأعمال من كان به كافراً ولتوحيده جاحداً. ووضع الاسم موضع المصدر في قوله: ﴿**كَمَنْ آمَنَ باللَّهِ**﴾ إذ كان معلوماً معناه، كما قال الشاعر:

لَعَمْرُكَ ما الفِتْيانُ أنْ تَنْبُتَ اللِّحَى ... وَلَكِنَّما الفِتْيانُ كُلُّ فَتىً نَدِي[1]

فجعل خبر الفتيان «أن»، وهو كما يقال: إنما السخاء حاتم والشعر زهير.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾.

وهذا قضاء من الله بين فِرَق المفتخرين الذين افتخر أحدهم بالسقاية، والآخر بالسدانة،

(١) البيت من شواهد الكسائي أنشده الفراء في «**معاني القرآن**» (ص ـ ١٢٤) مصورة جامعة القاهرة، عند قوله تعالى: ﴿أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله﴾؟ قال: لم يقل سقاة الحاج وعامري... كمن آمن، فهذا مثل قوله: ﴿ولكن البر من آمن بالله﴾ يكون المصدر يكفي من الأسماء، والأسماء من المصدر، إذا كان المعنى مستدلا عليه بهما، أنشدني الكسائي: لعمرك... البيت.
ومعنى البيت لا يبلغ الفتى كمال الفتوة والمروءة بنبات لحيته، ولكن باستحكام عداة السخاء والجود فيه.

والآخر بالإيمان بالله والجهاد في سبيله. يقول تعالى ذكره: الذين آمنوا بالله: صدقوا بتوحيده من المشركين، وهاجروا دور قومهم، وجاهدوا المشركين في دين الله بأموالهم وأنفسهم، أعظم درجة عند الله وأرفع منزلة عنده من سقاة الحاجّ وعمار المسجد الحرام وهم بالله مشركون. ﴿وَأُولئكَ﴾ يقول: وهؤلاء الذين وصفنا صفتهم أنهم آمنوا وهاجروا وجاهدوا ﴿وهُمُ الفَائِزُونَ﴾ بالجنة الناجون من النار.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: يبشر هؤلاء الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله ربهم برحمة منه لهم أنه قد رحمهم من أن يعذبهم وبرضوان منه لهم، بأنه قد رضي عنهم بطاعتهم إياه وأدائهم ما كلفهم. ﴿وجَنَّاتٍ﴾ يقول: وبساتين لهم فيها نعيم مقيم لا يزول ولا يبيد، ثابت دائم أبداً لهم.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو أحمد الموسوي، قال: ثنا سفيان، عن محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبد الله، قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال الله سبحانه: أعطيكم أفضل من هذا، فيقولون: ربنا أيّ شيء أفضل من هذا؟ قال: رضواني»**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿خالِدِينَ فِيها﴾ ماكثين فيها، يعني في الجنات. ﴿أبَداً﴾ لا نهاية لذلك ولا حدّ. ﴿إنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أجْرٌ عَظِيمٌ﴾ يقول: إن الله عنده لهؤلاء المؤمنين الذين نعتهم جلّ ثناؤه النعت الذي ذكر في هذه الآية أجر: ثواب على طاعتهم لربهم وأدائهم ما كلفهم من الأعمال عظيم، وذلك النعيم الذي وعدهم أن يعطيهم في الآخرة.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله: لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم بطانة وأصدقاء تفشون إليهم أسراركم وتطلعونهم على عورة الإسلام وأهله، وتؤثرون المكث بين أظهرهم على الهجرة إلى دار الإسلام. ﴿إنِ اسْتَحَبُّوا الكُفْرَ على الإيمَانِ﴾ يقول: إن اختاروا الكفر بالله على التصديق به والإقرار بتوحيده. ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ﴾ يقول: ومن يتخذهم منكم بطانة من دون المؤمنين، ويؤثر المقام معهم على الهجرة إلى رسول الله ودار الإسلام ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ يقول: فالذين

يفعلون ذلك منكم هم الذين خالفوا أمر الله، فوضعوا الولاية في غير موضعها وعصوا الله في أمره. وقيل: إن ذلك نزل نهياً من الله المؤمنين عن موالاة أقربائهم الذين لم يهاجروا من أرض الشرك إلى دار الإسلام.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿**أجَعَلْتُمْ سِقايَةَ الحاجّ وعِمارَةَ المَسْجِدِ الحَرَامِ**﴾ قال: أمروا بالهجرة، فقال العباس بن عبد المطلب: أنا أسقي الحاجّ وقال طلحة أخو بني عبد الدار: أنا صاحب الكعبة فلا نهاجر فأنزلت: ﴿**لا تَتخِذُوا آباءَكُمْ وإخْوَانَكُمْ أوْلِياءَ...**﴾ إلى قوله: ﴿**يَأْتِيَ اللَّهُ بأمره**﴾ بالفتح، في أمره إياهم بالهجرة، هذا كله قبل فتح مكة.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾.

يقول تبارك وتعالى لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد للمتخلفين عن الهجرة إلى دار الإسلام المقيمين بدار الشرك: إن كان المقام مع آبائكم وأبنائكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم، وكانت ﴿**أمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا**﴾ يقول: اكتسبتموها، ﴿**وتجارَةٌ تَخْشَوْن كَسادَها**﴾ بفراقكم بلدكم، ﴿**وَمَساكِنُ تَرْضَوْنَها**﴾ فسكنتموها ﴿**أحَبّ إليكُم**﴾ من الهجرة إلى الله ورسوله من دار الشرك ومن جهاد في سبيله، يعني في نصرة دين الله الذي ارتضاه. ﴿**فَترَبَّصُوا**﴾ يقول: فتنظّروا، ﴿**حتى يَأْتِيَ اللَّهُ بأمْرِهِ**﴾ حتى يأتي الله بفتح مكة. ﴿**وَاللَّهُ لا يَهْدِي القَوْمَ الفاسِقِينَ**﴾ يقول: والله لا يوفق للخير الخارجين عن طاعته وفي معصيته.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿**حتى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأمْرِهِ**﴾ بالفتح.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد: ﴿**فَترَبَّصُوا حتى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأمْرِهِ**﴾ فتح مكة.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ﴿وأمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوها وتِجارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسادَها﴾ يقول: تخشون أن تكسد فتبيعوها. ﴿وَمَساكِنُ تَرْضَوْنَها﴾ قال: هي القصور والمنازل.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وأمْوَالٌ اقْتَرَفْتَمُوها﴾ يقول: أصبتموها.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: لقد نصركم الله أيها المؤمنون في أماكن حرب توطنون فيها أنفسكم على لقاء عدوّكم ومشاهد تلتقون فيها أنتم وهم كثيرة. ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾ يقول: وفي يوم حنين أيضاً قد نصركم. وحنين: واد فيما ذكر بين مكة والطائف وأُجري لأنه مذكر اسم لمذكر، وقد يترك إجراؤه ويراد به أن يجعل اسماً للبلدة التي هو بها، ومنه قول الشاعر:

نَصَرُوا نَبِيَّهُمْ وَشَدُّوا أزْرَهُ ... بِحُنَيْنَ يَوْمَ تَوَاكُلِ الأبْطالِ(١)

حدثني عبد الوارث بن عبد الصمد، قال: ثني أبي، قال: ثنا أبان العطار، قال: ثنا هشام بن عروة، عن عروة، قال: حنين: واد إلى جنب ذي المجاز.

﴿إذْ أعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ وكانوا ذلك اليوم فيما ذكر لنا اثني عشر ألفاً. ورُوي أن النبيّ ﷺ قال ذلكَ اليَوْم: «لَنْ نُغْلَبَ مِنْ قِلَّةٍ». وقيل: قال ذلك رجل من المسلمين من أصحاب رسول الله ﷺ، وهو قول الله: ﴿إذْ أعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً﴾ يقول: فلم تغن عنكم كثرتكم شيئاً. ﴿وَضاقَتْ عَلَيْكُمُ الأرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ يقول: وضاقت الأرض بسعتها عليكم. والباء ههنا في معنى «في»، ومعناه: وضاقت عليكم الأرض في رحبها وبرحبها، يقال منه: مكان رحيب: أي

---

(١) البيت لحسان بن ثابت «تاج العروس» حنن وحنين كزبير: موضع بين الطائف ومكة، يذكر ويؤنث، ويصرف ولا يصرف. قال الفراء في «معاني القرآن» وقوله (ويوم حنين): واد بين مكة والطائف، وجرى حنين لأنه اسم لمذكر، وإذا سميت ماء أو وادياً أو جبلاً باسم مذكر لا علة فيه أجريته، من ذلك حنين وبدر وأحد وحراء وثبير ودابق وواسط، وإنما سمي واسطاً بالقصر الذي بناه الحجاج بين الكوفة والبصرة؛ ولو أراد البلدة أو اسماً مؤنثاً لقال واسطة وربما جعلت العرب، واسط وحنين وبدر اسما لبلدته التي هو بها، فلا يجرونه وأنشد بعضهم:

نظروا نبيهم...... البيت

واسع وإنما سميت الرحاب رحاباً لسعتها. ﴿ثُمَّ وَلَّيتُمْ مُدْبِرِينَ﴾ عن عدوّكم منهزمين مدبرين، يقول: وليتموهم الأدبار، وذلك الهزيمة. يخبرهم تبارك وتعالى أن النصر بيده ومن عنده، وأنه ليس بكثرة العدد وشدّة البطش، وأنه ينصر القليل على الكثير إذا شاء ويخلي القليل فيهزم الكثير.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ في مَواطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾ حتى بلغ: ﴿وَذلكَ جَزاءُ الكافِرِينَ﴾ قال: وحنين ماء بين مكة والطائف قاتل عليها نبيّ الله هوازن وثقيف، وعلى هوازن مالك بن عوف أخو بني نصر، وعلى ثقيف عبد يا ليل بن عمرو الثقفي. قال: وذكر لنا أنه خرج يومئذ مع رسول الله ﷺ اثنا عشر ألفاً، عشرة آلاف من المهاجرين والأنصار، وألفان من الطلقاء، وذكر لنا أن رجلاً قال يومئذ: لن نغلب اليوم بكثرة قال: وذُكر لنا أن الطلقاء انجفلوا يومئذ بالناس، وجلوا عن نبيّ الله ﷺ حتى نزل عن بغلته الشهباء. وذُكر لنا أن نبيّ الله قال: «أيْ ربّ آتِني ما وعَدْتَنِي» قال: والعباس آخذ بلجام بغلة رسول الله ﷺ، فقال له النبيّ ﷺ: «نادِ يا مَعْشَرَ الأنصارِ ويا مَعْشَر المُهاجِرِينَ» فجعل ينادي الأنصار فخذاً فخذاً، ثم نادي: يا أصحاب سورة البقرة قال: فجاء الناس عُنُقاً واحداً. فالتفت نبيّ الله ﷺ، وإذا عصابة من الأنصار، فقال: «هَلْ مَعَكُمْ غيرُكُمْ؟» فقالوا: يا نبيّ الله، والله لو عمدت إلى برك الغماد من ذي يمن لكنا معك ثم أنزل الله نصره، وهزم عدوّهم، وتراجع المسلمون. قال: وأخذ رسول الله كفاً من تراب، أو قبضة من حصباء، فرمى بها وجوه الكفار، وقال: «شاهَتِ الوُجُوهُ» فانهزموا. فلما جمع رسول الله ﷺ الغنائم، وأتى الجعرانة، فقسم بها مغانم حنين، وتألف أناساً من الناس فيهم أبو سفيان بن حرب والحرث بن هشام وسهيل بن عمرو والأقرع بن حابس، فقالت الأنصار: حنّ الرجل إلى قومه فبلغ ذلك رسول الله ﷺ وهو في قبة له من أدم، فقال: «يا مَعْشَر الأنصارِ، ما هَذا الَّذِي بَلَغَنِي؟ ألَمْ تَكُونُوا ضُلاَّلاً فَهَداكُمُ اللَّهُ، وكُنْتُمْ أذِلَّةً فَأعَزَّكُمُ اللَّهُ وكُنْتُمْ وكُنْتُمْ» قال: فقال سعد بن عبادة رحمه الله: ائذن لي فأتكلم قال: «تَكَلَّمْ» قال: أما قولك: كنتم ضُلاّلاً فهداكم الله، فكنا كذلك، وكنتم أذلة فأعزّكم الله، فقد علمت العرب ما كان حيّ من أحياء العرب أمنع لما وراء ظهورهم منا فقال الرسول: «يا سَعْدُ أتَدْرِي مَنْ تُكَلِّمُ؟» فقال: نعم أكلم رسول الله ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: «والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ سَلَكَتِ الأنْصارُ وَادِياً والنَّاسُ وَادِياً لَسَلَكْتُ وَادِيَ الأنْصارِ، وَلَوْلا الهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرأً مِنَ الأنْصارِ». وذُكر لنا أن نبيّ الله ﷺ كان يقول: «الأنْصارُ كَرِشِي وعَيْبَتِي، فاقْبَلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ وتَجاوَزُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ». ثم قال

رسول الله ﷺ: «يا مَعْشَرَ الأنْصارِ أمَا تَرْضَوْنَ أنْ يَنْقَلِبَ النَّاسُ بالإبِلِ والشَّاءِ، وَتَنْقَلِبُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ إلى بُيوتكُمْ؟» فقالت الأنصار: رضينا عن الله ورسوله، والله ما قلنا ذلك إلا حرصاً على رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «إنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُصَدِّقانِكُمْ ويَعْذُرَانِكُمْ».

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: ذكر لنا أن أم رسول الله ﷺ التي أرضعته أوظئره من بني سعد بن بكر أتته فسألته سبايا يوم حُنين، فقال رسول الله ﷺ: «إنّي لا أمْلِكُهُمْ وإنَّمَا لي مِنْهُمْ نَصِيبي، وَلَكِنْ ائْتِينِي غَداً فَسَلِيني والنَّاسُ عِنْدِي، فإنّي إذَا أعْطَيْتُكِ نَصِيبي أعْطاكِ النَّاسُ» فجاءت الغد فبسط لها ثوباً، فقعدت عليه، ثم سألته، فأعطاها نصيبه فلما رأى ذلك الناس أعطوها أنصباءهم.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ في مَواطِنَ كَثِيرَةٍ. . .﴾ الآية: إن رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ يوم حنين قال: يا رسول الله لن نغلب اليوم من قلة وأعجبته كثرة الناس، وكانوا اثني عشر ألفاً. فسار رسول الله ﷺ، فوكلوا إلى كلمة الرجل، فانهزموا عن رسول الله ﷺ، غير العباس وأبي سفيان بن الحرث وأيمن ابن أم أيمن، قُتل يومئذ بين يديه. فنادى رسول الله ﷺ: «أيْنَ الأنْصَارُ؟ أيْنَ الَّذِينَ بايَعُوا تَحْتَ الشَّجَرَةِ؟» فتراجع الناس، فأنزل الله الملائكة بالنصر، فهزموا المشركين يومئذ، وذلك قوله: ﴿ثُمَّ أنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ على رَسُولِهِ وَعلى الْمُؤْمِنِينَ وأنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْها. . .﴾ الآية.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن الزهريّ، عن كثير بن عباس بن عبد المطلب، عن أبيه، قال: لما كان يوم حنين التقى المسلمون والمشركون، فولى المسلمون يومئذ. قال: فلقد رأيت النبيّ ﷺ وما معه أحد إلا أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب، آخذاً بغَرْز النبيّ ﷺ، لا يألو ما أسرع نحو المشركين. قال: فأتيت حتى أخذت بلجامه وهو على بغلة له شهباء، فقال: «يا عبَّاس نادِ أصحَابَ السَّمُرَةِ» وكنتُ رجلاً صَيِّتاً، فأذنت بصوتي الأعلى: أين أصحاب السمرة؟ فالتفتوا كأنها الإبل إذا حنت إلى أولادها، يقولون: يا لبيك يا لبيك يا لبيك وأقبل المشركون فالتقوا هم والمسلمون، وتنادت الأنصار: يا معشر الأنصار ثم قصرت الدعوة في بني الحرث بن الخزرج، فتنادوا: يا بني الحرث بن الخزرج فنظر رسول الله ﷺ وهو على بغلته كالمتطاول إلى قتالهم، فقال: «هَذَا حِينَ حَمِيَ الوَطِيسُ». ثم أخذ بيده من الحصباء فرماهم بها، ثم قال: «انْهَزَمُوا وَرَبِّ الكُعْبَةِ انْهَزَمُوا وَرَبِّ الكَعْبَةِ» قال: فوالله ما زال أمرهم مدبراً وحدهم كليلاً حتى هزمهم الله. قال: فلكأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يركض خلفهم على بغلته.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة، عن الزهري، عن

سعيد بن المسيب. أنهم أصابوا يومئذ ستة آلاف سبيّ، ثم جاء قومهم مسلمين بعد ذلك، فقالوا: يا رسول الله، أنت خير الناس وأبرّ الناس، وقد أخذت أبناءنا ونساءنا وأموالنا. فقال النبيّ ﷺ: «إنَّ عِنْدِي مَنْ تَرَوْنَ، وإنَّ خَيْرَ القَوْلِ أصْدَقُهُ، اخْتارُوا إمَّا ذَرارِيَّكُمْ وَنِساءَكُمْ وَإمَّا أمْوالَكُمْ» قالوا: ما كنا نعدل بالأحساب شيئاً. فقام رسول الله ﷺ، فقال: «إنَّ هَؤُلاءِ قَدْ جاءُونِي مُسْلِمِينَ، وإنَّا خَيَّرْناهُمْ بينَ الذَّرارِي والأمْوالِ فَلَمْ يَعْدِلُوا بالأحْسابِ شَيْئاً، فَمَنْ كانَ بِيَدِهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ فَطابَتْ نَفْسُهُ أنْ يَرُدَّهُ فَلْيَفْعَلْ ذلكَ، وَمَنْ لا فَلْيُعْطِنا، وَلْيَكُنْ قَرْضاً عَلَيْنا حتى نُصِيبَ شَيْئاً فَنُعْطِيَهُ مَكانَهُ» فقالوا: يا نبيّ الله رضينا وسلمنا. فقال: «إنّي لا أدْرِي، لَعَلَّ مِنْكُمْ مَنْ لا يَرْضَى، فَمُرُوا عُرَفاءَكُمْ فَلْيَرْفَعُوا ذلكَ إلَيْنا» فرفعت إليه العرفاء أن قد رضوا وسلموا.

حدثنا عليّ بن سهل، قال: ثنا مؤمل، قال: ثنا حماد بن سلمة، قال: ثنا يعلى بن عطاء، عن أبي همام، عن أبي عبد الرحمن، يعني الفهري، قال: كنت مع النبيّ ﷺ في غزوة حنين فلما ركدت الشمس لبست لأمتي وركبت فرسي، حتى أتيت النبيّ ﷺ وهو في ظلّ شجرة، فقلت: يا رسول الله قد حان الرواح، فقال: «أجَلْ» فنادى: «يا بِلال يا بلالُ» فقام بلال من تحت سمرة، فأقبل كأن ظله ظل طير، فقال: لبيك وسعديك، ونفسي فداؤك يا رسول الله فقال له النبيّ ﷺ: «أسْرِجْ فَرَسِي» فأخرج سرجاً دفتاه حشوهما ليف، ليس فيهما أشر ولا بطر. قال: فركب النبيّ ﷺ، فصافناهم يومنا وليلتنا فلما التقى الخيلان ولى المسلمون مدبرين، كما قال الله، فنادى رسول الله ﷺ: «يا عِبادَ اللَّهِ، يا مَعْشَرَ المُهاجِرِينَ» قال: ومال النبيّ ﷺ عن فرسه، فأخذ حفنة من تراب فرمى بها وجوههم، فولوا مدبرين. قال يعلى بن عطاء: فحدثني أبناؤهم عن آبائهم أنهم قالوا: ما بقي منا أحد إلا وقد امتلأت عيناه من ذلك التراب.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن أبي إسحاق، قال: سمعت البراء، وسأله رجل من قيس: فررتم عن رسول الله ﷺ يوم حنين؟ فقال البراء: لكن رسول الله ﷺ لم يفرّ، وكانت هوازن يومئذ رماة، وإنا لما حملنا عليهم انكشفوا فأكببنا على الغنائم فاستقبلونا بالسهام، ولقد رأيت رسول الله ﷺ على بغلته البيضاء وإن أبا سفيان بن الحرث آخذ بلجامها، وهو يقول:

أنا النَّبِيُّ لا كَذِبْ أنا ابْنُ عَبْدِ المُطَّلِبْ[1]

---

(١) هذان بيتان من مجزوء الرجز، ينسبان إلى سيدنا رسول الله ﷺ. ولم يكن النبي شاعراً، ونفى الله عنه صنعة الشعر (وما علمناه الشعر وما ينبغي له) وإنما هو صاحب قرآن، ورسالة إنسانية شاملة، ومثل هذا القدر من القول الموزون، مما يتفق وقوعه في كلام كثير من عامة الناس، فضلا عن خاصتهم، ولا يسمى قائله شاعراً (انظر شرح النووي في «صحيح مسلم» في غزوة حنين).

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن البراء، قال: سأله رجل: يا أبا عمارة، وليتم يوم حنين؟ فقال البراء وأنا أسمع: أشهد أن رسول الله لم يولّ يومئذ دبره، وأبو سفيان يقود بغلته، فلما غشيه المشركون نزل فجعل يقول:

أنـــا الــــنَّـــــبِـــــيُّ لا كَـــــذِبْ　　　أنـــا ابـــنُ عَـــبْـــدِ الـــمُـــطَّـــلِـــبْ

فما رؤي يومئذ أحد من الناس كان أشدّ منه.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني جعفر بن سليمان، عن عوف الأعرابي، عن عبد الرحمن مولى أم برثن، قال: ثني رجل كان من المشركين يوم حنين، قال: لما التقينا نحن وأصحاب محمد عليه الصلاة والسلام، لم يقفوا لنا حَلَبَ شاة أن كشفناهم. فبينا نحن نسوقهم، إذ انتهينا إلى صاحب البغلة الشهباء، فتلقانا رجال بيض حسان الوجوه، فقالوا لنا: شاهت الوجوه ارجعوا فرجعنا، وركّبنا القوم فكانت إياها.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن يعقوب، عن جعفر، عن سعيد، قال: أمدّ الله نبيه ﷺ يوم حنين بخمسة آلاف من الملائكة مسوّمين. قال: ويومئذ سمى الله الأنصار مؤمنين. قال: **﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلى رَسُولِهِ وَعَلى المُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا﴾**.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً﴾** قال: كانوا اثني عشر ألفاً.

حدثنا محمد بن يزيد الآدمي، قال: ثنا معن بن عيسى، عن سعيد بن السائب الطائفي، عن أبيه، عن يزيد بن عامر، قال: لما كانت انكشافة المسلمين حين انكشفوا يوم حنين، ضرب النبيّ ﷺ يده إلى الأرض، فأخذ منها قبضة من تراب، فأقبل بها على المشركين وهم يتبعون المسلمين، فحثاها في وجوههم وقال: «ارْجِعُوا شاهَتِ الوُجُوهُ» قال: فانصرفنا ما يلقي أحد أحداً إلا وهو يمسح القذى عن عينيه.

وبه عن يزيد بن عامر السوائي، قال: قيل له: يا أبا حاجز، الرعب الذي ألقى الله في قلوب المشركين ماذا وجدتم؟ قال: وكان أبو حاجز مع المشركين يوم حنين، فكان يأخذ الحصاة فيرمي بها في الطست فيطنّ، ثم يقول: كان في أجوافنا مثل هذا.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسن بن عرفة، قال: ثني المعتمر بن سليمان، عن عوف، قال: سمعت عبد الرحمن مولى أم برثن أو أم مريم، قال: ثني رجل كان في المشركين يوم

حنين، قال: لما التقينا نحن وأصحاب رسول الله ﷺ يوم حنين، لم يقوموا لنا حَلَبَ شاة، قال: فلما كشفناهم جعلنا نسوقهم في أدبارهم، حتى انتهينا إلى صاحب البغلة البيضاء، فإذا هو رسول الله ﷺ. قال: فتلقانا عنده رجال بيض حسان الوجوه، فقالوا لنا: شاهت الوجوه ارجعوا قال: فانهزمنا وركبوا أكتافنا، فكانت إياها.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ثم من بعد ما ضاقت عليكم الأرض بما رَحُبت وتَوْليتكم الأعداء أدباركم، كشف الله نازل البلاء عنكم، بإنزاله السكينة وهي الأمنة والطمأنينة عليكم. وقد بيَّنا أنها فعيلة من السكون فيما مضى من كتابنا هذا قبل بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. ﴿وأنْزَلَ جُنوداً لَمْ تَرَوْها﴾ وهي الملائكة التي ذُكِرت في الأخبار التي قد مضى ذكرها. ﴿وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يقول: وعذّب الله الذين جحدوا وحدانيته ورسالة رسوله محمد ﷺ بالقتل وسبي الأهلين والذراري وسلب الأموال والذلة. ﴿وذلكَ جزاءُ الكافرينَ﴾ يقول: هذا الذي فعلنا بهم من القتل والسبي جزاء الكافرين، يقول: هو ثواب أهل جحود وحدانيته ورسالة رسوله.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يقول: قتلهم بالسيف.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبو داود الحَفَريّ، عن يعقوب، عن جعفر، عن سعيد: ﴿وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قال: بالهزيمة والقتل.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذلكَ جَزَاءُ الكافِرِينَ﴾ قال: من بقي منهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ثم يتفضل الله بتوفيقه للتوبة والإنابة إليه من بعد عذابه الذي به عذّب من هلك منهم قتلاً بالسيف على من يشاء أي يتوب الله على من يشاء من الأحياء يقبل به إلى طاعته ﴿والله غَفُورٌ﴾ لذنوب من أناب وتاب إليه منهم ومن غيرهم منها، ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم فلا يعذبهم بعد توبتهم، ولا يؤاخذهم بها بعد إنابتهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٢٨)﴾.

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله وأقرّوا بوحدانيته: ما المشركون إلا نجس.

واختلف أهل التأويل في معنى النجَس وما السبب الذي من أجله سماهم بذلك، فقال بعضهم: سماهم بذلك لأنهم يُجْنِبون فلا يغتسلون، فقال: هم نجس، ولا يقربوا المسجد الحرام، لأن الجنب لا ينبغي له أن يدخل المسجد.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، في قوله: **﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾**: لا أعلم قتادة إلا قال: النجَس: الجنابة.

وبه عن معمر، قال: وبلغني أن النبيّ ﷺ لقي حذيفة، وأخذ النبيّ ﷺ بيده، فقال حذيفة: يا رسول الله إني جُنُب فقال: «إنَّ المُؤْمِنَ لا يَنْجُس».

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، في قوله: **﴿يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾**: أي أجناب.

وقال آخرون: معنى ذلك: ما المشركون إلا رجس خنزير أو كلب. وهذ قول رُوي عن ابن عباس من وجه غير حميد، فكرهنا ذكره.

وقوله: **﴿فَلا يَقْرَبُوا المَسْجِدَ الحَرَامَ بَعْدَ عامِهِمْ هَذَا﴾** يقول للمؤمنين: فلا تدعوهم أن يقربوا المسجد الحرام بدخولهم الحرَم. وإنما عني بذلك منعهم من دخول الحرَم، لأنهم إذا دخلوا الحرَم فقد قربوا المسجد الحرام.

وقد اختلف أهل التأويل في معنى ذلك، فقال بعضهم فيه نحو الذي قلناه.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر وابن المثنى، قالا: ثنا أبو عاصم، قال: أخبرنا ابن جريج، قال: قال عطاء: الحرَم كله قبلة ومسجد، قال: **﴿فَلا يَقْرَبُوا المَسْجِدَ الحَرَامَ﴾** لم يعن المسجد وحده، إنما عنى مكة والحرَم. قال ذلك غير مرة.

وذُكر عن عمر بن عبد العزيز في ذلك ما:

حدثنا عبد الكريم بن أبي عمير، قال: ثني الوليد بن مسلم، قال: ثنا أبو عمرو: أن عمر بن عبد العزيز كتب: أن امنعوا اليهود والنصارى من دخول مساجد المسلمين وأتبع في نهيه قول الله: **﴿إنَّمَا المُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾**.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن فضيل، عن أشعث، عن الحسن: **﴿إنَّمَا المُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾** قال: لا تصافحوهم، فمن صافحهم فليتوضأ.

وأما قوله: **﴿بَعْدَ عامِهِمْ هَذَا﴾** فإنه يعني: بعد العام الذي نادى فيه عليّ رحمة الله عليه ببراءة، وذلك عامَ حجّ بالناس أبو بكر، وهي سنة تسع من الهجرة. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿فَلا يَقْرَبُوا المَسْجِدَ الحَرَامِ بَعْدَ عامِهِمْ هَذَا﴾** وهو العام الذي حجّ فيه أبو بكر، ونادى عليّ رحمة الله عليهما بالأذان وذلك لتسع سنين مضين من هجرة رسول الله ﷺ. وحجّ نبيّ الله ﷺ من العام المقبل حِجة الوداع لم يحجّ قبلها ولا بعدها.

وقوله: **﴿وَإنْ خِفْتُمْ عَيلَةً﴾** يقول للمؤمنين: وإن خفتم فاقة وفقراً، بمنع المشركين من أن يقربوا المسجد الحرام. **﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إنْ شَاءَ﴾** يقال منه: عال يَعِيل عَيْلَةً وعُيُولاً، ومنه قول الشاعر:

وَمَا يَدْرِي الفَقِيرُ مَتَى غِنَاهُ ... وَمَا يَدْرِي الغَنِيُّ مَتَى يَعِيلُ[(١)]

وقد حُكي عن بعضهم أن من العرب من يقول في الفاقة: عال يَعُول بالواو. وذكر عن عمر بن فائد أنه كان تأوّل قوله: **﴿وَإنْ خِفْتُمْ عَيلَةً﴾** بمعنى: وإذ خفتم، ويقول: كان القوم قد خافوا، وذلك نحو قول القائل لأبيه: إن كنت أبي فأكرمني، بمعنى: إذ كنت أبي. وإنما قيل ذلك لهم، لأن المؤمنين خافوا بانقطاع المشركين عن دخول الحرم انقطاع تجاراتهم ودخول ضرر عليهم بانقطاع ذلك، وأمّنهم الله من العَيْلة وعوّضهم مما كانوا يكرهون انقطاعه عنهم ما هو خير لهم منه، وهو الجزية، فقال لهم: **﴿قاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ باللَّهِ وَلا باليَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ ما حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ...﴾** إلى: **﴿صَاغِرُونَ﴾**.

وقال قوم بإدرار المطر عليهم.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

---

(١) البيت لأحيحة بن الجلاح، من أربعة أبيات ذكرها صاحب «اللسان»: في (عيل). وعال يعيل من باب ضرب، علية وعيولاً: افتقر. وتقدم البيت في الجزء الرابع (ص ـ ٢٣٩).

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا إنَّمَا المُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا المَسْجِدَ الحَرَامَ بَعْدَ عامِهِمْ هَذَا**﴾ قال: لما نفى الله المشركين عن المسجد الحرام ألقى الشيطان في قلوب المؤمنين الحزن، قال: من أين تأكلون وقد نُفي المشركون وانقطعت عنكم العِير؟ فقال الله: ﴿**وَإنْ خِفْتُمْ عَيلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إنْ شاءَ**﴾ فأمرهم بقتال أهل الكتاب، وأغناهم من فضله.

حدثنا هناد بن السري، قال: ثنا أبو الأحوص، عن سماك، عن عكرمة، في قوله: ﴿**يا أيُها الَّذِينَ آمَنُوا إنَّمَا المُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا المَسْجِدَ الحَرَامِ بَعْدَ عامِهِمْ هَذَا**﴾ قال: كان المشركون يجيئون إلى البيت، ويجيئون معهم بالطعام ويَتَّجرون فيه فلما نهُوا أن يأتوا البيت قال المسلمون: من أين لنا طعام؟ فأنزل الله: ﴿**وَإنْ خِفْتُمْ عَيلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إنْ شاءَ**﴾ فأنزل عليهم المطر، وكثر خيرهم حين ذهب عنهم المشركون.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا حميد بن عبد الرحمن، عن عليّ بن صالح، عن سماك، عن عكرمة: ﴿**إنَّمَا المُشْرِكُونَ نَجَسٌ...**﴾ الآية، ثم ذكر نحو حديث هناد، عن أبي الأحوص،

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا مؤمل، قال: ثنا سفيان، عن واقد، عن سعيد بن جبير، قال: لما نزلت: ﴿**إنَّمَا المُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا المَسْجِدَ الحَرَامِ بَعْدَ عامِهِمْ هَذَا**﴾ شقّ ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، وقالوا: من يأتينا بطعامنا، ومن يأتينا بالمتاع؟ فنزلت: ﴿**وَإنْ خِفْتُمْ عَيلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إنْ شَاءَ**﴾.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن واقد مولى زيد بن خلدة، عن سعيد بن جبير، قال: كان المشركون يقدمون عليهم بالتجارة، فنزلت هذه الآية: ﴿**إنَّمَا المُشْرِكُونَ نَجَسٌ...**﴾ إلى قوله: ﴿**عَيلَةً**﴾ قال: الفقر. ﴿**فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ**﴾.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن إدريس، عن أبيه، عن عطية العوفيّ، قال: قال المسلمون: قد كنا نصيب من تجارتهم وبياعاتهم، فنزلت: ﴿**إنَّمَا المُشْرِكُونَ نَجَسٌ...**﴾ إلى قوله: ﴿**مِنْ فَضْلِهِ**﴾.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن إدريس، قال: سمعت أبي، أحسبه قال: أنبأنا أبو جعفر، عن عطية، قال: لما قيل: ولا يحجّ بعد العام مشرك قالوا: قد كنا نصيب من بياعاتهم في الموسم. قال: فنزلت: ﴿**يا أيُها الَّذِينَ آمَنُوا إنَّمَا المُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا المَسْجِدَ الحَرَامِ بَعْدَ عامِهِمْ هَذَا وَإنْ خِفْتُمْ عَيلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ**﴾ يعني: بما فاتهم من بياعاتهم.

حدثنا أبو كريب وابن وكيع، قالا: ثنا ابن يمان، عن أبي سنان، عن ثابت، عن الضحاك: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ قال: بالجزية.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن يمان وأبو معاوية، عن أبي سنان، عن ثابت، عن الضحاك، قال: أخرج المشركون من مكة، فشقّ ذلك على المسلمين، وقالوا: كنا نصيب منهم التجارة والمِيرة. فأنزل الله: ﴿قاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ باللَّهِ وَلا باليَوْمِ الآخِرِ﴾.

حُدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ، قال: ثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ كان ناس من المسلمين يتألفون العير فلما نزلت براءة بقتال المشركين حيثما ثُقِفوا، وأن يقعدوا لهم كل مرصد، قذف الشيطان في قلوب المؤمنين. فمن أين تعيشون وقد أمرتم بقتال أهل العِير؟ فعلم الله من ذلك ما علم، فقال: أطيعوني، وامضوا لأمري، وأطيعوا رسولي، فإني سوف أغنيكم من فضلي فتوكل لهم الله بذلك.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿إِنَّمَا المُشْرِكُونَ نَجَسٌ...﴾ إلى قوله: ﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِنْ شاءَ﴾ قال: قال المؤمنون: كنا نصيب من متاجر المشركين. فوعدهم الله أن يغنيهم من فضله عوضاً لهم بأن لا يقربوهم المسجد الحرام. فهذه الآية من أوّل براءة في القراءة، ومن آخرها في التأويل: ﴿قاتِلُوا الَّذِينَ لا يؤمِنُونَ باللَّهِ وَلا باليَوْمِ الآخِرِ...﴾ إلى قوله: ﴿عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ حين أمر محمد وأصحابه بغزوة تبوك.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، بنحوه.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: لما نفى الله المشركين عن المسجد الحرام، شقّ ذلك على المسلمين، وكانوا يأتون ببياعات ينتفع بذلك المسلمون، فأنزل الله تعالى ذكره: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ فأغناهم بهذا الخراج الجزية الجارية عليهم، يأخذونها شهراً شهراً، عاماً عاماً. فليس لأحد من المشركين أن يقرَب المسجد الحرام بعد عامهم بحال إلا صاحب الجزية، أو عبد رجل من المسلمين.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا ابن جريج، قال: أخبرنا أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول في قوله: ﴿إِنَّمَا المُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا المَسْجِدَ الحَرَامَ بَعْدَ عامِهِمْ هَذَا﴾ إلا أن يكون عبداً أو أحداً من أهل الذمة.

قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿فَلا يَقْرَبُوا المَسْجِدَ

الحَرَامِ بَعْدَ عامِهِمْ هَذَا﴾ قال: إلا صاحب جزية، أو عبداً لرجل من المسلمين.

حدثنا زكريا بن يحيى بن أبي زائدة، قال: ثنا حجاج، عن عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، قال: أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول في هذه الآية: **﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا المَسْجِدَ الحَرَامِ﴾** إلا أن يكون عبداً أو أحداً من أهل الجزية.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: **﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾** قال: أغناهم الله بالجزية الجارية شهراً فشهراً وعاماً فعاماً.

حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا عباد بن العوّام، عن الحجاج، عن أبي الزبير، عن جابر: **﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الحَرَامِ بَعْدَ عامِهِمْ هَذَا﴾** قال: لا يقرب المسجد الحرام بعد عامه هذا مشرك ولا ذميّ.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: **﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الحَرَامِ بَعْدَ عامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيلَةً﴾** وذلك أن الناس قالوا: لَتُقطَعنّ عنا الأسواق ولَتهلِكنّ التجارة وليذهبنّ ما كنا نصيب فيها من المرافق فنزل: **﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾** من وجه غير ذلك **﴿إِنْ شاءَ...﴾** إلى قوله: **﴿وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾**، ففي هذا عوض مما تخوّفتم من قطع تلك الأسواق. فعوّضهم الله بما قطع عنهم من أمر الشرك ما أعطاهم من أعناق أهل الكتاب من الجزية.

وأما قوله: **﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾** فإن معناه: إن الله عليم بما حدثتكم به أنفسكم أيها المؤمنون من خوف العيلة عليها بمنع المشركين من أن يقربوا المسجد الحرام، وغير ذلك من مصالح عباده، حكيم في تدبيره إياهم وتدبير جميع خلقه.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من أصحاب رسوله ﷺ: **﴿قاتِلُوا﴾** أيها المؤمنون القوم **﴿الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ باللَّهِ وَلا بالْيَوْمِ الآخِرِ﴾** يقول: ولا يصدّقون بجنة ولا نار، **﴿وَلا يُحَرِّمُونَ ما حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الحَقّ﴾** يقول: ولا يطيعون الله طاعة الحقّ، يعني: أنهم لا

يطيعون طاعة أهل الإسلام ﴿مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ﴾ وهم اليهود والنصارى، وكل مطيع ملكاً أو ذا سلطان، فهو دائن له، يقال منه: دان فلان لفلان فهو يدين له ديناً، قال زهير:

لَئِنْ حَلَلْتَ بِجَوٍّ فِي بَنِي أَسَدٍ ... فِي دِينِ عَمْرٍو وَحالَتْ بيْنَنا فَدَكُ[1]

وقوله: ﴿مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ﴾ يعني: الذين أعطوا كتاب الله، وهم أهل التوراة والإنجيل. ﴿حتى يُعْطُوا الجِزْيَةَ﴾ والجزية: الفعلة من جَزَى فلان فلاناً ما عليه: إذا قضاه، يجزيه. والجزية مثل القِعْدة والجِلْسة.

ومعنى الكلام: حتى يعطوا الخراج عن رقابهم الذي يبذلونه للمسلمين دفعاً عنها.

وأما قوله: ﴿عَنْ يَدٍ﴾ فإنه يعني: من يده إلى يد من يدفعه إليه، وكذلك تقول العرب لكل معطٍ قاهراً له شيئاً طائعاً له أو كارهاً: أعطاه عن يده وعن يد وذلك نظير قولهم: كلمته فماً لفم ولقيته كفة لكفة، وكذلك أعطيته عن يد ليد.

وأما قوله: ﴿وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ فإن معناه: وهم أذلاء مقهورون، يقال للذليل الحقير: صاغر. وذُكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ في أمره بحرب الروم، فغزا رسول الله ﷺ بعد نزولها غزوة تبوك.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عروة، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿قاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ باللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ ما حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الحَقّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ حتى يُعْطُوا الجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ حين أمر محمد وأصحابه بغزوة تبوك.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد نحوه.

واختلف أهل التأويل في معنى الصغار الذي عناه الله في هذا الموضع، فقال بعضهم: أن يعطيها وهو قائم والآخذ جالس.

---

(١) البيت لزهير بن أبي سلمى، من قصيدته الكافية المشهورة «**مختار الشعر الجاهلي**» طبعة الحلبي (ص ـ ٢٥٥) وهو الثاني والثلاثون فيها. وجو: واد بعينه. ودين عمرو: طاعته وسلطانه، يريد عمرو بن هند وفدك قرية في وادي القرى، يقول: لئن حللت بحيث لا أدركك، ليردن عليك هجوى، والأدنسن به عرضك كما يدنس الودك القبطية. يخاطب الحارث بن ورقاء الصيداوي من بني أسد، وكان أغار على بني عبد الله بن غطفان فغنم، واستادق إبل زهير وراعيه يسارا.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عبد الرحمن بن بشر النيسابوري، قال: ثنا سفيان، عن ابن سعد، عن عكرمة: ﴿**حتى يُعْطُوا الجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ**﴾ قال: أي تأخذها وأنت جالس وهو قائم.

وقال آخرون: معنى قوله: ﴿**حتى يُعْطُوا الجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ**﴾ عن أنفسهم بأيديهم يمشون بها وهم كارهون، وذلك قول رُوي عن ابن عباس من وجه فيه نظر.

وقال آخرون: إعطاؤهم إياها هو الصغار.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٣٠)﴾.

اختلف أهل التأويل في القائل: ﴿**عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ**﴾ فقال بعضهم: كان ذلك رجلاً واحداً، هو فنحاص.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: سمعت عبد الله بن عبيد بن عمير، قوله: ﴿**وَقالَتِ اليَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ**﴾، قال: قالها رجل واحد، قالوا: إن اسمه فنحاص، وقالوا: هو الذي قال: ﴿**إنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ ونَحنُ أغْنِياءُ**﴾.

وقال آخرون: بل كان ذلك قول جماعة منهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا يونس بن بكير، قال: ثنا محمد بن إسحاق، قال: ثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، قال: ثني سعيد بن جبير أو عكرمة، عن ابن عباس، قال: أتى رسول الله ﷺ سلامُ بن مشكم، ونعمان بن أوفى، وشاس بن قيس، ومالك بن الصيف، فقالوا: كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا، وأنت لا تزعم أن عزيراً ابن الله؟ فأنزل في ذلك من قولهم: ﴿**وَقالَتِ اليَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقالَتِ النَّصَارَى المَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ**...﴾ إلى: ﴿**أنَّى يُؤْفَكُونَ**﴾.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن

ابن عباس، قوله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ وإنما قالوا: هو ابن الله من أجل أن عزيراً كان في أهل الكتاب وكانت التوراة عندهم يعملون بها ما شاء الله أن يعملوا، ثم أضاعوها وعملوا بغير الحقّ. وكان التابوت فيهم فلما رأى الله أنهم قد أضاعوا التوراة وعملوا بالأهواء، رفع الله عنهم التابوت، وأنساهم التوراة ونسخها من صدورهم، وأرسل الله عليهم مرضاً، فاستطلقت بطونهم، حتى جعل الرجل يمشي كَبِدُه، حتى نسوا التوراة، ونسخت من صدورهم، وفيهم عزير. فمكثوا ما شاء الله أن يمكثوا بعد ما نسخت التوراة من صدورهم، وكان عزير قبل من علمائهم، فدعا عزير الله وابتهل إليه أن يردّ إليه الذي نسخ من صدره من التوراة. فبينما هو يصلي مبتهلاً إلى الله، نزل نور من الله فدخل جوفه، فعاد إليه الذي كان ذهب من جوفه من التوراة، فأذن في قومه فقال: يا قوم قد آتاني الله التوراة، وردّها إليّ فعلق يعلمهم، فمكثوا ما شاء الله وهو يعلمهم. ثم إن التابوت نزل بعد ذلك، وبعد ذهابه منهم فلما رأوا التابوت عرضوا ما كان فيه على الذي كان عزير يعلمهم، فوجدوه مثله، فقالوا: والله ما أوتي عزير هذا إلا أنه ابن الله.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ إنما قالت ذلك، لأنهم ظهرت عليهم العمالقة فقتلوهم، وأخذوا التوراة، وذهب علماؤهم الذين بقوا فدفنوا كتب التوراة في الجبال. وكان عزير غلاماً يتعبد في رؤوس الجبال لا ينزل إلا يوم عيد، فجعل الغلام يبكي ويقول: ربّ تركت بني إسرائيل بغير عالم فلم يزل يبكي حتى سقطت أشفار عينيه. فنزل مرّة إلى العيد فلما رجع إذا هو بامرأة قد مثلت له عند قبر من تلك القبور تبكي وتقول: يا مطعماه، ويا كاسياه فقال لها: ويحك، من كان يطعمك ويكسوك ويسقيك وينفعك قبل هذا الرجل؟ قالت: الله. قال: فإن الله حيّ لم يمت. قالت: يا عزير، فمن كان يعلم العلماء قبل بني إسرائيل؟ قال: الله. قالت: فلم تبكي عليهم؟ فلما عرف أنه قد خُصِم ولى مدبراً، فدعته فقالت: يا عزير إذا أصبحت غداً فأت نهر كذا وكذا فاغتسل فيه، ثم اخرج فصلّ ركعتين، فإنه يأتيك شيخ فما أعطاك فخذه فلما أصبح، انطلق عزير إلى ذلك النهر، فاغتسل فيه، ثم خرج فصلى ركعتين، فجاءه الشيخ فقال: افتح فمك ففتح فمه، فألقى فيه شيئاً كهيئة الجمرة العظيمة مجتمعاً كهيئة القوارير ثلاث مرار. فرجع عزير وهو من أعلم الناس بالتوراة، فقال: يا بني إسرائيل، إني قد جئتكم بالتوراة. فقالوا يا عزير ما كنت كذّاباً. فعمد فربط على كلّ إصبع له قلماً، وكتب بأصابعه كلها، فكتب التوراة كلها. فلما رجع العلماء أخبروا بشأن عزير، فاستخرج أولئك العلماء كتبهم التي كانوا دفنوها من التوراة في الجبال، وكانت في خوابٍ مدفونة، فعارضوها بتوراة عزير فوجدوها مثلها، فقالوا: ما أعطاك الله هذا إلا أنك ابنه.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء أهل المدينة وبعض المكيين والكوفيين:

«وَقالَتِ اليَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ» لا ينوّنون «عزيراً». وقرأه بعض المكيين والكوفيين: **﴿عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾** بتنوين «عزير». قال: هو اسم مجرى وإن كان أعجمياً لخفته، وهو مع ذلك غير منسوب إلى الله، فيكون بمنزلة قول القائل: زيد بن عبد الله، وأوقع الابن موقع الخبر، ولو كان منسوباً إلى الله لكان الوجه فيه إذا كان الابن خبراً: الإجراء والتنوين، فكيف وهو منسوب إلى غير أبيه. وأما من ترك تنوين «عزير»، فإنه لما كانت الباء من ابن ساكنة مع التنوين الساكن والتقى ساكنان فحذف الأوّل منهما استثقالاً لتحريكه، قال الراجز:

لَتَجِدَنّي بالأَمِيرِ بَرّاً ... وبالقَناةِ مِدْعَساً مِكَرّا
إذا غُطَيْفُ السُّلَمِيُّ فَرّا[1]

فحذف النون للساكن الذي استقبلها.

قال أبو جعفر: وأولى القراءتين بالصواب في ذلك قراءة من قرأ: **﴿عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾** بتنوين «عزير» لأن العرب لا تنوّن الأسماء إذا كان الابن نعتاً للاسم، كقولهم: هذا زيد بن عبد الله، فأرادوا الخبر عن عُزير بأنه ابن الله، ولم يريدوا أن يجعلوا الابن له نعتاً. والابن في هذا الموضع خبر لعزير، لأن الذين ذكر الله عنهم أنهم قالوا ذلك، إنما أخبروا عن عزير أنه كذلك، وإن كانوا بقيلهم ذلك كانوا كاذبين على الله مفترين. **﴿وَقالَتِ النَّصارَى المسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذلكَ قَوْلُهُمْ بأفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ﴾** يعني قول اليهود: **﴿عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾**. يقول: نسبة قول هؤلاء في الكذب على الله والفرية عليه ونسبتهم المسيح إلى أنه لله ابن ككذب اليهود وفريتهم على الله في نسبتهم عزير إلى أنه لله ابن، ولا ينبغي أن يكون لله ولد سبحانه، بل له ما في السماوات والأرض، كلٌ له قانتون.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: **﴿يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ﴾** يقول: يشبهون.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ﴾** ضاهت النصارى قول اليهود قبلهم.

---

(١) هذه أبيات ثلاثة من مشطور الرجز، ذكرها صاحب «اللسان» في (دعس) قال: ورجل مدعس: طعان. قال. . . . الأبيات. وذكر البيتين: الأولين منها في (دعص) قال: ورجل مد عص بالرمح: طعان. قال: وذكر البيتين ولم ينسبهما.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ﴾ النصارى يضاهئون قول اليهود في عزير.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج: ﴿يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ﴾ يقول: النصارى يضاهئون قول اليهود.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ﴾ يقول: قالوا مثل ما قال أهل الأوثان.

وقد قيل: إن معنى ذلك: يحكون بقولهم قول أهل الأديان الذين قالوا: اللات والعُزّى ومناة الثالثة الأخرى.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء الحجاز والعراق: «يُضَاهُونَ» بغير همز. وقرأه عاصم: ﴿يُضَاهِئُونَ﴾ بالهمز، وهي لغة لثقيف. وهما لغتان، يقال: ضاهيته على كذا أضاهيه مضاهاة وضاهأته عليه مضاهأة، إذا مالأته عليه وأعنته.

قال أبو جعفر: والصواب من القراءة في ذلك ترك الهمز، لأنها القراءة المستفيضة في قرأة الأمصار واللغة الفصحى.

وأما قوله: ﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ﴾ فإن معناه فيما ذكر عن ابن عباس، ما:

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ﴾ يقول: لعنهم الله، وكلّ شيء في القرآن «قتل» فهو لعن.

وقال ابن جريج في ذلك، ما:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قوله: ﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ﴾ يعني النصارى، كلمةٌ من كلام العرب.

فأما أهل المعرفة بكلام العرب فإنهم يقولون معناه: قتلهم الله، والعرب تقول: قاتعك الله، وقاتعها الله بمعنى: قاتلك الله، قالوا: وقاتعك الله أهون من قاتله الله. وقد ذكروا أنهم يقولون: شاقاه الله ما باقاه، يريدون: أشقاه الله ما أبقاه. قالوا: ومعنى قوله: ﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ﴾ كقوله: ﴿قُتِلَ الخَرَّاصُونَ﴾ و﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ﴾ واحد وهو بمعنى التعجب. فإن كان الذي قالوا كما قالوا، فهو من نادر الكلام الذي جاء على غير القياس، لأن فاعلت لا تكاد أن تجيء فعلاً إلا من اثنين، كقولهم: خاصمت فلاناً وقاتلته، وما أشبه ذلك. وقد زعموا أن قولهم: عافاك الله منه، وأن معناه: أعفاك الله، بمعنى الدعاء لمن دعا له بأن يعفيه من السوء.

وقوله: ﴿أنّى يُؤْفَكُونَ﴾ يقول: أيّ وجه يذهب بهم ويحيدون، كيف يصدّون عن الحقّ، وقد بينا ذلك بشواهده فيما مضى قبل.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿اتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾.

يقول جلّ ثناؤه: اتخذ اليهود أحبارهم، وهم العلماء. وقد بينت تأويل ذلك بشواهده فيما مضى من كتابنا هذا. قيل واحدهم حِبْر وحَبْر بكسر الحاء منه وفتحها. وكان يونس الجرميّ[1] فيما ذكر عنه يزعم أنه لم يسمع ذلك إلا «حِبر» بكسر الحاء، ويحتجّ بقول الناس: هذا مداد حِبْر، يراد به: مداد عالم. وذكر الفراء أنه سمعه حِبراً وحَبراً بكسر الحاء وفتحها. والنصارى رهبانهم، وهم أصحاب الصوامع وأهل الاجتهاد في دينهم منهم. كما:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سلمة، عن الضحاك: ﴿اتَّخَذُوا أحبارَهُمْ وَرُهْبانَهُمْ﴾ قال: قرّاءهم وعلماءهم.

﴿أرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ يعني: سادة لهم من دون الله يطيعونهم في معاصي الله، فيحلون ما أحلوه لهم مما قد حرّمه الله عليهم ويحرّمون ما يحرّمونه عليهم مما قد أحله الله لهم. كما:

حدثني الحسن بن يزيد الطحان، قال: ثنا عبد السلام بن حرب الملائي، عن غطيف بن أعين، عن مصعب بن سعد، عن عديّ بن حاتم، قال: انتهيت إلى النبيّ ﷺ وهو يقرأ في سورة براءة: ﴿اتَّخَذُوا أحْبارَهُمْ وَرُهْبانَهُمْ أرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ فقال: «أما إنَّهُمْ لم يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ، ولَكِنْ كَانُوا يُحِلُّونَ لهم فَيُحِلّونَ».

حدثنا أبو كريب وابن وكيع، قالا: ثنا مالك بن إسماعيل، وحدثنا أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمد جميعاً عن عبد السلام بن حرب، قال: ثنا غطيف بن أعين، عن مصعب بن سعد، عن عديّ بن حاتم، قال: أتيت رسول الله ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب، فقال: «يا عَدِيّ اطْرَحْ هذا الوَثَنَ مِنْ عُنُقِكَ» قال: فطرحته وانتهيت إليه وهو يقرأ في سورة براءة، فقرأ هذه الآية: ﴿اتَّخَذُوا أحْبارَهُمْ وَرُهْبانَهُمْ أرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ قال: قلت: يا رسول الله إنا لسنا نعبدهم فقال: «أليس يَحرّمونَ ما أحَلَّ اللَّهُ فَتُحَرّمُونَهُ، ويُحِلُّونَ ما حَرَّمَ اللَّهُ فَتُحِلُّونَهُ؟» قال: قلت: بلى.

---

(١) نبهنا مراراً على أن يونس النحوي، هو ابن حبيب الضبي مولاهم، ولكن الكاتب يخطىء فيها، ويجعلها الحرمي.

قال: «فَتِلكَ عِبادَتُهُمْ» واللفظ لحديث أبي كريب.

حدثني سعيد بن عمرو السكوني، قال: ثنا بقية عن قيس بن الربيع، عن عبد السلام بن حرب النهدي، عن غطيف، عن مصعب بن سعد، عن عديّ بن حاتم، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقرأ سورة براءة فلما قرأ: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَرُهْبانَهُمْ أرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ قلت: يا رسول الله، أما إنهم لم يكونوا يصلون لهم؟ قال: «صَدَقْتَ، ولَكِنْ كانُوا يُحِلُّونَ لَهُمْ ما حَرَّمَ اللَّهُ فَيَسْتَحِلُّونَهُ، ويُحَرِّمُونَ ما أحَلَّ اللَّهُ لَهُمْ فَيُحَرِّمُونَهُ».

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن بن مهدي، قال: ثنا سفيان، عن حبيب بن أبي ثابت، عن أبي البختري، عن حذيفة، أنه سئل عن قوله: ﴿اتَّخَذُوا أحْبارَهُمْ وَرُهْبانَهُمْ أرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ كانوا يعبدونهم؟ قال: لا، كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه، وإذا حرّموا عليهم شيئاً حرّموه.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن حبيب، عن أبي البختريّ، قال: قيل لأبي حذيفة فذكر نحوه، غير أنه قال: ولكن كانوا يحلون لهم الحرام فيستحلونه، ويحرّمون عليهم الحلال فيحرّمونه.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا يزيد بن هارون، عن العوّام بن حوشب، عن حبيب، عن أبي البختري قال: قيل لحذيفة: أرأيت قول الله: ﴿اتَّخَذُوا أحْبارَهُمْ﴾؟ قال: أما إنهم لم يكونوا يصومون لهم، ولا يصلون لهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه، وإذا حرّموا عليهم شيئاً أحله الله لهم حرّموه، فتلك كانت ربوبيتهم.

قال: ثنا جرير وابن فضيل، عن عطاء، عن أبي البختري: ﴿اتَّخَذُوا أحْبارَهُمْ وَرُهْبانَهُمْ أرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ قال: انطلقوا إلى حلال الله فجعلوه حراماً، وانطلقوا إلى حرام الله فجعلوه حلالاً، فأطاعوهم في ذلك، فجعل الله طاعتهم عبادتهم، ولو قالوا لهم اعبدونا لم يفعلوا.

حدثني الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوري، عن حبيب بن أبي ثابت، عن أبي البختري، قال: سأل رجل حذيفة، فقال: يا أبا عبد الله أرأيت قوله: ﴿اتَّخَذُوا أحْبارَهُمْ وَرُهْبانَهُمْ أرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أكانوا يعبدونهم؟ قال: لا، كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه، وإذا حرّموا عليهم شيئاً حرّموه.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن أبي عديّ، عن أشعث، عن الحسن: ﴿اتَّخَذُوا أحْبارَهُمْ وَرُهْبانَهُمْ أرْباباً﴾ قال: في الطاعة.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: **﴿اتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَرُهْبانَهُمْ أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾** يقول: وزينوا لهم طاعتهم.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: **﴿اتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَرُهْبانَهُمْ أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾** قال عبد الله بن عباس: لم يأمروهم أن يسجدوا لهم، ولكن أمروهم بمعصية الله، فأطاعوهم، فسماهم الله بذلك أرباباً.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن نمير، عن أبي جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية: **﴿اتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَرُهْبانَهُمْ أَرْباباً﴾** قال: قلت لأبي العالية: كيف كانت الربوبية التي كانت في بني إسرائيل؟ قال: قالوا: ما أمرونا به ائتمرنا، وما نهونا عنا انتهينا لقولهم: وهم يجدون في كتاب الله ما أمروا به وما نهوا عنه، فاستنصحوا الرجال، ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم.

حدثني بشر بن سويد، قال: ثنا سفيان، عن عطاء بن السائب، عن أبي البختري، عن حذيفة: **﴿اتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَرُهْبانَهُمْ أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾** قال: لم يعبدوهم، ولكنهم أطاعوهم في المعاصي.

وأما قوله: **﴿والمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾** فإن معناه: اتخذوا أحبارهم ورهبانهم والمسيح ابن مريم أرباباً من دون الله.

وأما قوله: **﴿وَما أُمِرُوا إلاَّ لِيَعْبُدُوا إلَهاً وَاحِداً﴾** فإنه يعني به: وما أمر هؤلاء اليهود والنصارى الذين اتخذوا الأحبار والرهبان والمسيح أرباباً إلا أن يعبدوا معبوداً واحداً، وأن يطيعوا إلا رباً واحداً دون أرباب شتى وهو الله الذي له عبادة كلّ شيء وطاعة كلّ خلق، المستحقّ على جميع خلقه الدينونة له بالوحدانية والربوبية، لا إله إلا هو. يقول تعالى ذكره: لا تنبغي الألوهة إلا لواحد الذي أمر الخلق بعبادته، ولزمت جميع العباد طاعته. **﴿سُبْحانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾** يقول: تنزيهاً وتطهيراً لله عما يشرك في طاعته وربوبيته القائلون عزير ابن الله، والقائلون المسيح ابن الله، المتخذون أحبارهم أرباباً من دون الله.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: يريد هؤلاء المتخذون أحبارهم ورهبانهم والمسيح ابن مريم أرباباً **﴿أنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بأفْوَاهِهِمْ﴾** يعني: أنهم يحاولون بتكذيبهم بدين الله الذي ابتعث به رسوله وصدّهم

الناس عنه بألسنتهم أن يبطلوه، وهو النور الذي جعله الله لخلقه ضياء. **﴿ويَأبَى اللّهُ إلاّ أنْ يُتِمَّ نُورَهُ﴾** يعلو دينه وتظهر كلمته، ويتمّ الحقّ الذي بعث به رسوله محمداً ﷺ، ولو كره إتمام الله إياه الكافرون، يعني: جاحديه المكذّبين به.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: **﴿يُرِيدُونَ أنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللّهِ بأفْوَاهِهِمْ﴾** يقول: يريدون: أن يطفئوا الإسلام بكلامهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: الله الذي يأبى إلا إتمام دينه ولو كره ذلك جاحدوه ومنكروه، الذي أرسل رسوله محمداً ﷺ بالهدى، يعني: ببيان فرائض الله على خلقه، وجميع اللازم لهم، وبدين الحقّ وهو الإسلام، **﴿لِيُظْهِرَهُ على الدّينِ كُلِّهِ﴾** يقول: ليعلى الإسلام على الملل كلها، **﴿ولو كَرِهَ المُشْرِكُونَ﴾** بالله ظهوره عليها.

وقد اختلف أهل التأويل في معنى قوله: **﴿لِيُظْهِرَهُ على الدّينِ كُلِّهِ﴾** فقال بعضهم: ذلك عند خروج عيسى حين تصير الملل كلها واحدة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا يحيى بن سعيد القطان، قال: ثنا شقيق، قال: ثني ثابت الحداد أبو المقدام، عن شيخ، عن أبي هريرة في قوله: **﴿لِيُظْهِرَهُ على الدِّينِ كُلِّهِ﴾** قال: حين خروج عيسىَ ابن مريم.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا حميد بن عبد الرحمن، عن فضيل بن مرزوق، قال: ثني من سمع أبا جعفر: **﴿لِيُظْهِرَهُ على الدِّينِ كُلِّهِ﴾** قال: إذا خرج عيسى عليه السلام اتبعه أهل كل دين.

وقال آخرون: معنى ذلك: ليعلمه شرائع الدين كلها فيطلعه عليها.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله:

﴿لِيُظْهِرَهُ على الدّينِ كُلِّهِ﴾ قال: ليظهر الله نبيه على أمر الدين كله، فيعطيه إياه كله، ولا يخفى عليه منه شيء. وكان المشركون واليهود يكرهون ذلك.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله وأقرّوا بوحدانية ربهم، إن كثيراً من العلماء والقرّاء من بني إسرائيل من اليهود والنصارى **﴿لَيَأْكُلُونَ أموالَ النَّاسِ بالباطِلِ﴾** يقول: يأخذون الرشا في أحكامهم، ويحرّفون كتاب الله، ويكتبون بأيديهم كتباً ثم يقولون: هذه من عند الله، ويأخذون بها ثمناً قليلاً من سفلتهم. **﴿وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾** يقول: ويمنعون من أراد الدخول في الإسلام الدخول فيه بينهم إياهم عنه.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: **﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إنَّ كَثِيراً مِنَ الأحْبارِ وَالرُّهْبانِ لَيَأْكُلُونَ أمْوَالَ النَّاسِ بالباطِلِ﴾** أما الأحبار، فمن اليهود وأما الرهبان: فمن النصارى وأما سبيل الله: فمحمد ﷺ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالفِضَّةَ وَلا يُنْفِقُونَها فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ ألِيمٍ﴾.

يقول تعالى ذكره: **﴿إنَّ كَثِيراً مِنَ الأحْبارِ وَالرُّهْبانِ لَيَأْكُلُونَ أمْوَالَ النَّاسِ بالباطِلِ﴾** ويأكلها أيضاً معهم **﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالفِضَّةَ وَلا يُنْفِقُونَها فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ ألِيمٍ﴾** يقول: بشر الكثير من الأحبار والرهبان الذين يأكلون أموال الناس بالباطل، والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله، بعذاب أليم لهم يوم القيامة موجع من الله.

واختلف أهل العلم في معنى الكنز، فقال بعضهم: هو كلّ مال وجبت فيه الزكاة فلم تؤدّ زكاته. قالوا: وعنى بقوله: **﴿ولاَ يُنْفِقُونَها فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾** ولا يؤدون زكاتها.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الوهاب، قال: ثنا أيوب، عن نافع، عن ابن عمر، قال:

كلّ مال أدّيت زكاته فليس بكنز وإن كان مدفوناً، وكلّ مال لم تؤدّ زكاته فهو الكنز الذي ذكره الله في القرآن يُكْوَى به صاحبه وإن لم يكن مدفوناً.

حدثنا الحسين بن الجنيد، قال: ثنا سعيد بن مسلمة، قال: ثنا إسماعيل بن أمية، عن نافع، عن ابن عمر، أنه قال: كلّ مال أدّيت منه الزكاة فليس بكنز وإن كان مدفوناً، وكلّ مال لم تؤدّ منه الزكاة وإن لم يكن مدفوناً فهو كنز.

حدثني أبو السائب، قال: ثنا ابن فضيل، عن يحيى بن سعيد، عن نافع، عن ابن عمر، قال: أيما مال أدّيت زكاته فليس بكنز وإن كان مدفوناً في الأرض، وأيما مال لم تؤدّ زكاته فهو كنز يكوى به صاحبه، وإن كان على وجه الأرض.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي وجرير، عن الأعمش، عن عطية، عن ابن عمر، قال: ما أدّيت زكاته فليس بكنز.

قال: ثنا أبي، عن العمري، عن نافع، عن ابن عمر، قال: ما أدّيت زكاته فليس بكنز وإن كان تحت سبع أرضين، وما لم تؤدّ زكاته فهو كنز وإن كان ظاهراً.

قال: ثنا جرير، عن الشيباني، عن عكرمة، قال: ما أدّيت زكاته فليس بكنز.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قال: أما الذين يكنزون الذهب والفضة فهؤلاء أهل القبلة. والكنز: ما لم تؤدّ زكاته وإن كان على ظهر الأرض وإن قلّ وإن كان كثيراً قد أدّيت زكاته، فليس بكنز.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن إسرائيل. عن جابر، قال: قلت لعامر: مالٌ على رفّ بين السماء والأرض لا تؤدّى زكاته، أكنز هو؟ قال: يكوى به يوم القيامة.

وقال آخرون: كل مال زاد على أربعة آلاف درهم، فهو كنز، أدّيت منه الزكاة أو لم تؤدّ.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبو بكر بن عياش، عن أبي حصين، عن أبي الضحى، عن جعدة بن هبيرة، عن عليّ رحمه الله عليه قال: أربعة آلاف درهم فما دونها نفقة، فما كان أكثر من ذلك فهو كنز.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن أبي حصين، عن أبي الضحى، عن جعدة بن هبيرة، عن عليّ مثله.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الشعبيّ، قال: أخبرني أبو حصين، عن أبي الضحى، عن جعدة بن هبيرة، عن عليّ رحمة الله عليه، في قوله: **﴿وَالَّذِينَ يُكْنِزُونَ الذَّهَبَ والفضَّةَ﴾** قال: أربعة آلاف درهم فما دونها نفقة، وما فوقها كنز.

وقال آخرون: الكنز كلّ ما فضل من المال عن حاجة صاحبه إليه.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا عبد الله بن معاذ، قال: ثنا أبي، قال: ثنا شعبة، عن أنس، عن عبد الواحد أنه سمع أبا مجيب قال: كان نعل سيف أبي هريرة من فضة، فنهاه عنها أبو ذرّ، وقال: إن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ تَرَكَ صَفْرَاءَ أَوْ بَيْضَاءَ كُوِيَ بِهَا».

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا مؤمل، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن الأعمش وعمرو بن مرّة، عن سالم بن أبي الجعد، قال: لما نزلت: **﴿وَالَّذِينَ يُكْنِزُونَ الذَّهَبَ والفضَّةَ ولاَ يُنْفِقُونَها فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾** قال النبي ﷺ: «تَبّاً للذَّهَبِ تَبّاً للفِضَّةِ» يقولها ثلاثاً. قال: فشقّ ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، قالوا: فأيّ مال نتخذه؟ فقال عمر: أنا أعلم لكم ذلك. فقال: يا رسول الله إن أصحابك قد شقّ عليهم وقالوا: فأيّ المال نتخذ، فقال: «لساناً ذَاكِراً، وَقَلْباً شَاكِراً، وَزَوْجَةً تُعِينُ أحَدَكُمْ على دِينِهِ».

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا مؤمل، قال: ثنا إسرائيل، عن منصور، عن سالم بن أبي الجعد، عن ثوبان بمثله.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوريّ، عن منصور، عن عمرو بن مرّة، عن سالم بن أبي الجعد، قال: لما نزلت هذه الآية: **﴿وَالَّذِينَ يُكْنِزُونَ الذَّهَبَ والفضَّةَ ولاَ يُنْفِقُونَها فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾** قال المهاجرون: وأيّ المال نتخذ؟ فقال عمر: أسأل النبيّ ﷺ عنه. قال: فأدركته على بعير، فقلت: يا رسول الله إن المهاجرين قالوا: فأيّ المال نتخذه؟ فقال رسول الله ﷺ: «لِساناً ذَاكِراً، وقَلْباً شَاكِراً، وَزَوْجَةً مُؤْمِنَةً تُعِينُ أحَدَكُمْ على دِينِهِ».

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، عن شهر بن حوشب، عن أبي أمامة، قال: توفي رجل من أهل الصُّفَّة، فوجد في مئزره دينار، فقال رسول الله ﷺ: «كَيَّةٌ» ثم توفي آخر، فوجد في مئزره ديناران، فقال النبيّ ﷺ: «كَيَّتانِ».

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن شهر بن حوشب، عن صدى بن عجلان أبي أمامة، قال: مات رجل من أهل الصفة، فوجد في مئزره دينار، فقال رسول الله ﷺ: «كَيَّةٌ» ثم توفي آخر، فوجد في مئزره ديناران فقال نبيّ الله: «كَيَّتانِ».

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن سالم، عن ثوبان، قال: كنا في سفر ونحن نسير مع رسول الله ﷺ، قال المهاجرون: لوددنا أنا علمنا أيّ المال خير فنتخذه إذ نزل في الذهب والفضة ما نزل، فقال عمر: إن شئتم سألت رسول الله ﷺ عن ذلك. فقالوا: أجل. فانطلق فتبعته أوضع على بعيري، فقال: يا رسول الله إن المهاجرين لما أنزل الله في الذهب والفضة ما أنزل قالوا: وددنا أنا علمنا أيّ المال خير فنتخذه، قال: «نَعَمْ، فَيَتَّخِذُ أَحَدُكُمْ لِساناً ذَاكِراً، وَقَلْباً شَاكِراً، وَزَوْجَةً تُعِينُ أَحَدَكُمْ على إيمَانِهِ».

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصحة: القول الذي ذُكِر عن ابن عمر من أن كلّ مال أديت زكاته فليس بكنز يحرم على صاحبه اكتنازه وإن كثر، وأن كلّ ما لم تؤدّ زكاته فصاحبه معاقب مستحقّ وعيد الله إلاّ أن يتفضل الله عليه بعفوه وإن قل إذا كان مما يجب فيه الزكاة. وذلك أن الله أوجب في خمس أواق من الوَرِق على لسان رسوله ربع عشرها، وفي عشرين مثقالاً من الذهب مثل ذلك ربع عشرها. فإذ كان ذلك فرض الله في الذهب والفضة على لسان رسوله، فمعلوم أن الكثير من المال وإن بلغ في الكثرة ألوف ألوف لو كان، وإن أدّيت زكاته من الكنوز التي أوعد الله أهلها عليها العقاب، لم يكن فيه الزكاة التي ذكرنا من ربع العشر، لأن ما كان فرضاً إخراج جميعه من المال وحرام اتخاذه فزكاته الخروج من جميعه إلى أهله لا ربع عشره، وذلك مثل المال المغصوب الذي هو حرام على الغاصب إمساكه وفرض عليه إخراجه من يده إلى يده، فالتطهر منه ردّه إلى صاحبه. فلو كان ما زاد من المال على أربعة آلاف درهم، أو ما فضل عن حاجة ربه التي لا بد منها مما يستحق صاحبه باقتنائه إذا أدّى إلى أهل السهمان حقوقهم منها من الصدقة وعيد الله لم يكن اللازم ربه فيه ربع عشره، بل كان اللازم له الخروج من جميعه إلى أهله وصرفه فيما يجب عليه صرفه، كالذي ذكرنا من أن الواجب على غاصب رجل ماله ردّه على ربه. وبعد، فإن فيما:

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، قال: قال معمر: أخبرني سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ، قال: «ما مِنْ رَجُلٍ لا يُؤَدّي زَكَاةَ مالِهِ إلاَّ جُعِلَ يَوْمَ القِيَامَةِ صفَائِحَ مِنْ نارٍ يُكْوَى بِها جَنْبُهُ وجَبْهَتُهُ وظَهْرُهُ فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ حتى يُقْضَى بينَ النَّاسِ ثُمَّ يَرَى سَبِيلَه وَإنْ كانَتْ إبِلاً إلاَّ بُطِحَ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ تَطَؤُهُ بأخْفَافِها» حسبته قال: «وَتَعَضّهُ بأفْوَاهِها، يَرِدُ أُولاها على أُخْرَاها، حتى يُقْضَى بينَ النَّاسِ ثُمَّ يَرَى سَبِيلَهُ. وَإنْ كانَتْ غَنَماً فَمِثْلُ ذلكَ، إلا أنَّها تَنْطَحُهُ بقُرُونِها، وَتَطَؤُهُ بأظْلافِها».

وفي ذلك نظائر من الأخبار التي كرهنا الإطالة بذكرها الدلالة الواضحة على أن الوعيد إنما هو من الله على الأموال التي لم تؤدّ الوظائف المفروضة فيها لأهلها من الصدقة، لا على اقتنائها واكتنازها.

وفيما بينا من ذلك البيان الواضح على أن الآية لخاصّ كما قال ابن عباس، وذلك ما:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: **﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ والفضَّةَ ولاَ يُنْفِقُونَها فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾** يقول: هم أهل الكتاب، وقال: هي خاصة وعامة.

يعني بقوله: هي خاصة وعامة هي خاصة من المسلمين فيمن لم يؤدّ زكاة ماله منهم، وعامة في أهل الكتاب لأنهم كفار لا تقبل منهم نفقاتهم إن أنفقوا.

يدلّ على صحة ما قلنا في تأويل قول ابن عباس هذا ما:

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: **﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ والفضَّةَ ولاَ يُنْفِقُونَها...﴾** إلى قوله: **﴿هَذَا ما كَنَزْتُمْ لأنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا ما كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾** قال: هم الذين لا يؤدّون زكاة أموالهم. قال: وكلّ مال لا تؤدّى زكاته كان على ظهر الأرض أو في بطنها فهو كنز، وكل مال تؤدّى زكاته فليس بكنز كان على ظهر الأرض أو في بطنها.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ والفضَّةَ﴾** قال: الكنز: ما كنز عن طاعة الله وفريضته، وذلك الكنز. وقال: افترضت الزكاة والصلاة جميعاً لم يفرق بينهما.

وإنما قلنا ذلك على الخصوص، لأن الكنز في كلام العرب: كلّ شيء مجموع بعضه على بعض في بطن الأرض كان أو على ظهرها، يدلّ على ذلك قول الشاعر:

لا دَرَّ دَرّى إنْ أَطْعَمْتُ نازِلَهُمْ قِرْفَ الحَتِيّ وعِنْدي البُرُّ مَكْنُوزُ[١]

يعني بذلك: وعند البرّ مجموع بعضه على بعض، وكذلك تقول العرب للبدن المجتمع: مكتنز لانضمام بعضه إلى بعض. وإذا كان ذلك معنى الكنز عندهم، وكان قوله: **﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ والفضَّةَ﴾** معناه: والذين يجمعون الذهب والفضة بعضها إلى بعض، **﴿ولاَ يُنْفِقُونَها فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾** وهو عامّ في التلاوة، لم يكن في الآية بيان كم ذلك القدر من الذهب والفضة الذي إذا

---

(١) البيت لبعض الهذليين، أورده صاحب «اللسان» في (حتا) قال: والحتى، على فعيل: سويق المقل، وقيل رديئه، وقيل يابسه. قال الهذلي... البيت. والقرف بكسر القاف القشر والقرفة القشرة. يريد أنه لا يطعم ضيفانه إذا نزلوا به، الخبز المتخذ من قشر الحتى، مع أن البر كثير عنده مكدس بعضه على بعض، فذلك لؤم لا يرضاه لنفسه.

جمع بعضه إلى بعض استحقّ الوعيد كان معلوماً أن خصوص ذلك إنما أدرك بوقف الرسول عليه، وذلك كما بينا من أنه المال الذي لم يؤدّ حقّ الله منه من الزكاة دون غيره لما قد أوضحنا من الدلالة على صحته.

وقد كان بعض الصحابة يقول: هي عامة في كلّ كنز، غير أنها خاصة في أهل الكتاب وإياهم عنى الله بها.

ذكر من قال ذلك:

حدثني أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس، قال: ثنا هشيم، قال: ثنا حصين عن زيد بن وهب، قال: مررت بالربذة، فلقيت أبا ذرّ، فقلت: يا أبا ذرّ، ما أنزلك هذه البلاد؟ قال: كنت بالشأم، فقرأت هذه الآية: ﴿**وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ والفضَّةَ...**﴾ الآية، فقال معاوية: ليست هذه الآية فينا، إنما هذه الآية في أهل الكتاب. قال: فقلت إنها لفينا وفيهم. قال: فارتفع في ذلك بيني وبينه القول، فكتب إلى عثمان يشكوني، فكتب إليّ عثمان: أن أقبل إليَّ قال: فأقبلت فلما قدمت المدينة ركبني الناس كأنهم لم يروني قبل يومئذ، فشكوت ذلك إلى عثمان، فقال لي: تنحّ قريباً قلت: والله لن أدع ما كنت أقول.

حدثنا أبو كريب وأبو السائب وابن وكيع، قالوا: ثنا ابن إدريس، قال ثنا حصين، عن زيد بن وهب، قال: مررنا بالربذة، ثم ذكر عن أبي ذرّ نحوه.

حدثني أبو السائب، قال: ثنا ابن إدريس، عن أشعث، وهشام، عن أبي بشر، قال: قال أبو ذرّ: خرجت إلى الشام فقرأت هذه الآية: ﴿**وَالَّذِينَ يُكْنِزُونَ الذَّهَبَ والفضَّةَ ولاَ يُنْفِقُونَها فِي سَبِيلِ اللَّهِ**﴾ فقال معاوية: إنما هي في أهل الكتاب، قال: فقلت: إنها لفينا وفيهم.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا حصين، عن زيد بن وهب، قال: مررت بالربذة فإذا أنا بأبي ذرّ، قال: قلت له: ما أنزلك منزلك هذا؟ قال: كنت بالشام، فاختلفت أنا ومعاوية في هذه الآية: ﴿**وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ والفضَّةَ ولاَ يُنْفِقُونَها فِي سَبِيلِ اللَّهِ**﴾ قال: فقال: نزلت في أهل الكتاب. فقلت: نزلت فينا وفيهم. ثم ذكر نحو حديث هشيم عن حصين.

فإن قال قائل: فكيف قيل: ﴿**ولاَ يُنْفِقُونَها فِي سَبِيلِ اللَّهِ**﴾ فأخرجت الهاء والألف مخرج الكناية عن أحد النوعين؟ قيل: يحتمل ذلك وجهين: أحدهما أن يكون الذهب والفضة مراداً بها الكنوز، كأنه قيل: ﴿**وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ**﴾ الكنوز﴿**ولاَ يُنْفِقُونَها فِي سَبِيلِ اللَّهِ**﴾ لأن الذهب والفضة هي

الكنوز في هذا الموضع. والآخر أن يكون استغنى بالخير عن إحداهما في عائد ذكرهما من الخير عن الأخرى، لدلالة الكلام على أن الخبر عن الأخرى مثل الخبر عنها. وذلك كثير موجود في كلام العرب وأشعارها، ومنه قول الشاعر:

نَحْنُ بِمَا عِنْدَنَا وأنْتَ بِمَا عِنْدَكَ رَاضٍ والرأيُ مُخْتَلِفُ[١]

فقال: راض، ولم يقل: رضوان. وقال الآخر:

إنَّ شَرْخَ الشَّبابِ والشَّعَرَ الأسْـ وَدَ مَا لَمْ يُعاصَ كَانَ جُنُونَا[٢]

فقال: يعاص، ولم يقل: «يعاصيا» في أشياء كثيرة. ومنه قول الله: **﴿وإذَا رأَوْا تِجَارَةً أوْ لَهْواً انْفَضُّوا إلَيها﴾** ولم يقل: «إليهما»

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فبشر هؤلاء الذين يكنزون الذهب والفضة، ولا يخرجون حقوق الله منها يا محمد بعذاب أليم **﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا في نارِ جَهَنَّم﴾** فاليوم من صلة العذاب الأليم، كأنه قيل: يبشرهم بعذاب أليم يعذّبهم الله به في يوم يحمى عليها. ويعني بقوله: **﴿يُحْمَى عَلَيْهَا﴾** تدخل النار فيوقد عليها أي على الذهب والفضة التي كنزوها في نار جهنم، فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم، وكل شيء أدخل النار فقد أُحمي إحماء، يقال منه: أحميت الحديدة في النار أحميها إحماء. وقوله: **﴿فَتُكْوَى بها جِباهُهُمْ﴾** يعني بالذهب والفضة المكنوزة. يحمى عليها في نار جهنم يكوي الله بها، يقول: يحرق الله جباه كانزيها وجنوبهم وظهورهم. **﴿هَذَا ما كَنَزْتُمْ﴾** ومعناه: ويقال لهم: هذا ما كنزتم في الدنيا أيها الكافرون الذين منعوا كنوزهم من فرائض الله الواجبة فيها لأنفسكم **﴿فَذُوقُوا ما كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾** يقول: فيقال لهم: فأطعموا عذاب الله بما كنتم تمنعون من

---

(١) البيت لقيس بن الخطيم، وهو التاسع والخمسون من شواهد سيبويه الكتاب (١/٣٨) قال الأعلم في شرحه للبيت: استشهد به مقوياً لما جاز من حذف المفعول الذي هو فضلته مستغنى عنها في قولهم: ضربت وضربني زيد، لأنه حذف في البيت خير المبتدأ الأول الذي هو محتاج إليه لا يتم الكلام إلا به وجاز هذا الحذف لأن خبر المبتدأ الثاني دال عليه، إذ كان معناه كمعناه، والتقدير: نحن راضون وأنت راض. وهذا يقوي مذهب سيبويه في تقدير الحذف من الأول في قوله عز وجل: ﴿والله ورسوله أحق أن يرضوه﴾، لأن قوله «ارض» لا يكون خبراً البتة لنحن، ولا من تقدير حذف خبره ضرورة.

(٢) البيت لحسان بن ثابت حماسة البحتري طبع بيروت (ص ـ ١٩٨) وديوانه طبع ليدن سنة ١٩١٠ (ص ـ ٥١) من مقطوعة له سبعة أبيات، وهو أولها وشرخ الشباب: أوله. والشاهد في البيت أن قوله ما لم يعاص، راجع إلى الشعر الأسود وحده، وإلا لقال: ما لم يعاصيا. فحذف هذا القيد من الأول، وأبقاه مع الثاني.

أموالكم حقوق الله وتكنزونها مكاثرة ومباهاة. وحذف من قول: «هذا ما كنزتم» و «يقال لهم» لدلالة الكلام عليه.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

ــ **حدثني** يعقوب، قال: ثنا ابن علية، قال: أخبرنا أيوب، عن حميد بن هلال، قال: كان أبو ذرّ يقول: بشر الكنازين بكي في الجباه وكيّ في الجنوب وكيّ في الظهور، حتى يلتقي الحرّ في أجوافهم.

قال: ثنا ابن علية، عن الجريري، عن أبي العلاء بن الشخير، عن الأحنف بن قيس، قال: قدمت المدينة، فبينا أنا في حلقة فيها ملأ من قريش إذ جاءه رجل خشن الثياب، خشن الجسد، خشن الوجه، فقام عليهم، فقال: بشر الكنازين برَضْفٍ يُحْمَى عليه في نار جهنم فيوضع على حلمة ثدي أحدهم حتى يخرج من نُغْضِ كتفه، ويوضع على نغض كتفه حتى يخرج من حلمة ثدييه يتزلزل قال: فوضع القوم رؤوسهم، فما رأيت أحداً منهم رجع إليه شيئاً. قال: وأدبر فاتبعته، حتى جلس إلى سارية، فقلت: ما رأيت هؤلاء إلا كرهوا ما قلت فقال: إن هؤلاء لا يعقلون شيئاً.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا الحكم، قال: ثني عمرو بن قيس، عن عمرو بن مرة الجملي، عن أبي نصر عن الأحنف بن قيس، قال: رأيت في مسجد المدينة رجلاً غليظ الثياب رثّ الهيئة، يطوف في الحلق وهو يقول: بشر أصحاب الكنوز بكيّ في جنوبهم، وكيّ في جباههم، وكيّ في ظهورهم ثم انطلق وهو يتذمر يقول: ما عسى تصنع بي قريش؟

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة، قال: قال أبو ذرّ: بشر أصحاب الكنوز بكيّ في الجباه، وكيّ في الجنوب، وكيّ في الظهور.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن قابوس، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿**يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نارِ جَهَنَّم**﴾ قال: حية تنطوي على جبينه وجبهته، تقول: أنا مالك الذي بخلت به.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن سالم بن أبي الجعد، عن معدان بن أبي طلحة، عن ثوبان، أن نبيّ الله ﷺ كان يقول: «مَنْ تَرَكَ بَعْدَهُ كَنْزاً مُثِّلَ لَهُ يَوْمَ القِيامَةِ شُجاعاً أقْرَعَ لَهُ زَبِيبَتانِ، يَتْبَعُهُ يَقُولُ: وَيْلَكَ ما أنْتَ؟ فَيَقُولُ: أنا كِنْزُكَ الَّذِي تَرَكْتَهُ بَعْدَكَ فَلا يَزالُ يَتْبَعُهُ حتى يُلْقِمَهُ يَدَهُ فَيَقْضِمَها ثُمَّ يَتْبَعُهُ سائِرُ جَسَدِهِ».

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن طاوس، عن أبيه: قال: بلغني أن الكنوز تتحوّل يوم القيامة شجاعاً يتبع صاحبه، وهو يفرّ منه ويقول: أنا كنزك لا يدرك منه شيئاً إلا أخذه.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا جرير، عن الأعمش، عن عبد الله بن مرّة، عن مسروق، عن عبد الله قال: والذي لا إله غيره، لا يكوى عبد بكنز فيمسّ دينار ديناراً ولا درهم درهماً، ولكن يوسع جلده فيوضع كلّ دينار ودرهم على حدته.

قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن الأعمش، عن عبد الله بن مرّة، عن مسروق، عن عبد الله، قال: ما مِنْ رجل يكوى بكنز فيوضع دينار على دينار ولا درهم على درهم، ولكن يوسع جلده.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿**إنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ اثْنا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتابِ اللَّهِ**﴾ الذي كتب فيه كلّ ما هو كائن في قضائه الذي قضى، ﴿**يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ والأرْضِ مِنها أرْبَعَةٌ حُرُمٌ**﴾ يقول: هذه الشهور الاثنا عشر، منها أربعة أشهر حرم كانت الجاهلية تعظمهن وتحرّمهن وتحرّم القتال فيهنّ، حتى لو لقي الرجل منهم فيهنّ قاتل أبيه لم يهجه. وهن: رجب مضر وثلاثة متواليات: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرّم. وبذلك تظاهرت الأخبار عن رسول الله ﷺ.

حدثنا موسى بن عبد الرحمن المسروقي، قال: ثنا زيد بن الحباب، قال: ثنا موسى بن عبيدة الربذي قال: ثني صدقة بن يسار، عن ابن عمر، قال: خطب رسول الله ﷺ في حجة الوداع بمنى في أوسط أيام التشريق، فقال: «يا أيُّها النَّاسُ، إنَّ الزَّمانَ قَدِ اسْتَدارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّماوَاتِ والأرْضَ، وإنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً، مِنْها أرْبَعَةٌ حُرُمٌ، أوَّلُهُنَّ رَجَبُ مُضَرَ بينَ جُمادَى وشَعْبانَ وَذُو القَعْدَةِ وَذُو الحِجَّةِ وَالمُحَرَّمُ».

حدثنا محمد بن معمر، قال: ثنا روح، قال: ثنا أشعث، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الزَّمانَ قَدِ اسْتَدارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّماوَاتِ والأرْضَ، وإنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثنَا عَشَرَ شَهْراً في كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّماوَاتِ والأرْضَ، مِنْهَا أرْبَعَةٌ

حُرُمٌ، ثَلاثَةٌ مُتَوَالِياتٌ وَرَجَبُ مُضرَ بينَ جُمادَى وشَعْبَانَ».

حدثنا يعقوب، قال: ثنا إسماعيل بن إبراهيم، قال: ثنا أيوب، عن محمد بن سيرين، عن أبي بكرة: أن النبيّ ﷺ خطب في حجة الوداع، فقال: «ألاَ إنَّ الزَّمانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ والأرْضَ، السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً، مِنْهَا أرْبَعَةٌ حُرُمٌ، ثَلاثَةٌ مُتَوَالِياتٌ: ذُو القَعْدَةِ، وَذُو الحِجَّةِ، وَالمُحَرَّمُ، وَرَجَبُ مُضرَ الَّذِي بينَ جُمادَى وشَعْبَانَ».

حدثنا مجاهد بن موسى، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سليمان التيمي، قال: ثني رجل بالبحرين، أن رسول الله ﷺ قال في خطبته في حجة الوداع: «ألاَ إنَّ الزَّمانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ والأرْضَ، وإنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً، مِنْهَا ثَلاثَةٌ مُتَوَالِياتٌ: ذُو القَعْدَةِ، وَذُو الحِجَّةِ، وَالمُحَرَّمُ، وَرَجَبُ الَّذِي بينَ جُمادَى وشَعْبَانَ».

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن ابن أبي نجيح، قوله: **﴿إنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ والأرْضِ مِنْها أرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾** إن النبي ﷺ، قال: «ثَلاثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ: ذُو القَعْدَةِ، وَذُو الحِجَّةِ، والمُحَرَّمُ، وَرَجَبُ الَّذِي بينَ جُمادى وَشَعْبَانَ».

حدثنا بشر قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: ذكر لنا أن نبي الله ﷺ قال في خطبته يوم منى: «ألاَ إنَّ الزَّمانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ والأرْضَ، وإنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً، مِنْها أرْبَعَةٌ حُرُمٌ، ثَلاثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ ذُو القَعْدَةِ، وَذُو الحِجَّةِ، وَالمُحَرَّمُ، وَرَجَبُ مُضرَ الَّذِي بينَ جُمادَى وشَعْبَانَ».

وهو قول عامة أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدي: **﴿إنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ والأرْضِ مِنْها أرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾** أما أربعة حرم: فذو القعدة، وذو الحجة، والمحرّم، ورجب. وأما كتاب الله: فالذي عنده.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله: **﴿إنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنا عَشَرَ شَهْراً﴾** قال: يعرف بها شأن النسيء ما نقص من السنة.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد في قول الله: ﴿**إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللَّهِ**﴾ قال: يذكر بها شأن النسيء.

وأما قوله: ﴿**ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ**﴾. فإن معناه: هذا الذي أخبرتكم به، من أن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله، وأن منها أربعة حرماً: هو الدين المستقيم، كما:

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿**ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ**﴾ يقول: المستقيم.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال ابن زيد في قوله: ﴿**ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ**﴾ قال: الأمر القيم يقول: قال تعالى: واعلموا أيها الناس أن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله الذي كتب فيه كل ما هو كائن، وأن من هذه الاثني عشر شهراً أربعة أشهر حرماً ذلك دين الله المستقيم، لا ما يفعله النسيء من تحليله ما يحلل من شهور السنة وتحريمه ما يحرمه منها.

وأما قوله: ﴿**فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ**﴾ فإن معناه: فلا تعصوا الله فيها، ولا تحلوا فيهنّ ما حرّم الله عليكم، فتكسبوا أنفسكم ما لا قبل لها به من سخط الله وعقابه. كما:

حدثني يونس، قال: قال أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ**﴾ قال: الظلم: العمل بمعاصي الله والترك لطاعته.

ثم اختلف أهل التأويل في الذي عادت عليه الهاء والنون في قوله: ﴿**فيهنّ**﴾، فقال بعضهم: عاد ذلك على الاثني عشر شهراً، وقال: معناه: فلا تظلموا في الأشهر كلها أنفسكم.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ مِنْها أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذلكَ الدِّينُ القَيِّمُ فلاَ تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ**﴾ في كلهن. ثم خص من ذلك أربعة أشهر فجعلهن حرماً وعظم حرماتهن وجعل الذنب فيهن أعظم والعمل الصالح والأجر أعظم.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا سويد بن عمرو، عن حماد بن سلمة، عن عليّ بن زيد، عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس: ﴿**فلاَ تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ**﴾ قال: في الشهور كلها.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: فلا تظلموا في الأربعة الأشهر الحرم أنفسكم، والهاء والنون عائدة على الأشهر الأربعة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر بن معاذ قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، أما قوله: ﴿**فلاَ تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ**﴾ فإن الظلم في الأشهر الحرم أعظم خطيئة ووزراً من الظلم فيما سواها، وإن كان الظلم على كل حال عظيماً ولكن الله يعظم من أمره ما شاء وقال: إن الله اصطفى صفايا من خلقه اصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس رسلاً، واصطفى من الكلام ذكره، واصطفى من الأرض المساجد، واصطفى من الشهور رمضان والأشهر الحرم، واصطفى من الأيام يوم الجمعة، واصطفى من الليالي ليلة القدر، فعظموا ما عظم الله، فإنما تعظم الأمور بما عظمها الله عند أهل الفهم وأهل العقل.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: فلا تظلموا في تصييركم حرام الأشهر الأربعة حلالاً وحلالها حراماً أنفسكم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿**إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنا عَشَرَ شَهْراً...**﴾ إلى قوله: ﴿**فلاَ تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ**﴾: أيِ لا تجعلوا حرامها حلالاً، ولا حلالها حراماً، كما فعل أهل الشرك فإنما النسيء الذي كانوا يصنعون من ذلك ﴿**زيادة في الكفر يضلّ به الذين كفروا...**﴾ الآية.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن قيس بن مسلم، عن الحسن: ﴿**فلاَ تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ**﴾ قال: ظلم أنفسكم: أن لا تحرّموهن كحرمتهن.

حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز. قال: ثنا سفيان، عن قيس بن مسلم، عن الحسن بن محمد بن عليّ: ﴿**فلاَ تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ**﴾ قال: ظلم أنفسكم أن لا تحرّموهن كحرمتهن.

حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا سفيان، عن قيس بن مسلم، عن الحسن بن محمد، بنحوه.

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب، قول من قال: فلا تظلموا في الأشهر الأربعة أنفسكم باستحلال حرامها، فإن الله عظمها وعظَّم حرمتها.

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب في تأويله لقوله: ﴿**فلاَ تَظْلِمُوا فِيهِنَّ**﴾ فأخرج الكناية عنه مخرج الكناية عن جمع ما بين الثلاثة إلى العشرة، وذلك أن العرب تقول فيما بين الثلاثة إلى العشرة إذا كَنَتْ عنه: فعلنا ذلك لثلاث ليال خلون، ولأربعة أيام بقين، وإذا أخبرت عما فوق

العشرة إلى العشرين، قالت: فعلنا ذلك لثلاث عشرة خلت، ولأربع عشرة مضت. فكان في قوله جلّ ثناؤه: ﴿فلاَ تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾ وإخراجه كناية عدد الشهور التي نهى المؤمنين عن ظلم أنفسهم فِيهن مخرج عدد الجمع القليل من الثلاثة إلى العشرة الدليل الواضح على أن الهاء والنون من ذكر الأشهر الأربعة دون الاثني العشر لأن ذلك لو كان كناية عن الاثني عشر شهراً لكان: فلا تظلموا فيها أنفسكم.

فإن قال قائل: فما أنكرت أن يكون ذلك كناية عن الاثني عشر، وإن كان الذي ذكرت هو المعروف في كلام العرب، فقد علمت أن المعروف من كلامها إخراج كناية ما بين الثلاث إلى العشر بالهاء دون النون، وقد قال الشاعر:

أَصْبَحْنَ فِي قُرَحَ وفي دَارَاتِهَا سَبْعَ لَيالٍ غَيْرَ مَعْلُوفاتِهَا[1]

ولم يقل: معلوفاتهن، وذلك كناية عن السبع؟ قيل: إن ذلك وإن كان جائزاً فليس الأصح الأعرف في كلامها، وتوجيه كلام الله إلى الأفصح الأعرف أولى من توجيهه إلى الأنكر.

فإن قال قائل: فإن كان الأمر على ما وصفت، فقد يجب أن يكون مباحاً لنا ظلم أنفسنا في غيرهنّ من سائر شهور السنة؟ قيل: ليس ذلك كذلك، بل ذلك حرام علينا في كل وقت وزمان، ولكن الله عظم حرمة هؤلاء الأشهر وشرفهن على سائر شهور السنة، فخصّ الذنب فيهنّ بالتعظيم كما خصهنّ بالتشريف، وذلك نظير قوله: ﴿حافِظُوا على الصَّلَوَاتِ والصَّلاةِ الوُسْطَى﴾ ولا شكّ أن الله قد أمرنا بالمحافظة على الصلوات المفروضات كلها بقوله: ﴿حافِظُوا على الصَّلَوَاتِ﴾ ولم يبح ترك المحافظة عليهن بأمره بالمحافظة على الصلاة الوسطى، ولكنه تعالى ذكره زادها تعظيماً وعلى المحافظة عليها توكيداً وفي تضييعها تشديداً، فكذلك ذلك في قوله: ﴿مِنْها أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذلكَ الدِّينُ القَيِّمُ فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾.

وأما قوله: ﴿وَقاتِلُوا الـمُشْرِكِينَ كافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كافَّةً﴾ فإنه يقول جلّ ثناؤه: وقاتلوا

---

(١) البيت في «اللسان» (قرح) غير منسوب قال: وأما قول الشاعر:

حُبِسْنَ في قُرَحَ وفي دَاراتِها سَبْعَ لَيالٍ غَيرَ مَعْلُوفاتِها

فهو اسم وادي القرى. وقرح أيضاً ا سم موضع فيه سوق وادي القرى. ولعله أراد الأول. ونسب الفراء البيت لأبي القمقام الفقعسي، وقال: (ص ـ ١٢٧) مصورة جامعة القاهرة ويقولون لما بين الثلاثة إلى العشرة: هو وهؤلاء. فإذا جزت العشرة قالوا: هي وهذه إرادة أن تعرف سمة القليل من الكثير، ويجوز في كل واحد ما جاز في صاحبه، قال أبو القمقام الفقعسي: أصبحن... البيت ولم يقل معلوفاتهن وهن سبع، وكل ذلك صواب إلا ان المؤثر ما فسرت لك ومقله ﴿وقال نسوق في المدينة﴾ لقلة النسوة، ووقوع هؤلاء عليهن كما يقع على الرجال، ومنه قوله (فإذا انسلخ الأشهر الحرم) ولم يقل: انسلخت، وكل صواب وقال تعالى: ﴿إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك﴾ لقلتهن، ولم يقل تلك، ولو قيلت كان صواباً.

المشركين بالله أيها المؤمنون جميعاً غير مختلفين، مؤتلفين غير مفترقين، كما يقاتلكم المشركون جميعاً مجتمعين غير متفرقين. كما:

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ﴿**وقَاتِلُوا المُشْرِكِينَ كافَّةً كمَا يُقاتِلُونَكُمْ كافَّةً**﴾ أما كافة فجميع وأمركم مجتمع.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**وقَاتِلُوا المُشْرِكينَ كافَّةً**﴾ يقول: جميعاً.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿**وقَاتِلُوا المُشْرِكِينَ كافَّةً**﴾: أي جميعاً.

والكافَّة في كلِّ حال على صورة واحدة لا تذكر ولا تجمع، لأنها وإن كانت بلفظ فاعلة فإنها في معنى المصدر كالعافية والعاقبة، ولا تدخل العرب فيها الألف واللام لكونها آخر الكلام مع الذي فيها من معنى المصدر، كما لم يدخلوها إذا قالوا: قاموا معاً وقاموا جميعاً.

وأما قوله: ﴿**واعْلَمُوا أنَّ اللَّهَ مَعَ المُتَّقِينَ**﴾ فإن معناه: واعلموا أيها المؤمنون بالله أنكم إن قاتلتم المشركين كافَّة، واتقيتم الله فأطعتموه فيما أمركم ونهاكم ولم تخالفوا أمره فتعصوه، كان الله معكم على عدوّكم وعدُوه من المشركين ومن كان الله معه لم يغلبه شيء، لأن الله مع من اتقاه فخافه وأطاعه فيما كلفه من أمره ونهيه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامٗا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامٗا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُۚ زُيِّنَ لَهُمۡ سُوٓءُ أَعۡمَٰلِهِمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٣٧﴾.

يقول تعالى ذكره: ما النسيء إلا زيادة في الكفر، والنسيء مصدر من قول القائل: نسأت في أيامك ونسأ الله في أجلك: أي زاد الله في أيام عمرك ومدة حياتك حتى تبقى فيها حيّاً. وكل زيادة حدثت في شيء، فالشيء الحادث فيه تلك الزيادة بسبب ما حدث فيه نسيء ولذلك قيل للبن إذا كثر بالماء نسيء، وقيل للمرأة الحبلى نسوء، ونُسِئت المرأة، لزيادة الولد فيها وقيل: نسأت الناقة وأنسأتها: إذا زجرتها ليزداد سيرها. وقد يحتمل أن النسيء فعيل صرف إليه من مفعول، كما قيل: لعين وقتيل، بمعنى: ملعون ومقتول، ويكون معناه: إنما الشهر المؤخر زيادة في الكفر. وكأنَّ القول الأول أشبه بمعنى الكلام، وهو أن يكون معناه: إنما التأخير الذي يؤخره أهل الشرك بالله من شهور الحرم الأربعة وتصييرهم الحرام منهن حلالاً والحلال منهنّ حراماً، زيادة في كفرهم

وجحودهم أحكام الله وآياته. وقد كان بعض القرّاء يقرأ ذلك: «إنَّمَا النَّسي» بترك الهمز وترك مده: ﴿يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

واختلف القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة الكوفيين: ﴿يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بمعنى: يضل الله بالنسيء الذي ابتدعوه وأحدثوه الذين كفروا. وقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين: ﴿يَضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بمعنى: يزول عن محجة الله التي جعلها لعباده طريقاً يسلكونه إلى مرضاته الذين كفروا. وقد حُكي عن الحسن البصري: ﴿يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بمعنى: يضلّ بالنسيء الذي سنة الذين كفروا، الناس.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك أن يقال: هما قراءتان مشهورتان، قد قرأت بكلّ واحدة القرّاء أهل العلم بالقرآن والمعرفة به، وهما متقاربتا المعنى، لأن من أضله الله فهو ضالّ ومن ضلّ فبإضلال الله إياه وخذلانه له ضلّ، فبأيتهما قرأ القارىء فهو للصواب في ذلك مصيب. وأما الصواب من القراءة في النسيء، فالهمز، وقراءته على تقدير فعيل، لأنها القراءة المستفيضة في قرأة الأمصار التي لا يجوز خلافها فيما أجمعت عليه.

وأما قوله: ﴿يُحِلُّونَهُ عاماً﴾ فإن معناه: يحلّ الذين كفروا النسيء، والهاء في قوله: ﴿يُحِلُّونَهُ﴾ عائدة عليه.

ومعنى الكلام: يحلون الذين أخروا تحريمه من الأشهر الأربعة الحرم عاماً ويحرّمونه عاماً، ﴿لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ ما حَرَّمَ اللَّهُ﴾ يقول: ليوافقوا بتحليلهم ما حللوا من الشهور وتحريمهم ما حرّموا منها، عدّة ما حرّم الله ﴿فَيُحِلُّوا ما حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أعمالِهِمْ﴾ يقول: حسن لهم وحبّب إليهم سيء أعمالهم وقبيحها وما خولف به أمر الله وطاعته. ﴿وَاللَّهُ لا يَهْدِي القَوْمَ الكافِرِينَ﴾ يقول: والله لا يوفِّق لمحاسن الأفعال وحلها وما لله فيه رضا، القوم الجاحدين توحيده والمنكرين نبوّة محمد ﷺ، ولكنه يخذلهم عن الهدى كما خذل هؤلاء الناس عن الأشهر الحرم.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿إنَّمَا النَّسِيءُ زِيادَةٌ فِي الكُفْرِ﴾ قال: النسيء: هو أن جنادة بن عوف بن أمية الكناني كان يوافي الموسم في كل عام، وكان يكنى أبا ثمامة، فينادي: ألا إن أبا ثمامة لا يُحابُ ولا يعاب، ألا وإن صفر العام الأوّل حلال فيحلّه الناس، فيحرّم صفر عاماً، ويحرّم المحرّم عاماً، فذلك قوله تعالى: ﴿إنَّمَا النَّسِيءُ زِيادَةٌ فِي الكُفْرِ...﴾ إلى قوله: ﴿الكافِرِينَ﴾. وقوله: ﴿إنَّمَا النَّسِيءُ زِيادَةٌ فِي الكُفْرِ﴾ يقول: يتركون المحرّم عاماً، وعاماً يحرّمُونه.

قال أبو جعفر: وهذا التأويل من تأويل ابن عباس يدلّ على صحة قراءة من قرأ «النسي» بترك الهمزة وترك المدّ، وتوجيهه معنى الكلام إلى أنه فعل من قول القائل: نسيت الشيء أنساه، ومن قول الله: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ بمعنى: تركوا الله فتركهم.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الكُفْرِ﴾ قال: فهو المحرّم كان يحرّم عاماً وصفر عاماً، وزيد صفر آخر في الأشهر الحرم، وكانوا يحرّمون صفراً مرّة ويحلونه مرّة، فعاب الله ذلك، وكانت هوزان وغطفان وبنو سليم تفعله.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن أبي وائل: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الكُفْرِ﴾ قال: كان النسيء رجلاً من بني كنانة، وكان ذا رأي فيهم، وكان يجعل سنة المحرّم صفراً، فيغزون فيه فيغتنمون فيه ويصيبون، ويحرّمه سنة.

قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن منصور، عن أبي وائل: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الكُفْرِ...﴾ الآية، وكان رجل من بني كنانة يسمى النسيء، فكان يجعل المحرّم صفر ويستحل فيه الغنائم، فنزلت هذه الآية.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا إدريس، قال: سمعت ليثاً، عن مجاهد، قال: كان رجل من بني كنانة يأتي كل عام في الموسم على حمار له، فيقول: أيها الناس إني لا أُعاب ولا أُجاب، ولا مردّ لما أقول إنا قد حرّمنا المحرّم، وأخرنا صفر ثم يجيء العام المقبل بعده، فيقول مثل مقالته، ويقول: إنا قد حرمنا صفر، وأخرنا المحرّم فهو قوله: ﴿لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ ما حَرَّمَ اللَّهُ﴾ قال: يعني الأربعة، فيحلوا ما حرّم الله لتأخير هذا الشهر الحرام.

حُدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ، قال: أخبرنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الكُفْرِ﴾ النسيء: المحرّم، وكان يحرّم المحرّم عاماً ويحرّم صفراً عاماً، فالزيادة صفر، وكانوا يؤخرون الشهور حتى يجعلون صفر المحرّم، فيحلوا ما حرّم الله، وكانت هوازن وغطفان وبنو سليم يعظمونه، هم الذين كانوا يفعلون ذلك في الجاهلية.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الكُفْرِ...﴾ إلى قوله: ﴿الكافِرِينَ﴾ عمد أناس من أهل الضلالة، فزادوا صفراً في الأشهر الحرم، فكان يقوم قائمهم في الموسم، فيقول: ألا إن آلهتكم قد حرمت العام المحرّم فيحرّمونه ذلك العام. ثم يقوم في العام المقبل فيقول: ألا إن آلهتكم قد حرّمت صفر فيحرّمونه ذلك العام. وكان

يقال لهما: الصفران. قال: فكان أوّل من نسأ النسيء بنو مالك بن كنانة، وكانوا ثلاثة: أبو ثمامة صفوان بن أمية أحد بني فقيم بن الحرث، ثم أحد بني كنانة.

حدثنا الحسن بن يحيى قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿**إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الكُفْرِ**﴾ قال: فرض الله الحجّ في ذي الحجة. قال: وكان المشركون يسمون الأشهر: ذو الحجة، والمحرّم، وصفر، وربيع، وربيع، وجمادى، وجمادى، ورجب، وشعبان، ورمضان، وشوّال، وذو القعدة، وذو الحجة، يحجون فيه مرّة ثم يسكتون عن المحرّم فلا يذكرونه، ثم يعودون فيسمون صفر صفر، ثم يسمون رجب جمادى الآخرة، ثم يسمون شعبان ورمضان، ثم يسمون رمضان شوالاً، ثم يسمون ذا القعدة شوّالاً، ثم يسمون ذا الحجة ذا القعدة، ثم يسمون المحرّم ذا الحجة فيحجون فيه، واسمه عندهم ذو الحجة. ثم عادوا بمثل هذه القصة، فكانوا يحجون في كل شهر عامين، حتى وافق حجة أبي بكر رضي الله عنه الآخر من العامين في ذي القعدة. ثم حجّ النبي ﷺ حجته التي حجّ، فوافق ذا الحجة، فذلك حين يقول النبي ﷺ في خطبته: «إنَّ الزَّمانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ والأرْضَ». ؟[1]؟

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿**إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الكُفْرِ**﴾ قال: حجوا في ذي الحجة عامين، ثم حجوا في المحرّم عامين، ثم حجوا في صفر عامين، فكانوا يحجون في كل سنة في كل شهر عامين، حتى وافقت حجة أبي بكر الآخر من العامين في ذي القعدة قبل حجة النبي ﷺ بسنة. ثم حجّ النبي ﷺ من قابل في ذي الحجة. فذلك حين يقول النبي ﷺ في خطبته: «إنَّ الزَّمانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ والأرْضَ».

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عمران بن عيينة، عن حصين، عن أبي مالك: ﴿**إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الكُفْرِ**﴾ قال: كانوا يجعلون السنة ثلاثة عشراً شهراً، فيجعلون المحرّم صفراً، فيستحلون فيه الحرمات. فأنزل الله: ﴿**إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الكُفْرِ**﴾.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا...**﴾ الآية. قال: هذا رجل من بني كنانة يقال له القَلَمَّس، كان في الجاهلية، وكانوا في الجاهلية لا يغير بعضهم على بعض في الشهر الحرام، يلقى الرجل قاتل أبيه فلا يمدّ إليه يده. فلما كان هو، قال: اخرجوا بنا قالوا له: هذا المحرم. فقال: ننسئه العام،

(١) كذا في الدر أيضاً، ولم يذكر الثلاثة، وقد تقدم أن اسم أبي ثمامة: جنادة فحرر.

هما العام صفران، فإذا كان عام قابل قضينا فجعلناهما محرمين قال: ففعل ذلك. فلما كان عام قابل، قال: لا تغزوا في صفر حرّموه مع المحرّم، هما محرّمان المحرم أنسأناه عاماً أوّل ونقضيه ذلك الإنساء. وقال شاعرهم:

وَمِـنَّـا مُـنْـسِـيءُ الـشَّـهْـرِ الـقَـلَـمَّـسْ[١]

وأنزل الله: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الكُفْرِ...﴾ إلى آخر الآية.

وأما قوله: ﴿زِيَادَةٌ فِي الكُفرِ﴾ فإن معناه: زيادة كفر بالنسيء إلى كفرهم بالله. وقيل ابتداعهم النسيء كما:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الكُفْرِ﴾ يقول: ازدادوا به كفراً إلى كفرهم.

وأما قوله: ﴿لِيُوَاطِئُوا﴾ فإنه من قول القائل: واطأت فلاناً على كذا أواطئه مواطأة: إذا وافقته عليه، معيناً له، غير مخالف عليه.

ورُوي عن ابن عباس في ذلك ما:

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ ما حَرَّمَ اللَّهُ﴾ يقول: يشبهون.

وذلك قريب المعنى مما بيّنا، وذلك أن ما شابه الشيء فقد وافقه من الوجه الذي شابهه.

وإنما معنى الكلام: أنهم يوافقون بعدة الشهور التي يحرّمونها عدة الأشهر الأربعة التي حرّمها الله، لا يزيدون عليها ولا ينقصون منها، وإن قدّموا وأخّروا فذلك مواطأة عدتهم عدّة ما حرّم الله.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ

(١) لم أقف على قائل البيت. وقد أورده القرطبي في تفسيره مجلد (٨/١٣٨) وقال الفراء في «معاني القرآن» (ص ـ ١٢٧) مصورة جامعة القاهرة: كانت العرب في الجاهلية إذا أرادوا الصدر عن منى، قدم رجل من بني كنانة يقال له نعيم بن ثعلبة، وكان رئيس الموسم، فيقول: أنا الذي لا أعاب ولا أجاب ولا يرد لي قضاء؛ فيقولون: صدقت؛ أنسئنا شهراً، يريدون: أخر عنا حرمة المحرم، واجعلها في صفر، وأحل المحرم فيفعل ذلك، وإنم دعاهم إلى ذلك توالى ثلاثة أشهر حرم لا يغيرون فيها، وإنما كان معاشهم من الإغارة. فيفعل ذلك عاماً، ثم يرجع إلى المحرم فيحرمه ويحل صفراً، فذلك الإنساء.

أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾.

وهذه الآية حثٌّ من الله جلّ ثناؤه المؤمنين به من أصحاب رسوله على غزو الروم، وذلك غزوة رسول الله ﷺ تبوك. يقول جلّ ثناؤه: يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله ﴿ما لَكُمْ﴾ أيّ شيء أمركم، ﴿إذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلَ اللَّهِ﴾ يقول: إذا قال لكم رسول الله محمد: انفروا أي اخرجوا من منازلكم إلى مغزاكم. وأصل النفر: مفارقة مكان إلى مكان لأمر هاجه على ذلك، ومنه نفور الدابة غير أنه يقال من النفر إلى الغزو: نفر فلان إلى ثغر كذا يَنْفِرُ نَفراً ونَفِيراً، وأحسب أن هذا من الفروق التي يفرقون بها بين اختلاف المخبر عنه وإن اتفقت معاني الخبر فمعنى الكلام: ما لكم أيها المؤمنون إذ قيل لكم: اخرجوا غزاة في سبيل الله أي في جهاد أعداء الله، ﴿اثّاقَلْتُمْ إلى الأرْضِ﴾ يقول تثاقلتم إلى لزوم أرضكم ومساكنكم والجلوس فيها. وقيل: «اثّاقلتم» لأنه أدغم التاء في الثاء. فأحدث لها ألف ليتوصل إلى الكلام بها. لأن التاء مدغمة في الثاء، ولو أسقطت الألف وابتديء بها لم تكن إلا متحركة، فأحدثت الألف لتقع الحركة بها، كما قال جلّ ثناؤه: حتى إذَا ادّاركُوا فِيهَا جَمِيعاً وكما قال الشاعر:

تُولِي الضَجِيجَ إذا ما اسْتافَها خَصِراً ... عَذْبَ المَذاقِ إذَا ما اتَّابَعَ القُبَلُ(١)

فهو بني الفعل افتعلتم من التثاقل.

وقوله: ﴿أرَضِيتُمْ بالحَياةِ الدُّنْيا مِنَ الآخِرَةِ﴾ يقول جلّ ثناؤه، أرضيتم بحظّ الدنيا والدعة فيها عوضاً من نعيم الآخرة وما عند الله للمتقين في جنانه؟ ﴿فَمَا مِتَاعُ الحَياةِ الدُّنْيا فِي الآخِرَةِ﴾ يقول: فما الذي يستمتع به المتمتعون في الدنيا من عيشها ولذّاتها في نعيم الآخرة والكرامة التي أعدّها الله لأوليائه وأهل طاعته ﴿إلاّ قَلِيلٌ﴾ يسير. يقول لهم: فاطلبوا أيها المؤمنون نعيم الآخرة وترف الكرامة التي عند الله لأوليائه بطاعته، والمسارعة إلى الإجابة إلى أمره في النفير لجهاد عدوّه.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن

(١) لم أقف على قائله. وتولي: تعطي وتمنح. والضجيع: من ينام معها في فراشها. واستافها: شمها أو قبلها وخصراً: بادرا، يريد ثغرها. واتباع: أصله تتابع، أدغم المثلان المتحركان، فاحتيج إلى ألف الوصل، ومثله: اثاقل وادارك، أدغم فيهما المتقاربان واجتلبت الألف لتيسير النطق، والبيت من شواهد الكسائي، أنشده الفراء في («معاني القرآن» ١٢٨ مصورة جامعة القاهرة.

مجاهد ﴿ما لَكُمْ إذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلَ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إلى الأرضِ﴾ أمروا بغزوة تبوك بعد الفتح وبعد الطائف، وبعد حنين. أمروا بالنفير في الصيف حين خُرِفَت النخل، وطابت الثمار، واشتهوا الظلال، وشقّ عليهم المخرج.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد قوله: ﴿يا أيّها الَّذِينَ آمَنُوا ما لَكُمْ إذَا قِيلَ لَكُمْ انفِرُوا فِي سَبِيلَ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إلى الأرض...﴾ الآية، قال: هذا حين أُمروا بغزوة تبوك بعد الفتح وحنين، وبعد الطائف أمرهم بالنفير في الصيف، حين اخْتُرِفَت النخل، وطابت الثمار، واشتهُوا الظلال، وشقّ عليهم المخرج. قال: فقالوا: منا الثقيل، وذو الحجة، والضيّعة، والشغل، والمنتشر به أمره في ذلك. فأنزل الله: ﴿انْفِرُوا خفافاً وثِقالاً﴾.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من أصحاب رسوله، متوعدهم على ترك النفر إلى عدوّهم من الروم: إن لم تنفروا أيها المؤمنون إلى من استنفركم رسول الله، يعذّبكم الله عاجلاً في الدنيا بترككم النفر إليهم عذاباً موجعاً. ﴿وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غيرَكُمْ﴾ يقول: يستبدل الله بكم نبيه قوماً غيركم، ينفرون إذا استنفروا، ويجيبونه إذا دعوا، ويطيعون الله ورسوله. ﴿وَلا تَضُرُّوه شَيْئاً﴾ يقول: ولا تضرّوا الله بترككم النفير ومعصيتكم إياه شيئاً، لأنه لا حاجة به إليكم، بل أنتم أهل الحاجة إليه، وهو الغنيّ عنكم وأنتم الفقراء ﴿واللَّهُ على كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ يقول جلّ ثناؤه: والله على إهلاككم واستبدال قوم غيركم بكم وعلى كل ما يشاء من الأشياء قدير. وقد ذكر أن العذاب الأليم في هذا الموضع كان احتباس القطر عنهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا زيد بن الحباب، قال: ثني عبد المؤمن بن خالد الحنفي، قال: ثني نجدة الخراساني، قال: سمعت ابن عباس، سئل عن قوله: ﴿إلاَّ تَنْفِرُوا يُعَذِّبكُمْ عَذَاباً ألِيماً﴾ قال: إن رسول الله ﷺ استنفر حيّاً من أحياء العرب، فتثاقلوا عنه، فأمسك عنهم المطر، فكان ذلك عذابهم، فذلك قوله: ﴿إلاَّ تَنفِرُوا يُعَذِّبكُمْ عَذَاباً ألِيماً﴾.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا عبد المؤمن، عن نجدة، قال: سألت ابن عباس، فذكر نحوه، إلا أنه قال: فكان عذابهم أن أمسك عنهم المطر.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿إلاَّ تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾ استنفر الله المؤمنين في لهبان الحرّ في غزوة تبوك قبل الشأم على ما يعلم الله من الجهد.

وقد زعم بعضهم أن هذه الآية منسوخة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، عن الحسين، عن يزيد، عن عكرمة والحسن البصريّ، قالا: قال: ﴿إلاَّ تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾ وقال: ﴿ما كانَ لأهْلِ المَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الأعْرَابِ أنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلا يَرْغَبُوا بأنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ. . .﴾ إلى قوله: ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أحْسَنَ ما كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ فنسختها الآية التي تلتها: ﴿وَمَا كانَ المُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كافَّةً. . .﴾ إلى قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾.

قال أبو جعفر: ولا خبر بالذي قال عكرمة والحسن من نسخ حكم هذه الآية التي ذكروا يجب التسليم له، ولا حجة تأتي بصحة ذلك، وقد رأى ثبوت الحكم بذلك عدد من الصحابة والتابعين سنذكرهم بعد. وجائز أن يكون قوله: ﴿إلاَّ تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾ لخاصّ من الناس، ويكون المراد به من استنفره رسول الله ﷺ، فلم ينفر على ما ذكرنا من الرواية عن ابن عباس. وإذا كان ذلك كذلك، كان قوله: ﴿وَمَا كانَ المُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كافَّةً﴾ نهياً من الله المؤمنين عن إخلاء بلاد الإسلام بغير مؤمن مقيم فيها، وإعلاماً من الله لهم أن الواجب النفر على بعضهم دون بعض، وذلك على من استنفر منهم دون من لم يستنفر. وإذا كان ذلك كذلك لم يكن في إحدى الآيتين نسخ للأخرى، وكان حكم كل واحدة منهما ماضياً فيما عُنِيَتْ به.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾.

وهذا إعلام من الله أصحاب رسوله ﷺ أنه المتوكل بنصر رسوله على أعداء دينه وإظهاره عليهم دونهم، أعانوه أو لم يعينوه، وتذكير منه لهم فعل ذلك به، وهو من العدد في قلة والعدوّ في كثرة، فكيف به وهو من العدد في كثرة والعدوّ في قلّة؟ يقول لهم جلّ ثناؤه: إلا تنفروا أيها المؤمنون مع رسولي إذا استنفركم فتنصروه، فالله ناصره ومعينه على عدوّه ومغنيه عنكم وعن معونتكم ونصرتكم كما نصره إذ أخرجه الذين كفروا بالله من قريش من وطنه وداره ﴿ثانِيَ اثْنَيْنِ﴾

يقول: أخرجوه وهو أحد الاثنين: أي واحد من الاثنين، وكذلك تقول العرب: «هُوَ ثانِيَ اثْنَيْنِ» يعني أحد الاثنين، وثالث ثلاثة، ورابع أربعة، يعني: أحد ثلاثة، وأحد الأربعة، وذلك خلاف قولهم: هو أخو ستة وغلام سبعة، لأن الأخ والغلام غير الستة والسبعة، وثالث الثلاثة: أحد الثلاثة. وإنما عنى جلّ ثناؤه بقوله: ﴿ثانِيَ اثْنَيْنِ﴾ رسول الله ﷺ وأبا بكر، رضي الله عنه، لأنهما كانا اللذين خرجا هاربين من قريش، إذ همّوا بقتل رسول الله ﷺ واختفيا في الغار. وقوله: ﴿إِذْ هُما فِي الغارِ﴾ يقول إذ رسول الله ﷺ وأبو بكر رحمة الله عليه في الغار والغار: النقب العظيم يكون في الجبل. ﴿إِذ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ﴾ يقول: إذ يقول رسول الله لصاحبه أبي بكر: ﴿لا تَحْزَنْ﴾ وذلك أنه خاف من الطلب أن يعلموا بمكانهما، فجزع من ذلك، فقال له رسول الله ﷺ: لاَ تَحْزَنْ لأَنَّ اللَّهَ مَعَنا، واللَّهُ ناصِرُنا، فَلَنِ يَعْلَمَ المُشْرِكُونَ بِنا، وَلَنْ يَصِلُوا إلَيْنَا يقول جلّ ثناؤه: فقد نصره الله على عدوّه وهو بهذه الحال من الخوف وقلة العدد، فكيف يخذله ويحوجه إليكم وقد كثر الله أنصاره وعدد جنوده؟

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿إلاَّ تَنْصُرُوهُ﴾ ذكر ما كان في أوّل شأنه حين بعثه يقول الله: فأنا فاعل ذلك به وناصره كما نصرته إذ ذاك وهو ثاني اثنين.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد قوله: ﴿إلاَّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ قال: ذكر ما كان في أوّل شأنه حين بعث، فالله فاعل به كذلك ناصره كما نصره إذ ذاك ﴿ثانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الغارِ﴾.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿إلاَّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ...﴾ الآية، قال: فكان صاحبه أبو بكر. وأما الغار: فجبل بمكة يقال له ثور.

حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد، قال: ثني أبي، قال: ثنا أبان العطار، قال: ثنا هشام بن عروة، عن عروة، قال: لما خرج النبي ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه، وكان لأبي بكر منيحة من غنم تروح على أهله، فأرسل أبو بكر عامر بن فُهيرة في الغنم إلى ثور، وكان عامر بن فهيرة يروح بتلك الغنم على النبي ﷺ بالغار في ثور، وهو الغار الذي سماه الله في القرآن.

حدثني يعقوب بن إبراهيم بن جبير الواسطي، قال: ثنا عفان وحبان، قالا: ثنا همام، عن ثابت عن أنس، أن أبا بكر رضي الله عنه حدثهم، قال: بينا أنا مع رسول الله ﷺ في الغار،

وأقدام المشركين فوق رؤوسنا، فقلت: يا رسول الله، لو أن أحدهم رفع قدمه أبصرنا فقال: «يا أبا بَكْرٍ ما ظَنُّكَ باثْنَيْنِ اللَّهُ ثالِثُهُما».

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن شريك، عن إبراهيم بن مهاجر، عن مجاهد قال: مكث أبو بكر مع النبي ﷺ في الغار ثلاثاً.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن الزهري: **﴿إِذْ هُما فِي الغارِ﴾** قال: في الجبل الذي يسمى ثوراً، مكث فيه رسول الله ﷺ وأبو بكر ثلاث ليال.

حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني عمرو بن الحارث، عن أبيه: أن أبا بكر الصديق رحمة الله تعالى عليه حين خطب قال: أيكم يقرأ سورة التوبة؟ قال رجل: أنا، قال: اقرأ فلما بلغ: **﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ﴾** بكى أبو بكر وقال: أنا والله صاحبه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيهِ وأيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْها وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وكلمةُ اللَّهِ هِيَ العُلْيا واللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

يقول تعالى ذكره: فأنزل الله طمأنينته وسكونه على رسوله وقد قيل: على أبي بكر **﴿وأيَّدهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا﴾** يقول: وقوّاه بجنود من عنده من الملائكة لم تروها أنتم. **﴿وَجَعَلَ كِلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾** وهي كلمة الشرك **﴿السُّفْلَى﴾** لأنها قُهرت وأذِلّت وأبطلها الله تعالى ومحق أهلها، وكلّ مقهور ومغلوب فهو أسفل من الغالب والغالب هو الأعلى. **﴿وكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ العُلْيَا﴾** يقول: ودين الله وتوحيده وقول لا إله إلا الله، وهي كلمته العليا على الشرك وأهله، الغالبةُ. كما:

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: **﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى﴾** وهي: الشرك بالله. **﴿وكَلِمَةُ اللَّهُ هِيَ العُلْيا﴾** وهي لا إله إلا الله.

وقوله: **﴿وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ العُليا﴾** خبر مبتدأ غير مردود على قوله: **﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى﴾** لأن ذلك لو كان معطوفاً على الكلمة الاولى لكان نصباً.

وأما قوله: **﴿واللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾** فإنه يعني: والله عزيز في انتقامه من أهل الكفر به، لا يقهره قاهر ولا يغلبه غالب ولا ينصره من عاقبه ناصر، حكيم في تدبيره خلقه وتصريفه إياهم في مشيئته.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن

كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾.

واختلف أهل التأويل في معنى الخفة والثِّقل اللذين أمر الله من كان به أحدهما بالنَّفر معه، فقال بعضهم: معنى الخفة التي عناها الله في هذا الموضع: الشباب، ومعنى الثقل: الشيخوخة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عنبسة، عن رجل، عن الحسن، في قوله: ﴿**انْفِرُوا خِفافاً وَثِقالاً**﴾ قال: شيباً وشُباناً.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا حفص، عن عمرو، عن الحسن، قال: شيوخاً وشباناً.

قال: ثنا ابن عيينة، عن عليّ بن زيد، عن أنس، عن أبي طلحة: ﴿**انْفِرُوا خِفافاً وَثِقالاً**﴾ قال: كهولاً وشباناً، ما أسمع الله عذرَ أحداً فخرج إلى الشام فجاهد حتى مات.

حدثنا ابن حُميد، قال: ثنا حكام، عن عنبسة، عن المغيرة بن النعمان، قال: كان رجل من النخع وكان شيخاً بادِناً، فأراد الغزو فمنعه سعد بن أبي وقاص، فقال: إن الله يقول: ﴿**انْفِرُوا خِفافاً وَثِقالاً**﴾ فأذن له سعد، فقتل الشيخ، فسأل عنه بعد عُمر، فقال: ما فعل الشيخ الذي كان[١] من بني هاشم؟ فقالوا قُتِلَ يا أمير المؤمنين.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا يزيد بن هارون، عن إسماعيل، عن أبي صالح، قال: الشاب والشيخ.

قال: ثنا أبو اسامة، عن مالك بن مغول، عن إسماعيل، عن عكرمة، قال: الشاب والشيخ.

قال: ثنا المحاربيّ، عن جويبر، عن الضحاك: كهولاً وشباناً.

قال: ثنا حَيْوة أبو يزيد، عن يعقوب القُمّي، عن جعفر بن حميد، عن بشر بن عطية: كهولاً وشباناً.

حدثنا الوليد، قال: ثنا عليّ بن سهل، قال: ثنا الوليد بن مسلم، عن بكير بن معروف، عن مقاتل بن حيان، في قوله: ﴿**انْفِرُوا خِفافاً وَثِقالاً**﴾ قال: شباناً وكهولاً.

(١) لعله: مولى بني هاشم.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿**انْفِرُوا خِفافاً وَثِقالاً**﴾ قال: شباباً وشيوخاً، وأغنياء ومساكين.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: قال الحسن: شيوخاً وشباناً.

حدثني سعيد بن عمرو، قال: ثنا بقية، قال: ثنا جرير، قال: ثني حبان بن زيد الشرعبي، قال: نفرنا مع صفوان بن عمرو وكان والياً على حمص قِبَلَ الأفسوس إلى الجراجمة، فلقيت شيخاً كبيراً هِمّاً، قد سقط حاجباه على عينيه من أهل دمشق على راحلته فيمن أغار، فأقبلت عليه فقلت: يا عمّ لقد أعذرَ الله إليك قال: فرفع حاجبيه فقال: يا ابن أخي استنفرنا الله خفافاً وثقالاً، من يحبه الله يبتليه ثم يعيده فيبقيه، وإنما يبتلي الله من عباده من شكر وصبر وذكر ولم يعبد إلا الله.

حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا إسماعيل، عن أبي صالح: ﴿**انْفِرُوا خِفافاً وَثِقالاً**﴾ قال: كل شيخ وشاب.

وقال آخرون: معنى ذلك مشاغيل وغير مشاغيل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار وابن وكيع، قالا: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن الحكم، في قوله: ﴿**انْفِرُوا خِفافاً وَثِقالاً**﴾ قال: مشاغيل وغير مشاغيل.

وقال آخرون: معناه: انفروا أغنياء وفقراء.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عنبسة، عمن ذكره، عن أبي صالح: ﴿**انْفِرُوا خِفافاً وَثِقالاً**﴾ قال: أغنياء وفقراء.

وقال آخرون: معناه: نِشَاطاً وغير نِشاط.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**انْفِرُوا خِفافاً وَثِقالاً**﴾ يقول: انفروا نِشَاطاً وغير نِشَاط.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: ﴿**خِفافاً وَثِقالاً**﴾ قال: نِشَاطاً وغير نِشاط.

وقال آخرون: معناه: ركباناً ومشاة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا عليّ بن سهل، قال: ثنا الوليد، قال: قال أبو عمرو: إذا كان النفر إلى دروب الشأم نفر الناس إليها خفافاً ركباناً، وإذا كان النفر إلى هذه السواحل ونفروا إليها خفافاً وثقالاً ركباناً ومشاة.

وقال آخرون: معنى ذلك: ذَا ضَيْعة، وغير ذي ضيعة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**انْفِرُوا خِفافاً وَثِقالاً**﴾ قال: الثقيل الذي له الضيعة، فهو ثقيل يكره أن يضيع ضيعته ويخرج، والخفيف الذي لا ضيعة له فقال الله: ﴿**انْفِرُوا خِفافاً وَثِقالاً**﴾.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا المعتمر، عن أبيه، قال: زعم حضرميّ أنه ذكر له أن ناساً كانوا عسى أن يكون أحدهم عليلاً أو كبيراً، فيقول: إني أحسبه قال: أنا لا آثم فأنزل الله: ﴿**انْفِرُوا خِفافاً وَثِقالاً**﴾.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، قال: ثنا أيوب، عن محمد، قال: شهد أبو أيوب مع رسول الله ﷺ بدراً، ثم لم يتخلف عن غزاة للمسلمين إلا وهو في أخرى إلا عاماً واحداً وكان أبو أيوب يقول: ﴿**انْفِرُوا خِفافاً وَثِقالاً**﴾ فلا أجدني إلا خفيفاً أو ثقيلاً.

حدثنا عليّ بن سهل، قال: ثنا الوليد بن مسلم، قال: ثنا جرير، عن عثمان، عن راشد بن سعد، عمن رأى المقداد بن الأسود فارس رسول الله ﷺ على تابوت من توابيت الصيارفة بحمص، وقد فضل عنه من عظمه، فقلت له: لقد أعذر الله إليك فقال: أتت علينا سورة البعوث انْفِرُوا خِفافاً وَثِقالاً.

حدثنا سعيد بن عمرو السّكونيّ، قال: ثنا بقية بن الوليد، قال: ثنا جرير، قال: ثني عبد الرحمن بن ميسرة، قال: ثني أبو راشد الحبرانيّ، قال: وافيت المقداد بن الأسود فارس رسول الله ﷺ جالساً على تابوت من توابيت الصيارفة بحمص، قد فضل عنه من عظمه، يريد الغزو، فقلت له: لقد أعذر الله إليك فقال: أتت علينا سورة البعوث: ﴿**انْفِرُوا خِفافاً وَثِقالاً**﴾.

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أمر المؤمنين بالنفر لجهاد أعدائه في سبيله خفافاً وثقالاً وقد يدخل في الخفاف كلّ من كان سهلاً عليه

النفر لقوّة بدنه على ذلك وصحة جسمه وشبابه، ومن كان ذا تيسر بمال وفراغ من الاشتغال وقادراً على الظهر والركاب. ويدخل في الثقال كلّ من كان بخلاف ذلك من ضعيف الجسم وعليله وسقيمه، ومن معسر من المال ومشتغل بضيعة ومعاش، ومن كان لا ظهر له ولا ركاب، والشيخ وذو السنّ والعيال. فإذ كان قد يدخل في الخفاف والثقال من وصفنا من أهل الصفات التي ذكرنا ولم يكن الله جلّ ثناؤه خصّ من ذلك صنفاً دون صنف في الكتاب، ولا على لسان الرسول ﷺ، ولا نصب على خصوصه دليلاً، وجب أن يقال: إن الله جلّ ثناؤه أمر المؤمنين من أصحاب رسوله بالنفر للجهاد في سبيله خفافاً وثقالاً مع رسوله ﷺ على كلّ حال من أحوال الخفة والثقل.

حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا إسرائيل، عن سعيد بن مسروق، عن مسلم بن صبيح قال: أوّل ما نزل من براءة: ﴿**انْفِرُوا خِفافاً وَثِقالاً**﴾.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن أبيه، عن أبي الضحى، مثله.

حدثنا الحرث، قال: ثنا القاسم، قال: ثنا حجاج، عن ابن جرير، عن مجاهد قال: إن أوّل ما نزل من براءة: ﴿**لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ**﴾ قال: يعرّفهم نصره، ويوطنهم لغزوة تبوك.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيرٌ لَكُمْ إنْ كُنْتُمْ تعْلَمُونَ﴾.

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله من أصحاب رسول الله ﷺ: جاهدوا أيها المؤمنون الكفار بأموالكم، فأنفقوها في مجاهدتهم على دين الله الذي شرعه لكم، حتى ينقادوا لكم فيدخلوا فيه طوعاً أو كرهاً، أو يعطوكم الجزية عن يد صغاراً إن كانوا أهل كتاب، أو تقتلوهم ﴿**وأَنْفُسِكُمْ**﴾ يقول: وبأنفسكم فقاتلوهم بأيديكم يخزهم الله وينصركم عليهم. ﴿**ذلكُمْ خَيرٌ لَكُمْ**﴾ يقول: هذا الذي آمركم به من النفر في سبيل الله تعالى خفافاً وثقالاً وجهاد أعدائه بأموالكم وأنفسكم خير لكم من التثاقل إلى الأرض إذا استنفرتم والخلود إليها والرضا بالقليل من متاع الحياة الدنيا عوضاً من الآخرة، إن كنتم من أهل العلم بحقيقة ما بين لكم من فضل الجهاد في سبيل الله على القعود عنه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾﴾.

يقول جلّ ثناؤه للنبي ﷺ، كانت جماعة من أصحابه قد استأذنوه في التخلف عنه حين خرج إلى تبوك فأذن لهم: لو كان ما تدعو إليه المتخلفين عنك والمستأذنيك في ترك الخروج معك إلى

مغزاك الذي استنفرتهم إليه، ﴿عَرَضا قَرِيباً﴾ يقول: غنيمة حاضرة، ﴿وسَفَراً قاصِداً﴾، يقول: وموضعاً قريباً سهلاً، ﴿لاتَّبعوكَ﴾ ونفروا معك إليهما ولكنك استنفرتهم إلى موضع بعيد، وكلفتهم سفراً شاقاً عليهم، لأنك استنهضتهم في وقت الحرّ وزمان القيظ وحين الحاجة إلى الكنّ. ﴿وسَيَحْلِفُونَ باللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: وسيحلف لك يا محمد هؤلاء المستأذنوك في ترك الخروج معك اعتذاراً منهم إليك بالباطل، لتقبل منهم عذرهم، وتأذن لهم في التخلف عنك بالله كاذبين: لو استطعنا لخرجنا معكم يقول: لو أطقنا الخروج معكم بوجود السعة والمراكب والظهور وما لا بدّ للمسافر والغازي منه، وصحة البدن والقوى، لخرجنا معكم إلى عدوّكم. ﴿يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ يقول: يوجبون لأنفسهم بحلفهم بالله كاذبين الهلاك والعطب، لأنهم يورثونها سخط الله ويكسبونها أليم عقابه. ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ في حلفهم باللَّهِ لو استطعنا لخرجنا معكم لأنهم كانوا للخروج مطيقين بوجود السبيل إلى ذلك بالذي كان عندهم من الأموال مما يحتاج إليه الغازي في غزوه والمسافر في سفره وصحة الأبدان وقوى الأجسام.

وبنحو الذي قلنا ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضاً قَرِيباً﴾ إلى قوله ﴿لَكَاذِبُونَ﴾ إنهم يستطيعون الخروج، ولكن كان تبطئة من عند أنفسهم والشيطان وزهادة في الخير.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: ﴿وَلَوْ كَانَ عَرَضاً قَرِيباً﴾ قال: هي غزوة تبوك.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ إي أنهم يستطيعون.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴿٤٣﴾﴾.

وهذا عتاب من الله تعالى ذكره عاتب به نبيه ﷺ في إذنه لمن أذن له في التخلف عنه حين شخص إلى تبوك لغزو الروم من المنافقين. يقول جلّ ثناؤه: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ﴾ يا محمد ما كان منك في إذنك لهؤلاء المنافقين الذين استأذنوك في ترك الخروج معك، وفي التخلف عنك من قبل أن تعلم صدقه من كذبه. ﴿لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ﴾ لأيّ شيء أذنت لهم، ﴿حتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا

وتَعْلَمَ الكاذِبِينَ﴾ يقول: ما كان ينبغي لك أن تأذن لهم في التخلف عنك، إذ قالوا لك: لو استطعنا لخرجنا معك، حتى تعرف من له العذر منهم في تخلفه ومن لا عذر له منهم، فيكون إذنك لمن أذنت له منهم على علم منك بعذره، وتعلم من الكاذب منهم المتخلف نفاقاً وشكّاً في دين الله.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ قال: ناس قالوا: استأذنوا رسول الله ﷺ، فإن أذن لكم فاقعدوا وإن لم يأذن لكم فاقعدوا.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا...﴾ الآية، عاتبه كما تسمعون، ثم أنزل الله التي في سورة النور، فرخص له في أن يأذن لهم إن شاء، فقال: ﴿فإذَا اسْتَأْذَنُوكَ لبَعْضِ شأْنِهِمْ فأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ﴾ فجعله الله رخصة في ذلك من ذلك.

حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن عمرو بن ميمون الأودي، قال: اثنتان فعلهما رسول الله ﷺ لم يؤمر فيهما بشيء: إذنه للمنافقين، وأخذه من الأسارى، فأنزل الله: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ...﴾ الآية.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عبيد بن سليمان، قال: قرأت على سعيد بن أبي عروبة، قال: هكذا سمعته من قتادة، قوله: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ...﴾ الآية، ثم أنزل الله بعد ذلك في سورة النور: ﴿فإذَا اسْتَأْذَنُوكَ لبَعْضِ شأْنِهِمْ فأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ...﴾ الآية.

حدثنا صالح بن مسمار، قال: ثنا النضر بن شميل، قال: أخبرنا موسى بن مروان، قال: سألت مورّقاً، عن قوله: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ﴾ قال: عاتبه ربه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾﴾.

وهذا إعلام من الله نبيه ﷺ سيما المنافقين أن من علاماتهم التي يعرفون بها تخلفهم عن الجهاد في سبيل الله باستئذانهم رسول الله ﷺ في تركهم الخروج معه إذا استنفروا بالمعاذير

الكاذبة. يقول جلّ ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: يا محمد لا تأذننّ في التخلف عنك إذا خرجت لغزو عدوّك لمن استأذنك في التخلف من غير عذر، فإنه لا يستأذنك في ذلك إلا منافق لا يؤمن بالله واليوم الآخر، فأما الذي يصدّق بالله ويقرّ بوحدانيته وبالبعث والدار الآخرة والثواب والعقاب، فإنه لا يستأذنك في ترك الغزو وجهاد أعداء الله بماله ونفسه. ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالمُتَّقِينَ﴾ يقول: والله ذو علم بمن خافه فاتقاه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه والمسارعة إلى طاعته في غزو عدوّه وجهادهم بماله ونفسه، وغير ذلك من أمره ونهيه.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿لا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ فهذا تعيير للمنافقين حين استأذنوا في القعود عن الجهاد من غير عذر، وعذر الله المؤمنين فقال: ﴿لم يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ﴾.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ: إنما يستأذنك يا محمد في التخلف خلافك، وترك الجهاد معك من غير عذر بين الذين لا يصدّقون بالله، ولا يقرّون بتوحيده. ﴿وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ يقول: وشكت قلوبهم في حقيقة وحدانية الله، وفي ثواب أهل طاعته، وعقابه أهل معاصيه. ﴿فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَترَدَّدوَن﴾ يقول: في شكهم متحيرون، وفي ظلمة الحيرة مترددون، لا يعرفون حقاً من باطل، فيعملون على بصيرة. وهذه صفة المنافقين.

وكان جماعة من أهل العلم يرون أن هاتين الآيتين منسوختان بالآية التي ذكرت في سورة النور.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، عن الحسين، عن يزيد، عن عكرمة والحسن البصري، قالا: قوله: ﴿لا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ...﴾ إلى قوله: ﴿فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ نسختهما الآية التي في النور: ﴿إِنَّمَا المُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ...﴾ إلى: ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

وقد بيَّنا الناسخ والمنسوخ بما أغنى عن إعادته ههنا.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ (٤٦)﴾.

يقول تعالى ذكره: ولو أراد هؤلاء المستأذنوك يا محمد في ترك الخروج معك لجهاد عدوّك الخروج معك. ﴿لأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾ يقول: لأعدّوا للخروج عدّة، ولتأهبوا للسفر والعدوّ أهبتهما. ﴿وَلكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انبِعاثَهُمْ﴾ يعني: خروجهم لذلك. ﴿فَثَبَّطَهُمْ﴾ يقول: فثقل عليهم الخروج حتى استخفوا القعود في منازلهم خلافك، واستثقلوا السفر والخروج معك، فتركوا لذلك الخروج. ﴿وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ القاعِدِينَ﴾ يعني: اقعدوا مع المرضى والضعفاء الذين لا يجدون ما ينفقون ومع النساء والصبيان، واتركوا الخروج مع رسول الله ﷺ والمجاهدين في سبيل الله. وكان تثبيط الله إياهم عن الخروج مع رسوله ﷺ والمؤمنين به، لعلمه بنفاقهم، وغشهم للإسلام وأهله، وأنهم لو خرجوا معهم ضرّوهم ولم ينفعوا. وذكر أن الذين استأذنوا رسول الله ﷺ في القعود كانوا عبد الله بن أبيّ ابن سلول، والجد بن قيس، ومن كانا على مثل الذي كانا عليه. كذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: كان الذين استأذنوه فيما بلغني من ذوي الشرف منهم عبد الله بن أبيّ ابن سلول، والجد بن قيس، وكانوا أشرافاً في قومهم، فثبطهم الله لعلمه بهم أن يخرجوا معهم فيفسدوا عليه جنده.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٤٧)﴾.

يقول تعالى ذكره: لو خرج أيها المؤمنون فيكم هؤلاء المنافقون، ﴿ما زَادُوكُمْ إلاَّ خَبالاً﴾ يقول: لم يزيدوكم بخروجهم فيكم إلا فساداً وضرّاً ولذلك ثبطتهم عن الخروج معكم. وقد بيَّنا معنى الخبال بشواهده فيما مضى قبل. ﴿وَلأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ﴾ يقول: ولأسرعوا بركائبهم السير بينكم. وأصله من إيضاع الخيل والركاب، وهو الإسراع بها في السير، يقال للناقة إذا أسرعت السير: وضعت الناقة تضع وضعاً ومَوْضُوعاً، وأوضعها صاحبها: إذا جدّ بها وأسرع يُوضِعُها إيضاعاً ومنه قول الراجز:

يا لَيتَني فيها جَذَعْ أخُبُّ فيها وأضَعْ[(١)]

وأما أصل الخلال: فهو من الخلل: وهي الفرج تكون بين القوم في الصفوف وغيرها ومنه قول النبيّ ﷺ: «تَرَاصُّوا فِي الصُّفُوفِ لا يَتَخَلَّلُكُمْ أَوْلادُ الحَذَفِ».

وأما قوله: ﴿يَبْغُونَكُمُ الفِتْنَةَ﴾ فإن معنى يبغونكم الفتنة: يطلبون لكم ما تفتنون به عن مخرجكم في مغزاكم، بتثبيطهم إياكم عنه، يقال منه: بغيته الشرّ، وبغيته الخير أبغيه بغاءً: إذا التمسته له، بمعنى: بغيت له، وكذلك عكمتك وحلبتك، بمعنى: حلبت لك وعكمت لك، وإذا أرادوا أعنتك على التماسه وطلبه، قالوا: أبغيتك كذا وأحلبتك وأعكمتك: أي أعنتك عليه.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: ﴿ولأَوْضَعُوا خِلالَكُم﴾ بينكم ﴿يَبْغُونَكُمُ الفِتْنَةَ﴾ بذلك.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿ولأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ﴾ يقول: ولأوضعوا أسلحتهم[(٢)] خلالكم بالفتنة.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿ولأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الفِتْنَةَ﴾ يبطئونكم. قال: رفاعة بن التابوت، وعبد الله بن أبيّ ابن سلول، وأوس بن قيظي.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله: ﴿ولأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ﴾ قال: لأسرعوا الأزقة خلالكم. ﴿يَبْغُونَكُمُ الفِتْنَةَ﴾ يبطئونكم، عبد الله بن نبتل، ورفاعة بن تابوت، وعبد الله بن أبيّ ابن سلول.

قال: حدثنا الحسن، قال: ثني أبو سفيان، عن معمر، عن قتادة: ﴿ولأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ﴾ قال: لأسرعوا خلالكم ﴿يَبْغُونَكُمُ الفِتْنَةَ﴾ بذلك.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ ما

(١) هذان بيتان من منهوك الرجز ينسبان إلى دريد بن الصمة، قالهما مع آخرين في غزوة حنين، لما أشار على مالك بن عوف النصري قائد المشركين ذلك اليوم برأي. فلم يرجع إليه فيه، فقال الأبيات الأربعة. والجذع: الشاب القوي. وأخب: من الخبب، وهو ضرب من السير السريع. وأضع: من الوضع، وهو العدو. وضع الرجل يضع وضعاً: إذا عدا. وأوضع الدابة: حملها على الوضع.

(٢) لعله خيلهم.

زَادُوكُمْ إلاَّ خَبالاً﴾ قال: هؤلاء المنافقون في غزوة تبوك، يُسلّي الله عنهم نبيه ﷺ والمؤمنين، فقال: وما يُحزِنكم؟ ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ ما زَادُوكُمْ إلاَّ خَبالاً﴾ يقولون: قد جمع لكم وفعل وفعل، يخذلونكم ﴿ولأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الفِتْنَةَ﴾ الكفر.

وأما قوله: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾ فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله، فقال بعضهم: معنى ذلك: وفيكم سماعون لحديثكم لهم يؤدونه إليهم عيون لهم عليكم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾ يحدّثون بأحاديثكم، عيونٌ غير منافقين.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾ قال: محدّثون عيون غير منافقين.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾ يسمعون ما يؤدونه لعدوّكم.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وفيكم من يسمع كلامهم ويطيع لهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾ وفيكم من يسمع كلامهم.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: كان الذين استأذنوا فيما بلغني من ذوي الشرف منهم: عبد الله بن أبيّ ابن سلولَ والجدّ بن قيس، وكانوا أشرافاً في قومهم، فثبطهم الله لعلمه بهم أن يخرجوا معهم فيفسدوا عليه جنده، وكان في جنده قوم أهل محبة لهم وطاعة فيما يدعونهم إليه لشرفهم فيهم، فقال: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾ فعلى هذا التأويل: وفيكم أهل سمع وطاعة منكم لو صحبوكم أفسدوهم عليكم بتثبيطهم إياهم عن السير معكم.

وأما على التأويل الأوّل، فإن معناه: وفيكم منهم سماعون يسمعون حديثكم لهم، فيبلغونهم ويؤدونه إليهم عيون لهم عليكم.

قال أبو جعفر: وأولى التأويلين عندي في ذلك بالصواب تأويل من قال: معناه: وفيكم سماعون لحديثكم لهم يبلغونه عنكم عيون لهم، لأن الأغلب من كلام العرب في قولهم: سماع،

وصف من وصف به أنه سماع للكلام، كما قال الله جلّ ثناؤه في غير موضع من كتابه: سمّاعُونَ للْكَذِبِ واصفاً بذلك قوماً بسماع الكذب من الحديث. وأما إذا وصفوا الرجل بسماع كلام الرجل وأمره ونهيه وقبوله منه، وانتهائه إليه فإنما تصفه بأنه له سامع ومطيع، ولا تكاد تقول: هو له سماع مطيع.

وأما قوله: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بالظَّالِمِينَ﴾ فإن معناه: والله ذو علم بمن يوجه أفعاله إلى غير وجوهها ويضعها في غير مواضعها، ومن يستأذن رسول الله ﷺ لعذر ومن يستأذنه شكّاً في الإسلام ونفاقاً، ومن يسمع حديث المؤمنين ليخبر به المنافقين ومن يسمعه ليسرّ بما سرّ المؤمنين ويساء بما ساءهم، لا يخفى عليه شيء من سرائر خلقه وعلانيتهم. وقد بيّنا معنى الظلم في غير موضع من كتابنا هذا بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَـٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: لقد التمس هؤلاء المنافقون الفتنة لأصحابك يا محمد، التمسوا صدّهم عن دينهم، وحرصوا على ردّهم إلى الكفر بالتخذيل عنه، كفعل عبد الله بن أبيّ بك وبأصحابك يوم أُحد حين انصرف عنك بمن تبعه من قومه، وذلك كان ابتغاءهم ما كانوا ابتغوا لأصحاب رسول الله ﷺ من الفتنة من قبل. ويعني بقوله: ﴿مِنْ قَبْلُ﴾: من قبل هذا. ﴿وَقَلَّبُوا لَكَ الأُمورَ﴾ يقول: وأجالوا فيك وفي إبطال الدين الذي بعثك به الله الرأي بالتخذيل عنك، وإنكار ما تأتيهم به، وردّه عليك. ﴿حَتَّى جاءَ الحَقُّ﴾ يقول: حتى جاء نصر الله، ﴿وَظَهَرَ أمْرُ اللَّهِ﴾ يقول: وظهر دين الله الذي أمر به وافترضه على خلقه وهو الإسلام. ﴿وَهُمْ كارِهُونَ﴾ يقول: والمنافقون لظهور أمر الله ونصره إياك كارهون، وكذلك الآن يظهرك الله ويظهر دينه على الذين كفروا من الروم وغيرهم من أهل الكفر به وهم كارهون.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿وَقَلَّبُوا لَكَ الأُمورَ﴾: أي ليخذلوا عنك أصحابك، ويردّوا عليك أمرك. ﴿حتى جاءَ الحَقُّ وظَهَرَ أمْرُ اللَّهِ﴾.

وذُكر أن هذه الآية نزلت في نفر مُسَمَّيْن بأعيانهم.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن عمرو، عن الحسن، قوله:

﴿وَقَلَّبُوا لَكَ الأُمُورَ﴾ قال: منهم عبد الله بن أبيّ ابن سلول، وعبد الله بن نبتل أخو بني عمرو بن عوف، ورفاعة بن رافع، وزيد بن التابوت القينقاعي.

وكان تخذيل عبد الله بن أبيّ أصحابه عن رسول الله ﷺ في هذه الغزاة، كالذي:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن الزهريّ، ويزيد بن رومان، وعبد الله بن أبي بكر، وعاصم بن عمر بن قتادة وغيرهم، كلّ قد حدّث في غزوة تبوك ما بلغه عنها، وبعض القوم يحدّث ما لم يحدّث بعض، وكلّ قد اجتمع حديثه في هذا الحديث: أن رسول الله ﷺ أمر أصحابه بالتهيؤ لغزو الروم، وذلك في زمان عسرة من الناس وشدّة من الحرّ وجدب من البلاد، وحين طاب الثمار وأُحِبَّت الظلال، والناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم، ويكرهون الشخوص عنها على الحال من الزمان الذي هم عليه. وكان رسول الله ﷺ قلما يخرج في غزوة إلا كنى عنها وأخبر أنه يريد غير الذي يصمد له، إلا ما كان من غزوة تبوك، فإنه بينها للناس لبعد الشقة وشدة الزمان وكثرة العدوّ الذي صمد له ليتأهب الناس لذلك أهبته. فأمر الناس بالجهاد، وأخبرهم أنه يريد الروم، فتجهز الناس على ما في أنفسهم من الكره لذلك الوجه لما فيه، مع ما عظموا من ذكر الروم وغزوهم. ثم إن رسول الله ﷺ جدّ في سفره، فأمر الناس بالجهاز والانكماش[1]، وحضّ أهل الغنى على النفقة والحملان في سبيل الله. فلما خرج رسول الله ﷺ ضرب عسكره على ثنية الوداع، وضرب عبد الله بن أبيّ ابن سلول عسكره على ذي حدة أسفل منه نحو ذباب جبلّ بالجبانة أسفل من ثنية الوداع وكان فيما يزعمون ليس بأقلّ العسكرين فلما سار رسول الله ﷺ تخلف عنه عبد الله بن أبيّ فيمن تخلف من المنافقين وأهل الريب، وكان عبد الله بن أبيّ أخا بني عوف بن الخزرج، عبد الله بن نبتل أخا بني عمرو بن عوف، ورفاعة بن زيد بن التابوت أخا بني قينقاع، وكانوا من عظماء المنافقين، وكانوا ممن يكيد للإسلام وأهله. قال: وفيهم كما ثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن عمرو بن عبيد، عن الحسن البصريّ أنزل الله: ﴿لَقَدِ ابْتَغَوُا الفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ...﴾ الآية.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ (٤٩)﴾.

وذُكر أن هذه الآية نزلت في الجدّ بن قيس. ويعني جلّ ثناؤه بقوله: ﴿وَمِنْهُمْ﴾ ومن

(١) الانكماش: الإسراع في الأمر والجد فيه ا هـ.

المنافقين، ﴿مَن يَقُولُ ائْذَن لِي﴾ أقِمْ فلا أشخص معك، ﴿وَلا تَفْتِنِّي﴾ يقول: ولا تبتلني برؤية نساء بني الأصفر وبناتهم، فإني بالنساء مغرم، فأخرج وآثم بذلك.

وبذلك من التأويل تظاهرت الأخبار عن أهل التأويل. ذكر الرواية بذلك عمن قاله:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله: ﴿ائْذَن لِي وَلا تَفْتِنِّي﴾ قال: قال رسول الله ﷺ: «اغْزُوا تُبُوكَ تَغْنَمُوا بَنَاتِ الأَصْفَرِ وَنِساءَ الرُّومِ» فقال الجدّ: ائذن لنا، ولا تفتنا بالنساء.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد قالوا: قال رسول الله ﷺ: «اغْزُوا تَغْنَمُوا بَنَاتِ الأَصْفَرِ» يعني: نساء الروم، ثم ذكر مثله.

قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس، قوله: ﴿ائْذَن لِي وَلا تَفْتِنِّي﴾ قال: هو الجدّ بن قيس، قال: قد علمت الأنصار أني إذا رأيت النساء لم أصبر حتى أفتتن، ولكن أعينك بمالي

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن الزهري، ويزيد بن رومان، وعبد الله بن أبي بكر، وعاصم بن عمر بن قتادة وغيرهم، قال: قال رسول الله ﷺ ذات يوم وهو في جهازه للجدّ بن قيس أخي بني سلمة: «هَلْ لَكَ يا جَدُّ العامَ فِي جِلادِ بَنِي الأَصْفَرِ؟» فقال: يا رسول الله، أو تأذن لي ولا تفتني؟ فوالله لقد عرف قومي ما رجل أشدّ عجباً بالنساء مني، وإني أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر أن لا أصبر عنهنّ فأعرض عنه رسول الله ﷺ، وقال: «أذِنْتُ لَكَ»، ففي الجدّ بن قيس نزلت هذه الآية ﴿وَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ ائْذَن لِي وَلا تَفْتِنِّي...﴾ الآية، أي إن كان إنما يخشى الفتنة من نساء بني الأصفر، وليس ذلك به، فما سقط فيه من الفتنة بتخلفه عن رسول الله ﷺ والرغبة بنفسه عن نفسه أعظم.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ ائْذَن لِي وَلا تَفْتِنِّي﴾ قال: هو رجل من المنافقين يقال له: جدّ بن قيس، فقال له رسول الله ﷺ العام «نَغْزُو بني الأصفر ونتخذ منهم سراري ووصفاناً». فقال: أي رسول الله، ائذن لي ولا تفتني، إن لم تأذن لي افتتنت ووقعت فغضب، فقال الله: ﴿أَلاَ فِي الفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَمَ لَمُحِيطَةٌ بالكافِرِينَ﴾ وكان من بني سلمة، فقال لهم النبيّ ﷺ: «مَنْ سَيِّدُكُم يا بَنِي سَلَمَةَ؟» فقالوا: جدّ بن قيس، غير أنه بخيل جبان. فقال النبيّ ﷺ: «وأيُّ دَاءٍ أدْوَى مِنَ البُخْلِ، وَلكِنْ سَيِّدُكُمُ الفَتى الأبْيَضُ الجَعْدُ الشَّعْرِ البَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ».

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله:

﴿ومِنهُم مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لي وَلا تَفْتِنِّي﴾ يقول: ائذن لي ولا تحرجني. ﴿ألاَ في الفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ يعني: في الحرج سقطوا.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿وَمِنهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لي وَلا تَفْتِنِّي﴾ ولا تؤثمني ألا فِي الإثْمِ سَقَطُوا.

وقوله: ﴿وَإنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بالكافِرِينَ﴾ يقول: وإن النار لمطيفة بمن كفر بالله وجحد آياته وكذّب رسله، محدقة بهم جامعة لهم جميعاً يوم القيامة. يقول: فكفي للجدّ بن قيس وأشكاله من المنافقين بصليّها خزياً.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: يا محمد إن يصبك سرور بفتح الله عليك أرض الروم في غزاتك هذه يسؤ الجدّ بن قيس ونظراءه وأشياعه من المنافقين، وإن تصبك مصيبة بفلول جيشك فيها يقول الجدّ ونظراؤه: ﴿قَدْ أخَذْنا أمْرَنا مِنْ قبلُ﴾ أي قد أخذنا حذرنا بتخلفنا عن محمد وترك اتباعه إلى عدوّه، ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ يقول: من قبل أن تصيبه هذه المصيبة. ﴿وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ﴾ يقول: ويرتدوا عن محمد، وهم فرحون بما أصاب محمداً وأصحابه من المصيبة بفلول أصحابه وانهزامهم عنه وقَتْل من قُتِل منهم.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس: ﴿إنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ﴾ يقول: إن تصبك في سفرك هذا لغزوة تبوك حسنة، تسؤهم. قال: الجدّ وأصحابه.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿قَدْ أخَذْنا أمْرَنا مِنْ قَبْلُ﴾ حذرنا.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن نمير، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿قَدْ أخَذْنا أمْرَنا مِنْ قَبْلُ﴾ قال: حذرنا.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿إنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ

تَسُؤْهُمْ﴾ إن كان فتح للمسلمين كبر ذلك عليهم وساءهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره مؤدّباً نبيه محمداً ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء المنافقين الذين تخلفوا عنك: **﴿لَنْ يُصِيبَنا﴾** أيها المرتابون في دينهم **﴿إلاَّ ما كَتَبَ اللَّهُ لَنا﴾** في اللوح المحفوظ وقضاه علينا. **﴿هُوَ مَوْلانا﴾** يقول: هو ناصرنا على أعدائه. **﴿وَعلى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ المُؤْمِنُونَ﴾** يقول: وعلى الله فليتوكل المؤمنون، فإنهم إن يتوكلوا عليه ولم يرجوا النصر من عند غيره ولم يخافوا شيئا غيره، يكفهم أمورهم وينصرهم على من بغاهم وكادهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء المنافقين الذين وصفت لك صفتهم وبيّنت لك أمرهم: هل تنتظرون بنا إلا إحدى الخلتين اللتين هما أحسن من غيرهما، إما ظفراً بالعدوّ وفتحاً لنا بغلبتناهم، ففيها الأجر والغنيمة والسلامة، وإما قتلاً من عدوّنا لنا، ففيه الشهادة والفوز بالجنة والنجاة من النار، وكلتاهما مما يحبّ، ولا يكره، ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده. يقول: ونحن ننتظر بكم أن يصيبكم الله بعقوبة من عنده عاجلة تهلككم أو بأيدينا فنقتلكم. **﴿فَتَرَبَّصُوا إنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ﴾** يقول: فانتظروا إنا معكم منتظرون ما الله فاعل بنا، وما إليه صائر أمر كلّ فريق منا ومنكم.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: **﴿هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنا إلاَّ إحْدَى الحُسْنَيَيْنِ﴾** يقول: فتح أو شهادة. وقال مرّة أخرى: يقول القتل، فهي الشهادة والحياة والرزق. وإما يخزيكم بأيدينا.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: **﴿هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنا إلاَّ إحْدَى الحُسْنَيَيْنِ﴾** يقول: قتل فيه الحياة والرزق، وإما أن

يغلب فيؤتيه الله أجراً عظيماً وهو مثل قوله: ﴿**وَمَنْ يُقاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**...﴾ إلى: ﴿**فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً**﴾.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن نمير، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**إلاَّ إحْدَى الحُسْنَيَيْنِ**﴾ قال: القتل في سبيل الله والظهور على أعدائه.

قال: ثنا محمد بن بكر، عن ابن جريج، قال: بلغني عن مجاهد، قال: القتل في سبيل الله، والظهور.

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿**إحْدَى الحُسْنَيَيْنِ**﴾ القتل في سبيل الله والظهور على أعداء الله.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد بنحوه.

قال ابن جريج: قال ابن عباس: ﴿**بعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ**﴾ بالموت أو بأيدينا، قال القتل.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنا إلاَّ إحْدَى الحُسْنَيَيْنِ**﴾ إلا فتحاً أو قتلاً في سبيل الله. ﴿**ونَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أوْ بأيْدِينا**﴾: أي قتل.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء المنافقين: أنفقوا كيف شئتم أموالكم في سفركم هذا وغيره، وعلى أيّ حال شئتم من حال الطوع والكره، فإنكم إن تنفقوها لَن يَتَقَبَّل الله مِنكُم نفقاتكم، وأنتم في شكّ من دينكم وجهل منكم بنبوة نبيكم وسوء معرفة منكم بثواب الله وعقابه. ﴿**إنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْماً فاسِقِينَ**﴾ يقول: خارجين عن الإيمان بربكم. وخرج قوله: ﴿**أنْفِقُوا طَوْعاً أوْ كَرْهاً**﴾ مخرج الأمر ومعناه الخبر، والعرب تفعل ذلك في الأماكن التي يحسن فيها «إن» التي تأتي بمعنى الجزاء، كما قال جلّ ثناؤه: ﴿**اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ**﴾ فهو في لفظ الأمر ومعناه الخبر، ومنه قول الشاعر:

أسِيئي بِنا أوْ أحْسِني لا مَلُومَةً ... لَدَيْنا وَلا مَقْلِيَّةً إنْ تَقَلَّتِ[1]

(١) البيت لكثير عزة ديوانه طبع الجزائر (ص - ٥٣) وأورده صاحب «الكشاف» عند قوله تعالى: ﴿أنفقوا طوعاً وكرها لن يتقبل منكم﴾ شاهداً على تساوي الإنفاقين في عدم القبول كما ساوى كثير بين الإحسان والإساءة في عدم اللوم. والنكتة في مثل ذلك إظهار نفي تفاوت الحال بتفاوت فعل المخاطب، كأنه يأمرها بذلك =

فكذلك قوله: ﴿أَنْفِقُوا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً﴾ إنما معناه: إن تنفقوا طوعاً أو كرهاً، ﴿لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ﴾. وقيل: إن هذه الآية نزلت في الجدّ بن قيس حين قال للنبيّ ﷺ لما عرض عليه النبيّ ﷺ الخروج معه لغزو الروم: هذا مالي أعينك به.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس: قال الجدّ بن قيس: إني إذا رأيت النساء لم أصبر حتى أفتتن، ولكن أعينك بمالي قال: ففيه نزلت ﴿أَنْفِقُوا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ﴾ قال: لقوله: أعينك بمالي.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَـٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَـٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وما منع هؤلاء المنافقين يا محمد أن تقبل منهم نفقاتهم التي ينفقونها في سفرهم معك وفي غير ذلك من السبل ﴿إلا أنَّهُمْ كَفَرُوا باللَّهِ وَبِرَسُولِهِ﴾ فـ«أن» الأولى في موضع نصب، والثانية في موضع رفع، لأن معنى الكلام: ما منع قبول نفقاتهم إلا كفرهم بالله. ﴿وَلا يَأْتُونَ الصَّلاةَ إلاَّ وَهُمْ كُسَالَى﴾ يقول: لا يأتونها إلا متثاقلين بها، لأنهم لا يرجون بأدائها ثواباً ولا يخافون بتركها عقاباً، وإنما يقيمونها مخافة على أنفسهم بتركها من المؤمنين فإذا أمنوهم لم يقيموها. ﴿وَلاَ يُنْفِقُونَ﴾ يقول: ولا ينفقون من أموالهم شيئاً، ﴿إلاَّ وَهُمْ كارِهُونَ﴾ أن ينفقونه في الوجه الذي ينفقونه فيه مما فيه تقوية للإسلام وأهله.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾.

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معناه: فلا تعجبك يا محمد أموال

= لتحقيق أنه على العهد. ويقال: أساء به وإليه، وعليه، وله: ضد أحسن معنى واستعمالاً. ومقلية بمعنى مبغضة. من القلى، وهو البغض. وقوله تقلت: التفات من الخطاب إلى تقلى: أي تبغض. قال العلماء: لو قال هذا البيت في وصف الدنيا، لكان أشعر الناس. وقال الفراء «معاني القراء» ١٢٨ مصورة جامعة القاهرة وقوله (انفقوا طوعاً أو كرهاً: هو أمر في اللفظ، وليس بأمر في المعنى، لأنه قد أخبرهم أنه لن يقبل منهم وهو في الكلام بمنزلة «إن» في الجزاء، كأنك قلت: إن أنفقت طوعاً أو كرهاً فليس بمقبول منك. ومثله: «استغفر لهم أو لا تستغفر لهم» ليس بأمر، إنما هو على تأويل الجزاء ومثله قول الشاعر:

أسيئي بنا............ البيت.

هؤلاء المنافقين ولا أولادهم في الحياة الدنيا، إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة. وقال: معنى ذلك: التقديم وهو مؤخر.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ**﴾ قال: هذه من تقاديم الكلام، يقول: لا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا، إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة.

حدثنا المثنى، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِها**﴾ فِي الآخِرَةِ.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا، بما ألزمهم فيها من فرائضه.

ذكر من قال ذلك:

حُدثت عن المسيب بن شريك، عن سلمان الأقصري، عن الحسن: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِها فِي الحَياةِ الدُّنْيا**﴾ قال: بأخذ الزكاة والنفقة في سبيل الله تعالى.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِها فِي الحَياةِ الدُّنْيا**﴾ بالمصائب فيها، هي لهم عذاب وهي للمؤمنين أجر.

قال أبو جعفر: وأولى التأويلين بالصواب في ذلك عندنا، التأويل الذي ذكرنا عن الحسن، لأن ذلك هو الظاهر من التنزيل، فصرف تأويله إلى ما دلّ عليه ظاهره أولى من صرفه إلى باطن لا دلالة على صحته، وإنما وجه من وجه ذلك إلى التقديم وهو مؤخر، لأنه لم يعرف لتعذيب الله المنافقين بأموالهم وأولادهم في الحياة الدنيا وجهاً يوجهه إليه، وقال: كيف يعذّبهم بذلك في الدنيا، وهي لهم فيها سرور، وذهب عنه توجيهه إلى أنه من عظيم العذاب عليه إلزامه ما أوجب الله عليه فيها من حقوقه وفرائضه، إذ كان يلزمه ويؤخذ منه وهو غير طيب النفس. ولا راج من الله جزاء ولا من الآخذ منه حمداً ولا شكراً على ضجر منه وكره.

وأما قوله: ﴿**وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كافِرُونَ**﴾ فإنه يعني: وتخرج أنفسهم، فيموتوا على كفرهم بالله وجحودهم نبوّة نبيّ الله محمد ﷺ، يقال منه: زَهَقَتْ نفس فلان، وزَهِقَتْ، فمن قال: زَهَقَت، قال: تَزْهَقُ، ومن قال: زَهِقَتْ، قال: تَزْهِقُ زُهُوقاً ومنه قيل: زَهَق فلان بين أيدي القوم

يَزْهَقُ زُهُوقاً: إذا سبقهم فتقدمهم، ويقال: زَهَقَ الباطل: إذا ذهب ودرس.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ويحلف بالله لكم أيها المؤمنون هؤلاء المنافقون كذباً وباطلاً خوفاً منكم، إنهم لمنكم في الدين والملة. يقول الله تعالى مكذباً لهم: ﴿وما هُمْ مِنْكُمْ﴾ أي ليسوا من أهل دينكم وملتكم، بل هم أهل شكّ ونفاق. ﴿وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾ يقول: ولكنهم قوم يخافونكم، فهم خوفاً منكم يقولون بألسنتهم: إنا منكم، ليأمنوا فيكم فلا يقتلوا.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: لو يجد هؤلاء المنافقون ملجأ، يقول: عَصَراً يعتصرون به من حصن، ومعقلاً يعتقلون فيه منكم، ﴿أو مَغَارَاتٍ﴾ وهي الغيران في الجبال، واحدتها: مغارة، وهي مفعلة من غار الرجل في الشيء يغور فيه إذا دخل، ومنه قيل: غارت العين: إذا دخلت في الحدقة. ﴿أو مُدّخَلاً﴾ يقول: سَرَباً في الأرض يدخلون فيه، وقال: «أو مُدّخلاً»... الآية، لأنه من ادّخل يدخل. وقوله: ﴿لَوَلَّوْا إلَيْهِ﴾ يقول: لأدبروا إليه هرباً منكم. ﴿وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ يقول: وهم يسرعون في مشيهم. وقيل: إن الجماح مشي بين المشيين ومنه قول مهلهل:

لَقَدْ جَمَحْتُ جِماحاً فِي دِمائِهِمُ حتى رأيْتُ ذَوِي أحْسابِهِمْ خَمَدوا[1]

وإنما وصفهم الله بما وصفهم به من هذه الصفة، لأنهم إنما أقاموا بين أظهر أصحاب رسول الله ﷺ على كفرهم ونفاقهم وعداوتهم لهم، ولما هم عليه من الإيمان بالله وبرسوله لأنهم كانوا في قومهم وعشيرتهم وفي دورهم وأموالهم، فلم يقدروا على ترك ذلك وفراقه، فصانعوا القوم بالنفاق ودافعوا عن أنفسهم وأموالهم وأولادهم بالكفر ودعوى الإيمان، وفي أنفسهم ما فيها من

---

(١) جمحت في دمائهم: أسرعت وأكثرت من قتلهم. وفي شعراء النصرانية (ص ـ ١٦٦) بيتان لمهلهل شبيهان بمعنى هذا البيت، وهما:

أكْثَرْتُ قَتْلَ بَنِي بَكْرٍ بِرَبِّهِمُ حتى بَكَيْتُ ومَا يَبْكِي لَهُمْ أحَدُ

آلَيْتُ بِاللَّهِ لا أرْضَى بِقَتْلِهِمُ حتى أبَهْرِجَ بَكْراً أيْنَما وُجِدُوا

وأبهرج: أي أدعهم بهرجا: لا يقتل فيهم قتيل، ولا يؤخذ لهم دية. ولم أجد بيت الشاهد على هذين البيتين، مع أنه شبيه بهما وزناً وقافية ومعنى.

البغض لرسول الله ﷺ وأهل الإيمان به والعداوة لهم، فقال الله واصفهم بما في ضمائرهم: ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجأً أَوْ مَغارَاتٍ...﴾ الآية.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجأً﴾ الملجأ: الحرز في الجبال، والمغارات: الغيران في الجبال. وقوله: ﴿أَوْ مُدَّخَلاً﴾ والمدّخل: السرب.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجأً أَوْ مَغارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلاً لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ ملجأ، يقول: حرزاً، ﴿أو مَغَارَاتٍ﴾ يعني الغيران. ﴿أو مُدَّخلاً﴾ يقول: ذهاباً في الأرض، وهو النفق في الأرض، وهو السرب.

وحدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجأً أَوْ مَغارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلاً﴾ قال: حرزاً لهم يفرّون إليه منكم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد قوله: ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجأً أَوْ مَغارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلاً﴾ قال: محرزاً لهم، لفرّوا إليه منكم. وقال ابن عباس قوله: ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجأً﴾ حرزاً أو مغارات، قال: الغيران. ﴿أَوْ مُدَّخلاً﴾ قال: نفقاً في الأرض.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، عن سعيد، عن قتادة: ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجأً أَوْ مَغارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلاً﴾ يقول: لو يجدون ملجأ: حصوناً، ﴿أو مَغَارَاتٍ﴾ غيراناً. ﴿أو مدَّخلاً﴾ أسراباً. ﴿لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ومن المنافقين الذين وصفت لك يا محمد صفتهم في هذه الآيات ﴿مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ يقول: يعيبك في أمرها ويطعن عليك فيها، يقال منه: لمز فلاناً يَلْمِزُه، ويَلْمُزُه: إذا عابه وقرصه، وكذلك همزه. ومنه قيل: فلان هُمَزةٌ لمَزة، ومنه قول رؤبة:

قَــارَبْــتُ بـيــنَ عَــنَــقِــي وَجَــمْــزِي فِـي ظِـلّ عَـضْـرَيْ بـاطِـلِـي ولَـمْـزِي[١]

ومنه قول الآخر:

إذَا لَـقِـيـتُـكَ تُـبْـدِي لـي مُـكَـاشَـرَةً وأنْ أغِيبَ فـأنْـتَ الـعـائِـبُ الـلُّـمَـزَهْ[٢]

﴿فإنْ أُعْطُوا مِنْها رَضُوا﴾ يقول: ليس بهم في عيبهم إياك فيها وطعنهم عليك بسببها الدين، ولكن الغضب لأنفسهم، فإن أنت أعطيتهم منها ما يرضيهم رضوا عنك، وإن أنت لم تعطهم منهم سخطوا عليك وعابوك.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن نمير، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قوله: ﴿وَمِنهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقاتِ﴾ قال: يَرُوزُك.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد قوله: ﴿وَمِنهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقاتِ﴾ يروزك ويسألك.

قال ابن جريج: وأخبرني داود بن أبي عاصم، قال: قال أُتي النبيّ ﷺ بصدقة، فقسمها ههنا وههنا حتى ذهبت، قال: ورآه رجل من الأنصار، فقال: ما هذا بالعدل فنزلت هذه الآية.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَمِنهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقاتِ﴾ يقول: ومنهم من يطعن عليك في الصدقات. وذُكر لنا أن رجلاً من أهل البادية حديث عهد بأعرابية، أتى نبيّ الله ﷺ وهو يقسم ذهباً وفضة، فقال: يا محمد، والله لئن كان الله أمرك أن تعدل ما عدلت فقال نبيّ الله ﷺ: «وَيْلَكَ فَمَنْ ذَا يَعْدِلُ عَلَيْكَ بَعْدِي؟» ثم قال نبيّ الله ﷺ: «احْذَرُوا هَذَا وأشْباهَهُ، فإنَّ فِي أُمَّتِي أشْباهَ هَذَا يَقْرَؤُونَ القُرآنَ لا يُجاوِزُ تَراقِيَهُمْ، فإذَا خَرَجُوا فاقْتُلُوهُمْ، ثُمَّ إذَا خَرَجُوا فاقْتُلُوهُمْ، ثُمَّ إذَا خَرَجُوا فاقْتُلُوهُمْ». وذُكر لنا أن نبيّ الله ﷺ كان يقول:

---

(١) هذان بيتان لرؤبة من مشطور الرجز، وهما الأربعون والثاني والأربعون من أرجوزة له (ص ـ ٦٤) من ديوانه (طبع ليبسك سنة ١٩٠٣): والعنق بالتحريك: ضرب من سير الدابة والإبل، وهو سير مسبطر أي ممتد. والجمز: مصدر جمز الإنسان والبعير والدابة يجمز خمزاً. وهو عدد دون الحضر الشديد، وفوق العنق واللمز: أن تعيب الإنسان في وجهه أو في غيبته. ولمز الرجل: دفعه وضربه.

(٢) المكاشرة: أن تبدو الأسنان عند التبسم. يقول: تلقاني بالابتسام إذا لقيتك: فإذا غبت عنك عبتني. وذكرتني بالسوء وهذا البيت يوضح أن اللمز هو غمز الإنسان وعيبه في مغيبه، وهو قول لبعض اللغويين، والقول الآخر أن اللمز أن تعيب الرجل في وجهه، والهمز أن تعيبه في مغيبه كما يعلم من نصوص «اللسان» (لمز، همز).

«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ما أُعْطِيكُمْ شَيْئاً وَلا أَمْنَعُكُمُوهُ إنَّمَا أنا خازِنٌ».

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: **﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقاتِ﴾** قال: يطعن.

قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن الزهريّ عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي سعيد، قال: بينما رسول الله ﷺ يقسم قسماً، إذ جاءه ابن ذي الخويصرة التميمي، فقال: اعدل يا رسول الله فقال: «وَيْلَكَ وَمَنْ يَعْدِلُ إنْ لَمْ أَعْدِلْ؟» فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله ائذن لي فأضرب عنقه قال: «دعه، فإنّ لَهُ أَصحاباً يَحْقِرُ أحَدُكُمْ صَلاتَهُ مَعَ صَلاتِهِمْ وَصِيامَهُ مَعَ صِيامِهِمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدينِ كما يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، فَيَنْظُرُ فِي قُذَذِهِ فَلا يَنْظُرُ شَيْئاً، ثُمَّ يَنْظُرُ فِي نَصْلِهِ فَلا يَجِدُ شَيْئاً، ثُمَّ يَنْظُرُ فِي رَصَافِهِ فَلا يَجِدُ شَيْئاً، قَد سَبَقَ الفَرْثَ وَالدَّمَ، آيَتُهُمْ رَجُلٌ أَسْوَدُ إحْدَى يَدَيْهِ أوْ قالَ: يَدَيْهِ مِثْلُ ثَدْيِ المَرأة أوْ مِثْلُ البَضْعَةِ تَدَرْدَرُ، يَخْرُجُونَ على حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ النَّاسِ». قال: فنزلت: **﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقاتِ﴾**. قال أبو سعيد: أشهد أني سمعت هذا من رسول الله ﷺ، وأشهد أن عليّاً رحمة الله عليه حين قتلهم جيء بالرجل على النعت الذي نعت رسول الله ﷺ.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقاتِ فإنْ أُعْطُوا مِنها رَضوا وَإنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْها إذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾** قال: هؤلاء المنافقون، قالوا: والله ما يعطيها محمد إلا من أحبّ، ولا يؤثر بها إلا هواه فأخبر الله نبيه، وأخبرهم أنه إنما جاءت من الله، وأن هذا أمر من الله ليس من محمد: **﴿إنَّمَا الصَّدقاتُ للفُقَرَاءِ...﴾** الآية.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ولو أن هؤلاء الذين يلمزونك يا محمد في الصدقات رضوا ما أعطاهم الله ورسوله من عطاء وقسم لهم من قسم، **﴿وَقالُوا حَسْبُنا اللَّهُ﴾** يقول: وقالوا: كافينا الله، **﴿سَيُؤْتِينا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ﴾** يقول: سيعطينا الله من فضل خزائنه ورسوله من الصدقة وغيرها، **﴿إنَّا إلى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾** يقول: وقالوا: إنا إلى الله نرغب في أن يوسع علينا من فضله، فيغنينا عن الصدقة وغيرها من صلات الناس والحاجة إليهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: لا تنال الصدقات إلا للفقراء والمساكين ومن سماهم الله جلّ ثناؤه.

ثم اختلف أهل التأويل في صفة الفقير والمسكين، فقال بعضهم: الفقير: المحتاج المتعفف عن المسألة، والمسكين: المحتاج السائل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا جرير، عن أشعث، عن الحسن: ﴿**إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ للفُقَرَاءِ والمَساكِينِ**﴾ قال: الفقير: الجالس في بيته، والمسكين: الذي يسعى.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله، قال: ثنا معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ للفُقَرَاءِ والمَساكِينِ**﴾ قال: المساكين: الطوّافون، والفقراء فقراء المسلمين.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبو أسامة، عن جرير بن حازم، قال: ثني رجل، عن جابر بن زيد، أنه سئل عن الفقراء، قال: الفقراء: المتعففون، والمساكين: الذين يسألون.

حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا معقل بن عبيد الله الحراني، قال: سألت الزهري عن قوله: ﴿**إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ**﴾ قال: الذين في بيوتهم لا يسألون، والمساكين: الذين يخرجون فيسألون.

حدثنا الحرث، قال: ثنا القاسم، قال: ثنا يحيى بن سعيد، عن عبد الوارث بن سعيد، عن ابن نجيح، عن مجاهد قال: الفقير الذي لا يسأل، والمسكين: الذي يسأل.

قال: حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ للفُقَرَاءِ والمَساكِينِ**﴾ قال: الفقراء الذين لا يسألون الناس وهم أهل حاجة، والمساكين: الذين يسألون الناس.

حدثنا الحرث، قال: ثني عبد العزيز، قال: ثنا عبد الوارث، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قال: الفقراء الذين لا يسألون، والمساكين: الذين يسألون.

وقال آخرون: الفقير هو ذو الزمانة من أهل الحاجة، والمسكين: هو الصحيح الجسم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: ﴿**إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ والمَساكِينِ**﴾ قال: الفقير من به زمانة، والمسكين: الصحيح المحتاج.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ والمَساكِينِ**﴾ أما الفقير: فالزمن الذي به زمانة، وأما المسكين: فهو الذي ليست به زمانة.

وقال آخرون: الفقراء فقراء المهاجرين، والمساكين: من لم يهاجر من المسلمين وهو محتاج.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا جرير بن حازم، عن عليّ بن الحكم، عن الضحاك بن مزاحم: ﴿**إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ**﴾ قال: فقراء المهاجرين، والمساكين: الذين لم يهاجروا.

٣٨٠٣١ **قال: ثنا** عبد العزيز، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن إبراهيم: ﴿**إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ**﴾ المهاجرين، قال: سفيان: يعني: ولا يعطي الأعراب منها شيئاً.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثني أبي، عن سفيان، عن منصور، عن إبراهيم، قال: كان يقال: إنما الصدقة لفقراء المهاجرين.

قال: ثنا جرير، عن منصور، عن إبراهيم، قال: كانت تجعل الصدقة في فقراء المهاجرين، وفي سبيل الله تعالى.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب، عن جعفر، عن سعيد بن جبير وسعيد بن عبد الرحمن بن أبزي، قالا: كان ناس من المهاجرين لأحدهم الدار والزوجة والعبد والناقة يحجّ عليها ويغزو، فنسبهم الله إلى أنهم فقراء، وجعل لهم سهماً في الزكاة.

حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن إبراهيم، قال: كان يقال: إنما الصدقات في فقراء المهاجرين، وفي سبيل الله.

وقال آخرون: المسكين: الضعيف البئيس.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، قال: أخبرنا ابن عون، عن محمد، قال: قال عمر: ليس الفقير بالذي لا مال له، ولكن الفقير: الأخْلق الكَسْب. قال يعقوب، قال ابن علية: الأخلق: المُحَارَفُ عندنا.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن أيوب عن ابن سيرين أن عمر بن الخطاب رحمة الله تعالى عليه قال ليس المسكين بالذي لا ماله له ولكن المسكين الأخلق الكسب وقال بعضهم الفقير من المسلمين والمسكين من أهل الكتاب.

ذكر من قال ذلك:

حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا عمر بن نافع، قال: سمعت عكرمة في قوله: ﴿**إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ والمَساكِينِ**﴾ قال: لا تقولوا لفقراء المسلمين مساكين، إنما المساكين مساكين أهل الكتاب.

قال أبو جعفر: وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب، قول من قال: الفقير: هو ذو الفقر أو الحاجة ومع حاجته يتعفف عن مسألة الناس والتذلل لهم في هذا الموضع، والمسكين: هو المحتاج المتذلل للناس بمسألتهم. وإنما قلنا إن ذلك كذلك وإن كان الفريقان لم يعطيا إلا بالفقر والحاجة دون الذلة والمسكنة، لإجماع الجميع من أهل العلم أن المسكين إنما يعطى من الصدقة المفروضة بالفقر، وأن معنى المسكنة عند العرب: الذلة، كما قال الله جلّ ثناؤه: ﴿**وَضُرِبَتْ عَلَيهِمُ الذِّلَّةُ وَالمَسْكَنَةُ**﴾ يعني بذلك الهون، والذلة لا الفقر. فإذا كان الله جلّ ثناؤه قد صنف من قسم له من الصدقة المفروضة قسماً بالفقر فجعلهم صنفين، كان معلوماً أن كل صنف منهم غير الآخر. وإذ كان ذلك كذلك كان لا شكّ أن المقسوم له باسم الفقير غير المقسوم له باسم الفقر والمسكنة، والفقير المعطى ذلك باسم الفقير المطلق هو الذي لا مسكنة فيه، والمعطى باسم المسكنة والفقر هو الجامع إلى فقره المسكنة، وهي الذلّ بالطلب والمسألة.

فتأويل الكلام إذ كان ذلك معناه: إنما الصدقات للفقراء المتعفف منهم الذي لا يسأل، والمتذلل منهم الذي يسأل، وقد رُوي عن رسول الله ﷺ بنحو الذي قلنا في ذلك خبر.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا إسماعيل بن جعفر، عن شريك بن أبي نمر، عن عطاء بن يسار، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «لَيْسَ المِسْكِينُ بالَّذِي تَرُدُّهُ اللُّقْمَةُ وَاللُّقْمَتانِ والتَّمْرَةُ والتَّمْرَتانِ، إنَّمَا المِسْكِينُ المُتَعَفِّفُ اقْرَأوا إنْ شِئْتُمْ: ﴿**لا يَسْأَلونَ النَّاسَ إلْحافاً**﴾.

ومعنى قوله ﷺ: «إنَّمَا المِسْكِينُ المُتَعَفِّفُ» على نحو ما قد جرى به استعمال الناس من تسميتهم أهل الفقر مساكين، لا على تفصيل المسكين من الفقير. ومما ينبىء عن أن ذلك كذلك، انتزاعه ﷺ لقول الله: ﴿**اقرءوا إن شئتم لا يَسأَلُونَ النَّاسَ إلْحافاً**﴾ وذلك في صفة من ابتدأ الله ذكره ووصفه بالفقر، فقال: ﴿**لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الجاهِلُ أغْنِياءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيماهُمْ لا يَسأَلُونَ النَّاسَ إلْحافاً**﴾.

وقوله: ﴿**وَالعامِلِينَ عَلَيْها**﴾ وهم السعاة في قبضها من أهلها، ووضعها في مستحقيها يعطون

ذلك بالسعاية، أغنياء كانوا أو فقراء.

وبمثل الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا معقل بن عبيد الله، قال: سألت الزهري عن العاملين عليها، فقال: السعاة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿**وَالعامِلِينَ عَلَيْها**﴾ قال: جباتها الذين يجمعونها، ويسعون فيها.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: ﴿**وَالعامِلِينَ عَلَيْها**﴾: الذي يعمل عليها.

ثم اختلف أهل التأويل في قدر ما يُعْطَى العامل من ذلك، فقال بعضهم: يُعْطَى منه الثمن.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا حميد بن عبد الرحمن، عن حسن بن صالح، عن جويبر، عن الضحاك، قال: للعاملين عليها الثمن من الصدقة.

حُدثت عن مسلم بن خالد، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: ﴿**وَالعامِلِينَ عَلَيْها**﴾ قال: يأكل العمال من السهم الثامن.

وقال آخرون: بل يعطى على قدر عمالته.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا عبد الوهاب بن عطاء، عن الأخضر بن عجلان، قال: ثنا عطاء بن زهير العامريّ، عن أبيه، أنه لقي عبد الله بن عمرو بن العاص، فسأله عن الصدقة: أيّ مال هي؟ فقال: مال العرجان والعوران والعميان وكلّ منقطع به. فقال له: إن للعاملين حقّاً والمجاهدين. قال: إن المجاهدين قوم أحلّ لهم وللعاملين عليها على قدر عمالتهم. ثم قال: لا تحلّ الصدقة لغنيّ، ولا لذي مِرَّة سويّ.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: يكون للعامل عليها إن عمل بالحقّ. ولم يكن عمر رحمه الله تعالى ولا أولئك يعطون العامل الثمن، إنما يفرضون له بقدر عمالته.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا جرير، عن أشعث، عن الحسن: ﴿وَالعامِلِينَ عَلَيها﴾ قال: كان يعطى العاملون.

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: يعطى العامل عليها على قدر عمالته أجر مثله.

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب، لأن الله جلّ ثناؤه لم يقسم صدقة الأموال بين الأصناف الثمانية على ثمانية أسهم وإنما عرَّف خلقه أنّ الصدقات لن تجاوز هؤلاء الأصناف الثمانية إلى غيرهم. وإذ كان كذلك بما سنوضح بعد وبما قد أوضحناه في موضع آخر، كان معلوماً أن من أُعطي منها حقاً، فإنما يعطى على قدر اجتهاد المعطي فيه. وإذا كان ذلك كذلك، وكان العامل عليها إنما يعطى على عمله لا على الحاجة التي تزول بالعطية، كان معلوماً أن الذي أعطاه من ذلك إنما هو عوض من سعيه وعمله، وأن ذلك إنما هو قدر يستحقه عوضاً من عمله الذي لا يزول بالعطية وإنما يزول بالعزل.

وأما المؤلَّفة قلوبهم، فإنهم قوم كانوا يُتألَّفون على الإسلام ممن لم تصحّ نصرته استصلاحاً به نفسه وعشيرته، كأبي سفيان بن حرب وعيينة بن بدر والأقرع بن حابس، ونظرائهم من رؤساء القبائل.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمر، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿والمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾، وهم قوم كانوا يأتون رسول الله ﷺ، قد أسلموا، وكان رسول الله ﷺ يرضخ[1] لهم من الصدقات، فإذا أعطاهم من الصدقات فأصابوا منها خيراً قالوا: هذا دين صالح، وإن كان غير ذلك عابوه وتركوه.

حدثنا عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن يحيى بن أبي كثير: أن المؤلفة قلوبهم من بني أمية: أبو سفيان بن حرب، ومن بني مخزوم: الحرث بن هشام، وعبد الرحمن بن يربوع، ومن بني جمح: صفوان بن أمية، ومن بني عامر بن لؤيّ: سهيل بن عمرو، وحويطب بن عبد العُزَّى، ومن بني أسد بن عبد العُزَّى: حكيم بن حزام، ومن بني هاشم: سفيان بن الحرث بن عبد المطلب، ومن بني فزارة: عيينة بن حصن بن بدر، ومن بني تميم:

(١) يرضخ لهم: يعطيهم شيئاً يسيراً.

الأقرع بن حابس، ومن بني نصر: مالك بن عوف، ومن بني سليم: العباس بن مرداس، ومن ثقيف: العلاء بن حارثة. أعطى النبيّ ﷺ كلّ رجل منهم مئة ناقة، إلا عبد الرحمن بن يربوع وحويطب بن عبد العُزَّى، فإنه أعطى كلّ رجل منهم خمسين.

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن الزهريّ، قال: قال صفوان بن أمية: لقد أعطاني رسول الله ﷺ وإنه لأبغض الناس إليّ، فما برح يعطيني حتى إنه لأحبّ الناس إليّ.

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قال: ناس كان يتألفهم بالعطية، عيينة بن بدر ومن كان معه.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث، عن حماد بن سلمة، عن يونس، عن الحسن: **﴿والمُؤَلَّفَةُ قُلُوبُهُمْ﴾**: الذين يؤلفون على الإسلام.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: وأما المؤلَّفة قلوبهم، فأناس من الأعراب ومن غيرهم، كان نبيّ الله ﷺ يتألفهم بالعطية كيما يؤمنوا.

حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا معقل بن عبيد الله، قال: سألت الزهريّ عن قوله: **﴿والمُؤَلَّفَةُ قُلُوبُهُمْ﴾** فقال: من أسلم من يهودي أو نصراني. قلت: وإن كان غنياً؟ قال: وإن كان غنياً.

حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا معقل بن عبيد الله الحراني، عن الزهريّ: **﴿والمُؤَلَّفَةُ قُلُوبُهُمْ﴾** قال: من هو يهودي أو نصراني.

ثم اختلف أهل العلم في وجود المؤلفة اليوم وعدمها، وهل يعطى اليوم أحد على التألف على الإسلام من الصدقة؟ فقال بعضهم: قد بطلت المؤلَّفة قلوبهم اليوم، ولا سهم لأحد في الصدقة المفروضة إلا لذي حاجة إليها وفي سبيل الله أو لعامل عليها.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا جرير، عن أشعث، عن الحسن: **﴿والمُؤَلَّفَةُ قُلُوبُهُمْ﴾** قال: أما المؤلفة قلوبهم فليس اليوم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا هشيم، قال: ثنا عبد الرحمن بن يحيى، عن حبان بن أبي جبلة، قال: عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: وأتاه عيينه بن حصن **﴿الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾** اي ليس اليوم مؤلفة.

حدثنا أحمد، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا إسرائيل، عن جابر، عن عامر، قال: لم يبق في الناس اليوم من المؤلفة قلوبهم، إنما كانوا على عهد رسول الله ﷺ.

حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا مبارك، عن الحسن، قال: ليس اليوم مؤلفة.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن إسرائيل، عن جابر، عن عامر، قال: إنما كانت المؤلفة قلوبهم على عهد النبيّ ﷺ، فلما وُلي أبو بكر رحمة الله تعالى عليه انقطعت الرشا.

وقال آخرون: المؤلفة قلوبهم في كلّ زمان، وحقهم في الصدقات.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا إسرائيل، عن جابر، عن أبي جعفر، قال: في الناس اليوم المؤلفة قلوبهم.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن إسرائيل، عن جابر، عن أبي جعفر، مثله.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك عندي: أن الله جعل الصدقة في معنيين: أحدهما سدّ خلة المسلمين، والآخر معونة الإسلام وتقويته فما كان في معونة الإسلام وتقوية أسبابه فإنه يعطاه الغنيّ والفقير، لأنه لا يعطاه من يعطاه بالحاجة منه إليه وإنما يعطاه معونة للدين، وذلك كما يعطي الذي يعطاه بالجهاد في سبيل الله، فإنه يعطي ذلك غنياً كان أو فقيراً للغزو لا لسدّ خلته. وكذلك المؤلفة قلوبهم يعطون ذلك وإن كانوا أغنياء، استصلاحاً بإعطائهموه أمر الإسلام وطلب تقويته وتأييده. وقد أعطى النبيّ ﷺ من أعطى من المؤلفة قلوبهم، بعد أن فتح الله عليه الفتوح وفشا الإسلام وعزّ أهله، فلا حجة لمحتجّ بأن يقول: لا يتألف اليوم على الإسلام أحد لامتناع أهله بكثرة العدد ممن أرادهم وقد أعطى النبيّ ﷺ من أعطى منهم في الحال التي وصفت.

وأما قوله: ﴿**وفِي الرِّقابِ**﴾ فإن أهل التأويل اختلفوا في معناه، فقال بعضهم، وهم الجمهور الأعظم: هم المكاتبون، يعطون منها في فكّ رقابهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن الحسن بن دينار، عن الحسين: أن مكاتباً قام إلى أبي موسى الأشعري رحمه الله تعالى وهو يخطب الناس يوم الجمعة، فقال له: أيها الأمير حثّ الناس عليّ فحثّ عليه أبو موسى، فألقى الناس عليه عمامة وملاءة وخاتماً، حتى ألقوا سواداً كثيراً. فلما رأى أبو موسى ما ألقي عليه، قال: اجمعوه فجمع ثم أمر به فبيع، فأعطى

المكاتب مكاتبته، ثم أعطى الفضل في الرقاب ولم يردّه على الناس، وقال: إنما أعطيَ الناسُ في الرقاب.

حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا معقل بن عبيد الله، قال: سألت الزهري عن قوله: ﴿**وفِي الرِّقابِ**﴾ قال: المكاتبون.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿**وفِي الرِّقابِ**﴾ قال: المكاتَبُ.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا سهل بن يوسف، عن عمرو، عن الحسن: ﴿**وَفِي الرِّقابِ**﴾ قال: هم المكاتبون.

ورُوي عن ابن عباس أنه قال: لا بأس أن تعتق الرقبة من الزكاة.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك عندي قول من قال: عنى بالرقاب في هذا الموضع المكاتبون، لإجماع الحجة على ذلك فإن الله جعل الزكاة حقاً واجباً على من أوجبها عليه في ماله يخرجها منه، لا يرجع إليه منها نفع من عرض الدنيا ولا عوض، والمعتق رقبة منها راجع إليه ولاء من أعتقه، وذلك نفع يعود إليه منها.

وأما الغارمون: فالذين استدانوا في غير معصية الله، ثم لم يجدوا قضاء في عين ولا عرض.

وبالذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا سفيان، عن عثمان بن الأسود، عن مجاهد، قال: الغارمون: من احترق بيته، أو يصيبه السيل فيذهب متاعه، ويدّان على عياله فهذا من الغارمين.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوريّ، عن عثمان بن الأسود، عن مجاهد في قوله: ﴿**وَالغارِمينَ**﴾قال: من احترق بيته، وذهب السيل بماله، وادّان على عياله.

حدثنا أحمد، قال: ثنا إسرائيل، عن جابر، عن أبي جعفر، قال: الغارمين: المستدين في غير سرف، ينبغي للإمام أن يقضي عنهم من بيت المال.

قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا معقل بن عبيد الله، قال: سألنا الزهري، عن الغارمين، قال: أصحاب الدين.

قال: ثنا معقل، عن عبد الكريم، قال: ثني خادم لعمر بن عبد العزيز خدمه عشرين سنة، قال: كتب عمر بن عبد العزيز أن يعطى الغارمون. قال أحمد: أكثر ظني من الصدقات.

قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا سفيان، عن جابر، عن أبي جعفر قال: الغارمون: المستدين في غير سرف.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: أما الغارمون: فقوم غرّقتهم الديون، في غير إملاق ولا تبذير ولا فساد.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: الغارم: الذي يدخل عليه الغرم.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا يحيى بن يمان، عن عثمان بن الأسود، عن مجاهد: **﴿والغارِمِينَ﴾** قال: هو الذي يذهب السيل والحريق بماله، ويدّان على عياله.

قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن جابر، عن أبي جعفر، قال: المستدين في غير فساد.

قال: ثني أبي، عن إسرائيل، عن جابر، عن أبي جعفر، قال: الغارمون: الذين يستدينون في غير فساد، ينبغي للإمام أن يقضي عنهم.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن عثمان بن الأسود، عن مجاهد: هم قوم ركبتهم الديون في غير فساد ولا تبذير، فجعل الله لهم في هذه الآية سهماً.

وأما قوله: **﴿وفِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾** فإنه يعني: وفي النفقة في نصرة دين الله وطريقه وشريعته التي شرعها لعباده بقتال أعدائه، وذلك هو غزو الكفار.

وبالذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿وفِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾** قال: الغازي في سبيل الله.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، قال: قال النبيّ ﷺ: «لا تَحِلُّ الصَّدَقَةُ لِغَنِيّ إلاَّ لِخَمْسَةٍ: رَجُلٍ عَمِلَ عَلَيْها، أوْ رَجُلٍ اشْتَرَاها بِمالِهِ، أو فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أوِ ابْنِ السَّبِيلِ، أوْ رَجُلٍ كانَ لَهُ جارٌ تُصُدِّقَ عَلَيْهِ فَأهْدَاها لَهُ».

قال: ثنا أبي، عن ابن أبي ليلى، عن عطية، عن أبي سعيد الخدريّ، عن النبيّ ﷺ قال:

«لا تَحِلُّ الصَّدَقَةُ لِغَنِيّ إلاَّ لِثَلاثَةٍ: فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أوِ ابْنِ السَّبِيلِ، أوْ رَجُلٍ كانَ لَهُ جارٌ فَتُصُدّقَ عَلَيْهِ فَأهْدَاها لَهُ».

وأما قوله: ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ فالمسافر الذي يجتاز من بلد إلى بلد، والسبيل: الطريق، وقيل للضارب فيه ابن السبيل للزومه إياه، كما قال الشاعر:

أنَا ابْنُ الحَرْبِ رَبَّتْنِي وَلِيداً إلى أنْ شِبْتُ وَاكْتَهَلَتْ لِداتِي[1]

وكذلك تفعل العرب، تسمي اللازم للشيء يعرف بابنه.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا سفيان، عن جابر، عن أبي جعفر، قال: ابن السبيل: المجتاز من أرض إلى أرض.

حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا مندل، عن ليث، عن مجاهد: ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ قال: لابن السبيل حقّ من الزكاة وإن كان غنياً إذا كان منقطعاً به.

حدثنا أحمد، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا معقل بن عبيد الله، قال: سألت الزهري، عن ابن السبيل قال: يأتي عليّ ابن السبيل، وهو محتاج، قلت: فإن كان غنياً؟ قال: وإن كان غنياً.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ الضيف جعل له فيها حقّ.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن السبيل: المسافر من كان غنياً أو فقيراً إذا أصيبت نفقته، أو فقدت، أو أصابها شيء، أو لم يكن معه شيء، فحقّه واجب.

حدثنا أحمد، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا هشيم، عن جويبر، عن الضحاك، أنه قال في الغنيّ إذا سافر فاحتاج في سفره، قال: يأخذ من الزكاة.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن جابر، عن أبي جعفر، قال: ابن السبيل: المجتاز من الأرض إلى الأرض.

---

(١) ابن الحرب: أي العالم بأمرها. واكتهل الرجل: صار كهلا، وهو من بلغ الثلاثين إلى الأربعين من عمره ولداتي: جمع لدة، وهو المساوى له في سنه. يفخر بأنه خاض غمرات الحروب منذ طفولته إلى أن اكتهل فهو لا يهاب منازلة الأقران. ولم أقف على قائل البيت.

وقوله: ﴿فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ﴾ يقول جلّ ثناؤه: قسم قسمه الله لهم، فأوجبه في أموال أهل الأموال لهم، والله عليم بمصالح خلقه فيما فرض لهم وفي غير ذلك لا يخفى عليه شيء. فعلى علم منه فرض ما فرض من الصدقة وبما فيها من المصلحة، حكيم في تدبيره خلقه، لا يدخل في تدبيره خلل.

واختلف أهل العلم في كيفية قسم الصدقات التي ذكرها الله في هذه الآية، وهل يجب لكل صنف من الأصناف الثمانية فيها حقّ أو ذلك إلى ربّ المال، ومن يتولى قسمها في أن له أن يعطي جميع ذلك من شاء من الأصناف الثمانية؟ فقال عامة أهل العلم: للمتولي قسمها ووضعها في أيّ الأصناف الثمانية شاء، وإنما سمى الله الأصناف الثمانية في الآية إعلاماً منه خلقه أن الصدقة لا تخرج من هذه الأصناف الثمانية إلى غيرها، لا إيجاباً لقسمها بين الأصناف الثمانية الذين ذكرهم الله تعالى.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا هارون، عن الحجاج بن أرطاة، عن المنهال بن عمرو، عن زرّ بن حبيش، عن حذيفة، في قوله: ﴿**إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالمَساكِينِ والعامِلِينَ عَلَيها**﴾ قال: إن شئت جعلته في صنف واحد، أو صنفين، أو لثلاثة.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبو معاوية، عن الحجاج، عن المنهال، عن زرّ، عن حذيفة، قال: إذا وضعتها في صنف واحد أجزأ عنك.

قال: ثنا جرير، عن ليث، عن عطاء، عن عمر: ﴿**إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ**﴾ قال: أيما صنف أعطيته من هذا أجزأك.

قال: ثنا ابن نمير، عن عبد المطلب، عن عطاء: ﴿**إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ...**﴾ الآية، قال: لو وضعتها في صنف واحد من هذه الأصناف أجزأك، ولو نظرت إلى أهل بيت من المسلمين فقراء متعففين فجبرتهم بها كان أحبّ إليّ.

قال: أخبرنا جرير، عن عطاء، عن سعيد بن جبير: ﴿**إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالمَساكِينِ... وَابْنِ السَّبِيلِ**﴾ فأيّ صنف أعطيته من هذه الأصناف أجزأك.

قال: ثنا عمران بن عيينة، عن عطاء، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، مثله.

قال: ثنا جرير، عن مغيرة، عن إبراهيم: ﴿**إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالمَساكِينِ والعامِلِينَ عَلَيها**﴾ قال: إنما هذا شيء أعلمه، فأيّ صنف من هذه الأصناف أعطيته أجزأ عنك.

قال: ثنا أبي عن شعبة، عن الحكم، عن إبراهيم: ﴿**إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ**﴾ قال: في أيّ هذه الأصناف وضعتها أجزأك.

قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، قال: إذا وضعتها في صنف واحد مما سمى الله أجزأك.

قال: ثنا أبي، عن أبي جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، قال: إذا وضعتها في صنف واحد مما سمى الله أجزأك.

قال: ثنا خالد بن حيان أبو يزيد، عن جعفر بن برقان، عن ميمون بن مهران: ﴿**إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ**﴾ قال: إذا جعلتها في صنف واحد من هؤلاء أجزأ عنك.

قال: ثنا محمد بن بشر، عن مسعود، عن عطاء، عن سعيد بن جبير: ﴿**إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالمَساكِينِ**....﴾ الآية، قال: أعلم أهلها من هم.

قال: ثنا حفص، عن ليث، عن عطاء، عن عمر: أنه كان يأخذ الفرض في الصدقة، ويجعلها في صنف واحد.

وكان بعض المتأخرين يقول: إذا تولى ربّ المال قسمها كان عليه وضعها في ستة أصناف وذلك أن المؤلفة قلوبهم عنده قد ذهبوا، وأن سهم العاملين يبطل بقسمه إياها، ويزعم أنه لا يجزيه أن يعطى من كلّ صنف أقلّ من ثلاثة أنفس. وكان يقول: إن تولى قسمها الإمام كان عليه أن يقسمها على سبعة أصناف، لا يجزي عنده غير ذلك.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ومن هؤلاء المنافقين جماعة يؤذون رسول الله ﷺ ويعيبونه، ويقولون: هو أذن سامعة، يسمع من كلّ أحد ما يقول فيقبله ويصدّقه. وهو من قولهم: رجل أذنة مثل فعلة: إذا كان يسرع الاستماع والقبول، كما يقال: هو يَقَنٌ ويَقِنٌ: إذا كان ذا يقين بكلّ ما حدّث. وأصله من أَذِنَ له يأذَنُ: إذا استمع له، ومنه الخبر عن النبيّ ﷺ: «ما أَذِنَ اللَّهُ لِشَيْءٍ كأَذَنِهِ لِنَبيّ يَتَغَنَّى بالقُرآنِ» ومنه قول عديّ بن زيد:

أيُّها القَلْبُ تَعَلَّلْ بِدَدَنْ   إنَّ هَمّي في سَماعٍ وأَذَنْ[1]

---

(١) البيت لعدي بن زيد «اللسان» ددن. والدد مثل يد، والددا مثل قفا، والددن مثل حزن والدد بتشديد الدال: اللهو واللعب والأذن: مصدر أذن للشيء (بكسر الذال) إذا استمع. وفي الحديث: ما أذن الله لشيء كإذنه لنبي يتغنى بالقرآن. قال أبو عبيد: يعني ما استمع الله لشيء كاستماعه لنبي يتغنى بالقرآن، أي تلوه يجهر به.

وذكر أن هذه الآية نزلت في نبتل بن الحرث.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: ذكر الله عيبهم، يعني المنافقين، وأذاهم للنبيّ ﷺ، فقال: ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ...﴾ الآية، وكان الذي يقول تلك المقالة فيما بلغني نبتل بن الحرث أخو بني عمرو بن عوف، وفيه نزلت هذه الآية، وذلك أنه قال: إنما محمد أذن، من حدّثه شيئاً صدّقه يقول الله: ﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ﴾: أي يستمع الخير ويصدّق به.

واختلف القرّاء في قراءة قوله: ﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ﴾ فقرأ ذلك عامة قرّاء الأمصار: ﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ﴾ بإضافة الأذن إلى الخير، يعني: قل لهم يا محمد: هو أذن خير لا أذن شرّ. وذُكر عن الحسن البصري أنه قرأ ذلك: «قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ» بتنوين «أذن»، ويصير «خير» خبراً له، بمعنى: قل من يسمع منكم أيها المنافقون ما تقولون ويصدّقكم إن كان محمد كما وصفتموه من أنكم إذا آذيتموه فأنكرتم ما ذكر له عنكم من أذاكم إياه وعيبكم له سمع منكم وصدّقكم، خير لكم من أن يكذبكم ولا يقبل منكم ما تقولون. ثم كذّبهم فقال: بل لا يقبل إلا من المؤمنين، ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

قال أبو جعفر: والصواب من القراءة عندي في ذلك، قراءة من قرأ: ﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ﴾ بإضافة «الأذن» إلى «الخير»، وخفض «الخير»، يعني: قل هو أذن خير لكم، لا أذن شرّ.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثني عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾ يسمع من كل أحد.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾ قال: كانوا يقولون: إنما محمد أذن لا يحدّث عنا شيئاً إلا هو أذن يسمع ما يقال له.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن نمير، عن ورقاء، عن ابن نجيح، عن مجاهد: ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾ نقول ما شئنا، ونحلف فيصدّقنا.

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن

---

(١) لعله نبتل بن الحارث كما في الأثر بعد، وكما في كتب التفسير الأخرى.

مجاهد في قوله: ﴿هُوَ أُذُنٌ﴾ قال: يقولون: نقول ما شئنا، ثم نحلف له فيصدّقنا.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، نحوه.

وأما قوله: ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ فإنه يقول: يصدّق بالله وحده لا شريك له. وقوله: ﴿وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ يقول: ويصدّق المؤمنين لا الكافرين ولا المنافقين. وهذا تكذيب من الله للمنافقين الذين قالوا: محمد أذن، يقول جلّ ثناؤه: إنما محمد ﷺ مستمع خير، يصدّق بالله وبما جاءه من عنده، ويصدّق المؤمنين لا أهل النفاق والكفر بالله. وقيل: ﴿وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ معناه: ويؤمن المؤمنين، لأن العرب تقول فيما ذكر لنا عنها: آمنت له وآمنته، بمعنى: صدّقته، كما قيل: ﴿رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾ ومعناه: ردفكم، وكما قال: ﴿لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ ومعناه: للذين هم ربهم يرهبون.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثني عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس: ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ يعني: يؤمن بالله ويصدّق المؤمنين.

وأما قوله: ﴿وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ﴾ فإنّ القرّاء اختلفت في قراءته، فقرأ ذلك عامة الأمصار: ﴿وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ بمعنى: قل هو أذن خير لكم، وهو رحمة للذين آمنوا منكم. فرفع «الرحمة» عطفاً بها على «الأذن». وقرأه بعض الكوفيين: «وَرَحْمَةٍ» عطفاً بها على «الخير»، بتأويل: قل أذن خير لكم، وأذن رحمة.

قال أبو جعفر: وأولى القراءتين بالصواب في ذلك عندي قراءة من قرأ ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ بالرفع عطفاً بها على «الأذن»، بمعنى: وهو رحمة للذين آمنوا منكم، وجعله الله رحمة لمن اتبعه واهتدى بهداه وصدّق بما جاء به من عند ربه، لأن الله استنقذهم به من الضلالة وأورثهم باتباعه جناته.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

يقول تعالى ذكره: لهؤلاء المنافقين الذين يعيبون رسول الله ﷺ، ويقولون: هو أذن وأمثالهم من مكذّبيه، والقائلين فيه الهجر والباطل، عذاب من الله موجع لهم في نار جهنم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله ﷺ: يحلف لكم أيها المؤمنون هؤلاء المنافقون بالله ليرضوكم فيما بلغكم عنهم من أذاهم رسول الله ﷺ، وذكرهم إياه، بالطعن عليه والعيب له، ومطابقتهم سرّاً أهل الكفر عليكم بالله، والأيمان الفاجرة أنهم ما فعلوا ذلك وإنهم لعلى دينكم ومعكم على من خالفكم، يبتغون بذلك رضاكم. يقول الله جلّ ثناؤه: **﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾** بالتوبة والإنابة مما قالوا ونطقوا، **﴿إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾** يقول: إن كانوا مصدّقين بتوحيد الله، مقرّين بوعده ووعيده.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿يَحْلِفُونَ بالله لكم لِيُرْضُوكُمْ...﴾** الآية، ذكر لنا أن رجلاً من المنافقين قال: والله إن هؤلاء لخيارنا وأشرافنا، وإن كان ما يقول محمد حقاً، لهم شرّ من الحمير قال: فسمعها رجل من المسلمين، فقال: والله إن ما يقول محمد حقّ، ولأنت شرّ من الحمار فسعى بها الرجل إلى نبيّ الله ﷺ، فأرسل إلى الرجل فدعاه، فقال له: «ما حَمَلَكَ على الذي قُلْتَ؟» فجعل يلتعن ويحلف بالله ما قال ذلك، قال: وجعل الرجل المسلم يقول: اللهم صَدِّق الصادق وكذِّب الكاذب فأنزل الله في ذلك: **﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾**.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ألم يعلم هؤلاء المنافقون الذين يحلفون بالله كذباً للمؤمنين ليرضوهم وهم مقيمون على النفاق، أنه من يحارب الله ورسوله ويخالفهما فيناوئهما بالخلاف عليهما، **﴿فأنَّ لَهُ نارَ جَهَنَّمَ﴾** في الآخرة، **﴿خالِداً فِيها﴾** يقول: لابثاً فيها، مقيماً إلى غير نهاية. **﴿ذلكَ الخِزْيُ العَظِيمُ﴾** يقول: فلبثه في نار جهنم وخلوده فيها هو الهوان والذلّ العظيم. وقرأت القرّاء: **﴿فأنَّ﴾** بفتح الألف من «أن» بمعنى: ألم يعلموا أن لمن حادّ الله ورسوله نار جهنم، وإعمال «يعلموا» فيها، كأنهم جعلوا «أن» الثانية مكرّرة على الأولى، واعتمدوا عليها، إذ كان الخبر معها دون الأولى. وقد كانت بعض نحويي البصرة يختار الكسر في ذلك على الابتداء بسبب دخول الفاء فيها، وأن دخولها فيها عنده دليل على أنها جواب الجزاء، وأنها إذا كانت جواب الجزاء كان الاختيار فيها الابتداء. والقراءة التي لا أستجيز غيرها فتح الألف في كلام الحرفين، أعني «أن» الأولى والثانية، لأن ذلك قراءة الأمصار، وللعلة التي ذكرت من جهة العربية.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ (٦٤)﴾.

يقول تعالى ذكره: يخشى المنافقون أن تنزل فيهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم، يقول: تظهر المؤمنين على ما في قلوبهم. وقيل: إن الله أنزل هذه الآية على رسول الله ﷺ، لأن المنافقين كانوا إذا عابوا رسول الله ﷺ وذكروا شيئاً من أمره وأمر المسلمين، قالوا: لعلّ الله لا يفشي سرّنا فقال الله لنبيه ﷺ: قل لهم: استهزئوا، متهدّداً لهم متوعداً، ﴿إِنَّ اللَّهُ مُخْرِجٌ ما تَحْذَرُونَ﴾.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿يَحْذَرُ المُنافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيهِمْ سُورَةٌ﴾ قال: يقولون القول بينهم، ثم يقولون: عسى الله أن لا يفشي سرّنا علينا.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد مثله، إلا أنه قال: سرنا هذا.

وأما قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ ما تَحذرُونَ﴾ فإنه يعني: إن الله مظهر عليكم أيها المنافقون ما كنتم تحذرون أن تظهروه، فأظهر الله ذلك عليهم وفضحهم، فكانت هذه السورة تدعى الفاضحة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: كانت تسمى هذه السورة الفاضحة فاضحة المنافقين.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥)﴾.

يقول تعالى جلّ ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: ولئن سألت يا محمد هؤلاء المنافقين عما قالوا من الباطل والكذب، ليقولنّ لك: إنما قلنا ذلك لعباً، وكنا نخوض في حديث لعباً وهزواً. يقول الله لمحمد ﷺ: قل يا محمد أبالله وآيات كتابه ورسوله كنتم تستهزئون.

وكان ابن إسحاق يقول: الذي قال هذه المقالة كما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: كان الذي قال هذه المقالة فيما بلغني وديعة بن ثابت، أخو بني أمية بن زيد من بني عمرو بن عوف.

حدثنا عليّ بن داود، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثنا الليث، قال: ثني هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم: أن رجلاً من المنافقين قال لعوف بن مالك في غزوة تبوك: ما لقرّائنا هؤلاء أرغبنا بطوناً وأكذبنا ألسنةً وأجبننا عند اللقاء فقال له عوف: كذبت، ولكنك منافق، لأخبرنّ رسول الله ﷺ فذهب عوف إلى رسول الله ﷺ ليخبره، فوجد القرآن قد سبقه، فقال زيد: قال عبد الله بن عمر: فنظرت إليه متعلقاً بحقب ناقة رسول الله ﷺ، تنكبه الحجارة، يقول: ﴿**إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ**﴾ فيقول له النبيّ ﷺ: ﴿**أبا للَّهِ وآياتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ**﴾ ما يزيده.

قال: ثني هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن عبد الله بن عمر، قال: قال رجل في غزوة تبوك في مجلس، ما رأينا مثل قرّائنا هؤلاء أرغب بطوناً ولا أكذب ألسنة ولا أجبن عند اللقاء فقال رجل في المجلس: كذبت، ولكنك منافق، لأخبرنّ رسول الله ﷺ فبلغ ذلك النبيّ ﷺ، ونزل القرآن، قال عبد الله بن عمر: فأنا رأيته متعلقاً بحقب ناقة رسول الله ﷺ، تنكبه الحجارة، وهو يقول: يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب، ورسول الله ﷺ يقول: ﴿**أباللَّهِ وآياتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ**﴾.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، قال: أخبرنا أيوب، عن عكرمة، في قوله: ﴿**وَلَئِنْ سألْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ...**﴾ إلى قوله: ﴿**بأنَّهُمْ كانُوا مُجْرِمِينَ**﴾ قال: فكان رجل ممن إن شاء الله عفا عنه يقول: اللهمّ إني أسمع آية أنا أُعْنَى بها، تقشعرّ منها الجلود، وتَجِلُ منها القلوب، اللهمّ فاجعل وفاتي قتلاً في سبيلك، لا يقول أحد: أنا غسلت، أنا كفنت، أنا دفنت قال: فأصيب يوم اليمامة، فما من أحد من المسلمين إلا وجد غيره.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وَلَئِنْ سألْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ...**﴾ الآية، قال: بينا رسول الله ﷺ يسير في غزوته إلى تبوك، وبين يديه ناس من المنافقين، فقال: أيرجو هذا الرجل أن يفتح قصور الشام وحصونها؟ هيهات هيهات فأطلع الله نبيه ﷺ على ذلك، فقال نبيّ الله ﷺ: «احْبِسُوا عَلَيَّ هَؤلاءِ الرَّكْبَ» فأتاهم فقال: «قُلْتُمْ كَذَا؟ قُلْتُمْ كَذَا؟» قالوا: يا نبيّ الله إنما كنا نخوض ونلعب فأنزل الله تبارك وتعالى فيها ما تسمعون.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: ﴿**وَلَئِنْ سألْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ**﴾ قال: بينما النبيّ ﷺ في غزوة تبوك ورَكْبٌ من المنافقين

يسيرون بين يديه، فقالوا: يظنّ هذا أن يفتح قصور الروم وحصونها فأطلع الله نبيه ﷺ على ما قالوا، فقال: «عليّ بِهَؤُلاءِ النَّفَرِ» فدعاهم فقال: «قُلْتُمْ كَذَا وكَذَا؟» فحلفوا: ما كنا إلا نخوض ونلعب.

حدثنا الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا أبو معشر، عن محمد بن كعب وغيره، قالوا: قال رجل من المنافقين: ما أرى قرّاءنا هؤلاء إلا أرغبنا بطوناً، وأكذبنا ألسنة، وأجبننا عند اللقاء فرفع ذلك إلى رسول الله ﷺ، فجاء إلى رسول الله ﷺ وقد ارتحل وركب ناقته، فقال: يا رسول الله، إنما كنا نخوض ونلعب فقال: ﴿**أبا للَّهِ وآياتِهِ ورَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهزِءُونَ. . . .**﴾ إلى قوله: ﴿**مُجْرِمِينَ**﴾ وإن رجليه لتسفعان بالحجارة، وما يلتفت إليه رسول الله ﷺ، وهو متعلق بنسعة رسول الله ﷺ.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿**إنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ**﴾ قال: قال رجل من المنافقين: يحدّثنا محمد أن ناقة فلان بوادي كذا وكذا في يوم كذا وكذا، وما يدريه ما الغيب

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد بنحوه.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةَۢ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل لهؤلاء الذين وصفت لك صفتهم: ﴿**لا تَعْتَذِرُوا**﴾ بالباطل، فتقولوا كنا نخوض ونلعب. ﴿**قَدْ كَفرْتُمْ**﴾ يقول: قد جحدتم الحقّ بقولكم ما قلتم في رسول الله ﷺ والمؤمنين به ﴿**بَعْدَ إيمَانِكُمْ**﴾ يقول: بعد تصديقكم به وإقراركم به. ﴿**إنْ نَعْفُ عَنْ طائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذّبْ طائِفَةً**﴾ وذُكر أنه عنى بالطائفة في هذا الموضع رجل واحد.

وكان ابن إسحاق يقول فيما:

حدثنا به﴾ ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: كان الذي عفي عنه فيما بلغني مخشي بن حمير الأشجعي حليف بني سلمة، وذلك أنه أنكر منهم بعض ما سمع.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا زيد بن حبان، عن موسى بن عبيدة، عن محمد بن كعب:

﴿إِنْ نَعْفُ عَنْ طائِفَةٍ مِنكُمْ﴾ قال: طائفة: رجل.

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معناه: إن نَعْفُ عن طائفة منكم بإنكاره ما أنكر عليكم من قبل الكفر، نعذّب طائفة بكفره واستهزائه بآيات الله ورسوله.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، قال: قال بعضهم: كان رجل منهم لم يمالئهم في الحديث، فيسير مجانباً لهم، فنزلت: ﴿إِنْ نَعْفُ عَنْ طائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طائِفَةً﴾ فسمي طائفة وهو واحد.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: إن تتب طائفة منكم فيعفو الله عنه، يعذّب الله طائفة منكم بترك التوبة.

وأما قوله: ﴿إِنَّهُمْ كانُوا مُجْرِمِينَ﴾ فإن معناه: نعذّب طائفة منهم باكتسابهم الجرم، وهو الكفر بالله، وطعنهم في رسول الله ﷺ.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿المُنافِقُونَ وَالمُنافِقاتُ﴾ وهم الذين يظهرون للمؤمنين الإيمان بألسنتهم ويسرّون الكفر بالله ورسوله ﴿بَعْضُهُمْ مِن بَعْضٍ﴾ يقول: هم صنف واحد، وأمرهم واحد، في إعلانهم الإيمان واستبطانهم الكفر، يأمرون من قبل منهم بالمنكر، وهو الكفر بالله وبمحمد ﷺ، وبما جاء به وتكذيبه. ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ المَعْرُوفِ﴾ يقول: وينهونهم عن الإيمان بالله ورسوله وبما جاءهم به من عند الله.

وقوله: ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيهُمْ﴾ يقول: ويمسكون أيديهم عن النفقة في سبيل الله ويكفّونها عن الصدقة، فيمنعون الذين فرض الله لهم في أموالهم ما فرض من الزكاة حقوقهم. كما:

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله تعالى: ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ قال: لا يبسطونها بنفقة في حقّ.

حدثنا المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد نحوه.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ**﴾: لا يبسطونها بخير.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: ﴿**وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ**﴾ قال: يقبضون أيديهم عن كلّ خير.

وأما قوله: ﴿**نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ**﴾ فإن معناه: تركوا الله أن يطيعوه ويتبعوا أمره، فتركهم الله من توفيقه وهدايته ورحمته.

وقد دللنا فيما مضى على أن معنى النسيان الترك بشواهده، فأغنى ذلك عن إعادته ههنا.

وكان قتادة يقول في ذلك ما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ**﴾ نُسُوا من الخير، ولم ينسوا من الشرّ.

قوله: ﴿**إِنَّ المُنافِقِينَ هُمُ الفاسِقُونَ**﴾ يقول: إن الذين يخادعون المؤمنين بإظهارهم لهم بألسنتهم الإيمان بالله، وهم للكفر مستبطنون، هم المفارقون طاعة الله الخارجون عن الإيمان به وبرسوله.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ المُنافِقِينَ والمُنافِقاتِ والكُفَّارَ**﴾ بالله ﴿**نارَ جَهنَمَ**﴾ أن يصليهموها جميعاً. ﴿**خالِدِينَ فِيها**﴾ يقول: ماكثين فيها أبداً، لا يحيون فيها ولا يموتون. ﴿**هِي حَسْبُهُمْ**﴾ يقول: هي كافيتهم عقاباً وثواباً على كفرهم بالله. ﴿**ولَعَنَهُمُ اللَّهُ**﴾ يقول: وأبعدهم الله وأسحقهم من رحمته. ﴿**ولهُمْ عَذابٌ مُقِيمٌ**﴾ يقول: وللفريقين جميعاً، يعني من أهل النفاق والكفر عند الله، عذاب مقيم دائم، لا يزول ولا يبيد.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي

خَاضُوٓاْ أُوْلَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء المنافقين الذين قالوا إنما كنا نخوض ونلعب: أبا لله وآيات كتابه ورسوله كنتم تستهزئون، كالذين من قبلكم من الأمم الذين فعلوا فعلكم فأهلكهم الله، وعجّل لهم في الدنيا الخزي مع ما أعدّ لهم من العقوبة والنكال في الآخرة؟ يقول لهم جل ثناؤه: واحذروا أن يحلّ بكم من عقوبة الله مثل الذي حلّ بهم، فإنهم كانوا أشدّ منكم قوّة وبطشاً، وأكثر منكم أموالاً وأولاداً. ﴿فاسْتَمْتَعُوا بِخَلاقِهِمْ﴾ يقول: فتمتعوا بنصيبهم وحظهم من دنياهم ودينهم، ورضوا بذلك من نصيبهم في الدنيا عوضاً من نصيبهم في الآخرة. وقد سلكتم أيها المنافقون سبيلهم في الاستمتاع بخلاقكم، يقول: فعلتم بدينكم ودنياكم كما استمتع الأمم الذين كانوا من قبلكم الذين أهلكتهم بخلافهم أمري، بخلاقهم، يقول: كما فعل الذين من قبلكم بنصيبهم من دنياهم ودينهم، وخضتم في الكذب والباطل على الله كالذي خاضوا، يقول: وخضتم أنتم أيها المنافقون كخوض تلك الأمم قبلكم.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني أبو معشر، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبي هريرة، عن النبيّ ﷺ، قال: «لَتَأْخُذُنَّ كمَا أخَذَ الأُمَمُ مِنْ قَبْلِكُمْ، ذِرَاعاً بِذِرَاعٍ، وَشِبْراً بِشِبْرٍ، وَباعاً بِباعٍ حتى لَوْ أنَّ أحَداً مِنْ أُولَئِكَ دَخَلَ جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ». قال أبو هريرة: اقرأوا إن شئتم القرآن: ﴿**كالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كانُوا أشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وأكْثَرَ أمْوَالاً وأوْلاداً فاسْتَمْتَعُوا بِخَلاقِهِمْ فاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلاقِكُمْ كمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كالَّذِي خاضُوا**﴾ قالوا: يا رسول الله، كما صنعت فارس والروم؟ قال: «فَهَلِ النَّاسُ إلاَّ هُمْ».

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج عن عمر بن عطاء، عن عكرمة عن ابن عباس، قوله: ﴿**كالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ**....﴾ الآية. قال: قال ابن عباس: ما أشبه الليلة بالبارحة ﴿**كالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ**﴾ هؤلاء بنو إسرائيل شبهنا بهم، لا أعلم إلا أنه قال: والذي نفسي بيده لتتبعنهم حتى لو دخل الرجل منهم جُحْرَ ضبّ لدخلتموه

قال ابن جريج: وأخبرنا زياد بن سعد، عن محمد بن زيد بن مهاجر، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَتْبَعُنَّ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ شِبْراً بِشِبْرٍ، وَذِرَاعاً بِذِرَاعٍ، وَباعاً بباعٍ حتى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ» قالوا: وَمن هم يا رسول الله، أهل الكتاب؟ قال: «فَمَنْ؟».

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال أبو سعيد الخدريّ إنه قال: فمن.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن الحسن: **﴿فاستَمتَعُوا بِخلاقِهِمْ﴾** قال: بدينهم.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، قال: قال رسول الله ﷺ: «حِذْرَكُمْ أَنْ تُحْدِثُوا في الإسْلامِ حَدَثاً» وقد علم أنه سيفعل ذلك أقوام من هذه الأمة، فقال الله في ذلك: **﴿فاسْتَمْتَعُوا بِخَلاقِهِمْ فاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلاقِكُمْ كمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كالَّذِي خاضُوا﴾** وإنما حسبوا أن لا يقع بهم من الفتنة ما وقع ببني إسرائيل قبلهم، وإن الفتنة عائدة كما بدت.

وأما قوله: **﴿أُولَئِكَ حَبِطَتْ أعمالُهُمْ﴾** فإن معناه: هؤلاء الذين قالوا إنما كنا نخوض ونلعب، وفعلوا في ذلك فعل الهالكين من الأمم قبلهم، **﴿حبطت أعمالهم﴾** يقول: ذهبت أعمالهم باطلاً، فلا ثواب لها إلا النار، لأنها كانت فيما يسخط الله ويكرهه. **﴿وأُولَئكَ هُمُ الخاسِرُونَ﴾** يقول: وأولئك هم المغبونون صفقتهم ببيعهم نعيم الآخرة، بخلاقهم من الدنيا اليسير الزهيد.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٧٠)﴾.

يقول تعالى ذكره: ألم يأت هؤلاء المنافقين الذين يسرّون الكفر بالله، وينهون عن الإيمان به وبرسوله **﴿نَبأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾** يقول: خبر الأمم الذين كانوا من قبلهم حين عصوا رسلنا، وخالفوا أمرنا ماذا حلّ بهم من عقوبتنا؟ ثم بين جلّ ثناؤه من أولئك الأمم التي قال لهؤلاء المنافقين ألم يأتهم نبؤهم، فقال: **﴿قَوْمِ نُوحٍ﴾** ولذلك خفض «القوم» لأنه ترجم بهن عن «الذين»، و«الذين» في موضع خفض.

ومعنى الكلام: ألم يأت هؤلاء المنافقين خبر قوم نوح وصنيعي بهم، إذ كذّبوا رسولي نوحاً وخالفوا أمري، ألم أغرقهم بالطوفان؟ **﴿وعادٍ﴾** يقول: وخبر عاد إذ عصوا رسولي هوداً، ألم أهلكهم بريح صرصر عاتية؟ وخبر ثمود إذ عصوا رسولي صالحاً، ألم أهلكهم بالرجفة، فأتركهم بأفنيتهم خموداً؟ وخبر قوم إبراهيم إذ عصوه، وردّوا عليه ما جاءهم به من عند الله من الحقّ، ألم

أسلبهم النعمة وأهلك ملكهم نمروذ؟ وخبر أصحاب مدين بن إبراهيم، ألم أهلكهم بعذاب يوم الظلة، إذ كذّبوا رسولي شعيباً؟ وخبر المنقلبة بهم أرضهم، فصار أعلاها أسفلها، إذ عصوا رسولي لوطاً وكذّبوا ما جاءهم به من عندي من الحقّ. يقول تعالى ذكره: أفأمن هؤلاء المنافقون الذين يستهزئون بالله وبآياته ورسوله، أن يسلك بهم في الانتقام منهم وتعجيل الخزي والنكال لهم في الدنيا سبيل أسلافهم من الأمم، ويحلّ بهم بتكذيبهم رسولي محمداً ﷺ ما حلّ بهم في تكذيبهم رسلنا، إذ أتتهم بالبينات.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: ﴿وَالمُؤْتَفِكاتِ﴾ قال: قوم لوط انقلبت بهم أرضهم، فجعل عاليها سافلها.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَالمُؤْتَفِكاتِ﴾ قال: هم قوم لوط.

فإن قال قائل: فإن كان عني بالمؤتفكات قوم لوط، فكيف قيل: المؤتفكات، فجمعت ولم توحد؟ قيل: إنها كانت قريات ثلاثاً، فجمعت لذلك، ولذلك جمعت بالتاء على قول الله: ﴿والمؤتفِكةَ أهْوَى﴾.

فإن قال: وكيف قيل: أتتهم رسلهم بالبينات، وإنما كان المرسل إليهم واحداً؟ قيل: معنى ذلك: أتى كل قرية من المؤتفكات رسول يدعوهم إلى الله، فتكون رسل رسول الله ﷺ الذين بعثهم إليهم للدعاء إلى الله عن رسالته رسلاً إليهم، كما قالت العرب لقوم نسبوا إلى أبي فديك الخارجي الفديكات وأبو فديك واحد، ولكن أصحابه لما نسبوا إليه وهو رئيسهم دعوا بذلك ونسبوا إلى رئيسهم فكذلك قوله: ﴿أتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بالبَيِّناتِ﴾. وقد يحتمل أن يقال: معنى ذلك: أتت قوم نوح وعاد وثمود وسائر الأمم الذين ذكرهم الله في هذه الآية رسلهم من الله بالبينات.

وقوله: ﴿فَمَا كانَ اللّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ يقول جلّ ثناؤه: فما أهلك الله هذه الأمم التي ذكر أنه أهلكها إلا بإجرامها وظلمها أنفسها واستحقاقها من الله عظيم العقاب، لا ظلماً من الله لهم ولا وضعاً منه جلّ ثناؤه عقوبة في غير من هو لها أهل لأن الله حكيم، لا خلل في تدبيره ولا خطأ في تقديره، ولكن القوم الذين أهلكهم ظلموا أنفسهم بمعصية الله وتكذيبهم رسله حتى أسخطوا عليهم ربهم فحقت عليهم كلمة العذاب فعذّبوا.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وأما المؤمنون والمؤمنات، وهم المصدّقون بالله ورسوله وآيات كتابه، فإن صفتهم أن بعضهم أنصار بعض وأعوانهم. ﴿يَأْمُرُونَ بالمَعْرُوفِ﴾ يقول: يأمرون الناس بالإيمان بالله ورسوله، وبما جاء به من عند الله. ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ﴾ يقول: ويؤدّون الصلاة المفروضة. ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ﴾ يقول: ويعطون الزكاة المفروضة أهلها. ﴿وَيُطيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ فيأتمرون لأمر الله ورسوله وينتهون عما نهياهم عنه. ﴿أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ﴾ يقول: هؤلاء الذين هذه صفتهم الذين سيرحمهم الله، فينقذهم من عذابه ويدخلهم جنته، لا أهل النفاق والتكذيب بالله ورسوله، الناهون عن المعروف، الآمرون بالمنكر، القابضون أيديهم عن أداء حقّ الله من أموالهم. ﴿إنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ يقول: إن الله ذو عزّة في انتقامه ممن انتقم من خلقه على معصيته وكفره به، لا يمنعه من الانتقام منه مانع ولا ينصره منه ناصر، حكيم في انتقامه منهم في جميع أفعاله.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، قال: كلّ ما ذكره الله في القرآن من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالأمر بالمعروف: دعاء من الشرك إلى الإسلام، والنهي عن المنكر: النهي عن عبادة الأوثان والشياطين.

قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿يُقِيمُونَ الصَّلاةَ﴾ قال: الصلوات الخمس.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وعد الله الذين صدقوا الله ورسوله وأقرّوا به وبما جاء به من عند الله من الرجال والنساء ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأَنْهارُ﴾ يقول: بساتين تجري تحت أشجارها الأنهار،

﴿خالِدِينَ فِيها﴾ يقول: لابثين فيها أبداً مقيمين لا يزول عنهم نعيمها. ولا يبيد. ﴿وَمَساكِنَ طَيِّبَةً﴾ يقول: ومنازل يسكنونها طيبة.

و«طيبها»، أنها فيما ذُكر لنا كما:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا إسحاق بن سليمان، عن الحسن، قال: سألت عمران بن حصين وأبا هريرة عن آية في كتاب الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَساكِنَ طَيِّبَةً في جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ فقالا: على الخبير سقطت، سألنا رسول الله ﷺ، فقال: «قَصْرٌ فِي الجَنَّةِ مِنْ لُؤْلُؤٍ، فِيهِ سَبْعُونَ داراً مِنْ ياقُوتَةٍ حَمْرَاءَ، فِي كُلّ دارٍ سَبْعُونَ بَيْتاً مِنْ زُمُرُّدَةٍ خَضْرَاءَ، فِي كُلّ بَيْتٍ سَبْعُونَ سَرِيراً».

حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري، قال: ثنا قرة بن حبيب، عن حسن بن فرقد، عن الحسن، عن عمران بن حصين وأبي هريرة، قالا: سئل رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿وَمَساكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ قال: «قَصْرٌ مِنْ لُؤْلُؤَةٍ، فِي ذلكَ القَصْرِ سَبْعُونَ دَاراً مِنْ ياقُوتَةٍ حَمْرَاءَ، فِي كُلّ دَارٍ سَبْعُونَ بَيْتاً مِنْ زَبَرْجَدَة خَضْرَاءَ، في كُلّ بَيْتٍ سَبْعُونَ سَرِيراً، على كُلّ سَرِيرٍ فِرَاشاً مِنْ كُلّ لَوْنٍ، على كُلّ فِرَاشٍ زَوْجَةٌ مِنَ الحُورِ العِينِ، في كُلّ بَيْتٍ سَبْعُونَ مائِدَةً، على كُلّ مائِدَةٍ سَبْعُونَ لَوْناً مِنْ طَعامٍ، في كُلّ بَيْتٍ سَبْعُونَ وَصِيفَةً وَيُعْطَى المُؤْمِنُ مِنَ القُوَّةِ في غَدَاةٍ وَاحِدَةٍ ما يَأتي على ذلكَ كُلِّه أجْمَعُ».

وأما قوله: ﴿فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ فإنه يعني: وهذه المساكن الطيبة التي وصفها جلّ ثناؤه في جنات عدن وفي من صلة مساكن. وقيل: جنات عدن، لأنها بساتين خلد وإقامة لا يظعن منها أحد. وقيل: إنما قيل لها جنات عدن، لأنها دار الله التي استخلصها لنفسه ولمن شاء من خلقه، من قول العرب: عدن فلان بأرض كذا، إذا أقام بها وخلد بها، ومنه المعدن، ويقال: هو في معدن صدق، يعني به أنه في أصل ثابت وقد أنشد بعض الرواة بيت الأعشى:

وَإنْ تَسْتَضِيفُوا إلى حُكْمِهِ تُضافُوا إلى رَاجِحٍ قَدْ عَدَنْ[1]

وينشد: «قد وزن».

وكالذي قلنا في ذلك، كان ابن عباس وجماعة معه فيما ذكر يتأوّلونه.

---

(١) البيت لأعشى قيس أبي بصير، من نونيته المقيدة (ديوانه طقبع القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين). وفي روايته اختلاف عن رواية الطبري. وقال:

وإنْ يسْتُضافُوا إلى حُكْمِه يُضافُوا إلى هادِنٍ قَدْ رَزَنْ

وتستضيفوا؛ تلجئوا والراجح: الهادىء الساكن. وعدن بالمكان يعدن: أقام فيه وثبت. والهادن في رواية الديوان. الساكن وهو بمعنى الراجح ورزن: ثبت واستقر. يقال: شيء رزين: إن كان ثقيلاً ثابتاً. والقصيدة في مدح قيس بن معدي كرب الكندي وهي ثلاثة وثمانون بيتاً.

حدثني إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد، قال: ثنا عتاب بن بشير، عن خصيف، عن عكرمة، عن ابن عباس: ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ قال: معدن الرجل الذي يكون فيه.

حدثنا محمد بن سهل بن عسكر، قال: ثنا ابن أبي مريم، قال: ثنا الكندي، سعد عن زيادة بن محمد، عن محمد بن كعب القرظي، عن فضالة بن عبيد، عن أبي الدرداء، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ اللَّهَ يَفْتَحُ الذِّكْرَ ثَلاثِ ساعاتٍ يَبْقَيْنَ مِنَ اللَّيْلِ: في السَّاعَةِ الأُولى مِنْهُنَّ يَنْظُرُ فِي الكِتَابِ الَّذِي لا يَنْظُرُ فِيهِ أحَدٌ غيرُهُ فَيَمْحُو ما يَشاءُ ويُثْبِتُ، ثُمَّ يَنْزِلُ في السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ إلى جَنَّةِ عَدْنٍ، وَهيَ دَارُهُ التي لَمْ تَرَها عَيْنٌ ولَمْ تَخْطُرْ على قَلْبِ بَشَرٍ، وَهِيَ مَسْكَنُهُ، وَلا يَسْكُنُ مَعَهُ مِنْ بَنِي آدَمِ غيرَ ثلاثَة: النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقينَ والشُّهَدَاءِ، ثُمَّ يَقُولُ: طُوبَى لِمَنْ دَخَلَكِ» وَذَكَرَ فِي السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ.

حدثني موسى بن سهل، قال: ثنا آدم، قال: ثنا الليث بن سعد، قال: ثنا زيادة بن محمد، عن محمد بن كعب القرظي، عن فضالة بن عبيد، عن أبي الدرداء، قال: قال رسول الله ﷺ: «عَدْنٌ دارُهُ» يعني دار الله «التي لم ترها عَيْنٌ ولم تَخْطُرْ على قَلْبِ بَشَرٍ، وهي مَسْكَنُهُ، ولا يسكنها معه من بني آدم غَيْرُ ثلاثٍ: النبيين، والصدّيقين، والشهداء، يقول الله تبارك وتعالى: «طُوبَى لمن دَخَلَكَ».

وقال آخرون: معنى ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾: جنات أعناب كروم.

ذكر من قال ذلك:

حدثني أحمد بن أبي سريج الرازي، قال: ثنا زكريا بن عديّ، قال: ثنا عبيد الله بن عمرو، عن زيد بن أبي أنيسة، عن يزيد بن أبي زياد، عن عبد الله بن الحرث، أن ابن عباس سأل كَعَباً عن جنات عدن، فقال: هي الكروم والأعناب بالسريانية.

وقال آخرون: هي اسم لُبْطَنان الجنة ووسطها.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا حميد بن مسعدة، قال: ثنا بشر بن المفضل، قال: ثنا شعبة، عن سليمان الأعمش، عن عبد الله بن مرّة، عن مسروق، عن عبد الله، قال: عدن: بُطْنان الجنة.

حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثنى، قالا: ثنا يحيى بن سعيد، عن سفيان وشعبة، عن الأعمش، عن عبد الله بن مرة، عن مسروق، عن عبد الله، في قوله: ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ قال:

بُطْنان الجنة. قال ابن بشار في حديثه: فقلت: ما بطنانها؟ وقال ابن المثنى، في حديثه: فقلت للأعمش: ما بطنان الجنة؟ قال: وسطها.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن الأعمش، عن عبد الله بن مرة وأبي الضحى، عن مسروق، عن عبد الله: ﴿**جَنَّاتِ عَدْنٍ**﴾ قال: بُطْنان الجنة.

قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا شعبة، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عبد الله، بمثله.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا ابن أبي عديّ، عن شعبة، عن سليمان، عن عبد الله بن مرة، عن مسروق، عن عبد الله، مثله.

حدثنا أحمد بن أبي سريج، قال: ثنا أبو أحمد الزبيري، قال: ثنا سفيان، عن الأعمش، عن أبي الضحى وعبد الله بن مرّة عنهما جميعاً، أو عن أحدهما، عن مسروق، عن عبد الله: ﴿**جَنَّاتِ عَدْنٍ**﴾ قال: بُطْنان الجنة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عبد الله بن مسعود في قول الله: ﴿**جَنَّاتِ عَدْنٍ**﴾ قال: بُطْنان الجنة.

وقال آخرون: عدن: اسم لقصر.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ بن سعيد الكندي، قال: ثنا عبدة أبو غسان، عن عون بن موسى الكناني، عن الحسن، قال: جنات عدن، وما أدراك ما جنات عدن قصر من ذهب لا يدخله إلا نبيّ أو صدّيق أو شهيد أو حكم عدل. ورفع به صوته.

حدثنا أحمد بن أبي سريج، قال: ثنا عبد الله بن عاصم، قال: ثنا عون بن موسى، قال: سمعت الحسن بن أبي الحسن، يقول: جنات عدن، وما أدراك ما جنات عدن قصر من ذهب، لا يدخله إلا نبيّ أو صدّيق، أو شهيد، أو حكم عدل ورفع الحسن به صوته.

حدثنا أحمد، قال: ثنا يزيد، قال: أخبرنا حماد بن سلمة، عن يعلى بن عطاء، عن نافع بن عاصم، عن عبد الله بن عمرو، قال: إن في الجنة قصراً يقال له: عدن، حوله البروج والروح، له خمسون ألف باب على كل باب حِبَرَة، لا يدخله إلا نبيّ أو صدّيق.

حدثنا الحسن بن ناجح، قال: ثنا أبو داود، قال: ثنا شعبة، عن يعلى بن عطاء، قال: سمعت يعقوب بن عاصم يحدّث، عن عبد الله بن عمرو: أن في الجنة قصراً يقال له عدن،

له خمسة آلاف باب، على كل باب خمسة آلاف حِبَرَة، لا يدخله إلا نبيّ أو صدّيق أو شهيد.

وقيل: هي مدينة الجنة.

ذكر من قال ذلك:

حُدثت عن عبد الرحمن المحاربي، عن جويبر، عن الضحاك: ﴿**فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ**﴾ قال: هي مدينة الجنة، فيها الرسل والأنبياء والشهداء وأئمة الهدى، والناس حولهم بعد، والجنات حولها.

وقيل: إنه اسم نهر.

ذكر من قال ذلك:

حُدثت عن المحاربي، عن واصل بن السائب الرقاشي، عن عطاء، قال: عدن: نهر في الجنة، جناته على حافتيه.

وأما قوله: ﴿**وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ**﴾ فإن معناه ورضا الله عنهم أكبر من ذلك كله، وبذلك جاء الخبر عن رسول الله ﷺ.

حدثني المثنى، قال: ثنا سويد، قال: أخبرنا ابن المبارك، عن مالك بن أنس، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ اللَّهَ يَقُولُ لأهْلِ الجَنَّةِ: يا أهْلَ الجَنَّةِ فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنا وَسَعْدَيْكَ فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولونَ: وَمَا لَنا لا نَرْضَى وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا ما لَمْ تُعْطِ أحَداً مِنْ خَلْقِكَ فَيَقول أنا اعْطِيكُمْ أفْضَلَ مِنْ ذلكَ قالُوا: يا رَبّ وأيُّ شَيْ أفْضَلُ مِنْ ذلكَ؟ قال: أُحِلّ عَلَيْكُمْ رِضْوَاني فَلا أسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أبَداً».

حدثنا ابن حميد، قال: ثني يعقوب، عن حفص، عن شمر، قال: يجيء القرآن يوم القيامة في صورة الرجل الشاحب إلى الرجل، حين ينشقّ عنه قبره، فيقول: أبشر بكرامة الله، أبشر برضوان الله فيقول مثلك من يبشر بالخير ومن أنت؟ فيقول: أنا القرآن الذي كنت أسهِر ليلك، وأظمىء نهارك. فيحمله على رقبته، حتى يوافى به ربه، فيمثل بين يديه، فيقول: يا ربّ عبدك هذا اجزه عني خيراً، فقد كنت أسهر ليله، وأظمىء نهاره، وآمره فيطيعني، وأنهاه فيطيعني فيقول الربّ تبارك وتعالى: ﴿**فله حلة الكرامة فيقول: أي ربّ زده، فإنه أهل ذلك فيقول: فله رضواني قال: ورضوان من الله أكبر**.

وابتدىء الخبر عن رضوان الله للمؤمنين والمؤمنات أنه أكبر من كلّ ما ذكر جلّ ثناؤه، فرفع، وإن كان الرضوان فيما قد وعدهم، ولم يعطف به في الإعراب على الجنات والمساكن الطيبة، ليعلم بذلك تفضيل الله رضوانه عن المؤمنين على سائر ما قسم لهم من فضله وأعطاهم من

كرامته، نظير قول القائل في الكلام الآخر أعطيتك ووصلتك بكذا، وأكرمتك، ورضاي بعد عنك أفضل ذلك.

﴿ذلكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ﴾ هذه الأشياء التي وعدت المؤمنين والمؤمنات، هو الفوز العظيم، يقول: هو الظفر العظيم والنجاء الجسيم، لأنهم ظفروا بكرامة الأبد، ونجوا من الهوان في السفر، فهو الفوز العظيم الذي لا شيء أعظم منه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٧٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: يا أيها النبيّ جاهد الكفار بالسيف والسلاح والمنافقين.

واختلف أهل التأويل في صفة الجهاد الذي أمر الله نبيه به في المنافقين، فقال بعضهم: أمره بجهادهم باليد واللسان، وبكل ما أطاق جهادهم به.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا حميد بن عبد الرحمن ويحيى بن آدم، عن حسن بن صالح، عن عليّ بن الأقمر، عن عمرو بن جندب، عن ابن مسعود، في قوله تعالى: ﴿**جاهِدِ الكُفَّارَ وَالمُنَافِقِينَ**﴾ قال: بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، فإن لم يستطع فليكفهرّ في وجهه.

وقال آخرون: بل أمره بجهادهم باللسان.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله تعالى: ﴿**يا أيّها النبي جاهِدِ الكُفَّارَ وَالمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيهِمْ**﴾ فأمره الله بجهاد الكفار بالسيف والمنافقين باللسان، وأذهب الرفق عنهم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس: ﴿**جاهِدِ الكُفَّارَ وَالمُنَافِقِينَ**﴾ قال: الكفار بالقتال، والمنافقين: أن تغلظ عليهم بالكلام.

حُدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ، قال: أخبرنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿**جاهِدِ الكُفَّارَ وَالمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيهِمْ**﴾ يقول: جاهد الكفار بالسيف، وأغلظ على المنافقين بالكلام وهو مجاهدتهم.

وقال آخرون: بل أمره بإقامة الحدود عليهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن الحسن: ﴿**جاهِدِ الكُفَّارَ وَالمُنَافِقِينَ**﴾ قال: جاهد الكفار بالسيف، والمنافقين بالحدود، أقم عليهم حدود الله.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**يا أيُها النَّبي جاهِدِ الكُفَّارَ وَالمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ**﴾ قال: أمر الله نبيه ﷺ أن يجاهد الكفار بالسيف، ويغلظ على المنافقين في الحدود.

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في تأويل ذلك عندي بالصواب ما قال ابن مسعود، من أن الله أمر نبيه ﷺ من جهاد المنافقين، بنحو الذي أمره به من جهاد المشركين.

فإن قال قائل: فكيف تركهم ﷺ مقيمين بين أظهر أصحابه مع علمه بهم؟ قيل: إن الله تعالى ذكره إنما أمر بقتال من أظهر منهم كلمة الكفر، ثم أقام على إظهاره ما أظهر من ذلك. وأما من إذا اطلع عليه منهم أنه تكلم بكلمة الكفر وأخذ بها، أنكرها ورجع عنها وقال: إني مسلم، فإن حكم الله في كل من أظهر الإسلام بلسانه، أن يحقن بذلك له دمه وماله وإن كان معتقداً غير ذلك، وتوكل هو جلّ ثناؤه بسرائرهم، ولم يجعل للخلق البحث عن السرائر فلذلك كان النبي ﷺ مع علمه بهم وإطلاع الله إياه على ضمائرهم واعتقاد صدورهم، كان يقرّهم بين أظهر الصحابة، ولا يسلك بجهادهم مسلك جهاد من قد ناصبه الحرب على الشرك بالله لأن أحدهم كان إذا اطلع عليه أنه قد قال قولاً كفر فيه بالله ثم أخذ به أنكره، وأظهر الإسلام بلسانه، فلم يكن ﷺ يأخذه إلا بما أظهر له من قوله عند حضوره إياه وعزمه على إمضاء الحكم فيه، دون ما سلف من قول كان نطق به قبل ذلك، ودون اعتقاد ضميره الذي لم يبح الله لأحد الأخذ به في الحكم وتولّى الأخذ به هو دون خلقه.

وقوله: ﴿**وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ**﴾ يقول تعالى ذكره: واشدد عليهم بالجهاد والقتال والإرهاب. وقوله: ﴿**ومَأْواهُمْ جَهَنَّمُ**﴾ يقول: ومساكنهم جهنم وهي مثواهم ومأواهم. ﴿**وَبِئْسَ المَصِيرُ**﴾ يقول: وبئس المكان الذي يصار إليه جهنم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِن يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾﴾.

اختلف أهل التأويل في الذي نزلت فيه هذه الآية، والقول الذي كان قاله، الذي أخبر الله عنه أنه يحلف بالله ما قاله. فقال بعضهم: الذي نزلت فيه هذه الآية: الجُلاس بن سويد بن الصامت.

وكان القول الذي قاله ما:

حدثنا به ابن وكيع، قال: ثنا معاوية، عن هشام بن عروة، عن أبيه: ﴿**يَحْلِفُونَ باللَّهِ ما قَالُوا وَلَقَدْ قالُوا كَلِمَةَ الكُفْرِ**﴾ قال: نزلت في الجلاس بن سويد بن الصامت، قال: إن كان ما جاء به محمد حقاً، لنحن أشرّ من الحمير فقال له ابن امرأته: والله يا عدوّ الله، لأخبرنّ رسول الله ﷺ بما قلت، فإني إن لا أفعل أخاف أن تصيبني قارعة وأؤاخذ بخطيئتك فدعا النبي ﷺ الجلاس، فقال: «يا جلاس أقلت كذا وكذا؟» فحلف ما قال، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿**يَحْلِفُونَ باللَّهِ ما قَالُوا وَلَقَدْ قالُوا كَلِمَةَ الكُفْرِ وكَفَرُوا بَعْدَ إسْلامِهِمْ وهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا ومَا نَقَمُوا إلا أنْ أغْناهُمُ اللَّهُ ورَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ**.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا أبو معاوية الضرير، عن هشام بن عروة، عن أبيه، قال: نزلت هذه الآية: ﴿**يَحْلِفُونَ باللَّهِ ما قَالُوا وَلَقَدْ قالُوا كَلِمَةَ الكُفْرِ وكَفَرُوا بَعْدَ إسْلامِهِمْ**﴾ في الجلاس بن سويد بن الصامت، أقبل هو وابن امرأته مصعب من قباء، فقال الجلاس: إن كان ما جاء به محمد حقاً، لنحن أشرّ من حميرنا هذه التي نحن عليها فقال مصعب: أما والله يا عدوّ الله لأخبرنّ رسول الله ﷺ بما قلت فأتيت النبي ﷺ، وخشيت أن ينزل في القرآن أو تصيبني قارعة أو أن أخلط، قلت: يا رسول الله أقبلت أنا والجلاس من قباء، فقال كذا وكذا، ولولا مخافة أن أؤاخذ بخطيئة أو تصيبني قارعة ما أخبرتك قال: فدعا الجلاس، فقال له: «يا جلاسُ أَقُلْتَ الَّذِي قالَ مُصْعَبُ؟» قال: فحلف، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿**يَحْلِفُونَ باللَّهِ ما قَالُوا وَلَقَدْ قالُوا كَلِمَةَ الكُفْرِ وكَفَرُوا بَعْدَ إسْلامِهِمْ. . .**﴾ الآية.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: كان الذي قال تلك المقالة فيما بلغني الجلاس بن سويد بن الصامت، فرفعها عنه رجل كان في حجره يقال له عمير بن سعيد، فأنكر، فحلف بالله ما قالها فلما نزل فيه القرآن تاب ونزع وحسنت توبته فيما بلغني.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿**كَلِمَةَ الكُفْرِ**﴾ قال أحدهم: لئن كان ما يقول محمد حقاً لنحن شرّ من الحمير فقال له رجل من المؤمنين: إن ما قال لحق ولأنت شرّ من حمار قال: فهمّ المنافقون بقتله، فذلك قوله: ﴿**وهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا**﴾.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد بنحوه.

قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

حدثني أيوب بن إسحاق بن إبراهيم، قال: ثنا عبد الله بن رجاء، قال: ثنا إسرائيل، عن سماك، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: كان رسول الله ﷺ جالساً في ظلّ شجرة، فقال: «إنَّهُ سَيأْتِيكُمْ إنْسانٌ فَيَنظُرُ إلَيْكُمْ بِعَيْنَي شَيْطَانٍ، فإذا جاءَ فَلا تُكَلِّمُوهُ فلم يلبث أن طلع رجل أزرق، فدعاه رسول الله ﷺ، فقال: «عَلامَ تَشْتُمُني أنْتَ وأصْحابُكَ؟» فانطلق الرجل فجاء بأصحابه، فحلفوا بالله ما قالوا وما فعلوا حتى تجاوز عنهم، فأنزل الله: ﴿**يَحْلِفُونَ باللَّهِ ما قَالُوا**﴾ ثم نعتهم جميعاً، إلى آخر الآية.

وقال آخرون: بل نزلت في عبد الله بن أُبيّ ابن سلولَ، قالوا: والكلمة التي قالها ما:

حدثنا به بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**يَحْلِفُونَ باللَّهِ ما قَالُوا...**﴾ إلى قوله: ﴿**مِنْ وَلِيّ وَلا نَصِيرٍ**﴾ قال: ذكر لنا أن رجلين اقتتلا، أحدهما من جهينة والآخر من غفار، وكانت جهينة حلفاء الأنصار. وظهر الغفاريّ على الجهني، فقال عبد الله بن أبيّ للأوس: انصروا أخاكم، فوالله ما مَثَلُنا ومَثَلُ محمد إلا كما قال القائل: سمن كلبك يأكلك وقال: لَئِنْ رَجعْنَا إلى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنّ الأعَزّ مِنْها الأذَلّ، فسعى بها رجل من المسلمين إلى نبيّ الله ﷺ. فأرسل إليه فسأله، فجعل يحلف بالله ما قاله، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿**يَحْلِفُونَ باللَّهِ ما قَالُوا وَلَقَدْ قالُوا كَلِمَةَ الكُفْرِ**﴾.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: ﴿**يَحْلِفُونَ باللَّهِ ما قَالُوا وَلَقَدْ قالُوا كَلِمَةَ الكُفْرِ**﴾ قال: نزلت في عبد الله بن أبيّ ابن سلولَ.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن الله تعالى أخبر عن المنافقين أنهم يحلفون بالله كذباً على كلمة كفر تكلموا بها أنهم لم يقولوها. وجائز أن يكون ذلك القول ما رُوي عن عروة أن الجلاس قاله، وجائز أن يكون قائله عبد الله بن أبي ابن سلول. والقول ما ذكره قتادة عنه أنه قال ولا علم لنا بأن ذلك من أيّ، إذ كان لا خبر بأحدهما يوجب الحجة ويتوصل به إلى يقين العلم به، وليس مما يُدرك علمه بفطرة العقل، فالصواب أن يقال فيه كما قال الله جلّ ثناؤه: ﴿**يَحْلِفُونَ باللَّهِ ما قَالُوا وَلَقَدْ قالُوا كَلِمَةَ الكُفْرِ وكَفَرُوا بَعْدَ إسْلامِهِمْ**﴾.

وأما قوله: ﴿**وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا**﴾ فإن أهل التأويل اختلفوا في الذي كان همّ بذلك وما

الشيء الذي كان همّ به. فقال بعضهم: هو رجل من المنافقين، وكان الذي همّ به قَتْلَ ابن امرأته الذي سمع منه ما قال وخشي أن يفشيه عليه.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: همّ المنافق بقتله، يعني قتل المؤمن الذي قال له أنت شرّ من الحمار. فذلك قوله: ﴿**وهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا**﴾.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد به

وقال آخرون: كان الذي همّ رجلاً من قريش، والذي همّ به قتل رسول الله ﷺ.

ذكر من قال ذلك:

حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا شبل، عن جابر، عن مجاهد، في قوله: ﴿**وَهَمّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا**﴾ قال: رجل من قريش همّ بقتل رسول الله ﷺ يقال له الأسود.

وقال آخرون: الذي همّ عبد الله بن أبيّ ابن سلولَ، وكان همه الذي لم ينله قوله: ﴿**لَئِنْ رَجعْنَا إلى المَدِينَةِ لَيُخرِجَنّ الأعَزّ مِنها الأذَلّ**﴾ من قول قتادة وقد ذكرناه.

وقوله: ﴿**ومَا نَقَمُوا إلاّ أنْ أغْناهُمُ اللّهُ ورَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ**﴾ ذكر لنا أن المنافق الذي ذكر الله عنه أنه قال كلمة الكفر كان فقيراً، فأغناه الله بأن قتل له مولى، فأعطاه رسول الله ﷺ ديته. فلما قال ما قال، قال الله تعالى: ﴿**ومَا نَقَمُوا**﴾ يقول: ما أنكروا على رسول الله ﷺ شيئاً، ﴿**إلاّ أنْ أغناهُمُ اللّهُ ورَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ**﴾.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبو معاوية، عن هشام بن عروة، عن أبيه: ﴿**ومَا نَقَمُوا إلا أنْ أغْناهُمُ اللّهُ ورَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ**﴾ وكان الجلاس قتل له مولى له، فأمر له رسول الله ﷺ بديته، فاستغنى، فذلك قوله: ﴿**ومَا نَقَمُوا إلا أنْ أغْناهُمُ اللّهُ ورَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ**﴾.

قال: ثنا ابن عيينة، عن عمرو، عن عكرمة، قال: قضى النبيّ ﷺ بالدية اثني عشر مولى لبني عديّ بن كعب، وفيه أنزلت هذه الآية: ﴿**ومَا نَقَمُوا إلاّ أنْ أغْناهُمُ اللّهُ ورَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ**﴾.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿**ومَا نَقَمُوا إلاّ أنْ أغناهُمُ اللّهُ ورَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ**﴾ قال: كانت لعبد الله بن أبي دية، فأخرجها رسول الله ﷺ له.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله بن الزبير، عن سفيان، قال: ثنا عمرو، قال: سمعت عكرمة: أن مولى لبني عديّ بن كعب قتل رجلاً من الأنصار، فقضى رسول الله ﷺ بالدية اثني عشر ألفاً، وفيه أنزلت: ﴿**وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله**﴾ قال عمرو: لم أسمع هذا عن النبي ﷺ إلا من عكرمة، يعني الدية اثني عشر ألفاً.

حدثنا صالح بن مسمار، قال: ثنا محمد بن سنان العوفي، قال: ثنا محمد بن مسلم الطائفي، عن عمرو بن دينار، عن عكرمة، مولى ابن عباس، عن ابن عباس: أن النبيّ ﷺ جعل الدية اثني عشر ألفاً، فذلك قوله: ﴿**وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله**﴾ قال: بأخذ الدية.

وأما قوله: ﴿**فإن يتوبوا يك خيراً لهم**﴾ يقول تعالى ذكره: فإن يتب هؤلاء القائلون كلمة الكفر من قيلهم الذي قالوه فرجعوا عنه، يك رجوعهم وتوبتهم من ذلك خيراً لهم من النفاق. ﴿**وإن يتولوا**﴾ يقول: وإن يدبروا عن التوبة فيأبوها، ويصرّوا على كفرهم ﴿**يعذّبهم الله عذاباً أليماً**﴾ يقول: يعذّبهم عذاباً موجعاً في الدنيا، إما بالقتل، وإما بعاجل خزي لهم فيها، ويعذّبهم في الآخرة بالنار.

وقوله: ﴿**وما لهم في الأرض من وليّ ولا نصير**﴾ يقول: وما لهؤلاء المنافقين إن عذّبهم الله في عاجل الدنيا، من وليّ يواليه على منعه من عقاب الله، ولا نصير ينصره من الله، فينقذه من عقابه وقد كانوا أهل عزّ ومنعة بعشائرهم وقومهم يمتنعون بهم ممن أرادهم بسوء، فأخبر جلّ ثناؤه أن الذين كانوا يمنعونهم ممن أرادهم بسوء من عشائرهم وحلفائهم، لا يمنعونهم من الله ولا ينصرونهم منه إذ احتاجوا إلى نصرهم. وذُكر أن الذي نزلت فيه هذه الآية تاب مما كان عليه من النفاق.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبو معاوية، عن هشام بن عروة، عن أبيه: ﴿**فإن يتوبوا يك خيراً لهم**﴾ قال: قال الجلاس: قد استثنى الله لي التوبة، فأنا أتوب فقبل منه رسول الله ﷺ.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا أبو معاوية، عن هشام بن عروة، عن أبيه: ﴿**فإن يتوبوا يك خيراً لهم...**﴾ الآية، فقال الجلاس: يا رسول الله إني أرى الله قد استثنى لي التوبة، فأنا أتوب فتاب، فقبل رسول الله ﷺ منه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ

(٧٥) فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ (٧٦) فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ (٧٧)

يقول تعالى ذكره: ومن هؤلاء المنافقين الذين وصفت لك يا محمد صفتهم **﴿مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ﴾** يقول: أعطى الله عهداً، **﴿لَئِنْ آتانا مِنْ فَضْلِهِ﴾** يقول: لئن أعطانا الله من فضله، ورزقنا مالاً، ووسع علينا من عنده **﴿لَنَصَّدَّقَنَّ﴾** يقول: لنخرجنّ الصدقة من ذلك المال الذي رزقنا ربنا، **﴿وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾** يقول: ولنعملنّ فيها بعمل أهل الصلاح بأموالهم من صلة الرحم به وإنفاقه في سبيل الله. يقول الله تبارك وتعالىٰ. فرزقهم الله وآتاهم من فضله **﴿فلما آتاهم﴾** الله **﴿من فَضْلِهِ بخلوا به﴾** بفضل الله الذي آتاهم، فلم يصدّقوا منه ولم يصلوا منه قرابة ولم ينفقوا منه في حق الله **﴿وَتَوَلَّوْا﴾** يقول: وأدبروا عن عهدهم الذي عاهدوه الله، **﴿وهُمْ مُعْرِضُونَ﴾** عنه. **﴿فَأَعْقَبَهُمْ﴾** الله **﴿نِفاقاً فِي قُلُوبِهِمْ﴾** ببخلهم بحقّ الله الذي فرضه عليهم فيما آتاهم من فضله، وإخلافهم الوعد الذي وعدوا الله، ونقضهم عهده في قلوبهم **﴿إلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا الله ما وَعَدُوهُ﴾** من الصدقة والنفقة في سبيله، **﴿وبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾** في قيلهم، وحرّمهم التوبة منه لأنه جلّ ثناؤه اشترط في نفاقهم أنه أعقبهموه **﴿إلى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ﴾** وذلك يوم مماتهم وخروجهم من الدنيا.

واختلف أهل التأويل في المعنى بهذه الآية، فقال بعضهم: عني بها رجل يقال له ثعلبة بن حاطب من الأنصار.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: **﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتانا مِنْ فَضْلِهِ...﴾** الآية، وذلك أن رجلاً يقال له ثعلبة بن حاطب من الأنصار، أتى مجلساً فأشهدهم، فقال: لئن آتاني الله من فضله، آتيت منه كلّ ذي حقّ حقه، وتصدّقت منه، ووصلت منه القرابة فابتلاه الله فآتاه من فضله، فأخلف الله ما وعده، وأغضب الله بما أخلف ما وعده، فقصّ الله شأنه في القرآن: **﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ...﴾** الآية، إلى قوله: **﴿يَكْذِبُونَ﴾**.

حدثني المثنى، قال: ثنا هشام بن عمار، قال: ثنا محمد بن شعيب، قال: ثنا معاذ بن رفاعة السُّلَمي، عن أبي عبد الملك عليّ بن يزيد الإلهاني، أنه أخبره عن القاسم بن عبد الرحمن، أنه أخبره عن أبي أمامة الباهلي، عن ثعلبة بن حاطب الأنصاري، أنه قال لرسول الله ﷺ: ادع الله أن يرزقني مالاً فقال رسول الله ﷺ: «وَيحَكَ يا ثَعْلَبَةَ، قَلِيلٌ تُؤَدّى شُكْرَهُ، خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ لا تُطِيقُه» قال: ثم قال مرّة أخرى، فقال: «أما تَرْضَى أنْ تَكُونَ مِثْلَ نَبِيِّ اللَّهِ؟ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ شِئْتُ أنْ

تَسِيرَ مَعِي الجِبَالُ ذَهَباً وَفِضَّةً لَسارَتْ» قال: والذي بعثك بالحقّ، لئن دعوت الله فرزقني مالاً لأعطينّ كل ذي حقّ حقه فقال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ ارْزُقْ ثَعْلَبَةَ مَالاً». قال: فاتخذ غنماً، فنمت كما ينمو الدود، فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها، فنزل وادياً من أوديتها، حتى جعل يصلي الظهر والعصر في جماعة، ويترك ما سواهما. ثم نمت وكثرت، فتنحى حتى ترك الصلوات إلا الجمعة، وهي تنمو كما ينمو الدود، حتى ترك الجمعة. فطفق يتلقى الركبان يوم الجمعة يسألهم عن الأخبار فقال رسول الله ﷺ: «ما فَعَلَ ثَعْلَبَةُ؟» فقالوا: يا رسول الله اتخذ غنماً فضاقت عليه المدينة، فأخبروه بأمره فقال: «يا وَيْحَ ثَعْلَبَةُ يا وَيْحَ ثَعْلَبَةُ يا وَيْحَ ثَعْلَبَةُ» قال: وأنزل الله: ﴿**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً**...﴾ الآية. ونزلت عليه فرائض الصدقة، فبعث رسول الله ﷺ رجلين على الصدقة، رجلاً من جهينة، ورجلاً من سليم، وكتب لهما كيف يأخذان الصدقة من المسلمين، وقال لهما: «مُرَّا بثعلبة، وبفلان رجل من بني سليم فخُذَا صَدَقَاتِهِمَا» فخرجا حتى أتيا ثعلبة، فسألاه الصدقة، وأقرآه كتاب رسول الله ﷺ، فقال: ما هذه إلا جزية، ما هذه إلا أخت الجزية، ما أدري ما هذا انطلقا حتى تفرغا ثم عودوا إليّ فانطلقا، وسمع بهما السلميّ، فنظر إلى خيار أسنان إبله فعزلها للصدقة ثم استقبلهم بها، فلما رأوها، قالوا: ما يجب عليك هذا، وما نريد أن نأخذ هذا منك. قال: بلى فخذوه فإن نفسي بذلك طيبة وإنما هي لي فأخذوها منه، فلما فرغا من صدقاتهما رجعا حتىٰ مّرا بثعلبة فقال: أروني كتابكما فنظر فيه فقال: ما هذه إلا أخت الجزية انطلقا حتىٰ أرىٰ رأيي فانطلقا حتىٰ أتيا النبي ﷺ فلما رآهما قال: يا ويح ثعلبة قبل أن يكلمهما، ودعا للسلميّ بالبركة، فأخبراه بالذي صنع ثعلبة، والذي صنع السلميّ، فأنزل الله تبارك وتعالى فيه: ﴿**وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتانا مِنْ فَضْلِهِ لنصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ**...﴾ إلى قوله: ﴿**وبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ**﴾ وعند رسول الله ﷺ رجل من أقارب ثعلبة، فسمع ذلك، فخرج حتى أتاه، فقال: ويحك يا ثعلبة، قد أنزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبي ﷺ، فسأله أن يقبل منه صدقته. فقال: «إنَّ اللَّهَ مَنَعَنِي أنْ أَقْبَلَ مِنْكَ صَدَقَتَكَ» فجعل يحثي على رأسه التراب، فقال له رسول الله ﷺ: «هَذَا عَمَلُكَ، قَدْ أَمَرْتُكَ فَلَمْ تُطِعْنِي». فلما أبى أن يقبض رسول الله ﷺ، رجع إلى منزله، وقبض رسول الله ﷺ ولم يقبل منه شيئاً. ثم أتى أبا بكر حين استخلف، فقال: قد علمت منزلتي من رسول الله ﷺ وموضعي من الأنصار، فاقبل صدقتي فقال أبو بكر: لم يقبلها رسول الله ﷺ وأنا أقبلها؟ فقُبض أبو بكر ولم يقبضها. فلما ولي عمر أتاه فقال: يا أمير المؤمنين اقبل صدقتي فقال: لم يقبلها رسول الله ﷺ، ولا أبو بكر، وأنا لا أقبلها منك فقُبض ولم يقبلها. ثم ولي عثمان رحمة الله عليه، فأتاه فسأله أن يقبل صدقته، فقال: لم يقبلها رسول الله ﷺ، ولا أبو بكر ولا عمر رضوان الله عليهما وأنا لا أقبلها منك فلم يقبلها منه، وهَلك ثعلبة في خلافة عثمان رحمة الله عليه.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ**

آتانا مِن فَضْلِهِ. . .﴾ الآية: ذُكر لنا أن رجلاً من الأنصار أتى على مجلس من الأنصار، فقال لئن آتاه الله مالاً، ليؤدّينّ إلى كلّ ذي حقّ حقه فآتاه الله مالاً، فصنع فيه ما تسمعون. قال: **﴿فَمَا آتاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ. . .﴾** إلى قوله: **﴿وبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾** ذُكر لنا أن النبي ﷺ حدّث أن موسى عليه الصلاة والسلام لمَّا جاء بالتوراة إلى بني إسرائيل قالت بنو إسرائيل: إن التوراة كثيرة، وإنا لا نفرغ لها، فسل لنا ربك جماعاً من الأمر نحافظ عليه ونتفرّغ فيه لمعايشنا قال: يا قوم مهلاً مهلاً، هذا كتاب الله، ونور الله، وعصمة الله. قال: فأعادوا عليه، فأعاد عليهم، قالها ثلاثاً. قال: فأوحى الله إلى موسى: ما يقول عبادي؟ قال: يا ربّ يقولون: كيت وكيت. قال: فإني آمرهم بثلاث إن حافظوا عليهنّ دخلوا بهنّ الجنة: أن ينتهوا إلى قسمة الميراث فلا يظلموا فيها، ولا يدخلوا أبصارهم البيوت حتى يؤذن لهم، وأن لا يطعموا طعاماً حتى يتوضؤوا وضوء الصلاة. قال: فرجع بهنّ نبيّ الله ﷺ إلى قومه، ففرحوا ورأوا أنهم سيقومون بهنّ، قال: فوالله ما لبث القوم إلا قليلاً حتى جنحوا، وانقطع بهم فلما حدّث نبيّ الله بهذا الحديث عن بني إسرائيل، قال: «تكَفَّلُوا لي بستّ أتكفل لكم بالجنة» قالوا: ما هنّ يا رسول الله؟ قال: «إذا حدثتم فلا تكذبوا، وإذا وعدتم فلا تخلفوا، وإذا اؤتمنتم فلا تخونوا، وكفوا أبصاركم وأيديكم وفروجكم وأبصاركم عن الخيانة وأيديكم عن السرقة وفروجكم عن الزنا».

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن الحسن: أن النبي ﷺ كان يقول: «ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ صَارَ مُنافِقاً وإنْ صَامَ وصَلَّى وَزَعَمَ أنَّهُ مُسْلِمٌ: إذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وإذَا اؤْتُمِنَ خانَ، وَإذَا وَعَدَ أخْلَفَ».

وقال آخرون: بل المعنيّ بذلك: رجلان: أحدهما ثعلبة، والآخر معتب بن قشير.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن عمرو بن عبيد، عن الحسن: **﴿وَمِنهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتانا مِنْ فَضْلِهِ. . .﴾** إلى الآخر، وكان الذي عاهد الله منهم ثعلبة بن حاطب، ومعتب بن قشير، هما من بني عمرو بن عوف.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: **﴿وَمِنهُـمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتانا مِنْ فَضْلِهِ﴾** قال: رجلان خرجا على ملإ قعود، فقالا: والله لئن رزقنا الله لنصدَّقَنَّ فلما رزقهم الله بخلوا به.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد **﴿وَمِنهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتانا مِنْ فَضْلِهِ﴾** رجلان خرجا على ملإ قعود، فقالا: والله لئن رزقنا الله

لنصدّقنّ فلما رزقهم بخلوا به، فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم بما أخلفوا الله ما وعدوه حين قالوا: لنصدّقنّ فلم يفعلوا.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله، عن ورقاء، عن ابن نجيح، عن مجاهد نحوه.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتانا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ...**﴾ الآية، قال: هؤلاء صنف من المنافقين، فلما آتاهم ذلك بخلوا به فلما بخلوا بذلك أعقبهم بذلك نفاقاً إلى يوم يلقونه، ليس لهم منه توبة ولا مغفرة ولا عفو، كما أصاب إبليس حين منعه التوبة.

وقال أبو جعفر: في هذه الآية الإبانة من الله جلّ ثناؤه عن علامة أهل النفاق، أعني في قوله: ﴿**فأعْقَبَهُم نِفَاقاً في قُلُوبِهِمْ إلى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا الله ما وَعَدُوهُ وبِما كانُوا يَكْذِبُونَ**﴾.

وبنحو هذا القول كان يقول جماعة من الصحابة والتابعين، ووردت به الأخبار عن رسول الله ﷺ.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو السائب، قال: ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن عمارة، عن عبد الرحمن بن يزيد، قال: قال عبد الله: اعتبروا المنافق بثلاث: إذ حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر. وأنزل الله تصديق ذلك في كتابه: ﴿**وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتانا مِنْ فَضْلِهِ...**﴾ إلى قوله: ﴿**يَكْذِبُونَ**﴾.

حدثني محمد بن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن سماك، عن صبيح بن عبد الله بن عميرة، عن عبد الله بن عمرو، قال: ثلاث من كنّ فيه كان منافقاً: إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان. قال: وتلا هذه الآية: ﴿**وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتانا مِنْ فَضْلِهِ لَنصدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ...**﴾ إلى آخر الآية.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا أبو داود، قال: ثنا شعبة، عن سماك، قال: سمعت صبيح بن عبد الله القيسي يقول: سألت عبد الله بن عمرو، عن المنافق، فذكر نحوه.

حدثني محمد بن معمر، قال: ثنا أبو هشام المخزومي، قال: ثنا عبد الواحد بن زياد، قال: ثنا عثمان بن حكيم، قال: سمعت محمد بن كعب القُرظَيّ، يقول: كنت أسمع أن المنافق يعرف بثلاث: بالكذب، والإخلاف، والخيانة. فالتمستها في كتاب الله زماناً لا أجدها. ثم

وجدتها في آيتين من كتاب الله، قوله: ﴿وَمِنهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ...﴾ حتى بلغ: ﴿وبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾، وقوله: ﴿إنَّا عَرَضْنا الأمانَةَ على السَّمَوَاتِ والأرْضِ﴾ هذه الآية.

حدثني القاسم بن بشر بن معروف، قال: ثنا أسامة، قال: ثنا محمد المخرمي، قال: سمعت الحسن يقول: قال رسول الله ﷺ: «ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَهُوَ مُنافِقٌ وَإنْ صَلَّى وَصَامَ وَزَعَمَ أنَّهُ مُسْلِمٌ: إذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وإذَا وَعَدَ أخْلَفَ، وإذَا اؤتُمِنَ خانَ» فقلت للحسن: يا أبا سعيد لئن كان لرجل عليّ دين فلقيني، فتقاضاني وليس عندي، وخفت أن يحبسني ويهلكني، فوعدته أن أقضيه رأس الهلال فلم أفعل، أمنافق أنا؟ قال: هكذا جاء الحديث. ثم حدّث عن عبد الله بن عمرو أن أباه لما حضره الموت، قال: زوّجوا فلاناً فإني وعدته أن أزوجه، لا ألقى الله بثلث النفاق قال: قلت: يا أبا سعيد ويكون ثلث الرجل منافقاً وثلثاه مؤمن؟ قال: هكذا جاء الحديث. قال: فحججت فلقيت عطاء بن أبي رباح، فأخبرته الحديث الذي سمعته من الحسن، وبالذي قلت له وقال لي. فقال: أعجزت أن تقول له: أخبرني عن إخوة يوسف عليه السلام، ألم يَعِدوا أباهم فأخلفوه وحدّثوه فكذَبوه وأتمنهم فخانوه، أفمنافقين كانوا؟ ألم يكونوا أنبياء أبوهم نبيّ وجدّهم نبيّ؟ قال: فقلت لعطاء: يا أبا محمد حدثني بأصل النفاق، وبأصل هذا الحديث فقال: حدثني جابر بن عبد الله: أن رسول الله ﷺ إنما قال هذا الحديث في المنافقين خاصة الذين حدّثوا النبيّ فكذبوه، وأتمنهم على سرّه فخانوه، ووعدوه أن يخرجوا معه في الغزو فأخلفوه. قال: وخرج أبو سفيان من مكة، فأتى جبريل النبي ﷺ، فقال: إن أبا سفيان في مكان كذا وكذا، فقال النبي ﷺ لأصحابه: «إنَّ أبا سُفْيانَ فِي مَكانِ كَذَا وكَذَا، فاخْرُجُوا إلَيْهِ وَاكْتُمُوا» قال: فكتب رجل من المنافقين إليه أن محمداً يريديكم، فخذوا حذركم، فأنزل الله: ﴿لاَ تَخُونُوا اللَّهَ والرَّسُولَ وتَخُونُوا أماناتِكُمْ وأنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ وأنزل في المنافقين: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتانا مِنْ فضله...﴾ إلى ﴿فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون﴾ فاذا لقيت الحسن فأقرئه السلام، وأخبره بأصل هذا الحديث وبما قلت لك قال: فقدمت على الحسن فقلت: يا أبا سعيد إن أخاك عطاء يقرؤك السلام فأخبرته بالحديث الذي حدّث وما قال لي. فأخذ الحسن بيدي فأمالها وقال: يا أهل العراق أعجزتم أن تكونوا مثل هذا؟ سمع مني حديثاً فلم يقبله حتى استنبط أصله، صدق عطاء هكذا الحديث، وهذا في المنافقين خلصة.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، قال: أخبرنا يعقوب، عن الخسن، قال: قال رسول الله ﷺ: «ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَإنْ صَلَّى وَصَامَ وَزَعَمَ أنَّهُ مُسْلِمٌ فَهُوَ مُنافِقٌ». فقيل له: ما هي يا رسول الله؟ فقال النبي عليه الصلاة والسلام: «إذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإذَا وَعَدَ أخْلَفَ، وَإذَا اؤتُمِنَ خَانَ».

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: ثنا ميسرة، عن الأوزاعي عن هارون بن رباب، عن عبد الله بن عمرو بن وائل، أنه لما حضرته الوفاة، قال: إن فلاناً خطب إليّ ابنتي، وإني كنت قلت له فيها قولاً شبيهاً بالعِدة، والله لا ألقى الله بثلث النفاق، وأشهدكم أني قد زوّجته

وقال قوم: كان العهد الذي عاهد الله هؤلاء المنافقون شيئاً نووه في أنفسهم ولم يتكلموا به.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: سمعت معتمر بن سليمان التيمي يقول: ركبت البحر فأصابنا ريح شديدة، فنذر قوم منا نذوراً، ونويت أنا لم أتكلم به. فلما قدمت البصرة، سألت أبي سليمان، فقال لي يا بنيّ: فُهْ به.

قال معتمر، وثنا كهمس عن سعيد بن ثابت، قال: قوله: ﴿**وَمِنهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ...**﴾ الآية، قال: إنما هو شيء نووه في أنفسهم ولم يتكلموا به، ألم تسمع إلى قوله: ﴿**أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنجواهُمْ وأَنَّ اللَّهَ عَلاَّمُ الغُيُوبِ**﴾؟.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ألم يعلم هؤلاء المنافقون الذين يكفرون بالله ورسوله سرّاً، ويظهرون الإيمان بهما لأهل الإيمان بهما جهراً، أن الله يعلم سرّهم الذي يسرونه في أنفسهم من الكفر به وبرسوله، ﴿**وَنَجْوَاهُمْ**﴾ يقول: ونجواهم إذا تناجوا بينهم بالطعن في الإسلام وأهله وذكرهم بغير ما ينبغي أن يذكروا به، فيحذروا من الله عقوبته أن يحلها بهم وسطوته أن يوقعها بهم على كفرهم بالله وبرسوله وعيبهم للإسلام وأهله، فينزعوا عن ذلك ويتوبوا منه. ﴿**وأَنَّ اللَّهَ عَلاَّمُ الغُيُوبِ**﴾ يقول: ألم يعلموا أن الله علام ما غاب عن أسماع خلقه وأبصارهم وحواسهم مما أكنته نفوسهم فلم يظهر على جوارحهم الظاهرة فينهاهم ذلك عن خداع أوليائه بالنفاق والكذب ويزجرهم عن اضمار غير ما يبدونه واظهار خلاف ما يعتقدونه.

القول في تأويل قوله ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ۙ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: الذين يلمزون المطوّعين في الصدقة على أهل المسكنة والحاجة، بما لم يوجبه الله عليهم في أموالهم، ويطعنون فيها عليهم بقولهم: إنما تصدّقوا به رياء وسمعة، ولم يريدوا وجه الله، ويلمزون الذين لا يجدون ما يتصدّقون به إلا جهدهم، وذلك طاقتهم،

فينتقصونهم ويقولون: لقد كان الله عن صدقة هؤلاء غنيّاً سخرية منهم بهم. ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾ وقد بينا صفة سخرية الله بمن يسخر به من خلقه في غير هذا الموضع بما أغنى عن إعادته ههنا. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يقول: ولهم من عند الله يوم القيامة عذاب موجع مؤلم.

وذُكر أن المعنيّ بقوله: ﴿الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ عبد الرحمن بن عوف، وعاصم بن عديّ الأنصاري، وأن المعنيّ بقوله: ﴿وَالَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ﴾ أبو عقيل الأراشي أخو بني أنيف.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ قال: جاء عبد الرحمن بن عوف بأربعين أوقية من ذهب إلى النبيّ ﷺ، وجاءه رجل من الأنصار بصاع من طعام، فقال بعض المنافقين: والله ما جاء عبد الرحمن بما جاء به إلا رياء وقالوا: إن كان الله ورسوله لغنيين عن هذا الصاع.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ﴾ وذلك أن رسول الله ﷺ خرج إلى الناس يوماً فنادى فيهم: أن اجْمَعُوا صَدَقَاتِكُمْ فجمع الناس صدقاتهم. ثم جاء رجل من أحوجهم بمنّ من تمر، فقال: يا رسول الله هذا صاع من تمر، بتّ ليلتي أجرّ بالجرير الماء حتى نلت صاعين من تمر، فأمسكت أحدهما وأتيتك بالآخر فأمره رسول الله ﷺ أن ينثره في الصدقات. فسخر منه رجال وقالوا: والله إن الله ورسوله لغنيان عن هذا، وما يصنعان بصاعك من شيء ثم إن عبد الرحمن بن عوف رجل من قريش من بني زهرة قال لرسول الله ﷺ: هل بقي من أحد من أهل هذه الصدقات؟ فقال: «لا» فقال عبد الرحمن بن عوف: إن عندي مائة أوقية من ذهب في الصدقات. فقال له عمر بن الخطاب: أمجنون أنت؟ فقال: ليس بي جنون. فقال: أتعلم ما قلت؟ قال: نعم، مالي ثمانية آلاف: أما أربعة فأقرضها ربي، وأما أربعة آلاف فلي. فقال له رسول الله ﷺ: «بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيما أَمْسَكْتَ وَفِيما أَعْطَيْتَ» وكره المنافقون فقالوا: والله ما أعطى عبد الرحمن عطيته إلا رياء وهم كاذبون، إنما كان به متطوعاً. فأنزل الله عذره، وعذر صاحبه المسكين الذي جاء بالصاع من التمر، فقال الله في كتابه: ﴿وَالَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ. . .﴾ الآية.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبو أسامة، عن شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال: جاء عبد الرحمن بن عوف بصدقة ماله أربعة

آلاف، فلمزه المنافقون، وقالوا: راءى. ﴿والَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ إلاَّ جُهْدَهُمْ﴾ قال: رجل من الأنصار، آجر نفسه بصاع من تمر لم يكن له غيره، فجاء به فلمزوه، وقالوا: كان الله غنياً عن صاع هذا.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد نحوه.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد نحوه.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. . ﴾ الآية، قال: أقبل عبد الرحمن بن عوف بنصف ماله، فتقرّب به إلى الله، فلمزه المنافقون، فقالوا: ما أعطى ذلك إلا رياءً وسمعة فأقبل رجل من فقراء المسلمين يقال له: حبحاب أبو عقيل، فقال: يا نبي الله، بتّ أجر الجرير على صاعين من تمر: أما صاع فأمسكته لأهلي، وأما صاع فها هو ذا. فقال المنافقون: والله إن الله ورسوله لغنيان عن هذا فأنزل الله في ذلك القرآن: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ﴾. . الآية.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ قال: تصدّق عبد الرحمن بن عوف بشطر ماله، وكان ماله ثمانية آلاف دينار، فتصدّق بأربعة آلاف دينار، فقال ناس من المنافقين: إن عبد الرحمن بن عوف لعظيم الرياء فقال الله: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ في الصَّدَقَاتِ﴾ وكان لرجل صاعان من تمر، فجاء بأحدهما، فقال ناس من المنافقين: إن كان الله عن صاع هذا لغنياً فكان المنافقون يطعنون عليهم ويسخرون بهم، فقال الله: ﴿وَالَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ إلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ ولَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ﴾.

حدثني المثنى، قال: ثنا الحجاج بن المنهال الأنماطي، قال: ثنا أبو عوانة، عن عمر بن أبي سلمة، عن أبيه: أن رسول الله ﷺ قال: «تَصَدَّقُوا فإنِّي أُرِيدُ أنْ أبْعَثَ بَعْثاً» قال: فقال عبد الرحمن بن عوف: يا رسول الله، إن عندي أربعة آلاف: ألفين أقرضهما الله، وألفين لعيالي. قال: فقال رسول الله ﷺ: «بارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيما أعْطَيْتَ، وبارَكَ لَكَ فِيما أمْسَكْتَ» فقال رجل من الأنصار: وإن عندي صاعين من تمر، صاعاً لربي، وصاعاً لعيالي قال: فلمز المنافقون، وقالوا: ما أعطى ابن عوف هذا إلا رياءً وقالوا: أو لم يكن الله غنياً عن صاع هذا فأنزل الله: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. . ﴾ إلى آخر الآية.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الرحمن بن سعد. قال: أخبرنا أبو جعفر، عن الربيع بن أنس، في قوله: ﴿**الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ**﴾ قال: أصاب الناس جهد شديد، فأمرهم رسول الله ﷺ أن يتصدّقوا، فجاء عبد الرحمن بأربعمائة أوقية، فقال رسول الله ﷺ: «اللَّهُم بارِكْ لَهُ فيما أمْسَكَ» فقال المنافقون: ما فعل عبد الرحمن هذا إلا رياءً وسمعه قال: وجاء رجل بصاع من تمر، فقال: يا رسول الله آجرت نفسي بصاعين، فانطلقت بصاع منهما إلى أهلي وجئت بصاع من تمر. فقال المنافقون: إن الله غنيّ عن صاع هذا فأنزل الله هذه الآية: ﴿**والَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ إلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿**الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ. . .**﴾ الآية، وكان من المطّوّعين من المؤمنين في الصدقات: عبد الرحمن بن عوف، تصدّق بأربعة آلاف دينار وعاصم بن عدّي أخو بني عجلان. وذلك أن رسول الله ﷺ رغّب في الصدقة وحضّ عليها، فقام عبد الرحمن بن عوف فتصدّق بأربعة آلاف درهم، وقام عاصم بن عدّي فتصدّق بمائة وسق من تمر. فلمزوهما وقالوا: ما هذا إلا رياء وكان الذي تصدّق بجهده أبو عقيل، أخو بني أنيف الأراشي حليف بني عمرو بن عوف، أتى بصاع من تمر، فأفرغه في الصدقة، فتضاحكوا به، وقالوا: إن الله لغنيّ عن صاع أبي عقيل.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا أبو النعمان الحكم بن عبد الله، قال: ثنا شعبة، عن سليمان، عن أبي وائل، عن أبي مسعود، قال: لما نزلت آية الصدقة كنا نحامل قال أبو النعمان: كنا نعمل قال: فجاء رجل فتصدّق بشيء كثير، قال: وجاء رجل فتصدق بصاع تمر، فقالوا: إن الله لغنيّ عن صاع هذا فنزلت: ﴿**الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ إلاَّ جُهْدَهُمْ**﴾.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا زيد بن حباب، عن موسى بن عبيدة، قال: ثني خالد بن يسار، عن ابن أبي عقيل، عن أبيه، قال: بتّ أجر الجرير على ظهري على صاعين من تمر، فانقلبت بأحدهما إلى أهلي يتبلّغون به، وجئت بالآخر أتقرّب به إلى رسول الله ﷺ. فأتيت رسول الله ﷺ، فأخبرته، فقال: «انْثُرْهُ في الصَّدَقَةِ» فسخر المنافقون منه وقالوا: لقد كان الله غنيّاً عن صدقة هذا المسكين فأنزل الله: ﴿**الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ في الصَّدَقاتِ. . .**﴾ الآيتين.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، قال: أخبرنا الجريري عن أبي السليل، قال: وقف على الحيّ رجل، فقال: ثني أبي أو عمي، فقال: شهدت رسول الله ﷺ وهو يقول: «مَنْ يَتَصَدَّق

اليَوْمَ بِصَدَقةٍ أَشْهَدُ لَهُ بِها عِنْدَ الله يَوْمَ القِيامَةِ». قال: وعليّ عمامة لي، قال: فنزعت لَوْثاً أو لوثين لأتصدق بهما قال: ثم أدركني ما يدرك ابن آدم، فعصبت بها رأسي قال فجاء رجل لا أرىٰ بالبقيع رجلا أقصر قمة ولا أشد سواداً ولا أذمّ لعيني منه يقود ناقة لا أرىٰ بالبقيع أحسن منها ولا أجمل منها قال: صدقة هي يا رسول الله؟ قال: نعم، قال: فدونها فألقىٰ بخطامها أو بزمامها. قال: فلمزه رجل جالس، فقال: والله إنه ليتصدّق بها ولهي خير منه فنظر إليه رسول الله ﷺ، فقال: «بَلْ هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ ومِنْها». يقول ذلك نبينا ﷺ.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني يونس، عن ابن شهاب، قال: أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك، يقول: الذي تصدّق بصاع التمر فلمزه المنافقون، أبو خيثمة الأنصاريّ.

حدثني المثنى، قال: ثنا محمد بن رجاء أبو سهل العباداني قال: ثنا عامر بن يِساف اليمامي، عن يحيى بن أبي كثير اليمامي، قال: جاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله مالي ثمانية آلاف، جئتك بأربعة آلاف فاجعلها في سبيل الله، وأمسكت أربعة آلاف لعيالي فقال رسول الله ﷺ: «بارَكَ اللَّهُ فِيما أعْطَيْتَ وَفِيما أمْسَكْتَ» وجاء رجل آخر فقال: يا رسول الله، بتّ الليلة أجر الماء على صاعين، فأما أحدهما فتركت لعيالي، وأما الآخر فجئتك به، اجعله في سبيل الله فقال: «بارَكَ اللَّهُ لك فِيما أعْطَيْتَ وَفِيما أمْسَكْتَ» فقال ناس من المنافقين: والله ما أعطى عبد الرحمن إلا رياء وسمعة، ولقد كان الله ورسوله غنيين عن صاع فلان فأنزل الله: **﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقاتِ﴾** يعني عبد الرحمن بن عوف، **﴿والَّذِينَ لاَ يَجِدُون إلاَّ جُهْدَهُمْ﴾** يعني صاحب الصاع، **﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخَرَ اللَّهُ مِنْهُمْ ولَهُمْ عَذَابٌ ألِيمٌ﴾**.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قال ابن عباس: أمر النبي ﷺ المسلمين أن يجمعوا صدقاتهم، وإذا عبد الرحمن بن عوف قد جاء بأربعة آلاف، فقال: هذا مالي أقرضه الله وقد بقي لي مثله فقال له: «بُورِكَ لَكَ فِيما أعْطَيْتَ وَفِيما أمْسَكْتَ» فقال المنافقون: ما أعطى إلا رياء، وما أعطى صاحب الصاع إلا رياء، إن كان الله ورسوله لغنيين عن هذا وما يصنع الله بصاع من شيء؟

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقاتِ...﴾** إلى قوله: **﴿ولَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾** قال: أمر النبي عليه الصلاة والسلام المسلمين أن يتصدقوا، فقام عمر بن الخطاب فألقى مالاً وافراً، فأخذ نصفه قال: فجئت أحمل مالاً كثيراً، فقال له رجل من المنافقين: ترائي يا عمر؟ فقال عمر: أرائي الله

ورسوله، وأما غيرهما فلا. قال: ورجل من الأنصار لم يكن عنده شيء، فآجر نفسه ليجر الجرير على رقبته بصاعين ليلته، فترك صاعاً لعياله وجاء بصاع يحمله، فقال له بعض المنافقين: إن الله ورسوله عن صاعك لغنيان فذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿**الَّذِينَ يَلْمِزُونَ المُطَّوِّعِينَ مِنَ المُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ إلاَّ جُهْدَهُمْ**﴾ هذا الأنصاري، ﴿**فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾.

وقد بينا معنى اللمز في كلام العرب بشواهده وما فيه من اللغة والقراءة فيما مضى وأما قوله: ﴿**المُطَّوِّعِينَ**﴾ فإن معناه: المتطوّعين، ادغمت التاء في الطاء، فصارت طاء مشددة، كما قيل: وَمَنْ يَطَّوَّعْ خَيْراً يعني يتطوّع. وأما الجهد فإن للعرب فيه لغتين، يقال: أعطاني من جُهده بضم الجيم، وذلك فيما ذكر لغة أهل الحجاز، ومن جَهْدِ بفتح الجيم، وذلك لغة نجد. وعلى الضم قراءة الأمصار، وذلك هو الاختيار عندنا لإجماع الحجة من القرّاء عليه. وأما أهل العلم بكلام العرب من رواة الشعر وأهل العربية، فإنهم يزعمون أنها مفتوحة ومضمومة بمعنى واحد. وإنما اختلاف ذلك لاختلاف اللغة فيه كما اختلفت لغاتهم في الوُجد والوَجْد بالضم والفتح من «وجدت».

ورُوي عن الشعبي في ذلك ما:

حدثنا أبو كريب. قال: ثنا جابر بن نوح، عن عيسى بن المغيرة، عن الشعبيّ، قال: الجُهْد في العمل، والجَهْد في القوت.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا حفص، عن عيسى بن المغيرة، عن الشعبي مثله.

قال: ثنا ابن إدريس، عن عيسى بن المغيرة، عن الشعبيّ، قال: الجُهْد في العمل، والجَهْد في المعيشة.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ادع الله لهؤلاء المنافقين الذين وصف صفاتهم في هذه الآيات بالمغفرة، أو لا تدع لهم بها. وهذا كلام خرج مخرج الأمر، وتأويله الخبر، ومعناه: إن استغفرت لهم يا محمد أو لم تستغفر لهم، فلن يغفر الله لهم. وقوله: ﴿**إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ**﴾ يقول: إن تسأل لهم أن تستر عليهم ذنوبهم بالعفو منه لهم عنها وترك فضيحتهم بها، فلن يستر الله عليهم، ولن يعفو لهم عنها ولكنه يفضحهم بها على رؤوس الأشهاد

يوم القيامة. ﴿ذلكَ بأَنَّهُمْ كَفَرُوا باللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ يقول جلّ ثناؤه. هذا الفعل من الله بهم، وهو تركُ عفوه لهم عن ذنوبهم، من أجل أنهم جحدوا توحيد الله ورسالة رسوله. ﴿وَاللَّهُ لا يَهْدِي القَوْمَ الفاسِقِينَ﴾ يقول: والله لا يوفق للإيمان به وبرسوله من آثر الكفر به والخروج عن طاعته على الإيمان به وبرسوله.

ويُروى عن رسول الله ﷺ أنه حين نزلت هذه الآية، قال: «لأَزِيدَنَّ فِي الاسْتِغْفار لَهُمْ على سَبْعِينَ مَرَّةٍ» رجاء منه أن يغفر الله لهم، فنزلت ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عبدة بن سليمان، عن هشام بن عروة، عن أبيه، أن عبد الله بن أبيّ ابن سلول، قال لأصحابه: لولا أنكم تنفقون على محمد وأصحابه لانفضوا من حوله. وهو القائل: ﴿لَئِنْ رَجَعْنا إلى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأعَزُّ مِنْها الأذَلَّ﴾، فأنزل الله: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ قال النبيّ ﷺ: «لأَزِيدَنَّ على السَّبْعِينَ» فأنزل الله: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ اسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ فأبى الله تبارك وتعالى أن يغفر لهم.

حدثنا ابن حميد وابن وكيع، قالا: ثنا جرير، عن مغيرة، عن شباك، عن الشعبي، قال: دعا عبد الله بن عبد الله بن أبيّ ابن سلولَ النبيَّ ﷺ إلى جنازة أبيه، فقال له النبيّ ﷺ: «مَنْ أنْتَ؟» قال: حباب بن عبد الله بن أبيّ. فقال له النبيّ ﷺ: «بَلْ أنْتَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيّ ابْنَ سَلُولَ، إنَّ الحُبابَ هُوَ الشَّيْطانُ». ثم قال النبيّ عليه الصلاة والسلام: «إنَّهُ قَدْ قِيلَ لي اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ، إنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ، فأنا أَسْتَغْفِرُ لَهُمْ سَبْعِينَ وَسَبْعِينَ وَسَبْعِينَ» وألبسه النبيّ ﷺ قميصه وهو عَرِقٌ.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿إنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾، فقال النبيّ ﷺ: «سأزِيدُ على سَبْعِينَ اسْتِغْفارَةً» فأنزل الله في السورة التي يذكر فيها المنافقون: ﴿لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ عزماً.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد بنحوه.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد نحوه.

قال: ثنا الحسن، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا مغيرة، عن الشعبيّ، قال: لما ثقل عبد الله بن أُبيّ، انطلق ابنه إلى النبيّ ﷺ، فقال له: إن أبي قد احتضر، فأحبّ أن تشهده وتصلي عليه

فقال النبيّ ﷺ: «ما اسْمُكَ؟» قال: الحباب بن عبد الله، قال: «بَلْ أنْتَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبيّ، إنَّ الحبُابَ اسْمُ شَيْطانٍ». قال: فانطلق معه حتى شهده وألبسه قميصه وهو عَرِقٌ، وصلى عليه، فقيل له: أتصلي عليه وهو منافق؟ فقال: «إنَّ اللَّهَ قالَ إنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ وَلأسْتَغْفِرَنَّ لَهُ سَبْعِينَ وسَبْعِينَ». قال هشيم: وأشكّ في الثالثة.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ**...﴾ إلى قوله: ﴿**القَوْمَ الفاسِقِينَ**﴾ فقال رسول الله ﷺ لمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: «أسْمَعُ رَبِّي قَدْ رَخَّصَ لِي فِيهِمْ، فَوَاللَّهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ أكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً، فَلَعَلَّ اللَّهُ أنْ يَغْفِرَ لَهُمْ» فقال الله من شدّة غضبه عليهم: ﴿**سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ اسْتَغْفِرْتَ لَهُمْ أمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ الله لَهُمْ إنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي القَوْمَ الفاسِقِينَ**﴾.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ الله لَهُمْ**﴾ فقال نبيّ الله: «قَدْ خَيَّرَنِي رَبِّي فَلأَزِيدَنَّهُمْ على سَبْعِينَ» فأنزل الله ﴿**سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ اسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ**...﴾ الآية،

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة، قال: لما نزلت: ﴿**إنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ**﴾ فقال النبيّ ﷺ: «لأزِيدَنَّ على سَبْعِينَ» فقال الله: ﴿**سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ اسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ**﴾.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فرح الذين خلفهم الله عن الغزو مع رسوله والمؤمنين به وجهاد أعدائه بمقعدهم ﴿**خِلافَ رَسُولِ اللَّهِ**﴾ يقول: بجلوسهم في منازلهم خلاف رسول الله، يقول: على الخلاف لرسول الله في جلوسه ومقعده. وذلك أن رسول الله ﷺ أمرهم بالنفر إلى جهاد أعداء الله، فخالفوا أمره وجلسوا في منازلهم. وقوله: ﴿**خِلافَ**﴾ مصدر من قول القائل: خالف فلان فلاناً فهو يخالفه خلافاً فلذلك جاء مصدره على تقدير فعال، كما يقال: قاتله فهو يقاتله قتالاً، ولو كان مصدراً من خلَفه، لكانت القراءة: «بمقعدهم خلف رسول الله»، لأن مصدر خلفه خلفٌ، لا خِلاف، ولكنه على ما بينت من أنه مصدر خالف، فقرىء: ﴿**خِلافَ رَسُولِ الله**﴾ وهي القراءة التي عليها قراءة الأمصار، وهي الصواب عندنا. وقد تأوّل بعضهم ذلك، بمعنى: بعد رسول الله ﷺ، واستشهد على ذلك بقول الشاعر:

عَقَبَ الرَّبِيعُ خِلافَهُمْ فَكأنمَا بَسَطَ الشَّوَاطِبُ بَيْنَهُنّ حَصِيرَا[١]

وذلك قريب لمعنى ما قلنا، لأنهم قعدوا بعده على الخلاف له.

وقوله: ﴿وكَرِهُوا أنْ يُجاهِدُوا بأمْوَالِهِمْ وأنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يقول تعالى ذكره: وكره هؤلاء المخلفون أن يغزوا الكفار بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله يعني: في دين الله الذي شرعه لعباده لينصروه، ميلاً إلى الدَّعَة والخَفْض، وإيثاراً للراحة على التعب والمشقة، وشُحّاً بالمال أن ينفقوه في طاعة الله. ﴿وَقالُوا لا تَنْفِرُوا في الحَرّ﴾ وذلك أن النبيّ ﷺ استنفرهم إلى هذه الغزوة، وهي غزوة تبوك في حرّ شديد، فقال المنافقون بعضهم لبعض: لا تنفروا في الحرّ فقال الله لنبيه محمد ﷺ: قل لهم يا محمد نار جهنم التي أعدّها الله لمن خالف أمره وعصى رسوله، أشدّ حرّاً من هذا الحرّ الذي تتواصون بينكم أن لا تنفروا فيه. يقول: الذي هو أشدّ حرّاً أحرى أن يحذر ويتقي من الذي هو أقلهما أذى. ﴿لَوْ كانُوا يَفْقَهُونَ﴾ يقول: لو كان هؤلاء المنافقون يفقهون عن الله وعظه ويتدبرون آي كتابه، ولكنهم لا يفقهون عن الله، فهم يحذرون من الحرّ أقله مكروهاً وأخفه أذى، ويوافقون أشدّه مكروهاً وأعظمه على من يصلاه بلاء.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿فَرِحَ المُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خلافَ رَسُولِ اللَّهِ...﴾ إلى قوله: ﴿يَفْقَهُونَ﴾، وذلك أن رسول الله ﷺ أمر الناس أن ينبعثوا معه، وذلك في الصيف، فقال رجال: يا رسول الله، الحرّ شديد ولا نستطيع الخروج، فلا تنفر في الحرّ فقال الله: ﴿قلْ نارُ جَهَنَّمَ أشَدُّ حَرّاً لو كانوا يفقهون﴾ فأمره الله بالخروج.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿بمقعدهم خلاف رسول الله﴾ قال: من غزوة تبوك.

(١) البيت للحارث بن خالد المخزومي «اللسان» خلف قال: وفي التنزيل العزيز: (فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله) قال ابن بري «خلاف» في الآية بمعنى بعد. وأنشد للحارث بن خالد المخزومي: عقب... الخ قال ومثله للبريق الهذلي:

وما كُنتُ أخشى أنْ أعيشَ خِلافهم بستةِ أبياتٍ كما نَبَتَ العِتْرُ

وفي «اللسان»: عقب عقب الرذاذ خلافهم. وكل شيء كان بعد شيء فقد عقبه. والشواطب: من النساء: اللواتي يشققن الخوص، ويقشرن العسب، ليتخذن منه الحصر، ثم يلقينها إلى المنقيات. تقول منه: شطبت المرأة الجريد شطباً: شقته فهي شاطبة لتعمل منه الحصر. والمنقية: التي تأخذ كل شيء عليه بسكينها، حتى تتركه رقيقاً تلقيه إلى الشاطبة ثانية. شبه آثار الربيع في الأرض من الزرع الذي يكسرها بحصر مبسوطة.

حدثني الحرث، قال: ثنا عبد اقال: ثنا أبو معشر، عن محمد بن كعب القرظي وغيره، قالوا: خرج رسول الله ﷺ في حرّ شديد إلى تبوك، فقال رجل من بني سلمة: لا تنفروا في الحرّ فأنزل الله: ﴿**قُلْ نارُ جَهَنَّمَ**. . .﴾ الآية.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: ذكر قول بعضهم لبعض، حين أمر رسول الله ﷺ بالجهاد، وأجمع السير إلى تبوك على شدّة الحرّ وجدب البلاد، يقول الله جلّ ثناؤه: ﴿**وَقَالُوا لاَ تَنْفِرُوا فِي الحرّ قُلْ نارُ جَهَنَّمَ أشَدُّ حَرّاً**﴾.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَآءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨٢)﴾.

يقول تعالى ذكره: فرح هؤلاء المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله، فليضحكوا فرحين قليلاً في هذه الدنيا الفانية بمقعدهم خلاف رسول الله ولهوهم عن طاعة ربهم، فإنهم سيبكون طويلاً في جهنم مكان ضحكهم القليل في الدنيا ﴿**جَزَاءً**﴾ يقول: ثواباً منالهم على معصيتهم بتركهم النفر إذ استنفروا إلى عدوّهم وقعودهم في منازلهم خلاف رسول الله. ﴿**بِمَا كانُوا يَكْسِبُونَ**﴾ يقول: بما كانوا يجترحون من الذنوب.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني أبو السائب، قال: ثنا أبو معاوية، عن إسماعيل، عن أبي رزين: ﴿**فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً**﴾ قال: يقول الله تبارك وتعالى: الدنيا قليل، فليضحكوا فيها ما شاءوا، فإذا صاروا إلى الآخرة بكوا بكاءً لا ينقطع، فذلك الكثير.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن يمان، عن منصور، عن أبي رزين، عن الربيع بن خثيم: ﴿**فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً**﴾ قال: في الدنيا، ﴿**وَلْيَبْكُوا كَثِيراً**﴾ قال: في الآخرة.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن ويحيى، قالا: ثنا سفيان، عن إسماعيل بن سميع، عن أبي رزين، في قوله: ﴿**فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً**﴾ قال: في الآخرة.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن منصور، عن أبي رزين، أنه قال في هذه الآية: ﴿**فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً**﴾ قال: ليضحكوا في الدنيا

قليلاً، وليبكوا في النار كثيراً، وقال في هذه الآية: ﴿وَإذاً لا تُمَتَّعُونَ إلاَّ قَلِيلاً﴾ قال: أجلهم أحد هذين الحديثين[1] رفعه إلى ربيع بن خيثم.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن الحسن: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً﴾ قال: ليضحكوا قليلاً في الدنيا، ﴿وَلْيَبْكُوا كَثِيراً﴾ في الآخرة في نار جهنم، ﴿جَزاءً بِمَا كانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً﴾: أي في الدنيا، ﴿وَلْيَبْكُوا كَثِيراً﴾: أي في النار. ذُكر لنا أن نبيّ الله ﷺ، قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ تَعْلَمُونَ ما أعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيراً» ذُكر لنا أنه نودي عند ذلك، أو قيل له: لا تُقْنِط عبادي

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن منصور، عن أبي رزين، عن الربيع بن خيثم ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً﴾ قال: في الدنيا، ﴿وَلْيَبْكُوا كَثِيراً﴾ قال: في الآخرة.

قال: ثنا أبو معاوية، عن إسماعيل بن سميع، عن أبي رزين: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً﴾ قال: في الدنيا فإذا صاروا إلى الآخرة بكوا بكاءً لا ينقطع، فذلك الكثير.

حدثنا عليّ بن داود، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً﴾ قال: هم المنافقون والكفار الذين اتخذوا دينهم هزواً ولَعباً يقول الله تبارك وتعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً﴾ في الدنيا، ﴿وَلْيَبْكُوا كَثِيراً﴾ في النار.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿فَلْيَضْحَكُوا﴾ في الدنيا ﴿قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا﴾ يوم القيامة ﴿كَثِيراً﴾. وقال: ﴿إنَّ الَّذِينَ أجْرَمُوا كانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ حتى بلغ: ﴿هَلْ ثُوِّبَ الكُفَّارُ ما كانُوا يَفْعَلُونَ﴾.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾﴾.

يقول جلّ ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: فإن ردّك الله يا محمد إلى طائفة من هؤلاء المنافقين من غزوتك هذه، فاستأذنوك للخروج معك في أخرى غيرها، فقل لهم: ﴿لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أبَداً وَلَنْ

(١) أي أحد الحديثين في الآية هو الأجل، والغرض من الحديثين القليل والكثير.

تُقاتِلُوا مَعيَ عَدُوّاً إنَّكُمْ رَضِيتُمْ بالقُعُودِ أوَّلَ مَرَّةٍ﴾ وذلك عند خروج النبيّ ﷺ إلى تبوك **﴿فاقْعُدُوا مَعَ الخالِفِينَ﴾** يقول: فاقعدوا مع الذين قعدوا من المنافقين خلاف رسول الله ﷺ، لأنكم منهم، فاقتدوا بهديهم واعملوا مثل الذي عملوا من معصية الله، فإن الله قد سخط عليكم.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: قال رجل: يا رسول الله، الحرّ شديد ولا نستطيع الخروج، فلا تنفر في الحرّ وذلك في غزوة تبوك، فقال الله: **﴿قُلْ نارُ جَهَنَّمَ أشَدُّ حَرّاً لَوْ كانُوا يَفْقَهُونَ﴾** فأمره الله بالخروج، فتخلف عنه رجال، فأدركتهم نفوسهم، فقالوا: والله ما صنعنا شيئاً فانطلق منهم ثلاثة، فلحقوا برسول الله ﷺ. فلما أتوه تابوا ثم رجعوا إلى المدينة، فأنزل الله: **﴿فإنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إلى طائِفَةٍ مِنْهُمْ. . .﴾** إلى قوله: **﴿وَلا تَقُمْ على قَبْرِهِ﴾** فقال رسول الله ﷺ: «هَلَكَ الَّذِينَ تَخَلَّفُوا» فأنْزَلَ اللَّهُ عُذْرَهُمْ لَما تابُوا، فقال: **﴿لَقَدْ تابَ اللَّهُ على النَّبِيّ والمُهاجِرِينَ والأنْصارِ. . .﴾** إلى قوله: **﴿إنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾**. وقال: **﴿إنَّه بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾**.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿فإنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إلى طائِفَةٍ مِنْهُمْ. . .﴾** إلى قوله: **﴿فاقْعُدُوا مَعَ الخالفينَ﴾**: أي مع النساء. ذُكر لنا أنهم كانوا اثني عشر رجلاً من المنافقين، فقيل فيهم ما قيل.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس: **﴿فاقْعُدُوا مَعَ الخالِفِينَ﴾** والخالفون: الرجال.

قال أبو جعفر: والصواب من التأويل في قوله **﴿الخالِفِينَ﴾** ما قال ابن عباس. فأما ما قال قتادة من أن ذلك النساء، فقول لا معنى له لأن العرب لا تجمع النساء إذا لم يكن معهنّ رجال بالياء والنون، ولا بالواو والنون. ولو كان معنياً بذلك النساء، لقيل: «فاقعدوا مع الخوالف»، أو «مع الخالفات»، ولكن معناه ما قلنا من أنه أريد به: فاقعدوا مع مرضى الرجال وأهل زمانتهم والضعفاء منهم والنساء. وإذا اجتمع الرجال والنساء في الخبر، فإن العرب تغلّب الذكور على الإناث، ولذلك قيل: **﴿فاقْعُدُوا مَعَ الخالِفِينَ﴾** والمعنى ما ذكرنا. ولو وجّه معنى ذلك إلى: فاقعدوا مع أهل الفساد، من قولهم: خلف الرجال عن أهله يخلف خلوفاً، إذا فسد، ومن قولهم: هو خلف سوء كان مذهباً. وأصله إذا أريد به هذا المعنى من قولهم خَلَفَ اللبن يَخْلُفُ خلوفاً إذا خَبُثَ من طول وضعه في السقاء حتى يفسد، ومن قولهم: خَلَفَ فَمُ الصائم: إذا تغيرت ريحه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾﴾.

يقول جلّ ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: ولا تصلّ يا محمد على أحد مات من هؤلاء المنافقين الذين تخلفوا عن الخروج معك أبداً. ﴿وَلا تَقُمْ على قَبْرِهِ﴾ يقول: ولا تتولّ دفنه وتقبره من قول القائل: قام فلان بأمر فلان: إذا كفاه أمره. ﴿إنَّهُمْ كَفَرُوا باللَّهِ﴾ يقول إنهم جحدوا توحيد الله ورسالة رسوله، وماتوا وهم خارجون من الإسلام مفارقون أمر الله ونهيه. وقد ذكر أن هذه الآية نزلت حين صلى النبيّ ﷺ على عبد الله بن أبيّ.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن المثنى وسفيان بن وكيع، وسوّار بن عبد الله، قالوا: ثنا يحيى بن سعيد، عن عبيد الله قال: أخبرني نافع، عن ابن عمر، قال: جاء ابن عبد الله بن أبيّ ابن سلولَ إلى رسول الله ﷺ حين مات أبوه، فقال: أعطني قميصك حتى أكفنه فيه، وصلّ عليه واستغفر له فأعطاه قميصه، وقال: «إذَا فَرَغْتُمْ فَآذِنُونِي» فلما أراد أن يصلي عليه، جذبه عمر وقال: أليس قد نهاك الله أن تصلي على المنافقين؟ فقال: «بَلْ خَيَّرَنِي وقالَ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ» قال: فصلي عليه. قال: فأنزل الله تبارك وتعالى: **﴿وَلا تُصَلّ على أحَدٍ مِنْهُمْ ماتَ أبَداً وَلا تَقُمْ على قَبْرِهِ﴾** قال: فترك الصلاة عليهم.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبو أسامة، عن عبيد الله، عن ابن عمر، قال: لما توفي عبد الله بن أبيّ ابن سلول، جاء ابنه عبد الله إلى النبيّ ﷺ، فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه فأعطاه. ثم سأله أن يصلي عليه. فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فأخذ بثوب النبيّ ﷺ، فقال ابنَ سلول! أتصلي عليه وقد نهاك الله أن تصلي عليه؟ فقال النبيّ ﷺ: «إنَّمَا خَيَّرَنِي رَبّي، فقالَ: **﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾** وسأزِيدُ على سَبْعِينَ». فقال: إنه منافق فصلى عليه رسول الله ﷺ، فأنزل الله: **﴿وَلا تُصَلّ على أحَدٍ مِنْهُمْ ماتَ أبَداً وَلا تَقُمْ على قَبْرِهِ﴾**.

حدثنا سوار بن عبد الله العنبريّ، قال: ثنا يحيى بن سعيد، عن مجالد، قال: ثني عامر، عن جابر بن عبد الله، أن رأس المنافقين مات بالمدينة، فأوصى أن يصلّي عليه النبيّ ﷺ وأن يكفن في قميصه. فكفنه في قميصه، وصلى عليه، وقام على قبره، فأنزل الله تبارك وتعالى: **﴿وَلا تُصَلّ على أحَدٍ منهُمْ ماتَ أبَداً وَلا تَقُمْ على قَبْرِهِ﴾**.

حدثني أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا سلمة، عن يزيد الرَّقاشيّ، عن أنس: أن رسول الله ﷺ أراد أن يصلي علي عبد الله بن أبيّ ابن سلول، فأخذ جبريل عليه السلام بثوبه فقال: ﴿**وَلا تُصَلِّ على أَحَدٍ منْهُمْ ماتَ أَبَداً وَلا تَقُمْ على قَبْرِهِ**﴾.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن عيينة، عن عمرو، عن جابر، قال: جاء النبيّ ﷺ عبد الله بن أبيّ وقد أدخل حفرته، فأخرجه، فوضعه على ركبتيه وألبسه قميصه وتفل عليه من ريقه، والله أعلم.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن الزهريّ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن عبد الله بن عباس، قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: لما توفي عبد الله بن أبيّ ابن سلول، دُعي رسول الله ﷺ للصلاة عليه، فقام إليه فلما وقف عليه يريد الصلاة، تحوّلت حتى قمت في صدره، فقلت: يا رسول الله، أتصلي على عدوّ الله عبد الله بن أبيّ القائل يوم كذا كذا وكذا، أعدّد أيامه[(١)]، ورسول الله عليه الصلاة والسلام يتبسمّ. حتى إذا أكثرت عليه، قال: «اخّرْ عَنّي يا عُمَرُ إنّي خُيِّرْتُ فاخْتَرْتُ، وَقَدْ قِيلَ لي ﴿**اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللّهُ لهم**﴾ فلو أني أعلم أني إن زدت على السبعين غفر له لزدت» قال: ثم صلى عليه ومشى معه فقام على قبره فرغ منه قال: أتعجب لي وجرأتي على رسول الله ﷺ ورسوله أعلم فوالله ما كان إلا يسيراً حتى نزلت هاتان الآيتان ﴿**لا تصل على أَحَدٍ مِنهُمْ ماتَ أَبَداً**﴾ فما صلى رسول الله ﷺ بعده على منافق، ولا قام على قبره حتى قبضه الله.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن عاصم بن عمر بن قتادة، قال: لما مات عبد الله بن أبيّ، أتي ابنه عبد الله بن عبد الله رسول الله ﷺ، فسأله قميصه، فأعطاه، فكفَّن فيه أباه.

حدثنا المثنى، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني الليث، قال: ثني عقيل، عن ابن شهاب، قال: أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن عبد الله بن عباس، عن عمر بن الخطاب، قال: لما مات عبد الله بن أبيّ، فذكر مثل حديث ابن حميد، عن سلمة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وَلا تُصَلِّ على أَحَدٍ مِنْهُمْ ماتَ أَبَداً، وَلا تَقُمْ على قَبْرِهِ...**﴾ الآية، قال: بعث عبد الله بن أبيّ إلى رسول الله ﷺ وهو مريض ليأتيه، فنهاه عن ذلك عمر، فأتاه نبيّ الله ﷺ فلما دخل عليه قال نبيّ الله ﷺ: «أَهْلَكَكَ

---

(١) كذا في النيسابوري أيضاً، ولعله مصحف آثامه، ورواية البخاري: أعدد قوله.

حُبُّ اليَهُودِ». قال: فقال: يا نبيّ الله إني لم أبعث إليك لتؤنبني، ولكن بعثت إليك لتستغفر لي وسأله قميصه أن يكفن فيه، فأعطاه إياه، فاستغفر له رسول الله ﷺ فمات، فكفن في قميص رسول الله ﷺ، ونفث في جلده ودلاّه في قبره. فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿**وَلا تُصَلِّ على أحَدٍ مِنْهُمْ ماتَ أبَداً**..﴾ الآية. قال: ذكر لنا أن نبيّ الله ﷺ كلم في ذلك، فقال: «وَما يُغْنِي عَنْهُ قَمِيصِي مِنَ اللّهِ أوْ رَبِّي وَصَلاتي عَلَيْهِ؟ وإنّي لأَرْجُو أنْ يُسْلِمَ بِهِ ألْفٌ مِنْ قَوْمِهِ».

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، قال: أرسل عبد الله بن أبيّ ابن سلول وهو مريض إلى النبيّ ﷺ فلما دخل عليه، قال له النبيّ ﷺ: «أهْلَكَكَ حُبُّ يَهُودَ». قال: يا رسول الله، إنما أرسلت إليك لتستغفر لي ولم أرسل إليك لتؤنبني. ثم سأله عبد الله أن يعطيه قميصه أن يكفن فيه، فأعطاه إياه وصلى عليه، وقام على قبره، فأنزل الله تعالى ذكره: ﴿**وَلا تُصَلِّ على أحَدٍ مِنْهُمْ ماتَ أبَداً، وَلا تَقُمْ على قَبْرِهِ**﴾.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ولا تعجبك يا محمد أموال هؤلاء المنافقين وأولادهم فتصلي على أحدهم إذا مات وتقوم على قبره من أجل كثرة ماله وولده، فإني إنما أعطيته ما أعطيته من ذلك لأعذّبه بها في الدنيا بالغموم والهموم، بما ألزمه فيها من المؤن والنفقات والزكوات وبما ينوبه فيها من الرزايا والمصيبات. ﴿**وَتَزْهَقَ أنْفُسُهُمْ**﴾ يقول: وليموت فتخرج نفسه من جسده، فيفارق ما أعطيته من المال والولد، فيكون ذلك حسرة عليه عند موته ووبالاً عليه حينئذ ووبالاً عليه في الآخرة بموته، جاحداً توحيد الله ونبوّة نبيه محمد ﷺ.

حدثني المثنى، قال: ثنا سويد بن نصر، قال: أخبرنا ابن المبارك، عن سفيان، عن السديّ: ﴿**وَتَزْهَقُ أنْفُسُهُمْ**﴾ في الحياة الدنيا.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وإذا أنزل عليك يا محمد سورة من القرآن، بأن يقال لهؤلاء المنافقين: ﴿**آمِنُوا باللّهِ**﴾ يقول: صدّقوا بالله ﴿**وَجاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ**﴾ يقول: اغزوا المشركين مع رسول الله

ﷺ، ﴿**اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ**﴾ يقول: استأذنك ذوو الغنى والمال منهم في التخلف عنك والقعود في أهله ﴿**وَقالُوا ذَرْنا**﴾ يقول: وقالوا لك: دعنا نكن ممن يقعد في منزله مع ضعفاء الناس ومرضاهم ومن لا يقدر على الخروج معك في السفر.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا عليّ بن داود، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ**﴾ قال: يعني أهل الغنى.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿**أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ**﴾ يعني: الأغنياء.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿**وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ**﴾ كان منهم عبد الله بن أبيّ والجد بن قيس، فنعى الله ذلك عليهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: رضي هؤلاء المنافقون الذين إذا قيل لهم: آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله، استأذنك أهل الغنى منهم في التخلف عن الغزو والخروج معك لقتال أعداء الله من المشركين، أن يكونوا في منازلهم كالنساء اللواتي ليس عليهنّ فرض الجهاد، فهن قعود في منازلهنّ وبيوتهنّ. ﴿**وَطُبِعَ على قُلُوبِهِمْ**﴾ يقول: وختم الله على قلوب هؤلاء المنافقين، فهم لا يفقهون عن الله مواعظه فيتعظون بها. وقد بيّنا معنى الطبع وكيف الختم على القلوب فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

وبنحو الذي قلنا في معنى الخوالف قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**رَضُوا بأَنْ يَكُونُوا مَعَ الخوَالِفِ**﴾ قال: والخوالف: هنّ النساء.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿**رَضُوا بأَنْ يَكُونُوا مَعَ الخوَالِفِ**﴾ يعني: النساء.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا حبوية أبو يزيد، عن يعقوب القمي، عن حفص بن حميد، عن شمر بن عطية: ﴿**رَضُوا بأَنْ يَكُونُوا مَعَ الخَوَالِفِ**﴾ قال: النساء.

قال: ثنا المحاربيّ، عن جويبر، عن الضحاك: ﴿**مع الخوالف**﴾ قال: مع النساء.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**رَضُوا بأَنْ يَكُونُوا مَعَ الخَوَالِفِ**﴾ أي مع النساء.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة والحسن: ﴿**رَضُوا بأَنْ يَكُونُوا مَعَ الخَوَالِفِ**﴾ قالا: النساء.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد مثله.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**رَضُوا بأَنْ يَكُونُوا مَعَ الخَوَالِفِ**﴾ قال: مع النساء.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ (٨٨)﴾.

يقول تعالى ذكره: لم يجاهد هؤلاء المنافقون الذين اقتصصت قصصهم المشركين، لكن الرسول محمد ﷺ والذين صدّقوا الله ورسوله معه هم الذين جاهدوا المشركين بأموالهم وأنفسهم، فأنفقوا في جهادهم أموالهم وأتعبوا في قتالهم أنفسهم وبذلوها. ﴿**وأولَئِكَ**﴾ يقول: وللرسول وللذين آمنوا معه الذين جاهدوا بأموالهم وأنفسهم الخيرات، وهي خيرات الآخرة، وذلك نساؤها وجناتها ونعيمها، واحدتها: خَيْرة، كما قال الشاعر:

وَلَقَدْ طَعَنْتُ مَجَامِعَ الرَّبَلاَتِ ... رَبَلاتِ هِنْدٍ خَيْرَةِ المَلَكَاتِ[1]

(١) البيت أنشده أبو عبيدة لرجل من بني عدي تيم تميم، جاهلي «اللسان» خير. قال: وقال تعالى: ﴿أولئك لهم الخيرات﴾ جمع خيرة وهذي الفاضلة من كل شيء. وقال تعالى: ﴿فيهن خيرات حسان﴾، قال الأخفش: إنه لما وصف به وقيل فلان خير، إشبه الصفات، فأدخلوا فيه الهاء للمؤنث، ولم يريدوا به أفعل وأنشد البيت. فإن أردت معنى التفضيل قلت: فلانة خير الناس ولمخ تقل خيرة، وفلان خير الناس، ولم تقل أخير، لا يثني =

والخيرة من كلّ شيء: الفاضلة. ﴿وأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ﴾ يقول: وأولئك هم المخلدون في الجنات الباقون فيها الفائزون بها.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: أعدّ الله لرسوله محمد ﷺ وللذين آمنوا معه جنات، وهي البساتين تجري من تحت أشجارها الأنهار. ﴿خالدينَ فيهَا﴾ يقول: لابثين فيها، لا يموتون فيها، ولا يظعنون عنها. ﴿ذلكَ الفَوْزُ العَظِيمُ﴾ يقول: ذلك النجاء العظيم والحظّ الجزيل.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿وَجاءَ﴾ رسول الله ﷺ ﴿المُعَذِّرُونَ مِنَ الأعْرَابِ ليُؤْذَنَ لَهُمْ﴾ في التخلف. ﴿وَقَعَدَ﴾ عن المجيء إلى رسول الله ﷺ والجهاد معه ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ وقالوا الكذب، واعتذروا بالباطل منهم. يقول تعالى ذكره: سيصيب الذين جحدوا توحيد الله ونبوّة نبيه محمد ﷺ منهم عذاب أليم.

فإن قال قائل: فكيف قيل: ﴿وَجَاءَ المُعَذِّرُونَ﴾ وقد علمت أن المعذِّر في كلام العرب إنما هو الذي يُعَذِّر في الأمر، فلا يبالغ فيه ولا يُحكمه، وليست هذه صفة هؤلاء، وإنما صفتهم أنهم كانوا قد اجتهدوا في طلب ما ينهضون به مع رسول الله ﷺ إلى عدوّهم، وحرصوا على ذلك، فلم يجدوا إليه سبيل، فهم بأن يوصفوا بأنهم قد أعذروا أولى وأحقّ منهم بأن يوصفوا بأنهم عذروا. إذا وصفوا بذلك.

فالصواب في ذلك من القراءة ما قرأه ابن عباس، وذلك ما:

حدثنا المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي حماد، قال: ثنا بشر بن عمار، عن

= ولا يجمع، لأنه في معنى أفعل، وقال أبو منصور الأزهري: لا فرق بين الخيرة (بتشديد الياء)، والخيرة (بتخفيفها) عند أهل اللغة، يقال: هي خيرة النساء، وشرة النساء، واستشهد بما استشهد به أبو عبيدة. وقال خالد بن جنبة: الخيرة من النساء: الكريمة النسب. الشريف الحسب. الحسنة الوجه، الحسنة الخلق، الكثيرة المال، التي إذا ولدت أنجبت. والربلة، بتحريك الباء وإسكانها: كل لحمة غليظة. وقيل هي ما حول الضرع والحياء، من باطن الفخذ، وامرأة ربلة وربلاء: ضخمة الربلات.

أبي روق عن الضحاك، قال: كان ابن عباس يقرأ: ﴿وجاء المُعْذِرُونَ﴾ مخففة، ويقول: هم أهل العذر.

مع موافقة مجاهد إياه وغيره عليه؟ قيل: إن معنى ذلك على غير ما ذهبت إليه، وإن معناه: وجاء المعتذرون من الأعراب ولكن التاء لما جاورت الذال أدغمت فيها، فصُيرتا ذالاً مشددة لتقارب مخرج إحداهما من الأخرى، كما قيل: يَذَّكَّرون في يتذكرون، ويذَّكر في يتذكر. وخرجت العين من المعذرين إلى الفتح، لأن حركة التاء من المعتذرين وهي الفتحة نقلت إليها فحركت بما كانت به محركة، والعرب قد توجه في معنى الاعتذار إلى الإعذار، فتقول: قد اعتذر فلان في كذا، يعني: أعذر، ومن ذلك قول لبيد:

إلى الحَوْلِ ثُمَّ اسْمُ السَّلامِ عَلَيْكُما وَمَنْ يَبْكِ حَوْلاً كامِلاً فَقَدِ اعْتَذَرْ

فقال: فقد اعتذر، بمعنى: فقد أعذر.

على أن أهل التأويل، قد اختلفوا في صفة هؤلاء القوم الذين وصفهم الله بأنهم جاءوا رسول الله ﷺ معذِّرين، فقال بعضهم: كانوا كاذبين في اعتذارهم، فلم يعذرهم الله.

ذكر من قال ذلك:

حدثني أبو عبيدة عبد الوارث بن عبد الصمد، قال: ثني أبي، عن الحسين، قال: كان قتادة يقرأ: ﴿وجَاءَ المُعَذِّرُونَ مِنَ الأَعْرَابِ﴾ قال: اعتذروا بالكتب.

حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا يحيى بن زكريا، عن ابن جريج، عن مجاهد: ﴿وجَاءَ المُعَذِّرُونَ مِنَ الأَعْرَابِ﴾ قال نفر من بني غفار جاءوا فاعتذروا، فلم يعذرهم الله.

فقد أخبر من ذكرنا من هؤلاء أن هؤلاء القوم إنما كانوا أهل اعتذار بالباطل لا بالحقّ. فغير جائز أن يوصفوا بالإعذار إلا أن يوصفوا بأنهم أعذروا في الاعتذار بالباطل. فأما بالحقّ على ما قاله من حكينا قوله من هؤلاء، فغير جائز أن يوصفوا به. وقد كان بعضهم يقول: إنما جاءوا معذرين غير جادّين، يعرضون ما لا يريدون فعله. فمن وجهه إلى هذا التأويل فلا كلفة في ذلك، غير أني لا أعلم أحداً من أهل العلم بتأويل القرآن وجّه تأويله إلى ذلك، فأستحبّ القول به.

وبعد، فإن الذي عليه من القراءة قرّاء الأمصار التشديد في الذال، أعني من قوله: ﴿المُعَذِّرُونَ﴾ ففي ذلك دليل على صحة تأويل من تأوّله بمعنى الاعتذار لأن القوم الذين وصفوا بذلك لم يكلفوا أمرا عذروا فيه، وإنما كانوا فرقتين إما مجتهد طائع وإما منافق فاسق لأمر الله مخالف، فليس في الفريقين موصوف بالتعذير في الشخوص مع رسول الله ﷺ، وإنما هو معذر مبالغ، أو معتذر. فإذا كان ذلك كذلك، وكانت الحجة من القرّاء مجمعة على تشديد الذال من «المعذرين»، علم أن معناه ما وصفناه من التأويل. وقد ذكر عن مجاهد في ذلك موافقة ابن

عباس.

حدثني المثنى، قال: أخبرنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله بن الزبير، عن ابن عيينة، عن حميد، قال: قرأ مجاهد: «وَجاءَ المُعْذِرُونَ» مخففة، وقال: هم أهل العلم العذر.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: كان المعذرون[(١)].

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ليس على أهل الزمانة وأهل العجز عن السفر والغزو، ولا على المرضى، ولا على من لا يجد نفقة يتبلغ بها إلى مغزاه حرج، وهو الإثم يقول: ليس عليهم إثم إذا نصحوا لله ولرسوله في مغيبهم عن الجهاد مع رسول الله ﷺ. **﴿ما عَلى المُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ﴾** يقول: ليس على من أحسن فنصح الله ورسوله في تخلفه عن رسول الله ﷺ عن جهاد معه لعذر يعذر به طريق يتطرّق عليه فيعاقب من قبله. **﴿وَاللَّهُ غَفورٌ رَحِيمٌ﴾** يقول: والله ساتر على ذنوب المحسنين، يتغمدها بعونه لهم عنها، رحيم بهم أن يعاقبهم عليها.

وذُكر أن هذه الآية نزلت في عائذ بن عمرو المزني. وقال بعضهم: في عبد الله بن مغفل. ذكر من قال نزلت في عائذ بن عمرو:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: **﴿لَيْسَ على الضُّعَفَاءِ ولاَ على المَرْضى وَلا على الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ ما يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إذَا نَصَحُوا لِلَّهِ ورَسُولِهِ﴾** نزلت في عائذ بن عمرو.

ذكر من قال نزلت في ابن مغفل:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: **﴿لَيْسَ على الضُّعَفاءِ وَلا على المَرْضَى...﴾** إلى قوله: **﴿حَزَنا أنْ لا يَجِدُوا ما يُنْفِقُونَ﴾** وذلك أن رسول الله ﷺ أمر الناس أن ينبعثوا غازين معه، فجاءته عصابة من أصحابه فيهم عبد الله بن مغفل المزني، فقالوا: يا رسول الله احملنا فقال لهم رسول الله ﷺ: «وَاللَّهُ ما أَجِدُ ما

(١) بياض في الأصل، والذي ذكره السيوطي في الدر وابن كثير في تفسيره عن ابن إسحاق أنهم نفر من بني غفار، منهم خفاف ابن إيماء بن رحضة.

أحْمِلكُمْ عَلَيْهِ» فتولوا ولهم بكاء، وعزّ عليهم أن يجلسوا عن الجهاد ولا يجدون نفقة ولا مَحملاً. فلما رأى الله حرصهم على محبته ومحبة رسوله، أنزل عذرهم في كتابه، فقال: ﴿لَيسَ على الضّعَفاءِ وَلا على المَرْضَى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إلى قوله: ﴿فهم لا يعلمون﴾.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾

يقول تعالى ذكره ولا سبيل أيضاً على النفر الذين إذا ما جاءوك لتحملهم يسألونك الحُمْلان ليبلغوا إلى مغزاهم لجهاد أعداء الله معك يا محمد، قلت لهم: لا أجد حمولة أحملكم عليها ﴿تَوَلَّوْا﴾ يقول: أدبروا عنك، ﴿وأعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً﴾ وهم يبكون من حزن على أنهم لا يجدون ما ينفقون ويتحملون به للجهاد في سبيل الله.

وذكر بعضهم أن هذه الآية نزلت في نفر من مُزينة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿وَلا على الَّذِينَ إذَا ما أتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لا أجِدُ ما أحْمِلكُمْ عَلَيْهِ﴾ قال: هم من مُزَينة.

حدثني المثنى، قال: أخبرنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: ﴿وَلا على الَّذِينَ إذَا ما أتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾ قال: هم بنو مقرّن من مزينة.

حدثني المثنى، قال: ثنا سويد، قال: أخبرنا ابن المبارك، عن ابن جريج، قراءة عن مجاهد في قوله: ﴿وَلا على الَّذِينَ إذَا ما أتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ...﴾ إلى قوله: ﴿حزَناً أن لا يَجِدُوا ما يُنْفِقُونَ﴾ قال: هم بنو مقرن من مزينة.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن نمير، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿وَلا على الَّذِينَ إذَا ما أتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾ قال: هم بنو مُقَرّن من مزينة.

قال: ثنا أبي، عن أبي جعفر، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن عروة، عن ابن مغفل المزني، وكان أحد النفر الذين أنزلت فيهم: ﴿وَلا على الَّذِينَ إذَا ما أتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ...﴾ الآية.

حدثني المثنى، قال: أخبرنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله بن الزبير، عن ابن عيينة، عن ابن جريج عن مجاهد في قوله: ﴿**تَوَلَّوْا وأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً**﴾ قال: منهم ابن مُقَرِّن. وقال سفيان: قال الناس: منهم عِرْباض بن سارية.

وقال آخرون: بل نزلت في عِرْباض بن سارية.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا أبو عاصم، عن ثور بن يزيد، عن خالد بن مَعْدان، عن عبد الرحمن بن عمرو والسُّلَمِي، وحُجْر بن حُجْر الكَلاعي، قالا: دخلنا على عِرْباض بن سارية، وهو الذي أنزل فيه: ﴿**وَلا على الَّذِينَ إذَا ما أتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ...**﴾ الآية.

حدثني المثنى، قال: ثنا سليمان بن عبد الرحمن، قال: ثنا الوليد، قال: ثنا ثور، عن خالد، عن عبد الرحمن بن عمرو، وحجر بن حجر بنحوه.

وقال آخرون: بل نزلت في نفر سبعة من قبائل شتى.

ذكر من قال ذلك:

حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا أبو معشر، عن محمد بن كعب وغيره، قال جاء ناس من أصحاب رسول الله ﷺ يستحملونه، فقال: «لا أجِدُ ما أحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ» فأنزل الله: ﴿**وَلا على الَّذِينَ إذَا ما أتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ...**﴾ الآية، قال: هم سبعة نفر من بني عمرو بن عوف سالم بن عمير، ومن بنى واقف: حِرْميّ بن عمرو، ومن بني مازن بن النجار: عبد الرحمن بن كعب، يكنى أبا ليلى، ومن بني المُعلَّى: سَلْمان بن صخر، ومن بني حارثة: عبد الرحمن بن يزيد أبو عبلة، وهو الذي تصدّق بعرضه فقبله الله منه، ومن بني سَلِمة: عمرو بن غنمة، وعبد الله بن عمرو المزني.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قوله: ﴿**وَلا على الَّذِينَ إذَا ما أتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ**﴾ إلى قوله: ﴿**حَزَناً**﴾ وهم البكاؤون كانوا سبعة، والله أعلم.

تمّ الجزء العاشر، من تفسير محمد بن جرير الطبري

ويليه الجزء الحادي عشر

وأوله: القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إنَّمَا السَّبِيلُ...﴾ الآية

محتوى الجزء العاشر من تفسير الطبري

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٤١	واعلموا أنما غنمتم من شيء	٥
٤٢	إذ أنتم بالعدوة الدنيا	١٤
٤٣	إذ يريكهم الله في منامك قليلا	١٧
٤٤	وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم	١٩
٤٥	يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة	١٩
٤٦	وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا	٢٠
٤٧	ولا تكونوا كالذين خرجوا	٢٢
٤٨	وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم	٢٤
٤٩	إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم	٢٧
٥٠	ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا	٢٨
٥١	ذلك بما قدمت أيديكم	٢٩
٥٢	كدأب آل فرعون والذين من قبلهم	٣٠
٥٣	ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة	٣٠
٥٤	كدأب آل فرعون والذين من قبلهم	٣١
٥٥	إن شرّ الدوابّ عند الله	٣١
٥٦	الذين عاهدت منهم ثم ينقضون	٣١
٥٧	فإما تثقفهم في الحرب فشرّد بهم	٣٢
٥٨	وإما تخافنّ من قوم خيانة	٣٣
٥٩	ولا تحسبنّ الذين كفروا سبقوا	٣٥
٦٠	وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوّة	٣٦
٦١	وإن جنحوا للسلم فاجنح لها	٤٠

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٦٢	وإن يريدوا أن يخدعوك	٤٣
٦٣	وإن يريدوا أن يخدعوك	٤٣
٦٣	وألف بين قلوبهم	٤٣
٦٤	يا أيها النبيّ حسبك الله ومن اتبعك	٤٥
٦٥	يا أيها النبيّ حرّض المؤمنين على القتال	٤٦
٦٦	الآن خفف الله عنكم	٤٦
٦٧	ما كان لنبيّ أن يكون له أسرى	٥٠
٦٨	لولا كتاب من الله سبق	٥٣
٦٩	فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً	٥٧
٧٠	يا أيها النبيّ قل لمن في أيديكم	٥٧
٧١	وإن يريدوا خيانتك فقد خانوا	٥٩
٧٢	إن الذين آمنوا وهاجروا	٦٠
٧٣	والذين كفروا بعضهم أولياء بعض	٦٤
٧٤	والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا	٦٦
٧٥	والذين آمنوا من بعد وهاجروا	٦٦

تفسير سورة التوبة

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١	براءة من الله ورسوله	٦٩
٢	فسيحوا في الأرض أربعة أشهر	٦٩
٣	وأذان من الله ورسوله إلى الناس	٧٨
٤	إلا الذين عاهدتم من المشركين	٨٩
٥	فإذا انسلخ الأشهر الحرم	٩٠
٦	وإن أحد من المشركين استجارك	٩٢
٧	كيف يكون للمشركين عهد عند الله	٩٤
٨	كيف وإن يظهروا عليكم	٩٦
٩	اشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً	٩٩

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١٠	لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة	١٠٠
١١	فإن تابوا وأقاموا الصلاة	١٠٠
١٢	وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم	١٠١
١٣	ألا تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم	١٠٣
١٤	قاتلوهم يعذّبهم الله بأيديكم	١٠٤
١٥	ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله	١٠٥
١٦	أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله	١٠٦
١٧	ما كان للمشركين أن يعمروا	١٠٧
١٨	إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله	١٠٨
١٩	أجعلتم سقاية الحاجّ	١٠٩
٢٠	الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا	١١١
٢١	يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان	١١٢
٢٢	خالدين فيها أبدا	١١٢
٢٣	يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم	١١٢
٢٤	قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم	١١٣
٢٥	لقد نصركم الله في مواطن كثيرة	١١٤
٢٦	ثم أنزل الله سكينته على رسوله	١١٩
٢٧	ثم يتوب الله من بعد ذلك	١١٩
٢٨	يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون	١٢٠
٢٩	قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله	١٢٤
٣٠	وقالت اليهود عزير ابن الله	١٢٦
٣١	اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً	١٣٠
٣٢	يريدون أن يطفئوا نور الله	١٣٢
٣٣	هو الذي أرسله رسوله بالهدى	١٣٣
٣٤	يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً	١٣٤

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٣٥	يوم يحمي عليها في نار جهنم	١٤٠
٣٦	إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر	١٤٢
٣٧	إنما النسيء زيادة في الكفر	١٤٧
٣٨	يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل	١٥٢
٣٩	إلا تنفروا يعذّبكم عذاباً أليما	١٥٣
٤٠	إلا تنصروه فقد نصره الله	١٥٤
٤١	انفروا خفافاً وثقالاً	١٥٧
٤٢	لو كان عرضاً قريباً	١٦٠
٤٣	عفا الله عنك لم أذنت لهم	١٦١
٤٤	لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله	١٦٢
٤٥	إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله	١٦٣
٤٦	ولو أرادوا الخروج	١٦٤
٤٧	لو خرجوا فيكم	١٦٤
٤٨	لقد ابتغوا الفتنة من قبل	١٦٧
٤٩	ومنهم من يقول ائذن لي	١٦٨
٥٠	أن تصبك حسنة تسؤهم	١٧٠
٥١	قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا	١٧١
٥٢	قل هل تربصون بنا	١٧١
٥٣	قل أنفقوا طوعاً أو كرهاً	١٧٢
٥٤	وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم	١٧٣
٥٥	فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم	١٧٣
٥٦	ويحلفون بالله إنهم لمنكم	١٧٥
٥٧	لو يجدون ملجأ أو مغارات	١٧٥
٥٨	ومنهم من يلمزك في الصدقات	١٧٦
٥٩	ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله	١٧٨

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٦٠	«إنما الصدقات للفقراء والمساكين	١٧٩
٦١	ومنهم الذين يؤذون النبيّ	١٩٠
٦٢	يحلفون بالله ليرضوكم	١٩٢
٦٣	ألم يعلموا أنه من يحادد الله	١٩٣
٦٤	يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة	١٩٤
٦٥	ولئن سألتهم ليقولنّ	١٩٤
٦٦	لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم	١٩٦
٦٧	المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض	١٩٧
٦٨	وعد الله المنافقين والمنافقات	١٩٨
٦٩	كالذين من قبلكم كانوا أشدّ	١٩٩
٧٠	ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم	٢٠٠
٧١	والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء	٢٠٢
٧٢	وعد الله المؤمنين والمؤمنات	٢٠٢
٧٣	يا أيها النبيّ جاهد الكفار والمنافقين	٢٥٧
٧٤	يحلفون بالله ما قالا ولقد قالوا	٢٠٨
٧٥	ومنهم من عاهد الله	٢١٣
٧٦	فلما آتاهم من فضله بخلوا به	٢١٣
٧٧	فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم	٢١٣
٧٨	ألم يعلموا أن الله يعلم سرّهم	٢١٨
٧٩	الذين يلمزون المطوعين	٢١٨
٨٠	استغفر لهم أو لا تستغفر لهم	٢٢٣
٨١	فرح المخلفون بمقعدهم	٢٢٥
٨٢	فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً	٢٢٧
٨٣	فإن رجعك الله إلى طائفة منهم	٢٢٨
٨٤	ولا تصلّ على أحد منهم مات أبداً	٢٣٠

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٨٥	ولا تعجبك أموالهم وأولادهم	٢٣٢
٨٦	وإذا أنزلت سورة إن آمنوا بالله	٢٣٢
٨٧	رضوا بأن يكونوا مع الخوالف	٢٣٣
٨٨	لكن الرسول والذين آمنوا	٢٣٤
٨٩	أعدّ الله لهم جنات تجري	٢٣٥
٩٠	وجاء المعذّرون من الأعراب	٢٣٥
٩١	ليس على الضعفاء ولا على المرضى	٢٣٧
٩٢	ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم	٢٣٨